تاريخ الخلفاء الراشدين

[4]

د. علي محمد الصلابي

سيرة أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

شخصيته وعصره

ALI IBN ABI TALIB







سيرة أمير المؤمنين



شخصيته وعصره

دراسة شاملة

تأليف

علي محمد محمد الصلابي

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م
الطبعة الأولى للناشر

رقم الإيداع: ٢٠٠٥/٩٨٤٩
الترقيم الدولى: I.S.B.N
977 - 6119 - 61 - 1

مؤسسة اقرأ
للنشر والتوزيع والترجمة
١٠ش أحمد عمارة - بجوار حديقة الفسطاط
القاهرة ت: ٥٣٢٦٦١٠ محمول: ٠١٠/٥٢٢٤٢٠٧



الإهداء

إلى كل مسلم حريص على إعزاز دين الله تعالى أهدى هذا الكتاب، سائلاً المولى عز وجل بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، أن يكون خالصًا لوجهه الكريم. قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ⑦⓪ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

يا رب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك، ولك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا، أما بعد..

هذا الكتاب الرابع فى دراسة عهد الخلافة الراشدة، فقد صدرت عدة كتب عن الصديق والفاروق وذى النورين، وقد سميت هذا الكتاب: «**سيرة أمير المؤمنين علىٍّ بن أبى طالب، شخصيته وعصره**»، ويتحدث هذا الكتاب عن أمير المؤمنين علىٍّ من الميلاد حتى الاستشهاد، فيبدأ بالحديث عن اسمه ونسبه ولقبه ومولده وأسرته وقبيلته، وإسلامه، وأهم أعماله فى مكة، وعن هجرته، ومعايشته للقرآن الكريم وأثرها عليه فى حياته، وعن تصوره عن الله والكون والحياة والجنة والنار والقضاء والقدر، وعن مكانة القرآن الكريم عنده، وما نزل فيه من القرآن الكريم، وعن الأصول والأسس التى سار عليها أمير المؤمنين علىٌّ فى استنباط الأحكام من القرآن الكريم وفهم معانيه، وعن تفسير أمير المؤمنين علىٍّ لبعض الآيات الكريمة، وعن ملازمته لرسول الله ﷺ منذ طفولته، ومعرفته العميقة بمقام النبوة وكيفية التعامل معه، فقد أوضح معالمه بأقواله وأفعاله، وكان حريصًا على تعليم الناس وحثهم على الاقتداء برسول الله ﷺ فى أقواله وأعماله وتقريراته. فبيَّن وجوب طاعة النبى ﷺ ولزوم سنته والمحافظة عليها، وأوضح دلائل نبوة الرسول ﷺ وفضله وبعض حقوقه على أمته ﷺ. ويجد القارئ الكريم نماذج من اتباع أمير المؤمنين علىٍّ للسنة النبوية المطهرة، ويتحدث الكتاب عن أسماء بعض الرواة عن أمير المؤمنين علىٍّ من الصحابة والتابعين وأهل بيته.

وينتقل الكتاب بالقارئ إلى حياة أمير المؤمنين في المدينة في عهد النبي ﷺ فيتكلم عن زواج أمير المؤمنين عليٍّ من السيدة فاطمة رضي الله عنها، وما في هذا الزواج من دروس وعبر في المهر والجهاز، والزفاف والمعيشة والزهد، وصدق لهجة السيدة فاطمة وسيادتها في الدنيا والآخرة، وترجمت للحسن والحسين رضي الله عنهما ترجمة مختصرة، وبينت فضلهما وما ورد فيهما من أحاديث عن رسول الله ﷺ، وتكلمت عن مفهوم أهل البيت عند أهل السنة، وما يخصهم من أحكام، كتحريم الزكاة عليهم، وكونهم لا يرثون رسول الله ﷺ، وحقهم في خمس الخمس في الغنيمة والفيء، والصلاة عليهم مع النبي ﷺ، ووجوب محبتهم واحترامهم ومودتهم، وبينت مواقف أمير المؤمنين في سرايا رسول الله وغزواته، كبدر وأحد والخندق، وبني قريظة، والحديبية وخيبر، وفتح مكة، وغزوة حنين، وعن استخلاف النبي ﷺ لعليٍّ على المدينة في غزوة تبوك ٨ هـ وحج أبي بكر بالناس، ودور عليٍّ رضي الله عنه الإعلامي، ووفد نصارى نجران وآية المباهلة، وإرسال النبي ﷺ عليًا داعيًا وقاضيًا لليمن، وأقضيته التي حكم بها في اليمن السعيد الحبيب، ومواقف عليٍّ في حجة الوداع، وقصة الكتاب الذي هم النبي ﷺ بكتابته في مرض موته، وعن العلاقة بالخلفاء الراشدين، ومكانته في دولة الخلافة الراشدة، فتكلمت عن مبايعته لأبي بكر بالخلافة ومساندته له في حروب الردة، وتقديمه وتفضيله للصديق، واقتدائه به في الصلوات وقبول الهدايا منه، وأشرت إلى العلاقة بين الصديق والسيدة فاطمة وقصة ميراث النبي ﷺ، ورددت على الشبهات الرافضية حول قصة الميراث ونسفت حججهم وأدلتهم بالبراهين القاطعة والأدلة الناصعة، وكشفت الستار عن رواياتهم الضعيفة والموضوعة، وأثبت محبة السيدة فاطمة للحق والتزامها بالشريعة، واحترامها لخليفة رسول الله أبي بكر، وتسامحها معه، واحترام أهل البيت للصديق والمصاهرات المتبادلة بين آل الصديق وأهل البيت، ومحبتهم له وتسمية أولادهم عليه، وتحدثت عن مساهمات عليٍّ في عهد الفاروق في الأمور القضائية، والتنظيمات المالية والإدارية واستخلاف عمر لعليٍّ على المدينة مرارًا، ومشاورته له في أمور الجهاد وشئون الدولة، وعن العلاقة الحميمة المتينة بين الفاروق وأهل البيت، وزواج عمر من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، وحقيقة هذا الزواج الميمون المبارك، وتركت الحجج الدامغة، والبراهين الساطعة تنسف الأكاذيب من جذورها فتركتها قاعًا صفصفًا، وأخذت الحقائق التاريخية ترسم لنا حقيقة المحبة والمودة بين الصحابة الكرام، كما جاءت في القرآن الكريم، ووضحت بيعة علي لعثمان رضي الله عنه ورددت على الأكاذيب التي ألصقت بها، وتحدثتُ عن جهوده في دعم دولة ذي النورين، ودفاعه عنه أمام الغوغاء،

ومواقفه فى فتنة مقتله فى بدايتها، وأثناء الحصار، وبعد استشهاده، وتحدثت عن المصاهرة بين آل عليٍّ وآل عثمان، وأتيت بأقوال عليٍّ في الخلفاء الراشدين الذين سبقوه، والتى تدل على محبتهم واحترامهم ومودتهم، والبراءة ممن يسبهم ويشتمهم وإقامة حد المفترى على من يسب الشيخين، ولا يتمالك القارئ المسلم نفسه من البكاء وهو يتأمل فى أقوال أمير المؤمنين فى الخلفاء وتعامله مع ذلك الجيل القرآنى الفريد وساداته الكرام. قال الشاعر:

ومن عجب أنى أحن إليهم ... وأسأل عنهم من لقيت وهم معى
وتطلبهم عينى وهم فى سوادها ... ويشتاقهم قلبى وهم بين أضلعى

وقال الشاعر:

إنى أحب أبا حفص وشيعته ... كما أحب عتيقًا صاحب الغار
وقد رضيت عليًا قدوة وعلمًا ... وما رضيت بقتل الشيخ فى الدار
كل الصحابة سادتى ومعتقدى ... فهل علىٍّ بهذا القول من عار

هذا وقد تحدثت عن بيعة عليٍّ بالخلافة وكيف تمت، وعن أحقيته بها، وإجماع الصحابة على ذلك، وبيعة طلحة والزبير له طوعًا بدون ضغط أو إكراه، وانعقاد الإجماع على خلافته، وشروط أمير المؤمنين فى بيعته، وأول خطبة له، وأهل الحل والعقد فى دولته، وشى من فضائله وأهم صفاته وقواعد نظام حكمه، وتوسعت فى الحديث عن صفاته، فبينت علمه الواسع وفقهه الغزير، وزهده، وتواضعه، وكرمه وجوده، وحياءه، وشدة عبوديته، وصبره، وإخلاصه، وشكره الله، ودعاءه الخاشع، وعن المرجعية العليا لدولته، وسيرها على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والاقتداء بالخلفاء الراشدين الذين سبقوه، وعن حق الأمة فى الرقابة على الحكام، والشورى، والعدل والمساواة، والحريات، وعن حياته فى المجتمع واهتمامه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ودعوته للتوحيد ومحاربته للشرك، وتعريفه الناس بأسماء الله وصفاته، وبنعم الله المستوجبة لشكره، وحرصه على محو آثار الجاهلية، وحرصه على بطلان الاعتقاد بالكواكب، وإحراقه لمن غلوا فيه وادعوا فيه الألوهية، وحديثه عن كيفية بداية الإيمان فى القلب وتعريفه للتقوى، ومفهوم القضاء والقدر، وكيف يحاسب الله العباد على كثرة عددهم.

ونقلت شيئًا من خطبه ومواعظه، وما ينسب إليه من شعر، أو يتمثل به فى مناسبات عديدة، واخترت مجموعة قيمة من حكمه التى سارت مضرب المثل بين الناس، وتكلمت

عن حديثه عن صفات خيار العباد، وعن تطوع النبي ﷺ، ووصف الصحابة الكرام، وتحذيره من الأمراض الخطيرة التي تصيب القلوب، كطول الأمل واتباع الهوى، والرياء، والعجب، وعن اهتمامه بترشيد الأسواق، ومحاربته للبدع، والأعمال التي تخالف الشرع في أوساط الناس، وتحدثت عن المؤسسات التي في دولته، كالمالية، والقضائية، ومؤسسة الولاة، وعن الخطة القضائية والتشريعية في عهد الخلفاء الراشدين، والمصادر التي اعتمدها الصحابة في ذلك العهد، وعن ميزات القضاء في عهد الراشدين، وعن أشهر قضاة أمير المؤمنين علي، وعن أسلوبه القضائي، ونظرته للأحكام الصادرة قبله، والمؤهلين للقضاء، ومجانية الحصول على الحكم، وعن اجتهاداته الفقهية في العبادات، والمعاملات المالية، والحدود والقصاص والجنايات. وأشرت إلى مسألة حجية قول الصحابي والخلفاء الراشدين، وبينت في حديثي عن مؤسسة الولاة، وأقاليم الدولة في عهده ما وقع في كل إقليم من أمور جسام، وتكلمت عن منهجه في تعيين الولاة، ومراقبته لعماله وبعض توجيهاته، والصلاحيات الممنوحة للولاة.. من تعيين وزراء مع كل والٍ في كل أقليم، وتشكيل مجالس الشورى وإنشاء الجيوش في كل ولاية، وترسيم السياسة الخارجية في مجال الحرب والسلم والحفاظ على الأمن الداخلي وتشكيل الجهاز القضائي في كل ولاية، والنفقات المالية، والعمال التابعين لكل ولاية ومتابعتهم ودور العرفاء والنقباء في تثبيت نظام الولايات، ووضحت بعض المفاهيم الإدارية من أقوال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، كتأكيده على العنصر الإنساني، وعامل الخبرة والعلم، والعلاقة بين الرئيس والمرءوس، ومكافحة الجمود، والرقابة الواعية، والضبط، والمشاركة في صنع القرار، وحسن الاختيار لدى الوالي والضمانات المادية والنفسية لموظفي الدولة، ومرافقة ذوات الخبرة، ومفهوم الإدارة الأبوية، وكون التوظيف يتم عبر الضوابط وليس الروابط الشخصية، ثم انتقلت إلى المشاكل الداخلية في عهد عليٍّ رضي الله عنه، فتحدثت عن معركة الجمل مبتدئًا بالأحداث التي سبقتها وعن أثر التنظيم السبئي في اندلاعها، ودور عبد الله بن سبأ في إذكاء الفتن الداخلية، وعن اختلاف الصحابة في الطريقة التي يؤخذ بها القصاص من قتلة عثمان، وعن موقف السيدة عائشة أم المؤمنين، وطلحة والزبير ومعاوية بن أبي سفيان ومن كان معهم في الإسراع بالقصاص من قتلة عثمان، وبينت موقف معتزلي الفتنة، كسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، وأبي موسى الأشعري، وعمران بن حصين وأسامة بن زيد ومن سار على نهجهم، وتكلمت عن موقف المتريثين في تنفيذ القصاص

حتى تستقر الأحوال، كأمير المؤمنين علىٍّ، وعن محاولات الصلح قبل اندلاع معركة الجمل، وعن نشوب القتال، وجولته الأولى والثانية، واستشهاد طلحة والزبير، ومبايعة أهل البصرة لعلىٍّ رضى الله عنه، وعن موقف علىٍّ رضى الله عنه من أم المؤمنين عائشة وكيف عاملها واحترمها وقدرها وردها إلى المدينة معززة مكرمة، وأشرت إلى فضائلها وشيء من سيرتها، كما ترجمت للزبير وطلحة رضى الله عنهما لكونهما من الشخصيات المؤثرة فى عهد النبوة والخلافة الراشدة وفى عهد أمير المؤمنين علىٍّ، ودافعت عنهما دفاعًا عن الحق لكونهما ظُلما، فبينت فضلهما ومكانتهما فى الإسلام، ورددت على الشبهات والأكاذيب التى ألصقت بهما من خلال إثبات الحقائق الناصعة، والحجج الدامغة، وصفاتهما الرفيعة، وأخلاقهما الكريمة، بحيث يخرج القارئ المسلم بمعرفة حقيقية لا لبس فيها ولا غموض، لهذه الشخصيات الفذة، فلا يتأثر بالروايات الضعيفة، ولا القصص الموضوعة التى وضعها مؤرخو الشيعة الرافضة، والتى شوهت ثقافة الناس عن هذه الشخصيات العظيمة، فالحديث عن ترجمة عائشة، أو طلحة والزبير، أو غيرهم من كبار الصحابة، الذين ساهموا فى الأحداث التى وقعت فى عهد أمير المؤمنين علىٍّ رضى الله عنه ينسجم مع منهجى فى دراسة شخصية أمير المؤمنين وعصره، والشخصيات التى أثرت فى ذلك العهد ملتزمًا فى طرحى بمنهج أهل السنة والجماعة جملة وتفصيلاً، أصولاً وفروعًا.

قال الشاعر أبو محمد القحطانى:

أكرم بطلحة والزبير وسعدهم ... وسعيدهم وبعابد الرحمن
وأبى عبيدة ذى الديانة والتقى ... وامدح جماعة بيعة الرضوان
قل خير قول فى صحابة أحمد ... وامدح جميع الآل والنسوان
دع ما جرى بين الصحابة فى الوغى ... بسيوفهم يوم التقى الجمعان
فقتيلهم منهم وقاتلهم لهم ... وكلاهما فى الحشر مرحومان
والله يوم الحشر ينزع كل ما ... تحوى صدورهم من الأضغان
لا تركنن إلى الروافض إنهم ... شتموا الصحابة دون ما برهان
لعنوا كما بغضوا صحابة أحمد ... وودادهم فرض على الإنسان
حب الصحابة والقرابة سنة ... ألقى بها ربى إذا أحيانى

وقال أيضًا:

إن الروافض شر من وطئ الحصى ... من كل إنس ناطق أو جان
مدحوا النبى وخونوا أصحابه ... ورموهم بالظلم والعدوان
حبوا قرابته وسبوا صحبه ... جدلان عند الله منتقصان
فكأنما آل النبى وصحبه ... روح يضم جميعها جسدان
فئتان عقدهما شريعة أحمد ... بأبى وأمى ذانك الفئتان
فئتان سالكتان فى سبيل الهدى ... وهما بدين الله قائمتان

هذا وقد تحدثت عن معركة صفين، ودوافع معاوية رضى الله عنه فى عدم البيعة، والمراسلات التى تمت بينه وبين عليٍّ رضى الله عنه، ومحاولات الصلح، ونشوب القتال، والدعوة إلى التحكيم، ومقتل عمار بن ياسر رضى الله عنه وأثره على المسلمين، وعن المعاملة الكريمة من الطرفين أثناء الحرب والمواجهة، ومعاملة الأسرى، وعدد القتلى، وترحم أمير المؤمنين على رضى الله عنه على قتلى الطرفين، ونهيه عن شتم معاوية ولعن أهل الشام، ثم تكلمت عن قصة التحكيم، فترجمت لسيرة أبى موسى الأشعرى وعمرو بن العاص رضى الله عنهما، وبينت بطلان الأكاذيب والقصص الواهية، والموضوعة التى ألصقت بهما فى حادثة التحكيم، وأشرت إلى كيفية الاستفادة من قصة التحكيم فى فض النزاعات بين الدول الإسلامية. وركزت على موقف أهل السنة من تلك الحروب، وحذرت من بعض الكتب التى شوهت تاريخ الصحابة بالظلم والعدوان، ككتاب الإمامة والسياسة المنسوب زورًا لابن قتيبة، وكتاب الأغانى للأصفهانى، وتاريخ اليعقوبى، والمسعودى وغيرهم من الكتب المنحرفة عن منهج أهل السنة والجماعة، وبينت دور المستشرقين فى تحريف التاريخ الإسلامى وتزويره وتشويهه، وكيف استفادوا من كتب الشيعة الروافض، وكيف أسسوا مدرسة معارضة ساهمت فى تلويث الأفكار، وتحريف الوقائع وطمس الحقائق، وتوسيع النقاط السوداء فى تاريخنا مع المبالغة والتهويل تحت شعارات براقة، كالبحث العلمى النزيه، والواقعية، والموضوعية والحياد، وتبنى تلك الأفكار التدميرية مجموعة من أبناء المسلمين؛ ينتمون للإسلام، لا يحسنون فهمه، ولا عرضه، ولا العمل به، ولا الدفاع عنه، بل تورطوا فى شباك أعداء الإسلام الذين يعملون على تشويه تاريخ هذه الأمة وحضارتها التى صنعها دينها العظيم.

هذا وقد قمت بدراسة موضوعية علمية فى الفصل الأخير عن الخوارج والشيعة الرافضة، فبينت نشأة الخوارج وعرفت بهم، وذكرت الأحاديث النبوية التى تضمنت ذمهم، وانحيازهم إلى حروراء، ومناظرة ابن عباس لهم، وسياسة أمير المؤمنين فى التعامل معهم، وأسباب مقاتلته لهم، ونشوب القتال معهم، وقصة ذى الثدية أو المخدج، وأثر مقتله على جيش علىٍّ رضى الله عنه، ووقفت مع الأحكام الفقهية التى اجتهد فيها أمير المؤمنين علىٌّ فى معاركه فى الجمل وصفين ومع الخوارج، وكيف اعتمد عليها الفقهاء فيما بعد، ودونوهما فى كتبهم بما يعرف بأحكام فقه البغاة، وأشرت إلى أهم صفات الخوارج فى عهد أمير المؤمنين علىٍّ، كالغلو فى الدين، والجهل به، وشق عصا الطاعة، والتكفير بالذنوب واستحلال دماء المسلمين وأموالهم، والطعن والتضليل، وسوء الظن، والشدة على المسلمين، وناقشت بعض الآراء الاعتقادية للخوارج، كتكفير صاحب الكبيرة، ورأيهم فى الإمامة، وطعنهم فى بعض الصحابة وتكفيرهم لعثمان وعلى رضى الله عنهما، وتطرقت لأسباب انحراف الخوارج ونزعاتهم فى العصر الحديث، كالجهل بالعلوم الشرعية بسبب الإعراض عن العلماء، والقراءة من الكتب بدون معلم، وغلوهم فى ذم التقليد، وتخلى كثير من العلماء عن القيام بواجبهم، وشيوع الظلم والتحاكم للقوانين الوضعية، وانتشار الفساد بين الناس، وعدم تزكية النفوس، وأشرت إلى أهم مظاهر غلوهم، كالتشدد فى الدين على النفس والتعسير على الآخرين، والتعالم والغرور، والاستبداد بالرأى وتجهيل الآخرين، والطعن فى العلماء العاملين، وسوء الظن، والشدة والعنف مع الآخرين، وتكفير المسلمين.

وتكلمت عن فرقة الشيعة الرافضة، فبينت معنى الشيعة فى اللغة والاصطلاح، ومعنى الرفض فى اللغة والاصطلاح، وسبب تسميتهم بالرافضة، ونشأتهم ودور اليهود فى ذلك، والمراحل التى مر بها الشيعة، وأهم عقائد الشيعة الرافضة، وموقف أمير المؤمنين وعلماء أهل البيت من تلك العقائد المنسوبة إليهم، كعقيدة الإمامة وحكم من جحدها، والعصمة ومناقشة أدلتهم على العصمة وبيان بطلانها، وكذلك أدلتهم على النص من القرآن الكريم؛ كآية التطهير، والمباهلة، والولاية، وأدلتهم المزعومة من السنة، كخطبة غدير خم، وحديث: **«أنت منى كمنزلة هارون من موسى»**، وبيان الأحاديث الضعيفة والموضوعة التى استدلوا بها على الإمامة، كحديث الطائر، وحديث الدار، وأنا مدينة العلم وعلىٌّ بابها، وألحقت بالكتاب فهرسًا للأحاديث الضعيفة والموضوعة التى يحتج بها الشيعة الرافضة لتحذير المسلمين من الوقوع فى حبائلهم، وبينت حقيقة التوحيد عند الشيعة الرافضة، وكيف حرفوا نصوص التوحيد وجعلوها فى ولاية الأئمة، وجعلوا الإمامة أصل قبول الأعمال، واعتقادهم أن الأئمة هم الواسطة بين الله وخلقه، وقولهم لا هداية للناس إلا بالأئمة، ولا يقبل الدعاء

إلا بأسماء الأئمة، وكون الحج إلى المشاهد الشيعية أعظم عندهم من الحج إلى بيت الله، وكون الإمام عندهم يحرم ما يشاء ويحل ما يشاء، وأن الدنيا والآخرة للإمام يتصرف فيهما كيف يشاء، وإسناد الحوادث الكونية إلى الأئمة، وقولهم: إن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء، وغلوهم في الإثبات، وحقيقة التعطيل عندهم، ومسألة خلق القرآن، ومسألة رؤية الله عز وجل في الآخرة، وتفضيلهم الأئمة على الأنبياء والرسل، وموقفهم من القرآن الكريم واعتقاد بعض علمائهم بتحريف كتاب الله عز وجل والرد عليهم، وموقف الشيعة الرافضة من الصحابة الكرام والسنة النبوية المطهرة، ومفهوم التقية عند القوم، وعقيدة المهدي المنتظر عندهم، والرجعة، وقولهم بالبداء على الله سبحانه وتعالى، وقد بينت موقف أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب وأئمة أهل البيت الأطهار، وعلماء أهل السنة من تلك العقائد الفاسدة والمنحرفة عن كتاب الله تعالى، والتزمت في مناقشتي بالأدب والابتعاد عن السب والشتم، ومناقشة القوم من خلال أصولهم وكتبهم المعتمدة، والحرص على بيان الحقيقة لمحبي أهل البيت من الشيعة ودعوتهم بالاقتداء بأمير المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه، وتحذيرهم من المندسين تحت عباءة أهل البيت لغرض إفساد عقائد الناس وإبعادهم عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، كما أن هناك رغبة صادقة مخلصة لتعريف الجمهور العريض من أهل السنة بحقيقة هؤلاء الشيعة الرافضة، فالقضية لها وجودها وآثارها بين الشعوب في أفريقيا، وآسيا، وأوروبا والأمريكتين، ودعاة التشيع الرافضي نشطون في دعوتهم المنحرفة يبذلون في سبيلها الغالي والنفيس، ويتحالفون مع خصوم الإسلام الصحيح لضربه والقضاء عليه، وتشويه منهجه، وهذا ليس بجديد، وأهل السنة -إلا من رحم الله- في استرخاء عجيب، ونوم عميق وغفلة عما يراد بهم، وبعضهم يقول: إن الصراع السني الشيعي الرافضي قد عفا عليه الزمن، وهذا الكلام عار من الحقيقة، ودليل على الجهل، وفي طياته خداع لجمهور المسلمين العريض، باسم التقريب وتوحيد الصف الإسلامي.

إن المنهج الصحيح للتقريب هو أن يقوم علماء أهل السنة بجهد كبير لنشر اعتقادهم الصحيح المنبثق من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبيان صحته وتميزه عن مذهب أهل البدع، فأهل السنة والجماعة هم المتبعون لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ونسبتهم إلى سنة الرسول ﷺ التي حث على التمسك بها بقوله ﷺ: **«فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»**(١)، وحذر من مخالفتها بقوله: **«وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»**(٢)، وقوله: **«من رغب عن سنتي فليس مني»**،

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٦٤٧، ٦٤٨). (٢) مسلم (٢/ ٥٩٢).

وهذا بخلاف غيـرهم من أهل الأهواء والبدع الذين سلكوا مسالك لم يكن عليـها الرسول ﷺ فأهل السنة ظهرت عقيدتهم بظهور بعثته ﷺ -وهى محفوظة بحفظ الله لها فى كتابه وسنة رسوله ﷺ- وأهل الأهواء ولدت عقائدهم بعد زمنه ﷺ ومنها ما كان فى آخر عهد الصحابة، ومنها مـا كان بعد ذلك، والرسول ﷺ أخبر من عاش من أصـحابه سيدرك هذا التفرق والاختلاف فقال: «وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا»[1]، ثم أرشد إلى سلوك الصراط المستـقيم، وهو اتباع سنته وسنـة خلفائه الراشدين، وحذر من مـحدثات الأمور، وأخبـر بأنها ضلال، وليس من المعـقول ولا المقبـول أن يُحجب حق وهدى عن الصـحابة رضى الله عنهم، ويدخر لأناس يجيئون بعدهم، فإن تلك البدع المحدثة كلها شر، ولو كان فى شىء منها خير لسبق إليه الصحابة، لكن ابتُلى به كثير ممن جاء بعدهم ممن انحرفوا عما كان عليه الصحابة رضى الله عنهم، وقد قـال الإمام مالك رحمه الله: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»، ولذا فـإن أهل السنة ينتسبون إلى السنة وغيرهم يـنتسبون إلى نحلهم الباطلة، أو إلى أسماء أشخاص معينين.

إن المنهج الأصيل للتقـريب هو بيان الحق وكشف الباطل وتقريب الشيـعة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفهم الإسلام الصحيح من خلال علماء أهل السنة، وعلى رأسهم فقهاء وعلماء أهـل البيت، كأمـير المؤمنين على رضـى الله عنه وأبنائه وأحفـاده، كما أنه ينـبغى التنويه، وتشجيع الأصوات الإصلاحية الشيعية الصـادقة واحترامها وتقديرها والوقوف معها فى نصيحـة أقوامها، كالذى قـام به السيد حسين الموسوى فى كـتابه القيم: «**لله ثم للتاريخ، كشف الأسـرار وتبرئة الأئمـة الأطهار**» وكالجـهد العلمى الذى قام بـه السيد أحـمد الكاتب مشكورًا فى كتابه «**تطور الفكر السياسى الشيعى من الشورى إلى ولاية الفقيه**»، وعلينا أن نقف مع كل محب صادق لأهل البيت مقتفيًـا آثارهم الصحيحة وهديهم الجميل فى إرشاد الناس لكتاب الله وسنة نبيـه عليه أفضل الصلاة والسلام، ونعاملهم بكل احـترام وتقدير، ونأخذ بأيديهم نحو شـواطئ الأمان، ونحـثهم على إعمـال العقل، وتحريره من أغـلاله، وإزاحة الركام الثـقيل من الأباطيل التى على الفطرة حـتى تأخذ العقـول النيرة، والفطرة السليـمة مجالها فى الوصول للحقيقة التى لها نور ساطع وبريق لامع لا تخفيه الغيوم.

وعلى علماء أهل السنة أن يلتزموا أسلوب البحث العلمى الهادئ فى مناقشة بدع المبتدعة وأن يترفقوا معهم، وقد يكون من تمام التـرفق زيارتهم ومعاونتهم فى الحدود التى لا خلاف فيـها، أو نجدتهم فى الملمـات وأيام المصاعب، أو نصرهم إذا كـانوا فى نزاع مع الكافر أو

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٦٤٧، ٦٤٨).

الظالم لهم، وفق فقه السياسة الشرعية الخاضعة للمصالح والمفاسد، إلا أن هذا الأصل فى التعاون وحسن العلاقة وهدوء البحث لا يمكن أن يطرد دائمًا ليشمل من يأتى من الشيعة الرافضة بغلو قد يكون فى السكوت عنه تحريك الغوغاء والدهماء، بل الواجب أن ننكر على أهل الغلو الشديد الأقوال الشاذة فى كل الأحوال، والحد المميز بين الطائفتين؛ الأولى التى نترفق معها فى الكلام، والثانية التى نغلظ لها الكلام، إنما يكون كامنًا فى مدى اعتماد القائل على نص شرعى تتكون منه شبهة، أو على تأويل قد تميل إليه بعض الأذهان، وأما من يتبع غرائب النقول عن المجاهيل والمتأخرين ومن لا تأويل له، فالإنكار منا تجاهه أولى، وربما كان الإغلاظ فى إنكار بدعته أوجب.

قال الشاعر:

واحذر مجادلة الرجال فإنها ... تدعو إلى الشحناء والشنآن

وإذا اضطررت إلى الجدال ولم تجد ... بك مهربًا وتلاقت الصفان

فاجعل كتاب الله درعًا سابغًا ... والشرع سيفك وابد فى الميدان

والسنة البيضاء دونك جُنة ... واركب جواد العزم فى الجولان

واثبت بصبرك تحت ألوية الهدى ... فالصبر أوثق عدة الإنسان

واطعن برمح الحق كل معاند ... لله در الفارس الطعان

واحمل بسيف الصدق حملة مخلص ... متجردًا لله غير جبان

كما أن علماء أهل السنة وأهل الحل والعقد منهم فى المجتمعات الطائفية لهم دور كبير فى قيادة المسلمين نحو الخير. فهم الذين يقدرون المواقف السياسية والتحالفات الحزبية مع الطوائف الأخرى وفق فقه المصالح والمفاسد الذى تضبطه قواعد السياسة الشرعية، وهذا لا يمنع العلماء والدعاة من تعليم المسلمين أصول منهج أهل السنة وتربيتهم عليه ودعوة الناس إليه، والتحذير من العقائد الفاسدة المندسة فى أوساط المسلمين حتى لا يتأثروا بها، والتى يجتهد دعاتها فى نشرها بالليل والنهار، والسر والإعلان بدون ملل ولا كلل، ولنا أسوة حسنة فى رسول الله ﷺ إبان هجرته للمدينة عندما عقد المعاهدات مع اليهود التى تؤمن لهم حياة كريمة فى ظل الدولة الإسلامية، وكان القرآن الكريم فى نفس الوقت يتحدث عن عقائد اليهود وتاريخهم وأخلاقهم حتى يتعرف المسلمون على حقيقة الشخصية اليهودية فلا ينخدعون بها، وعندما غدر اليهود كان الصف الإسلامى محصنًا ضد هذه الطائفة.

إن الدارس لحركة التاريخ الإسلامى، كمرحلة الحروب الصليبية فى عهد نور الدين وصلاح الدين، وزمن العثمانيين فى عهد السلطان محمد الفاتح وغيره، والمرابطين فى عصر يوسف بن تاشفين، يلاحظ أن عوامل النهوض، وأسباب النصر كثيرة منها: صفاء العقيدة، ووضوح المنهج، وتحكيم شرع الله فى الدولة، ووجود القيادة الربانية التى تنظر بنور الله، وقدرتها على التعامل مع سنن الله فى تربية الأمم، وبناء الدول وسقوطها، ومعرفة علل المجتمعات، وأطوار الأمم، وأسرار التاريخ، ومخططات الأعداء من الصليبيين واليهود والملاحدة والفرق الباطنية، والمبتدعة، وإعطاء كل عامل حقه الطبيعى فى التعامل معه، فقضايا فقه النهوض، والمشاريع النهضوية البعيدة المدى متداخلة متشابكة لا يستطيع استيعابها إلا من فهم كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ وارتبط بالفقه الراشدى المحفوظ عن سلفنا العظيم، فعلم معالمه وخصائصه وأسباب وجوده وعوامل زواله، واستفاد من التاريخ الإسلامى وتجارب النهوض، فأيقن أن هذه الأمة ما فقدت الصدارة قط وهى وفية لربها ونبيها ﷺ وعلم أن الهزائم العسكرية عرض يزول، أما الهزائم الثقافية فجرح مميت، والثقافة الصحيحة تبنى الإنسان المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم والدولة المسلمة على قواعدها المتينة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهدى الخلفاء الراشدين ومن سار على نهجهم، وعبقرية البناء الحضارى الصحيح هى التى أبقت صرح الإسلام إلى يومنا هذا - بعد توفيق الله وحفظه.

فعلينا أن نعمل لهذا الدين، وسعادتنا ليست باقتطاف الثمر العاجل، وإنما فى الشعور بتوفيق الله والأمل فى رضاه. إننى فى دراستى لعهد الخلافة الراشدة حاولت أن أنتقى الكلمات وأصف الأسطر والجمل لتجلية عهد الخلافة الراشدة، فى خلال الروايات الصحيحة، لكى يستفيد أبناء المسلمين من تلك الحقبة، العلم الغزير والفقه الدقيق، وشمولية فهم الإسلام، فلعل الله سبحانه أن يبارك فى هذا الجهد وينتفع به أولئك الدعاة الذين لا نعرف أسماءهم، ولكن سيرى التاريخ آثارهم وسيقيلون العالم الإسلامى من عثرته وينهضون به من كبوته، أولئك الربانيون المتجردون الذين عرفوا الحق واستشعروا السعادة فى نصرته، وتعصبوا له، ودافعوا عنه، ووقفوا بجانبه على رقة الحال وقلة النصير. فأخذ الله بأيديهم لصدقهم وإخلاصهم ومتابعتهم للنبى ﷺ وأولئك العلماء، وطلاب العلم الذين توزن مداد أقلامهم بدماء الشهداء، وأولئك التجار الذين يقفون خلف موكب الدعوة بأموالهم وثرواتهم وأنفسهم ولسان حالهم يقول: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[الإنسان: ٩، ١٠] وأولئك الجنود المجهولون فى هذه

الدنيـا ولكنهم غدًا أعـلام شامـخة فى رُبى الخلد. إن العـواصف العاتيـة تهب بعنف تريد اجتياح إسلامنا وديننا وعقيدتنا من جذورها، وجهود خصوم الإسلام من الصليبية واليهودية والعلمانية والباطنية والمبتدعة تستبيح قادتنا وكبراءنا فى ميدان العلم والأدب والسياسة وتريد تشويه تاريخنا فعندما نكون أمة بدون تاريخ، فلن نكون أمة صالحـة. فما قيمة أمة ليس لها رجال؟ ومـا قيـمة دين لم يصنع رجـالاً على تراخى العصـور؟ فهل يمكننا أن نسـتلهم من الدروس والعبر من تاريخنا، مـا يخزى أعداء الله ويرد كيدهم فى نحورهم، ومـا يساعدنا على استئناف رسالتنا ودعم حضارتنا؟

إن الإنسـانية تتـرنح فى هذه الآونة الكالحة من الـتاريخ لبـعدها عن منهج الله تعـالى، والدواء عند المسلمين وحدهم، فهل ينصفون أنفسهم، وينقذون الآخرين؟ قال الشاعر:

ومن العـجـائب والعـجـائب جـمـة ... قـرب الحـبـيب ومـا إليـه وصـول

كـالعـيس فى البـيداء يقـتلهـا الظمـا ... والماء فـوق ظهـورها مـحـمـول

فهل من عـودة إلى الإسلام، تزكى السرائر، وتبنى الأخـلاق، وتصلنا بالقرآن الكريم، وتشعرنا بشرف الانتماء إلى محـمد ودينه، وضرورة العمل بدعوته وسنة خلفائه الراشدين، أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وسائر أصحابه الكرام رضى الله عنهم أجمعين، ونكون حلقة موصولة فى دعم رسالة الحبيبﷺ التى استوعبت الزمن كله.

وقبل الحديث عن المصادر والمراجع التى تعاملت معها، لابد من الاعتراف بأن هذا الجهد، لولا توفيق الله سبحانه وتعالى، ثم جهود علماء أهل السنة وطلاب العلم، ممن ساروا على منهجـهم، ما استطعت أن أبحـر فى هذا البحر العمـيق، ولذلك أقرر بأننى استـفدت من الرسـائل العلمـيـة التى طبـعت والتى لم تنشـر، من حـيث المادة والمنـهج، والحكم على الروايات، والرجوع إلى المصادر الحديثة، والتاريخيـة وغيرها مع محاولة التطوير والاستفادة من جهـود الآخرين فى البناء، وأخص بالذكـر الدكتـور أكرم ضيـاء العمـرى الذى أشرف وناقش الكثيـر من هذه الرسائل فى هذا المجال، فقـد استفدت من كـتبه، كالسيـرة النبوية الصحيحة، وعصر الخلافة الراشدة، ومن الرسائل التى أشرف عليها، كرسالة الدكتور يحيى اليحيى «الخـلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح البـارى جمعًا وتوثيقًا»، ورسـالة الأستاذ العـزيز المقبل فى خـلافة أبى بكر الصـديق رضى الله عنه من خـلال كتب السنة والتـاريخ دراسة نقدية للروايات باستـثناء حروب الردة ورسالة الدكتور عبد العزيز بن مـحمد الفريح

فى تحقيق كتاب «محض الصواب فى فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» ليوسف بن الحسن بن عبد الهادى الدمشقى الصالحى الحنبلى، ورسالة الدكتور محمد عبد الله الغبان فى فتنة مقتل عثمان بن عفان، ورسالة عبد الحميد على ناصر فى خلافة على بن أبى طالب، وغير ذلك من الرسائل الجامعية التى أشرف عليها أساتذة آخرون، كرسالة د. محمد أمحزون فى تحقيق مواقف الصحابة فى الفتنة من روايات الطبرى والمحدثين، ورسالة سلمان العودة، عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة فى صدر الإسلام، ورسالة الأستاذة أسماء محمد أحمد زيادة، دور المرأة السياسى فى عهد النبى ﷺ والخلفاء الراشدين، وغير ذلك من الرسائل الجامعية، فالفضل لله سبحانه وتعالى ثم لأساتذتى وإخوانى الذين مهدوا لى الطريق، فلهم منى الدعاء بظهر الغيب بأن يتقبل الله جهودهم وتكون فى ميزان حسناتهم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أما المصادر التى فى هذه الدراسة المتعلقة بعهد الخلافة الراشدة فقد بدأت:

١- **كتب الحديث:** وقد بدأت بالكتب الستة؛ صحيحى البخارى ومسلم وسنن أبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجة، ثم موطأ مالك ومسند أحمد، فبذلت جهدًا لاستخراج المادة التاريخية، التى لها علاقة بعهد الخلافة الراشدة ثم جمعت مادة تاريخية من مصنف عبد الرزاق وابن أبى شيبة ومستدرك الحاكم والسنن الكبرى للبيهقى وسنن سعيد بن منصور، ومسند الحميدى والطيالسى، ومجمع الزوائد وكشف الأستار عن زوائد البزار، وموارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، ولن أغفل المعجم الكبير للطبرانى وسنن الدارقطنى، واستفدت من جهود المحققين لما سبق ذكره من كتب الحديث فى الحكم على الروايات.

٢- **كتب شروح الحديث:** وأهمها فتح البارى لابن حجر، وشرح النووى على صحيح مسلم ففيهما مادة تاريخية لا يستهان بها، كما أن تعليقات ابن حجر والنووى على بعض الأحداث التاريخية ذات أهمية تاريخية.

٣- **كتب التفسير:** وأهم هذه الكتب، تفسير الطبرى، والقرطبى، وابن كثير، وأهتم بتعليقاتهم أكثر من الروايات التى نقلوها حيث إن معظمها ذكر فى كتب الحديث والتاريخ.

٤- **كتب العقائد:** وأهم هذه الكتب، منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، وهذا الكتاب استفدت منه فائدة عظيمة، وشرح الطحاوية، والإبانة فى أصول الديانة، والاعتقاد للبيهقى، والشريعة للآجرى وغيرها من كتب العقائد، حيث نقلت منها أقوال السلف فيما يتعلق بالخلفاء الراشدين، ومكانة الصحابة رضى الله عنهم.

٥- **كتب الفقه**: وأهمها المغنى لابن قدامة، والمجموع للنووى، وبداية المجتهد لابن رشد وغيرها من كتب الفقه، حيث استفدت منها فى المسائل الفقهية والقضائية التى اجتهد فيها الخلفاء الراشدون.

٦- **كتب الأدب**: حيث استخرجت منها بعض الأبيات المنسوبة للخلفاء الراشدين أو تمثلوا بها، أو استمعوا إليها، ولكون كتب الأدب ليس لها أسانيد وفيها الغث والسمين، لذلك كان اختيارى للأبيات الشعرية التى تنسجم مع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأخلاق ذلك الجيل الفريد، ومن أهم هذه الكتب، عيون الأخبار لابن قتيبة، والأدب الإسلامى فى عهد النبوة، لنايف معروف.

٧- **كتب الزهد والرقائق**: واستخرجت منها أقوال الخلفاء الراشدين فى هذا العلم ومن أهم هذه الكتب، عدة الصابرين، وذخيرة الشاكرين لابن القيم، ومدارج السالكين لابن القيم ،مختصر منهاج القاصدين لأحمد بن عبد الرحمن المقدسى، وغيرها من الكتب.

٨- **كتب الفرق والمذاهب**: وأهم هذه الكتب، الفصل فى الملل والأهواء والنحل، لأبى محمد بن حزم الظاهرى، وأصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية، د. ناصر القفارى.

٩- **كتب فى أنظمة الحكم**: وأهم هذه الكتب، نظام الحكومة الإسلامية للكتانى: المسمى التراتيب الإدارية، ونظام الحكم فى الشريعة والتاريخ الإسلامى، لظافر القاسمى.

١٠- **كتب فى التراجم**: وأهم هذه الكتب، سير أعلام النبلاء للذهبى، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، لعبد الحى الحنبلى، أسد الغابة، لابن الأثير، سير السلف لأبى القاسم الأصفهانى.

١١- **كتب فى الجرح والتعديل**: وأهم هذه الكتب، تهذيب الكمال فى أسماء الرجال، للحافظ المزى، والجرح والتعديل، لابن أبى حاتم، الثقات لابن حبان، الكامل فى ضعفاء الرجال لابن عدى.

١٢- **كتب التاريخ**: وأهمها تاريخ الطبرى، وهذا الكتاب نقل إلينا الروايات الصحيحة والضعيفة والموضوعة بأسانيدها، وفيما يتعلق بالعقيدة والأحكام الشرعية والأحداث التى تتعلق بالصحابة، لابد من خضوع الروايات للجرح والتعديل وبيان الروايات الشيعية الرافضية، والكذابين والمجاهيل، وقد استفدت فى هذا الشأن من كتاب استشهاد عثمان ووقعة الجمل فى مرويات سيف بن عمر فى تاريخ الطبرى، لخالد الغيث، ومرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى، للدكتور يحيى إبراهيم اليحيى، وأثر التشيع على الروايات التاريخية د. عبد العزيز نور ولى، ومن أهم هذه الكتب، البداية والنهاية لابن كثير، وغيرها من الكتب التاريخية.

هذه أهم المصادر التى رجعت إليها مع كم كبير من المراجع الحديثة المتنوعة.

هذا وقد تشددت فى تصحيح الروايات أو الحكم عليها فيما يتعلق بالعقائد والأحكام والصحابة رضى الله عنهم، وفى هذا الشأن ما أنا إلا ناقل لأقوال العلماء المتخصصين فى هذا العلم، فالفضل لله ثم لهم، واجتهدت فى تصوير الحدث التاريخى من الروايات الصحيحة فقدمتها وأخذت بالحسنة ولم أهمل الروايات الضعيفة، فقد أفدت منها فى إكمال الصورة التى لا تسدها الروايات الصحيحة والحسنة بما يتوافق مع روح ذلك العصر، لكن فيما لا يتعلق بعقيدة أو شريعة، ودخلت فى مناقشات لشبهات وافتراءات الرافضة والمستشرقين وبعض الكتاب المعاصرين، وقد حرصت على طرح منهج أهل السنة فيما يتعلق بالعهد الراشدى والرد على الشبهات، خصوصًا فى عهد عثمان وعلى رضى الله عنهما، وقد جدّت أفكار كثيرة من بعض الإخوة الأعزاء حول دراسة عهد الخلافة الراشدة، والعزم ماضٍ بإذن الله على تطويرها، بما يلائم ذلك العصر الزاهر ونسأل الله تعالى السداد والتوفيق.

هذا وقد أفردت خامس الخلفاء الراشدين، الحسن بن على بن أبى طالب بدراسة خاصة نظرًا لأهمية اجتهاداته فى فقه السياسة الشرعية وفقه المصالح والمفاسد، وما كان يملكه من رؤية إصلاحية توجت بتنازله عن الخلافة لمعاوية رضى الله عنه، وما تعرض له أثناء اتخاذه الخطوات التنفيذية لتلك الرؤية من عوائق ومصائب، وما تميزت به شخصيته الفذة من قدرة على امتلاك مشروع إصلاحى وعزم على التنفيذ كان سببًا فى توحيد الأمة وتحقيق نبوءة النبى ﷺ فى قوله: **«ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»**، وبتنازل الحسن بن على عن الخلافة ومبايعته معاوية رضوان الله عليهم أجمعين تنتهى بذلك فترة خلافة النبوة وهى ثلاثون سنة، والحجة فى ذلك قول رسول الله ﷺ: **«خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتى الله الملك، أو ملكه من يشاء»**(1)، وقوله ﷺ: **«الخلافة فى أمتى ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك»**(2)، وقد علق ابن كثير على هذا الحديث فقال: وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن على، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية فى ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ، فإنه توفى فى ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل النبوة صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليمًا(3). وبذلك يكون الحسن بن على رضى الله عنه خامس الخلفاء الراشدين، وبإذن الله تعالى سوف يكون مع كتاب الحسن بن على خلاصات مهمة فيما يتعلق بدراسة عهد الخلافة الراشدة من معالمها

(1) صحيح سنن أبى داود (٣/ ٨٧٩) للألبانى.

(2) سنن الترمذى مع شرح الأحوذى (٦/ ٣٩٥ - ٣٩٧) قال الترمذى: هذا حديث حسن.

(3) البداية والنهاية (٨/ ١٦).

وخصائصها، وأسـباب زوالها، ونظام حكمها وصفات جيلهـا، وقادتها ودستورها، وإدارة الأزمـات فيـها، واسـتنباط قـوانين وسنن للنهـوض، ومكانة المرأة فى العـهد الراشـدى، ومؤسسات الدولة، وفقه القدوم على الله عند ذلك الجيل.

هذا وقد حرصت على تناول شـخصية أميـر المؤمنين عليٌ من جوانبها المتنوعة، فـحياته صفـحة مـشرقـة فى تاريخ الأمة، وهو مـن الأئمة الذين يتـأسى الناس بهديهم وأقـوالهم وأفعالهم فى هذه الحياة، فسيرته من أقوى مصـادر الإيمان، والعاطفة الإسلامية الصحيحة، والفهم السليم لهذا الدين، فنتعلم منه فقهه فى التـعامل مع السنن وحسن توجيهها، وكيف نعيش مع القـرآن الكريم ونهتـدى بهديه ونقتـدى برسول الله ﷺ، وأهميـة الخوف من الله والإخلاص له وابتغاء ما عنده فى نجاح العـبد فى الدارين، وأثر هذه المعانى فى حياة الأمة الإسلامية ونهوضها وقيامها بدورها الحضارى المنشود، فلذلك اجتهدت فى دراسة شخصيته وعصره حسب وسـعى وطاقتى، غير مدع عصمة، ولا مـتبرئ من زلة، ووجه الله الكريم لاغيـره قصـدت، وثوابه أردت، وهو المسئـول فى المعونة عليـه، والانتفـاع به، إنه طيب الأسماء وسميع الدعاء.

هذا وقد انتـهيت من هذا الكتـاب يوم السبت السـاعة الواحـدة إلا خمس دقـائق ظهرًا بتاريخ ١٧ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ- الموافق ٧ يونيـو٢٠٠٣م، والفضل لله من قبل ومن بعد، وأسأله سـبحانه وتعالـى بأسمائه الحسنى وصـفاته العلى أن يجعل عـملى لوجهه خـالصًا ولعبـاده نافعًا، وأن يثيـبنى على كل حرف كتـبته ويجـعله فى ميزان حـسناتى، وأن يثيب إخوانى الذين أعـانونى بكل ما يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتـواضع، ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب ألا ينسى العبد الفقير إلى عـفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾. وقال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سبـحانك اللهم وبحـمدك، أشهـد أن لا إله إلا أنت، أستـغفرك وأتـوب إليك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه

على محمد الصَّلابى

الفصل الأول

على بن أبى طالب رضى الله عنه بمكة

المبحث الأول

اسمه ونسبه وكنيته وصفته وأسرته

أولاً: اسمه وكنيته ولقبه:

١- اسمه ونسبه: هو على بن أبى طالب (عبد مناف)(١) بن عبد المطلب، ويقال له شيبة الحمد(٢) بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان(٣)، فهو ابن عم رسول الله ﷺ ويلتقى معه فى جده الأول عبد المطلب بن هاشم، وولده أبو طالب شقيق عبد الله والد النبى ﷺ، وكان اسم علىٍّ عند مولده أسد، سمته بذلك أمه رضى الله عنها باسم أبيها أسد بن هاشم، ويدل على ذلك ارتجازه يوم خيبر حيث يقول:

أنا الذى سمتنى أمى حيدرة(٤) كليث غابات كريه المنظرة(٥)

وكان أبو طالب غائبًا فلما عاد، لم يعجبه هذا الاسم وسماه عليًا(٦).

٢- كنيته: أبو الحسن، نسبة إلى ابنه الأكبر الحسن وهو من ولد فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ويكنى أيضًا بأبى تراب، كنية كناه بها النبى ﷺ، وكان يفرح إذا نودى بها، وسبب ذلك أن الرسول ﷺ جاء بيت فاطمة رضى الله عنها فلم يجد عليًا فى البيت، فقال: أين ابن عمك؟ قالت كان بينى وبينه شىء فغاضبنى فخرج فلم يقل(٧) عندى، فقال ﷺ لإنسان: انظر أين هو؟ فجاء فقال: يا رسول الله هو فى المسجد راقد، فجاء رسول الله ﷺ وهو

(١) أبو طالب اسمه عبد مناف. (٢) عبد المطلب اسمه شيبة الحمد، الاستيعاب (٣/١٠٨٩).

(٣) الطبقات الكبرى (٣/١٩)، صفة الصفوة (١/٣٠٨)، البداية والنهاية (٧/٣٣٣)، الإصابة (١/٥٠٧)، الاستيعاب (١/١٠٨٩)، المنتظم (٥/٦٦)، المعجم الكبير للطبرانى (١/ ٥٠).

(٤) حيدرة: من أسماء الأسد. (٥) الرياض النضرة فى مناقب العشرة، ص (٦١٧).

(٦) غريب الحديث للخطابى (٢/ ١٧٠)، خلافة علىّ بن أبى طالب، عبد الحميد بن على ناصر فقيهى ص(١٨).

(٧) من قال يقيل فالقيلولة: الظهيرة، وتكون بمعنى النوم فى الظهيرة، اللسان (١١/ ٥٧٧).

مضطجع وقد سقط رداءه عن شقه وأصابه تراب، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول: **قم أبا تراب**[(١)]، ومن رواية البخاري: والله ما سماه إلا النبي[(٢)]، ومن كناه: أبو الحسن والحسين وأبو القاسم الهاشمي[(٣)]، وأبو السبطين[(٤)].

٣- لقبه: أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين[(٥)].

ثانيًا: مولده:

اختلفت الروايات وتعددت في تحديد سنة ولادته، فقد ذكر الحسن البصري أن ولادته قبل البعثة بخمس عشرة أو ست عشرة سنة[(٦)]، وذكر ابن إسحاق أن ولادته قبل البعثة بعشر سنين[(٧)]، ورجح ابن حجر قوله[(٨)]، وذكر الباقر محمد بن علي قولين: الأول: كالذي ذكره بن إسحاق، ورجحه ابن حجر، وهو أنه ولد قبل البعثة بعشر سنين[(٩)]، وأما الثاني: فيذكر أنه ولد قبل البعثة بخمس سنين[(١٠)]، وقد ملت إلى قول ابن حجر وابن إسحاق فيكون مولده على التحقيق قبل البعثة بعشر سنين[(١١)].

وذكر الفاكهي[(١٢)]، أن عليًا أول من ولد من بني هاشم في جوف الكعبة، وأما الحاكم فقال: إن الأخبار تواترت أن عليًا ولد في جوف الكعبة[(١٣)].

ثالثًا: الأسرة وأثرها في الأعقاب:

لقد دل علم التشريح، وهو دراسة التركيب الجسدي، وعلم النفس، وعلم الأخلاق، وعلم الاجتماع، على تأثير الدم والسلالات في أخلاق الأجيال وصلاحياتها ومواهبها، وطاقاتها، إلى حد معين، في أكثر الأحوال، وذلك عن ثلاث طرق:

---

(١) مسلم في صحيحه رقم (٢٤٠٩).
(٢) البخاري في صحيحه رقم (٤٤١، ٣٧٠٣، ٣٢٨٠).
(٣) البداية والنهاية (٧/ ٢٢٣).
(٤) أسد الغابة (٤/ ١٦)، والسبطان: الحسن والحسين.
(٥) تاريخ الإسلام للذهبي: ص (٣٧٦)، البداية والنهاية (٧/ ٢٢٣)، خلاصة تهذيب الكمال (١٢٠ ٢٥).
(٦) المعجم الكبير للطبراني (١/ ٥٤) رقم ١٦٣ بسند مرسل.
(٧) السيرة النبوية (١/ ٢٦٢) دون إسناد.
(٨) الإصابة (٢/ ٥٠١) ترجمة عليّ.
(٩) المعجم الكبير للطبراني (١/ ٥٣) رقم ١٦٥ إسناده حسن.
(١٠) المصدر السابق (١/ ٥٣) رقم ١٦٦ إسناده حسن إلى محمد الباقر حيث أرسلها.
(١١) فتح الباري (٧/ ١٧٤)، والإصابة (٢/ ٥٠٧).
(١٢) صاحب أخبار مكة، حقق الكتاب عبد الملك بن دهيش.
(١٣) المستدرك على الصحيحين (٣/ ٤٨٣) دون إسناد.

(أ) القيم والمثل التى مازال آباء هذه الأسرة وأجدادها يؤمنون بها أشد الإيمان ويحافظون عليها، أو يحاولون أن يحافظوا عليها أشد المحافظة، ويتنبلون لها ويمجدون، ويعتبرون من جار عليها من أبناء الأسرة، أو خالفها وحاد عنها شاردًا غريبًا، ويرون فى ذلك غضاضة، وسقوط همة وقلة مروءة، وعقوقًا للآباء وإساءة إليهم لا تغتفر فى قوانين هذه الأسرة العرفية المتوارثة.

(ب) حكايات الآباء وعظماء الأسرة فى البطولة والفتوة والفروسية، والشهامة، والأنفة والإباء، والجود والسخاء، وحماية المظلومين والضعفاء، تتناقلها الأجيال وتتباهى بها، وذلك فى سن مبكرة، ومن أيام الصبا إلى سن الشباب والكهولة، فتؤثر فى تكوين عقليتها ومشاعرها، وتعيين المقاييس للعظة والرجولة، والبر بالآباء، وتبرير شهرة الأسرة والسلالة.

(جـ) تأثير الدم الموروث فى أعضاء الأسرة كابرًا عن كابر، فى أسرة حافظت على أنسابها وأصالتها، وذلك ما أيده علم السلالات[1]، وهذا ليس على إطلاقه، وقاعدة مطردة، لا تقبل استثناء، ولا شذوذًا كالسنن الإلهية التى قال الله عنها **﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾** [فاطر: ٤٣]، وإلى ذلك أشار النبى ﷺ فى قوله: **«الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا»**[2]، وقوله ﷺ: **«من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»**[3]، وليس فى ذلك من تقديس الدم الموروث الدائم، وتركيز الرئاسة الدينية والزعامة الروحية العلمية فى أسرة معينة، واحتكارها لقيادة أمة، دينيًا وروحيًا وعلميًا بشكل دائم، وهو الذى عانى منه العالم القديم -قبل الإسلام- فسادًا اجتماعيًا وخلقيًا جارفًا، واستبدادًا فظيعًا، واستغلالاً ماديًا شنيعًا، تزخر به كتب التاريخ وشهادات المؤرخين للإمبراطوريتين الرومية والساسانية، والمجتمعين الإغريقى والهندى[4]، وغيرها من الجاهليات، ولذلك يحسن بنا أن نشير إلى وضع الأسرة والسلالة - اللتين ولد ونشأ فيهما أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه- العرقى والاجتماعى، وما كانتا تمتازان به من خصائص وأعراف، وتقاليد وتراث خلقى ونفسى، وكيف كان العرب ينظرون إليهما ويقرون لهما بالفضل، ونبدأ فى ذلك بقريش، ثم ببنى هاشم[5].

(١) المرتضى سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب، لأبى الحسن الندوى ص ١٩ - ٢٠.

(٢) مسند أحمد (٢/٥٣٩) إسناده صحيح.

(٣) مسلم. ك الذكر والدعاء والتوبة.

(٤) المرتضى للندوى: ص (٢٠).

(٥) فيما يتعلق بخصائص ومزايا العرب ينظر إلى السيرة النبوية للندوى.

١- **قبيلة قريش:** أقر العرب كلهم بعلو نسب قريش، وسيادتها، وفصاحة لغتها، ونصاعة بيانها، وكرم أخلاقها وشجاعتها وفتوتها، وذهب ذلك مثلاً لا يقبل نقاشًا ولا جدالاً[١]، وكانوا حلفاء متآلفين متمسكين بكثير من شريعة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، ولم يكونوا كالأعراب الذين لا يوقرهم دين، ولا يزينهم أدب، وكانوا يحبون أولادهم، ويحجون البيت، ويقيمون المناسك، ويكفنون موتاهم، ويغتسلون من الجنابة، ويتبرءون من الهرابذة[٢]، ويتباعدون عن المناكح من البنت وبنت البنت والأخت وبنت الأخت، غيرة وبعدًا من المجوسية، ونزل القرآن بتأكيد صنيعهم وحسن اختيارهم، وكانوا يتزوجون بالصداق والشهود ويطلقون ثلاثًا[٣]، وما زاد شرفهم أنهم كانوا يتزوجون من أى قبيلة شاءوا، ولا شرط عليهم فى ذلك، ولا يزوجون أحدًا حتى يشترطوا عليه، أن يكون متحمسًا[٤] على دينهم، يرون ذلك لا يحل لهم ولا يجوز لشرفهم، حتى يدان إليهم وينقاد[٥].

٢- **بنو هاشم:** أما بنو هاشم فكانوا واسطة العقد فى قريش، وإذا قرأنا ما حفظه التاريخ وكتب السيرة من أخبارهم وأقوالهم -وهو قليل من كثير جدًا- استدللنا به على ما كان يمتاز به هؤلاء من مشاعر الإنسانية الكريمة، والاعتدال فى كل شىء، ورجاحة العقل، وقوة الإيمان بما للبيت من مكانة عند الله، والبعد عن الظلم ومكابرة الحق، وعلو الهمة، والعطف على الضيف والمظلوم، والسخاء، والشجاعة، وما تشتمل عليه كلمة (الفروسية) عند العرب من معان كريمة وخلال حميدة، والسيرة التى تليق بأجداد الرسول الكريم ﷺ، تتفق ويتفق مع ما كان يفضله ويدعو إليه من مكارم الأخلاق، غير أنهم عاشوا فى زمن الفترة، وسايروا أبناء قومهم فى عقائد الجاهلية، وعباداتها[٦] ولم يصل بنو هاشم إلى هذه المكانة فى مجتمعهم إلا بالتضحية والعطاء والبذل وخدمة الناس.

٣- **عبد المطلب بن هاشم:** جد الرسول ﷺ وعليّ بن أبى طالب رضى الله عنه: ولى عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة[٧]، بعد عمه المطلب، فأقامهما للناس، وأقام لقومه ما

(١) السيرة النبوية للندوى: ص (٧٤).
(٢) الهرابذة: قوام بيت النار، فارسى معرب وقيل: عظماء الهند أو علماؤهم.
(٣) بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب (١/ ٢٤٣) للألوسى.
(٤) متحمسًا: التحمس: التشدد فى الدين.
(٥) المرتضى للندوى: ص (٢٢)، بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب (١/ ٢٤٣).
(٦) بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب للألوسى (١/ ٢٤٣).
(٧) الرفادة: إطعام الحجاج فى أيام الموسم حتى يتفرقوا.

كان آباؤه يقيمـون قبله لقومهم من أمرهم، وشرف فى قومه شـرفًا لم يبلغه أحد من آبائه، وأحبه قومه وعظم خطره فيهم(١).

ولم يكن عبـد المطلب أغنى رجل فى قريش، ولـم يكن سيـد مكة الوحيد المطاع، كـما كان قُصى، إذ كان فى مكة رجـال كانوا أكثر منه مالا وسلطانًا، إنما كان وجـيه قومه، لأنه كان يتولى السقاية والرفادة، وبئـر زمزم، فهى وجاهة ذات صلة بالبيت(٢)، ويتجلى إيمان عبد المطلب بأن لهذا البيت مكانة عند الله، وأنه حاميه ومـانعه، وتتجلى نفسية سيد قريش السامية، وشخـصيته القوية الشامخة فى حديث دار بينه وبين أبرهة ملك الحـبشة، وقد غزا مكة وأراد أن يهـين البيت ويقـضى على مكانته، وقـد أصاب لعـبد المطلب مـائتى بعـير، فاستأذن له عليـه، وقد أعظمه أبرهة ونزل له عن سريره فأجلسه معه، وسـأله عن حاجته، فقال: حاجـتى أن يرد علىّ الملك مائتى بعير أصابها لى. فلمـا قال له ذلك زهد فيه الملك وتفادته عـينه، وقال: أتكلمـنى فى مائتى بعـير أصبـتهـا لك، وتترك بيتًـا هو دينك ودين آبائك، قد جئت لهدمه، لا تكلمنى فيه؟! قال عبد المطلب: إنى أنا رب الإبل، وإن للبيت ربًا سيمنعه، قال: ما كان يمتنع منى، قال: أنت وذاك(٣)، وقد كان ما قاله عبد المطلب، فحمى رب البيت بيته، وجعل كـيد أبرهة وجيشه فى تضليل، قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٣- ٥].

وكان عبد المطلب يأمر أولاده بترك الظلم والبغى، ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن دنيئات الأمور(٤)، ومات عبـد المطلب بعد أن جاوز الثـمانين، وعمر الرسـول ثمانى سنين، ومعـنى ذلك أنه توفى حوالى سنة ٥٧٨ للمـيلاد(٥)، وذكر أنه لم تقـم بمكة سوق أيامًا كثيرة لوفاة عبد المطلب(٦).

٤- أبو طالب والد على بن أبى طالب رضى الله عنه: أبو طالب لا مال لـه، كان يحب ابن أخيه حبًا شديدًا، فإذا خرج خرج معه، فقد كان أبو طالب هو الذى يلى أمر رسول الله ﷺ بعد جده، فكان إليـه ومعه(٧)، وعندما أعلن رسول الله ﷺ الدعوة إلى الله وصـدع بها

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٤٢).

(٢) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد على (٤/ ٥٨)، المرتضى: ص(٢٢).

(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٤٩) المرتضى: ص(٢٣).

(٤) بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب (١/ ٣٢٤).

(٥) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام (٤/ ٧٨).

(٦) أنساب الأشراف للبلاذرى (١/ ٧٨).

(٧) المرتضى ص(٢٤)، السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٧٩).

وقف أبو طالب بجانب رسول الله ﷺ وصمم على مناصرته وعدم خذلانه، فاشتد ذلك على قريش غمًا وحسدًا ومكرًا، وإن المرء ليسمع عجبًا ويقف مذهولاً أمام مروءة أبى طالب مع رسول الله ﷺ، فقد ربط أبو طالب مصيره بمصير ابن أخيه محمد ﷺ، بل واستفاد من كونه زعيم بنى هاشم أن ضم بنى هاشم، وبنى المطلب إليه فى حلف واحد على الحياة والموت، دفاعًا لرسول الله ﷺ، مسلمهم ومشركهم على السواء[1]، وأجاز ابن أخيه محمدًا ﷺ إجازة مفتوحة لا تقبل التردد والإحجام، ولما رأى أبو طالب من قومه ما سره من جهدهم معه، وحدبهم عليه، جعل يمدحهم ويذكر قديمهم، وفضل رسول الله فيهم، ومكانه منهم ليشد لهم رأيهم وليحدبوا معه على أمره[2] فقال:

إذا اجتمعت يومًا قريش لمفخر ... فعبد مناف سرها وصميمها
وإن حصلت أشراف عبد منافها ... ففى هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يومًا فإن محمدًا ... هو المصطفى من سرها وكريمها
تداعت قريش غثها وسمينها ... علينا فلم تظفر وطاشت حلومها
وكنا قديمًا لا نقر ظلامة ... إذا ما ثنوا صُعْر الخدود نقيمها

ولما خشى أبو طالب دهماء العرب أن يركبوه مع قومه، قال قصيدته التى تعوذ فيها بحرمة مكة، وبمكانه منها، وتودد فيها أشراف قومه، وهو على ذلك يخبرهم فى ذلك من شعره، أنه غير مسلم رسول الله ﷺ، ولا تاركه لشىء أبدًا حتى يهلك دونه فقال:

ولما رأيت القوم لا ود فيهم ... وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى ... وقد طاوعوا أمر العدو المزايل
وقد حالفوا قومًا علينا أظنة ... يعضون غيظًا خلفنا بالأنامل
صبرت لهم نفسى بسمراء سمحة ... وأبيض عضب من تراث المقاول
وأحضرت عند البيت رهطى وإخوتى ... وأمسكت من أثوابه بالوصائل

وتعوذ بالبيت وبكل المقدسات التى فيه، وأقسم بالبيت بأنه لن يسلم محمدًا ولو سالت الدماء أنهارًا، واشتدت المعارك مع بطون قريش:

(١) فقه السيرة النبوية للغضبان ص(١٨٤).
(٢) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث للصلابى (١/١٥٨).

كذبتم وبيت الله نُبْزى[١] محمدًا ولما نطاعن دونه ونناضل
ونُسلمه[٢] حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل[٣]
وينهض قوم في الحديد إليكم نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل[٤]

واستمر أبو طالب في مناصرة ابن أخيه واستطاع أن يغزو المجتمع القرشي بقصائده الضخمة التي هزت كيانه هزًا، ولما تغلغل الإسلام في قلوب أبناء بعض القبائل، اجتمعت قريش فائتمروا بينهم أن يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب، على ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئًا ولا يبتاعوا منهم، وكتبوا صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة، وتواثقوا على ذلك، وانحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه[٥]، وذلك في محرم سنة سبع من النبوة ومكث بنو هاشم على ذلك نحو ثلاث سنوات لا يصل إليهم شيء إلا سرًا، ثم كان ما كان من أكل الأرضة للصحيفة، وإخبار النبي ﷺ أبا طالب بذلك، وتمزيق الصحيفة، وبطلان ما فيها[٦]، ومات أبو طالب في النصف من شوال في السنة العاشرة من النبوة، وهو ابن بضع وثمانين سنة، ولم يسلم أبو طالب[٧]، وهو العام الذي ماتت فيه خديجة زوج النبي ﷺ، وتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب، وسمي هذا العام بعام الحزن[٨].

٥- أم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: هي الصحابية الجليلة السيدة الفاضلة فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي الهاشمية[٩]، وهي أول هاشمية ولدت هاشميًا[١٠]، وقد حظيت برعاية النبي ﷺ حينما كفله عمه أبو طالب بناء على وصية أبيه عبد المطلب، فكانت له أمًا بعد أمه تقوم على شئونه وترعى أموره ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، وقد قضى الحبيب المصطفى قرابة عقدين من حياته في كنفها، وقد استجابت لدعوة الإسلام وأصبحت من السابقات الأوليات وصارت من صفوة النساء ممن أخذن المكانة العليا في ساحة الفضيلة، وكانت رضي الله عنها مثالاً للرأفة والرحمة في معاملة الزهراء رضي

---

(١) نُبْزى: أي نسلمه ونغلب.
(٢) أي كذبتم أن نسلمه قبل أن نصرع حوله.
(٣) الحلائل: الزوجات.
(٤) الصلاصل: المزادات لها صلصلة بالماء.
(٥) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٣٥٠، ٣٥١).
(٦) المصدر نفسه (١/ ٣٧٣- ٣٧٧)، المرتضى: ص(٢٦)، وقد فصلت ذلك في كتابي السيرة النبوية.
(٧) بلوغ الأرب (١/ ٣٢٤).
(٨) السيرة لابن هشام (١/ ٤٥، ٤٦) المرتضى: ص(٢٦).
(٩) نسب قريش: ص(٤٠) فضائل الصحابة (٢/ ٦٨٥).
(١٠) فضائل الصحابة (٢/ ٦٨٥).

الله عنها، إذ كانت تقوم بمساعدتها برًا بها وبوالدها ﷺ وروى عن أمير المؤمنين على رضى الله عنه أنه قال: قلت لأمي: أكفى فاطمة بنت رسول الله سقاية الماء والذهاب فى الحاجة، وتكفيك هى الطحن والعجن(١)، كما أن صلتها بالنبى ﷺ أضافت إلى شخصيتها مكرمة حفظ الحديث وروايته، فقد روت عن النبى ﷺ مجموعة من الأحاديث، وقد كانت لها مكانة كبرى عند رسول الله ﷺ، ويخصها بالهدية، فقد أورد ابن حجر بالإصابة أن عليًا رضى الله عنه قال: أُهدى إلى رسول الله حلة إستبرق فقال: **اجعلها خُمُرًا بين الفواطم**(٢). فشققتها أربعة أخمرة، خمارًا لفاطمة بنت رسول الله ﷺ، وخمارًا لفاطمة بنت أسد رضى الله عنها، وخمارًا لفاطمة بنت حمزة رضى الله عنها، ولم يذكر الرابعة(٣).

ولقد كان حظ السيدة فاطمة مباركًا فى حياتها وعند وفاتها، وحظيت بالتكريم إذ توفيت فى حياة الحبيب المصطفى ﷺ(٤)، وأما ما روى عن أنس فى دفنها فهو واهٍ ضعيف شديد الضعف ولا يتقوى من طرقه الأخرى التى جاءت لأنها كلها ضعيفة، فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد أم على رضى الله عنها دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها فقال: **رحمك الله يا أمي، كنت أمي بعد أمي، تجوعين وتشبعيني، وتعرين وتكسينني، وتمنعين نفسك طيبا وتطعمينني، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة**. ثم أمر أن تغسل ثلاثًا ثلاثًا، فلما بلغ الماء الذى فيه الكافور سكبه رسول الله بيده، ثم خلع رسول الله قميصه فألبسها إياه وكفنها ببرد فوقه، ثم دعا رسول الله أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصارى وعمر بن الخطاب وغلامًا أسود يحفرون، فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه وقال: **الله الذى يحيى ويميت وهو حى لا يموت اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي. فإنك أرحم الراحمين**، وكبر عليها أربعًا وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر رضى الله عنهما(٥).

وقد احتج من احتج(٦) بهذا الحديث على جواز التوسل بالذوات، وقد قام الأستاذ أبو عبد الرحمن جبلان بن خضر العروسى فى رسالته لمرحلة الماجستير بتتبع طرق الحديث وبين

(١) مجمع الزوائد (٩/ ٣٥٦) رجال السند رجال الصحيح.

(٢) سنن ابن ماجة، ك اللباس رقم ٣٥٩٦.

(٣) الإصابة (٨/ ٢٧) رقم ١١٥٣.

(٤) أمير المؤمنين على بن أبى طالب، أحمد السيد: ص (٢٤).

(٥) السلسلة الضعيفة للألبانى (١/ ٣٢) رقم ٢٣.

(٦) السمهودى فى وفاء الوفاء (٤/ ١٣٧٣)، والكوثرى فى محق التقول: ص (٣٧٩- ٣٩١)، والبوطى فى السلفية مرحلة، (١٥٥)، والعلوى فى مفاهيم: ص(٦٥)، نقلا عن الدعاء ومنزلته من العقيدة، جبلان بن خضر.

ضعفها وبطلانها[1]، ووضح أن الحديث قد روى من خمسة طرق: ثلاثة موصولة، ومرسلتان، فلم تخل واحدة منها من عدة علل فهو شديد الضعف، ومع هذا لم يرد التوسل المزعوم إلا فى طريق واحدة، وهى طريق أنس، فهذه الأحاديث يمكن أن يعل بها الحديث لأن الكل ضعيف فيعل بعضه البعض ولا يزيدها إلا وهنا وضعفا، وأما من ناحية المتن فهو منقوض من عدة وجوه:

- إن فى هذا الحديث مبالغة وإطراء وتجاوزًا للمألوف فى ذلك العهد النبوى.

- هذا الحديث يخالف هديه وسننه فى غسل جنازة المرأة، وذلك فى أمور منها:

- سكبه بيده الشريفة لم يرد إلا فى هذه القصة، وأما الذى ورد فى غسل بنته زينب أنه أمرهن بالغسل، ولم يسكب بنفسه، فقد روى البخارى ومسلم عن محمد بن سيرين عن أم عطية قالت: دخل علينا النبى ﷺ ونحن نغسل ابنته فقال: «**اغسلنها ثلاثًا أو خمسًا أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك بماء وسدر، واجعلن فى الآخرة كافورًا، فإذا فرغتن فآذننى**، قالت: فلما فرغنا ألقى إلينا حقوه فقال: **أشعرنها إياه**»، ولم يزد على ذلك[2]

- إن الحفر بيده وإخراجه التراب بيده والاضطجاع فيه كلها لم تعهد إلا فى هذا الحديث الضعيف، مخالفًا هديه المشهور عنه وهو من المبالغة والإطراء. •

- ثم لفظ الدعاء الذى بدأ بلفظة الغيبة ثم الخطاب بعيد عن أسلوبه المعهود فى الدعوات المأثورات «اللهم أنت. . .» ولم نر فى غير هذا الدعاء «الله الذى. . .».

- ومما يدل على ضعفه أن الراوى اعترف بأن النبى ﷺ لم يفعل هذه الأفعال إلا فى هذه المرة، ولكنه أراد أن يبرر ذلك بما ذكره، وهيهات[3]

٦- **إخوة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه**: كان لأبى طالب أربعة أبناء، وهم: طالب، وهو الذى تكنى به، وعقيل، وجعفر، وعلى، وبنتان هما: أم هانئ، وجمانة، وكلهم من فاطمة بنت أسد، وكان بين كل واحد منهم وبين أخيه عشر سنوات، فطالب كان أكبر من عقيل بعشر سنوات، وكذلك الشأن مع جعفر وعلى، فكان جعفر أكبر من على بعشر سنوات[4]، وهذه نبذة مختصرة عن إخوة على رضى الله عنه.

(أ) **طالب بن أبى طالب**: هلك طالب مشركًا بعد غزوة بدر، وقيل إنه ذهب فلم يرجع، ولم يدر له موضع ولا خبر، وهو أحد الذين تاهوا فى الأرض، وكان محبًا لرسول الله ﷺ،

(١) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية: ص (٧٩٤- ٧٩٨). (٢) المصدر نفسه: ص(٧٩٩).

(٣) المصدر نفسه: ص(٧٩٤- ٧٩٨).

(٤) البداية والنهاية (٧/ ٢٢٣)، المرتضى: ص (٢٦).

وله فيـه مدائح، وكان خرج إلى بدر كـرهًا، وجرت بينه وبين قريش حين خـرجوا إلى بدر محـاورة فقالوا: والله يا بنى هاشم لقـد عرفنا -وإن خرجـتم معنا- أن هواكم مع محـمد، فرجـع طالب إلى مكة مع من رجع، وقال شـعرًا وقـصيـدة ثناء على النبى ﷺ وبكى فيـها أصحاب قليب بدر(١).

(ب) **عقيل بن أبى طالب**: فكان يكنى أبا يزيد، تأخر إسلامه إلى عام الفتح، وقيل أسلم بعد الحديبية، وهاجر فى أول سنة ثمان، وكان أسـر يوم بدر ففداه عمه العباس، وقع ذكره فى الصحيح فى مواضع، وشهد غزوة مؤتة، ولـم يسمع له ذكر فى الفتح وحنين، لأنه كان مريضًا، أشـار إلى ذلك ابن سعد، لكن روى الزبيـر بن بكار بسنده إلى الحسن بن على أن عقيلا كان ممن ثبت يوم حنين ومات فى خلافـة معاوية، وفى تاريخ البخارى الأصغر بسند صحيح أنه مات فى أول خلافة يزيد قبل الحرة(٢)، وعمره ست وتسعون سنة(٣).

(جـ) **جعفر بن أبى طالب**: فهو أحد السابقـين إلى الإسلام وكان يحب المساكين ويجلس إليهم ويخدمهم، ويحدثهم ويحدثونه، وهاجر إلى الحبشة، فأسلم النجاشى ومن تبعه على يديه، ولقد تحدثت عنه فى كتابى السيرة النبـوية. . عرض وقائع وتحليل أحداث، واستشهد بمؤتة من أرض الشام مقبلاً غير مدبر(٤).

(د) **أم هانئ بنت أبى طالب**: ابنة عم النبى ﷺ، قيل اسمهـا فاختة، وقيل اسمـها فاطمة وقيل هند، والأول أشهر، وكـانت زوج هبيرة بن عمرو بن عائذ المخـزومى، وكان له منها عمرو، وبه كـان يكنى، وفى فتح مكة أجارت أم هانئ رجلين من بنى مخـزوم، وقال لها رسول الله ﷺ: **أجرنا من أجرت يا أم هانئ**. وروت أم هانئ عن النبى ﷺ فى الكتب الستة وغيرها(٥)، قال الترمذى وغيره: عاشت بعد على رضى الله عنه(٦).

(هـ) **جمانة بنت أبى طالب**: هى أم عبد الله بن أبى سفيـان بن الحارث بن عبد المطلب، ذكرها ابن سعد فى ترجـمة أمها فاطمة بنت أسـد، وأفردها فى باب بنات عم النبى ﷺ، وقال: ولدت لأبى سفيان بن الحارث ابنه جعفر بن أبى سفيان، وأطعمها رسول الله من خيبر ثلاثين وسقا(٧).

٧- **أزواجه وأولاده**: ولد له من فاطمة(٨) بنت رسول الله ﷺ: الحسن والحسين (وسيأتى الحديث عنهما مفصلا). . وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى، وولد له من خولة بنت جعفر

(١) الجوهرة فى نسب النبى وأصحابه من المرتضى للندوى: ص(٢٣).
(٢) الإصابة فى تمييز الصحابة (٢/ ٤٩٤).
(٣) المرتضى للندوى: ص(٢٤).
(٤) المرتضى: ص(٢٥).
(٥) المصدر نفسه: ص (٢٧)
(٦) الإصابة فى تمييز الصحابة (٩/ ٣١٧، ٣١٨).
(٧) المصدر نفسه (٤/ ٢٥٩، ٢٦٠)، المرتضى: ص(٢٧).
(٨) هى أول زوجة تزوجها على بن أبى طالب ولم يتزوج عليها حتى ماتت.

ابن قيس بن مسلمة، محمد الأكبر (محمد ابن الحنفية)، وُولد له من ليلى بنت مسعود بن خالد من بنى تميم، عبيد الله وأبو بكر، وولد له من أم البنين بنت حزام[1] بن خالد بن جعفر بن ربيعة: العباس الأكبر، وعثمان، وجعفر الأكبر، وعبدالله، وولد له من أسماء بنت عميس الخثعمية: يحيى وعون[2]، وولد له من الصهباء[3]، عمر الأكبر ورقية، وولد له من أمامة[4] بنت العاص بن الربيع، محمد الأوسط، وولد له من أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفى، أم الحسن، ورملة الكبرى، وولد له من أمهات أولاد، محمد الأصغر، وأم هانئ وميمونة، وزينب الصغرى، ورملة الصغرى، وأم كلثوم الصغرى، وفاطمة، وأمامة، وخديجة، وأم الكرام، وأم سلمة، وأم جعفر، وجمانة ونفيسة، وولد له من محياة بنت امرئ القيس، ابنة هلكت وهى جارية. قال ابن سعد: لم يصح لنا من ولد على رضى الله عنه غير هؤلاء[5]. وجميع ولد على بن أبى طالب رضى الله عنه لصلبه أربعة عشر ذكرًا، وتسع عشرة امرأة، وقيل: سبع عشرة امرأة، وكان النسل من ولده لخمسة، الحسن والحسين، ومحمد بن الحنفية، والعباس بن الكلابية، وعمر بن التغلبية[6]، وسيأتى الحديث عن السيدة فاطمة وذريتها، الحسن والحسين، وأم كلثوم فى ثنايا هذا الكتاب بإذن الله تعالى.

٨- **صفاته الخَلقية:** يقول ابن عبد البر رحمه الله: وأحسن ما رأيت فى صفة على رضى الله عنه أنه كان ربعة من الرجال إلى القصر ما هو، أدعج العينين، حسن الوجه، كأنه القمر ليلة البدر حسنًا، ضخم البطن، عريض المنكبين، شثن الكفين (عَتَدًا)[7] أغيد، كأن عنقه إبريق فضة، أصلع ليس فى رأسه شعر إلا من خلفه، كبير اللحية، لمنكبه مشاش كمشاش السبع الضارى، لا يتبين عضده من ساعده، قد أدمجت دمجًا، إذا مسك بذراع رجل أمسك بنفسه فلم يستطع أن يتنفس، وهو إلى السمن ما هو، شديد الساعد واليد، وإذا مشى للحرب هرول، ثبت الجنان، قوى شجاع[8].

(١)، (٢) البداية والنهاية (٧/ ٣٣٢).

(٣) وهى أم حبيب بنت ربيعة بن بجير، من سبى عين التمر فى عهد الصديق.

(٤) وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ.

(٥) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٠).

(٦) الطبقات (٣/ ١٩، ٢٠)، البداية والنهاية (٧/ ٣٣١- ٣٣٣) منهج على بن أبى طالب فى الدعوة إلى الله، سليمان العبد: ص(٢٩، ٣٠، ٣١)

(٧) العتد: الشديد التام الخلق.

(٨) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب (٣/ ١١٢٣).

المبحث الثاني

إسلامه وأهم أعماله في مكة قبل الهجرة

أولا: إسلامه:

كان من نعمة الله عز وجل علـى عليّ بن أبى طالب وما صنع الله له وأراد به من الخير أن قريشًا أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة، فقال رسول الله ﷺ للعباس عمه -وكان من أيسـر بنى هاشم-: يا عباس، **إن أخاك أبا طالب كـثيـر العيال، وقـد ترى ما أصاب الناس من هذه الأزمـة، فانطلق بنا فلنخفف عنه عيـاله، آخذ من بيته واحـدًا وتأخذ واحدًا، فنكفيـهما عنه**، فقـال العباس: نعم. . فـانطلق حتى أتيا أبا طالب، فـقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عـيالك حتى ينكشف عن الناس مـا هم فيه، فقـال لهما: إن تركتـما لى عقيلاً فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله ﷺ عليًا فضمه إليه، وأخذ العباس جعفرًا رضى الله عنه فضمه إليه، فلم يزل على بن أبى طالب رضى الله عنه مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نبيًا، فـاتبعه عليّ، فأقر به وصدقـه، ولم يزل جعفر عند العباس حـتى أسلم واستغنى عنه(١).

ونلاحظ أن رسول الله ﷺ أراد أن يرد الجميل والمعروف لعـمه أبى طالب الذى كفله بعد وفاة جـده عبد المطلب، فـكان هذا من أكبر نعم الله عـز وجل على عليّ رضى الله عنه، إذ رباه وأدبه الذى أدبه الله، عـز وجل، وحفظه وعـصمـه ورعاه، والذى كـان خلقه الـقرآن، فانعكس هذا الخلق القرآنى على عليّ رضى الله عنه، وكفى بتربية النبى ﷺ تربية لعلى رضى الله عنه، فقد نشـأ فى بيت الإسلام وتعرف إلى أسراره فى مرحلة مـبكرة من حياته، وذلك قبل أن تتخطى الدعوة حدود البيت وتنطلق إلى البحث عن أنصار يشدون أزرها وينطلقون بها فى دنيا الناس، ويخـرجونهم من الظلمـات إلى النور، وقد اختلف الـعلماء فيـمن آمن بعد السيدة خـديجة بنت خويلد أم المؤمنين، هل هو أبو بكر الصديـق أم على رضى الله عنهما؟ والذى أميل إليه من بين أقوال العلمـاء، أن أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر، ومن الصبيان على، ومن النساء خديجة، وهى أول من آمن على الإطلاق، ومن الموالى حارثة بن زيد رضوان الله عليهم(٢)، وبهذا يكون أمير المؤمنين أول الصغار إسلامًا.

(١) السيرة النبوية (١/٢٤٦) لابن هشام.

(٢) البداية والنهاية (٣/٢٦- ٢٨)، الأوائل من الصحابة وذوو الفضل منهم والنجابة، رضوان جامع ص(٢٣).

ثانيًا: كيف أسلم علي؟ روى ابن إسحاق أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه جاء إلى النبي ﷺ بعد إسلام خديجة رضي الله عنها، فوجدهما يصليان، فقال علي: ما هذا يا محمد؟ فقال النبي ﷺ: «دين الله الذي اصطفاه لنفسه، وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده وإلى عبادته، وتكفر باللات والعزى»، فقال له علي: هذا أمر لم أسمع به من قبل اليوم، فلست بقاض أمرًا حتى أحدث أبا طالب، فكره رسول الله ﷺ أن يفشي عليه سره، قبل أن يستعلن أمره، فقال له: «يا علي إذا لم تسلم فاكتم»، فمكث عليٌّ تلك الليلة، ثم إن الله أوقع في قلب علي الإسلام، فأصبح غاديًا إلى رسول الله ﷺ حتى جاءه فقال: ما عرضت عليَّ يا محمد؟ فقال له رسول الله ﷺ: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الأنداد، ففعل عليّ وأسلم، ومكث عليّ يأتيه على خوف من أبي طالب، وكتم علي إسلامه ولم يظهر به[1].

ثالثًا: بين علي رضي الله عنه وأبي طالب: قال ابن إسحاق: وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفيًا من أبيه أبي طالب، ومن جميع أعمامه وسائر قومه، يصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا، ثم إن أبا طالب عثر عليهما يومًا وهما يصليان، فقال لرسول الله ﷺ: يا ابن أخي، ما هذا الدين الذي تدين به، قال: «أي عم، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم» أو كما قال ﷺ «بعثني رسولا إلى العباد وأنت -أي عم- أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه»، أو كما قال. فقال أبو طالب: أي ابن أخي، إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يُخلص إليك[2] بشيء تكرهه ما بقيت، ذكروا أنه قال لعلي: أي بني، ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ فقال: يا أبت آمنت بالله وبرسول الله وصدقته بما جاء به، وصليت معه لله واتبعته، فزعموا أنه قال له: أما إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه[3].

رابعًا: هل كسر علي رضي الله عنه الأصنام مع رسول الله في مكة؟

عن عليّ رضي الله عنه، قال: انطلقت أنا والنبي ﷺ حتى أتينا الكعبة، فقال لي رسول الله ﷺ: (اجلس) وصعد على منكبي، فذهبت لأنهض به، فرأى مني ضعفًا، فنزل، وجلس لي نبي الله ﷺ قال: اصعد على منكبي، قال: فصعدت على منكبيه، قال: فنهض

(١) البداية والنهاية (٣/ ٤).
(٢) لا يُخلص إليك: لا يصل إليك.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٤٦)، المرتضى: ص(٣٥).

بى، قال: فإنه يخيل إلىّ إنى لو شئت لنلت أفق السماء، حتى صعدت على البيت، وعليه تمثال صفر أو نحاس، فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله، وبين يديه ومن خلفه، حتى إذا استمكنت منه قال لى رسول الله ﷺ «اقذف به»، فقذفت فانكسر كما تتكسر القوارير، ثم نزلت، فانطلقت أنا ورسول الله ﷺ نستبق حتى توارينا بالبيوت، خشية أن يلقانا أحد من الناس[1]، وهذا الحديث إسناده ضعيف، وبالتالى لا يمكن أن يبنى عليه حكم كما زعم بعض الناس، ويبقى الأصل الثابت فى الفترة المكية، فى منع النبى ﷺ للصحابة لاستخدام القوة مع الخصوم أو الاعتداء على أصنامهم وأوثانهم بالقوة، وقد قام رسول الله ﷺ بتطهير مكة فى عام الفتح من الأوثان وأرسل السرايا بعد ذلك الفتح العظيم لهدم وتطهير الجزيرة العربية، من مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على إزالتها وإبطالها.

خامسًا: هل دفن على رضى الله عنه أبا طالب بإرشاد رسول الله؟

عن علىٍّ رضى الله عنه: أنه أتى النبى ﷺ فقال: إن أبا طالب مات، فقال له النبى ﷺ: اذهب فواره، فقال: إنه مات مشركًا. فقال: **اذهب فواره**، قال: فلما واريته رجعت إلى النبى ﷺ، فقال لى: **اغتسل**[2]. وجاء فى رواية: **اذهب فاغتسل ثم لا تحدث شيئًا حتى تأتينى**، قال: فاغتسلت ثم أتيته، قال: فدعا لى بدعوات ما يسرنى أن لى بها حمر النعم وسودها، قال الراوى عبد الرحمن السلمى: وكان علىٌّ رضى الله عنه إذا غسل ميتًا اغتسل[3].

سادسًا: الحس الأمنى عند علىٍّ رضى الله عنه ودوره فى إيصال أبى ذر رضى الله عنه لرسول الله ﷺ:

إن من معالم المرحلة المكية، الكتمان والسرية، حتى عن أقرب الناس، وكانت الأوامر النبوية على وجوب المحافظة على السرية واضحة وصارمة، وقد قام على رضى الله عنه

---

(١) مسند أحمد، الموسوعة الحديثية رقم (٦٤٤) إسناده ضعيف، وصحح الحاكم إسناده واستدرك عليه الذهبى فقال: إسناده ضعيف ومتنه منكر، وقد قام أحمد ميرين البلوشى فى رسالته التى حقق فيها خصائص أمير المؤمنين على بن أبى طالب بالحكم على رجال السند وحكم عليه بالضعف، خصائص على بن أبى طالب: ص (١٣٥، ١٣٦)، وقد صحح الحديث أحمد شاكر (٢/٥٨).

(٢) مسند أحمد، الموسوعة الحديثية رقم (٧٥٩) إسناده ضعيف، وفى الموسوعة تفصيل مفيد فى الحكم على رجال السند.

(٣) الصحيح المسند فى فضائل الصحابة: ص (١٨٨)، وقال مصطفى العدوى: حسن بمجموع طرقه، وجاء بشواهد للحديث.

بدور عظيم فى أخـذ أبى ذر إلى مقـر الرسول ﷺ، فقـد كان رضى الله عنه منـكرًا لحال الجاهلية، ويأبى عبادة الأصنام، وينكر على من يشـرك بالله، وكان يصلى لله قبل إسلامه، بثلاث سنوات، دون أن يخص قبلة بعينها بالتوجه، ويظهر أنه كان على نهج الأحناف، ولما سمع بالنبى ﷺ قدم إلى مكة، وكره أن يسأل عنه، حـتى أدركه الليل، فاضطجع فرآه علىٌّ رضى الله عنه، فعرف أنـه غريب، فاستضـافه ولم يسأله عن شىء، ثم غادر صـباحًا إلى المسجد الحرام، فمكث حتى أمسى فرآه علىٌّ فـاستضافه لليلة ثانية، وحدث مثل ذلك الليلة الثالثة، ثم سأله عن سـبب قدومه، فلما استوثق منه أبو ذر أخبـره بأنه يريد مقابلة الرسول ﷺ، فقال له علىٌّ: فإنه حق، وهو رسول الله، فإذا أصبحت فاتبعنى، فإنى إن رأيت شيئًا أخاف عليك قمت كأنى أريق الماء، فإن مضيت فاتبعنى، فتبعه وقابل الرسول ﷺ، واستمع إلى قوله، فأسلم، فقال له النبى ﷺ: «**ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمرى**»، فقال: والذى نفسى بيـده لأصرخن بين ظهرانيهم فـخرج حتى أتى المسجـد فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فثار القـوم حتى أضجعوه فأتى العباس بن عبد المطلب، فحـذرهم من انتقام غفار والتعرض لتـجارتهم، التى تمر بديارهم إلى الشام، فأنقذه منهم[(١)]، وكان أبو ذر قبل مجيئه قد أرسل أخاه، ليعلم له علم النبى ﷺ ويسمع من قوله ثم يأتيه، فانطلق الأخ حتى قدمـه، وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبى ذر، فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكـلامًا ما هو بالشعر، فقال: مـا شفيتنى[(٢)] مما أردت، وعزم على الذهاب بنفسه لرسول الله ﷺ، فقال أخوه له: كن على حـذر من أهل مكة فإنهم قد شنفوا له وتجهموا[(٣)].

ومن الدروس والعبر والفوائد من هذه الحادثة:

١ - **التأنى والتـريث فى الحصول عـلى المعلومة:** حيث يعرف أبو ذر رضـى الله عنه كراهية قريش لكل من يخاطب الرسول ﷺ، وهذا التأنى تصرف أمنى، تقتضـيه حساسية الموقف، فلو سأل عنه لعلمت بـه قريش، وبالتالى قد يتـعرض للأذى والطرد ويخســر الوصول إلى هدفه الذى من أجله ترك مضارب قومه وتحمل فى سبيله مصاعب ومشاق السفر.

---

(١) صحيح البخارى (فتح البارى) (٧/ ١٧٣).

(٢) ما شفيتنى مما أردت: ما بلغتنى غرضى وأزلت عنى همى.

(٣) مـسلم (٤/ ١٩٢٣) رقمـه (٢٤٧٣)، صحـيح السيرة النبـوية، إبراهيم العلى: ص (٨٣)، السـيرة النبـوية الصحيحة للعمرى (١/ ١٤٥)، شنفوا: أي أبغضوه.

٢- **الاحتياط والحذر قبل النطق بالمعلومة:** حين سأل على رضى الله عنه أبا ذر رضى الله عنه عن أمر وسبب مجيئه إلى مكة، لم يخبره بالرغم من أنه استضافه ثلاثة أيام إمعانًا فى الحذر، فاشترط عليه قبل أن يخبره أن يكتم عنه، وفى الوقت ذاته يرشده، فهذا غاية فى الاحتياط وتم ما أراده.

٣- **التغطية الأمنية للتحرك:** الاتفاق بين على وأبى ذر رضى الله عنهما على إشارة، أو حركة معينة، كأنه يصلح نعله، أو كأنه يريق الماء، وذلك عندما يرى على رضى الله عنه من يترصدهما أو يراقبهما، فهذه تغطية أمنية لتحركهما تجاه المقر (دار الأرقم)، هذا إلى جانب أن أبا ذر كان يسير على مسافة من على فيعد هذا الموقف احتياطًا، وتحسبًا لكل طارئ قد يحدث أثناء الحركة.

٤- **تفوق الصحابة رضى الله عنهم فى الجوانب الأمنية، وتوافر الحس الأمنى لديهم:** وتغلغله فى نفوسهم، حتى أصبح سمة مميزة لكل تصرف من تصرفاتهم الخاصة والعامة، فأتت تحركاتهم منظمة ومدروسة، فما أحوجنا لمثل هذا الحس الذى كان عند الصحابة، بعد أن أصبح للأمن فى عصرنا أهمية بالغة فى زوال واستمرار الدول والحضارات، وضعف وقوة الأمم والشعوب، والجماعات والمؤسسات والمنظمات، وأصبحت له مدارسه الخاصة وتقنياته المتقدمة، وأساليبه ووسائله المتطورة، وأجهزته المستقلة، وميزانياته ذات الأرقام الكبيرة، وأضحت المعلومات عامة، والمعلومات الأمنية تباع بأغلى الأثمان، ويضحى فى سبيل الحصول عليها بالنفس إذا لزم الأمر، وما دام الأمر كذلك فعلى المسلمين الاهتمام بالنواحى الأمنية حتى لا تصبح قضايانا مستباحة للأعداء، وأسرارنا فى متناول أيديهم(١).

سابعًا: على رضى الله عنه مع رسول الله ﷺ فى طوافه على القبائل، وعرضه للدعوة عليها، وحضوره المفاوضات مع بنى شيبان:

عن أبان بن تغلب عن عكرمة عن ابن عباس: حدثنى على بن أبى طالب، قال: لما أمر الله رسوله أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر إلى منى حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدم أبو بكر رضى الله عنه فسلم، وكان أبو بكر مقدمًا فى كل خير، وكان رجلاً نسابة.. إلى أن قال: ثم دفعنا إلى مجلس آخر، عليه السكينة والوقار، فتقدم أبو بكر فسلم فقال: من القوم؟ قالوا: شيبان بن ثعلبة، فالتفت أبو بكر إلى

(١) دروس فى الكتمان، محمود شيت خطاب: ص (٩)، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث للصَّلاَّبى (١/١٧١).

رسول الله ﷺ، وقال: بأبي وأمـي، هؤلاء غُرَر الناس، وفيـهم مفـروق قد غلبهـم لسانًا وجمالاً، وكانت له غـديرتان تسقطان على تريبَتَيْه، وكان أدنى القـوم مجلسًا من أبى بكر، فقال أبو بكر: كـيف العدد فيكم؟ فقال مـفروق: إنا لنزيد على الألف ولن تُغلب ألف من قلة، فقال أبو بكر: وكيف المنعة فيكم؟ فقال مفروق: إنا لأشد ما نكون غضبًا حين نلقى، وأشد مـا نكون لقاء حين نغـضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسـلاح على اللقاح، والنصر مـن عند الله، يديلنا مرة، ويديل علينا مـرة أخرى، لعلك أخـو قريش؟ فـقال أبو بكر: إن كان بلغكم أنه رسـول الله فها هو ذا. فقـال مفروق، إلام تدعونا يا أخـا قريش. فقـال رسول الله ﷺ: «أدعـوكم إلى شهـادة أن لا إله إلا الله وحده لا شـريك له، وأنى عبـد الله ورسوله، وإلى أن تؤوونى وتنصرونى، فإن قريشًا قد تظاهرت على الله، وكذبت رسوله، واستغنت بالباطـل عن الحق، والله هو الغنى الحمـيد»، فقال مـفروق: وإلام تدعو أيضًا يا أخـا قريش؟ فوالله ما سـمعت كلامًا أحسن من هذا، فـتلا رسول الله ﷺ ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

فقـال مفروق: دعـوت والله إلى مكارم الأخلاق، ومحـاسن الأعمال، ولقـد أفك قوم كذبوك، وظـاهروا عليك، ثم رد الأمر إلى هانئ بن قـبيـصة فقـال: وهذا هانئ شيـخنا، وصاحب ديـننا، فقال هانـئ: قد سمـعت مقـالتك يا أخا قـريش، وإنى أرى تركنا ديننا، واتبــاعنا دينك لمجلس جـلست إلينا، لا أول له ولا آخــر لذل فى الرأى، وقلـة نظر فى العـاقبـة. إن الزلة مع العـجلة، وإنا نكره أن نعـقد على من وراءنـا عقـدًا، ولكن نرجع وترجع، وننظر ، ثم كـأنه أحب أن يشركـه المثنى بن حـارثة، فقـال: وهذا المثنى شيـخنا وصاحب حـربنا، فقـال المثنى - وأسلم بعد ذلك-: قـد سمعت مـقالتك يا أخـا قريش، والجواب فـيه جـواب هانئ بن قبـيصـة فى تركنا ديننا ومـتابعتـنا دينك، وإنا إنما نزلنا بين صَرَيَيْن، أحدهما اليمامة، والآخر السَّمامة، فقال له رسول الله ﷺ: «ما هذان الصريان؟»، قال: أنهار كسرى، وميـاه العرب، فأما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبـه غير مغفور وعذره غير مقبول، وإنا إنما نزلنا على عـهد أخذه علينا كسرى ألا نحدث حدثًا، ولا نؤوى محدثًا، وإنى أرى هذا الأمـر الذى تدعونا إليه يا أخا قريش مما تكرهه الملوك، فـإن أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلى مياه العـرب، فعلنا، فقال رسول الله ﷺ: «ما أسأتم فى الرد، إذا

أفصحتم بالصدق، وإن دين الله عز وجل لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، أرأيتم إن تلبثوا إلا قليلاً، حتى يورثكم الله تعالى أرضهم وديارهم، ويفرشكم نساءهم، أتسبحون الله وتقدسونه»، فقال النعمان بن شريك: اللهم فلك ذاك(١)

وهذا الحديث فيه دروس وعبر وفوائد تعلمها على بن أبى طالب رضى عنه منها:

١- تعلم على رضى الله عنه، أن النبى ﷺ رفض أن يعطى القوى المستعدة لتقديم نصرتها، أية ضمانات بأن يكون لأشخاصهم شيء من الحكم والسلطان على سبيل الثمن، أو المكافأة لما يقدمونه من نصرة وتأييد للدعوة الإسلامية، وذلك لأن الدعوة الإسلامية إنما هى دعوة إلى الله، فالشرط الأساسى فيمن يؤمن بها ويستعد لنصرتها أن يكون الإخلاص لله، ونشدان رضاه هما الغاية التى يسعى إليها من النصرة والتضحية وليس طمعًا فى نفوذ أو رغبة فى سلطان، وذلك لأن الغاية التى يضعها الإنسان للشيء هى التى تكيف نشاط الإنسان فى السعى إليه، فلابد إذن من أن تتجرد الغاية المستهدفة من وراء نصرة الدعوة، عن أى مصلحة مادية لضمان دوام التأييد لها، وضمان المحافظة عليها من أى انحراف، وضمان أقصى ما يمكن من بذل الدعم لها، وتقديم التضحيات فى سبيلها(٢)، فيجب على كل من يريد أن يلتزم بالجماعة التى تدعو إلى الله ألا يشترط عليها منصبًا، أو عرضًا من أعراض الدنيا؛ لأن هذه الدعوة لله والأمر لله يضعه حيث يشاء، والداخل فى أمر الدعوة إنما يريد ابتغاء وجه الله، والعمل من أجل رفع رايته، أما إذا كان المنصب هو همه الشاغل فهذه علامة خطيرة تنبئ عن دخن فى نية صاحبها(٣)، لذلك قال يحيى بن معاذ الرازى: لا يفلح من شممت منه رائحة الرياسة(٤)

٢- وتعلم على رضى الله عنه من رسول الله ﷺ أن صفة النصرة التى كان يطلبها رسول الله لدعوته من زعماء القبائل أن تكون غير مرتبطة بمعاهدات دولية، تتناقض مع الدعوة، ولا يستطيعون التحرر منها، وذلك لأن احتضانهم للدعوة والحالة هذه يعرضها لخطر القضاء عليها من قبل الدول التى بينهم وبينها تلك المعاهدات، والتى تجد فى الدعوة الإسلامية خطرًا عليها وتهديدًا لمصالحها(٥)، إن الحماية المشروطة أو الجزئية لا تحقق الهدف المقصود،

(١) البداية والنهاية (٣/ ١٤٢، ١٤٣، ١٤٥)، البيهقى دلائل النبوة، إسناده حسن ونقل عنه ابن كثير.

(٢) الجهاد والقتال فى السياسة الشرعية (١/ ٤٢١).

(٣) وقفات تربوية من السيرة النبوية، عبد الحميد البلالى: ص (٧٢).

(٤) صفة الصفوة (٤/ ٩٤).

(٥) الجهاد والقتال فى السياسة الشرعية (١/ ٤٢١).

فلن يخوض بنو شيبان حربًا ضد كسرى، لو أراد القبض على رسول الله ﷺ وأتباعه، وبذلك فشلت المباحثات[1].

٣-إن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، كان هذا الرد من النبى ﷺ على المثنى بن حارثة، حين عرض على النبى ﷺ حمايته على مياه العرب، دون مياه الفرس، فمن يسبر أغوار السياسة البعيدة ير بُعد النظر الإسلامى النبوى الذى لا يسامى[2].

٤-لمس على رضى الله عنه أثر الإسلام على المثنى وقومه بعد أن أسلموا، وكيف تحملت قبيلة بنى شيبان عبء مواجهة الفرس، وكان المثنى بن حارثة -فيما بعد- من قادة فتح العراق فى عهد الصديق رضى الله عنه، فقد أكسبهم الإيمان بهذا الدين جرأة على قتال الفرس.

هذه بعض المفاهيم والدروس والعبر التى استفادها على رضى الله عنه من رسول الله عند مفاوضاته لزعماء بنى شيبان.

ثامنًا: تقديمه نفسه فداء للنبى ﷺ:

عندما اجتمعت قبيلة قريش فى دار الندوة، وأجمعوا على قتل النبى ﷺ والتخلص منه، أعلم الله نبيه ﷺ بذلك، وكان النبى ﷺ أحكم خلق الله، فأراد أن يبقى من أراد قتله ينظر إلى فراشه ينتظرونه يخرج عليهم، فأمر على بن أبى طالب رضى الله عنه أن ينام فى فراشه تلك الليلة، ومن يجرؤ على البقاء فى فراش رسول الله ﷺ والأعداء قد أحاطوا بالبيت يتربصون به ليقتلوه؟ من يفعل هذا ويستطيع البقاء فى هذا البيت وهو يعلم أن الأعداء لا يفرقون بينه وبين رسول الله ﷺ فى مضجعه؟ إنه لا يفعل ذلك إلا أبطال الرجال وشجعانهم بفضل الله[3] - تعالى-، وقد أمره النبى ﷺ أن يقيم بمكة أيامًا حتى يؤدى أمانة الودائع والوصايا التى كانت عنده إلى أصحابها من أعدائه كاملة غير منقوصة، وهذا من أعظم العدل، وأداء الأمانة[4]، وقد جاء فى رواية: أن رسول الله قال له: **نم فى فراشى، وتَسَجَّ ببردى هذا الخضرى، فنم فيه، فإنه لن يخلص إليك شىء تكرهه منهم**[5]، وقال ابن حجر، وذكر موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: فرقد علىٌّ على فراش رسول الله يوارى

(١) التحالف السياسى فى الإسلام، منير الغضبان: ص (٥٣). (٢) المصدر نفسه: ص (٦٤).

(٣) الحكمة فى الدعوة إلى الله للقحطانى: ص (٢٣٥).

(٤) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٢)، تاريخ الخلفاء للسيوطى: ص (١٦٦).

(٥) السيرة لابن هشام (٢/ ٩١)، فتح البارى (٧/ ٢٣٦).

عنه، وباتت قريش تختلف، وتأتمر، أيهم يهجم على صاحب الفراش فيوثقه، حتى أصبحوا فإذا هم بعلى، فسألوه، فقال: لا علم لى، فعلموا أنه قد فر[1]، وعن ابن عباس: إن عليًا قد شرى نفسه تلك الليلة حين لبس ثوب النبى، ثم نام مكانه[2]، وفى على وإخوانه من الصحابة المجاهدين الذين يبتغون رضوان الله والدار الآخرة نزل قوله تعالى: ﴿مِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

وفى هذا الموقف دروس وعبر وفوائد منها:

١- إن خطة الهجرة كما رسمها رسول الله ﷺ كانت تتطلب أن يأخذ مكانه فى البيت رجل تشغل حركته داخل الدار أنظار المحاصرين لها من مشركى قريش، وتخدعهم بعض الوقت عن مخرج رسول الله ﷺ، حتى يكون وصاحبه أبو بكر قد جاوزوا منطقة الخطر[3].

٢- فى تلبية على رضى الله عنه لأمر النبى ﷺ مثال للجندى الصادق، المخلص لدعوة الإسلام، حيث فدى قائده بحياته، ففى سلامة القائد سلامة الدعوة، وفى هلاكه خذلانها، ووهنها، فما فعله على رضى الله عنه ليلة الهجرة من بياته على فراش الرسول ﷺ يعتبر تضحية غالية، إذ كان من المحتمل أن تهوى سيوف فتيان قريش على رأس على رضى الله عنه، ولكن عليًا رضى الله عنه لم يبال بذلك، فحسبه أن يسلم رسول الله نبى الأمة، وقائد الدعوة[4].

٣- فى إيداع المشركين ودائعهم عند رسول الله ﷺ مع محاربتهم له، وتصميمهم على قتله، دليل باهر على تناقضهم العجيب الذى كانوا واقعين فيه، ففى الوقت الذى كانوا يكذبونه، ويزعمون أنه ساحر، أو مجنون، أو كذاب، لم يكونوا يجدون فيمن حولهم من هو خير منه أمانة وصدقًا، فكانوا لا يضعون حوائجهم، ولا أموالهم التى يخافون عليها إلا عنده، وهذا يدل على أن كفرانهم لم يكن بسبب الشك لديهم فى صدقه، وإنما بسبب تكبرهم واستعلائهم على الحق، الذى جاء به، وخوفًا على زعامتهم وطغيانهم[5]، وصدق العظيم: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

(١) فتح البارى (٧/ ٢٣٧). (٢) فضائل الصحابة رقم (١١٦٨) إسناده حسن.
(٣) خلفاء الرسول: ص (٣٦)، العشرة المبشرون بالجنة محمد صالح.
(٤) السيرة النبوية للسباعى: ص (٣٤٥). (٥) فقه السيرة للبوطى: ص (١٥٣).

٤- وفى أمر الرسول ﷺ لعلى -رضى الله عنه- بتأدية هذه الأمانات لأصحابها فى مكة، على الرغم من هذه الظروف الشديدة التى كان من المفروض أن يكتنفها الاضطراب، بحيث لا يتجه التفكير إلا إلى إنجاح خطة هجرته فقط، على الرغم من ذلك فإن الرسول ﷺ ما كان لينسى أو ينشغل عن رد الأمانات إلى أهلها، حتى ولو كان فى أصعب الظروف التى تنسى الإنسان نفسه فضلاً عن غيره(١)، فقد أبى أن يخون من ائتمنه ولو كان عدواً يحرض عليه، ويؤذيه؛ لأن خيانة الأمانة من صفات المنافقين، ويتنزه عنها المؤمنون(٢).

٥- هذا الحديث العظيم فيه دلالة قاطعة على شجاعة على رضى الله عنه، فإنه يعلم وهو يقوم بتنفيذ ما أمر به أنه معرض لخطر عظيم؛ فقد يقتحمون عليه داره ويقتلونه دون أن يتثبتوا من هويته، وقد يباغتونه وهو خارج فى الصباح من غير أن يتبينوا من هو، والقوم يتربصون به طوال الليل يترقبون هذه اللحظة وقد بلغ منهم الجهد كل مبلغ، فأصبحوا غير قادرين على التأكد من شخصية الخارج من الدار، أهو محمد ﷺ أم رجل آخر؟ لابد أن ذلك كله قد دار فى عقل على لكنه بادر وسعد بالتنفيذ فهو أولاً: يحب الله ورسوله حبًا ملك عليه قلبه، فجعل سلامة رسول الله ﷺ هدفه الأسمى ولو كلفه ذلك التضحية بحياته، ثانيًا: هى عملية لابد منها لكى يخرج الرسول سالمًا من تدبير الأعداء حتى يتمكن من نشر الإسلام فى كل مكان، فالأمر إذن يتعلق بمصلحة الإسلام أولاً وثانيًا، وقد نام على رضى الله عنه فى فراش رسول الله ﷺ مع كل هذه التوقعات، وهذا دليل على عمق إيمانه بقضاء الله وقدره، فهو بحق مؤمن بقوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]. وإننا لنلمح فى اختيار رسول الله ﷺ لعلى -ليقوم بهذا الدور الخطير - ثقة تامة لا تعدلها ثقة، واطمئنانًا إلى قدرات خاصة امتاز بها على قد لا تتوافر فى غيره، فإنه لم يتردد حين دعاه الرسول ﷺ لينام على فراشه، وهو يعلم أنه ليس وراء ذلك إلا الموت الذى أعد له المشركون أشجع فتيان قريش ولم يسمح لنفسه أن يفكر فى العاقبة؛ لأنه يعلم أنه حين يكون فداء لرسول الله ينال بذلك شرفًا لا يناله بغير هذا الطريق(٣).

تاسعًا: هجرته:

لما أصبح على، رضى الله عنه، قام عن فراشه، فعرفه القوم وتأكدوا من نجاة رسول الله ﷺ، فقالوا لعلى: أين صاحبك؟ قال: لا أدرى، أو رقيبًا كنت عليه؟ أمرتموه بالخروج فخرج. وضاق القوم بتلك الإجابة الجريئة وغاظهم خروج رسول الله من بين أظهرهم،

(١) الهجرة فى القرآن الكريم: ص (٣٦٤). (٢) جولة تاريخية فى عصر الخلفاء الراشدين: ص (٤٢٣).
(٣) المصدر السابق نفسه: ص (٤٢٦).

وقد عموا عنه فلم يروه، فانتهروا عليًا وضربوه، وأخذوه إلى المسجد فحبسوه هناك ساعة، ثم تركوه[1]، وتحمل على ما نزل به فى سبيل الله، وكان فرحه بنجاة رسول الله أعظم عنده من كل أذى نزل به، ولم يضعف ولم يخبر عن مكان رسول الله ﷺ ، وانطلق على فى مكة يجوب شوارعها باحثًا عن أصحاب الودائع التى خلفه رسول الله من أجلها، وردها إلى أصحابها، وظل يرد هذه الأمانات حتى برئت منها ذمة رسول الله ﷺ ، وهناك تأهب للخروج ليلحق برسول الله ﷺ بعد ثلاث ليالٍ قضاهن فى مكة[2].

وكان على فى أثناء هجرته يكمن بالنهار فإذا جن عليه الليل سار حتى قدم المدينة، وقد تفطرت قدماه[3]، وهكذا يكون على رضى الله عنه، قد لاقى فى هجرته من الشدة ما لاقى، فلم تكن له راحلة يمتطيها، ولم يستطع السير فى النهار لشدة حرارة الشمس وفى مشى الليل ما فيه من الظلمة المفجعة والوحدة المفزعة، ولو أضفنا إلى ذلك أنه -رضى الله عنه- قد قطع الطريق على قدميه دون أن يكون معه رفيق يؤنسه، لعلمنا مقدار ما تحمله من قسوة الطريق ووعثاء السفر ابتغاء مرضاة الله -عز وجل- وأنه فى نهاية المطاف سيلحق برسول الله ﷺ ، ويستمتع بجواره آمنًا مطمئنًا فى المدينة، ولم يكد علىّ يقطع الطريق ويصل إلى المدينة حتى نزل فى بنى عمرو بن عوف على كلثوم بن الهدم، حيث كان ينزل رسول الله ﷺ [4]، وهكذا كانت هجرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب -رضى الله عنه- تضحية وفداء وتحملاً وشجاعة وإقدامًا.

وقد لاحظ سيدنا على مدة إقامته بقباء امرأة مسلمة لا زوج لها، ورأى إنسانًا يأتيها من جوف الليل، فيضرب عليها بابها، فتخرج إليه، فيعطيها شيئًا معه، فتأخذه، ولنستمع إليه رضى الله عنه وهو يحدثنا بالقصة حيث قال: فاستربت بشأنه، فقلت لها: يا أمة الله، من هذا الذى يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين إليه، فيعطيك شيئًا لا أدرى ما هو؟ وأنت امرأة مسلمة، لا زوج لك؟ قالت: هذا سهل بن حنيف بن وهب، قد عرف أنى امرأة لا أحد لى، فإذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها، ثم جاءنى بها فقال: احتطبى بهذا، فكان على رضى الله يؤثر ذلك من أمر سهل بن حنيف حتى هلك عنده بالعراق[5]. ونلاحظ صفة النباهة واليقظة التى لابد للمسلم أن يتحلى بها ولا يكون غافلاً عما يدور حوله.

---

(١) تاريخ الطبرى (٢/ ٣٧٤).

(٢) المصدر السابق نفسه (٢/ ٣٨٢)، البداية والنهاية (٧/ ٣٣٥)، جولة تاريخية: ص (٤٢٤).

(٣) الكامل (٢/ ١٠٦).

(٤) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٢)، السيرة لابن هشام (٢/ ١٢٩)، ذكره ابن إسحاق بدون إسناد، جولة تاريخية: (٤٢٥).

(٥) محمد رسول الله، صادق عرجون (٢/ ٤٢١).

المبحث الثالث

معايشة أمير المؤمنين على للقرآن الكريم وأثرها عليه فى حياته

أولاً: تصوره عن الله والكون والحياة والجنة والنار والقضاء والقدر:

كان المنهج التربوى تربى عليه على بن أبى طالب رضى الله عنه هو نفسه الذى خضع له كل الخلفاء الراشدين، والصحابة الكرام، فقد تربوا على القرآن الكريم، وكان المربى سيد الخلق أجمعين محمداً ﷺ، فقد حرص الحبيب المصطفى على توحيد مصدر التلقى وتفرده، وأن يكون القرآن الكريم وحده هو المنهج، مع ما يوحى إليه المولى عز وجل من الحكمة، ولقد تربى الفرد المسلم، والأسرة المسلمة، والجماعة المسلمة على العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق التى جاءت فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولقد كانت للآيات الكريمة التى سمعها على من رسول الله مباشرة أثرها فى صياغة شخصيته الإسلامية، فقد طهرت قلبه، وزكت نفسه، ونورت عقله، وتفاعلت معها روحه، فتحول إلى إنسان جديد بقيمه ومشاعره وأهدافه وسلوكه وتطلعاته(١).

فقد عرف على رضى الله عنه من خلال القرآن الكريم والتربية النبوية الراشدة من هو الإله الذى يجب أن يعبده، وكان النبى ﷺ يغرس فى نفسه معانى تلك الآيات العظيمة، فقد حرص ﷺ أن يربى أصحابه على التصور الصحيح عن ربهم وعن حقه عليهم، مدركًا أن هذا التصور سيورث التصديق واليقين عندما تصفى النفوس، وتستقيم الفطرة، فأصبحت نظرة على رضى الله عنه إلى الله والكون والحياة والنار، والقضاء والقدر، وحقيقة الإنسان، وصراعه مع الشيطان مستمدة من القرآن الكريم وهدى النبى ﷺ.

فالله سبحانه وتعالى منزه عن النقائص، موصوف بالكمالات التى لا تتناهى، فهو «واحد لا شريك له ولم يتخذ صاحبة ولا ولدًا».

وأنه سبحانه خالق كل شىء ومالكه ومدبره: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

(١) السيرة النبوية للصلابى (١/ ١٤٥).

وأنه تعالى مصدر كل نعمة فى هذا الوجود، دقت أو عظمت، ظهرت أو خفيت، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

وأن علمه محيط بكل شيء، فلا تخفى عليـه خافية فى الأرض ولا فى السماء، ولا ما يخفى الإنسان وما يعلن، وأنه سبحانه يقيد على الإنسان أعماله بواسطة ملائكته، فى كتاب لا يترك كبيـرة ولا صغيرة إلا أحصاها، وسينشـر ذلك فى اللحظة المناسبة والوقت المناسب ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

وأنه سبحـانه يبتلى عباده بأمور تخالف مـا يحبون وما يهوون ليعـرف الناس معادنهم، ومن منهم يرضى بقـضـاء الله وقدره، ويـسلم له ظاهرًا وباطنًا، فـيكون جـديرًا بالخلافـة والإمامة والسيادة، ومن منهم يغضب ويسخط فلا يساوى شيئًا، ولا يُسند إليه شيء ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢٠].

وأنه سبحـانه يوفق ويؤيد وينصر من لجأ إليه، ولاذ بحمـاه ونزل على حكمه فى كل ما يأتى وما يذر: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، وأنه سبحانه وتعالى حقه على العباد أن يعبدوه ويوحدوه ولا يشركوا به شيئًا ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦].

وأنه وحده المستحق للعبادة وهذا حق الله على العباد، كما قال تعلى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وأنه سبحانه حدد مضمون هذه العبودية، وهذا التوحيد فى القرآن الكريم(١).

وأما نظرته للكـون فقد اسـتمدها من قـول الله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۝١١ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩ - ١٢].

وأما هذه الحياة فمهـما طالت فهى إلى زوال، وأن متاعها مهمـا عظم فإنه قليل حقير، قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ

(١) منهج الرسول فى غرس الروح الجهادية: (١٠ - ١٦).

هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ [الكهف: ٤٦، ٤٧]، فعرف الله تعالى الإنسان المسلم حقيقة الحياة، وأنها ليست دار كرامة، وأن الآخرة خير وأبقى، وهى تهدى من تمكن حب الله ورسوله من قلبه على أن يقدم رضا الله ورسوله على ما سواه، ولو كان الثمن الدنيا وما فيها. وقد عبر عن هذه الحقيقة أمير المؤمنين على عندما قال: «يا دنيا غُرّى غيرى، إلىَّ تعرضت أم إلىَّ تشوقت، هيهات هيهات، قد باينتك ثلاثًا لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وخطرك قليل، آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق[1]».

وأما نظرته إلى الجنة فقد استمدها من خلال الآيات الكريمة التي وصفتها فأصبح حاله ممن قال الله فيهم ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦، ١٧].

وأما تصوره للنار فقد استمده من القرآن الكريم، فأصبح هذا التصور رادعًا له فى حياته عن أى انحراف عن شريعة الله، فيرى المتتبع لسيرة أمير المؤمنين على رضى الله عنه عمق استيعابه لفقه القدوم على الله عز وجل، وشده خوفه من عذاب الله وعقابه، وسيتضح كثير من هذه المعالم فى هذا الكتاب بإذن الله تعالى.

وأما مفهوم القضاء والقدر فقد استمده من كتاب الله وتعليم رسول الله ﷺ، فقد رسخ مفهوم القضاء والقدر فى قلبه، واستوعب مراتبه من كتاب الله تعالى، فكان على يقين بأن علم الله محيط بكل شىء ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١]، وأن الله قد كتب كل شىء كائن ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

وأن مشيئة الله نافذة وقدرته تامة ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، وأن الله خالق كل شىء ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وقد ترتب على الفهم الصحيح والاعتقاد الراسخ فى قلبه لحقيقة القضاء والقدر، ثمار نافعة ومفيدة، ظهرت فى حياته، وسنراها بإذن الله تعالى فى هذا الكتاب، وعرف من

(١) الاستيعاب (٣/١١٠٨).

خلال القـرآن الكريم حقيقـة نفسه وبنى الإنســان، وأن حقيقـة الإنسان ترجع إلى أصلين: الأصل البعيـد وهو الخلقة الأولى من طين، حين سواه ونفخ فـيه الروح، والأصل القريب وهو خلقه من نطفة[1]، فقال تعالى: ﴿الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٧ - ٩]، وعرف أن هذا الإنسان خلقه الله بيده، وأكرمه بالصورة الحسنة والقامة المعتدلة، ومنحه العقل والنطق والتمييز، وسخر الله له ما في الســماء والأرض، وفضله على كثـير من خلقه، وكرمـه بإرسال الرسل له، وأن من أروع مظاهر تكريم المولى عز وجل سبحانه للإنسان أن جعله أهلاً لحبه ورضائه ويكون ذلك باتباع الـنبى ﷺ الذى دعا الناس إلى الإسـلام لكى يحيوا حـياة طيـبة فى الدنيـا ويظفروا بالنعيم المقيم فى الآخـرة، قال تعالى:﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وعرف أمير المؤمنين على رضى الله عنه حقـيقة الصراع بين الإنسان والشيطان، وأن هذا العـدو يأتى للإنســان من بين يـديه ومن خلفـه، وعن يمـينه وعن شـمـاله، يوسـوس له بالمعصية، يستثير فيه كوامن الشهوات، فكان مستعينًا بالله على عدوه إبليس منتصرًا عليه فى حياته، كـما سنرى فى سيرته، وتعلم من قصـة آدم مع الشيطان فى القرآن الكريم، أن آدم هو أصل البشر، وأن جـوهر الإسلام الطاعة المطلقة لله، وأن الإنسان له قـابلية للوقوع فى الخطيئة، وتعلم من خطيئة آدم ضرورة توكل المسلم على ربه، وأهمية التوبة والاستغفار فى حياة المؤمن، وضرورة الاحـتراز من الحسد والكبر وتقديم مرضاة الله سـبحانه وتعالى على كل ما سواه، وأهمية التخاطب بأحـسن الكلام مع إخوانه من الصحابة، قال تعالى:﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا الَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣]. وسار على منهج رسول الله فى تزكية أصحابه لأرواحهم، وتطهير قلوبهم بأنواع العبادات، وتربيتهم على التخلق بأخلاق القرآن الكريم.

ثانيًا: مكانة القرآن الكريم عنده:

عاش أميـر المؤمنين على رضى الله عنه حياته مع القـرآن تلاوة وحفظًا وفهمًـا وعملاً، وكان يقول: «من قرأ القرآن فمات فدخل النار فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزوًا»[2]، وكان

(١) أصول التربية للنحلاوى: ص (٣١).

(٢) المستطرف (١/ ٢٩)، فرائد الكلام: ص (٣٧٥).

يقول: «طوبى لهؤلاء كانوا أحب الناس إلى رسول الله ﷺ»[1]، وكان يقول: «ما كنت أرى أحدًا يعقل ينام قبل أن يقرأ الآيات الثلاث الآواخر من سورة البقرة»[2]، أى أهل القرآن، وقال يصف القرآن الكريم ويبين عظيم قدره: «كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، وهو الحبل المتين وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسن، ولا تنقضى عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدى إلى صراط مستقيم»[3].

ولشدة اهتمام أمير المؤمنين على بالقرآن حصل على علم كبير به وبعلومه، فقد روى عنه أنه قال: «والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت، وأين نزلت، وعلى من نزلت، إن ربى وهب لى قلبًا عقولاً ولسانًا صادقًا ناطقًا»[4]، وقد قال رضى الله عنه: «سلونى عن كتاب الله، فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم نهار، وفى سهل أم فى جبل»[5]، ويرى ابن عبد البر أن عليًا رضى الله عنه كان ممن جمع القرآن الكريم على عهد رسول الله وهو حى[6]، وقد قال فى آخر عهده: «سلونى قبل أن تفقدونى»[7]. وكان ذلك عندما مات أكثر علماء الصحابة، وكان رضى الله عنه بالعراق، فكان من حرصه على تعليم الناس القرآن الكريم والهدى النبوى الشريف فى قوم كثر فيهم الجهل ولا يعرفون الكثير من أحكام الدين، فكان رضى الله عنه يحرص على تعليمهم وإرشادهم للحق، فقد كان أعلم أهل زمانه، وهذا نموذج للعالم الربانى الذى يحرص على تعليم الناس الخير وتربيتهم عليه.

ثالثًا: ما نزل فيه من القرآن الكريم:

كان القرآن الكريم ينزل على رسول الله يعالج أحداثًا واقعية حصلت فى المجتمع النبوى الكريم، فيثنى على عمل ما، ويشيد بأقوام، ويحذر من آخرين، وينبه على بعض

(١) التبيان فى آداب حملة القرآن: ص (٤٦)، فرائد الكلام: ص (٣٩٠).

(٢) التبيان فى آداب حملة القرآن: ص (٦٦)، فرائد الكلام: ص (٣٨٧).

(٣) فضائل القرآن لابن كثير: ص (١٥) موقوف على أمير المؤمنين علىّ.

(٤) الطبقات لابن سعد (٢/٣٣٨)، تاريخ الخلفاء للسيوطى: ص (١٥٢).

(٥) الصواعق المحرقة (٢/ ٣٧٥)، الطبقات (٢/٣٣٨).

(٦) الاستيعاب (٣/ ١١٣٠)، وجمع القرآن الكريم أى حفظه عن ظهر قلب.

(٧) منهاج السنة (٨/٥٧، ٥٨).

الأخطاء، وقد نزلت بعض الآيات التى خلدت بعض المآثر لأمير المؤمنين وبعض الصحابة رضى الله عنهم أجمعين.

١ - منها قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ١٩- ٢٣]. روى البخارى بسنده عن على بن أبى طالب أنه قال: «أنا أول من يجثو بين يدى الرحمن للخصومة يوم القيامة»، وقال قيس بن عبادة: فيهم نزلت ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ قال: هم الذين تبارزا يوم بدر، حمزة وعلى وأبو عبيدة بن الحارث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة(١).

٢ - وهو أحد من نزل فيهم قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]. وذلك فى وفد نجران حينما جادلهم النبى ﷺ فى عيسى ابن مريم، وأنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى أمه الطاهرة، فأجابته، وكذبهم فى أنه الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة، ودعاهم إلى الإسلام، فأبوها فدعاهم إلى المباهلة، فعن عامر بن سعد بن أبى وقاص قال: ولما نزلت: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله عليًا، وفاطمة، وحسنًا وحسينًا رضى الله عنهم فقال: اللهم هؤلاء أهلى(٢).

٣ - موافقة القرآن له فى كون الجهاد أفضل من عمارة المسجد الحرام: ففى الصحيح أن رجلاً قال: لا أبالى ألا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام، فقال على بن أبى طالب: «الجهاد فى سبيل الله أفضل من هذا كله»، فقال عمر بن الخطاب «لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ، ولكن إذا قضيت الصلاة سألته عن ذلك، فسأله، فأنزل الله هذه الآية: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ

(١) البخارى رقم (٣٩٦٥).
(٢) مسلم (٤/ ١٨٧١) ٤٢٥، (١/ ١٧١).

رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ١٩ - ٢٢]. فبين لهم أن الإيمان والجهاد أفضل من عمارة المسجد الحرام والحج والطواف ومن الإحسان إلى الحجاج(١).

٤ - شفقته على أمة محمد ﷺ: عن علي رضي الله عنه، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ [المجادلة: ١٢] قال النبي ﷺ لعلي: مرهم أن يتصدقوا، قال: يا رسول الله، بكم؟ قال: بدينار، قال: لا يطيقونه. قال: بنصف دينار. قال: لا يطيقونه، قال: فبكم؟ قال: بشعيرة(٢)، قال: فقال النبي ﷺ لعلي: إنك لزهيد: قال: فأنزل الله: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [المجادلة: ١٢]. قال: فكان علي يقول: فبي خفف الله عن هذه الأمة(٣).

رابعًا: تبليغه تفسير رسول الله لبعض آيات القرآن الكريم:

استفاد علي رضي الله عنه من تفسير رسول الله ﷺ، وبلغ ما تعلم من رسول الله للناس وإليك بعض الأمثلة على ذلك:

(أ) قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢]: عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ قال: شكركم أنكم تكذبون؛ مُطرنا بنوء كذا وكذا، بنجم كذا وكذا(٤).

(ب) فكل ميسر لما خلق له: عن علي -رضي الله عنه- قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: «ما منكم من أحد، من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، ألا وقد كتبت شقية أو سعيدة»، فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل

(١) الفتاوى (٨/ ١٦٦). (٢) بشعيرة: وزن شعيرة من ذهب.

(٣) رواه الترمذي رقم ٣٢٩٧ وقال: حسن غريب وضعفه الألباني في ضعيف موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان: ص (١٢٧، ١٢٨).

(٤) الموسوعة الحديثية رقم ٨٤٩ حسن لغيره.

الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة، فقال: «اعملوا فكل ميسر، أما أهل السعادة فسييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فسييسرون إلى عمل أهل الشقاوة»، ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ :[الليل: ٥: ١٠][(١)]، وفي رواية: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ فمن كان منا من أهل السعادة سيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة سيصير إلى عمل أهل الشقاوة[(٢)].

وفي رواية في الصحيحين عن علي قال: كان رسول الله ﷺ ذات يوم وفي يده عود ينكت به فرفع رأسه فقال: **ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار**. فقالوا: يا رسول الله فلمَ نعمل؟، أو لا نتكل؟، قال: **لا.. اعملوا، فكل ميسر لما خلق له** ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾[(٣)] [الليل: ٥ - ١٠]. فقد أخبر النبي ﷺ في هذه الأحاديث وغيرها بما دل عليه القرآن الكريم من أن الله - سبحانه وتعالى - تقدم علمه وكتابه وقضاؤه بما سيصير إليه العباد من السعادة والشقاوة كما تقدم علمه وكتابه بغير ذلك من أحوال العباد وغيرهم[(٤)]، قد بين النبي ﷺ أن ذلك لا ينافي وجود الأعمال التي بها تكون السعادة أو الشقاوة، وأن من كان من أهل السعادة فإنه ييسر لعمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فإنه ييسر لعمل أهل الشقاوة، وقد نهى أن يتكل الإنسان على القدر السابق ويدع العمل، ولهذا كان من اتكل على القدر السابق وترك ما أمر به من الأعمال هو من الأخسرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وكان تركهم لما يجب عليهم من العمل من جملة المقدور الذي يسروا به لعمل أهل الشقاوة، فإن أهل السعادة هم الذين يعملون المأمور ويتركون المحظور، فمن ترك العمل الواجب الذي أمر به وفعل المحظور متكلاً على القدر، كان من جملة أهل الشقاوة والميسرين لعمل أهل الشقاوة، وهذا الجواب الذي أجاب به النبي ﷺ وتعلمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأصحاب النبي في غاية السداد والاستقامة[(٥)].

(١) البخاري رقم (١٣٦٢).
(٢) البخاري رقم (٦٦٠٥).
(٣) البخاري رقم (٦٦٠٥)، الفتاوى (٨/ ١٦٥).
(٤) الفتاوى (٨/ ١٦٦).
(٥) مصنف عبد الرزاق (١٧٤٤).

خامسًا: الأصول والأسس التى سار عليها أمير المؤمنين على فى استنباط الأحكام من القرآن الكريم وفهم معانيه:

كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه على مبلغ كبير من العلم بالقرآن وعلومه، وقد جعله هذا العلم بالقرآن الكريم يعتقد أن القرآن فيه جميع الأحكام الشرعية إما صراحة أو ضمنًا، فكان يقول بصدد ذلك: «إن الله لم يك نسيًا»(١)، ولذلك كان كثيرًا ما يحتج بالقرآن ويتلو الآية التى يستند إليها لبيان الحكم الشرعى وكانت طريقته فى الاستنباط كالآتى:

١ - **الالتزام بظاهر القرآن الكريم**: كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يلتزم أحيانًا بظاهر القرآن الكريم حين لا يرى قرينة تقتضى صرفه عن ظاهره، فإنه كان يتوضأ لكل صلاة ويقرأ هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ....﴾(٢) [المائدة: ٦]؛ لأن ظاهرها يدل على الوضوء عند إرادة الصلاة كل مرة. وأوجب الصوم على المقيم إذا أدركه الصوم ثم سافر، فقال: من أدركه الصوم وهو مقيم ثم سافر لزمه الصوم؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥](٣)، ورأى عدم تحريم إرضاع الكبير؛ لأنه ليس ضمن حولى الرضاعة استنادًا إلى ظاهر آية الرضاعة، حيث روى عنه أنه قال فى قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، الرضاعة سنتان فما كان من رضاع فى الحولين حرم، وما كان بعد الحولين فلا يحرم(٤)، وحمل القرآن الكريم على ظاهره فى مكان آخر حيث حكم ببراءة امرأة اتهمت بالزنا لأنها ولدت بعد ستة أشهر من زواجها، فجمع بين قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] وقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]. فقال: الحمل ستة أشهر والفصال أربعة وعشرون شهرًا(٥)، أى أنه طرح مدة الرضاعة وهى السنتان من مجموع مدة الرضاعة والحمل وهى ثلاثون شهرًا فبقيت ستة أشهر، فجمع بين ظاهر كلتا الآيتين وحكم بهما(٦).

٢ - **حمل المجمل على المفسر**: المجمل هو ما خفى مراده بحيث لا يدرك إلا ببيان يرجى(٧)، والمفسر: هو ما ظهر المراد منه دون الحاجة إلى بيان(٨)، وقد حمل مجمل القرآن

(١) مصنف عبد الرزاق (١٧٤٤).
(٢) تفسير القرطبى (٢/ ٨٠).
(٣) فقه الإمام على (١/ ٤٥).
(٤) المجموع للنووى (٨/ ٢١٣).
(٥) مصنف عبد الرزاق (١٢٤٤٣)، فقه الإمام على (١/ ٤١).
(٦) فقه الإمام على (١/ ٤٦).
(٧) مرآة الأصول فى شرح مرقاة الوصول: ص (١٩٧).
(٨) المصدر نفسه: ص (١٩١).

فى قوله تعالى: ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥] على مفسره فى مواضع أخرى، حيث ورد أنه سأل رجل عليا عن الهدى مما هو؟ فقال: من الثمانية أزواج، فكأن الرجل شك، فقال له على: أتقرأ القرآن؟ قال: نعم، قال: فهل سمعت قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ﴾ [المائدة: ١]. قال: نعم، قال: فهل سمعته يقول: ﴿لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٣٤] قال: ﴿وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٤٢]، قال: فسمعت الله يقول: ﴿مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٤٣) وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣، ١٤٤]. قال: نعم، فهل سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥]. فقال الرجل: نعم، قال: فقتلت ظبيًا فماذا علىَّ؟ قال: هديًا بالغ الكعبة[1].

٣ - حمل المطلق على المقيد فى القرآن الكريم: المطلق: هو ما دل على الماهية بلا قيد، والمقيد هو ما قيد لفظا بأى قيد[2]، ولقد حمل أمير المؤمنين على مطلق القرآن على مقيده فى استنباط الحكم، إذ حمل مطلق الأمر بالقطع فى آية السرقة على مقيده فى آية المحاربة بعدم القطع إلا مرتين، وعدم قطع أكثر من يد ورجل عند تكرار السرقة، فإذا سرق مرة قطعت يده اليمنى، وإذا سرق قطعت رجله اليسرى عند على، فإن زاد وسرق مرة ثالثة ورابعة لم يزد على ذلك، ويعزره بدل القطع لأنه حمل قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨] على آية المحاربة ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ﴾ [المائدة: ٣٣]. وقال: إن الله لم يزد على قطع يد ورجل فى آية المحاربة، ولذلك كان يعاقب مثل هذا بالسجن[3]. فعن الشعبى قال: كان على لا يقطع إلا اليد والرجل، وإن سرق بعد ذلك سُجن ونكل، وإنه كان يقول: إنى لأستحيى من الله أن لا أدع له يدًا يأكل بها ويستنجى[4].

(١) الدار المنثور (٣/ ١٣).

(٢) جمع الجوامع بشرح المحلى (٢/ ٧٩)، فقه الإمام على (١/ ٤٧).

(٣) فقه الإمام على (١/ ٤٧)، مصنف عبد الرزاق ٢١٨٧٤.

(٤) مصنف عبد الرزاق ١٨٧٦٤، فقه الإمام على (٢/ ٨١٨).

٤ - العلم بالناسخ والمنسوخ: النسخ، هو رفع الحكم الشرعى بخطاب متأخر[١]، ويقول الزركشي: قال الأئمة: ولا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ[٢]، وعلى هذا المعنى يؤكد أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه، وذلك عندما عاتب قاصًا بقوله: أتعرف الناسخ والمنسوخ؟ قال: لا، قال: هلكت وأهلكت[٣].

٥ - النظر في لغة العرب: ومن منهج أمير المؤمنين على فى فهم القرآن الكريم النظر فى لغة العرب، كما فهم من قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] أن المراد بالأقراء الحيض، فلا تنقضى العدة حتى تطهر من الحيضة الثالثة[٤]، لذا قال على رضى الله عنه عن المطلقة: لا تحل لزوجها الرجعة عليها حتى تغتسل من الحيضة الثالثة[٥]، والقروء فى كلام العرب جمع قرء، وهو الحيض، والقرء أيضًا الطهر، وأقرأت المرأة: حاضت، وأقرأت: اطَّهَّرت[٦].

ومن ذلك فهمه رضى الله عنه من قوله تعالى: ﴿أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [النساء: ٤٣]، اللمس هو الجماع فقد قال: اللمس هو الجماع، ولكن الله كنى عنه[٧]، وحمل المس فى قوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [البقرة: ٢٣٧] على الخلوة، فقال: المراد بالمس هنا الخلوة[٨]، فأوجب الصداق كله بالخلوة[٩]، وقد قال: إذا أرخى سترًا على امرأته وأغلق بابًا وجب الصداق والعدة[١٠].

٦ - فهم النص بنص آخر: ومن ذلك ما فهمه أمير المؤمنين على رضى الله عنه من قوله: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ [النساء: ١٤١] أن ذلك يكون يوم القيامة، اعتمادًا على قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [النساء: ١٤١]. وذلك لما جاءه رجل يسأله كيف هذه الآية ﴿لَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ فقال على رضى الله عنه: ادنه، ادنه، فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على

(١) فقه الإمام على (١/ ٤٨).
(٢) البرهان فى علوم القرآن (٢/ ٢٩).
(٣) أبو خيثمة، ك العلم ص (٣١) تحقيق الألبانى وقال: إسناده صحيح.
(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٢٧١).
(٥) الدر المنشور (١/ ٢٣٤).
(٦) الصحاح للجوهرى (١/ ٦٤) مادة (قرأ).
(٧) فقه الإمام على (١/ ٤٨)، الفصول فى الأصول للجصاص (١/ ٢٠٣).
(٨) الفصول فى الأصول (١/ ٢٠٢).
(٩) فقه الإمام على (١/ ٤٨) أى خلوة الرجل بزوجته.
(١٠) مصنف بن أبى شيبة (٤/ ٣٣٤)، فقه الإمام على (٢/ ٥٣١).

المؤمنين سبيلاً(١)، ومنه ما فهمه من قوله تعالى: ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾[الطور: ٥]، بأنه السماء لما رواه ابن جرير وذكره ابن كثير عن على ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ يعنى السماء. قال سفيان: ثم تلا... ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾[الأنبياء: ٣٢].

ومن ذلك أيضًا ما فهمه من قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾[البقرة: ٢٣٨]، أن الصلاة الوسطى هى صلاة العصر، معتمدًا فى ذلك على نص من حديث رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «**شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارًا**»(٢)، ومن هذا الباب أيضًا ما ورد فى فهمه لقوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾[النساء: ٣١]. فعن سهل بن أبى خيثمة عن أبيه قال: إنى لفى هذا المسجد -مسجد الكوفة - وعلى رضى الله عنه يخطب الناس على المنبر يقول: يا أيها الناس، الكبائر سبع، فأصاخ الناس، فأعادها ثلاث مرات، ثم قال: لم لا تسألونى عنها؟ قالوا: يا أمير المؤمنين ما هى؟ قال: «الإشراك بالله، وقتل النفس التى حرم الله، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والفرار يوم الزحف، والتعرب(٣) بعد الهجرة(٤). وهذا الفهم مبنى على حديث رسول الله ﷺ الذى قال فيه: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»(٥). قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**»(٦)، وهذا يدخل ضمن منهج أمير المؤمنين على فى تفسير القرآن الكريم بالسنة.

٧ - **السؤال عن مشكله**: ومن منهج أمير المؤمنين على رضى الله عنه فى فهم القرآن الكريم سؤاله عما أشكل عليه فيه، ومن ذلك سؤاله لرسول الله ﷺ عن يوم الحج الأكبر فى قوله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ﴾ [التوبة: ٣]. فقد قال: سألت النبى ﷺ عن يوم الحج الأكبر فقال: **يوم النحر**(٧)، وبين أمير المؤمنين على بن أبى

---

(١) تفسير ابن جرير، إسناده صحيح، (٩/ ٣٢٧). (٢) مسلم (١/ ٤٣٧).

(٣) أن يهاجر الرجل، حتى إذا وقع سهمه فى الفىء، ووجب عليه الجهاد، خلع ذلك من عنقه، فرجع أعرابيًا كما كان.

(٤) تفسير الطبرى (٥/ ٢٥). (٥) الموبقات: جمع موبقة وهى المهلكة.

(٦) البخارى، كتاب الوصايا رقم (٢٧٦٦).

(٧) سنن الترمذى رقم (٩٧٠) وصححه الألبانى(١/ ٢٨٢).

طالب رضى الله عنه هذا المنهج فيما يرويه عن رسول الله ﷺ، قال: قلت: يا رسول الله، إنا نزل بنا أمر ليس فيه بيان أمر ونهى، فما تأمرنا؟ قال: **شاوروا الفقهاء والعابدين، ولا تمضوا فيه خاصة**[1].

٨ - **العلم بمناسبة الآيات:** إن العلم بالمناسبة التى نزلت فيها الآيات، والسبب الداعى لذلك؛ يفيد فى إدراك معنى الآية، واستنباط الحكم منها، لأن بيان النزول طريق قوى فى فهم معانى الكتاب العزيز[2]، ولقد بلغ أمير المؤمنين على رضى الله عنه مبلغًا فى العلم بأسباب نزول الآيات، كما يقول عن نفسه حاثًا على سؤاله عن كتاب الله: «سلونى، سلونى، سلونى عن كتاب الله تعالى، فوالله، ما من آية إلا وأنا أعلم أنزلت بليل أو نهار[3]»، وفى رواية: «والله ما أنزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت، وأين نزلت»[4].

٩ - **تخصيص العام:** العام، هو اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بوضع واحد دفعة واحدة من غير حصر[5]، وقاعدة العموم، كل لفظ عام باق على عمومه حتى يرد التخصيص[6]، وقد يرد من الشارع ما يدل على قصر العام على بعض أفراده وهذا هو تخصيص العام[7].

وقد ورد عن على رضى الله عنه ما يفيد قوله بتخصيص العموم، فقد سئل رضى الله عنه عن رجل له أمتان أختان وطئ إحداهما ثم أراد أن يطأ الأخرى قال: لا.. حتى يخرجهما من ملكه[8]، وعن ابن الكواء سأل عليًا عن الجمع بين الأختين فقال: حرمتهما آية وأحلتهما آية أخرى، ولست أفعل أنا ولا أهلى.[9] وقصد أمير المؤمنين على بالآية التى حرمتهما هى قوله تعالى: ﴿**وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ**﴾ [النساء: ٢٣] وبالتى أحلتهما هى قوله تعالى: ﴿**إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ**﴾ [المؤمنون: ٦] فهاتان الآيتان بينهما عموم وخصوص، إذ خصص عموم التمتع بملك اليمين بخصوص عدم جواز الجمع بين الأختين[10].

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط: ص (٦٦)، منهج على بن أبى طالب فى الدعوة إلى الله: ص (٧٨).
(٢) المصدر السابق: ص (٧٩). (٣) الإصابة (٢/ ٥٠٠).
(٤) الطبقات (٢/ ٣٣٨).
(٥) تيسير علم أصول الفقه، عبد الله الجُديع: ص (٢٦٢). (٦)، (٧) المصدر نفسه: ص (٢٦٩).
(٨) فقه الإمام على (١/ ٥٦٠) نقلاً عن مصنف ابن أبى شيبة. (٩) المصدر نفسه (٢/ ٥٦٠).
(١٠) الأحكام للآمدى (٢/ ٤٤٥)، روضة الناظر (٢/ ١٢٩).

ومنها أنه حكم فى عدة الحامل المتوفى عنها زوجها بأن تعتد أبعد الأجلين، فقال: عدتها أبعد الأجلين[1]، أى أنه خص عموم الآيتين ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]، و﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]، فالحامل المتوفى عنها زوجها إذا وضعت حملها قبل الأربعة الأشهر والعشرة الأيام فإنها تكمل المدة ولا تعمل بعموم الآية الثانية؛ لأن الأولى تخصصها، وإن أكملت المدة فلا تنقضى عدتها إلا بوضع الحمل؛ لأن عموم الآية الأولى مخصص بالثانية، فكل من الآيتين عام فى وجه، وخاص فى وجه آخر، تخصص إحداهما الأخرى عند على، ولعله عمل بالاحتياط جمعًا بين الآيتين[2]، ولكن الراجح أن عدتها وضع الحمل فى كلتا الحالتين، فقد صح عن عبد الله بن عتبة أن سبيعة بنت الحارث أخبرته أنها كانت تحت سعد بن خولة، وكان ممن شهد بدرًا، فتوفى عنها فى حجة الوداع وهى حامل، فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته، فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل، فقال لها: مالى أراك متجملة؟ لعلك ترجين النكاح؟ إنك والله ما أنت بنكاح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر. قالت سبيعة: فلما قال لى ذلك جمعت علىَّ ثيابى حين أمسيت فأتيت رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك فأفتانى بأنى قد حللت حين وضعت حملى وأمرنى بالتزوج إن بدا لى[3].

ولعل عليًا قال بذلك لعدم بلوغه حديث سبيعة وإلا فلا يخالف علىٌّ الصحيح الثابت عن النبى ﷺ[4].

١٠ - معرفة عادات العرب ومن حولهم: ولمعرفة طبيعة وعادات العرب ومن حولهم من اليهود والنصارى وقت نزول القرآن دور كبير فى فهم القرآن الكريم، وعلى رضى الله عنه عاش فى ذلك الزمان، وعرف الكثير من العادات التى نهى عنها القرآن، أو تلك التى أقرها، ومن أمثلة هذا الفهم ما رواه ابن أبى حاتم: لما نافر ابن وائل أبا الفرزدق، فعقر كل واحد منهما مائة من الإبل، فخرج علىٌّ على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء وهو ينادى: «يا أيها الناس لا تأكلوا من لحومها، فإنها أهل بها لغير الله» فعلى رضى الله عنه عرف من عادات العرب فى وقته أن مثل هذه المنافرة ليست لله وإنما هى للشيطان، فلذلك نهى عنها

(١) الفصول فى الأصول للجصاص (٦/ ١٠٦).
(٢) فقه الإمام على (١/ ٥٠).
(٣) مسلم رقم (١٤٨٤).
(٤) فقه الإمام على (٢/ ٦١٧).

مستـدلاً بقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾(1) [المائدة: ٣].

١١ – قوة الفهم وسعة الإدراك: وقوة الفهم وسعة الإدراك من المزايا التى امتاز واشتهر بها على رضى الله عنه، والأمثلة التـى تدل على هذا كثيرة جـدًا نذكر منها مـا رواه ابن جرير قال: نادى رجل من الخوارج عليًا رضى الله عنه وهو فى صلاة الفجر، فقال:﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، فأجابه على رضى الله عنه وهو فى الصلاة ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦](2).

هذه بعض الأصـول والأسس التى سـار عليـهـا أميـر المؤمنيـن على رضى الله عنه فى استـنباط الأحكام من القـرآن الكريم وفهم مـعانيـه، وهى ترشد مـحبـيه وأبناء المسلمـين المخلصين فى كيفية التعامل مع كتاب الله سبحانه وتعالى.

سادسًا: تفسير أمير المؤمنين على لبعض الآيات الكريمة:

١ – الذاريات: عن الثورى عن حبيب بن أبى صابت عـن أبى الطفيل قال: سمعت ابن الكواء يسـأل على بن أبى طالب عن الذاريات ذروًا قـال: الرياح، وعن الحـاملات وقـرًا، قال: السحاب، وعن الجاريات يسـرًا، قال: السفن، وعن المدبرات أمرًا قال: الملائكة(3)، وصححه الحاكم من وجه آخر عن أبى الطفيل.

وقد أطنب الطبرى فى تـخريج طرقه إلى على(4)، وأخرجه عبـد الرزاق من وجه آخر عن أبى الطفيل قال: شـهدت عليًا وهو يخطب وهو يقول: سلونـى.. وسلونى عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم فى سـهل أم فى جبل. فقال ابن الكواء -وأنا بينه وبين على وهو خلفى- فـقال: ما الذاريات ذروًا؟ فـذكر مثله وقال فـيه: ويلك سل تفقهًا ولا تسأل تعنتًا وفيه سؤال عن أشياء غير هذا(5).

(١) تفسـير أمـير المؤمنين على بن أبى طالب، فـهد بن عبـد العزيز الفـاضل، رسالة علمـية جامـعيـة لم تنشر (١/ ٣٠).

(٢) تفسير الطبرى (٢١/ ٥٩).

(٣) الخلافة الراشدة، يحيى اليحيى: ص (٤٨٦).

(٤) الدر المنثور (٧/ ٦١٤)، المستدرك (٢/ ٤٦٧)، تفسير الطبرى (٢٦/ ١٨٥-١٨٨).

(٥) الخلافة الراشدة، اليحيى: ص (٤٨٦).

٢ - **قوله تعالى:** ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾[التكوير: ١٥]: روى سعيد بن منصور بإسناد حسن عن علي قال: هن الكواكب تكنس بالليل وتخنس بالنهار فلا ترى[١].

٣ - **بكاء الأرض على العبد الصالح:** قال علي رضي الله عنه: إذا مات العبد الصالح بكي عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء والأرض، ثم قرأ ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾[الدخان: ٢٩].

٤ - **الخشوع في القلب وأن تلين كنفك للمرء المسلم:** سئل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[المؤمنون: ٢]، قال: الخشوع في القلب، وأن تُلين كنفك للمرء المسلم ولا تلتفت في صلاتك[٢].

٥ - **خليلان مؤمنان، وخليلان كافران:** سئل أمير المؤمنين رضي الله عنه عن قول الله تعالى: ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾[الزخرف: ٦٧]. قال: خليلان مؤمنان وخليلان كافران، فمات أحد المؤمنين، فبشر بالجنة فذكر خليله المؤمن، قال: فيقول: يا رب! إنَّ خليلي فلانًا كان يأمرني بالخير وينهاني عن الشر، فيأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويخبرني أني ملاقيك، فلا تُضله بعدي واهده كما هداني، وأكرمه كما أكرمني، فإذا مات جمع بينهما في الجنة، ويقال لهما: ليُثنِ كل واحد منهما على صاحبه فيقول: اللهمّ كان يأمرني بالخير وينهاني عن الشر، فيأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويُخبرني أني ملاقيك، فنعم الأخ والخليل والصاحب، قال: ثم يموت أحد الكافرين، فيُبشر بالنار، فيذكر خليله، فيقول: اللهمّ خليلي فلان كان يأمرني بالشر، وينهاني عن الخير، ويأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك، ويخبرني أني غير ملاقيك، اللهمّ فأضله كما أضلَّني، فإذا مات جمع بينهما في النار، فيقال ليُثنِ كل واحد منكما على صاحبه قال فيقول: اللهمّ كان يأمرني بالشر وينهاني عن الخير ويأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك، ويخبرني أني غير ملاقيك، فبئس الأخ والخليل والصاحب[٣].

٦ - **الزهد بين كلمتين من القرآن:** قال رضي الله عنه: الزهد كله بين كلمتين من القرآن الكريم: قال سبحانه: ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[الحديد: ٢٣]. ومن لم ييأس على الماضي، ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه[٤].

(١) الخلافة الراشدة، اليحيى: ص (٤٨٧)، الفتح (٨/ ٥٦٣).
(٢) الزهد لابن المبارك: ص (٤٠٣) رقم (١١٤٨).
(٣) الزهد لابن المبارك رقم (٣٦٨).
(٤) رسالة المسترشدين: ص (٢٢٤)، فرائد الكلام: ص (٣٧٦).

٧ - أمير المؤمنين على رضى الله عنه وتدبره فى الصلاة: بيَّن أمير المؤمنين رضى الله عنه استحباب المصلى إذا مر بآية رحمة أن يسأل الله تعالى منها، وإذا مر بآية عذاب أن يستعيذ بالله تعالى، فعن عبد خير الهمدانى قال: سمعت على بن أبى طالب قرأ فى صلاة ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى**﴾ فقال: سبحان ربى الأعلى(١).

وعن حجر بن قيس المدرى قال: بت عند أمير المؤمنين على بن أبى طالب، فسمعته وهو يصلى من الليل يقرأ فمر بهذه الآية: ﴿**أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ**﴾ قال: بل أنت يا رب ثلاثًا، ثم قرأ ﴿**أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ**﴾، قال: بل أنت يا رب ثلاثًا، ثم قرأ ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ**﴾ قال: بل أنت يا رب ثلاثًا، ثم قرأ ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ**﴾ قال: بل أنت يا رب ثلاثًا(٢).

٨ - قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

قال على رضى الله عنه: المال والبنون حرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة، وقد يجمعهما الله لأقوام(٣).

---

(١) المحلى (٤/ ١١٨)، السنن الصغرى (١/ ١٤٦).

(٢) الدر المنثور للسيوطى (٨/ ٢٢، ٢٣).

(٣) تفسير أمير المؤمنين على، لفهد بن عبد العزيز الفاضل (٢/ ٦٦١) رسالة جامعية لم تنشر.

المبحث الرابع

ملازمته لرسول الله ﷺ

كان على رضى الله عنه واحدًا من المكيين الذين قرأوا وكتبوا فى مجتمعهم الأمى، وهذا دليل على حبه للعلم وشغفه به منذ صغره، وقد وفقه الله تعالى أن يعيش منذ طفولته فى بيت رسول الله ﷺ، فتربى على يديه وزادت عناية رسول الله به بعد إسلامه، فكان رسول الله ﷺ الرافد القوى الذى أثر فى شخصيته وصقل مواهبه وفجر طاقته، وهذب نفسه، وطهر قلبه ونوّر عقله، وأحيا روحه، فقد لازم رسول الله ﷺ فى مكة والمدينة، وقد كان حريصًا على التتلمذ على يدى رسول الله ﷺ، الذى كان يربى أصحابه على القرآن الكريم، فقد كان هو الينبوع المتدفق الذى استمد منه على رضى الله عنه علمه وتربيته وثقافته، وقد كان النبى ﷺ تنزل عليه الآيات منجمة على حسب الوقائع والأحداث، وكان يقرؤها على أصحابه الذين وقفوا على معانيها وتعمقوا فى فهمها، وتأثروا بمبادئها، وكان له أعمق الأثر فى نفوسهم وعقولهم وقلوبهم وأرواحهم، كما كان على رضى الله عنه واحدًا من الذين تأثروا بالتربية القرآنية على يدى رسول الله ﷺ وتشرّب تعاليمه وتوجيهاته النبوية، وقد اهتم على رضى الله عنه منذ أسلم بحفظ القرآن الكريم وفهمه وتأمله، وظل ملازمًا للرسول ﷺ يتلقى عنه ما أنزل عليه حتى تم له حفظ جميع آياته وسوره، لقد حصل على رضى الله عنه ببركة صحبته لرسول الله ﷺ وتربيته على يديه خيرًا كثيرًا، وأصبح من الخلفاء الراشدين فيما بعد، فقد حرص على التبحر فى الهدى النبوى الكريم فى غزواته وسلمه، وأصبح لعلى رضى الله عنه علم واسع ومعرفة غزيرة بالسنة النبوية المطهرة، فقد استمد من رسول الله علمًا وتربية ومعرفة بمقاصد هذا الدين العظيم، وقد جمع بين رسول الله وبين على حب شديد، والحب عامل مهم فى تهيئة مناخ علمى ممتاز بين المعلم وتلميذه، يأتى بخير النتائج العلمية، والثقافية، لما له من عطاء متجدد، وعلى رضى الله عنه قد أحب رسول الله ﷺ حبًا جمًا، وتعلق فؤاده به، وقدم نفسه فداء له، وتضحية فى سبيل نشر دعوته.

أولاً: أمير المؤمنين ومقام النبوة:

أوجب الله سبحانه وتعالى على الثقلين -الإنس والجن- الذين أدركتهم رسالة النبى ﷺ، أن يؤمنوا بالنبى ﷺ وبما جاء به، كما شهدت بذلك نصوص الكتاب العزيز، كما أكد

الله وجوب الإيمان بنبيه بأن جعله مقترنًا بالإيمان به سبحانه وتعالى فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم منها:

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال ﷺ: «والذى نفس محمد بيده، لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»(١)، وقد أجمعت الأمة على وجوب الإيمان بالنبى ﷺ، كما أجمعت كذلك على أن كل من قامت عليه الحجة برسالة محمد ﷺ من الإنس والجن فلم يؤمن به استحق عقاب الله تعالى، كما يستحقه أمثاله من الكافرين الذين بعث إليهم الرسول، وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين وسائر طوائف المسلمين من أهل السنة والجماعة وغيرهم(٢).

وقد أعطى أمير المؤمنين على رضى الله عنه مقام النبوة حقه وأوضح معالمه بأقواله وأفعاله، وكان يحرص على تعليم الناس وحثهم على الاقتداء برسول الله ﷺ فى أقواله وأعماله وتقريراته، ومن أقواله فى هذا المعنى: واقتدوا بهدى نبيكم ﷺ، فإنه أفضل الهدى واستنوا بسنته فإنها أفضل السنن(٣).

١ - **وجوب طاعة النبى ﷺ ولزوم سنته والمحافظة عليها:** تربى أمير المؤمنين علىٌّ على وجوب طاعة رسول الله ﷺ، فهو ممن قرأ وحفظ وفهم قول الله تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، فهذه الآية ضمن سلسلة من الآيات ربطت بين طاعة الله تبارك وتعالى وطاعة رسوله ﷺ، فقد جعل الله طاعته وطاعة رسوله شيئًا واحدًا، وجعل الأمر بطاعة رسوله مندرجًا فى الأمر بطاعته سبحانه وتعالى، وفى ذلك بيان للعباد بأن طاعته سبحانه لا تتحقق إلا بطاعة الرسول ﷺ، والآيات الواردة بهذا المعنى كثيرة(٤)، وقد تربى أمير المؤمنين على يدى رسول الله ﷺ، وعلم منه وجوب طاعته وامتثال أمره واتباع ما جاء به والسير على سنته والاقتداء به فى كل ماجاء به عن ربه عز وجل، وأحاديثه ﷺ فى هذا المجال أعطت للأمة توجيهات عظيمة متى ساروا عليها وامتثلوا ما فيها واستناروا بها،

(١) مسلم (١/ ٩٣) كتاب الإيمان.
(٢) حقوق النبى على أمته فى ضوء الكتاب والسنة (١/ ٧٢).
(٣) البداية والنهاية (٧/ ٣١٩).
(٤) حقوق النبى على أمته (١/ ٧٤).

فقد تحققت لهم سعادة الدارين وفـازوا وأفلحوا بإذن الله تعالى، وقد امتازت الأحاديث فى هذا الشأن بكثرتها وتنوع عباراتها وتعدد أساليبـها واشتمال بعضها على الأمثلة التى ضربها رسول الله ﷺ لأمته فى هذا الشـأن، ومما لا شك فيه أن هذه المميزات زادت الأمـر توكيدًا وتوضيحًا وبيانًا، بحيث إنها لم تدع مجالاً لمتأول يؤولها أو محرف يغير معناها بهواه ورأيه الفاسد، وهذه الأحاديث على تنوع عباراتها وتعدد أساليبها اتحد جميعها فى مضمون واحد وهو التأكيد عـلى وجوب طاعته ﷺ، واتباع مـا جاء به من الترغيب فى ذلك إضـافة إلى التحـذير من مخـالفتـه، وتحريم معـصيـتـه وبيـان الوعيد الشـديد فى ذلك[1]، فمن هذه الأحاديث قـوله ﷺ: «**كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى**» قالوا: يا رسـول الله ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعنى دخل الجنة، ومن عـصـانى فقـد أبى**»[2]، طاعة الـرسول ﷺ هى الانقـياد لسنته، مع رفض قول كل من قال شيئًـا فى دين الله عز وجل بخلاف سنته، دون الاحتيال فى دفع السنن بالتأويلات المضمحلة والمخترعات الداحضة[3].

وقد كان أمـير المؤمنين على من أحرص الصحـابة على طاعة رسول الله ﷺ، فقد قال رضى الله عنه: «ما كنت لأدع سنة النبى ﷺ لقول أحد»[4]، وقال أيضًا: «ألا إنى لست بنبى ولا يوحى إلىَّ، ولكنى أعمل بكتاب الله وسـنة محمد ﷺ ما استطعت». وهو نموذج فريد بالتـمسك بالسنة والالتـزام بها والدعـوة لها[5]، ومن هذا المفهوم والـتصور الواضح لأهمية طاعة الرسول ﷺ واتباع سنته انطلقت أفعال أمير المؤمنين على رضى الله عنه. وكان رضى الله عنه يعتنى بالسنة ويتحرى ويتثبت فى روايتها وفى أخذها رضى الله عنه، فقد قال رضى الله عنه: «إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ، فلئن أخرَّ من السماء أحَبُّ إلىَّ من أكذب عليه»[6]، وقال رضى الله عنه: «كنت إذا سـمعت من رسول الله ﷺ حديثًا نفعنى الله بما شاء منه، وإذا حدثنى عنه غيرى استحلفته، فإذا حلف لى صدقته»[7].

وكان أمـير المؤمنين على رضى الله عنه يحارب مـا يناقض الاتباع، فقـد قال رضى الله عنه: «لو كان الدين بالرأى لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه».

٢- حديـث أمير المؤمـنين على رضى الله عنه عن دلائل نبوة الـرسول ﷺ: بيَّن أمـيـر المؤمنين على رضى الله عنه بعضًا من دلائل نبوة النبى ﷺ منها ما يلى:

(١) حقوق النبى على أمته (١/٨٦).
(٢) البخارى رقم (٧٢٨٠).
(٣) صحيح ابن حبان (١/١٥٣).
(٤) فتح البارى (٣/٤٢١).
(٥) الشفا للقاضى عياض (٢/٥٥٦).
(٦) فتح البارى (٦/١٥٨).
(٧) سنن ابن ماجة رقم (١٣٩٥).

(أ) بركة دعائه: مرض على رضى الله عنه مرة فأتاه النبى ﷺ وهو يقول: اللهم إن كان أجلى قد حضر فأرحنى، وإن كان متأخرًا فارفعني، وإن كان البلاء فصبرنى. فقال له رسول الله ﷺ: ما قلت؟ فأعاد عليه. فقال رسول الله ﷺ: **«اللهم اشفه، اللهم عافه»**، ثم قال: قم. فقمت، فما عاد لى ذلك الوجع بعده[1]، وسيأتى الحديث بإذن الله تعالى عن دعاء رسول الله له فى خيبر.

(ب) إخباره بما فتح الله على نبيه من أمور الغيب: قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فلئن أخر من السماء أحب إلىَّ من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بينى وبينكم فإن الحرب خدعة»[2]، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يأتى فى آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن فى قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة»**[3]، وسيأتى شرح هذا الحديث وغيره عند حديثنا عن الخوارج وموقف أمير المؤمنين على منهم بإذن الله تعالى.

(ج) النصر بالرعب: ومن دلائل النبوة التى حدثنا بها على رضى الله عنه ما رواه عن رسول الله ﷺ حيث قال: **«أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء،** فقلنا: يا رسول الله ما هو؟ قال: **نصرت بالرعب، وأعطيت مفاتيح الأرض، وسميت أحمد، وجعل التراب لى طهورًا وجعلت أمتى خير الأمم»**[4].

(د) خاتم النبوة: وضح على رضى الله عنه من جملة وصفه لرسول الله ﷺ وجود دلالة من أبرز الدلائل الحسية على نبوته ﷺ حيث يقول: بين كتفيه خاتم النبوة[5]. وهذه العلامة كان أهل الكتاب يعرفونه بها، وهى شىء بارز أحمر عند كتفه الأيسر، قدره إذا قُلل قدر بيضة الحمامة، وإذا كبر جمع اليد[6].

(هـ) سلام الجبال على النبى ﷺ: أخبر أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه عن هذه الدلالة حيث قال: كنت مع النبى ﷺ بمكة، فخرجنا فى بعض نواحيها، فما استقبله جبل، ولا شجر، إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله[7].

(١) مسند أحمد (٢/ ١٥١)، تحقيق أحمد شاكر إسناده صحيح.
(٢) منهج على فى الدعوة إلى الله، ص (١١٧)، فتح البارى (٦/ ١٥٨).
(٣) البخارى، ك المناقب (١/ ٢٨١) والقوم المذكورون هم الخوارج الذين قاتلهم على بن أبى طالب فى خلافته، وسيأتى الحديث عنهم بالتفصيل بإذن الله.
(٤) البخارى. رقم (٣٣٥).
(٥) مصنف ابن أبى شيبة (١١/ ٥١٣)، البخارى، كتاب المناقب.
(٦) فتح البارى (٦/ ٥٦١ - ٥٦٣).
(٧) سنن الترمذى، ك المناقب (٥/ ٩٣)، المستدرك (٢/ ٦٢٠) صحيح الإسناد.

٣- الترغيب في هدى النبي ﷺ: كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يرغب المسلمين فى لزوم هدى النبى ﷺ، فقد قال فى خطبة له فى الربذة[١]: «الزموا دينكم واهتدوا بهدى نبيكم، واتبعوا سنته، واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه»[٢]، وبعد رجوع أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه من قتال الخوارج خطب أصحابه خطبة بليغة نافعة جامعة للخير ناهية عن الشر، وقد ضمن هذه الخطبة الأمر بالتزام هدى النبى ﷺ والترغيب فيه، حيث يقول: «واقتدوا بهدى نبيكم ﷺ، فإنه أفضل الهدى، واستنوا بسنته فإنها أفضل السنن»[٣]، ولم تشغل الفتن الداخلية أمير المؤمنين عليًا رضى الله عنه والتى حصلت فى عهده، عن دعوة أصحابه إلى كل خير، ونهيهم عن كل شر[٤]، وتحذيرهم من البدع، ومن قوله فى هذا الشأن: «إن عوازم الأمور أفضلها، وإن محدثاتها شرارها، وكل محدثة بدعة، وكل محدث مبتدع، ومن ابتدع فقد ضيع، وما أحدث محدث بدعة إلا ترك بها سنة»[٥].

٤- بيان فضله وبعض حقوقه على أمته ﷺ: بيَّن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فى معرض حديثه للمسلمين فضائل النبى ﷺ ومما قاله فى هذا المجال: «فكان مما أكرم الله به عز وجل هذه الأمة، وخصهم به من الفضيلة أن بعث إليهم محمدًا ﷺ، فعلمهم الكتاب والحكمة والفرائض والسنة لكيما يهتدوا، وجمعهم لكيما لا يتفرقوا، وزكاهم لكيما يتطهروا، ورفههم لكيما لا يجوروا، فلما قضى من ذلك ما عليه، قبضه الله عز وجل صلوات الله عليه ورحمته وبركاته»[٦]. وإليك بعض حقوقه ﷺ:

(أ) وجوب الصدق عنه والتحذير من الكذب عليه: حذر أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه من الكذب على رسول الله، فعن ربعى بن حراش قال: سمعت على بن أبى طالب يقول: قال النبى ﷺ: **«لا تكذبوا علىَّ فإنه من كذب علىَّ فليلج النار»**، وحذر أمير المؤمنين على رضى الله عنه من نقل الكذب -وهو يعلم أنه كذب- فيما يرويه النبى ﷺ قال: **«من حدث عنى حديثًا وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»**[٧].

(ب) البعد عن أسباب تكذيبه: أرشد أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه الناس إلى البعد عن الأمر الذى يكون سببًا فى تكذيب رسول الله ﷺ كتحديث الناس بما

(١) من قرى المدينة على ثلاثة أميال، معجم البلدان (٣/ ٢٤).
(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٤٦)، تاريخ الطبرى.
(٣)، (٤)، (٥) البداية والنهاية (٧/ ٣١٩).
(٦) البداية والنهاية (٧/ ٢٦٢).
(٧) صحيح سنن ابن ماجة (١/ ١٣) قال الألبانى: صحيح.

لا تدركه عقولهم من أقوال رسول الله ﷺ، فقد قال: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟»[(١)]، ومعنى الحديث: بما يعرفون: أى يفهمون، وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغى أن يذكر عند العامة، وممن كره التحديث ببعض دون بعض أحمد فى الأحاديث التى ظاهرها الخروج على السلطان، ومالك فى أحاديث الصفات، وأبو يوسف فى الغرائب، ومن قبلهم أبو هريرة كما تقدم عنه فى الجرابين، وأن المراد ما يقع من الفتن ونحوه عن حذيفة، وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوى البدعة وظاهره فى الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب[(٢)].

(ج) إحسان الظن بحديث رسول الله ﷺ: قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه: إذا حُدِّثتم عن رسول الله ﷺ حديثًا فظنوا به هو أهناه وأهداه وأتقاه[(٣)].

(د) الصلاة عليه: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ [(٤)] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وهذا إخبار من الله سبحانه وتعالى بمنزلة عبده ونبيه فى الملأ الأعلى، بأنه يثنى عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلى عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلى بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوى والسفلى جميعًا[(٥)]، ويؤكد أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه هذا الحق لرسول الله ﷺ بوصف من لم يصلِّ على رسول الله عند سماع ذكره بالبخل، فيما يرويه عن رسول الله ﷺ، حيث قال: «البخيل الذى ذكرت عنده فلم يصل علىَّ»[(٦)].

(هـ) محبته لرسول الله ﷺ: قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]. فالآية نصت على وجوب محبة الله ورسوله، وأن تلك المحبة يجب أن تكون مقدمة على كل محبوب، ولا خلاف فى ذلك بين الأمة[(٧)]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ

(١) البخارى، ك العلم (١/ ٤٦). (٢) فتح البارى (١/ ٤٢٥) باب من خص بالعلم قومًا دون قوم.
(٣) مسند أحمد (٢/ ٢١١) أحمد شاكر، إسناده صحيح.
(٤) صلاة الله تعالى: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدعاء.
(٥) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٠٨)، منهج على بن أبى طالب فى الدعوة: ص (١٢٩).
(٦) صحيح سنن الترمذى (٣/ ١٧٧) صحيح. (٧) تفسير القرطبى (٨/ ٩٥).

فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]. ففى هذه الآية إشارة ضمنية إلى وجوب محبة النبى ﷺ، لأن الله تبارك وتعالى قد جعل برهان محبته تعالى ودليل صدقها هو اتباع النبى ﷺ، وهذا الاتباع لا يتحقق ولا يكون إلا بعد الإيمان بالنبى ﷺ، والإيمان به لابد من تحقق شروطه التى منها محبة النبى ﷺ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فوالذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده»(١) ومما لا ريب فيه أن حظ الصحابة من حبه ﷺ كان أتم وأوفر، ذلك أن المحبة ثمرة المعرفة، وهم بقدره ﷺ ومنزلته أعلم وأعرف من غيرهم، فبالتالى كان حبهم له ﷺ أشد وأكبر(٢)، وقد سئل أمير المؤمنين على رضى الله عنه: كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ؟ قال: كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ(٣)، وهذه الخصوصية المطلقة ليست لأحد غير رسول الله ﷺ.

٥- المعرفة الدقيقة الشاملة لملامح الشخصية النبوية: لقد ساعدت الصلة الأسرية، والمعايشة الطويلة القريبة، والتتبع الدقيق لما خص الله به نبيه من نفسية نبوية، ومكارم أخلاق وميول واتجاهات، أمير المؤمنين عليًا رضى الله عنه على معرفته الدقيقة الشاملة للشخصية النبوية وخصائصها والقدرة على وصفها، والتنويه بجوانب دقيقة فى سيرته وخلقه، يلاحظ ذلك فيما روى عنه من وصف رسول الله وحليته وخلقه وسلوكه(٤).

(أ) بيان خَلْقه: قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه: «كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل ولا بالقصير، شَثن الكفين(٥) والقدمين، مشرب وجهه حمرة، طويل المَسْرُبة(٦)، ضخم الكراديس(٧)، إذا مشى تكفَّأ تكفُّؤًا، كأنما ينحط من صبب(٨)، لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ(٩)، وعن محمد بن على عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ ضخم الرأس، عظيم

(١) البخارى رقم ٤ فتح البارى (١/ ٥٨).

(٢) حقوق النبى على أمته (١/ ٣١٤).

(٣) الشفا (٢/ ٥٦٨) للقاضى عياض.

(٤) المرتضى: ص (٣٩ - ٤٣).

(٥) أى خشن الكفين غليظهما: الصحاح للجوهرى (٥/ ٢١٤).

(٦) الشعر المستدق الذى يأخذ من الصدر إلى السرة.

(٧) الكُردوس: كل عظم تام ضخم فهو كردوس، وكل عظمين التقيا فى مفصل فهو كردوس، وأراد على أنه ﷺ ضخم الأعضاء.

(٨) الصبب هو الموضع المنحدر، وهذه الصفة من المشى تعنى أن النبى ﷺ كان قويًا، فإذا مشى فكأنما يمشى على صدور قدميه من القوة.

(٩) مسند أحمد ١/ ٩٦ برقم (٧٤٦)ط / الرسالة -إسناده صحيح، صححه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى.

العينين، هَدِب الأشفار[1] -قال حسن[2]: الشفار- مُشرب العينين بحمرة، كث اللحية، أزهر اللون، شثن الكفين والقدمين، إذا مشى تكفأ كأنما يمشى فى صعد، وإذا التفت التفت جميعًا[3]، وعند الترمذى عن محمد من ولد على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: كان على (رضى الله عنه) إذا وصف النبى ﷺ قال: «لم يكن بالطويل الممغط[4]، ولا بالقصير المتردد[5]، وكان ربعة من القوم، ولم يكن بالجعد القطط[6]، ولا بالسبط، كان جعدًا رجلاً، ولم يكن بالمطهم[7] ولا بالمكلثم[8]، وكان فى الوجه تدوير، أبيض مشرب، شثن الكفين والقدمين، إذا مشى تقلع، كأنما يمشى فى صبب، وإذا التفت التف[9] معًا. «كما أن على بن أبى طالب رضى الله عنه بين صفة من صفات جسد النبى ﷺ بعد موته، وأمرًا لم يعرفه غيره -ربما من كان يغسله معه[10]- حيث يقول: غسلت رسول الله ﷺ، فجعلت أنظر ما يكون من الميت فلم أر شيئًا، وكان طيبًا حيًا وميتًا ﷺ[11]، وكان على رضى الله عنه يقول وهو يغسله: بأبى أنت وأمى، ما أطيبك حيًا وميتًا[12].

(ب) بيان خُلُقه: تحدث أمير المؤمنين على رضى الله عنه عن أخلاق النبى ﷺ، فقال: «كان أجود الناس كفًا، وأشرحهم صدرًا وأصدق الناس لهجة، وألينهم عريكة[13]، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله»[14]، وأخبرنا عن شجاعة الرسول ﷺ، وقوة بأسه، وأن عليًا ومن كان معه مع شجاعتهم أيضًا وقوة بأسهم التى سطرتها أخبار المغازى، كانوا إذا اشتدت الحرب يلوذون برسول الله ﷺ، فيقول على رضى الله عنه: «لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ، وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأسًا»[15]، وفى رواية أخرى: كنا

(١) هى حروف الأجفان وأصول منابت الشعر فى الجفن التى تلتقى عند التغميض.
(٢) حسن بن موسى الراوى عن حماد عبد الله بن محمد بن عقيل بن محمد بن على.
(٣) مسند أحمد ١/ ٨٩ برقم (٦٨٤) ط/ الرسالة -إسناده صحيح.
(٤) الممغط: الذاهب طولاً. (٥) المتردد: الداخل بعضه فى بعض قصرًا.
(٦) القطط: الشديد الجعودة. (٧) المطهم: البادن الكثير اللحم.
(٨) المكلثم: الممتلئ لحم الخدين والوجه.
(٩) سنن الترمذى، ك المناقب (٥/ ٥٩٩) حسن غريب إسناده غير متصل.
(١٠) كالعباس والفضل وقثم بن عباس يقلبونه.
(١١) صحيح سنن ابن ماجة للألبانى (١/ ٢٤٧)، الحاكم فى المستدرك (٣/ ٥٩) واللفظ له صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى.
(١٢) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٦٦٢).
(١٣) العريكة: الطبيعة، وفلان لين العريكة: إذا كان سلسًا، انظر منهج على بن أبى طالب ص ١١٠.
(١٤) وهو تتمة للحديث السابق. (١٥) مسند أحمد (٢/ ٦٤) تحقيق أحمد شاكر، إسناده صحيح.

إذا احمر البأس، ولقى القومُ القومَ اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون منا أحد أدنى من القوم منه[1]، وبين على رضى الله عنه من أخلاق رسول الله ﷺ من الرحمة والكرم، والشجاعة والتواضع، ما ورد فى وصفه لرسول الله ﷺ لليهود الذين طلبوا منه ذلك حيث يقول: كان أرحم الناس بالناس؛ لليتيم كالأب الرحيم، وللأرملة كالكريم، أشجع الناس، وأبذلهم كفًا، وأصبحهم وجهًا، لباسه العباء وطعامه خبز الشعير، وإدامه اللبن، ووساده الأدم محشو بليف النخل، سريره أم غيلان مرمل بالشريف[2]، كان له عمامتان إحداهما تدعى السحاب[3]، والأخرى العقاب، وكان سيفه ذا الفقار[4]، ورايته الغراء وناقته العضباء[5]، وبغلته دلدل[6]، وحماره يعفور، وفرسه مرتجز[7]، وشاته بركة، ولواؤه الحمد، وكان يعقل البعير ويعلف الناضح[8]، ويرقع الثوب، ويخصف النعل[9].

٦- **نماذج من اتباع أمير المؤمنين للسنة:** كان أمير المؤمنين على شديد الحرص على الاقتداء بالنبى ﷺ، وحياته العملية خير دليل على ذلك، وهذه بعض الأمثلة المتنوعة التى كان يتبع فيها النبى ولا يفرق بين صغيرة ولا كبيرة.

- **دعاء الركوب على الدواب:** عن عبد الرزاق: أخبرنى من شهد عليًا حين ركب، فلما وضع رجله فى الركاب، قال: بسم الله، فلما استوى قال: الحمد لله، سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون، ثم حمد ثلاثًا وكبر ثلاثًا، ثم قال: اللهم لا إله إلا أنت، ظلمت نفسى فاغفر لى، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم ضحك، قال، فقيل: ما يضحكك يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت النبى ﷺ فعل مثل ما فعلت، وقال مثل ما قلت، ثم ضحك، فقلنا: ما يضحكك يا نبى الله؟ قال: العبد -أو قال: عجبت للعبد- إذا

---

(١) مسند أحمد (٢/ ٣٤٣) وقال المحقق: إسناده صحيح.

(٢) قال ابن القيم فى زاد المعاد: كان رسول الله ينام على الفراش تارة، وعلى النطع تارة، وعلى الحصير تارة، وعلى الأرض تارة، وعلى السرير تارة بين رماله، وتارة على كساء أسود (١/ ١٥٥) زاد المعاد. السرير المرمل: أى المنسوج، لسان العرب (١١/ ٢٩٥).

(٣) وهى العمامة التى كساها عليًا (زاد المعاد ١/ ١٣٥).

(٤) للرسول تسعة أسياف منها ذو الفقار تنفله يوم بدر (زاد المعاد ١/ ١٣٠).

(٥) وهى غير القصواء المشهورة والعضباء هى التى كانت لا تسبق.

(٦) بغلة شهباء أهداها له المقوقس وله غيرها (زاد المعاد ١/ ١٣٤).

(٧) زاد المعاد (١/ ١٣٣) ملك سبعة من الخيل، متفق عليها.

(٨) الناضح: البعير الذى يستقى عليه الماء (لسان العرب ٢/ ٦١٩).

(٩) الرياض النضرة فى مناقب العشرة (٢/ ١٦٣).

قال: لا إله إلا أنت ظلمت نفسى فاغفر لى، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، يعلم أنه لا يغفر الذنوب إلا هو(١).

- **الشرب قائمًا، وقاعدًا:** عن عطاء بن السائب عن زادان: أن على بن أبى طالب شرب قائمًا، فنظر إليه الناس كأنهم أنكروه، فقال: ما تنظرون؟(٢) إن أشرب قائمًا، فقد رأيت النبى ﷺ يشرب قائمًا، وإن أشرب قاعدًا، فقد رأيت النبى ﷺ يشرب قاعدًا(٣).

- **تعليم وضوء رسول الله ﷺ:** عن عبد خير: علمنا علىٌّ وضوء رسول الله ﷺ، فصب الغلام على يديه حتى أنقاهما، ثم أدخل يده فى الركوة، فمضمض واستنشق، وغسل وجهه ثلاثًا ثلاثًا، وذراعيه إلى المرفقين ثلاثًا ثلاثًا، ثم أدخل يده فى الركوة فغمز أسفلها بيده ثم أخرجها فمسح بها الأخرى، ثم مسح بكفيه رأسه مرة، ثم غسل رجليه إلى الكعبين ثلاثًا ثلاثًا، ثم اغترف هُنَيّة من ماء بكفه فشربه، ثم قال: هكذا كان رسول الله يتوضأ(٤).

- **نهى رسول الله ﷺ لعلى عن أشياء:** عن عبد الله بن حنين عن أبيه، قال: سمعت على ابن أبى طالب يقول: نهانى رسول الله ﷺ: عن تختم الذهب، وعن لُبس القَسِّ والمعصفر، وقراءة القرآن وأنا راكع، وكسانى حلة من سيراء فخرجت فيها، فقال: يا على، إنى لم أكسكها لتلبسها، قال: فرجعت بها إلى فاطمة، فأعطيتها ناحيتها فأخذت بها لتطويها معى، فشققتها بثنتين قال: فقالت: تربت يداك يا ابن أبى طالب، ماذا صنعت؟ قال: فقلت لها: نهانى رسول الله ﷺ عن لبسها، فالبسى واكسى نساءك(٥).

- **الذنوب والمغفرة:** عن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **من أذنب فى الدنيا ذنبًا فعوقب به، فالله أعدل من أن يثنى عقوبته على عبده، ومن أذنب ذنبًا فى الدنيا فستر الله عليه، وعفا عنه، فالله أكرم من أن يعود فى شىء قد عفا عنه(٦).**

- **إنما الطاعة فى المعروف:** عن على رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ بعث جيشًا، وأمر عليهم رجلاً، فأوقد نارًا، فقال: ادخلوها! فأراد ناس أن يدخلوها، وقال آخرون: إنما

(١) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم ٩٣٠ حسن لغيره.

(٢) فى رواية: ما تنكرون.

(٣) مسند أحمد رقم ١١٢٨ إسناده حسن.

(٤) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم ٨٧٦، صحيح لغيره، إسناده حسن.

(٥) المصدر نفسه رقم ٧١٠ إسناده حسن.

(٦) المصدر نفسه رقم ١٣٦٥ إسناد حسن.

فررنا منها، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال للذين أرادوا أن يدخلوها: **لو دخلتموها لم تزالوا فيها إلى يوم القيامة** . وقال للآخرين قولاً حسنًا، وقال: **لا طاعة فى معصية الله، إنما الطاعة فى المعروف**[1]، والحديث يبين بأن الطاعة للحكام مقيدة بطاعة الله ورسوله، والطاعة المطلقة ليست لأحد إلا لله ورسوله ﷺ .

- **لا يأتى على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف:** دخل أبو مسعود عقبة بن عمرو الأنصارى على عليٍّ بن أبى طالب، فقال له عليٌّ: أنت الذى تقول: لا يأتى على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف؟ إنما قال رسول الله ﷺ : **«لا يأتى على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف ممن هو حيٌّ اليوم»** ، والله إن رخاء هذه الأمة بعد مائة عام[2].

- **دعاء الرسول ﷺ لأهل المدينة بالبركة:** عن على بن أبى طالب رضى الله عنه، أنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ ، حتى إذا كنا بالحرة بالسُّقيا التى كانت لسعد بن أبى وقاص، قال رسول الله ﷺ : **«ائتونى بوضوء»** ، فلما توضأ قام فاستقبل القبلة، ثم كبر، ثم قال: **«اللهم إن إبراهيم كان عبدك وخليلك دعا لأهل مكة بالبركة، وأنا محمد عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم فى مُدهم وصاعهم مثل ما باركت لأهل مكة، مع البركة بركتين»** [3].

- **دعاء الكرب:** عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: «علمنى رسول الله ﷺ إذا نزل بى كرب أن أقول: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله، وتبارك الله رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين»[4]. والحديث يرشد إلى ضرورة التعلق بالله وحده والاعتماد عليه والالتجاء إليه، فلا يكشف الكرب إلا هو سبحانه، ولا يجيب المضطر إذا دعاه إلا الذى خلقه، فلا ملجأ من الله إلا إليه، ففيه إرشاد وتعليم إلى كل مسلم بأن يعتمد على الله فى كل أحواله وشأنه.

- **ما أسر إلىَّ شيئًا كتمه الناس:** عن أبى الطفيل قال: قلنا لعلى: أخبرنا بشىء أسره إليك رسول الله ﷺ . فقال: ما أسر إلىَّ شيئًا كتمه الناس، ولكن سمعته يقول: **لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثًا، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من غيَّر تخوم الأرض** - يعنى المنار[5]، ففى قوله ﷺ : لعن الله: اللعن من الله: الطرد والإبعاد عن رحمة الله،

---

(1) مسند أحمد رقم ٧٢٤ إسناده صحيح.
(2) المصدر نفسه رقم ٧١٤ إسناده قوى.
(3) المصدر نفسه رقم ٩٣٦ إسناده صحيح.
(4) المصدر نفسه رقم ٧٠١ إسناده صحيح.
(5) المصدر نفسه رقم ٨٥٥ إسناده قوى.

قوله: من ذبح لغير الله: يشمل كل من سوى الله حتى لو ذبح لنبى أو ملك، أو جنى أو غيرهم، فلو كانت هذه الأمور هينة فى دين الله لما وصلت إلى درجة يستحق فاعلها اللعن من رسول الله ﷺ

- **إن الله رفيق يحب الرفق**:عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف**»[1].

- **تعجيل الصدقة**[2] **قبل أن تحل**:عن على أن العباس بن عبد المطلب سأل النبى ﷺ فى تعجيل صدقته قبل أن تحل فرخص له فى ذلك[3].

- **العشر الأواخر من رمضان**:عن على رضى الله عنه، قال: كان رسول الله يوقظ أهله فى العشر الأواخر، ويرفع المئزر[4].

ثانيًا: الرواة عن على بن أبى طالب رضى الله عنه:

كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه أعلم الصحابة بالسنة فى عهده، إذ روى أنه ذكر على عند عائشة، فقالت: أما أنه أعلم من بقى فى السنة[5]، ومع ذلك فقد روى عن النبى ﷺ خمسمائة وستة وثمانين حديثًا[6]، وهو أقل مما رواه بعض الصحابة عن النبى ﷺ لأسباب منها.

١-انشغاله بالقضاء والإمارة والحروب التى جعلته لا يتفرغ للفتيا وعقد حلقات الدروس التى كانت سببًا فى انتشار علم بعض الصحابة، كعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس.

٢-ظهور أهل الأهواء والبدع من الذين أفرطوا فيه والذين فرطوا به كان سببًا فى كثرة الكذب عليه، لذلك بذل العلماء جهدهم فى معرفة صحة الطرق الموصلة إليه.

٣-كثرة الفتن فى زمانه وانشغال بعض الناس بها حال دون ثقته رضى الله عنه بمن يضع فيه علمه، إذ رُوى عنه أنه قال: إن هاهنا علمًا لو أصبت له حملة[7].

(١) مسند أحمد رقم ٩٠٢ حديث حسن الشواهد.
(٢) تعجيل الصدقة: أى تعجيل الزكاة.
(٣) مسند أحمد رقم ٨٢٢ إسناده حسن.
(٤) مسند أحمد رقم ١١١٦ إسناده حسن (٣/ ١٩٥).
(٥) الطبقات (٢/٣٣٨).
(٦) تاريخ الخلفاء ص ١٧١.
(٧) فقه الإمام على (١/ ٣) نقلا عن أعلام الموقعين.

وقد لاحظنا فى منهج أمير المؤمنين فى الرواية وقبول الحديث ما يأتى:

١- الحذر من الكذب على النبى ﷺ إذ هو أحد الرواة لقوله ﷺ: «من كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[١].

٢- الاستيثاق من الرواية فإنه كان يحلف الراوى عليها، فقد روى أنه قال: كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا نفعنى الله بما شاء أن ينفعنى منه، وكان إذا حدثنى غيره استحلفته، فإذا حلف صدقته[٢].

٣- عدم رواية المنكر والشاذ من الحديث، إذ ورد عنه أنه قال: حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله[٣]، وقد روى على رضى الله عنه عن أبى بكر وعمر والمقداد بن الأسود وزوجته فاطمة.

وروى عن على خلق كثير من الصحابة والتابعين وأهل بيته، فمن أشهر من روى عنه من الصحابة هم:

١- أبو أمامة إياس بن ثعلبة الأنصارى من بنى حارثة، وهو ابن أخت أبى بردة، له عن النبى ﷺ ثلاثة أحاديث، وهو الذى أمره الرسول ﷺ أن يقيم على أمه يوم بدر[٤].

٢- أبو رافع القبطى مولى رسول الله ﷺ يقال اسمه إبراهيم، وقيل: سنان، وقيل: يسار، قال ابن عبد البر: أشهر ما قيل فى اسمه أسلم، مات فى عهد على بن أبى طالب سنة ٤٠هـ[٥].

٣- أبو سعيد الخدرى سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة الأنصارى، خرج مع رسول الله ﷺ وهو ابن خمس عشرة سنة توفى سنة ٧٤هـ[٦].

٤- جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب الأنصارى السلمى، شهد صفين مع على وتوفى ٧٨هـ، وكان من الحفاظ للسنن.

٥- جابر بن سمرة بن جنادة بن جندب العامرى السوائى حليف بنى زهرة، وأمه خالدة بنت أبى وقاص، يكنى: أبا عبد الله، قال: صليت مع رسول الله أكثر من ألفى مرة، نزل الكوفة وتوفى بها سنة ٧٤هـ[٧].

(١) صحيح سنن ابن ماجة (١/ ١٣) وقال الألبانى: صحيح.
(٢) سنن ابن ماجة رقم ١٣٩٥ إسناده صحيح.
(٣) البخارى، ك العلم (١/ ٤٦).
(٤) الاستيعاب (١/ ١٦٠١) أى يقيم على خدمة أمه.
(٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٦).
(٦) الاستيعاب (٤/ ١٦٧١).
(٧) الاستيعاب (١/ ٢١٩).

٦- زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان قيل: كنيته أبو عمر، وقيل أبو عامر، مات بالكوفة سنة ٦٦هـ، وقيل ٦٨هـ.

٧- عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ابن أخى على، ولد بأرض الحبشة، وهو أول مولود فى الإسلام توفى سنة ٨٠هـ، وهو ابن تسعين سنة[(١)].

٨- عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشى العدوى، أسلم مع أبيه قبل أن يبلغ الحلم توفى فى مكة، سنة ٦٣هـ، وهو ابن أربع وثمانين[(٢)].

٩- عبد الله بن مسعود بن غافل بن وائل الهذلى من أوائل المسلمين توفى ٣٢هـ[(٣)].

١٠- عمرو بن حريث بن عثمان القرشى المخزومى يكنى أبا سعيد، رأى النبى ﷺ وسمع منه ومسح على رأسه ودعا له بالبركة، نزل الكوفة وكان له قدر وشرف، مات سنة ٨٥هـ[(٤)].

- من روى عنه من أهل بيته: روى عنه من أهل بيته كل من:

١- ولده الحسن بن على سبط رسول الله ﷺ.

٢- ولده الحسين بن على سبط رسول الله ﷺ قتل يوم عاشوراء سنة ٦١هـ وهو ابن ٥٦ سنة[(٥)].

٣- ولده محمد بن على بن أبى طالب أبو القاسم المدنى المعروف بابن الحنفية، نسبة إلى أمه خولة بنت جعفر بن قيس من بنى حنيفة، قال العجلى: تابعى ثقة كان رجلاً صالحًا يكنى أبا القاسم، ولد فى ولاية عمر ومات سنة ٧٣، وقيل ٨٠، وقيل ٨١، وقيل ٨٢، وقيل ٩٣هـ[(٦)].

٤- حفيده محمد بن عمر بن على بن أبى طالب ذكره ابن حبان فى الثقات[(٧)].

٥- حفيده على بن الحسين بن على بن أبى طالب الملقب بزين العابدين من سادات التابعين، وأمه سلافة بنت يزدجرد آخر ملوك فارس، أرسل عن جده على بن أبى طالب. قال العجلى: مدنى تابعى ثقة، توفى سنة ٩٤هـ، وكان عمره ثمان وخمسين سنة[(٨)].

---

(١) الإصابة (٤/ ٢٧٦).
(٢) وفيات الأعيان (٢/ ٢٣٦).
(٣) الاستيعاب (٢/ ٩٨٨).
(٤) المصدر السابق (٣/ ١٦٧٢).
(٥) تهذيب التهذيب (٢/ ٣٥٧).
(٦) المصدر نفسه (٢/ ٣٠٦).
(٧) المصدر السابق (٢/ ٨٢).
(٣) المصدر السابق (١٢/ ٤٨١)، لسان الميزان (٧/ ٥٣٣).

٦- ابن أخته جعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وأمه أم هانئ بنت أبي طالب، ولد على عهد النبيﷺ وله صحبة، ولي خراسان، وسكن الكوفة، قال العجلي: مدني تابعي ثقة روى عن علي[١].

٧- سريته أم موسى ، قيل اسمها فاختة، وقيل حبيبة، قال الدارقطني: حديثها مستقيم، وقال العجلي: كوفية تابعية ثقة[٢].

- أشهر من روى عن علي من التابعين:

١- أبو الأسود الدؤلي البصري ، القاضي، واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان، ويقال اسمه عمرو بن عثمان، ويقال عثمان بن عمرو، أسلم على عهد النبيﷺ وقاتل مع علي يوم الجمل، وثقه ابن معين والعجلي وغيرهما، وتوفي في ولاية عبيد الله بن زياد سنة ٦٩[٣].

٢- أبو بردة بن موسى الأشعري الفقيه، واسمه الحارث، وقيل عامر، وثقه ابن سعد والعجلي وابن حبان، وقال العجلي: كان على قضاء الكوفة بعد شريح، روى عن أبيه وعلي وحذيفة وعبد الله بن سلام وعائشة وغيرهم، قيل: مات سنة ٨٣ وقيل ١٠٤، وقيل ١٠٧هـ[٤].

٣- أبو عبد الرحمن السلمي عبد الله بن حبيب بن ربيعة ، أبو عبد الرحمن السلمي الكوفي القارئ، ولأبيه صحبة، وثقه العجلي والنسائي وأبو داود، روى عن عمر وعثمان وعلي وسعد، وخالد بن الوليد وابن مسعود وحذيفة وغيرهم، قيل مات سنة ٧٢هـ، وقيل ٨٥، وهو ابن خمس وثمانين سنة، شهد مع علي صفين[٥].

٤- زر بن حبيش بن حباشة بن أوس الأسدي أبو مريم ، ويقال أبو مطرف الكوفي، ذكر ابن معين أنه ثقة، مات سنة ٨١هـ، وقيل ٨٢ وقيل ٨٣ وهو ابن مائة وعشرين[٦].

٥ - زيد بن وهب الجهني من قضاعة، يكنى أبا سليمان، من أجلة التابعين وثقاتهم متفق على الاحتجاج به، وثقه ابن معين وغيره، مات قبل سنة تسعين أو بعدها من ولاية الحجاج[٧].

(١) تهذيب التهذيب (١٢/ ١٠/ ١١).
(٢) المصدر السابق (١٢/ ١٩).
(٣) المصدر السابق (٥/ ١٨٤).
(٤)، (٥) طبقات ابن سعد (٦/ ١٠٣).
(٦) المصدر السابق (٦/ ٦٧).
(٧) المصدر السابق (٦/ ١٢٧).

٦ - **سويد بن غفلة بن عوسجة بن عامر** يكنى أبا أمية، رحل إلى رسول الله ﷺ وقد قبض فلم يره، صحب أبا بكر وعمر وعثمان وعليًا، مات سنة ٨١ أو ٨٢ هـ وكان عمره ١٢٨ سنة[١].

٧ - **شريح بن هانئ بن يزيد بن نهيك** الحارثي المذحجي ابن المقدام الكوفي، أدرك ولم ير، وهو من كبار أصحاب علي، قتل مع أبي بكرة بسجستان سنة ٧٨ هـ[٢].

٨ - **عامر بن شرحبيل بن عبد** وقيل عامر بن عبد الله بن شرحبيل الشعبي والحميري أبو عمرو الكوفي من شعب همدان، روى عنه أنه قال: أدركت خمسمائة من الصحابة، وعن الحسن، قال: كان والله كثير العلم، عظيم الحلم، قديم السلم من الإسلام بمكان، وعن مكحول قال: ما رأيت أفقه منه. قال ابن عيينة، كانت الناس تقول بعد الصحابة ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه، ولد لست خلت من خلافة عمر ومات سنة ١٠٩ هـ.

٩ - **عبد خير بن يزيد** ويقال ابن بجيد بن جوى بن عبد عمرو بن عبد يعرب بن الصائد الهمداني أبو عمارة الكوفي، أدرك الجاهلية، قال العجلي: كوفي تابعي ثقة، وذكر ابن حبان في ثقات التابعين، قيل: عاش مائة وعشرين سنة، وقتل في صفين[٣].

١٠ - **عبد الرحمن بن أبي ليلى** واسمه يسار ويقال بلال، ويقال داود بن بلال بن بليل بن أصحبة بن الجلاح الحريش الأنصاري الأوسي، ولد لست بقين من خلافة عمر، روى عنه أنه قال: أدركت عشرين ومائة من الأنصار، وثقه ابن معين والعجلي. قيل إنه أصيب سنة ٧١ هـ وقيل ٨٢ بالجماجم[٤].

١١ - **عبيدة السلماني وهو عبيدة بن عمرو،** ويقال ابن قيس بن عمرو السلماني المرادي أبو عمرو الكوفي، أسلم قبل وفاة النبي ﷺ بسنتين ولم يلقه، قال الشعبي: كان شريح أعلمهم بالقضاء وكان عبيدة يوازيه، وقال العجلي: كوفي تابعي ثقة[٥].

١٢ - **عبد الله بن سلمة المرادي الكوفي،** صاحب علي، كنيته أبو العالية، قال العجلي: كوفي تابعي ثقة، قال البخاري: لا يتابع في حديثه، وعن عمرو بن مرة: يعرف وينكر، كان قد كبر، وقال يعقوب بن شيبة: ثقة[٦].

---

(١) تهذيب التهذيب. (٢)، (٣) المصدر السابق (٦/ ١٢٤).

(٤) ميزان الاعتدال (٢٠/ ٥٨٤).

(٥) طبقات ابن سعد (٦/ ٩٠) تهذيب التهذيب (٧/ ٨٥).

(٦) ميزان الاعتدال (٢/ ٤٠٩) تهذيب التهذيب (٥/ ٥٤٢).

١٣- عبد الله بن شقيق العقيلى ، وكنيته أبو عبد الرحمن ويقال أبو محمد البصرى، تابعى من أهل البصرة، ذكره ابن سعد فى الطبقة الأولى، وعن ابن معين أنه ثقة من خيار المسلمين لا يطعن فى حديثه، وروى أنه كان مستجاب الدعوة، مات بعد المائة وقيل سنة ١٠٨ هـ(١).

١٤- علقمة بن قيس النخعى وهو علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك بن علقمة النخعى الكوفى، ولد فى حياة الرسول ﷺ ، وعن أحمد: ثقة من أهل الخير، وعن ابن معين: روى أنه قرأ القرآن فى ليلة، مات سنة ٦٢، وقيل ٦١، قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث.

١٥- عمير بن سعيد النخعى الصهبانى ، أبو يحيى الكوفى، عن ابن معين: ثقة، ذكره ابن حبان فى الثقات، له حديث عن على فى حد شارب الخمر، قال ابن سعد: مات سنة ١١٥، وقيل ١٠٧هـ(٢).

١٦- هانئ بن هانئ الهمذانى الكوفى ، قال النسائى: ليس به بأس، ذكره ابن حبان فى الثقات، وقيل كان يتشيع، قال ابن المدينى: مجهول، قال ابن سعد: كان منكر الحديث، وعن الشافعى: أهل الحديث لا ينسبون حديثه لجهالة حاله، ذكره ابن سعد فى الطبقات الأولى فى الكوفة، قال الذهبى: ليس به بأس(٣).

١٧- يزيد بن شريك بن طارق التيمى الكوفى، وعن يحيى بن معين: ثقة، ذكره ابن حبان فى الثقات، قال ابن سعد: كان ثقة وكان عريف قومه، يقال إنه أدرك الجاهلية، روى عن عمر وعلى وأبى ذر وابن مسعود وحذيفة(٤).

هذه إشارات عابرة عن الرواة عن على رضى الله عنه، ولمن أراد المزيد، فليراجع رسالة الدكتور أحمد محمد طه «فقه الإمام على بن أبى طالب» المقدمة فى جامعة بغداد ولم تنشر حتى الآن.

(١) تهذيب التهذيب (٥/ ٢٥٣).

(٢) المصدر السابق (٨/ ١٤٦)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤٣).

(٣) الكاشف للذهبى (٣/ ٢١٨)

(٤) المصدر نفسه (٣/ ٢٨٠).

المبحث الخامس

أهم أعمال على بن أبى طالب رضى الله عنه ما بين الهجرة والأحزاب

شرع رسول الله ﷺ بعد استقراره بالمدينة فى تثبيت دعائم الدولة الإسلامية، فآخى بين المهاجرين والأنصار، ثم أقام المسجد، وأبرم المعاهدة مع اليهود وبدأت حركة السرايا، واهتم بالبناء الاقتصادى والتعليمى والتربوى فى المجتمع الجديد، وكان على رضى الله عنه ملازمًا له فى كل أحواله، منفذًا لأوامره، متتلمذًا على هديه.

أولاً: حركة السرايا:

بمجرد الاستقرار الذى حصل للمسلمين بقيادة الرسول ﷺ فى المدينة بدأت حركة السرايا التى استهدفت بسط هيبة الدولة فى الداخل والخارج، وكسب بعض القبائل وتحجيم دور الأعراب، وتربية الصحابة على الإعداد القتالى للغزوات الكبرى، وحركة الفتوحات ميدان لصناعة القادة عمليًا، وقد شارك فى هذه السرايا أمير المؤمنين على رضى الله عنه فى التى حدثت قبل بدر وما بعدها، وأما التى شارك فيها قبل غزوة بدر الكبرى فمنها:

١- غزوة العشيرة[١]: وفيها غزا ﷺ قريشًا، واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد، وسميت هذه الغزوة بغزوة العشيرة، فأقام بها جمادى الأولى وليالى من جمادى الآخرة، وادع فيها بنى مدلج وحلفاءهم من بنى ضمرة، ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيدًا، وذلك أن العير التى خرج لها قد مضت ذلك بأيام ذاهبة إلى الشام[٢]، فساحلت على البحر، وبلغ قريشًا خبرها فخرجوا يمنعونها، فلقوا رسول الله ﷺ ووقعت غزوة بدر الكبرى[٣]، وقد حدثنا عمار بن ياسر عن مشاركته وعلى رضى الله عنهما فى تلك الغزوة، فعن عمار بن ياسر قال: كنت أنا وعلى رفيقين فى غزوة ذى العشيرة، فلما نزلها رسول الله ﷺ وأقام بها رأينا ناسًا من بنى مدلج يعملون فى عين لهم فى نخل، فقال لى على: يا أبا اليقظان هل لك أن تأتى هؤلاء فتنظر كيف يعملون؟ فجئناهم، فنظرنا إلي عملهم ساعة، ثم غشينا النوم، فانطلقت أنا وعلى، فاضطجعنا فى صور من النخل، فى

(١) ناحية من نواحى ينبع بين مكة والمدينة.
(٢) طبقات ابن سعد (٢/ ١٠).
(٣) المصدر نفسه (٢/ ١١).

دقعاء(1) من التراب فنمنا، فوالله ما أهبّنا إلا رسول الله ﷺ يحركنا برجله، وقد تتربنا من تلك الدقعاء، فيومئذ قال رسول الله ﷺ لعلى: يا أبا تراب، لما رأى عليه التراب قال: «ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين؟» فقلنا: بلى يا رسول الله، قال: «أحيمر ثمود الذى عقر الناقة، والذى يضربك يا على على هذه [يعنى قرنه] حتى تُبَل منه هذه [يعنى لحيته]»(2)، وقد تكرر نداء رسول الله لعلى بأبى تراب وسيأتى الحديث عنه.

٢- غزوة بدر الأولى: سببها: أن كرز بن جابر الفهرى، قد أغار على سَرْح(3) المدينة ونهب بعض الإبل والمواشى، فخرج رسول الله ﷺ فى طلبه، حتى بلغ واديًا يقال له «سفوان» من ناحية بدر، وفاته كرز بن جابر، فلم يدركه، فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة(4)، وقد أعطى الحبيب المصطفى أمير المؤمنين عليًا رضى الله عنه لواءه الأبيض(5). وتعتبر حركة السرايا بداية الجهاد القتالى ضد أعداء الدعوة، ومع حركة السرايا والبعوث والغزوات التى خاضها رسول الله ﷺ ضد المشركين ظهرت جليًا سنة التدافع التى تعامل معها النبى ﷺ وأصحابه ومن بينهم أمير المؤمنين على بن أبى طالب، وهذه السنة متعلقة تعلقًا وطيدًا بالتمكين لهذا الدين، وقد أشار الله تعالى إليها فى كتابه العزيز وجاء التنصيص عليها فى قوله تعالى: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وفى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

ثانيًا: غزوة بدر:

١- قال النووى رحمه الله: وأجمع أهل التواريخ على شهوده بدرًا، وسائر المشاهد غير تبوك، قالوا: وأعطاه النبى ﷺ اللواء فى مواطن كثيرة(6).

كان على بن أبى طالب رضى الله عنه أحد المجاهدين الذين شاركوا فى غزوة بدر، ولنتركه يقص علينا خبر هذه الغزوة، فعن حارثة بن مضرب بن على بن أبى طالب رضى

(١) الدقعاء: الأرض التى لا نبات فيها، القاموس (٣/ ٢٢).

(٢) فضائل الصحابة (٢/ ٨٥٥) رقم ١١٧٢ إسناده حسن.

(٣) السرح: الإبل والمواشى التى تسرح للرعى بالغداة.

(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٠١).

(٥) تاريخ الإسلام للذهبى (٢/ ٤٨)، على بن أبى طالب للرفاعى: ص (٨٩).

(٦) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٤٥).

الله عنه قال: وكان النبى ﷺ يتخبَّر عن بدر، فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا، سار رسول الله ﷺ إلى بدر، وبدر بئر، فسبقنا المشركين إليها، فوجدنا فيها رجلين منهم، رجلاً من قريش ومولى لعقبة بن أبى معيط، فأما القرشى فانقلب، وأما مولى عقبة فأخذناه، فجعلنا نقول له: كم القوم؟ فيقول: هم والله كثير عددهم، شديد بأسهم، فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه حتى انتهوا به إلى النبى ﷺ، فقال له: كم القوم؟ قال: هم والله كثير عددهم، شديد بأسهم، فجهد النبى ﷺ أن يخبره كم هم، فأبى، ثم إن النبى ﷺ سأله: **«كم ينحرون من الجزر»**، فقال: عشرًا كل يوم، فقال رسول الله ﷺ: **«القوم ألف، كل جزور لمئة وتبعها»**. ثم إنه أصابنا من الليل طش من مطر، فأنطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها، من المطر، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه عز وجل يقول: **«اللهم إنك إن تهلك هذه الفئة لا تعبد»**، قال: فلما طلع نادى: الصلاة عباد الله، فجاء الناس، من تحت الشجرة والحجف، فصلى بنا رسول الله ﷺ، وحرض على القتال، ثم قال: **إن جمع قريش تحت هذه الضِّلع الحمراء من الجبل**. فلما دنا القوم منا وصافناهم، إذا رجل منهم على جمل له أحمر يسير فى القوم، فقال رسول الله ﷺ: **يا على ناد حمزة**، وكان أقربهم من المشركين: من صاحب الجمل الأحمر، وماذا يقول لهم، ثم قال رسول الله ﷺ: **«إن يكن فى القوم أحد يأمر بخير، فعسى أن يكون صاحب الجمل الأحمر»**، فجاء حمزة فقال: هو عتبة بن ربيعة، وهو ينهى عن القتال، ويقول لهم: يا قوم إنى أرى قومًا مستميتين لا تصلون إليهم وفيكم خير، يا قوم اعصبوها اليوم برأسى، وقولوا: جُبُن عُتبة بن ربيعة، وقد علمتم أنى لست بأجبنكم، قال: فسمع ذلك أبو جهل، فقال: أنت تقول هذا؟ والله لو غيرك يقول هذا لأعضضته، قد ملأت رئتك وجوفك رعبًا. قال عتبة: إياى تُعيّر يا مُصفِّر إسته؟ ستعلم اليوم أينا الجبان. قال: فبرز عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد حمية، فقالوا: من يبارز؟ فخرج فتية من الأنصار ستة، فقال عتبة: لا نريد هؤلاء، ولكن يبارزنا من بنى عمنا، من بنى عبد المطلب، فقال رسول الله ﷺ: **«قم يا على، قم يا حمزة، وقم يا عبيدة بن الحارث بن المطلب»**. فقتل الله تعالى عتبة وشيبة ابنى ربيعة، والوليد بن عتبة، وجرح عبيدة، فقتلنا منهم سبعين، وأسرنا سبعين، فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيرًا، فقال العباس: يا رسول الله، إن هذا والله ما أسرنى، لقد أسرنى رجل أجلح، من أحسن الناس وجهًا، على فرس أبلق، ما أراه فى القوم. فقال الأنصارى: أنا أسرته يا رسول الله. فقال: **اسكت فقد أيدك الله تعالى بملك كريم**. فقال على: فأسرنا من بنى

عبد المطلب: العباس وعقيلاً، ونوفل بن الحارث[1]، ومن وصف على رضى الله عنه لغزوة بدر نلاحظ دروسًا وعبرًا وفوائد كثيرة يمكن الرجوع إليها فى كتابى السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث».

٢- ما قيل من أشعار فى بطولة على ببدر: كان لواء المشركين يوم بدر مع طلحة فقتله على رضى الله عنه، فقال الحجاج بن علاط السلمى فى ذلك:

لله أى مــذنب عن حــربه	أعنى ابن فــاطمة المعم المخــولا
جــادت يداك لـه بعــاجل طعنة	تركت طليــحة للجبـين مـجندلا
وشـددت شـدة باسل فكشـفـتهم	بالحق إذ يـهـوون أخــول أخــولا
وعللت سـيفك بالدمــاء ولم تكن	لتــرده حــران حــتى ينهــلا[2]

ثالثًا: زواج على من فاطمة رضى الله عنهما:

هى فاطمة بنت إمام المتقين سيد ولد آدم رسول الله ﷺ، وأمها خديجة بنت خويلد، كانت تكنى بأم أبيها[3]، وُلدت رضى الله عنها قبل البعثة سنة خمسة وثلاثين من مولد النبى ﷺ[4]، زوجها النبى ﷺ على بن أبى طالب سنة اثنتين للهجرة بعد وقعة بدر، وولدت له الحسن والحسين وأم كلثوم، وكانت وفاتها بعد وفاة النبى ﷺ بستة أشهر فرضى الله عنها وأرضاها[5].

١- مهرها وجهازها: قال على بن أبي طالب رضى الله عنه: خُطبت فاطمة إلي رسول الله ﷺ فقالت مولاة لى: هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ﷺ؟ قلت: لا، قالت: فقد خطبت،فما يمنعك أن تأتى رسول الله ﷺ فيزوجك. فقلت: وعندى شىء أتزوج به؟ فقالت: إنك إن جئت رسول الله ﷺ زوجك. قال:فوالله مازالت ترجينى حتى دخلت على رسول الله ﷺ، فلما أن قعدت بين يديه أفحمت، فوالله ما استطعت أن أتكلم جلالة وهيبة. فقال رسول الله ﷺ: «ما جاء بك؟ ألك حاجة؟» فسكت فقال: لعلك جئت

---

(١) مسند أحمد، الموسوعة الحديثية رقم ٩٤٨ إسناده صحيح.

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٣٧٩). (٣) أسد الغابة (٥/ ٥٢٠)، الإصابة (٤/ ٣٦٥).

(٤) الطبقات لابن سعد (٨/ ٢٦).

(٥) حلية الأولياء (٢/ ٣٩، ٤٣)، سير أعلام النبلاء (٢/ ١١٨، ١٣٤)، العقيدة فى أهل البيت بين الإفراط والتفريط، د. سليمان السحيمى: ص (١٣٢).

تخطب فاطمة؟ فقلت: نعم، فقال: وهل عندك من شىء تستحلها؟ فقلت: لا والله يا رسول الله، فقال: ما فعلت درع سلحتكها؟ فوالذى نفس على بيده إنها لحطمية ما قيمتها أربعمائة درهم، فقلت: عندى، فقال: قد زوجتكها، فابعث إليها بها فاستحلها بها، فإنها كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله ﷺ[1]، وقد جهز رسول الله ﷺ فاطمة فى خميل[2]، وقربة ووسادة أدم[3] حشوها إذخر[4][5]، وقد جاء فى روايات الشيعة، فأخذت درعى فانطلقت به إلى السوق فبعته بأربع مائة درهم من عثمان بن عفان، فلما قبضت الدراهم منه وقبض الدرع منى قال: يا أبا الحسن، ألست أولى بالدرع منك وأنت أولى بالدراهم منى؟ فقلت: نعم، قال: فإن هذا الدرع هدية منى إليك، فأخذت الدرع والدراهم وأقبلت إلى رسول الله فطرحت الدرع والدراهم بين يديه، وأخبرته بما كان من أمر عثمان، فدعا له النبى بخير[6].

٢- زفافها: قالت أسماء بنت عميس: كنت فى زفاف فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فلما أصبحنا جاء النبى ﷺ إلى الباب فقال: يا أم أيمن ادعى لى أخى، فقالت: هو أخوك وتنكحه؟ قال: نعم يا أم أيمن، قالت: فجاء على فنضح النبى ﷺ عليه من الماء ودعا له ثم قال: ادعى إلىَّ فاطمة، قالت: فجاءت تعثر من الحياء، فقال لها رسول الله ﷺ: اسكتى فقد أنكحتك أحب أهل بيتى إلىَّ، قالت: ونضح النبى ﷺ عليها من الماء ودعا لها، قالت: ثم رجع رسول الله ﷺ فرأى سوادًا بين يديه، فقال: من هذا؟ فقلت: أنا، قال: أسماء؟ قلت نعم، قال: أسماء بنت عميس؟ قلت: نعم، قال: جئت فى زفاف بنت رسول الله تكرمة له؟ قلت: نعم، قالت: فدعا لى[7].

٣- وليمة العرس: عن بريدة قال: لما خطب على فاطمة، قال رسول الله ﷺ: إنه لابد للعرس[8] من وليمة، قال: فقال سعد: على كبش، وجمع له رهط من الأنصار آصعًا من ذرة، فلما كان ليلة البناء، قال: يا على لا تحدث شيئًا حتى تلقانى، فدعا النبى ﷺ بماء

(١) دلائل النبوة للبيهقى (٣/ ١٦٠) إسناده حسن.
(٢) خميل: قطيفة.
(٣) الأدم: الجلد.
(٤) إذخر: نبات
(٥) صحيح السيرة النبوية: ص (٦٦٧)، مسند فاطمة الزهراء، وما ورد فى فضلها للسيوطى تحقيق فؤاد أحمد زمرلى: ص (١٨٩).
(٦) كشف الغمة للأربلى (١/ ٣٥٩) بحار الأنوار للمجلسى: ص (٣٩) نقلاً عن الشيعة وأهل البيت: ص (١٣٧، ١٣٨).
(٧) فضائل الصحابة (٢/ ٩٥٥) رقم ٣٤٢ إسناده صحيح.
(٨) للعرس: أى للعروس.

فـتوضـأ منه ثم أفرغـه على عليٍّ، فقـال: «اللهم بارك فـيـهـما وبارك علـيهـمـا، وبارك في شبلهما» [(١)].

٤- معيشة علي وفـاطمة رضي الله عنهما: كانت معيشـة علي وفاطمة، وهما أحب الناس إلى رسول الله ﷺ، معيشة زهد وتقشف، وصبر وجهد، فقد أخرج هناد من عطاء، وقال: نبـئت أن علـيًّـا رضي الله عنه قـال: مكثنـا أيامًـا ليس عندنا شيء، ولا عـند النبي ﷺ، فخرجت فإذا أنا بدينار مطروح على الطريق، فمكثت هنيهة أؤامر نفسي في أخذه أو تركه، ثم أخذته لما بنا من الجـهد، فأعطيت به الضـفاطين[(٢)]، فاشـتريت به دقيـقًا، ثم أتيت به فاطمة فقلت: اعجني واخبزي، فجعلت تعجن وإن قصتها لتضرب حرف الجفنة من الجهد الذي بها - ثم خبـزت، فأتيت النبي ﷺ فأخبـرته، فقال: «**كلوه فإنه رزق رزقكمـوه الله عز وجل**» [(٣)]، وعن الشعبي، قال: قال علي رضي الله عنه: تزوجت فاطمة بنت محمد رسول الله ﷺ ومالي ولها فـراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل، ونعلف عليـه ناضحنا بالنهار، ومالي خادم غيرها[(٤)]، وعن مجاهد قال علي: جعت مرة بالمدينة جوعًا شديدًا، فخرجت أطلب العمل في عوالي المدينة، فإذا بامرأة قـد جمعت مدرًا، فظننتها تريد بَله[(٥)]، فأتيتها فقاطعـتها[(٦)] كلَّ ذنوب[(٧)] على تمرة، فمـددت ستة عشر ذنوبًا، حـتى مجلت يداي[(٨)] ثم أتيت الماء فأصـبت منه، ثم أتيتها فـقلت بكفي هذا بين يديها[(٩)]، فعدت لي سـت عشرة تمرة، فأتيت النبي ﷺ، فأخبرته، فأكل معي منها[(١٠)]. في هذا الخبر بيان لشدة الحال التي مر بها أمـير المؤمنين علي رضي الله عنه في المدينة، ونأخذ منه صـورة من السلوك المشروع في مواجهـة الشدائد، حيث خرج علي رضي الله عنه وعمل بيـديه للكسب المشروع، ولم يجلس منتظرًا ما تجود به أيدي المحـسنين، وصورة أخرى من قوة التحـمل حيث قام بذلك

(١) المعجم الكبير للطبراني ١١٥٣، فضائل الصحابة (٢/ ٨٥٨) إسناده صحيح.

(٢) الضفاطون: الحمالون والمكارون الذين يحملون الدقيق من الخارج.

(٣) كنز العمال (٧/ ٣٢٨)، المرتضى للندوي: ص (٢١).

(٤) كنز العمال (٧/ ١٣٣)، المرتضى للندوي: ص (٤١).

(٥) المدر: يعني الطين اليابس، تريد بله: يعني الماء.

(٦) فقاطعتها: أي: اتفقت معها على أجرة.

(٧) ذنوب: دلو.

(٨) مجلت: تورمت من العمل.

(٩) يعني بسطهما وضمهما.

(١٠) صفة الصفوة (١/ ٣٢٠)، الموسوعة الحديثية مسند أحمد ١١٣٥، إسناده ضعيف لانقطاعه.

العمل الشاق وهو يعانى من شدة الجوع ما يضعف قوته، وصورة أخرى من إيثار الأحبة والوفاء لهم، فهو على ما به من شدة الجوع وبالرغم مما قام به من ذلك العمل الشاق قد احتفظ بأجرته من التمر حتى لقى النبى ﷺ فأكل معه(١).

٥- **زهد السيدة فاطمة وصبرها:** كانت حياتها فى غاية البساطة بعيدة عن التعقيد، وهى إلى شظف العيش أقرب منها إلى رغده(٢)، وهذه القصة تصور لنا حال السيدة فاطمة من التعب وموقف رسول الله ﷺ منها عندما طلبت منه أن يعطيها خادمًا من السبى، قال على لفاطمة ذات يوم: والله لقد سنوت(٣)، حتى لقد اشتكيت صدرى، قال: وجاء الله أباك بسبى فاذهبى فاستخدميه(٤)، فقالت: أنا والله طحنت حتى مجلت يداى، فأتيت النبى ﷺ فقال: ما جاء بك أي بنية. قالت: جئت لأسلم عليك واستحيت أن تسأله ورجعت فقال على: ما فعلت؟ قالت: استحييت أن أسأله، فأتينا جميعًا، فقال على: يا رسول الله والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدرى، وقالت فاطمة: قد طحنت حتى مجلت يداى(٥)، وقد جاءك الله بسبى وسعة فأخدمنا، فقال رسول الله ﷺ: **والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوى(٦) بطونهم، لا أجد ما أنفق عليهم، ولكنى أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم،** فرجعا فأتاهما النبى ﷺ وقد دخلا فى قطيفتهما إذا غطت رءوسهما تكشف أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما تكشفت رءوسهما، فثارا، فقال: **مكانكما،** ثم قال: **ألا أخبركما بخير مما سألتمانى؟** قالا: بلى. فقال: **كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام،** فقال: **«تسبحان فى دبر كل صلاة عشرًا، وتحمدان عشرًا، وتكبران عشرًا، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين وكبرا أربعًا وثلاثين»**(٧)، وفى القصة السالفة بعض القيم المهمة منها:

إن هذه الحادثة تبين لنا كيف أدار النبى ﷺ الأزمة الاقتصادية التى مرت بدولة الرسول فى المدينة، وذلك من خلال ترتيبه للأولويات، فسد جوع أهل الصفة ضرورة، وأما حاجة على وفاطمة للخادم ليست بمرتبة احتياج أهل الصفة، فقدم رسول الله أهل الصفة عليهم، وكانت وسائل رسول الله ﷺ فى حل الأزمة الاقتصادية كثيرة.

(١) التاريخ الإسلامى للحميدى (١٩/ ٤٩، ٥٠).
(٢) انظر: معين السيرة ص ٢٥٥ للشامى.
(٣) سنوت: استقيت.
(٤) أى اسأليه خادمًا.
(٥) السيرة النبوية للصَّلاَّبىّ (٢/ ٩٩)، مسلم رقم (٢٧٢٧) البخارى رقم (٣٧٠٥).
(٦) تطوى: طوى من الجوع فهو طاو: خالى البطن جائع لم يأكل.
(٧) البخارى: رقم (٣٧٠٥)، مسلم رقم (٢٧٢٧).

ولقد تأثر على - رضى الله عنه - بهذه التربية النبوية، ويمر الزمن بالفتى على فيصبح خليفة المسلمين، فإذا به من آثار هذه التربية يترفع عن الدنيا وزخارفها وبيده كنوز الأرض وخيراتها، لأن ذكر الله يملأ قلبه ويغمر وجوده، ولقد حافظ على وصية رسول الله ﷺ له، وقد حدثنا عن ذلك فقال: فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن، فسأله أحد أصحابه: ولا ليلة صفين؟ فقال: ولا ليلة صفين[1].

٦- إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا: عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: دخل علىَّ رسول الله ﷺ وعلى فاطمة من الليل، فأيقظنا للصلاة، قال: ثم رجع إلى بيته فصلى هويا من الليل، قال: فلم يسمع لنا حسًا، قال: فرجع إلينا فأيقظنا وقال: قوما فصليا، قال: فجلست وأنا أعْرُك عينى، وأقول: إنا والله ما نصلى إلا ما كتب لنا، إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، قال: فولى رسول الله ﷺ وهو يقول، ويضرب بيده على فخذه: «ما نصلى إلا ما كتب لنا، ما نصلى إلا ما كتب لنا» ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ [الكهف: ٥٤]. وهذا فيه تجرد على رضى الله عنه للحق وحرصه على نشر العلم ولو كان الأمر متعلقًا به رضى الله عنه، وهذه قيمة كبرى يتعلمها المسلمون من أمير المؤمنين على، ولو أراد لكتم الحديث، علمًا بأن صلاة الليل لم تكن واجبة.

رابعًا: ولداها الحسن والحسين رضى الله عنهما:

١- الحسن بن على بن أبى طالب الهاشمى:

سبط رسول الله ﷺ وريحانته فى الدنيا، وأحد سيدى شباب أهل الجنة، أمه فاطمة الزهراء، ولد للنصف من رمضان سنة ٣هـ وقيل فى شعبان، وقيل فى سنة أربع أو خمس[2]. وقد توفى عام ٥٠هـ. وقد اخترت فى كتابى السيرة النبوية بأنه ولد فى العام الرابع للهجرة[3].

هذا وقد سماه رسول الله ﷺ حسنًا، قال على رضى الله عنه: لما ولد الحسن سميته حربًا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: أرونى ابنى. ما سميتموه؟ قلت: حربًا، قال ﷺ: بل هو حسن[4]. وهكذا غير ﷺ ذلك الاسم الحاد باسم جميل يدخل السرور والبهجة على القلوب، فحمل المولود الجديد اسمه الجميل، وحمله ﷺ بين يديه وقبله.

(١) مسلم (٤/ ٢٠٩٢)
(٢) فضائل الصحابة (٢/ ٩٧٠)، حلية الأولياء (٢/ ٣٥).
(٣) السيرة النبوية للصلابى (٢/ ١٩٩)، شذرات الذهب (١/ ١٠).
(٤) البخارى فى الأدب (٢٨٦).

وهذا أبو رافع يخبرنا عن فعل رسول الله ﷺ، يقول: رأيت النبي ﷺ أذن في أذني الحسن حين ولدته فاطمة بالصلاة(١).

وحدثنا أبو رافع عن عقيقة الحسن فقال: لما ولدت فاطمة حسنًا قالت: ألا أعق عن ابني بدم (بكبشين) قال ﷺ: لا ولكن احلقي رأسه وتصدقي بوزن شعره من فضة على المساكين والأوفاض، وكان الأوفاض ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ محتاجين في المسجد أو الصفة ففعلت ذلك(٢).

هذا وقد وردت أحاديث كثيرة في فضائل الحسن بن علي رضي الله عنه منها:

أ- عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: رأيت الحسن بن عليٍّ على عاتق النبي ﷺ وهو يقول: «اللهم إني أحبه فأحبه»(٣).

ب- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال للحسن: «اللهم إني أحبه، فأحبه واحبب من يحبه»(٤).

جـ- وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كان يأخذه والحسن ويقول: اللهم إني أحبهما فأحبهما(٥).

د- عن أبي بكرة رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: «ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»(٦). فإخبار النبي ﷺ بأن الحسن سيد مفخرة عظيمة وميزة شريفة له رضي الله عنه وأرضاه، وقد تحققت نبوءة جده ﷺ، فأصلح على يديه بين المسلمين وحقن دماءهم، حيث نزل عن حقه في الخلافة لمعاوية رضي الله عنهم أجمعين، وكان ذلك في سنة إحدى وأربعين، وكانت خلافته رضي الله عنه ستة أشهر وسمي هذا العام عام الجماعة، وهذا ما أخبر به النبي ﷺ بقوله: «لعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين»(٧).

(١) سنن أبي داود رقم ٥١٠٥ إسناده ضعيف حكم عليه الشيخ عثمان الخميس عن رسالته للماجستير المتعلقة بالأحاديث الخاصة بالحسن والحسين: ص (٨٠).

(٢) الطبقات (١/ ٢٣٣) إسناده ضعيف.

(٣) البخاري رقم ٣٧٤٩.

(٤) مسلم ٢٤٢١.

(٥) البخاري رقم ٣٧٤٧.

(٦) البخاري رقم ٣٧٤٦.

(٧) البداية والنهاية (٨/ ٢٠)، سير أعلام النبلاء (٣/ ١٤٤، ١٤٥).

قال ابن حجر: فالحديث فيه علم من إعلام النبوة، ومنقبة للحسن بن على، فإنه ترك الملك لا لقلة ولا لذلة ولا لعلة، بل لرغبة فيما عند الله لما رآه من حقن دماء المسلمين، فراعى أمر الدين ومصلحة الأمة(١)، وسيأتى الحديث بإذن الله عن تنازل الحسن بالخلافة لمعاوية عند حديثنا عن عهده فى كتاب مستقل.

هـ- وعن سعيد المقبرى(٢)، قال: كنا مع أبى هريرة رضى الله عنه فجاء الحسن بن على ابن أبى طالب علينا فسلم فرددنا عليه السلام ولم يعلم به أبو هريرة فقلنا: يا أبا هريرة هذا الحسن بن على قد سلم علينا فلحقه وقال: عليك السلام يا سيدى ثم قال: إنه سيد(٣).

و- ومنها مشابهته رضى الله عنه للنبى فى الخلق، فقد روى البخارى بإسناده إلى أنس ابن مالك رضى الله عنه قال: لم يكن أحد أشبه بالنبى ﷺ من الحسن بن على(٤).

ز- وروى أيضًا بإسناده إلى عقبة بن الحارث قال: رأيت أبا بكر رضى الله عنه وقد حمل الحسن وهو يقول: بأبى شبيه بالنبى ليس شبيهًا بعلى، وعلى يضحك(٥)، فكونه رضى الله عنه شبه جده المصطفى ﷺ فى الخلق منقبة عظيمة له وفضيلة ظاهرة(٦).

٢- الحسين بن على رضى الله عنه:

هو أبو عبد الله الحسين بن على بن أبى طالب، سبط رسول الله ﷺ، وريحانته ومحبوبه، ابن بنت رسول الله، فاطمة رضى الله عنها، كان مولده سنة ٤هـ، وقيل غير ذلك، ومات رضى الله عنه قتيلاً شهيدًا، فى يوم عاشوراء من شهر المحرم سنة إحدى وستين هجرية بكربلاء من أرض العراق، فرضى الله عنه وأرضاه(٧)، وقد وردت فى مناقبه وفضائله أحاديث كثيرة منها:

أ- ما رواه أحمد بإسناده إلى يعلى العامرى رضى الله عنه أنه خرج مع رسول الله ﷺ يعنى إلى طعام دعوا له قال: فاستمثل رسول الله ﷺ أمام القوم، وحسين مع غلمان يلعب فأراد رسول الله ﷺ أن يأخذه فطفق الصبى يفر هنا مرة وها هنا مرة، فجعل النبى ﷺ يضاحكه حتى أخذه قال: فوضع إحدى يديه تحت قفاه والأخرى تحت ذقنه ووضع فاه

(١) فتح البارى (١٣/ ٦٦).
(٢) هو: كيسان المدنى مولى أم شريك، ثقة ثبت مات سنة ١٠٠، التقريب ٤٦٣.
(٣) المستدرك، ك معرفة الصحابة (٣/ ١٦٩) صحيح الإسناد ووافقه الذهبى.
(٤) البخارى، ك الفضائل رقم ٣٧٥٢. (٥) البخارى رقم ٣٧٥٠.
(٦) العقيدة فى أهل البيت، ص (١٤٧). (٧) البداية والنهاية (٨/ ١٥٢)، الإصابة (١/ ٣٣١ - ٣٣٤).

وقبله وقال: «حسين منى وأنا من حسين، اللهم أحب من أحب حسينًا، حسين سبط من الأسباط»[(١)]، وفى ذلك منقبة ظاهرة للحسين رضى الله عنه، إذ حث على محبته وكأنه ﷺ علم بنور الوحى ما سيحدث بينه وبين القوم فخصه بالذكر، وأكد على وجوب المحبة وحرمة التعرض والمحاربة، وأكد ذلك بقوله: «أحب الله من أحب حسينًا» فإن محبته تؤدى لمحبة الرسول ومحبة الرسول ﷺ من محبة الله»[(٢)].

ب- ومنها ما رواه البخارى بإسناده إلى أنس بن مالك رضى الله عنه قال: أتى عبيد الله ابن زياد[(٣)] برأس الحسين عليه السلام فجعل فى طست، فجعل ينكت وقال فى حسنه شيئًا، فقال أنس: كان أشبههم برسول الله ﷺ وكان مخضوبًا بالوسمة[(٤)(٥)].

جـ- وفى رواية أخرى عن أنس أيضًا قال: لما أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين جعل ينكت بالقضيب ثناياه يقول: لقد كان أحسبه قال جميلاً فقلت: والله لأسوءنك، إنى رأيت رسول الله يلثم حيث يقع قضيبك. قال: فانقبض[(٦)]. فالحديثان يدلان على فضل الحسين رضى الله عنه وأنه كان أشبه أهل البيت به، ولكن قد يرد إشكال ولا سيما أنه قد تقدم فى فضائل الحسن، أنه لم يكن أحد أشبه برسول الله ﷺ من الحسن بن على، فيحدث التعارض، وقد أزال الإشكال والتعارض ابن حجر رحمه الله حيث جمع بينهما فقال: ويمكن الجمع بأن يكون أنس قال ما وقع فى رواية الزهرى فى حياة الحسن لأنه يومئذ كان أشد شبهًا بالنبى ﷺ من أخيه الحسين، وأما ما وقع فى رواية ابن سيرين فكان بعد ذلك كما هو ظاهر من سياقه، أو المراد بمن فضل الحسين عليه فى الشبه ما عدا الحسن. ويحتمل أن يكون كل منهما أشد شبهًا فى بعض أعضائه، فقد روى الترمذى وابن حبان من طريق هانئ بن هانئ عن على قال: الحسن أشبه النبى ﷺ ما بين الرأس إلى الصدر، والحسين أشبه النبى ﷺ ما كان أسفل من ذلك[(٧)]، فهذه بعض الأحاديث الواردة فى الحسين رضى الله عنه وأرضاه.

---

(١) فضائل الصحابة رقم ١٣٦١، إسناده حسن. (٢) تحفة الأحوذى (١٠/ ٢٧٩).

(٣) قُتل عبيد الله عام ٧٦هـ، الإعلام (٤/ ١٩٣).

(٤) الوسمة بكسر السين وقد تسكن: نبت، وقيل شجر باليمن يخضب بورقه الشعر.

(٥) البخارى رقم ٣٧٤٨.

(٦) فضائل الصحابة (٢/ ٩٨٥) رقم ١٣٩٧ إسناده حسن، مجمع الزوائد (٩/ ١٩٥).

(٧) فضائل الصحابة رقم ١٣٦٦ إسناده صحيح.

٣- ما ورد من أحاديث في مناقب مشتركة بين الحسن والحسين رضى الله عنهما:

أ- ما رواه البخارى بإسناده إلى ابن عمر أنه قد سأله رجل من العراق عن المحرم يقتل الذباب، فقال رضى الله عنه: أهل العراق يسألون عن الذباب وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله ﷺ وقال النبى ﷺ: «هما ريحانتاى من الدنيا»(١).

قال ابن حجر: والمعنى أنهما مما أكرمنى الله وحبانى به، لأن الأولاد يشمون ويقبلون فكأنهم من جملة الرياحين(٢).

ب- عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحبهما فقد أحبنى، ومن أبغضهما فقد أبغضنى». يعنى حسنًا وحسينًا(٣).

جـ- وعن البراء بن عازب رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ أبصر حسنًا وحسينًا فقال: «اللهم إنى أحبهما فأحبهما»(٤).

د- عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»(٥).

هـ- عن عبد الله بن بريدة قال: سمعت أبى بريدة يقول: كان رسول الله ﷺ يخطبنا فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه، ثم قال: صدق الله ورسوله ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما(٦).

و- عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يعوذ الحسن والحسين: «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة، هكذا كان إبراهيم يعوذ ابنيه إسماعيل وإسحاق»(٧). وهذا الحديث لا يتعارض مع ما رواه سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه، قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «لا هامة»(٨) وما رواه أبو هريرة

---

(١) البخارى رقم ٣٧٥٣ (٢) فتح البارى (١٠/ ٤٢٧).

(٣) صحيح سنن أبى داود (٢/ ٢٩)، فضائل الصحابة رقم ١٣٥٩.

(٤) صحيح سنن الترمذى (٣/ ٢٢٦)، سنن الترمذى رقم ٣٧٨٢.

(٥) مجمع الزوائد (٩/ ١٨٤)، وصححه الألبانى فى الأحاديث الصحيحة (٢/ ٤٤٨).

(٦) فضائل الصحابة رقم ١٣٥٨ إسناده صحيح. (٧) البخارى رقم ٣٣٧١.

(٨) صحيح ابن حبان رقم ٦١٢٧ إسناده قوى، الطبرانى ١١٧٦٤.

عن رسول الله ﷺ فى قوله: «لا هام، لا هام»(١)، وقوله ﷺ: «لا عدوى ولا صفر ولا هامة»(٢)، فقد أجاب أبو جعفر الطحاوى بقوله: ففى هذه الأحاديث نفيه الهامة ونفى وجودها، فكيف يجوز أن يعوذهما من معدوم؟ فكان جوابنا له بتوفيق الله عز وجل وعونه: أن الهامة التى عوذهما ﷺ منها هو هوام الأرض التى يخاف غوائلها، والهامة التى نفاها هى خلافها، وهى ما كانت العرب تقوله فى موتها، فمن ذلك ما رثى به لبيد أخاه أربد(٣) بقوله:

فليس الناس بعدك فى نقير ... ولا هُمْ غيرُ أصداء وهام

ومن ذلك قول شعر أبى داود الأيادى:

سُلِّط الموت والمنون عليهم ... فلهم فى صدى المقابر هام

فنفى رسول الله ﷺ ذلك كما فى حديث أبى هريرة الذى رويناه، وأما الهامة التى عوذ منها حسنًا وحسينًا، فهى موجودة وهى هوام الأرض المخوفة وهى مشددة الميم، والهامة التى نفاها مخففة الميم، فليست منها فى شىء(٤).

خامسًا: حديث الكساء ومفهوم أهل البيت:

حديث الكساء روته عائشة رضى الله عنها(٥)، قالت: خرج النبى ﷺ غداة وعليه مرط مرحل «وهو الكساء» فأدخل عليا وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٦) [الأحزاب: ٣٣].

وهذا يبين لنا من كذب أن الصحابة يكتمون فضائل على، فهذه عائشة التى يدعون أنها تبغض عليًا هى التى تروى هذا الفضل لعلى وفاطمة(٧).

إن الخطاب فى الآيات الكريمة كله لأزواج النبى ﷺ حيث بدأ بهن وختم بهن، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى

(١) شرح مشكل الآثار (٧/ ٣٢٨) إسناده صحيح.
(٢) مسلم رقم (٢٢٢٠).
(٣) شرح مشكل الآثار (٧/ ٣٢٩).
(٤) المصدر نفسه (٧/ ٣٣٠)
(٥) مسلم رقم (٢٤٠٨) فضائل الصحابة.
(٦) مسلم رقم (٢١٦٧) ك الزكاة.
(٧) حقبة من التاريخ ص (١٨٧).

اللَّهِ يَسِيراً ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيراً﴾[الأحزاب: ٢٨-٣٤]، فالخطاب كله لأزواج النبى ﷺ ومعهن الأمر والنهى والوعد والوعيد، لكن لما تبين ما فى هذا من المنفعة التى تعمهن وتعم غيرهن من أهل البيت جاء التطهير بضمير المذكر لأنه إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، حيث تناول أهل البيت كلهم، وعلى وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم أخص من غيرهم بذلك، لذلك خصهم النبى ﷺ بالدعاء لهم، كما أن أهل بيت النبى ﷺ يتعدى عليًا والحسن والحسين وفاطمة إلى غيرهم كما فى حديث زيد بن أرقم، وأنه لما قيل له: نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته الذين حرموا الصدقة وهم آل على وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس(١)، وإذا اتسع مفهوم أهل بيت النبى ﷺ إلى أكثر من ذلك فهم نساؤه بدليل الآية، ويشمل أيضًا عليًا وفاطمة والحسن والحسين، كحديث الكساء، وبحديث زيد بن أرقم، وآل عباس بن عبد المطلب، وآل عقيل بن أبى طالب، وآل جعفر بن أبى طالب بدليل حديث زيد بن أرقم وآل الحارث بن عبد المطلب(٢)، وسيأتى الحديث عن الآية الكريمة مفصلاً عند مناقشتنا للشيعة بإذن الله تعالى.

سادسًا: ما يخص آل رسول الله ﷺ من الأحكام:

١- **تحرم عليهم الزكاة**: لحديث عبد المطلب بن ربيعة أن النبى ﷺ قال: **«إن الصدقة لا تنبغى لآل محمد، إنما هى أوساخ الناس»**(٣).

٢- **لا يرثون رسول الله ﷺ**: لحديث أبى بكر قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا نورث، ما تركنا صدقة»**(٤). وقد روى هذا الحديث أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن عبد المطلب وأزواج النبى ﷺ وأبو هريرة كما نص على ذلك ابن تيمية وهى ثابتة عنهم فى الصحاح والمسانيد(٥).

---

(١) مسلم رقم ١٠٧.
(٢) مسلم ك الزكاة رقم ١٦٧.
(٣) مسلم رقم ١٠٧٢.
(٤) البخارى رقم ٣٠٩٣ مسلم ١٧٥٧.
(٥) منهاج السنة (٤/ ١٩٥)، البداية والنهاية (٥/ ٢٥٢).

٣- لهم خمس الخمس في الغنيمة[١] **والفيء**[٢]: قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١].

وقال تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر: ٧].

٤- الصلاة عليهم مع النبي ﷺ: عن كعب بن عجرة قال: سألنا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإن الله قد علمنا كيف نسلم، قال: **«قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»**[٣]

٥- لهم مودة خاصة: ويتمثل هذا فيما رواه زيد بن أرقم عن النبي ﷺ: **«أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»**[٤]

قال القرطبي: وهذه الوصية، وهذا التأكيد العظيم يقتضي وجوب احترام أهله وتوقيرهم ومحبتهم، وجوب الفروض المؤكدة التي لا عذر لأحد في التخلف عنها[٥]، وقد فهم وصية النبي ﷺ بأهل بيته حق الفهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فأحبهم وأكرمهم، ودعا الناس إلى إكرامهم ومحبتهم، فقد روى البخاري بإسناده إلى أبي بكر رضي الله عنه، أنه قال: ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته[٦]

فهذا خطاب من الصديق رضي الله عنه ووصية منه للناس في حفظ حقوق آل بيت النبي ﷺ، فالمراقبة للشيء المحافظة عليه، ومعنى قول الصديق: احفظوه فيهم فلا تؤذوهم ولا تسيئوا إليهم[٧]، وقال النووي: ومعنى «ارقبوا»: راعوه واحترموه وأكرموه[٨]، وقد أكد رضي الله عنه تلك الحقوق بما قاله لعلي رضي الله عنه: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله

(١) ما أصيب من أموال أهل الحرب وأوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب، النهاية (٣/ ٣٨٩).
(٢) ما حصل للمسلمين من أموال الكفار من غير حرب ولا جهاد، النهاية (٣/ ٤٨٢).
(٣) البخاري رقم ٣٣٧٠، مسلم رقم ٤٠٦. (٤) مسلم رقم ٢٤٠٨
(٥) فتح القدير للمناوي (٣/ ١٤). (٦) البخاري رقم ٧١٣.
(٧) انظر: فتح الباري (٧/ ٩٧). (٨) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط: ص (١٧٥).

ﷺ أحب إليَّ أن أصل من قرابتي[١]. ومحبة أهل البيت من أصول أهل السنة والجماعة، يقول ابن تيمية: وإن من أصول أهل السنة والجماعة أنهم يحبون أهل بيت النبي ﷺ ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ[٢]، وقال القاضي عياض: إن علامات محبته ﷺ محبته لمن أحب النبي ﷺ، ومن هو بسببه من آل بيته، وصحابته من المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم أجمعين، فمن أحب شيئًا أحب من يحبه[٣]، وقال ابن كثير: ولا ننكر الوصاية بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخرًا، وحسبًا ونسبًا، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية، فكانوا من أهل الحق كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه، وعلي وأهل بيته وذريته رضي الله عنهم أجمعين[٤].

سابعًا: علي رضي الله عنه في غزوة أحد:

في غزوة أحد بدأ القتال بمبارزة بين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وطلحة بن عثمان، وكان بيده لواء المشركين، وطلب المبارزة مرارًا، فخرج إليه علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- فقال له علي: والذي نفسي بيده لا أفارقك حتى يعجلك الله بسيفي إلى النار أو يعجلني بسيفك إلى الجنة ، فضربه علي، فقطع رجله فوقع على الأرض فانكشفت عورته فقال: يا ابن عمي أنشدك الله والرحم! فرجع عنه ولم يجهز عليه، فكبر رسول الله وقال لعلي بعض أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ قال: إن ابن عمي ناشدني الرحم حين انكشفت عورته فاستحييت منه[٥]. وكان رضي الله عنه بعد الالتحام في ميمنة الجيش وأخذ الراية بعد مقتل مصعب بن عمير رضي الله عنه، في هذه المعركة قَتل من المشركين خلقًا كثيرًا، رغم ما أصاب المسلمين من الشدة في هذه الغزوة، إضافة إلى بلائه في الدفاع عن رسول الله ﷺ[٦]، وكان علي رضي الله عنه هو الذي أخذ بيد رسول الله ﷺ حينما وقع في الحفرة يوم أحد[٧]، لقد استشهد في تلك الغزوة عدد كبير من خيرة المهاجرين والأنصار، وتركت حزنًا عميقًا في نفس الرسول ﷺ، كما أصاب العدو من الرسول الكريم، فأدموا وجهه الشريف، فقامت ابنته فاطمة وزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنهما بمداواة جراحه، وإيقاف الدم الذي كان ينزف على وجهه ولحيته عليه الصلاة والسلام[٨].

(١) البخاري رقم ٣٧١٢.
(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٤٠٧).
(٣) الشفاء (٢/ ٥٧٣).
(٤) تفسير القرآن العظيم (٤/ ١١٣).
(٥) السيرة الحلبية (٢/ ٤٩٧، ٤٩٨).
(٦) البداية والنهاية (٧/ ٢٢٤).
(٧) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٨٩).
(٨) البخاري رقم ٤٠٧٥.

وظهرت شجاعة على رضى الله عنه فى تلك المعركة، فعندما أشيع أن الرسول ﷺ قتل، وافتقده عليٌّ، رأى أن الحياة لا خير فيها بعده، فكسر جفن سيفه، وحمل على القوم حتى أفرجوا له، فإذا برسول الله ﷺ[1]، فثبت معه ودافع عنه دفاع الأبطال، وقد أصابته ست عشرة ضربة فى ذلك اليوم[2].

وبعد انسحاب جيش المشركين من أرض المعركة أرسل رسول الله ﷺ على بن أبى طالب رضى الله عنه بعد الغزوة مباشرة، وذلك لمعرفة اتجاه العدو، فقال له: **اخرج فى آثار القوم وانظر ماذا يصنعون وما يريدون، فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة، والذى نفسى بيده إن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم**، قال على: فخرجت فى أثرهم أنظر ماذا يصنعون، فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة[3]، فخرج على رضى الله عنه، وأخبر رسول الله ﷺ بخبر القوم[4]، وفى هذا الخبر عدة دروس وعبر منها:

- شجاعة النبى ﷺ، حيث كان داخل صفوف المشركين ولم يصل إليه سيدنا على إلا بعد جهد جهيد، فوجد رسول الله ﷺ فى قلب العدو يقاتلهم حتى أصيب بعدة جروح.
- يقظة الرسول ﷺ، ومراقبته الدقيقة لتحركات العدو، وقدرته ﷺ على تقدير الأمور، وتحليل تصرفات الخصم وفهم ما يترتب عليها من قرارات.
- ظهور قوته المعنوية العالية، ويظهر ذلك فى استعداده لمقاتلة المشركين لو أرادوا المدينة.
- وفيه ثقة النبى ﷺ بعلى رضى الله عنه ومعرفته بمعادن الرجال.
- المروءة ومكارم الأخلاق عند على عندما رجع عن خصمه بعدما انكشفت عورته وإقرار رسول الله ﷺ له، وهذا العمل يعلمنا قيمة التعامل، وكيف تكون الأخلاق حتى مع الخصم وحتى فى ساحة المعركة.
- وجوب التضحية فى سبيل الله وأنه بهذه الروح ينتصر الإسلام فى الحياة وينال الشهيد الجنة، وهذا ما أثبته لنا بعض المهاجرين والأنصار فى هذه المعركة وغيرها.

---

(١) مسلم شرح النووى (١٢/ ١٤٨).

(٢)، (٣) مسند أبى يعلى (١/ ٤١٥، ٤١٦) إسناده حسن، خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد فقيهى، ص(٣٩).

(٤) البداية والنهاية (٤/ ٤١).

- وجوب الأخـذ بالأسباب، وظهر هذا عندمـا وضع رسول الله ﷺ بعض الصحابة على جبل أحد، فعصوه ونزلوا وكان هذا من أسباب الهزيمة.
- وفـيه شـجاعـة على رضى الله عنه، لأن هذا الجـيش لو أبصره مـا تورع عن محـاولة قتله[1]

ثامنًا: على رضى الله عنه فى غزوة بنى النضير:

يرى المحققون من المؤرخين أن غزوة بنى النضير كانت بعد أحد فى ربيع الأول من السنة الرابعة من الهـجرة، وقد رد ابن القـيم على من زعم أن غزوة بنى النضـير بعد بدر بسـتة أشهر بقـوله: وزعم محمد بن شهـاب الزهرى: أن غزوة بنى النضير كانت بعـد بدر بستة أشهر، وهذا وهم منه أو غلط عليه، بل الذى لا شك فيـه أنها بعد أحد، والتى كانت بعد بدر بستة أشهر هى غـزوة بنى قينقاع، وقريظة بعد الخندق، وخيبـر بعد الحديبية[2]، وقال ابن العربى: والصـحيح أنها بعـد أُحد[3]، وإلى هذا الرأى ذهب ابن كثـير[4]، ففى هذه الغزوة فقد الصحـابة على بن أبى طالب رضى الله عنه ذات ليلة، فقال النبى ﷺ: «**إنه فى بعض شأنكم**»، فعن قليل جاء برأس عَـزْوَكَ، وقد كمن له حتى خرج فى نفـر من اليهود يطلب غرة من المسلمين، وكـان شجاعًا راميًـا، فشد عليه على رضى الله عنه فـقتله، وفر اليهود[5]

تاسعًا: على رضى الله فى غزوة حمراء الأسد:

تعتبر هذه الغـزوة مكملة لغزوة أحد، فقد عاد المسلمون من أحد مـساء السبت الخامس عشر من شـوال من السنة الثالثة للهجـرة، وما إن أصبح الصبـاح وخرج الناس من صلاة الفجر إلا وأذَّن مؤذِّن رسول الله ﷺ بالتهيؤ على جناح السـرعة لمطاردة العدو، وألا يخرج من الناس إلا من شهد أُحُدًا، فاستجاب الناس لنداء رسول الله ﷺ مع ما بهم من جراحات وتعب، وكان فى مقدمتهم رسول الله ﷺ، ولم يسمح لعبد الله بن أبىٍّ بالخروج معه، ولا لأحد لم يشهد أحُدًا إلا جابر بن عبد الله بن عـمرو بن حرام الذى استشهد أبوه فى أُحُد، وكان قد مـنعه من الاشتراك فى بدر وأحـد ليبقى عند أخواته البنات، وخـرج الجيش وفى

(١) السيرة النبوية للصلَّابى (٢/ ١٤٥)، غزوة أحد لأبى فارس: ص (٩٥، ٩٦).
(٢) زاد المعاد (٣/ ٢٤٩).
(٣) أحكام القرآن لابن العربى (٤/ ١٧٦٥).
(٤) حديث القرآن عن الغزوات (١/ ٢٥٤).
(٥) إمتاع الأسماع للمقريزى (١/ ١٨٠).

مقدمتهم رسول الله ﷺ، ويحمل اللواء، لواء أحد نفسه علىٌّ بن أبى طالب[1]، ووصل المسلمون بقيادة رسولهم الكريم ﷺ إلى حمراء الأسد التى تبعد عن المدينة ثلاثة عشر ميلاً، حيث حطُّوا الرحال فيها، وقد أدهشت هذه الحركة اليهود والمنافقين لما فيها من جرأة وشجاعة، وأيقنوا أن الروح المعنوية عالية، وأنهم لو هُزموا لما عملوا على مطاردة قريش[2]، كما أن فى خروج النبى ﷺ إلى حمراء الأسد إشارة نبوية إلى أهمية استعمال الحرب النفسية للتأثير على معنويات الخصوم، فخرج ﷺ بجنوده إلى حمراء الأسد ومكث فيها ثلاثة أيام، وأمر بإيقاد النيران، فكانت تشاهد من مكان بعيد وملأت الأرجاء بأنوارها حتى خيل لقريش أن جيش المسلمين ذو عدد كبير لا طاقة لهم به، فانصرفوا وقد ملأ الرعب أفئدتهم[3].

قال ابن سعد: ومضى رسول الله ﷺ بأصحابه حتى عسكروا بحمراء الأسد، وكان المسلمون يوقدون تلك الليالى خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم فى كل وجه فكبت الله تعالى بذلك عدوهم[4]، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحرب الباردة وسجلها المولى عز وجل فى كتابه فى معرض الثناء على الصحابة: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٢- ١٧٥].

عاشراً: على رضى الله عنه وموقفه من حادثة الإفك:

ورد حديث الإفك الذى اتهم فيه المنافقون عائشة رضى الله عنها به، أن رسول الله ﷺ استدعى عليًا وأسامة واستشارهما فى فراق أهله، لما كثر القول وأقلق النبى ﷺ واستلبث الوحى، فأما أسامة، فأشار عليه بالذى يعلم من براءتها، فقال: يا رسول الله أهلك، ولا نعلم إلا خيرًا، وأما على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله

(١) وقد حمل على رضى الله عنه لواء رسول الله ﷺ فى غزوة الكُدر لبنى سليم بعد عودته إلى المدينة بسبع ليال من غزوة بدر.

(٢) على بن أبى طالب، أحمد السيد الرفاعى ص١ - ١٠، تاريخ الإسلام للذهبى، المغازى ص ٢٢٦.

(٣) غزوة أحد لأبى فارس: ص (٥١).

(٤) الطبقات لابن سعد (٢/ ٤٩).

عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك[1]، قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: أى بَرِيرَة هل رأيت من شىء يَرِيبك؟ قالت بريرة: لا والذى بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرًا أغمصه[2] عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتأتى الداجن[3] فتأكله، فقام رسول الله، فاستعذر[4] يومئذ من عبد الله بن أُبى ابن سَلول قالت: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: فوالله ما علمت على أهلى إلا خيرًا، ولقد ذكروا رجلاً[5]، ما علمت عليه إلا خيرًا، وما كان يدخل على أهلى إلا معى[6]. إن الكلام الذى قاله علىّ إنما حمله عليه ترجيح جانب النبى ﷺ، لما رأى عنده من القلق والغم بسبب القول الذى قيل. وكان شديد الغيرة، فرأى على رضى الله عنه فى بادئ الأمر أنه إذا فارقها سكن ما عنده من القلق بسببها إلى أن تتحقق براءتها، فيمكن رجعتها، ويستفاد منه ارتكاب أخف الضررين لذهاب أشدهما[7]، وقال النووى: رأى على أن ذلك هو المصلحة فى حق النبى ﷺ، واعتقد ذلك لما رأى من انزعاجه، فبذل جهده فى النصيحة، لإرادة راحة خاطره ﷺ[8]، كما أن عليا رضى الله عنه لم ينل عائشة - رضى الله عنها - بأدنى كلمة يفهم منها أنه عرَّض بأخلاقها، أو تناولها بسوء[9]، بل كان رأيه خيرًا لها، فهو يقول إن أردت أن ترتاح من المشكلة فإن غيرها كثير، وإن أردت الوصول للحقيقة، فاسأل الجارية توصلك إليها، وهى براءة عائشة، ثم بعد ذلك خطب رسول الله الناس وبين براءة عائشة، وخطورة من يخوض فى عرضه ظلمًا وزورًا، وقد بدت نصيحة على وأسامة بن زيد معًا إيجابيتين، وفى صالح عائشة رضى الله عنها، فقد ازداد النبى ﷺ قناعة بما علم من خير فى أهله[10].

وعلى القارئ الكريم أن يحذر من الروايات الباطلة ساقطة الاعتبار التى تزعم بإساءة على إلى عائشة فى أمر الإفك، والتى بنى عليها بعض الباحثين بأن ذلك جعل عائشة تغضب من على رضى الله عنه وتحقد عليه وتتهمه زورًا بقتل عثمان، وتخرج عليه مؤلبة

(1) البخارى رقم ٤٧٥٠.
(2) أغمصه: أى أعيبها به وأطعن بها عليه.
(3) الداجن: هى الشاة التى يعلفها الناس فى منازلهم.
(4) فاستعذر: أى قال: من يقوم بعذرى إن عاقبته على سوء صنيعه.
(5) هو صفوان بن المعطل السلمى.
(6) البخارى رقم ٤٧٥٠.
(7) دور المرأة السياسى: ص (٤٦٢).
(8) صحيح مسلم بشرح النووى (٥/ ٦٣٤).
(9) دور المرأة السياسى، أسماء محمد زيادة: ص (٤٦٢).
(10) المصدر نفسه: ص (٤٦٣).

عليه الأعـداد الهائلة من المسلمين[١]، ومن أمثال هؤلاء البـاحثين، على إبراهيم حسن فى التاريخ الإسلامى العام، وطه حـسين فى كتابه: على وبنوه[٢]، وغيرهم، وسوف نتحدث عن العلاقة المتينة بين أم المؤمنين عائشة وعلى - بإذن الله - عند حديثنا عن موقعة الجمل، لقد كانت قـصة الإفك حلقة من سلسلة فنون الإيذاء والمحن التى لقيـها رسول الله ﷺ من أعداء الـدين، وكان من لطف الله تعـالى بنبيـه وبالمؤمنين أن كشف الله زيفـها وبطلانـها، وسجل التاريخ بروايات صـحيحة مواقف المؤمنين من هذه الفرية، وهى مـواقف يتأسى بها المؤمنون عندما تعرض لهم فى حياتهم مثل هذه الفرية، فقد انقطع الوحى، وبقيت الدروس لتكون عبرة وعظة للأجـيال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها[٣]، وقد تحدثت فى كتابى «السيـرة النبوية عرض وقـائع وتحليل أحداث» عن الدروس والعـبر والآداب والأحكام التى تؤخذ من حادثة الإفك[٤].

(١) من أراد التوسع فى حادثة الإفك فليراجع السيرة النبوية للصَّلاَّبى (٢/ ٩٢٦).

(٢) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد فقيهى: ص (٥٤).

(٣) السيرة النبوية فى ضوء المصادر الأصلية: ص (٤٤٠).

(٤) السـيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (٢/ ٢٤٣ - ٢٥٥).

المبحث السادس

أهم أعمال على رضى الله عنه ما بين الأحزاب إلى وفاة النبى ﷺ

أولاً: على رضى الله عنه فى غزوة الأحزاب:

كان موقف أمير المؤمنين على رضى الله عنه فى الأحزاب بطوليًا رائعًا ينم عن مدى رسوخ العقيدة فى قلوب أصحاب النبى ﷺ، والدعوة إليها، والموت فى سبيلها، والبراءة ممن خالفها، قال ابن إسحاق: وخرج على بن أبى طالب فى نفر من المسلمين بعد أن اقتحمت خيل المشركين ثغرة فى الخندق حتى أخذوا عليهم الثغرة التى اقتحموا منها خيلهم، وأقبلت الفرسان تعدو نحوهم، وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراح، فلم يشهد يوم أُحد، فلما كان يوم الخندق خرج معلمًا ليُرَى مكانه فلما وقف هو وخيله قال: من يبارز؟ فبرز له على بن أبى طالب فقال له: يا عمرو، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى أحد خلتين إلا أخذتها منه، قال له: أجل، قال له على: فإنى أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام، قال: لا حاجة لى بذلك، قال: فإنى أدعوك إلى النّزال، فقال له: لِمَ يا ابن أخى؟ فوالله ما أحب أن أقتلك، قال له على: لكنى والله أحب أن أقتلك، فحمى عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه، فعقرها، وضرب وجهه، ثم أقبل على علىٍّ، فتنازلا وتجاولا فقتله على رضى الله عنه، وخرجت خيلهم منهزمة، حتى اقتحمت من الخندق هاربة[1].

وقد ذكر ابن كثير ما رواه البيهقى فى دلائل النبوة من أشعار قالها عمرو بن عبد ود وعلى رضى الله عنه، فقد قال عمرو لما خرج للمبارزة:

ولقد بححْتُ من النداء ... لجَمعِهِم هل من مبارز؟
ووقفت إذ جَبُنَ المشجَّع ... موقف القرن المناجز
ولذاك إنى لم أكُن ... متسرعًا قبل الهَزاهِزْ
إن الشجاعة فى الفتَى ... والجود من خير الغرائِزْ

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٣٤٨).

فعندما خرج له على رضى الله عنه:

لا تَعْجَلنَّ فقد أتاكَ ... مُجيبُ صَوتكَ غير عاجز
فى نية وبصيرة ... والصدق مَنْجَى كلِّ فائز
إنى لأرجُو أن أقيم ... عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى ... ذكرها عند الهزائز[1]

ولما قتل على رضى الله عنه عمرو بن عبد ود ذكروا أنه قال من الشعر:

أعليُّ تقتحم الفوارس هكذا ... عنّى وعنهم أخرّوا أصحابى
اليوم يمنعنى الفرارَ حفيظتى ... ومُصَمِّمٌ فى الرأس ليس بنابى[2]

وألقى عكرمة رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو، فقال حسان بن ثابت:

فرّ وألقى لنا رمحه ... لعلَّكَ عِكرمُ لم تفْعلِ
ووليت تعدو كعدو الظَّليم ... ما أن يحوّر عن المعدلِ
ولم تلوِ ظهرك مستأنسًا ... كأن قفاك قفا فَرْعَلِ[3]

وبعد مقتل عمرو بن عبد ود بعث المشركون إلى رسول الله ﷺ يشترون جيفته بعشرة آلاف، فقال: ادفعوا إليهم جيفتهم، فإنه خبيث الجيفة، خبيث الدية، فلم يقبل منهم شيئًا. وقد حدث هذا والمسلمون فى ضنك من العيش، ومع ذلك فالحلال حلال والحرام حرام، إنها مقاييس الإسلام فى الحلال والحرام، فأين هذا من بعض المسلمين الذين يحاولون إيجاد المبررات لأكل الربا وما شابهه؟[4].

ثانيًا: على رضى الله عنه فى غزوة بنى قريظة:

وكان فيها رضى الله عنه حامل راية رسول الله ﷺ فى المقدمة[5] إلى أن حكم فيها سعد بن معاذ، وكان فى بادئ الأمر لم ينزلوا على حكمه، قال ابن هشام: إن علىّ بن أبى طالب صاح وهم محاصرو بنى قريظة: يا كتيبة الإيمان، وتقدم هو والزبير بن العوام،

(١) نجلاء: واسعة، الهزائز: الحروب والشدائد.
(٢) البداية والنهاية (٤/ ١٠٦).
(٣) الفرعل: صغار الضباع.
(٤) معين السيرة للشامى: ص (٩٤).
(٥) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٢٥٨).

وقال: والله لأذوقن مـا ذاق حمزة، أو لأقتـحمن حصونهـم، فقالوا: يا محـمد ننزل على حكم سعـد بن معاذ[1]، وهكذا أنزل الله تعالى الرعب والخـوف فى قلوب أعداء العقـيدة والدين، على لسان ذاك التـقى النقى لما آتاه الله من حب الاستـبسال والموت فى سبـيل عزة دين الله تعالى، وقد نادى كتيبته بأحب الأسماء التى ينادى بها الله تعالى عباده ألا وهو نداء الإيمان الذى يتجلى فيه صدق الاعتقاد، وصلاح العمل، وحب الجهاد فى سبيله تعالى[2].

ولما حكم سعـد بن معاذ رضى الله عنه أن تقتل مـقاتلتهم، وأن تسـبى النساء والذرية، وأن تقسم الأموال[3]، فكان من الذين يباشرون القتل على بن أبى طالب والزبير رضى الله عنهما[4].

ثالثًا: على رضى الله عنه فى صلح الحديبية وبيعة الرضوان:

فى غزوة الحديبية وقبل الصلح، خرج بعض العبيد (الأرقاء) من مكة إلى رسول الله ﷺ، فكتب إليه مواليهم بإرجاعهم، فرفض رسول الله ﷺ أن يرجعهم وقال: **«يا معشر قريش لتنتهن أو ليبعثن الله عليكم من يضرب رقابكم بالـسيف على الدين، قد امتحن الله قلبه على الإيمان»**، فسأله الصحابة بتلهف: من هو يا رسـول الله؟ وكلهم يرجو أن يفوز هو بهذه الشهـادة العظيمة من رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: **هو خاصف النعل**، وكان قـد أعطى عليًا يخصفـها[5]، ولَّما تَم الصلح بين المسلمين ومشركى قريش، كتب على كتـابًا بينهم قال: فكتب: محمد رسول الله، فقال المشـركون: لا تكتب محمـد رسول الله، لو كنت رسول الله لم نقاتلك. فـقال لعلى: **امحـه** قال: مـا أنا بالذى أمحـوه، فمحـاه رسول الله ﷺ بيده فصـالحهم على أن يدخل هو وأصحابه ثلاثة أيام، ولا يدخلها إلا بجلبَّان[6] السلاح[7]، وقد امتنع على رضى الله عنه عن محو كلمة (رسول الله) بدافع محبته لرسول الله ﷺ وتعظيمه[8]. وقد طعن الروافض الغلاة

(١) البخارى رقم ١٤٢١، السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٢٦٣).
(٢) الخليفتان عثمان وعلى بين السنة والشيعة، أنور عيسى: ص (٧٨).
(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٢٦٣)، البخارى رقم ٤١٢١.
(٤) إمتاع الأسماع للمقريزى (١/ ٢٤٧).
(٥) مرويات غزوة الحديبية، حافظ الحكمى: ص (١٨٣)، والحديث صـحيح بمجموع طرقه، خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على ناصر: ص (٣٠).
(٦) الجلبّان: شبه جراب من الأدم يوضع فيه السيف المغمور.
(٧) مسلم (٣/ ١٤٠٩)، خصائص على للنسائى، تحقيق أحمد البلوشى: ص (٢٠٣).
(٨) الانتصار للصحب والآل: ص (٢٦٢ - ٢٧٤).

في موقف الصحابة وعمر بن الخطاب رضى الله عنهم فى الحديبية، وذكروا من مراجعة عمر للنبى ﷺ فى أمر الصلح، وكذلك تأخر الصحابة فى بداية الأمر عن النحر والحلق حتى نحر رسول الله ﷺ وحلق، ولا مطعن فى شيء من هذا فى أصحاب رسول الله ﷺ لا عمر ولا غيره من الصحابة الذين شهدوا الحديبية، وبيان ذلك أن الرسول ﷺ كان قد رأى فى المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت، فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة، فلما ساروا معه عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتفسر هذا العام، فلما وقع أمر الصلح، وفيه أن يرجعوا عامهم هذا، ثم يعودوا العام القادم شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ[1]، فجعل عمر - رضى الله عنه - على ما عرف به من القوة فى الحق والشدة فيه يسأل رسول الله ﷺ ويراجعه فى الأمر، ولم تكن أسئلته التى سألها رسول الله لشك فى صدق الرسول ﷺ، أو اعتراض عليه، لكن كان مستفصلاً عما كان متقررًا لديه، من إنهم سيدخلون مكة ويطوفون بالبيت، وأراد بذلك أن يحفز رسول الله ﷺ على دخول مكة، وعدم الرجوع إلى المدينة، لما يرى فى ذلك من عز لدين الله وإرغام للمشركين[2].

قال النووى: قال العلماء: لم يكن سؤال عمر - رضى الله عنه - وكلامه المذكور شكًا بل طلبًا لكشف ما خفى عليه، وحثًا على إذلال الكفار وظهور الإسلام، كما عرف من خلقه - رضى الله عنه - وقوته فى نصر الدين وإذلال المبطلين[3]، فعمر - رضى الله عنه - كان فى هذا مجتهدًا حمله على هذا شدته فى الحق، وقوته فى نصرة الدين، والغيرة عليه، مع ما كان قد عودهم عليه رسول الله ﷺ من المشورة وإبداء الرأى إمتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقد كان كثيرًا ما يستشيرهم ويأخذ برأيهم، كما استشارهم يوم بدر فى الذهاب إلى العير، وأخذ بمشورتهم، وشاورهم يوم أحد فى أن يقعد فى المدينة، أو يخرج للعدو، فأشار جمهورهم بالخروج إليه فخرج إليهم، وشاورهم يوم الخندق فى مصالحة الأحزاب بثلث ثمار المدينة عامئذ فأبى عليه السعدان (سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة) فترك ذلك، وشاورهم يوم الحديبية أن يميل على ذرارى المشركين، فقال أبو بكر: إنا لم نجئ لقتال، وإنما جئنا معتمرين، فأجابه إلى ما قال[4]. وفى حوادث كثيرة يطول ذكرها، فقد كان عمر - رضى الله عنه - يطمع أن يأخذ رسول الله ﷺ برأيه فى مناجزة قريش وقتالهم، ولهذا راجعه فى

(١) البداية والنهاية (٤/ ١٧٠)، تاريخ الطبرى (٢/ ٦٣٥).

(٢) الانتصار للصحب والآل: ص (٢٦٤).

(٣) شرح صحيح مسلم (١٢/ ١٤١).

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٤٢٠) عند تفسير قوله: «وشاورهم فى الأمر».

ذلك، وراجع أبا بكر، فلما رأى اتفاقهما أمسك عن ذلك وترك رأيه، فعذره رسول الله لما يعلم من حسن نيته وصدقه(١).

أما توقف الصحابة عن النحر والحلق حتى نحر رسول الله ﷺ وحلق، فليس معصية لأمر رسول الله ﷺ، وقد ذكر العلماء له عدة توجيهات، قال ابن حجر: قيل: كأنهم توقفوا لاحتمال أن يكون الأمر بذلك للندب، أو لرجاء نزول وحى بإبطال الصلح المذكور، أو تخصيصه بالإذن بدخولهم مكة ذلك العام لإتمام نسكهم، وسوغ لهم ذلك لأنه كان زمان وقوع النسخ، ويحتمل أنهم ألهتهم صورة الحال فاستغرقوا فى الفكر لما لحقهم من الذل عند أنفسهم، مع ظهور قوتهم واقتدارهم فى اعتقادهم على بلوغ غرضهم، وقضاء نسكهم بالقهر والغلبة، أو أخروا الامتثال لاعتقادهم أن الأمر المطلق لا يقتضى الفور، ويحتمل مجموع هذه الأمور لمجموعهم(٢)، وجاء فى بعض الروايات أن الرسول ﷺ لما رأى عدم امتثالهم دخل على أم سلمة فذكر لها ذلك فقالت: يا رسول الله لا تكلمهم فإنهم دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة فى أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح(٣)، فأشارت عليه كما جاء فى رواية البخارى: أن اخرج ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج لم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا(٤)، قال ابن حجر: ويحتمل أنها فهمت عن الصحابة أنه احتمل عندهم أن يكون النبى ﷺ أمرهم بالتحلل أخذًا بالرخصة فى حقهم، وأنه يستمر على الإحرام أخذًا بالعزيمة فى حق نفسه، فأشارت عليه أن يتحلل لينتفى عنهم هذا الاحتمال، وعرف النبى ﷺ صواب ما أشارت به ففعله.. ونظير هذا ما وقع لهم فى غزوة الفتح من أمره لهم بالفطر فى رمضان، فلما استمروا على الامتناع، تناول القدح فشرب، فلما رأوه شرب شربوا(٥).

وهذا الوجه حسن، وهو اللائق بمقام أصحاب النبى ﷺ، فلما أمرهم النبى ﷺ بالتحلل ولم يفعل، ظنوا أن الذى حمله على هذا هو الشفقة عليهم، كما كانت سيرته معهم، فكأنهم - رضى الله عنهم - آثروا التأسى به على ما رخص لهم فيه من التحلل، ثم لما رأوه قد تحلل أيقنوا أن هذا هو الأفضل فى حقهم، فبادروا إليه، وهذا مثل ما حصل منهم فى الحج مع النبى ﷺ لما بلغوا مكة وطافوا وسعوا أمرهم أن يحلوا، وأن يصيبوا النساء

(١) الانتصار للصحب والآل: ص (٢٢٦).
(٢)، (٣)، (٤) فتح البارى (٥/ ٣٤٧).
(٥) البخارى، ك الشروط ٢٧٣٢.

ويجعلوها عمرة، فكبر ذلك عليهم لتعظيمهم لنسكهم، وقالوا: نذهب إلى عرفة ومذاكيرنا تقطر من المنى، فلما علم بذلك الرسول ﷺ وكان لم يتحلل، قال لهم: **«أيها الناس أحلوا فلولا الهدى الذى معى فعلت كما فعلتم»**. قال جابر - رضى الله عنه - راوى الحديث: فحللنا وسمعنا وأطعنا(١)، وهذا كله من حرص أصحاب رسول الله ﷺ على الخير والرغبة فى التأسى برسول الله ﷺ التأسى الكامل(٢).

إن موقف النبى ﷺ فى سكوته على عمر رضى الله عنه عندما عارضه على الصلح يعطى قيمة كبرى بأنه على القيادات الإسلامية من حكام وعلماء ودعاة أن يتحلوا بسعة الصدر وحسن الاستماع للرأى الآخر، وإعطاء المجال لكل ذى رأى أن يعبر عن رأيه بما يخدم المصلحة العامة، لا أن يفتح السجون ويكمم الأفواه. إن النبى ﷺ فى صلح الحديبية بين أن حرية إبداء الرأى مكفولة فى المجتمع الإسلامى، وأن للفرد فى المجتمع المسلم الحرية فى التعبير عن رأيه، ولو كان هذا الرأى نقدًا لموقف حاكم من الحكام أو خليفة من الخلفاء، فمن حق الفرد المسلم أن يبين وجهة نظره فى جو من الأمن والأمان دون إرهاب أو تسلط يخنق حرية الكلمة والفكر، وإذا كان هذا موقف رسول الله ﷺ مع عمر، فمعارضة رئيس الدولة - من باب أولى - فى رأى من الآراء، وموقف من المواقف، ليست بحد ذاتها جريمة تستوجب العقاب، ويغيب صاحبها فى غياهب السجون(٣)، كما أن الهدى النبوى الكريم يعلمنا كيف يربى أصحابه من خلال الأحداث. ولقد نال على رضى الله عنه فى الحديبية مع من حضر من أصحاب رسول الله، رضا الله عز وجل ونزل فيهم قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾ [الفتح: ١٨]، وقال رسول الله ﷺ: **«لن يدخل أحد النار بايع تحت الشجرة»**(٤)، وقد نال على رضى الله عنه وإخوانه مثل أبى بكر وعمر وغيرهما من قبل فى بدر وسامًا عظيمًا وشرفًا عاليًا، فقد قال رسول الله فى أهل بدر: **«وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»**(٥).

رابعًا: عمرة القضاء ٧هـ وعلى رضى الله عنه، وحضانة ابنة حمزة رضى الله عنهما:

لقد تغيرت النفوس والعقول بتأثير الإسلام تغيرًا عظيمًا، فعادت البنت - التى كان يتعير بها أشراف العرب، وجرت عادة وأدها فى بعض القبائل فرارًا من العار، وزهدًا فى

(١) البخارى، ك الاعتصام رقم ٧٣٦٧.
(٢) الانتصار للصحب والآل: ص (٢٦٨)، وهذا من أفضل الكتب فى الرد على بعض شبهات الروافض.
(٣) غزوة الحديبية لأبى فارس: ص (١٣٤، ١٣٥).
(٤) البخارى رقم ٤٨٤٠، مسلم ١٨٥٦.
(٥) البخارى رقم ٣٩٨٣، مسلم ٢٣٩٤.

البنات- حبيبة يتنافس فى تربيتها المسلمون، وكانوا سواسية، ولا يرجح بعضهم على بعض إلا بفضل أو حق[1]، فلما أراد النبىﷺ الخروج من مكة، تبعته ابنة حمزة تنادى: يا عم، فتناولها على، فأخذ بيدها وقال لفاطمة رضى الله عنها: دونك ابنة عمك، فاختصم فيها على وزيد وجعفر. قال على: أنا أخذتها وهى بنت عمى، وقال جعفر: هى ابنة عمى وخالتها تحتى، وقال زيد: ابنة أخى، فقضى بها النبىﷺ لخالتها وقال: **الخالة بمنزلة الأم** ، وقال لعلى: **أنت منى وأنا منك** ، وقال لجعفر: **أشبهت خلقى وخلقى** ،وقال لزيد: **أنت أخونا ومولانا** ، وقال على لرسول اللهﷺ : ألا تتزوج بنت حمزة. قال: إنها ابنة أخى من الرضاعة[2].

وفى هذه القصة دروس وعبر وأحكام وفوائد منها:

١- الخالة بمنزلة الأم.

٢- الخالة تقدم على غيرها فى الحضانة إذا لم يوجد الأبوان.

٣- تزكية رسول اللهﷺ لجعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ووصفه له بقوله: **أشبهت خلقى وخلقى** .

٤- منقبة زيد بن حارثة: يقول له الرسول: **أنت أخونا ومولانا** ، لأنه كان أخًا لحمزة بن عبد المطلب، فقد آخى الرسولﷺ بينهما، وهو باجتهاده يريد أن يكون عليه ما على الأخ الشقيق من واجبات، والواجب أن يكون وليًا على بنت حمزة رضى الله عنه.

٥- زواج المرأة لا يسقط حقها من الحضانة: لقد حكم النبىﷺ إلى زوجة جعفر بالحضانة وعمتها صفية بنت عبد المطلب حية موجودة.

٦- لابد من موافقة الزوج على حضانة زوجته لابنة أختها، لأن الزوجة محتبسة لمصلحته ومنفعته، والحضانة قد تفوت هذه المصلحة جزئيًا، فلابد من استئذانه، ونلاحظ هنا أن جعفر بن أبى طالب قد طالب بحضانة بنت عمه حمزة لخالتها وهى زوجة له، فدل على رضاه بذلك.

٧- إن الطفل إذا رضع مع عمه يصبح أخًا له فى الرضاعة، وتصبح بناته كلهن بنات أخيه من الرضاعة، فيحرم عليه نكاحهن[3].

(١) السيرة النبوية للندوى: ص (٣٢١). (٢) البخارى رقم ٤٢٥١.

(٣) زاد المعاد (٢/ ٣٧٤، ٣٧٥)، صلح الحديبية لأبى فارس: ص (٢٨٦، ٢٨٧).

خامسًا: على رضى الله عنه فى غزوة خيبر ٧هـ:

ذكر ابن إسحاق[١]، أنها كانت فى المحرم من السنة السابعة للهجرة، وذكر الواقدى[٢] أنها كانت فى صفر أو ربيع الأول من السنة السابعة للهجرة، بعد العودة من غزوة الحديبية، وذهب ابن سعد[٣] إلى أنها فى جمادى الأولى سنة سبع، وقال الإمامان الزهرى ومالك: إنها فى محرم من السنة السادسة[٤]، وقد رجح ابن حجر[٥] قول ابن إسحاق على قول الواقدى[٦]، وفى هذه الغزوة تجلت بطولة أمير المؤمنين على بن أبى طالب، ومكانته عند الله وعند رسوله، وما قدر الله من فتح هذه المستعمرة اليهودية، ذات الأهمية العسكرية الاستراتيجية على يده فى مظهر جلى رائع[٧]، فقد كانت خيبر مستعمرة يهودية تتضمن قلاعًا حصينة، وقاعدة حربية لليهود، آخر معقل من معاقلهم فى جزيرة العرب، وكانوا يتربصون بالمسلمين الدوائر، ويتآمرون مع يهود المدينة وخارجها لغزو المدينة، فأراد رسول الله ﷺ أن يستريح منهم، ويأمن من جهتهم، وكانت فى الشمال الشرقى للمدينة على بعد سبعين ميلاً منها[٨]، توجه رسول الله ﷺبجيشه إلى خيبر، وكانوا ألفًا وأربعمائة، ونازل حصون خيبر، وبدأ يفتحها حصنًا حصنًا، واستعصى حصن القموص على المسلمين، وكان على بن أبى طالب رمدًا[٩]، فقال رسول الله ﷺ **«لأعطين هذه الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»** فبات الناس يدوكون[١٠] ليلتهم أيهم يُعطاها؟ فلما أصبح الناس، غدوا على رسول الله ﷺكلهم يرجو أن يعطاها، فقال: **أين علىّ بن أبي طالب؟** فقيل: هو يا رسول الله يشتكى عينيه. قال: **فأرسلوا إليه** فأتى به، فبصق رسول الله فى عينيه، ودعا له فبرأ حتى كأنه لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال على: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا. فقال: **«انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحدًا خير لك من أن يكون لك حُمُر النَّعَم»**[١١]. فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر، وكان من صور بطولته فيها أن خرج له مرحب ملكهم وهو يقول:

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٤٥٥).
(٢) المغازى (٢/ ٦٣٤).
(٣) الطبقات (٢/ ١٠٦)
(٤) تاريخ دمشق (١/ ٣٣).
(٥) الفتح (١٦/ ٤١) السيرة النبوية فى ضوء المصادر الأصلية: ص (٥٠٠).
(٦) السيرة النبوية فى ضوء المصادر الأصلية: ص (٥٠٠)..
(٧)، (٨) المرتضى للندوى: ص (٥٢).
(٩) المصدر نفسه: ص (٥٣)
(١٠) أى: بات الناس فى اختلاط واختلاف.
(١١) مسلم رقم ٣٤٠٦.

قد علمت خيبر أنى مرحب ... شاكى السلاح بطل مُجرب
إذا الحروب أقبلت تَلَهَّبُ

فقال على:

أنا الذى سمتنى أمى حيدرة ... كليث غابات كريه المنظرة
أوفيهم بالصاع كيل السندرة

فضرب رأس مرحب فقتله، ثم كان الفتح على يديه(١).

وفى موقف على فى غزوة خيبر دروس وعبر وفوائد منها:

١- **فضيلة عظيمة ومنقبة ظاهرة لأمير المؤمنين على رضى الله عنه:** حيث شهد له النبى ﷺ بالمحبة فى قوله: «**يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**» وقال ابن حجر فى معنى أن عليًا يحب الله ورسوله أراد بذلك وجوب المحبة، وإلا فكل مسلم يشترك مع على فى مطلق هذه الصفة. وفى هذا الحديث تلميح بقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [آل عمران: ٣١]. فكأنه أشار إلى أن عليًا تام الاتباع لرسول الله ﷺ حتى اتصف بصفة محبة الله له(٢).

٢- **بركة دعائه ﷺ:** حيث استجاب الله لدعاء رسوله ﷺ، وقد قال على رضى الله عنه: ما رَمِدْتُ منذ تفل النبى ﷺ فى عينى(٣)، كما أن عليًا رضى الله عنه مرض مرة، فأتاه النبى ﷺ وهو يقول: اللهم إن كان أجلى قد حضر فأرحنى، وإن كان متأخرًا فارفعنى، وإن كان البلاء فصبرنى، فقال له رسول الله ﷺ: ما قلت؟ فأعاد عليه، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم اشفه، اللهم عافه**»، ثم قال: قم. فقمت، فما عاد لى ذلك الوجع بعده(٤).

٣- **لا علاقة بين هذا الحديث وإمامة على رضى الله عنه:** ذهب الروافض إلى أن عليًا رضى الله عنه هو الخليفة بعد النبى ﷺ، واستدلوا بمجموعة من الأحاديث تدل على فضله ولا تدل على إمامته، منها هذا الحديث وزادوا فيه زيادات باطلة لا تصح عند علماء الحديث، كما أنه لا ملازمة بين كونه محبًا لله ورسوله ومحبوبًا لهما وبين كونه إمامًا بلا فضل أصلاً. على أنه لا يلزم من إثباتهما له نفيهما عن غيره، كيف وقد قال الله تعالى فى حق

(١) مسلم (٣/ ١٤٤١) رقم ١٨٠٧.

(٢) فتح البارى (٧/ ٧٢).

(٣) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم ٥٨٩ إسناده حسن.

(٤) مسند أحمد (٢/ ١٥١) صححه أحمد شاكر.

أبى بكر ورفقائه: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال فى حق أهل بدر: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، ولا شك أن من يحبه الله يحبه رسوله، ومن يحب الله من المؤمنين يحب رسوله، وقال فى شأن أهل مسجد قباء: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]. ولما سئل: من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة. قيل: ومن الرجال؟ قال: أبوها(١). وإنما نص على المحبة والمحبوبية فى حق على مع وجودهما فى غيره لنكتة دقيقة تحصل من ضمن قوله: «يفتح الله على يديه»(٢). وهى أنه لو ذكر مجرد الفتح لربما توهم أن ذلك غير موجب لفضيلته لما ورد فى قوله ﷺ: «إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر». فأزال ذلك التوهم بإثبات هاتين الصفتين له، فصار المقصود منه تخصيص مضمون «يفتح الله على يديه» وما ذكر من الصفات لإزالة ذلك التوهم(٣).

٤- وهناك مجموعة من الفوائد من حديث فضل علىٍّ فى فتح خيبر منها:

- فضل الصحابة فى انشغالهم تلك الليلة وشغلهم عن بشارة الفتح، لأنهم انشغلوا عنها بالتماسهم معرفة من يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، والإيمان بالقدر لحصولها لمن لم يسع لها ومنعها عمن سعى، لأنَّ الصحابة غدوا على رسول الله مبكرين كلهم يرجو أن يُعطاها ولم يعطوها، وعلى بن أبى طالب مريض، ولم يسع لها، ومع ذلك أعطى الراية.

- الأدب فى قوله: على رسلك، ووجهه أنه أمره بالتمهل وعدم التسرع، والدعوة إلى الإسلام قبل القتال، والدعوة بالحكمة، تؤخذ من قوله: أخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، لأن من الحكمة أن تتم الدعوة، وذلك بأن تأمره بالإسلام أولاً، ثم تخبره بما يجب عليه من حق الله، ولا يكفى أن تأمره بالإسلام لأنه قد يطبِّق هذا الإسلام الذى أمرته به، وقد لا يطبقه، بل لابد من تعاهده حتى لا يرجع إلى الكفر. والمعرفة بحق الله فى الإسلام تؤخذ من قوله ﷺ: «وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه».

- ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد، لقوله ﷺ: «لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم» أى: خير لك من كل ما يستحسن فى الدنيا، وليس المعنى كما قال بعضهم: خير لك من أن تتصدق بنعم حمر.

---

(١) البخارى، فتح البارى (٧/ ٢٢). (٢) مسلم رقم ٣٤٠٦.

(٣) مختصر التحفة الإثنى عشرية: ص (٧٠).

- الحلف على الفتيا لقوله ﷺ «فوالله لأن يهدى الله... إلخ، فأقسم النبى ﷺ وهو لم يُستقسم، والفائدة: هى حثه على أن يهدى الله به والتوكيد عليه. وقد أمر الله رسوله بالحلف فى ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، فى قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [يونس: ٥٣]، وفى قوله: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧]. وفى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ: ٣]. فإذا كان هناك فى القَسَم مصلحة ابتداء، أو جوابًا لسؤال جاز وربما يكون مطلوبًا(١).

سادسًا: على رضى الله عنه فى فتح مكة وغزوة حنين ٨هـ:

نقضت قريش صلحها مع رسول الله ﷺ بمساندتها بنى بكر على خزاعة حليف المسلمين، ودعمتهم بالخيل والسلاح والرجال. فقال رسول الله: «نصرت يا عمرو بن سالم، لا نصرنى الله إن لم أنصر بنى كعب» ولما عرض السحاب من السماء قال: «إن هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب» .(٢) وقد جاء عمرو بن سالم إلى المدينة وأنشد قصيدة بين يدى رسول الله ﷺ جاء فيها:

يا رب إنى ناشد محمدًا ... حلف أبينا وأبيه الأتلدا
قد كنتم ولدًا، وكنا والدًا ... ثُمت أسلمنا فلم ننزع يدًا
فانصر هداك الله نصرًا أعتدا ... وادع عباد الله يأتوا مددًا
فيهم رسول الله قد تجردا ... إن سيم خسفا وجهه تربدًا

إلى أن قال:

وزعموا أن لست أدعو أحدًا ... وهم أذل وأقل عددًا
هم بيتونا بالوتير هجّدا ... وقتلونا رُكّعا وسجدًا

وبعثت قريش أبا سفيان إلى المدينة لتمكين الصلح وإطالة أمده، وعندما وصل إلى المدينة دخل على رسول الله ﷺ يعرض حاجته، أعرض عنه النبى ﷺ ولم يجبه، فاستعان بكبار الصحابة أمثال أبى بكر وعمر وعثمان وعلى حتى يتوسطوا بينه وبين رسول الله ﷺ ، فأبوا

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد، لمحمد صالح (١/ ١٤١، ١٤٢).
(٢) البداية والنهاية (٤/ ٢٧٨).

جميعًا، فعاد أبو سفيان إلى مكة من غير أن يحظى بأى اتفاق أو عهد[1]، وكانت لعلى رضى الله عنه فى فتح مكة مواقف متعددة منها:

١- **إحباط محاولة تجسس لصالح قريش:** عن حسن بن محمد بن على بن عبيد الله بن أبى رافع أنه سمع عليًا يقول: بعثنى رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: **«انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخٍ، فإنَّ بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها»**. فانطلقنا تَعَادى بنا خيلُنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، قلنا: أخرجى الكتاب، قالت: ما معى من كتاب. قلنا لتُخرجنَّ الكتاب أو لنُلقينَّ[2] الثياب، قال: فأخرجت الكتاب من عقاصها، فأخذنا الكتاب، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبى بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله: **يا حاطب ما هذا؟** قال: لا تعجل علىَّ، إنى كنت امرأً مُلْصَقًا فى قريش، ولم أكن من أنفُسها، وكان من كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة، فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن أتَّخذ فيهم يدًا يحمون بها قرابتى، وما فعلت ذلك كفرًا، ولا ارتدادًا عن دينى ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله : **«إنه قد صدقكم»**. فقال عمر: دَعْنى أضرب عُنُق هذا المنافق. فقال: **«إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعلَّ الله قد اطَّلعَ إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم»**[3].

٢- **أجَرْنا من أجرتِ يا أم هانئ:** قالت أم هانئ بنت أبى طالب - أخت على رضى الله عنهما -: لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكة فر إلىَّ رجلان من أحمائى، من بنى مخزوم، وكانت عند هُبيرة بن أبى وهب المخزومى، قالت: فدخل علىٌّ على بن أبى طالب أخى، فقال: والله لأقتلنهما، فأغلقت عليهما باب بيتى، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة، فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لأثر العجين، وفاطمة ابنته تستره بثوبه، فلما اغتسل أخذ ثوبه، فتوشح به، ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى، ثم انصرف إلىَّ فقال: مرحبًا وأهلاً يا أم هانئ ما جاء بك؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر علىّ، فقال: **قد أجرنا من أجرت وأمَّنا من أمنت، فلا يقتلهما**[4]، وبناء على ما تقدم، فإن تأمين المسلم للكافر من أهل الحرب يجعله فى أمان، ومن ثمّ فلا يجوز للمسلمين أن يتعرضوا له بشىء.. وحتى يُصان حقُّ التأمين هذا من أى ضرر يمكن أن يلحق بالمسلمين من جرَّائه - فقد شرط الفقهاء لصحَّته أن

(١) التاريخ السياسى والعسكرى د. على معطى: ص (٣٦٥).
(٢) فى رواية: أو لنقلبن.
(٣) إسناده صحيح، الموسوعة الحديثية مسند أحمد رقم ٦٠٠.
(٤) صحيح السيرة: ص (٥٢٧).

يتجـردَّ مُعْطى الأمان من التُّهـمَة، ويَخْلُو ذلك الأمان الممنوح من أيَّة مـفسدة[1]، أو يرفع الأمر إلى ولى الأمر ليرى رأيه فيه.

٣- مقتل الحـويرث بن نقيذ بن وهب: فى هذا الفتح العظيم، كان النبىﷺ قد عهد إلى أمرائه ألا يقـاتلوا إلا من قاتلهم، غـير أنه أهدر دمَ نفر سـمَّاهم، وإن وجدوا تحت أسـتار الكعبة، منهم الحويرث بن نقيذ بن وهب، كان ممن يؤذى النبىﷺ بمكة، ولما تحمل العباس بفاطمة وأم كلثوم، نخس[2] بهما الحـويرث الجمل الذى هما عليه فـسقطتا على الأرض، فلما أهدر دمه وظفر به علىٌّ قتله[3].

٤- على رضى الله عنه فى مهـمة إصلاحـية: أرسله الرسولﷺ إلى بنى جذيمة، ليـتلافى خطأ خالد بن الوليد فى قـتل بعضهم، وذلك أن الرسولﷺ بعث خالدًا فى السنة الثامنة للهـجرة عـقب فتح مكـة، إلى بنى جذيمة يدعـوهم إلى الإسـلام فلم يحسنوا أن يقـولوا أسلمنا، وقالوا: صبـأنا، فأخذ خالد يقتل منهم ويأسـر.. فلما بلغ رسول اللهﷺ ما صنع خالد، رفع يديه فقـال: اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع، مرتين[4]، فبعث الرسولﷺ عليًا إليهم، لـينظر فى أمرهم وبعث مـعه بمال، فقـام علىٌّ بمهمـته خـير قيـام، فودى قتـيلهم وعوضهم عـما أصيب فى الدماء والأموال حتى أنه ليـدى ميلغة[5] الكلب، ولما انتهى من ذلك كله، سألهم: هل بقى لكم بقية من دم أو مـال لم يود إليكم؟ قالوا: لا، قال: فإنى أعطيكم هذه البقية من هذا المال، إحتياطيًا لرسول اللهﷺ مما لا يعلم ولا تعلمون، ففعل، ولما رجع إلى رسول اللهﷺ وأخبره بالخبر قال: «أصبت وأحسنت»[6]. وبهذه المهمة الجليلة الموفقـة، أزال على - رضى الله عنه - همًـا وحملاً أثقـل الرسولﷺ[7]، وبهذا الـهدى النبوى الحكيم واسى النبىﷺ بنى جذيمة، وأزال ما فى نفوسهم من أسى وحزن[8]، وكان قتل خالد لبنى جذيمة تأولاً منه واجتهادًا خاطئًا، وذلك بدليل أن الرسولﷺ لم يعاقبه على فعله[9]، ولم يعزله.

---

(١) الجهاد والقتال فى السياسة الشرعية (٣/ ١٠٥١). (٢) نخس الدابة: هيجها.

(٣) فتح البارى (٨/ ١١)، السـيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٥٨، ٥٩).

(٤) البخارى رقم ٤٣٣٩. (٥) ميلغة: اسم آلة، والفعل «يلغ» بمعنى يشرب.

(٦) السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٧٢، ٧٣) إسناده ضعيف وله شواهد.

(٧) خلافة على بن أبى طالب: ص (٤٦). (٨) السيرة النبوية لأبى شهبة (٣/ ٤٦٥).

(٩) السيرة النبوية فى ضوء المصادر: ص (٥٧٩).

٥- علي رضي الله عنه في غزوة حنين: من أعماله الجهادية التي تتسم بالشجاعة وتدل على خبرة في القتال ما كان في غزوة حنين في العام الثامن من الهجرة، فقد ثبت مع الرسول ﷺ، ومع من ثبت معه من المهاجرين والأنصار، وكان في جيش هوازن رجل على جمل أحمر بيده راية سوداء، إذا أدرك طعن برمحه، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فتبعوه، فأدرك علي بعبقريته الحربية، وتجربته الطويلة، أن لهذا الرجل عاملاً مؤثرًا في حماس هوازن وشدتها، فاتجه علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ورجل من الأنصار نحوه واستطاعا إسقاطه من على جمله وقتله، فما كانت إلا ساعة حتى انهزموا وولوا الأدبار وانتصر المسلمون[١].

٦- سرية علي رضي الله عنه لهدم الصنم الفلس في بلاد طيئ: بعد أن طهر النبي ﷺ البيت الحرام من الأوثان التي كانت فيه، كان لابد من هدم البيوت التي كانت معالم للجاهلية ردحًا طويلاً من الزمن[٢]، فكانت سرايا رسول الله ﷺ تترى لتطهير الجزيرة منها، فكانت من نصيب علي رضي الله عنه صنم الفلس في بلاد طيئ، ففي ربيع الآخر خرجت سرية علي بن أبي طالب إلى الفلس - صنم لطيئ - ليهدمه، وكان تعدادها خمسين ومائة رجل من الأنصار، على مائة بعير وخمسين فرسًا،و مع راية سوداء ولواء أبيض، فشنوا الغارة على محلة آل حاتم - حاتم الطائي الذي ضرب المثل بجوده - مع الفجر فهدموا الفلس وخربوه، وملأوا أيديهم من السبي والنعم والشاء، وفي السبي أخت عدي بن حاتم، وهرب عدي إلى الشام[٣].

سابعًا: استخلاف النبي ﷺ لعلي على المدينة في غزوة تبوك ٩هـ:

كان في رجب سنة تسع من الهجرة غزوة تبوك، وكانت لها أهمية كبيرة في السيرة النبوية، وتحققت منها غايات كانت بعيدة الأثر في نفوس المسلمين والعرب، ومجرى الحوادث في تاريخ الإسلام[٤]، واستعمل رسول الله ﷺ على المدينة عليًا، فوجد المنافقون فرصة للتنفيس عما بداخلهم من حقد ونفاق، فأخذوا يتكلمون في علي رضي الله عنه بما يسئ إليه، فمن ذلك قولهم: ما تركه إلا لثقله عليه، وهذا العمل والقول السيئ منهم في حقه علامة بارزة واضحة على نفاقهم، ففي الحديث الصحيح أن عليًا رضي الله عنه قال:

(١) مسند أبي يعلى (٣/ ٣٨٨) حسن الإسناد، الصحيح المسند: ص (١٤١) للعدوي.
(٢) معين السيرة: ص (٦٩٤). (٣) تاريخ الإسلام للذهبي: ص (٦٢٤).
(٤) المرتضى للندوي: ص (٥٥).

«والذى فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه لعهد النبى الأمىﷺ أن لا يحبنى إلا مؤمن ولا يبغضنى إلا منافق»(١). عند ذلك أدرك على الجيش، وأراد الغزو معهم قائلاً: يا رسول الله أتخلفنى فى الصبيان والنساء، فقال رسول اللهﷺ: «ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبى بعدى»(٢).

ثامنًا: على رضى الله عنه ودوره الإعلامى فى حجة أبى بكر بالناس ٩هـ:

كانت تربية المجتمع وبناء الدولة فى عهد النبىﷺ مستمرة على كل الأصعدة والمجالات العقائدية، والاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والعسكرية، والتعبدية، وكانت فريضة الحج لم تمارس فى السنوات الماضية، فحجة عام ٨هـ بعد الفتح كلف بها عتاب بن أسيد، ولم تكن قد تميزت حجة المسلمين عن حجة المشركين(٣)، فلما حل موسم الحج أرادﷺ الحج ولكنه قال: إنه يحضر البيت عراة مشركون يطوفون بالبيت(٤)، فلا أحب أن أحج وكان ذلك فى سنة ٩هـ، فخرج أبو بكر ومعه عدد كبير من الصحابة، وساقوا معهم الهدى(٥)، فلما خرج الصديق بركب الحجيج نزلت سورة براءة، فدعا النبىﷺ عليًا رضى الله عنه وأمره أن يلحق بأبى بكر الصديق، فخرج على ناقة رسول اللهﷺ العضباء حتى أدرك الصديق أبا بكر بذى الحليفة، فلما رآه الصديق قال له: أمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور، ثم سارا، فأقام أبو بكر للناس الحج على منازلهم التى كانو عليها فى الجاهلية، وكان الحج فى هذا العام فى ذى الحجة كما دلت على ذلك الروايات الصحيحة لا فى شهر ذى القعدة كما قيل، وقد خطب الصديق قبل التروية، ويوم عرفة، ويوم النحر، ويوم النفر الأول، فكان يعرف الناس مناسكهم: فى وقوفهم وإفاضتهم، ونحرهم، ونفرهم، ورميهم للجمرات.. إلخ، وعلى يخلفه فى كل موقف من هذه المواقف، فيقرأ على الناس صدر سورة براءة ثم ينادى فى الناس بهذه الأمور الأربعة، لا يدخل فى الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين النبىﷺ عهد فعهده إلى إلى مدته، ولا يحج المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا(٦)، وقد أمر الصديق رهطًا آخر من الصحابة لمساعدة على بن أبى طالب فى إنجاز مهمته(٧).

---

(١) مسلم رقم ٧٨. (٢) البخارى رقم ٤٤٠٤.

(٣) السيرة النبوية لأبى شبهة (٢/ ٥٣٦)، دراسات فى عهد النبوة: ص (٢٢).

(٤) نضرة النعيم (١/ ٩٨)، الطبقات الكبرى (٢/ ١٦٨). (٥) فتح البارى (٨/ ٨٢).

(٦) مسند الإمام أحمد الموسوعة الحديثية رقم ٥٩٤ حديث صحيح.

(٧) السيرة النبوية لأبى شهبة (٢/ ٥٣٧).

إن نزول صدر سورة براءة يمثل مفاصلة نهائية مع الوثنيــة وأتباعها، حيث منعت حجهم وأعلنت الحرب عليهم[1].

قال تعالى: ﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ (١) فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (٢) وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة: ١- ٣].

وقد أمـهل المعـاهدون لأجل معلوم منهم إلى انتـهاء مـدتهم، قال تعـالى: ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٤].

كما أُمهل من لا عهد له من المشركين إلى انسلاخ الأشهر الحرم، حيث يصبحون بعدها فى حالة حرب مع المسلمين، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٥].

وقد كلف النبى ﷺ عليًا بإعـلان نقض العهود علـى مسامع المشـركين فى موسم الحج، مراعاة لما تعارف عليه العـرب فيما بينهم من عقد العهود ونقضـها، ألا يتولى ذلك إلا سيد القبيلة أو رجل من رهطه، وهذا العـرف ليس منافاة للإسلام، فلذلك تدارك النبى ﷺ الأمر وأرسل عليًا بذلك، فهـذا هو السبب فى تكليف على بتبليغ صدر سورة براءة لا مـا زعمته الرافضــة من أن ذلك للإشارة إلى أن عليًـا أحق بالخلافـة من أبى بكر، وقد علق الدكـتور محمد أبو شهـبة فقال: ولا أدرى كيف غفلوا عن قول الصـديق: أمير أم مأمور[2]؟ وكيف يكون المأمور أحق بالخلافة من الأمير[3]، وقد كانت هذه الحجة بمثابة التوطئة للحجة الكبرى وهى حجـة الوداع، لقد أعلن فى حجة أبى بـكر أن عهد الأصنام قد انقـضى، وأن مرحلة جديدة قد بدأت، وما على الناس إلا أن يستجيبوا لشرع الله تعالى، فبعد هذا الإعلان الذى انتشر بين قبـائل العرب فى الجزيرة، أيقنت تلك القبائل أن الأمر جد، وأن عـهد الوثنية قد انقضى فعلاً، فأخذت ترسل وفودها معلنة إسلامها ودخولها فى التوحيد[4].

(١) نضرة النعيم (١/ ٣٩٩). (٢) السيرة النبوية لأبى شهبة (٢/ ٥٤٠)، صحيح السيرة: ص (٦٢٤)
(٣) السيرة النبوية لأبى شهبة (٢/ ٥٤٠) (٤) قراءة سياسية للسيرة النبوية: ص (٢٨٣)..

تاسعًا: على رضى الله عنه ووفد نصارى نجران، وآية المباهلة ٩هـ:

كتب رسول الله ﷺ إلى نجران(١) كتابًا قال فيه: «**أما بعد، فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية. فإن أبيتم آذنتكم بحرب. والسلام**»(٢) فلما أتى الأسقف الكتاب، جمع الناس وقرأه عليهم، وسألهم عن الرأى فيه؟ فقرروا أن يرسلوا إليه وفدًا يتكون من أربعة عشر من أشرافهم، وقيل: ستين راكبًا، منهم ثلاثة نفر يؤول إليهم أمرهم: العاقب، وهو أميرهم وصاحب مشورتهم والذين يصدرون عن رأيه، والسيد وهو صاحب رحلتهم، وأبو الحارث أسقفهم، وحبرهم وصاحب مدارسهم(٣)، ولما جاء وفد نصارى نجران إلى رسول الله ﷺ بالمدينة، وضعوا ثياب السفر عنهم، ولبسوا حللاً لهم يجرونها من الحبرة، وخواتيم الذهب، ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ، فسلموا عليه، فلم يرد عليهم السلام،وتصدوا لكلامه طويلاً، فلم يكلمهم، وعليهم تلك الحلل والخواتيم الذهب، فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف - رضى الله عنهما - وكانا على معرفة لهم، كانا يخرجان العير فى الجاهلية إلى نجران، فيشترى لهما من برها وثمرها وذرتها، فوجدوهما فى ناس من الأنصار فى مجلس، فقالوا: يا عثمان، ويا عبد الرحمن إن نبيكم كتب إلينا بكتاب، فأقبلنا مجيبين له، فسلمنا عليه، فلم يرد علينا سلامنا، وتصدينا لكلامه نهارًا طويلاً، فأعيانا أن يكلمنا، فما الرأي منكما، أنعود؟

فقالا لعلى بن أبى طالب وهو فى القوم: ما ترى يا أبا الحسن فى هؤلاء القوم؟ قال: أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم، ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يأتوا إليه، ففعل الوفد ذلك، فوضعوا حللهم وخواتيمهم، ثم عادوا إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه، فرد سلامهم، ثم سألهم وسألوه فلم تزل بهم وبه المسألة(٤). وقالوا لرسول الله ﷺ: كنا مسلمين قبلكم، فقال النبى ﷺ: «**يمنعكم من الإسلام ثلاث: عبادتكم الصليب، وأكلكم الخنزير، وزعمكم أن لله ولدًا**»(٥)، وكثر الجدال والحجاج بينه وبينهم، والنبى يتلو عليهم القرآن ويقرع باطلهم بالحجة، وكان مما قالوه لرسول الله ﷺ: ما لك تشتم صاحبنا وتقول: إنه عبد الله، فقال: «**أجل إنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول**»، فغضبوا وقالوا: هل رأيت

(١) نجران بلد كبير على سبع مراحل من مكة إلى جهة اليمن.
(٢) البداية والنهاية (٥/ ٤٨).
(٣) المصدر نفسه (٥/ ٤٨)، السيرة النبوية لأبى شهبة (٢/ ٥٤٧).
(٤) زاد المعاد (٣/ ٦٢٩ - ٦٣٨). (٥) المصدر نفسه (٣/ ٦٣٣).

إنسانًا قط من غير أب، فإن كنت صادقًا فأرنا مثله؟ فأنزل الله فى الرد عليهم قوله سبحانه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٩، ٦٠]. فكانت حجة دامغة شبه فيها الغريب بما هو أغرب منه[١]، فلما لم تُجد معهم المجادلة بالحكمة والموعظة الحسنة دعاهم إلى المباهلة[٢]، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]. وخرج النبى ﷺ ومعه الحسن والحسين وفاطمة وقال: «وإذا أنا دعوت فأمِّنوا»[٣]. فائتمروا فيما بينهم، فخافوا الهلاك لعلمهم أنه نبى حقًا، وأنه ما باهل قوم نبيًا إلا هلكوا، فأبوا أن يلاعنوه وقالوا: احكم علينا بما أحببت، فصالحهم على ألفى حلة، ألف فى رجب وألف فى صفر[٤].

عاشرًا: على رضى الله عنه داعيًا وقاضيًا فى اليمن ١٠هـ:

بعد فتح مكة استجابت القبائل العربية بالجزيرة إلى الإسلام، وكان رسول الله ﷺ يرسل الدعاة إلى القبائل التى لم تستجب بعد، فأرسل عليًا رضى الله عنه إلى همدان باليمن، وهذا البراء بن عازب - رضى الله عنه - يحدثنا عمّا حدث فى ذهابه مع على رضى الله عنه لليمن فيقول: . . فلما انتهينا إلى أوائل اليمن بلغ القوم الخبر، فجمعوا له، فصلى على بنا الفجر، فلما فرغ، صفنا صفًا واحدًا ثم تقدم بين أيدينا، فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، فأسلمت همدان كلها فى يوم واحد، وكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ، فلما قرأ كتابه خر ساجدًا، وقال: «السلام على همدان، السلام على همدان»[٥]، لقد كان رسول الله ﷺ حريصًا على الجبهة الجنوبية للدولة وأن تدخل قبائل اليمن فى الإسلام، وظهر هذا الاهتمام فى النتائج الباهرة التى حققتها الدعوة فى كثرة عدد الوفود التى كانت تنساب من كل أطراف اليمن متجهة إلى المدينة، مما يدل على أن نشاط المبعوثين إلى اليمن كان متصلاً وبعيد المدى، وكانت سرايا رسول الله ﷺ تساند هذا النشاط الدعوى السلمى، حيث بعث خالد بن الوليد ثم على بن أبى طالب رضى الله عنهما، فقد

(١) زاد المعاد (٣/ ٦٣٣).

(٢)، (٣)، (٤) السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/ ٥٤٧).

(٥) زاد المعاد (٣/ ٦٢٢) إسناده صحيح.

كان ﷺ يركز على مفاصل القوى، ومراكز التأثير فى المجتمعات وبناء الدول ومارس هذا الفقه العظيم فى حياته[١].

هذا وقد أمر رسول الله ﷺ عليًا بأن يقضى بين الناس فى اليمن، وهذا على رضى الله عنه يحدثنا بنفسه حيث قال: بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن، فقلت له: يا رسول الله تبعثنى إلى قوم أسن منى وأنا حدث لا أبصر القضاء، قال: فوضع يده على صدرى، وقال: **«اللهم ثبت لسانه واهد قلبه، يا على إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع الآخر، ما سمعت من الأول، فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك القضاء»**، قال: فما اختلف على قضاء بعد، أو ما أشكل على قضاء بعد[٢].

لقد احتاج اليمنيون بعد انتشار الإسلام في بلادهم من يفقههم فى أمور دينهم، ويعلمهم ويقضى بينهم بحكم الله عز وجل، فبعث رسول الله ﷺ عددًا من الصحابة إلى أرجاء اليمن منهم معاذ وأبو موسى الأشعرى، وكان من أفضلهم على بن أبى طالب رضى الله عنه، وقد حفظت لنا كتب التاريخ والحديث والفقه مجموعة من القضايا التى حكم فيها على رضى الله عنه وهو باليمن منها:

١ - قضاؤه فى الأربعة الذين تدافعوا عند زُبْيَة[٣] للأسد: عن حنش عن علي رضى الله عنه قال: بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن فانتهينا إلى قوم قد بنوا زُبْيَة[٤] للأسد، فبينما هم كذلك يتدافعون؛ إذ سقط رجل فتعلق بآخر، ثم تعلق رجل بآخر، حتى[٥] صاروا فيه أربعة فَجَرحَهم الأسد، فانتدب له رجل بِحَرْبَة فقتله، وماتوا من جراحتهم كلهم، فقام أولياء الأول إلى أولياء الآخر، فأخرجوا السلاح ليقتتلوا، فأتاهم على على تفيئة[٦] ذلك، فقال: تريدون أن تقاتلوا ورسول الله ﷺ حىٌ، إنى أقضى بينكم قضاء إن رضيتم فهو القضاء، وإلا حجز بعضكم عن بعض، حتى تأتوا النبى ﷺ فيكون هو الذى يقضى بينكم، فمن عَدا بعد ذلك فلا حق له، اجمعوا من قبائل الذين حفروا البئر ربع الدية وثلث الدية ونصف الدية والدية كاملة، فللأول الربع لأنه أهلك من فوقه، وللثانى ثلث الدية،

---

(١) السيرة النبوية للصلابى (٣/ ٥٩٦)، الفقه السياسى للوثائق: ص (٢٣١).

(٢) فضائل الصحابة (٢/ ٨٧١) إسناده حسن رقم ١٩٩٥.

(٣) الزبية: حفرة تحفر للأسد، ولا تحفر إلا فى مكان عال من الأرض.

(٤) الحفرة فى الأرض: القاموس (٤/ ٣٤٠)، تاج العروس (١٠/ ١٦).

(٥) فضائل الصحابة (٢/ ٩٠٠) رقم ١٢٣٩ إسناده حسن.

(٦) تفيئة ذلك: أى أثره، النهاية (٣/ ٤٨٣).

وللثالث نصف الدية، فأبوا أن يرضوا، فأتوا النبى ﷺ وهو عند مقام إبراهيم فـقصُّوا عليه القصة، فقال: **أنا أقضى بينكم واحتبى**، فقال رجل من القوم: إن عليًـا قضى فقصَّوا عليه فأجازه رسول الله ﷺ(١).

٢- ثلاثة وقـعـوا على امرأة فى طهـر: عن زيد بن الأرقم أنه قـال: أُتى على بثـلاثة وهو باليمن وقـعوا على امرأة فى طهـر واحد، فسـأل اثنين: أتقران لهذا بالولد؟ قـالا: لا حتى سألهم جميعًا، فجعل كلما سأل اثنين، قالا: لا ، فأقرع بينهم، فألحق الولد بالذى صارت عليه القرعة، وجعل عليه ثلثى الدية(٢)، قال: فذكر ذلك لنبى الله ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه(٣)، وكان ضحك رسول الله ﷺ فرحًا وسرورًا بتوفيق الله تعالى عليًا للصواب.

ولذلك أقـره على ذلك(٤)، ويحـتـمل أن ما حـصل من أولئك الـنفر إنما كـان قـبل إسلامهم، لأن فعلهم محرم فى دين الله تعالى(٥).

الحادى عشر: على رضى الله عنه فى حجة الوداع:

أدرك علىّ رضى الله عنه رسول الله ﷺ فى حجة الوداع، ونحر رسول الله ثلاثًا وستين بدنة بيده، وكان عدد هـذا الذى نحره عدد سنىّ عمره، ثم أمسك، وأمر عـليًا أن ينحر ما بقى من المائة، ففعل وأكمـل العدد، وقد وصف لنا على رضى الله عنه بعض المناسك فى حجته مع رسول الله ﷺ، فعن على بن أبى طالب رضى الله عنه: أن النبى ﷺ وقف بعرفة وهو مُرْدف أسامـة بن زيد، فقال: **«هذا الموقف وكل عرفـة موقف»**، ثم دفع يسير العَنَقَ، وجعل الناس يضربون يمينًا وشـمالاً، وهو يلتفت ويقول: **«السكينة أيها النـاس، السكينة أيها الناس»** حتى جـاء المزدلفة، وجمع بين الصـلاتين، ثم وقف بالمزدلفة، فـوقف على قُزَحَ، وأردف الفضل بن عـباس، وقال: **«هذا الموقف، وكل المزدلفـة موقف»** ثم دفع وجعل يـسـير العَنَقَ، والناس يضربون يمينًا وشمـالاً، وهو يلتفت ويقول: **«السَّكينة، السَّكينة، أيها الناس»** حتى جـاء مُحسـرًا فقرع راحلته فـخبَّت، حتى خـرج، ثم عاد لسَيْـره الأول، حتى رمى

(١) فضائل الصحابة رقم ١٢٣٩ إسناده صحيح.

(٢) منهج على بن أبى طالب فى الدعوة إلى الله: ص (٨٧).

(٣) نواجذه: جمع ناجذ: آخـر الأضراس، وللإنسان أربعة نواجذ، وهناك رواية أخرى فى فـضائل الصحابة رقم ١٠٩٥ إسناده حسن لغيره.

(٤) سنن النسائى (٦٦/ ١٨٢) حاشية السندى.

(٥) منهج على بن أبى طالب فى الدعوة إلى الله: ص (٨٨).

الجمرة، ثم جاء المَنحْر فقال: **هذا المنحر، وكلُّ منى مَنْحر**، ثم جاءت امرأة شابة من خَثْعَمَ، فقالت: إن أبى شيخ كبير، وقد أفند، وأدركته فريضة الله فى الحج، ولا يستطيع أداءها، فُيجزئ عنه أن أؤديها عنه؟ قال رسول الله ﷺ: **نعم**، وجعل يصرف وجه الفضل بن العباس عنها. ثم أتاه رجل آخر، فقال: إنى رميت الجمرة وأفضت ولبستُ ولم أحلق. قال: **فلا حرج، فاحلق**. ثم أتاه رجل آخر، فقال: إنى رميت وحلقت ولبست ولم أنحر. فقال: **لا حرج فانحر**. ثم أفاض رسول الله ﷺ، فدعا بسَجْل من ماء زمزم، فشرب منه وتوضأ، ثم قال: انزعوا[1] **يا بنى عبد المطلب، فلولا أن تُغْلَبوا عليها لَنَزَعْتُ**. قال العباس: يا رسول الله، إنى رأيتك تصرف وجه ابن أخيك؟ قال: **إنى رأيت غلامًا شابًا، وجارية شابة، فخشيت عليهما الشيطان**[2]. وقد كان على رضى الله عنه يعلن على الناس ما أمره به النبى ﷺ، فعن عمرو بن سُليم عن أمه قالت: بينما نحن بمنى إذا على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن هذه أيام أكل وشرب، فلا يصومها أحد**»، واتّبع الناس على جمله يصرخ بذلك[3].

الثانى عشر: تشرفه بغسل النبى ﷺ ودفنه:

لما توفى النبى ﷺ كان على ممن باشر غسله مع الفضل بن العباس وأسامة بن زيد[4]، وقال على رضى الله عنه: غسلت رسول الله ﷺ، فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم أر شيئًا وكان طيبًا حيًا وميتًا[5]، وقال: بأبى الطيب، طبت حيًا وطبت ميتًا[6]، وكان على رضى الله عنه من ضمن من نزل فى قبر رسول الله ﷺ وباشروا دفنه هو والفضل بن عباس، وقثم بن عباس، وشقران مولى رسول الله ﷺ[7]، لقد كان نبأ وفاة رسول الله ﷺ على الصحابة الكرام كالصاعقة لشدة حبهم له وما تعوّدوه من العيش فى كنفه، عيش الأبناء فى حجر الآباء، بل أكثر من ذلك، وكان حظ أهل البيت والأسرة الهاشمية - وعلى رأسها فاطمة بنت رسول الله ﷺ وعلى بن أبى طالب - أوفر وأكثر بطبيعة الحال، وبحكم

---

(١) المرتضى للندوى ص ٥٧، وقد جاء فى رواية البخارى أن النبى ﷺ نحر سبع بدن بيده قيامًا رقم ١٧١٢، وكلف عليًا بالإشراف على قسمتها وهى مائة رقم ١٧١٨. النزع: استخراج الماء من زمزم لسقى الحجيج.

(٢) مسند أحمد (٢/ ٩) الموسوعة الحديثية رقم ٥٦٤ إسناده حسن.

(٣) الموسوعة الحديثية رقم ٥٦٧ إسناده صحيح.

(٤) أبو داود (٣/ ٢١٣) عن الشعبى مرسلاً رقم ٣٢٠٩ صححه الألبانى فى أحكام الجنائز: ص (٥١).

(٥) سنن ابن ماجة (١/ ٣٦٢) رقم ١٤٦٧ صححه الألبانى فى أحكام الجنائز: ص (٥٠).

(٦) السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٣٢١). (٧) المصدر نفسه (٤/ ٣٢١).

الفطرة السليمة والقرابة القريبة، وما يمتازون به من رقة الشعور، وقوة العاطفة، وشدة الحب ولكن احتملوه بقوة إيمانهم والرضا بقضاء الله والاستسلام لأمره(١).

الثالث عشر: قصة الكتاب الذى همّ النبى ﷺ بكتابته فى مرض موته:

ثبت فى الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه قال: لما حُضر رسول الله ﷺ وفى البيت رجال فقال النبى ﷺ: **«هلموا أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده»**، فقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله ﷺ: **قوموا** . قال عبد الله: فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب الكتاب لاختلافهم ولغطهم(٢)، وفى رواية أخرى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، اشتد برسول الله ﷺ وجعه، فقال: **ائتونى أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده أبدًا** ، فتنازعوا، ولا ينبغى عند نبى نزاع، فقالوا: ما شأنه؟أهجر، استفهموه، فذهبوا يرددون عليه فقال: **دعونى، فالذى أنا فيه خير مما تدعوننى إليه** ، وأوصاهم بثلاث، قال: **أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفود بنحو ما كنت أجيزهم** ، وسكت عن الثالث، أو قال: فنسيها(٣)، وليس فيما ثبت فى هذا الحديث ورواياته الصحيحة أى مطعن على أصحاب رسول الله، وأما ما ذكره الروافض من مطاعن فباطلة معلومة الفساد، وقد أجاب العلماء قديمًا عن بعضها ومن هذه الردود:

١- اختلاف الصحابة ثابت، وكان سببه اختلافهم فى فهم قول الرسول ﷺ ومراده لا عصيانه، قال القرطبى صاحب المفهم: وسبب ذلك كله إنما حمل عليه الاجتهاد المسوغ، والقصد الصالح، وكل مجتهد مصيب،أو أحدهما مصيب، والآخر غير مأثوم بل مأجور كما قررناه فى الأصول(٤)، ثم ذكر أن النبى ﷺ لم يعنفهم ولا ذمهم بل قال للجميع: **دعونى فالذى أنا فيه خير**(٥). وهذا نحو ما جرى لهم يوم الأحزاب حيث قال لهم الرسول ﷺ: **«لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة»**(٦)، فتخوف ناس فوات الوقت، فصلوا دون بنى قريظة، وقال آخرون: لا نصلى إلا حيث أمرنا رسول الله فما عنف أحد الفريقين(٧).

---

(١) المرتضى للندوى: ص (٥٩).
(٢) البخارى رقم ٤٤٣٢.
(٣) البخارى رقم ٤٤٣١.
(٤) المفهم لما أشكل، تلخيص كتاب مسلم (٤/ ٥٥٩).
(٥) البخارى رقم ٤٤٣١.
(٦) البخارى رقم ٤١١٩.
(٧) المفهم (٤/ ٥٥٩).

٢- وأما ما ادعاه الروافض من أن اختلاف الصحابة وما ترتب عليه من عدم كتابة النبى ﷺ لهم ذلك الكتاب هو الذى حرم الأمة من العصمة، فهذا باطل لأنه يعنى أن الرسول ﷺ قد ترك تبليغ ما فيه عصمتها من الضلال، ولم يبلغ شرع ربه لمجرد اختلاف أصحابه عنده حتى مات على ذلك، وأنه بهذا مخالف لأمر ربه فى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]. وإذا كان الرسول ﷺ مبرأ من ذلك ومنزهًا بتزكية ربه له فى قوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، فوصفه بالحرص على أمته، أى على هدايتهم، ووصول النفع الدنيوى والآخروى لهم، ذكره ابن كثير فى تفسيره(١)، وإذا كان هذا الأمر معلومًا بالاضطرار من دين الإسلام عند الخاص والعام، لا يشك فيه من فى قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان، وأن هذا الرسول الكريم قد بلغ كل ما أمر به، وكان أحرص ما يكون على أمته، بما هو متواتر من جهاده وتضحيته، وأخباره الدالة على ذلك، علمنا علمًا يقينًا لا يشوبه أدنى شك، أنه لو كان الأمر كما يذكر الروافض من الوصف لهذا الكتاب من أن به عصمة الأمة من الضلال فى دينها، ورفع الفرقة، والاختلاف فيما بينها، إلى أن تقوم الساعة، لما ساغ فى دين ولا عقل أن يؤخر رسول الله كتابه إلى ذلك الوقت الضيق، ولو أخره ما كان ليتركه لمجرد اختلاف أصحابه(٢)، ولا يتصور أن النبى ﷺ يترك أمر ربه، ولو قدر أنه تركه فى ذلك الوقت لتنازعهم عنده لمصلحة رآها، فما الذى يمنعه من أن يكتبه بعد ذلك، وقد ثبت أنه عاش بعد ذلك عدة أيام، فقد كانت وفاته - عليه الصلاة والسلام - يوم الاثنين على ما جاء مصرحًا به فى رواية أنس فى الصحيحين(٣)، وحادثة الكتاب يوم الخميس بالاتفاق(٤)، وقد ثبت باتفاق السنة والرافضة، أن رسول الله لم يكتب ذلك الكتاب حتى مات، علمنا أنه ليس من الدين الذى أمر بتبليغه لما دل عليه القرآن من أن الله قد أكمل له ولأمته الدين، فأنزل عليه قبل ذلك فى حجة الوداع: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، قال ابن تيمية: ولم تكن كتابة الكتاب مما أوجبه الله عليه أن يكتبه أو يبلغه فى ذلك الوقت، إذ لو كان كذلك لما ترك ﷺ ما أمره الله به، لكن ذلك مما رآه مصلحة لدفع

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٠٤).
(٢) مختصر التحفة الاثنى عشرية: ص (٢٥١)، الانتصار للصحب والآل ص (٢٢٨، ٢٢٩).
(٣) البخارى رقم (٤٤٤٨)، ومسلم رقم (٤١٩).
(٤) الانتصار للصحب والآل: ص (٢٢٩).

النزاع فى خلافة أبى بكر، ورأى أن الخلاف لابد أن يقع[1]، وقال فى موضع آخر: وأما قصة الكتاب الذى كان رسول الله ﷺ يريد أن يكتبه، فقد جاء مبينًا كما فى الصحيحين عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ فى مرضه: «ادعى لى أباك وأخاك حتى أكتب كتابًا، فإنى أخاف أن يتمنى متمنٍ ويقول: قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر» [2]، إلى أن قال بعد ذكر روايات الحديث: والنبى ﷺ قد عزم على أن يكتب الكتاب الذى ذكره لعائشة، فلما رأى أن الشك قد وقع، علم أن الكتاب لا يرفع الشك، فلم يبق فيه فائدة، وعلم أن الله يجمعهم على ما عزم عليه كما قال: ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر [3]. وأما قوله فى الحديث: «لن تضلوا بعدى» فيقول الدهلوى فى توجيهه: فإن قيل: لو لم يكن ما يكتب أمرًا دينيًا فلم قال: لن تضلوا بعدى ؟ قلنا: للضلال معان، والمراد به هنا عدم الخطأ فى تدبير الملك، وهو إخراج المشركين من جزيرة العرب، وإجازة الوفد بنحو ما كان يجيزه، وتجهيز أسامة منه، لا الضلالة والغواية عن الدين وهو ما فعله أبو بكر والصحابة من بعده[4].

٣- وأما معنى قول ابن عباس: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب[5]، فكما قال ابن تيمية فى معناه: يقتضى أن الحائل كان رزية، وهو رزية فى حق من شك فى خلافة الصديق، واشتبه عليه الأمر، فإنه لو كان هناك كتاب لزال الشك، فأما من علم أن خلافته حق فلا رزية فى حقه ولله الحمد[6].

ويوضح ذلك أن ابن عباس - رضى الله عنهما - ما قال ذلك إلا بعد ظهور أهل الأهواء والبدع، من الخوارج والروافض، نص على هذا ابن تيمية[7]، وابن حجر[8].

٤- وأما ادعاؤهم أن النبى ﷺ أراد بذلك الكتاب أن ينص على خلافة على - رضى الله عنه - وزعم بعض الروافض أنه ليس هناك تفسير معقول غيره، فهذا الادعاء باطل.

قال ابن تيمية: ومن توهم أن هذا الكتاب كان بخلافة على فهو ضال باتفاق عامة الناس، من علماء السنة والشيعة، أما أهل السنة فمتفقون على تفضيل أبى بكر وتقديمه، وأما

(١) منهاج السنة (٦/ ٣١٦).
(٢) مسلم رقم (٢٣٨٧).
(٣) منهاج السنة (٦/ ٢٣، ٢٥).
(٤) مختصر التحفة الإثنى عشرية: ص (٢٥١).
(٥) البخارى رقم (٤٤٣٢).
(٦) منهاج السنة (٦/ ٢٥).
(٧) المصدر السابق (٦/ ٣١٦).
(٨) فتح البارى (١/ ٢٠٩).

القائلون بأن عليًا كان مستحقًا للإمامة فيقولون: إنه قد نص على إمامته قبل ذلك نصًا جليًا ظاهرًا معروفًا، وحينئذ فلم يكن يحتاج إلى الكتاب[1].

٥- وأما طعن الروافض على عمر - رضى الله عنه - وزعمهم بأنه قد اتهم رسول الله ﷺ بأنه لا يعى ما يقول: وقال: «إنه يهجر» ولم يمتثل قوله، قال: «عندكم كتاب الله»، «حسبنا كتاب الله» فجوابه: أن ما ادعاه أولاً بأن عمر اتهم رسول الله بالهجر وأنه لا يعى ما يقول فهذا باطل، وذلك أن هذه اللفظة (أهجر) لا تثبت عن عمر - رضى الله عنه - أصلاً، وإنما قالها بعض من حضر الحادثة من غير أن تعين الروايات الواردة فى الصحيحين قائلها، وإنما الثابت فيها «فقالوا: ما شأنه أهجر»[2]، هكذا بصيغة الجمع دون الإفراد، ولهذا أنكر بعض العلماء أن تكون هذه اللفظة من كلام عمر، قال ابن حجر: ويظهر لى ترجيح ثالث الاحتمالات، التى ذكرها القرطبى، ويكون قائل ذلك بعض من قرب دخوله فى الإسلام، وكان يعهد أن من اشتد عليه الوجع، قد يشتغل به عن تحرير ما يريد[3]، وقال الدهلوى: من أين يثبت قائل هذا القول هو عمر مع أنه وقع فى أكثر الروايات (قالوا) بصيغة الجمع[4].

إن الثابت الصحيح من هذه اللفظة أنها وردت بصيغة الإستفهام هكذا (أهجر؟) وهذا بخلاف ما جاء فى بعض الروايات بلفظ (هجر، ويهجر) فإنه مرجوح على ما حقق ذلك المحدثون وشراح الحديث، منهم القاضى عياض[5]، والقرطبى[6]، والنووى[7]، وابن حجر[8]، فقد نصوا أن الاستفهام جاء فى سبيل الإنكار على من قال: لا تكتبوا[9]، قال القرطبى بعد أن ذكر الأدلة على عصمة النبى ﷺ من الخطأ فى التبليغ فى كل أحواله، وتقرر ذلك عند الصحابة، وعلى هذا يستحيل أن يكون قولهم (أهجر)، لشك عرض لهم فى صحة قوله، زمن مرضه، وإنما كان ذلك من بعضهم على وجه الإنكار على من توقف فى إحضار الكتف والدواة، وتلكأ عنه، فكأنه يقول لمن توقف: كيف تتوقف؟ أتظن أنه قال هذيانًا؟ فدع التوقف وقرب الكتف، فإنه يقول الحق لا الهجر، وهذا أحسن ما يحمل

(١) منهاج السنة (٦/ ٢٥)، الانتصار للصحب والآل: ص (٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣).
(٢) البخارى رقم (٤٤٣١).
(٣) فتح البارى (٨/ ١٣٣).
(٤) مختصر التحفة الإثنى عشرية: ص (٢٥٠)
(٥) الشفا (٢/ ٨٨٦).
(٦) المفهم (٤/ ٥٥٩).
(٧) شرح صحيح مسلم (١١/ ٩٣).
(٨) فتح البارى (٨/ ١٣٣).
(٩) الانتصار للصحب والآل: ص (٢٢٨).

عيه[1]، وهذا يدل على اتفاق الصحابة على استحالة الهجر على رسول الله ﷺ، حيث إن قائليها أوردوها على سبيل الإنكار الملزم، الذى لا يشك فيه المخالف، وبه تبطل دعوى الروافض من أصلها[2].

٦- أما ادعاؤهم من معارضة عمر لرسول الله ﷺ بقوله: عندكم كتاب الله، حسبنا كتاب الله، وأنه لم يمتثل أمر رسول الله ﷺ فيما أراد من كتابة الكتاب، فالرد على هذه الشبهة الواهية، أن عمر - رضى الله عنه - ومن كان على رأيه من الصحابة، ظهر لهم أن أمر الرسول بكتابة الكتاب ليس على الوجوب، وأنه من باب الإرشاد إلى الأصلح، وقد نبه على هذا القاضى عياض[3]، والقرطبى[4]، والنووى[5] وابن حجر[6]، ثم إنه قد ثبت بعد هذا صحة اجتهاد عمر - رضى الله عنه - وذلك بترك الرسول ﷺ كتابة الكتب، ولو كان واجبًا لم يتركه لاختلافهم، لأنه لم يترك التبليغ لمخالفة من خالف، ولهذا عد هذا من موافقات عمر[7]، كما أن قول عمر - رضى الله عنه: حسبنا كتاب الله، رد على من نازعه لا على أمر النبى ﷺ، وهذا ظاهر من قوله: عندكم كتاب الله، فإن المخاطب جمع، وهم المخالفون لعمر - رضى الله عنه - فى رأيه، كما أن عمر - رضى الله عنه - كان بعيد النظر، ثاقب البصيرة، سديد الرأى، وقد رأى أن الأولى ترك كتابة الكتاب، بعد أن تقرر عنده أن الأمر به ليس على الوجوب، وذلك لمصلحة شرعية راجحة للعلماء فى توجيهها، أقول: منها شفقته على رسول الله مما يلحقه من كتابة الكتاب مع شدة المرض، ويشهد لهذا قوله: إن رسول الله قد غلبه الوجع، فكره أن يتكلف رسول الله ما يشق ويثقل عليه[8]، مع استحضار قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]. وقوله تعالى: ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

قال النووى: وأما كلام عمر - رضى الله عنه- فقد اتفق العلماء المتكلمون فى شرح الحديث، على أنه من دلائل فقه عمر، وفضائله ودقيق نظره[9].

---

(١) المفهم (٤/ ٥٥٩).

(٢) الانتصار للصحب والآل: ص (٢٨)، وهذا المرجع من أحسن ما أطلعت عليه فى الرد على هذه الشبهة.

(٣) الشفا (٢/ ٨٨٧)

(٤) المفهم (٢/ ٥٥٩).

(٥) شرح النووى (١١/ ٩١).

(٦، ٧) فتح البارى (١/ ٢٠٩).

(٨) الشفا (٢/ ٨٨٨).

(٩) شرح النووى على صحيح مسلم (١١/ ٩٠)، الانتصار للصحب والآل: ص (٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢).

كما أن عمر - رضي الله عنه - كان مجتهدًا في مـوقفه من كتابة الكتاب، والمجتهد في الدين معذور على كل حال، بل مأجور لقول النبي ﷺ: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فـاجتهـد ثم أخطأ فله أجر**»[1]، فكيف وقد كان اجـتهاد عمـر بحضور رسول الله ﷺ فلم يؤثمه ولم يذمه به، بل وافقه على ما أراد من ترك الكتاب، وبهذا يظهر بطلان طعن الـروافض على الصـحـابة فـي هذه الحـادثة، وينكشف زيف مـا قـالوه في حقهم[2].

(١) البخاري رقم (٧٣٥٢).

(٢) الانتصار للصحب والآل: ص (٢٩٤، ٢٩٥).

الفصل الثانى

على بن أبى طالب رضى الله عنه فى عهد الخلفاء الراشدين

المبحث الأول

على بن أبى طالب رضى الله عنه فى عهد الصديق

أولاً: مبايعة على لأبى بكر بالخلافة رضى الله عنهما:

وردت أخبار كثيرة فى شأن تأخر على عن مبايعة الصديق، وكذا تأخر الزبير بن العوام، وجُلّ هذه الأخبار ليست بصحيحة، وقد جاءت روايات صحيحة السند تفيد بأن عليًا والزبير - رضى الله عنهما - بايعا الصديق فى أول الأمر، فعن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال: لما توفى رسول الله ﷺ قام خطباء الأنصار.. فذكر بيعة السقيفة[1]، ثم قال: ثم انطلقوا فلما قعد أبو بكر على المنبر نظر فى وجوه القوم فلم ير عليًا، فسأل عنه، فقام أناس من الأنصار، فأتوا به، فقال أبو بكر: ابن عم رسول الله ﷺ وختنه أردت أن تشق عصا المسلمين، فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ، فبايعه، ثم لم ير الزبير بن العوام، فسأل عنه حتى جاءوا به، فقال: ابن عمّة رسول الله ﷺ وحواريه، أردت أن تشق عصا المسلمين، فقال مثل قوله: لا تثريب يا خليفة رسول الله فبايعاه[2]. ومما يدل على أهمية حديث أبى سعيد الخدرى الصحيح أن الإمام مسلم بن الحجاج صاحب الجامع الصحيح - الذى هو أصح الكتب الحديثية بعد صحيح البخارى - ذهب إلى شيخه الحافظ محمد بن إسحاق بن خزيمة - صاحب صحيح ابن خزيمة - فسأله عن هذا الحديث، فكتب له ابن خزيمة الحديث، وقرأه عليه، فقال مسلم لشيخه ابن خزيمة: هذا الحديث يساوى بدنة، فقال ابن خزيمة: هذا الحديث لا يساوى بدنة[3] فقط، إنه يساوى بدرة مال[4]، وعلق على هذا الحديث ابن كثير - رحمه الله - فقال: هذا إسناد صحيح محفوظ، وفيه فائدة جليلة، وهى مبايعة على بن أبى طالب، إما فى أول يوم، أو فى الثانى من الوفاة،

(١) مجمع الزوائد (٥/ ١٨٣) رجاله رجال الصحيح (البداية والنهاية ٥/ ٢٨١)، قال ابن كثير: هذا إسناد صحيح محفوظ.

(٢) المستدرك (٣/ ٧٦)، السنن الكبرى (٨/ ١٤٣) بإسنادين صحيحين.

(٣) البدنة: ناقة أو بقرة تنحر بمكة ولعظمها وضخامتها سميت بدنة.

(٤) البدرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف دينار، والمعنى: أنه كنز ثمين.

وهذا حق، فإن على بن أبـى طالب لم يفارق الصديق فى وقت من الأوقـات، ولم ينقطع عن صلاة من الصلوات خلفه[1]، وفى رواية حبيب بن أبى ثابت، حـيث قال: كان على ابن أبى طالب فى بيته، فـأتاه رجل، فقال له: قد جلس أبو بكر للبيعـة، فخرج علىّ إلى المسجد فى قمـيص له، ما عليه إزار ولا رداء، وهو متعجِّل، كراهـة أن يبطئ عن البيعة، فبايع أبا بكر، ثم جلس، وبعث إلى ردائه فـجاءوه به، فلبسه فوق قـميصه[2] وقد سأل عمرو بن حريث سعيد بن زيد، رضى الله عنه، فـقال له: متى بويع أبو بكر؟ قال سعيد: يوم مات رسول الله ﷺ، كره المسلمون أن يبقوا بعض يوم، وليسوا فى جماعة.

قال: هل خالف أحد أبا بكر؟ قال سعـيد: لا لم يخالف إلا مرتد، أو كاد أن يرتد، وقد أنقذ الله الأنصار، فجمعهم عليه وبايعوه. قال: هل قعد أحد من المهاجرين عن بيعته؟ قال سعـيد: لا لقد تتابع المهاجرون على بيـعته[3]، وكان مما قال على - رضى الله عنه - لابن الكواء وقيس بن عباد حـينما قدم البصرة وسألاه عن مسـيره قال: «لو كان عندى من النبى ﷺ عهد فى ذلك ما تركت أخا بنى تيم بن مـرة وعمر بن الخطاب يقومان على منبره ولقاتلتهمـا ولو لم أجد إلا بردى هذا، ولكن رسول الله ﷺ لم يقتل قتلاً ولم يمت فجأة، مكث فى مرضه أيامًـا وليالى يأتيه المؤذن فـيؤذنه بالصلاة، فيأمر أبا بكر فـيصلى بالناس، وهو يرى مكانى، ولقد أرادت امرأة من نسائه أن تصـرفه عن أبى بكر فأبى وغضب وقال: «**أنتن صواحب يوسف مـروا أبا بكر فليصل بالناس**» فلما قـبض الله نبيه ونـظرنا فى أمورنا، فاخترنا لدنيانا من رضيه نبى الله لديننا، وكانت الصلاة أصل الإسلام، وهى أعظم الأمور، وقوام الدين، فـبايعنا أبا بكر، وكان لذلك أهلاً، ولـم يختلف عليه منا اثنان، ولم يشـهد بعـضنا على بعض، ولم نقطع منه البـراءة، فأديت إلى أبى بكر حـقه وعـرفت له طاعـته وغزوت مـعه فى جنوده، وكنت آخـذ إذا أعطانى، وأغزوا إذا أغزانـى، وأضرب بين يديه الحدود بسوطى[4]

(١) البداية والنهاية (٥/ ٢٣٩).

(٢) الطبرى (٣/ ٢٠٧) والأثر مرسل وفى الإسناد سيف بن عـمر متروك، وعبد العزيز بن سيـاه صدوق يتشيع، التقريب (٣٥٧).

(٣) تاريخ الطبرى (٣/ ٢٠٧) إسناد الخبر ضعيف، انظر خلافة أبى بكر الصديق، عبد العزيز سليمان: ص(٦٦)

(٤) تاريخ الإسلام، عـهد الخلافـة الراشدة: ص (٣٨٩) إسناده ضعـيف خلافة أبي بـكر الصديق، عبـد العزيز سليمان: ص (٦٥).

وكـان مما قال فى خطبـته على مـنبر الكوفـة فى ثنائه على أبى بكر وعـمر: «فـأعطى المسلمون البيعة طائعين، فكان أول من سبق فى ذلك من ولد عبد المطلب أنا»[1]، وجاءت روايات أشـارت إلى مبـايعـة على لأبى بكر - رضى الله عنهـما - فى أول الأمـر وإن لم تصرح بذلك، فعن إبراهيم بن عـبد الرحمن بن عوف أنه قال: إن عبـد الرحمن بن عوف كان مع عـمر بن الخطاب، رضى الله عنه، ثم قام أبـو بكر فخطب الناس، واعتـذر إليهم وقال: «والله ما كـنت حريصًا على الإمارة يومًـا ولا ليلة قط، ولا كنت فيهـا راغبًا، ولا سألتها الله عز وجل فى سر ولا علانيـة، ولكنى أشفقت من الفتنة، وما لى فى الإمارة من راحة، ولكن قلدت أمرًا عظيمًا ما لى به من طاقة ولابد إلا بتقوية الله عز وجل، ولوددت أن أقوى الناس عليها مكانى اليوم»، فقبل المهـاجرون منه ما قال، وما اعتذر به. قال على رضى الله عنه والزبيـر: «ما غضـبنا إلا لأنا قد أخرنا عن المشـاورة، وأنا نرى أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله ﷺ، إنه لصاحب الغار، وثانى اثنين، وإنا لنعلم بشرفه، وكبره، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حى»[2]. وعن قيس العبـدى قال: «شهدت خطبة على يوم البصرة قال: فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبى ﷺ وما عالج من الناس، ثم قبضه الله عز وجل إليه، ثم رأى المسلمون أن يسـتخلفوا أبا بكر - رضى الله عنه - فبايعوا وعاهدوا وسلموا، وبايعت وعاهدت وسلمت، ورضوا ورضـيت، وفعل من الخير وجاهد حتى قبضه الله عز وجل، رحمة الله عليه»[3].

إن عليًـا رضى الله عنه لم يفـارق الصـديق فى وقت من الأوقات ولـم ينقطع عنه فى جماعة من الجماعات، وكان يشاركه فى المشورة، وفى تدبير أمور المسلمين. ويرى ابن كثير ومجموعة من أهل العلم أن عليًـا جدد بيعته بعد ستة أشهر من البـيعة الأولى أى بعد وفاة فاطمة رضى الله عنها، وجاءت فى هذه البيعة روايات صحيحة[4]. ولكن لما وقعت البيعة الثانية اعتقد بعض الرواة أن عليًا لم يبايع قبلها، فنفى ذلك والمثبت مقدم على النافى[5].

وهناك كتاب اسمه «الإمام على جدل الحقيقة والمسلمين الوصية والشورى» لمحمود محمد العلى زعم صاحبه بأنه يبحث وينشد الحقيقة، ولكن صاحبه لم يتخلص من المنهج الشيعى الرافضى فى الطرح ووضع السمّ فى العسل، ولذلك وجب التنبيـه، وقد تعرض لبيعة على رضى الله عنه، وزعم بأن أحقية على رضى الله عنه بالخلافة قائمة على الوصية.

(١) أسد الغابة (٤/ ١٦٦، ١٦٧) خلافة أبي بكر: ص (٦٦).

(٢) البداية والنهاية (٦/ ٣٤١) إسناده جيد، خلافة أبى بكر: ص (٦٧).

(٣) السنة، عبد الله بن أحمد (٢/ ٥٦٣) رجال الإسناد ثقات.

(٤)، (٥) البداية والنهاية (٥/ ٤٩).

ثانيًا: على رضى الله عنه ومساندته لأبى بكر فى حروب الردة:

كان على رضــى الله عنه لأبى بكر رضى الله عنه عيــبة[1] نصح له، مرجـحًا لما فــيه مصلحة للإسلام والمسلمين على أى شىء آخـر، ومن الدلائل الساطعة على إخلاصه لأبى بكر ونصحــه للإسلام والمسلمين وحــرصه على الاحتــفاظ ببــقاء الخلافـة واجتمـاع شمل المسلمين ما جاء من موقفه من توجهه أبى بكر رضى الله عنه بنفسه إلى ذى القصة، وعزمه على محاربة المرتدين، وقيـادته للتحركات العسكرية ضدهم بنفـسه، وما كان فى ذلك من مخاطرة وخطر على الوجود الإسلامى[2]، فعن ابن عمر، رضى الله عنه يقول: «أقول لك ما قال رسول الله ﷺ يوم أحد: لم سيفك ولا تفـجعنا بنفسك، وارجع إلى المدينة، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدًا»، فرجع[3] فلو كان على رضى الله عنه – أعاذه الله من ذلك – لم ينشرح صدره لأبى بكر وقد بايعه على رغمًـا من نفسه، فقد كانت هذه فرصة ذهبية ينتهزها على، فيترك أبا بكر وشأنه، لعله يحدث به حدث فيستريح منه ويصفو الجو له، وإذا كان فـوق ذلك – حاشاه الله – من كراهته له، وحـرصه على التخلص منه، أغرى به أحدًا يغتاله، كما يفعل الرجال الـسياسيون بمنافسيهم وأعدائهم[4]، وقد كان رأى على رضى الله عنه مقـاتلة المرتدين،وقال لأبى بكر لما قـال لعلى: ما تقـول يا أبا الحسن؟ قال: أقـول: إنك إن تركت شيـئًا مما كـان أخذه منهم رسـول الله فأنت على خـلاف سنة الرسول، فقال: أما لئن قلت ذاك لأقاتلنهم وإن منعونى عقالاً[5].

ثالثًا: تقديم على رضى الله عنه لأبى بكر:

تواترت الأخبـار عن على رضى الله عنه فى تفضيله وتـقديمه لأبى بكر رضى الله عنه، فمن ذلك:

١- **عن مـحمد بن الحـنفيـة قال:** قلت لأبى: أى الناس خيـر بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر، وخشيت أن يقول عثمان قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين[6].

(١) العيبة: وعاء من خوص ونحوه ينقل فيه الزرع المحصود إلى الجرين، ووعاء من أدم ونحوه يكون فيه المتاع.
(٢) المرتضى للندوى: ص (٩٧) (٣) البداية والنهاية (٦/ ٣١٤، ٣١٥).
(٤) المرتضى للندوى: ص (٩٧).
(٥) المختصر من كتب الموافقة بين أهل البيت والصحابة للزمخشرى: ص (٤٨)، الرياض النضرة: ص (٦٧٠).
(٦) البخارى.

٢- عن علي رضى الله عنه قال: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر. ثم قال: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد أبي بكر: عمر[١].

٣- عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا تستخلف علينا؟ قال: ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدى على خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم[٢].

٤- وقال علي رضى الله عنه: لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفترى[٣].

٥- قول علي لأبي سفيان رضى الله عنهما: إنا وجدنا أبا بكر لها أهلاً.

وهناك آثار يستأنس بها في إيضاح العلاقة الطيبة بين علي وأبي بكر منها:

(أ) عن عقبة بن الحارث قال: خرجت مع أبي بكر الصديق من صلاة العصر بعد وفاة النبي ﷺ بليال وعلي يمشى إلى جنبه، فمر بحسن بن علي يلعب مع غلمان، فاحتمله على رقبته وهو يقول:

بأبي يشبه النبي ليس شبيهًا بعلي

قال: وعلي يضحك[٤].

(ب) وعن علي رضى الله عنه قال: «من فارق الجماعة شبرًا، فقد نزع ربقة الإسلام من عنقه[٥]»، فهل كان علي يفعل ذلك؟ كان رضى الله عنه يكره الاختلاف ويحرص على الجماعة. قال القرطبي: من تأمل ما دار بين أبي بكر وعلي من المعاتبة ومن الاعتذار، وما تضمن ذلك من الاتفاق عرف أن بعضهم كان يعترف بفضل الآخر، وإن قلوبهم كانت متفقة على الاحترام والمحبة، وإن كان الطبع البشرى قد يغلب أحيانًا، لكن الديانة ترد بذلك - والله الموفق[٦] -.

---

(١) مسند أحمد (١/ ١٠٦، ١١٠، ١٢٧) صحح أحمد شاكر معظم طرق الأحاديث.

(٢) المستدرك (٣/ ٧٩) صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) فضائل الصحابة (١/ ٨٣) في سنده ضعف.

(٤) مسند أحمد (١/ ١٧٠٠) إسناده صحيح تحقيق أحمد شاكر.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٤) من مرسل أبي طاق الأزدي وهو صدوق ورجال الإسناد ثقات، خلافة أبي بكر الصديق: ص (٨٠).

(٦) فتح الباري (٧/ ٤٩٥).

وأما مـا قيل من تخلف الزبيـر بن العوام عن البـيعة لأبي بكر، فـإنه لم يرد من طريق صحـيح، بل ورد ما ينفي هذا القـول، ويثبت مبـايعته فـي أول الأمر، وذلك في أثر أبي سعيد الصحيح وغيره من الآثار(١).

(جـ) قال ابن تيمية: وقد تواتر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «خير الأمـة بعد نبيهـا أبو بكر ثم عمر»، وقـد روى هذا عنه من طرق كثيرة قـيل إنها تبلغ ثمانين طريقًـا، وعنه أنه يقول: «لا أوتى بأحد يفـضلني على أبي بكر وعمـر إلا جلدته حد المفتري»(٢). وقال أيضًا: ولم يقل قط أني أحق بهـذا - أي الخلافة - من أبي بكر ولا قاله أحد في أحد بعينه أن فلانًا أحق بهذا الأمر من أبي بكر، وإنما قـال من فيه أثر لجاهلية عربية أو فارسية إن بيت الرسول أحق بالولاية لأن العرب في جـاهليتها كانت تقدم أهل الرؤساء، وكذلك الفرس يقدمون أهل بيت الملك، فنقل عمن نقل عنه كلام يشير به إلى هذا(٣).

(د) تسمـية أبي بكر بالصديق وشهـادة علي له بالسـباق والشـجاعة: عن يحيى بن حكيم بن سـعد قـال: سـمـعت عليًـا رضي الله عنه يحلف: لله أنزل اسم أبي بكر من الـسمـاء، الصديق(٤)، وعن صلة بن زفر العبـسي قال: كان أبو بكر إذا ذكر عند علي قـال: السبَّاق تذكرون، والذي نفسي بيده ما استبـقنا إلى خير قط إلا سبقنا إليه أبو بكر(٥)، وعن محمد ابن عقيل بن أبي طالب قال: خطبنا علي فقال: أيها الناس من أشجع الناس؟ قلنا: أنت يا أمـيـر المؤمنين. قـال: ذاك أبو بكر الصـديق إنه لما كـان في يوم بدر وضـعنا لرسـول الله العريش(٦) فقلنا: من يقم عنده لا يدنو إليه أحد من المشـركين؟ فما قام عليه إلا أبو بكر، وإنه كان شاهرًا السيف على رأسه كلما دنا إليه أحد هوى إليه أبو بكر بالسيف، ولقد رأيت رسول الله وأخـذته قريش عند الكعبـة فجعلوا يتـعتعـونه ويترترونه(٧) ويقول: أنت الذي جعلت الآلهة إلهًـا واحدًا، فوالله ما دنا إليه إلا أبو بكر، ولأبي بكر يومئـذ ضفيرتان(٨)، فأقبل يجأ(٩) هذا، ويدفع هذا، ويقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم

(١) خلافة أبي بكر الصديق، عبد العزيز سليمان: ص (٨١)

(٢) منهاج السنة (٣/ ١٦٢).

(٣) منهاج السنة (٣/ ٢٦)، مرويات أبي مخنف: ص (٣٠٩).

(٤) المعجم الكبير للطبراني (١/ ٩٥) رجاله ثقات قاله الحافظ في الفتح.

(٥) الطبراني في الأوسط (٧/ ٢٠٧، ٢٠٨) إسناده ضعيف.

(٦) العريش: ما يستظل به وجمعه عروش وعُرش.

(٧) يترترونه: الترترة: تحريك الشيء.

(٨) ضفيرتان: عقيصتان.

(٩) يجأ: الوجأ: اللكز.

بينات من ربكم.. وقطعت إحدى ضفيرتى أبى بكر، فقال على لأصحابه: ناشدتكم الله أى الرجلين خير، مؤمن آل فرعون أم أبو بكر؟ فأمسك القوم، فقال على: والله ليوم من أبى بكر خير من مؤمن آل فرعون، ذلك رجل كتم إيمانه فأثنى الله عليه، وهذا أبو بكر بذل نفسه ودمه لله[1].

رابعًا: اقتداء على بالصديق فى الصلوات وقبول الهدايا منه:

إن عليًا رضى الله عنه كان راضيًا بخلافة الصديق ومشاركًا له فى معاملاته وقضاياه، قابلاً منه الهدايا رافعًا إليه الشكاوى، مصليًا خلفه، محبًا له، مبغضًا من بغضه[2]، وشهد بذلك أكبر خصوم الخلفاء الراشدين، وأصحاب النبى ﷺ ومن تبعهم بهديهم، وسلك مسلكهم، ونهج منهجهم[3]، فهذا اليعقوبى الشيعى الغالى فى تاريخه يذكر أيام خلافة الصديق فيقول: وأراد أبو بكر أن يغزو الروم فشاور جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ فقدموا وأخروا فاستشار على بن أبى طالب فأشار أن يفعل، فقال: إن فعلت ظفرت؟ فقال: بشرت بخير، فقام أبو بكر فى الناس خطيبًا، وأمرهم أن يتجهزوا إلى الروم، وفى رواية: سأل الصديق عليًا كيف ومن أين تبشر؟ قال: من النبى ﷺ حيث سمعته يبشر بتلك البشارة، فقال أبو بكر: سررتنى بما أسمعتنى من رسول الله يا أبا الحسن، سرك الله[4].

ويقول اليعقوبى أيضًا: وكان مما يؤخذ عنه الفقه فى أيام أبى بكر على بن أبى طالب وعمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود[5]، فقدم عليًا على جميع أصحابه، وهذا دليل واضح على تعاملهم مع بعضهم وتقديمهم عليًا فى المشورة[6] والقضاء، فعندما كتب خالد بن الوليد إلى أبى بكر بقوله له: أنه وجد رجلاً فى بعض نواحى العرب ينكح كما تنكح المرأة، فجمع أبو بكر لذلك أصحاب رسول الله ﷺ منهم على، فقال على: إن هذا ذنب لم يعمل به إلا أمة واحدة[7]، ففعل الله بهم ما قد علمتم، أرى أن تحرقه بالنار، فاجتمع رأى أصحاب رسول الله أن يحرق بالنار، فأمر به أبو بكر أن يحرق بالنار[8]. وكان على رضى الله عنه يمتثل أوامر الصديق؛ فعندما جاء وفد من

(١) المستدرك (٣/ ٦٧) صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبى.

(٢)، (٣) الشيعة وأهل البيت، إحسان إلهى ظهير: ص (٦٩).

(٤) تاريخ اليعقوبى (٢/ ١٣٢، ١٣٣) نقلاً عن الشيعة وأهل البيت: ص (٧٠).

(٥) المصدر السابق (٢/ ١٣٨) نقلاً عن الشيعة وأهل البيت: ص (٧٠).

(٦) الشيعة وأهل البيت: ص (٧٠)

(٧) ألا وهى أمة لوط عليه السلام.

(٨) المغنى والشرح الكبير (١٢/ ٢٢٠) المختصر من كتاب الموافقة: ص (٥١).

الكفار إلى المدينة، ورأوا بالمسلمين ضعفًا وقلة لذهابهم إلى الجهات المختلفة للجهاد واستئصال شأفة المرتدين والبغاة الطغاة، وأحس منهم الصديق خطرًا على عاصمة الإسلام والمسلمين، أمر الصديق بحراسة المدينة وجعل الحرس على أنقابها يبيتون بالجيوش، وأمر عليًا والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود أن يرأسوا هؤلاء الحراس، وبقوا كذلك حتى آمنوا منهم[(١)].

وللتعامل الموجود بينهم وللتعاطف والتواد والوئام الكامل كان على وهو سيد أهل البيت ووالد سبطى الرسول ﷺ يتقبل الهدايا والتحف، دأب الإخوة المتساوين فيما بينهم والمتحابين كما قبل الصهباء الجارية التى سبيت فى معركة عين التمر، وولدت له عمر ورقية[(٢)]. وأيضًا منحه الصديق خولة بنت جعفر بن قيس التى أسرت مع من أسر فى حرب اليمامة وولدت له أفضل أولاده بعد الحسن والحسين وهو محمد ابن الحنفية، وكانت خولة من سبى أهل الردة وبها يعرف ابنها ونسب إليها محمد ابن الحنفية[(٣)]، يقول الإمام الجوينى عن بيعة الصحابة لأبى بكر: وقد اندرجوا تحت الطاعة عن بكرة أبيهم لأبى بكر - رضى الله عنه - وكان على رضى الله عنه سامعًا لأمره، وبايع أبا بكر على ملأ من الأشهاد، ونهض إلى غزو بنى حنيفة[(٤)].

ووردت روايات عديدة فى قبوله هو وأولاده الهدايا المالية، والخمس، وأموال الفيء من الصديق رضى الله عنهم أجمعين، وكان على هو القاسم والمتولى فى عهده على الخمس والفيء، وكانت هذه الأموال بيد على، ثم كانت بيد الحسن ثم بيد الحسين، ثم الحسن بن الحسن ثم زيد بن الحسن[(٥)]، وكان على رضى الله عنه يؤدى الصلوات الخمس فى المسجد خلف الصديق، راضيًا بإمامته، ومظهرًا للناس اتفاقه ووئامه معه[(٦)]، وكان على رضى الله عنه يروى عن أبى بكر بعض أحاديث رسول الله ﷺ، فعن أسماء بنت الحكم الفزارى قال: سمعت عليًا رضى الله عنه يقول: كنت إذا سمعت من رسول الله علمًا نفعنى الله به، وكان إذا حدثنى عنه غيرى استحلفته فإذا حلف صدقته، وحدثنى أبو بكر - وصدق أبو بكر - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما من عبد مسلم يذنب ذنبًا ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يصلى ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر الله له»**[(٧)]. ولما قبض رسول الله ﷺ اختلف أصحابه

(١) تاريخ الطبرى (٤/ ٦٤)، الشيعة وأهل البيت: ص (٧١).

(٢) الطبقات (٣/ ٢٠)، البداية والنهاية (٧/ ٣٣١ - ٣٣٣). (٣) الطبقات (٣/ ٢٠).

(٤) الإرشاد للجوينى: ص (٤٢٨) نقلاً عن أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية للقفارى (١/ ٨٥).

(٥)، (٦) الشيعة وأهل البيت: ص (٧٢). (٧) مسند أحمد رقم ٤٧.

فقالوا: ادفنوه في البقيع[1]، وقال آخرون: ادفنوه في موضع الجنائز، وقال آخرون: ادفنوه في مقابل أصحابه، فقال أبو بكر: أخروا فإنه لا ينبغي رفع الصوت عند النبي حيًا ولا ميتًا، فقال علي رضي الله عنه: «أبو بكر مؤتمن على ما جاء به». قال أبو بكر: «عهد إليَّ رسول أنه ليس من نبي يموت إلا دفن حيث يُقبض»[2]، وشهد علي رضي الله عنه للصديق عن عظيم أجره في المصاحف، فعن عبد خير قال: سمعت عليًا يقول: «أعظم الناس أجرًا في المصاحف: أبو بكر الصديق، هو أول من جمع بين اللوحين»[3].

خامسًا: الصديق والسيدة فاطمة وميراث النبي ﷺ:

قالت عائشة رضي الله عنها: إن فاطمة والعباس - رضي الله عنهما - أتيا أبا بكر - رضي الله عنه - يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ وهما يطلبان أرضه من فدك، وسهمه من خيبر، فقال لهما أبو بكر: إني سمعت رسول الله يقول: **«لا نورث، ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد ﷺ من هذا المال»**[4] وفي رواية قال أبو بكر رضي الله عنه.... لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، فإني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ[5]. وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: إن أزواج النبي ﷺ، حين توفي رسول الله، أردن أن يبعثن عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أبي بكر، ليسألنه ميراثهن من النبي ﷺ، فقالت عائشة رضي الله عنها لهن: أليس قد قال رسول الله ﷺ: **«لا نورث، ما تركناه صدقة»**[6]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يقتسم ورثتي دينارًا، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة»**[7].

وهذا ما فعله أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع فاطمة رضي الله عنها امتثالاً لقوله ﷺ، لذلك قال الصديق: «لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به»[8] وقال: «والله لا أدع أمرًا رأيت رسول الله يصنعه إلا صنعته»[9].

---

(١) البقيع: مقبرة أهل المدينة وهي داخل المدينة.

(٢) مسند أحمد (١/ ٨) إسناده ضعيف قاله أحمد شاكر، وقال ابن حجر في الفتح (١/ ٦٣١) إسناده صحيح لكنه موقوف.

(٣) المختصر من كتاب الموافقة: ص (٤٤)

(٤) البخاري رقم ٦٧٢٦.

(٥) مسلم رقم ١٧٥٩.

(٦) البخاري رقم ٦٧٣٠، مسلم رقم ١٧٥٨.

(٧) البخاري رقم ٦٧٢٩.

(٨) مسلم ١٧٥٨.

(٩) البخاري رقم ٦٧٢٦.

وقد تركت فاطمة رضى الله عنها منازعته بعد احتجاجه بالحديث وبيانه لها، وفيه دليل على قبولها الحق وإذعانها لقوله ﷺ ، قال ابن قتيبة[1]: وأما منازعة فاطمة أبا بكر رضى الله عنها فى ميراث النبى ﷺ فليس بمنكر، لأنها لم تعلم ما قاله رسول الله ﷺ ، وظنت أنها ترثه كما يرث الأولاد آباءهم، فلما أخبرها بقوله كفت[2]، وقد غلا الرافضة فى قصة ميراث النبى غلوًا مفرطًا مجانبين الحق والصواب، معرضين متجاهلين ما ورد من نصوص صحيحة فى أنه ﷺ لا يورث، وجعلوا ذلك من أصول الخلاف بين الصحابة وآل البيت - رضى الله عنهم أجمعين - وامتدادًا لأمر الخلافة، فاتهموا الصحابة - رضوان الله عليهم - بإيقاع الظلم والجور على آل البيت، ولا سيما أبو بكر الصديق وعمر الفاروق - رضى الله عنهما - اللذين غصبا الخلافة من آل البيت كما فى زعمهم، وأضافوا إلى ذلك غصب أموال آل البيت، وغصب ما فرض الله لهم من حقوق مالية، ويعتبر الرافضة قضية فدك، ومنع فاطمة من إرثها من أهم القضايا، التى تواطأ عليها الصحابة بعد غصب الصديق رضى الله عنه للخلافة منهم على حد تعبيرهم، وذلك حتى لا يميل الناس إلى آل البيت بسبب هذا المال فيجتمعوا عليه ويخلعوه من الخلافة[3].

والمتتبع لكتب الرافضة في هذه المسألة يجد أنها تنصب على إنكار حديث رسول الله ﷺ : «نحن معاشر الأنبياء، لا نورث ما تركناه صدقة» [4] واستقطاب الأدلة لمحاولة إبطاله، فمن ذلك:

١- زعمهم أن هذا الحديث وضعه أبو بكر الصديق -رضى الله عنه-: وفى ذلك يقول الحلى: إن فاطمة لم تقبل بحديث اخترعه أبو بكر من قوله: ما تركناه صدقة. وقال أيضًا: والتجأ فى ذلك إلى رواية انفرد بها[5]. وقال المجلسى بعد أن نص على أن أبا بكر وعمر أخذا فدكًا: ولأجل ذلك وضعوا تلك الرواية الخبيثة المفتراة: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة[6] ويقول الخمينى فى ذلك: نقول إن الحديث المنسوب إلى النبى لا صحة له، وأنه قيل من أجل استئصال ذرية النبى[7].

ويجاب على ذلك: بأن هذا القول كذب محض وافتراء واضح، إذ هذه الرواية لم ينفرد بها أبو بكر رضى الله عنه بل إن قوله ﷺ : «لا نورث ما تركناه فهو صدقة» ، رواه عنه أبو

(١) شذرات الذهب (٢/ ١٦٩).
(٢) تأويل مختلف الحديث: ص١٩/ ١.
(٣) العقيدة فى أهل البيت بين الإفراط والتفريط: ص (٤٣٥).
(٤) مسلم ١٧٥٨.
(٥) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة (٤/ ١٩٣) نقلاً عن العقيدة فى أهل البيت.
(٦) حق اليقين: ص (١٩١) نقلاً عن العقيدة فى أهل البيت: ص (٤٤٣).
(٧) كشف الأسرار للخمينى: ص (١٣٢ - ١٣٣) نقلاً عن العقيدة فى أهل البيت.

بكر وعثمان وعلى وطلحة، والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن عبد المطلب وأزواج النبى ﷺ وأبو هريرة وحذيفة بن اليمان رضى الله عنهم أجمعين[1] وفى ذلك يقول ابن تيمية: والرواية عن هؤلاء ثابتة فى الصحاح والمسانيد، مشهورة يعلمها أهل العلم بالحديث، فقول القائل: إن أبا بكر انفرد بالرواية يدل على فرط جهله أو تعمده الكذب[2].

وقال ابن كثير بعد ذكره لمن روى الحديث: «وأن هذا الزعم من الرافضة باطل، ولو تفرد بروايته الصديق -رضى الله عنه- لوجب على جميع أهل الأرض قبول روايته والانقياد له فى ذلك»[3]، وقد قال الدكتور سليمان بن رجاء السحيمى صاحب الكتاب القيم «العقيدة فى أهل البيت بين الإفراط والتفريط»: ويؤيد هذا ما جاء من كتب الرافضة عن الإمام جعفر الصادق الإمام الخامس المعصوم عندهم فيما رواه الكلينى والصفار والمفيد أنه قال: قال رسول الله ﷺ «من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة، والعلماء أمناء، والأتقياء حصون، والأوصياء سادة، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر، وأن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، ولكن ورثوا العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر»[4] وفى رواية: «إن العلماء ورثة الأنبياء، وذلك أن الأنبياء لم يورثوا درهمًا ولا دينارًا، وإنما أورثوا أحاديث من أحاديثهم»[5]. وما أرث منك يا رسول الله؟ قال: «ما أورث النبيون».

٢- زعمهم أن هذا الحديث مخالف لقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١] وقالوا: ولم يجعل الله ذلك خاصًا بالأمة دونه ﷺ؟[6].

والحقيقة أن الخطاب شامل للمقصودين بالخطاب، وليس فيه ما يوجب كون النبى ﷺ من المخاطبين بها[7]، فهو ﷺ لا يقاس بأحد من البشر، فهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ولأن الله حرم عليه صدقة الفرض والتطوع، وخُص بأشياء لم يُخص بها أحد غيره ﷺ ومما خصه الله به، هو وإخوانه من الأنبياء عليه السلام كونهم لا يورثون، وذلك صيانة من

(١) العقيدة فى أهل البيت: ص (٤٤٤).
(٢) منهاج السنة (٤/ ١٩٩).
(٣) البداية والنهاية (٥/ ٢٥٠).
(٤) الكافى للكلينى (١/ ٣٢ - ٣٤).
(٥) المصدر السابق (١/ ٣٢ - ٣٤)، وبصائر الدرجات للصفار: ص (١٠، ١١) والاختصاص للمفيد: ص (٤) وانظر: علم اليقين للكاشانى (٢/ ٧٤٧، ٧٤٨) نقلاً عن العقيدة لأهل البيت: ص (٤٤٤).
(٦) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة ٤/ ١٩٤.
(٧) منهاج السنة (٤/ ١٩٤، ١٩٥) العقيدة فى أهل البيت: ص (٤٤٥).

الله لهم لئلا يكون ذلك شبهة لمن يقدح في نبوتهم بأنهم طلبوا الدنيا وخلفوها لورثتهم، أما بقية البشر فلا نبوة لهم يقدح فيها بمثل ذلك، كم صان الله تعالى نبينا ﷺ عن الخط والشعر صيانة لنبوته عن الشبهة وإن كان غيره لم يحتج إلى هذه الصيانة(١).

وقال ابن كثير في رده على استدلال الرافضة بالآية: إن رسول الله ﷺ قد خص من بين الأنبياء بأحكام لا يشاركونه فيها.. فلو قدر أن غيره من الأنبياء يورثون، وليس الأمر كذلك، لكان ما رواه الصحابة، وعلى رأسهم أبو بكر، مبينًا لتخصصه بهذا الحكم دون من سواه(٢). وبهذا يتبين بطلان استدلالهم بمخالفة الحديث.

٣- زعمهم أن منع الإرث والاستدلال بهذا الحديث مخالف لقوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ [النمل: ١٦]، ومخالف لما حكاه الله عن نبيه زكريا عليه السلام: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٥، ٦].

حيث قالوا: إن الميراث يقتضي الأموال وما في معناه، وليس لأحد أن يقول إن المراد بالآية العلم دون المال(٣).

ويجاب على ذلك بما يلي: أن الإرث اسم جنس يدخل تحته أنواع، فيستعمل في إرث العلم والنبوة والملك وغير ذلك من أنواع الانتقال. قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١] وغير ذلك من الآيات الواردة في هذا الشأن، وإذا كان كذلك فقوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ وقوله: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ إنما يدل على جنس الإرث، ولا يدل على إرث المال، وذلك أن داود عليه السلام كان له أولاد كثيرون غير سليمان فلا يختص سليمان بماله فدل على أن المراد بهذا الإرث إرث العلم والنبوة ونحو ذلك، لا إرث المال، والآية سيقت في بيان مدح سليمان وما خصه الله به من النعمة، وحصر الإرث في المال لا مدح فيه، إذ إن إرث المال من الأمور العادية المشتركة بين الناس، وكذلك قوله تعالى: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ ليس المراد

(١) منهاج السنة: ص (١٩٤، ١٩٥)، العقيدة في أهل البيت: ص (٤٤٥).

(٢) البداية والنهاية (٥/ ٢٥٤)، العقيدة في أهل البيت: ص (٤٤٦)

(٣) منهاج الكرامة: ص (١٠٩) نقلاً عن العقيدة في أهل البيت وغيرها من الكتب كالطرائف لابن «آووس» (٣٤٧).

به إرث المال لأنه لا يرث آل يعقوب شيئًا من أموالهم، وإنما يرث ذلك منهم أولادهم وسائر ورثتهم لو ورثوا[١].

كما أن قوله: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي﴾ [مريم: ٥] لا يدل على أن الإرث إرث مال، لأن زكريا لم يخف أن يأخذوا ماله من بعده إذا مات، فإن هذا ليس بمخوف، وزكريا عليه السلام لم يعرف له مال، بل كان نجارًا يأكل من كسب يده كما فى صحيح مسلم[٢]، ولم يكن ليدخر منها فوق قوته حتى يسأل الله ولدًا يرث عنه ماله، فدل على أن المراد بالوراثة فى هاتين الآيتين وراثة النبوة، والقيام مقامه[٣]

يقول القرطبى فى تفسيره للآية: وعليه فلم يسل من يرث ماله، لأن الأنبياء لا تورث، وهذا هو الصحيح من القولين فى تأويل الآية، وأنه عليه الصلاة والسلام أراد وراثة العلم والنبوة لا وراثة المال لما ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «إنا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة»[٤]، وهذا الحديث يدخل فى التفسير المسند لقوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ وعبارة عن قول زكريا ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ وتخصيص للعموم فى ذلك، وإن سليمان لم يرث من داود مالاً خلفه داود بعده، وإنما ورث منه الحكمة والعلم، وكذلك ورث يحيى من آل يعقوب، وهكذا قال أهل العلم بتأويل القرآن ما عدا الروافض[٥]

ومما تجدر الإشارة إليه أن الرافضة خالفوا ما استدلوا به على وجوب الميراث، وذلك أنهم حصروا ميراثه ﷺ فى فاطمة - رضى الله عنها - فزعموا أنه لم يرث النبى ﷺ إلا هى، فأخرجوا أزواجه وعصبته مخالفين عموم الآيات التى استدلوا بها، فقد روى الصدوق بسنده عن أبى جعفر الباقر قوله: لا والله ما ورث رسول الله ﷺ العباس ولا على، ولا ورثه إلا فاطمة عليها السلام، وما كان آخذ على عليه السلام السلاح وغيره إلا إنه قضى عنه دينه[٦] وروى الكلينى والصدوق والطوسى بأسانيدهم إلى الباقر أيضًا قوله: وورث على عليه السلام من رسول الله ﷺ علمه، وورثت فاطمة عليها السلام تركته[٧]، بل

(١) منهاج السنة (٤/ ٢٢٢ - ٢٢٤)
(٢) مسلم رقم ٢٣٧٩.
(٣) منهاج السنة (٤/ ٢٢٥)، البداية والنهاية (٥/ ٢٥٣)، العقيدة فى أهل البيت: ص (٤٤٨).
(٤) مسلم رقم ١٧٥٨
(٥) تفسير القرطبى (١١/ ٣٥ - ٤٥).
(٦) من لا يحضره الفقيه (٤/ ١٩٠، ١٩١)، العقيدة فى أهل البيت: ص (٤٥١).
(٧) الكافى للكلينى (٧/ ١٣٧)، العقيدة فى أهل البيت: ص (٤٥١).

وأخرجوا فاطمة من ذلك، حيث زعموا أن النساء لا يرثن العقار، فقد بوب الكليني في كتابه الكافي بابًا بعنوان: إن النساء لا يرثن من العقار شيئًا، وساق تحته روايات منها: عن أبي جعفر الصادق إنه قال: النساء لا يرثن من الأرض ولا من العقار شيئًا[1].

روى الصدوق بسنده إلى ميسر قال: سألته -يقصد الصادق- عن النساء ما لهن في الميراث، فقال: أما الأرض والعقارات فلا ميراث فيه[2]، وبهذا يتبين عدم استحقاق فاطمة -رضي الله عنها- شيئًا من الميراث، بدون الاستدلال بحديث: نحن معاشر الأنبياء لا نورث[3]، فما دامت المرأة لا ترث العقار والأرض، فكيف كان لفاطمة أن تسأل فدك -على حسب قولهم- وهي عقار لا ريب فيه[4]، وهذا دليل كذبهم وتناقضهم فضلاً عن جهلهم[5].

وأما ما زعموه من كون الصديق - رضي الله عنه - سأل فاطمة أن تحضر شهودًا، فأحضرت عليًا وأم أيمن فلم يقبل شهادتهما، فهو من الكذب البين الواضح، قال حماد بن إسحاق: فأما ما يحكيه قوم أن فاطمة عليها السلام طلبت فدك، وذكرت أن رسول الله ﷺ أقطعها إياها، وشهد لها علي عليه السلام فلم يقبل أبو بكر شهادته لأنه زوجها، فهذا أمر لا أصل له ولا تثبت به رواية أنها ادعت ذلك، وإنما هو أمر مفتعل لا ثبت فيه[6].

٤- أن السنة والإجماع قد دلا على أن النبي ﷺ لا يورث: قال ابن تيمية: كون النبي ﷺ لا يورث ثبت بالسنة المقطوع بها، وبإجماع الصحابة، وكل منها دليل قطعي، فلا يعارض ذلك بما يظن أنه عموم، وإن كان عمومًا فهو مخصوص، لأن ذلك لو كان دليلاً لما كان إلا ظنيًا فلا يعارض القطعي، إذ الظني لا يعارض القطعي، وذلك أن هذا الخبر رواه غير واحد من الصحابة في أوقات ومجالس، وليس فيهم من ينكره، بل كلهم تلقاه بالقبول والتصديق، ولهذا لم يصر أحد من أزواجه على طلب الميراث، ولا أصرّ العمّ على طلب الميراث، بل لما طلب من ذلك شيئًا فأخبر بقول النبي ﷺ رجع عن طلبه، واستمر الأمر على ذلك على عهد الخلفاء الراشدين إلى علي، فلم يغير شيئًا ولا قسم له تركة[7]. قال ابن تيمية: قد تولى الخلافة (عليٌّ) بعد ذي النورين عثمان، وصار فدك وغيرها تحت

(١) الكافي للكليني (٧/ ١٣٧)، العقيدة في أهل البيت: ص (٤٥١).
(٢) الشيعة وأهل البيت: ص (٨٩).
(٣) مسلم ١٧٦٨.
(٤) الشيعة وأهل البيت: ص (٩٨).
(٥) العقيدة في أهل البيت: ص (٤٥٢).
(٦) منهاج السنة (٤/ ٢٣٦ - ٢٣٨).
(٧) المصدر السابق (٤/ ٢٢٠).

حكمه، ولم يعط منها شيئًا لأحد من أولاد فاطمة ولا من زوجات النبى ﷺ ولا ولد العباس، فلو كان ظلمًا وقدر على إزالته لكان هذا أهون عليه من قتال معاوية وجيوشه، أفتراه يقاتل معاوية مع ما جرى فى ذلك من الشر العظيم ولا يعطى هؤلاء قليلاً من المال، وأمره أهون بكثير(١)

وبإجماع الخلفاء الراشدين على ذلك احتج الخليفة العباسى أبو العباس السفاح على بعض مناظريه فى هذه المسألة على ما نقل ابن الجوزى فى تلبيس إبليس قال: وقد روينا عن السفاح أنه خطب يومًا فقام رجل من آل على - رضى الله عنه - قال: إنا من أولاد على - رضى الله عنه - فقال: يا أمير المؤمنين أعنى على من ظلمنى. قال: ومن ظلمك؟ قال: أنا من أولاد على -رضى الله عنه- والذى ظلمنى أبو بكر -رضى الله عنه- حين أخذ فدك من فاطمة، وقال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم، قال: ومن قام بعده؟ قال: عمر -رضى الله عنه- قال: ودام على ظلمكم. قال: نعم، قال: ومن قام بعده؟ قال عثمان -رضى الله عنه- قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم، قال: ومن قام بعده؟ فجعل يلتفت كذا وكذا ينظر مكانًا يهرب منه(٢)

وبتصويب أبى بكر -رضى الله عنه- فى اجتهاده صرّح بعض أولاد على من فاطمة -رضى الله عنهما- على ما روى البيهقى بسنده عن فضيل بن مرزوق قال: قال زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب: أما لو كنت مكان أبى بكر، لحكمت بما حكم به أبو بكر فى فدك(٣)، كما نقل أبو العباس القرطبى اتفاق أهل البيت بدءًا بعلى -رضى الله عنه- ومن جاء بعده من أولاده، ثم أولاد العباس الذين كانت بأيديهم صدقة رسول الله، إنهم ما كانوا يرون تملكها، وإنما كانوا ينفقونها فى سبيل الله، قال -رحمه الله-: إن عليًا لما ولى الخلافة ولم يغيرها عما عمل فيها فى عهد أبى بكر وعمر، وعثمان، ولم يتعرض لتملكها، ولا لقسمة شىء منها، بل كان يصرفها فى الوجوه التى كان من قبله يصرفها فيها، ثم كانت بيد حسن بن على، ثم بيد حسين بن على، ثم بيد على بن الحسين، ثم بيد الحسين بن الحسن، ثم بيد زيد بن الحسين، ثم بيد عبد الله بن الحسين، ثم تولاها بنو العباس على ما ذكره أبو بكر البرقانى فى صحيحه، وهؤلاء كبراء أهل البيت -رضى الله عنهم- وهم معتمدون عند الشيعة وأئمتهم، لم يرو عن واحد منهم أنه تملكها ولا ورثها

(١) منهاج السنة (٦/ ٣٤٧)
(٢) تلبيس إبليس: ص (١٣٥).
(٣) تاريخ المدينة لابن شبة (١/ ٢)، البداية والنهاية (٥/ ٢٥٣).

ولا ورثت عنه، فلو كان ما يقوله الشيعة حقًا لأخذها على أو أحد من أهل بيته لما ظفروا بها[1].

وقال ابن تيمية: قد تولى (علىٌّ) الخلافة بعد ذى النورين عثمان، وصار فدك وغيرها تحت حكمه، ولم يعط منها شيئًا لأحد من أولاد فاطمة، ولا من زوجات النبى ﷺ، ولا ولد العباس، فلو كان ظلمًا وقدر على إزالته لكان هذا أهون عليه من قتال معاوية وجيوشه، أفتراه يقاتل معاوية مع ما جرى فى ذلك من الشر العظيم، ولا يعطى هؤلاء قليلاً من المال، وأمره أهون بكثير؟[2].

وقال ابن كثير: وقد تكلمت الرافضة فى هذا المقام بجهل، وتكلفوا ما لا علم لهم به، وكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، ولما يأتهم تأويله، وأدخلوا أنفسهم فيما لا يعنيهم[3]، فلو تفهموا الأمور على ما هى عليه لعرفوا للصديق فضله وقبلوا منه عذره الذى يجب على كل أحد قبوله، ولكنهم طائفة مخذولة، وفرقة مرذولة، يتمسكون بالمتشابهة، ويتركون الأمور المقررة عند أئمة الإسلام من الصحابة والتابعين من بعدهم من العلماء المعتبرين فى سائر الأعصار والأمصار، رضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين[4].

٥- تسامح السيدة فاطمة مع أبى بكر: وقد ثبت عن فاطمة - رضى الله عنها - أنها رضيت عن أبى بكر بعد ذلك، وماتت وهى راضية عنه، على ما روى البيهقى بسنده عن الشعبى أنه قال: لما مرضت فاطمة أتاها أبو بكر الصديق فاستأذن عليها، فقال على: يا فاطمة هذا أبو بكر يستأذن عليك؟ فقالت: أتحب أن آذن له؟ قال: نعم، فأذنت له فدخل عليها يترضاها، فقال: والله ما تركت الدار والمال، والأهل والعشيرة، إلا ابتغاء مرضاة الله، ومرضاة رسوله، ومرضاتكم أهل البيت، ثم ترضاها حتى رضيت[5]. قال ابن كثير: وهذا إسناد جيد قوى والظاهر أن عامر الشعبى سمعه من على، أو ممن سمعه من على[6].

وبهذا تندحض مطاعن الرافضة على أبى بكر التى يعلقونها على غضب فاطمة عليه، فلئن كانت غضبت على أبى بكر فى بداية الأمر فقد رضيت عنه بعد ذلك وماتت وهى راضية عنه، ولا يسع أحدًا صادقًا فى محبته لها، إلا أن يرضى عمن رضيت عنه[7]، ولا

(١) المفهم للقرطبى (٣/ ٥٦٤).
(٢) منهاج السنة (٦/ ٣٤٧).
(٣) البداية والنهاية (٥/ ٢٥٣).
(٤) المصدر نفسه (٥/ ٢٥١).
(٥) السنن الكبرى للبيهقى (٦/ ٣٠١).
(٦) البداية والنهاية (٥/ ٢٥٣).
(٧) الانتصار للصحب والآل: ص (٤٣٤).

يعارض هذا ما ثبت في حديث عائشة: إنما يأكل آل محمد ﷺ من هذا المال، وإنى والله لا أغير شيئًا من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التى كانت عليها فى عهد رسول الله ﷺ، ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله ﷺ، فأبى أبو بكر أن يدفع لفاطمة منها شيئًا، فوجدت فاطمة على أبى بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت(١). فإن هذا بحسب علم عائشة - رضى الله عنها - راوية الحديث، وفى حديث الشعبى زيادة علم، وثبوت زيارة أبي بكر لها وكلامها له ورضاها عنه، فعائشة - رضى الله عنها - نفت والشعبى أثبت، ومعلوم لدى العلماء أن قول المثبت مقدم على قول النافى، لأن احتمال الثبوت حصل بغير علم النافى، خصوصًا فى مثل هذه المسألة، فإن عيادة أبى بكر لفاطمة - رضى الله عنها - ليست من الأحداث الكبيرة التى تشيع فى الناس، ويطلع عليها الجميع، وإنما هى من الأمور العادية التى تخفى على من لم يشهدها، والتى لا يعبأ بنقلها لعدم الحاجة لذكرها، على أن الذى ذكره العلماء أن فاطمة - رضى الله عنها - لم تتعمد هجر أبى بكر - رضى الله عنه - أصلاً، ومثلها ينزه عن ذلك لنهى النبى ﷺ عن الهجر فوق ثلاث، وإنما لم تكلمه لعدم الحاجة لذلك(٢)، قال القرطبى صاحب المفهم فى سياق شرحه لحديث عائشة المتقدم: ثم إنها (أى فاطمة) لم تلتق بأبى بكر لشغلها بمصيبتها برسول الله ﷺ ولملازمتها بيتها، فعبر الراوى عن ذلك بالهجران، وإلا فقد قال رسول الله ﷺ: **«لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»**(٣)، وهى أعلم الناس بما يحل من ذلك ويحرم، وأبعد الناس عن مخالفة رسول الله ﷺ، وكيف لا تكون كذلك وهى بضعة من رسول الله ﷺ وسيدة نساء أهل الجنة(٤).

وقال النووى: وأما ما ذكر من هجران فاطمة أبا بكر - رضى الله عنه - فمعناه انقباضها عن لقائه، وليس هذا من الهجران المحرم، الذى هو ترك السلام والإعراض عند اللقاء، وقوله فى هذا الحديث: (فلم تكلمه) يعنى فى هذا الأمر، أو لانقباضها لم تطلب منه حاجة ولا اضطرت إلى لقائه فتكلمه، ولم ينقل قط أنهما التقيا فلم تسلم عليه ولا كلمته(٥)، لقد انشغلت فاطمة - رضى الله عنها - عن كل شىء بحزنها لفقدها أكرم الخلق، وهى مصيبة تزرى بكل المصائب، كما أنها انشغلت بمرضها الذى ألزمها الفراش عن أية مشاركة فى أى شأن من الشئون فضلاً عن لقاء خليفة المسلمين المشغول - لكل لحظة من لحظاته - بشئون الأمة، وحروب الردة وغيرها، كما أنها كانت تعلم بقرب لحوقها بأبيها،

(١) البخارى رقم ٤٢٤٠ رقم ١٧٥. (٢) الانتصار للصحب والآل: ص (٤٣٤).
(٣) البخارى رقم ٦٠٧٧. (٤) المفهم (١٢/ ٧٣). (٥) شرح صحيح مسلم (١٢/ ٧٣).

فقد أخبرها رسول اللهﷺ بأنها أول من يلحق به من أهله[1]، ومن كان فى مثل علمها لا يخطر بباله أمور الدنيا، وما أحسن قول المهلب الذى نقله العينى: ولم يرو أحد أنهما التقيا وامتنعا عن التسليم، وإنما لازمت بيتها، فعبر الراوى عن ذلك بالهجران[2].

ومما يدل على أن العلاقة كانت وطيدة بين الصديق والسيدة فاطمة إلى حد أن زوجة أبى بكر أسماء بنت عميس هى التى كانت تمرض فاطمة بنت النبىﷺ ، ورضى الله عنها، فى مرض موتهـا، وكانت معهـا حتى الأنفاس الأخيـرة، وشاركت فى غسلها وترحـيلها إلى مثـواها، وكان على رضى الله عنه يمرضهـا بنفسه وتعـينه على ذلك أسماء بنت عـميس، رضى الله عنها، وقـد وصتها بـوصايا فى كفنها ودفـنها وتشييع جنـازتها. فعملت أسـماء بها[3]، فقد قـالت السيدة فاطمة لأسمـاء: إنى قد استقبحت مـا يُصنع بالنساء، أنه يطرح على المرأة الثوب فـيصفهـا، فقالت أسمـاء: يا بنت رسول اللهﷺ ، ألا أريك شيئًـا رأيته بأرض الحبشة، فدعت بجرائد رطبة فحنتهـا ثم طرحت عليها ثوبًا، فقال فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله! به تعرف المرأة من الرجال[4]. وعن ابن عبد البر: أن فـاطمة رضى الله عنها أول من غطى نعـشها فى الإسـلام، ثم زينب بنت جـحش، وكان الصديق دائـم الاتصال بعلى من ناحية ليـسأله عن أحوال بنت النبىﷺ خلاف مـا يزعمه القوم، فـمرضت (أى فاطمة رضى الله عنها) وكان على يصلى فى المسـجد الصلوات الخمس، فلما صلى قال له أبو بكر وعمر: كيف بنت رسول الله؟ ومن ناحيـة أخرى من زوجه أسماء حيث كانت هى المشرفـة والممرضة الحقـيقية لهـا، ولما قبضت فـاطمة من يومها فـارتجت المدينة بالبكاء من الرجال والنساء، ودهش الناس كيوم قبض فيه رسول اللهﷺ ، فأقبل أبو بكر وعمر يعزيان عليًا ويقـولان: يا أبا الحسن، لا تسبقنا بالصـلاة على ابنة رسول الله[5]، وقد توفيت ليلة الثلاثاء لثلاث خلون مـن رمضان سنة إحدى عشـرة، روى ابن مالك بن جعفر بن مـحمد عن أبيه عن جده على بن الحسين، قال: ماتت فاطمة بين المغرب والعشاء فحضرها أبو بكر وعمـر وعثمـان والزبير وعبـد الرحمن بن عـوف رضى الله عنهم، فلما وضـعت ليصلى عليها، قال على: تقـدم يا أبا بكر، قال أبو بكر رضى الله عنه: وأنت يا أبا الحسن؟ قال: نعم، فوالله لا يصلى عليها غيرك، فصلى عليها أبو بكر رضى الله عنه ودفنت ليلاً. وجاء

(١) مسلم رقم ٢٤٥٠.
(٢) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ: ص (١٠٨).
(٣) الشيعة وأهل البيت: ص (٧٧).
(٤) الاستيعاب (٤/ ٣٧٨).
(٥) الشيعة وأهل البيت: ص (٧٧)، كتاب سليم بن قيس: ص (٢٥٥).

في رواية: صلى أبو بكر الصديق رضي الله عنه على فاطمة بنت رسول الله ﷺ فكبر عليها أربعًا[1]، وفي رواية مسلم: صلى عليها علي بن أبي طالب وهي الرواية الراجحة[2].

ولقد أجاد وأفاد محمد إقبال في قصيدته العصماء (فاطمة الزهراء) فقال:

نَسَبُ المسيح بني لمريم سيرة ... بقيت على طول المدى ذكراها
والمجد يشرف من ثلاث مطالع ... في مهد فاطمة فما أعلاها
هي بنت من؟ هي زوج من؟ هي أم من؟ ... من ذا يداني في الفخار أباها
هي ومضة من نور عين المصطفى ... هادي الشعوب إذا تروم هداها
من أيقظ الفطر النيام بروحه ... وكأنه بعد البلى أحياها
وأعاد تاريخ الحياة جديدة ... مثل العرائس في جديد حُلاها
هي أسوة للأمهات وقدوة ... يترسم القمر المنير خطاها
جعلت من الصبر الجميل غذاءها ... ورأت رضا الزوج الكريم رضاها

إلى أن قال:

لولا وقوفي عند شرع المصطفى ... وحدود شرعته ونحن فداها
لمضيت للتطواف حول ضريحها ... وغمرت بالقبلات طيب ثراها[3]

سادسًا: مصاهرات بين الصديق وأهل البيت وتسمية أهل البيت بعض أبنائهم باسم أبي بكر:

كانت صلة سيدنا أبي بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ بأعضاء أهل البيت، صلة ودية تقديرية تليق به وبهم، كانت هذه المودة والثقة متبادلة، وكانت من المتانة بحيث لا يتصور معها التباعد والاختلاف مهما نسج المسامرون الأساطير والأباطيل، فالصديقة عائشة بنت الصديق بنت أبي بكر كانت زوجة النبي ﷺ ومن أحب الناس إليه مهما احترق الحساد ونقم المخالفون، فإنها حقيقة ثابتة وهي طاهرة مطهرة بشهادة القرآن مهما جحدها المبطلون وأنكرها المنكرون، ثم أسماء بنت عميس التي كانت زوجة لجعفر بن أبي طالب شقيق علي، فمات عنها وتزوجها الصديق، وولدت له ولدًا سماه محمدًا الذي ولاه علي مصر،

(١) المختصر من كتاب الموافقة: ص (٦٨) في سنده ضعف.
(٢) مسلم رقم ١٧٥٩.
(٣) الدوحة النبوية: ص (٦٢، ٦٣).

ولما مات أبو بكر تـزوجها على بن أبى طالب فـولدت له ولدًا سمـاه يحيى[١]. وحفـيدة الصديق كانت متزوجة من محمـد الباقر - الإمام الخامس عند الروافض وحفيد على رضى الله عنه-، وقـد نقل الأستـاذ إحسـان إلهى ظهيـر من كتب الروافض مـا يثبت التـلاحم والمصاهرة بين بيت النبوة وبيت الصديق، فقد أثبت أن قـاسم بن محمد بن أبى بكر حفيد أبى بكر، وعلى بن الحسين بن على بن أبى طالب حفيد على كانا ابنى خالة، فأم قاسم بن محمد وعلى بن الحـسين هما بنتا يزدجرد بن شهريار - بن كسرى - اللتـان كانتا من سبى الفرس فى عـهد عـمر رضى الله عنه، وتوسع إحـسان إلهى ظهـير فى إثبـات المصاهرات وعلاقـات المودة والتراحم المتـبادل بين أهل البيت وبـيت الصديق[٢]، وكان من حب أهل البيت للصديق والتواد ما بينهم أنهم سـموا أبناءهم بأسماء أبى بكر رضى الله عنه، فأولهم على بن أبى طالب حيث سمى أحـد أبنائه أبا بكر، وهذا دليل على حب ومؤاخاة وإعظام وتقدير عـلى للصديق رضى الله عنهـما، والجدير بالذكـر أنه ولد له هذا الولد بعـد تولية الصديق الخلافة والإمـامة، بل وبعد وفاته كما هو معروف بداهة، وهل يوجـد فى الشيعة اليـوم المتـزعـمين حب على وأولاده رجل يـسمـى بهـذا الاسم، وهل هم مـوالون له أم مخـالفون؟ وعلى رضـى الله عنه لم يسم بهذا ابنه إلا تيـمنا بالصديـق وإظهارًا له المحـبة والوفاء وحـتى بعد وفـاته، وإلا فلا يوجد فى بنـى هاشم رجل قبل على سمـى ابنه بهذا الاسم، ثم لم يقتصر علىّ بهـذا التيمن والتبرك وإظهار المحبة والصـداقة للصديق بل بعده بنوه أيضًا مـشوا مشـيه ونهجوا منهـجه، فالحـسن والحسين، سميـا كل واحد منهمـا أحد أولادهما بأبى بكر، فـقد ذكر ذلك اليعـقوبى والمسعودى وهمـا من مؤرخى الروافض[٣]، واستمر أهل البيت يسمـون من أسماء أولادهم بأبى بكر، فقد سمى ابن أخى على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو عـبد الله بن جعـفر الطيـار بن أبى طالب فإنه سمـى أحد أبنائه باسم أبى بكر، وهذه من إحدى عـلائم الحب والود بين القوم خلاف ما يزعـمه الروافض اليوم من العداوة والبغضاء والقتال الشديد والجدال الدائم بينهم[٤].

---

(١) خلافة على بن أبى طالب، وترتيب وتهذيب كتاب البداية والنهاية للسّلمى: ص (٢٢).

(٢) الشيعة وأهل البيت: ص (٧٨ - ٨٣).

(٣) تاريخ اليعقوبى (٢/ ٢٢٨)،- التنيجة والاشراف: ص (٨٢).

(٤) الشيعة وأهل البيت: ص (٨٣)، الدُّرُّ المنثور من تراث أهل البـيت والصحابة، السيد علاء الدين المُدرِّسى ص (٣٨ - ٤٤)، رحماء بينهم، صالح بن عبد الله الدرويش.

سابعًا: على رضى الله عنه فى وفاة الصديق:

كان على رضى الله عنه من ضمن من استشارهم الصديق فيمن يتولى الخلافة من بعده، وكان رأى على أن يتولى الخلافة بعد الصديق الفاروق(1).

ولما حان الرحيل ونزل الموت بأبى بكر، كان آخر ما تكلم به الصديق فى هذه الدنيا قوله تعالى: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]. وارتجت المدينة لوفاة أبى بكر الصديق ولم تر المدينة منذ وفاة الرسول ﷺ يومًا أكثر باكيًا وباكية من ذلك المساء الحزين، وأقبل على بن أبى طالب مسرعًا، باكيًا، مسترجعًا ووقف على البيت الذى فيه أبو بكر فقال:

رحمك الله يا أبا بكر كنت إلف رسول الله ﷺ وأنيسه ومستراحه وثقته وموضع سره ومشاورته، وكنت أول القوم إسلامًا، وأخلصهم يقينًا، وأشدهم لله تقوى، وأخوفهم لله، وأعظمهم غناء فى دين الله عز وجل، وأحوطهم على رسول الله ﷺ، وأحدبهم على الإسلام، وأحسنهم صحبة، وأكثرهم مناقب، وأفضلهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأقربهم وسيلة، وأشبههم برسول الله هديًا وسمتًا، وأشرفهم منزلة، وأرفعهم عنده، وأكرمهم عليه، فجزاك الله عن رسول الله وعن الإسلام أفضل الجزاء، صدقت رسول الله حين كذبه الناس، وكنت عنده بمنزلة السمع والبصر، سماك الله فى تنزيله صديقًا فقال: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]، واسيته حين بخلوا، وقمت معه على المكاره حين قعدوا، وصحبته فى الشدة أكرم الصحبة، ثانى اثنين صاحبه فى الغار، والمنزل عليه السكينة، ورفيقه فى الهجرة، وخليفته فى دين الله وأمته، أحسن الخلافة حين ارتدوا، فقمت بالأمر ما لم يقم به خليفة نبى، ونهضت حين وهن أصحابه، وبرزت حين استكانوا، وقويت حين ضعفوا، ولزمت منهاج رسول الله ﷺ إذ وهنوا، وكنت كما قال رسول الله ﷺ ضعيفًا فى بدنك قويًا فى أمر الله، متواضعًا فى نفسك عظيمًا عند الله تعالى، جليلاً فى أعين الناس كبيرًا فى أنفسهم، لم يكن لأحدهم فيك مغمز، ولا لقائل فيك مهمز، ولا لمخلوق عندك هوادة، الضعيف عندك قوى عزيز حتى تأخذ بحقه، القريب والبعيد عندك سواء، وأقرب الناس عندك أطوعهم لله عز وجل، وأتقاهم... شأنك الحق

(١) الكامل لابن الأثير (٢/ ٧٩)، المختصر من كتاب الموافقة للزمخشرى: ص (٧٠ - ١٠٠).

والصدق، والرفق، قولك حكم وحتم، أمـرك حلم وحزم، ورأيك علم وعزم، اعتدل بك الدين، وقوى بك الإيمان، وظهر أمر الله، فسبقت -والله- سـبقًا بعيدًا، وأتعبت من بعدك إتعابًا شديدًا، وفزت بالخير فوزًا مبـينًا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، رضينا عن الله عز وجل قضاءه وسلمـنا له أمره، والله لن يصاب المسلمون بعـد رسول الله بمثلك أبدًا، كنت للدين عزًا، وحرزًا وكهفًا، فألحقك الله عز وجل بنبيك محمد ﷺ، ولا حرمنا أجرك، ولا أضلنا بعدك، فسكت الناس حتى قضى كلامه، ثم بكوا حتى علت أصواتهم وقالوا: صدقت[1].

وجاء فى رواية: أن عليًا قال عندما دخل على أبى بكر بـعدما سُجى: ما أحد أحب أن ألقى الله بصحيفته أحب إلىّ من هذا المسجى[2].

(١) التبصرة لابن الجوزى (١/ ٤٧٧ - ٤٧٩) نقلاً عن أصحاب الرسول (١/ ١٠٨).

(٢) تاريخ الذهبى، عهد الخلفاء الراشدين: ص (١٢٠).

المبحث الثانى

على رضى الله عنه فى عهد الفاروق

كان على رضى الله عنه عضواً بارزًا فى مجلس شورى الدولة العمرية، بل كان هو المستشار الأول، فقد كان عمر رضى الله عنه يعرف لعلى فضله، وفقهه،وحكمته، وكان رأيه فيه حسنًا، فقد ثبت قوله فيه: أقضانا على(١)، وقال ابن الجوزى: كان أبو بكر وعمر يشاورانه، وكان عمر يقول: أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن(٢)، وقال مسروق: كان الناس يأخذون عن ستة: عمر وعلى وعبد الله وأبى موسى وزيد بن ثابت، وأبى بن كعب وقال: شاممت أصحاب محمد ﷺ فوجدت علمهم انتهى إلى ستة نفر: عمر وعلى وعبد الله وأبى الدرداء وأبى بن كعب وزيد بن ثابت، ثم شاممت هؤلاء الستة فوجدت علمهم انتهى إلى رجلين منهم:إلى على، وعبد الله(٣)، وقال أيضًا: انتهى العلم إلى ثلاثة، عالم بالمدينة، وعالم بالشام، وعالم بالعراق، فعالم المدينة على بن أبى طالب، وعالم الكوفة عبد الله بن مسعود، وعالم الشام أبو الدرداء، فإذا التقوا سأل عالم الشام وعالم العراق، عالم المدينة ولم يسألهما(٤)، فكان على من هؤلاء المقربين، يشد من أزر أخيه، ولا يبخل عليه برأيه،ويجتهد معه فى إيجاد حلول للقضايا، التى لم يرد فيها نص، وفى تنظيم أمور الدولة الفتية، والشواهد على ذلك كثيرة، نذكر منها:

أولاً: فى الأمور القضائية:

١ - امرأة تعتريها نوبات من الجنون: عن أبى ظبيان الجنبى: أن عمر بن الخطاب أتى بامرأة قد زنت، فأمر برجمها، فذهبوا بها ليرجموها، فلقيهم على رضى الله عنه، فقال: ما هذه؟ قالوا: زنت فأمر عمر برجمها، فانتزعها على من أيديهم وردهم، فرجعوا إلى عمر، فقال: ما ردكم؟ قالوا: ردنا على، قال: ما فعل هذا علىٌّ إلا لشئ قد علمه، فأرسل إلى على، فجاء وهو شبه المغضب، فقال: مالك رَدَدْتَ هؤلاء؟ قال: أما سمعت النبى ﷺ

(١) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب: ص(١١٠٢)، المعرفة والتاريخ (١/ ٤٨١).

(٢) فضائل الصحابة رقم ١١٠٠ إسناده ضعيف.

(٣) علل الحديث ومعرفة الرجال.. على بن المدينى: ص(٤٢، ٤٣) نقلا عن خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على: ص(٧٠)، البخارى رقم٤٤٨١.

(٤) المعرفة والتاريخ للفسوى (١/ ٤٤٤).

«يقول:رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المبتلى حتى يعقل؟» قال: بلى، قال عليٌّ: فإن هذه مبتلاة بنى فلان، فلعله أتاها وهو بها، فقال عمر: لا أدرى،فلم يرجمها(١)، فقد كان عمر لا يعلم أنها مجنونة.

٢- مضاعفة الحد لمن شرب الخمر: أخذ عمر برأى على رضى الله عنهما فى مضاعفة الحد لمن شرب الخمر، وذلك لانتشار شرب الخمر وخاصة فى البلاد المفتوحة، وهى حديثة العهد بالإسلام، فأشار عليٌّ على عمر رضى الله عنهما بأن يجلد فيها ثمانين، كأخف الحدود، وعلل ذلك بقوله: نراه إذا سكر هذى وإذا هذى افترى، وعلى المفترى ثمانون(٢)،وقد ثبت عن على رضى الله عنه أنه قال: ما كنت أقيم حدًا على أحد، فيموت، وأجد فى نفسى، إلا صاحب الخمر، فإنه لو مات وديته، وذلك لأن رسول الله ﷺلم يسنه.(٣)وأوَّل البيهقى قوله: (لم يسنه) زيادة على الأربعين، أو لم يسنه بالسياط وقد سنه بالنعال وأطراف الثياب مقدار أربعين والله أعلم(٤)، وقد استنبط الفقهاء من أفعال الخلفاء الراشدين مقدار الحد فى الخمر ، على قول مالك والثورى وأبى حنيفة ومن تبعهم ثمانون، لإجماع الصحابة، ومن قال إن الحد أربعون: أبو بكر، والشافعى، وقول لأحمد، وتحمل الزيادة على ذلك من عمر، رضى الله عنه، على أنها تعزير يجوز فعله إذا رآه الإمام، وهذا هو القول الصحيح للشافعى(٥)، وهذا الرأى مال إليه ابن تيمية أيضا وقال: . . فأما مع قلة الشاربين وقرب أمر الشارب، فتكفى الأربعون(٦).

٣- لا سلطان لك على ما فى بطنها:أتى عمر رضى الله بامرأة حامل فسألها عمر فاعترفت بالفجور، فأمر بها عمر ترجم،فلقيها علىّ فقال: ما بال هذه؟ فقالوا: أمر بها، أمير المؤمنين أن ترجم، فردها على فقال: أأمرت بها أن ترجم؟قال: نعم، اعترفت عندى بالفجور! قال: هذا سلطانك عليها فما سلطانك على ما فى بطنها؟ قال على: فلعلك انتهرتها(٧)، أو أخفتها؟ قال: قد كان ذاك، قال: أو ما سمعت ﷺيقول: لاحد على

(١) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم ١٣٢٨ صحيح لغيره.

(٢) إرواء الغليل للألبانى (٨/٤٦،٤٧) قال إسناده ضعيف،وحقق هذا الأثر عبد الحميد على فى رسالته (خلافة على بن أبى طالب) ملحق ٣٠.

(٣) فتح البارى (١٢/٦٦). (٤) السنن الكبرى (٨/ ٣٢٢).

(٥) المغنى (٨/٣٠٧).

(٦) الفتاوى (٢٨/ ٣٣٦/ ٣٣٧) منهاج السنة (٦/ ٨٣)، خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على ص(٧٣).

(٧) انتهرتها: زجرتها

معترف بعد بلاء، أنه من قيدت أو حبست أو تهددت فلا إقرار له» فخلى عمر سبيلها، ثم قال: عجزت النساء أن تلد مثل على بن أبى طالب، لولا على لهلك عمر[1].

وقد علق ابن تيمية على هذه القصة فقال: إن هذه القصة إن كانت صحيحة، فلا تخلو من أن يكون عمر لم يعلم أنها حامل، فأخبره على بحملها، ولا ريب أن الأصل عدم العلم، والإمام إذا لم يعلم أن المستحقة للقتل أو الرجم حامل، فعرفه بعض الناس بحالها، كان هذا من جملة إخباره بأحوال الناس... إلى أن قال عن عمر، يعطى الحقوق ويقيم الحدود ويحكم بين الناس كلهم، وفى زمنه انتشر الإسلام وظهر ظهورًا لم يكن قبله مثله، وهو دائمًا يقضى ويفتى ولولا كثرة علمه لم يطق ذلك، فإذا خفيت عليه قضية من مائة ألف قضية ثم عرفها أو كان نسيها فذكرها فأى عيب فى ذلك؟[2] وكان رده هذا فى سياق رده على الروافض.

٤- ردوا الجهالات إلى السنة: أتى عمر بامرأة أنكحت فى عدتها ففرق بينهما وجعل صداقها فى بيت المال وقال: لا أجيز مهرًا رد نكاحه، وقال: لا تجتمعان أبدًا، فبلغ ذلك عليًا فقال: وإن كانوا جهلوا السنة لها المهر بما استحل من فرجها ويفرق بينهما، فإذا انقضت عدتها فهو خاطب من الخطاب، فخطب عمر الناس فقال: ردوا الجهالات إلى السنة، ورجع عمر إلى قول على[3].

٥- هذا الرجل غلبنى على نفسى وفضحنى فى أهلى: قال جعفر بن محمد: أتى عمر بن الخطاب بامرأة قد تعلقت بشاب من الأنصار وكانت تهواه، فلما لم يساعدها احتالت عليه، فأخذت بيضة، فألقت صفارها، وصبت البياض على ثوبها وبين فخذيها ثم جاءت إلى عمر صارخة، فقالت: هذا الرجل غلبنى على نفسى وفضحنى فى أهلى، وهذا أثر فعاله، فسأل عمر النساء فقلن له: إن ببدنها وثوبها أثر المنى، فهم بعقوبة الشاب، فجعل يستغيث ويقول: يا أمير المؤمنين تثبت فى أمرى، فو الله ما أتيت فاحشة وما هممت بها، فقد راودتنى عن نفسى فاعتصمت، فقال عمر: يا أبا الحسن ما ترى فى أمرهما، فنظر على إلى ما على الثوب، ثم دعا بماء حار شديد الغليان، فصب على الثوب فجمد ذلك البياض ثم أخذه واشتمه، وذاقه، فعرف طعم البيض، وزجر المرأة فاعترفت[4].

(١) سنن سعيد بن منصور (٢/ ٦٩) رقم ٢٠٨٣، المختصر من كتاب الموافقة: ص(١٣١).
(٢) منهاج السنة (٦/ ٤٢).
(٣) المغنى والشرح الكبير(١١/ ٦٦، ٦٧).
(٤) الطرق الحكيمة لابن القيم: ص(٤٨).

ونستخلص من هذه الواقعة بعض الدروس:

(أ) أن وسائل الإثبات كانت فى القضاء الإسلامى تشمل الإقرار والشهادة واليمين والنكول . . وتتسع لتشمل الأمارات والفراسة.

(ب) اهتمام عمر بمشاورة كبار الصحابة فى النوازل، وعلى الخصوص على، رضى الله عنهما الذى كانت منزلته عنده متميزة[1].

ثانيًا: على رضى الله عنه والتنظيمات المالية والإدارية العمرية:

١- فى الأمور المالية:

(أ) نفقات الخليفة: لما ولى عمر بن الخطاب أمر المسلمين بعد أبى بكر مكث زمانًا، لا يأكل من بيت المال شيئًا حتى دخلت عليه فى ذلك خصاصة، ولم يعد يكفيه ما يربحه من تجارته، لأنه اشتغل عنها بأمور الرعية، فأرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فاستشارهم فى ذلك فقال: قد شغلت نفسى فى هذا الأمر فما يصلح لى فيه؟ فقال عثمان بن عفان: كل وأطعم، وقال ذلك سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وقال عمر لعلى: ما تقول أنت فى ذلك؟ قال: غداء وعشاء، فأخذ عمر بذلك، وقد بين عمر حظه من بيت المال فقال: إنى أنزلت نفسى من مال الله بمنزلة قيم اليتيم، إن استغنيت عنه تركت، وإن افتقرت إليه أكلت بالمعروف[2].

(ب) رأى على فى أرض السواد بالعراق: لما فتحت أرض السواد بالعراق عنوة، أشار عدد من الصحابة- رضوان الله عليهم- على عمر بتقسيمها بين الفاتحين، ولكن لسعة الأرض وجودتها، ونظرة عمر البعيدة لمن سيأتى بعد ذلك، لم يطمئن عمر لتقسيمها، فاستشار عليًا فى ذلك فكان رأيه موافقًا لرأى الخليفة عمر ألا تقسم فأخذ برأيه وقال: لولا آخر المسلمين ما فتحت قرية إلا قسمتها بين أهلها، كما قسم النبى ﷺ خيبر[3].

(ج) لا جرم لتقسمنه: أتى عمر بمال فقسمه بين المسلمين، وفضلت منه فضلة، فاستشار فيها الصحابة، فقالوا له: لو تركته لنائبة إن كانت، وفى القوم على ساكت، فأراد عمر أن يسمع رأى على فى ذلك، فذكره على بحديث مال البحرين حين جاء إلى النبى ﷺ وأنه قسمه كله، فقال عمر لعلى: لا جرم لتقسمنه، فقسمه على[4]، ويبدو أن هذا كان قبل تقسيم الدواوين[5].

---

(١) الاجتهاد فى الفقه الاسلامى، عبد السلام السليمانى: ص(١٤٥).

(٢) الخلافة الراشدة، سنده صحيح، د. يحيى: ص(٢٧٠).

(٣) الأموال، القاسم بن سلام: ص(٥٧)، خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على: ص(٧٥).

(٤) مسند أحمد (٤٩/١) إسناده ضعيف لانقطاعه.

(٥) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على: ص(٧٥).

٢- على رضى الله عنه والأمور الإدارية:

عندمـا احتـاج عمـر رضى الله عنه أن يضع تاريخًـا رسمـيًا ثابـتًا لتنظيم أمـور الدولة وضبطها، جـمع الناس وسألهم: من أى يوم نكتب التاريخ؟ فـقال على رضى الله عنه: من يوم هاجر رسول الله ﷺ وترك أرض الشرك، ففـعله عمر[(١)]، وقد كان عـمر- رضى الله عنه- يراه من أفضل من يقود الناس، فقد ورد عنه أنه كان يناجى رجلاً من الأنصار، فقال: من تحدثون أنه يستخلف من بعـدى؟ فعد الأنصارى المهاجرين ولم يذكر عليًـا، فقال عمر: فأين أنتم من على؟ فوالله لو استخلفتموه، لأقامكم على الحق وإن كرهتموه[(٢)]. وقال لابنه عبد الله بن عمر- رضى الله عنهما- بعد أن طعن: إن ولوها الأجلح سلك بهم الطريق[(٣)].

٣- استخلف عمر عليًا على المدينة مرارًا:

(أ) استخلافه حين خرج عمـر إلى ماء صراء فعسكر فيه: وذلك قبيل القادسية وكان الفرس قد حشدوا للمسلمين، فجمع عمر الناس فاستشارهم فكلهم أشار عليه بالمسير[(٤)].

(ب) استـخلافـه عند نزول عمـر بالجابية: وذلك حين نزل عمـرو بن العاص بأجنادين، فكتب إليه أرطبـون الروم، والله لا تفتح من فلسطين شيـئًا بعد أجنادين، فـارجع لا تغر، وإنما صاحب الفتح رجل اسـمه على ثلاثة أحرف، فعلم عمرو أنه عـمر، فكتب يعلمه أن الفتح مدخر له، فنادى له الناس، واستخلف على بن أبى طالب[(٥)].

(ج) استخلاف على حين حج عمر بأزواج النبى ﷺ: وهى آخر حجة حجها بالناس كانت سنة ثلاث وعشرين من الهـجرة، وكان مع أمهات المؤمنين أوليـاؤهن ممن لا يحتجبن منه، وخلف على المدينة على بن أبى طالب[(٦)].

ثالثًا: استشارة عمر لعلى رضى الله عنهما فى أمور الجهاد وشئون الدولة:

كان على رضى الله عنه المستشار الأول لعمـر بن الخطاب رضى الله عنهما، وكان عمر يستشيره فى الأمور الكبيرة منها والصغـيرة، وقد استشاره حين فتح المسلمون بيت المقدس، وحين فتـحت المدائن، وعندما أراد عـمر التوجـه إلى نهاوند وقتـال الفرس، وحين أراد أن

---

(١) التاريخ الكبير للبخارى(١/ ٩).

(٢) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على: ص(٧٦)، قيل إن الرواية مرسلة.

(٣) بغية الباحث عن زوائد مـسند الحارث، تحقيق حسين أحمد (٣/ ٧٤١) صـحيح الإسناد، خلافة على بن أبى طالب: ص(٧٦).

(٤) ، (٥) المنتظم(٤/ ١٩٢).

(٦) المصدر نفسه (٤/ ٣٢٧)، الفتح (٤/ ٨٧).

يخرج لقتال الروم، وفى وضع التقويم الهجرى وغير ذلك من الأمور[1]، وكان على رضى الله عنه طيلة حياة عمر مستشاراً ناصحًا لعمـر، محبًا له خائفًا عليه، وكان عمر يحب عليًا وكانت بـينهما مـودة ومحـبة وثقـة متبـادلة،ومع ذلك يأبى أعـداء الإسلام إلا أن يزوروا التاريخ، ويقصوا بعض الروايات التى تناسب أمزجتهم ومـشاربهم ليصوروا لنا فترة الخلفاء الراشدين عـبارة عن أن كل واحـد منهم كان يتـربص بالآخر الدوائر لينقض عـليه، وكل أمورهم كانت تجرى من وراء الكواليس[2].

إن من أبرز ما يلاحـظه المتأمل فى خلافـة عمـر تلك الخصوصـية فى العـلاقة، وذلك التعاون المـتميز الصافى، بين عـمر وعلى، رضى الله عنهمـا، فقد كان على هو المسـتشار الأول لعمر فى سائر القضايا والمشكلات، وما اقترح علىٌّ على عمر رأيًا إلا واتجه عمر إلى تنفيـذه عن قناعة، وكـان على رضى الله عنه يمحضـه النصح فى كل شئـونه وأحواله[3]، فمثـلاً عندما تجمع الفرس بنهـاوند فى جمع عظيم لحرب المسلمين جـمع عمر- رضى الله عنه- الناس واستشارهم فى المسـير إليهم بنفسه، فأشار عليه عامـة الناس بذلك، فقام إليه على- رضى الله عنه- فقال: أما بعد ، يا أمير المؤمنين، فإنك إن أشخصت أهل الشام من شامـهم سارت الروم إلى ذراريهم، وإنك إن أشخصت أهـل اليمن إلى ذراريهم من يمنهم سارت الحبشة إلى ذراريهم، وإنك إن أشخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافـهـا وأقطارها حـتى يكون مـا تدع وراءك أهـم إليك مما بين يديك مـن العـورات والعيالات، أقرر هؤلاء فى أمصارهم، واكتب إلى أهل البصرة، فليتفرقوا ثلاث فرق، فى حرمهـم وذراريهم، وفرقة فى أهل عهـدهم حتى لا ينتقضـوا، ولتسر فرقـة إلى إخوانهم بالكوفة مددًا لهم. إن الأعاجم إن ينظروا إليك غدًا قالوا: هذا أمير العرب وأصلها، فكان ذلك أشد لكلبهم عليك ، وأما ما ذكرت من مسير القوم، فإن الله هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيـير ما يكره، وأما عددهم فـإنا لم نكن نقاتل فيمـا مضى بالكثرة ولكن بالنصر، فقال عمر: هذا هو الرأى كنت أحب أن أتابع عليه[4].

كانت نصيحـة على نصيحة المحب لعمر الغـيور عليه، والضنين ألا يذهب، وأن يدير رحى الحرب بمن دونه من العـرب وهو فى مكانه، وحذره من أنه إذا ذهب، فلسـوف ينشأ

(١) على بن أبى طالب مستشار أمين للخلفاء الراشدين: ص(٩٩).

(٢) المصدر نفسه: ص(١٣٨).

(٣) فقه السيرة النبوية للبوطى: ص٥٢٩.

(٤) تاريخ الطبرى (٣/ ٤٨٠)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٩٤).

وراءه من الثغرات ما هو أخطر من العدو الذى سيواجهه، أرأيت لو أن رسول الله ﷺ أعلن أن الخلافة من بعده لعلى، أفكان لعلى أن يرغب عن أمر رسول الله ﷺ هذا، وأن يؤيد المستلبين لحقه بل لواجبه فى الخلافة بمثل هذا التعاون المخلص البناء؟ بل أفكان للصحابة، رضوان الله عليهم، كلهم أن يضيعوا أمر رسول الله ﷺ؟ بل أفكان من المتصور أن يجمعوا وفى مقدمتهم على رضوان الله عليه على ذلك؟ بوسعنا أن نعلم إذن بكل بداهة، أن المسلمين إلى هذا العهد- نهاية عهد عمر- بل إلى نهاية عهد على كانوا جماعة واحدة، ولم يكن فى ذهن أى من المسلمين أى إشكال بشأن الخلافة، أو شأن من هو أحق بها[1].

إن كثرة مشاورة عمر لعلى، رضى الله عنهما، وغيره من الصحابة، لا يعنى هذا أنه دونهم فى الفقه والعلم، فقد بينت الأحاديث الصحيحة التى تدل على علو علمه، واكتمال دينه، ولكن إيمانه وحبه للشورى، وتعويده للحكام فيما بعد على المشاورة، وعدم الاستبداد بالأمر والرأى، وإلا فإن عليًا رضى الله عنه كان كثيرًا ما يرجع عن رأيه إلى رأى عمر[2]، فقد جاء عن عائشة، رضى الله عنها، فى معرض حديثها عن عمر قولها: وقد كان على رضى الله عنه يتابع عمر بن الخطاب، فيما يذهب إليه ويراه، مع كثرة استشارته عليًا، حتى قال على رضى الله عنه: يشاورنى عمر فى كذا، فرأيت كذا، ورأى هو كذا، فلم أر إلا متابعة عمر[3].

رابعًا: على رضى الله عنه وأولاده وعلاقتهم بعمر رضى الله عنهم:

كان عمر رضى الله عنه شديد الإكرام لآل رسول الله ﷺ وإيثارهم على أبنائه وأسرته، نذكر من ذلك بعض المواقف:

١- **أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر:** جاء فيما رواه الحسين بن على رضى الله عنه: أن عمر قال لى ذات يوم: أى بنى لو جعلت تأتينا وتغشانا؟ فجئت يومًا وهو خال بمعاوية، وابن عمر بالباب لم يؤذن له، فرجعت فلقينى بعد، فقال: يا بنى لم أرك أتيتنا؟ قلت: جئت وأنت خال بمعاوية فرأيت ابن عمر رجع، فرجعت، فقال: أنت أحق بالإذن من عبدالله بن عمر، إنما أنت فى رءوسنا ما ترى: الله، ثم أنتم، ووضع يده على رأسه[4].

(١) فقه السيرة للبوطى: ص(٢٩٥).

(٢) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على: ص(٧٧).

(٣) الإمامة والرد على الرافضة للأصبهانى: ص(٢٩٥).

(٤) المرتضى: ص(١١٨)، كنز العمال (٧/ ١٠٥)، الإصابة (١/ ١٣٣).

٢- والله ما هنأ لي ما كسوتكم: روى ابن سعد عن جعفر بن محمد الباقر عن أبيه على ابن الحسين، قال: قدم على عمر حلل من اليمن، فكسا الناس فراحوا فى الحلل، وهو بين القبر والمنبر جالس، والناس يأتونه فيسلمون عليه ويدعون له، فخرج الحسن والحسين من بيت أمهما فاطمة رضى الله عنها يتخطيان الناس، ليس عليها من تلك الحلل شيء، وعمر قاطب صار بين عينيه، ثم قال: والله ما هنأ لي ما كسوتكم، قالوا: يا أمير المؤمنين، كسوت رعيتك فأحسنت، قال: من أجل الغلامين يتخطيان الناس وليس عليهما من شيء كبرت عنهما وصغرا عنها، ثم كتب إلى والى اليمن أن ابعث بحلتين لحسن وحسين، وعجِّل، فبعث إليه بحلتين فكساهما(١).

٣- تقديم بنى هاشم فى العطاء: عن أبى جعفر أنه لما أراد أن يفرض للناس بعدما فتح الله عليه، وجمع ناسًا من أصحاب النبى ﷺ فقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه: ابدأ بنفسك، فقال: لا والله بالأقرب من رسول الله ﷺ ومن بنى هاشم رهط رسول الله ﷺ وفرض للعباس، ثم لعلى، حتى والى بين خمس قبائل، حتى انتهى إلى بنى عدى بن كعب، فكتب: من شهد بدرًا من بنى هاشم، ثم شهد بدرًا من بنى أمية بن عبد شمس، ثم الأقرب فالأقرب، ففرض الأعطيات لهم وفرض للحسن والحسين لمكانهما من رسول الله ﷺ(٢).

٤- كسانى هذا الثوب أخى وخليلى: خرج على وعليه برد عدنى فقال: كسانى هذا الثوب أخى وخليلى وصفيى وصديقى أمير المؤمنين عمر(٣). وفى رواية عن أبى السفر قال: رُئى على على بن أبى طالب رضى الله عنه برد كان يكثر لبسه قال: فقيل: يا أمير المؤمنين إنك لتكثر لبس هذا البرد؟ فقال: نعم، إن هذا كسانيه خليلى وصفيى عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، ناصح الله فنصحه، ثم بكى(٤).

٥- أقطاع ينبع: أقطع عمر بن الخطاب عليًا ينبع، ثم اشترى على إلى قطيعة عمر أشياء فحفر فيها عينًا، فبينما هم يعملون فيها إذ تفجر عليهم مثل عنق الجزور من الماء، فأتى على وبشر فتصدق بها على الفقراء والمساكين وفى سبيل الله ليوم تبيض وجوه وتسود وجوه، ليصرف الله تعالى بها وجهه عن النار ويصرف النار عن وجهه، وكتب فى صدقته: هذا ما

(١) المرتضى: ص(١١٨)، الإصابة (١٠٦/١).

(٢) الخراج لأبى يوسف: ص(٢٤، ٢٥)، المرتضى: ص(١١٨).

(٣) المختصر من كتاب الموافقة: ص ١٤٠.

(٤) المصنف لابن أبى شيبة (٢٩/١٢) رقم ١٢٠٤٧ نقلا عن الشريعة للآجرى (٢٣٢٧/٥) إسناده حسن.

أمر به على بن أبى طالب وقضى فى ماله: إنى تصدقت بينبع ووادى القرى والأذنية وراعة فى سبيل الله ووجهه، أبتغى مرضاة الله، ينفق منها فى كل منفعة فى سبيل الله ووجهه، وفى الحرب والسلم والجنود وذوى الرحم القريب والبعيد، لا يباع ولا يوهب ولا يورث حيًا أنا أو ميتًا، أبتغى بذلك وجه الله والدار الآخرة، ولا أبتغى إلا الله عز وجل، فإنه يقبلها وهو يرثها وهو خير الوارثين، فذلك الذى قضيت فيها بينى وبين الله عز وجل[(١)].

٦- لتقولن يا أبا الحسن: اجتمع عند عمر جماعة من قريش فيهم على فتذكروا الشرف، وعلى ساكت، فقال عمر: مالك يا أبا الحسن ساكتًا؟ فكأن عليًا كره الكلام، فقال عمر: لتقولن يا أبا الحسن، فقال على:

فى كل معترك تزيل سيوفنا ... فيها الجماجم عن فراخ الهام[(٢)]

الله أكرمنا بنصر نبيه ... وبنا أعز شرائع الإسلام

ويزورنا جبريل فى أبياتنا ... بفرائض الإسلام والأحكام[(٣)]

٧- حوار بين أمير المؤمنين عمر وعلى حول الرؤيا: قال عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه: أعجب من رؤيا الرجل أنه يبيت فيرى الشيء لم يخطر له على بال، فتكون رؤياه كأخذ اليد، ويرى الرجل الشيء، فلا تكون رؤياه شيئًا، فقال على بن أبى طالب: أفلا أخبرك بذلك يا أمير المؤمنين؟ إن الله يقول[(٤)]: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢].

خامسًا: زواج عمر من أم كلثوم بنت على بن أبى طالب:

زوج على بن أبى طالب رضى الله عنه ابنته من فاطمة بنت النبى ﷺ من الفاروق حينما سأله زواجها منه رضى الله عنه بما يطلب، وثقة فيه وإقرارًا لفضله ومناقبه، واعترافًا بمحاسنه وجمال سيرته، وإظهارًا بأن بينهم من العلاقات الوطيدة الطيبة والصلات المحكمة المباركة ما يحرق قلوب الحساد من أعداء الأمة المجيدة، ويرغم أنوفهم[(٥)]، فقد كان عمر يكن لأهل البيت محبة خاصة لا يكنها لغيرهم لقرابتهم من رسول الله ﷺ، ولما أوصى به

(١) المحلى (٦/ ١٨٠)، مصنف عبد الرزاق (١٠/ ٣٧٥) فقه على، قلعجى: ص(٦٢٦).

(٢) فراخ الهام: فراخ الرأس على التشبيه.

(٣) المختصر من كتاب الموافقة: ص(١٣٨).

(٤) الفتاوى (٥/ ٢٧٠، ٢٧١).

(٥) الشيعة وأهل البيت: ص(١٠٥).

رسول الله ﷺ من إكرام أهل البيت ورعاية حقوقهم، فمن هذا الباعث خطب عمر أم كلثوم ابنة على وفاطمة رضوان الله عليهم وتودد إليه فى ذلك قائلاً: فوالله ما على الأرض رجل يرصد من حسن صحبتها ما أرصد، فقال على: قد فعلت، فأقبل عمر إلى المهاجرين، وهو مسرور قائلاً: رفئونى.. ثم ذكر أن سبب زواجه منها ما سمعه من النبى ﷺ: «**كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا ما كان من سببى ونسبى**»، فأحببت أن يكون بينى وبين رسول الله ﷺ سبب(1)، ولقد أقر بهذا الزواج كل أهل التاريخ والأنساب وجميع محدثى الشيعة وفقهائهم ومكابرهم ومجادليهم وأئمتهم المعصومين حسب زعمهم، ولقد أورد الشيخ إحسان إلهى ظهير روايات بخصوص ذلك فى كتابه الشيعة والسنة(2)، ولقد ذكر هذا الزواج علماء أهل السنة فى التاريخ وأجمعت مصادرهم عليه، ومن العلماء الذين ذكروا هذا الزواج: الطبرى(3)، وابن كثير(4)، والذهبى(5)، وابن الجوزى(6)، والدياربكرى(7)، وقد ذكر هذا(8) الزواج فى كتب التراجم، كابن حجر(9)، وابن سعد(10)، وأسد الغابة، وقد قام الأستاذ أبو معاذ الإسماعيلى فى كتابه زواج عمر بن الخطاب من أم كلثوم بنت على بن أبى طالب رضى الله عنهما حقيقة وليس افتراء، بتتبع مراجع ومصادر الشيعة وأهل السنة فيما يتعلق بهذا الزواج ورد على الشبهات التى ألصقت بهذا الزواج الميمون، وقد ذكرت شيئًا من سيرتها ومواقفها فى حياتها فى عهد الفاروق فى كتابى (فصل الخطاب فى سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، شخصيته وعصره).

هذا وقد ولدت أم كلثوم بنت على من عمر رضى الله عنه ابنة سميت (رقية) وولدًا سمته زيدًا، وقد روى أصحاب زيد أن زيد بن عمر حضر مشاجرة فى قوم من بنى عدى بن كعب ليلا فخرج إليهم زيد بن عمر ليصلحهم فأصابته ضربة شجت رأسه ومات من فوره، وحزنت أمه لقتله ووقعت مغشيًا عليها من الحزن فماتت من ساعتها، ودفنت أم

(1) إسناده حسن، أخرجه الحاكم فى المستدرك (٣/ ١٤٢) صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبى متعقبًا: منقطع، وأورده الهيثمى فى (مجمع الزائد ٩/ ١٧٣) وقال: رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط ورجالهما رجال الصحيح غير الحسن بن سهل وهو ثقة، وهناك من ضعفه.

(2) الشيعة وأهل البيت: ص(١٠٥).

(3) تاريخ الطبرى (٥/ ٢٨).

(4) البداية والنهاية (٥/ ٢٢٠).

(5) تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين: ص(١٦٦).

(6) المنتظم(٤/ ١٣١).

(7) تاريخ الخميس نقلا عن زواج عمر من أم كلثوم لأبى معاذ : ص(١٩).

(8)، (9) الإصابة لابن حجر: ص(٢٧٦) كتاب الكنى وكتاب النساء.

(10) أسد الغابة (٧/ ٤٢٥).

كلثوم وابنها زيد بن عمر فى وقت واحد، وصلى عليهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، قدمه الحسن بن على بن أبى طالب وصلى خلفه[١].

سادسًا: يا بنت رسول الله ما أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك، وما أحد من الخلق بعد أبيك أحب إلينا منك:

عن أسلم العدوى قال: لما بويع لأبى بكر بعد النبى ﷺ كان على والزبير بن العوام يدخلان على فاطمة فيشاورانها، فبلغ عمر، فدخل على فاطمة فقال: يا بنت رسول الله ما أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك، وما أحد من الخلق بعد أبيك أحب إلينا منك، وكلمها، فدخل على والزبير على فاطمة فقالت: انصرفا راشدين، فما رجعا إليها حتى بايعا[٢]، وهذا هوالثابت الصحيح والذى مع صحة سنده ينسجم مع روح ذلك الجيل وتزكية الله له. وقد زاد الروافض في هذه الرواية واختلقوا إفكا وبهتانًا وزورًا، وقالوا إن عمر قال: إذا اجتمع عندك هؤلاء النفر أن لأُحرقنَّ عليهم هذا البيت، لأنهم أرادوا شق عصا المسلمين بتأخرهم عن البيعة، ثم خرج عنها، فلم يلبث أن عادوا إليها، فقالت لهم: تعلمون أن عمر جاءنى وحلف بالله لئن أنتم عدتم إلى هذا البيت ليحرقنه عليكم، وايم الله إنه ليصدقن فيما حلف عليه، فانصرفوا عنى فلا ترجعوا إليَّ ففعلوا ذلك، ولم يرجعوا إليها إلا بعدما بايعوا[٣]. وهذه القصة لم تثبت عن عمر رضى الله عنه، ودعوى أن عمر رضى الله عنه هم بإحراق بيت فاطمة، من أكاذيب الرافضة، أعداء صحابة رسول الله، وقد أوردها مع أكاذيب أخرى الطبرى الطبرسى فى كتابه دلائل الإمامة[٤]،عن جابر الجعفى،وهو رافضى كذاب باتفاق أئمة الحديث كما فى الميزان[٥] للذهبى، وتهذيب التهذيب[٦]، وزعم بعض الروافض أن عمر ضرب فاطمة حتى أسقط ولدها محسنًا وهو فى بطنها، وهذه من الأكاذيب الرافضة التى لا أساس لها من الصحة، وما علموا أنهم يطعنون فى على رضى الله عنه، وذلك باتهامه بالجبن والسكوت عن عمر وهو من أشجع أصحاب النبى ﷺ[٧]، بل إن بعض كتب الروافض أنكر صحة هذا الهذيان والزور.[٨] علمًا بأن محسن ولد فى حياة النبى ﷺ كما ثبت ذلك بالرواية الصحيحة.

---

(١) أسد الغابة (٧/ ٤٥)، ونساء أهل البيت، منصور عبد الحكيم: ص(١٨٥، ١٨٦).

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة: المصنف (١٤/ ٥٦٧) إسناده صحيح.

(٣) عقائد الثلاثة والسبعين فرقة لأبى محمد اليمنى (١/ ١٤٠).

(٤) دلائل الإمامة: ص(٢٦) نقلاً عن عقائد الثلاثة والسبعين (١/ ١٤٠).

(٥) الميزان للذهبى (١/ ٢٧٩).

(٦) تهذيب التهذيب (٢/ ٤٧).

(٧) حقبة من التاريخ: ص(٢٢٤).

(٨) مختصر التحفة الاثنى عشرية: ص(٢٥٢).

سابعًا: الخلاف بين العباس وعلى وحكم عمر رضى الله عنهم بينهما:

قال مالك بن أوس: بينما أنا جالس فى أهلى حين متع النهار[1]، إذا رسول عمر بن الخطاب يأتينى، فقال: أجب أمير المؤمنين، فانطلقت معه حتى دخلت على عمر، فإذا هو جالس على رمال[2] سرير ليس بينه وبينه فراش، متكئ على وسادة من أدم، فسلمت عليه ثم جلست، فقال: يا مالك إنه قدم علينا من قومك أهل أبيات، وقد أمرت فيهم برضخ، فاقبضه فاقسمه بينهم، فقلت: يا أمير المؤمنين لو أمرت به غيرى، قال: اقبضه أيها المرء، فبينما أنا جالس عنده أتاه حاجبه يرفأ، فقال: هل لك فى عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبى وقاص، يستأذنونك؟ قال: نعم فأذن لهم فدخلوا فسلموا وجلسوا، ثم جلس يرفأ يسيرًا، ثم قال: هل لك فى علىّ وعباس؟ قال: نعم فأذن لهما فدخلا فسلما فجلسا، فقال عباس: يا أمير المؤمنين اقض بينى وبين هذا، وهما يختصمان فيما أفاء الله على رسوله ﷺ من مال بنى النضير، فقال الرهط -عثمان وأصحابه-: يا أميرالمؤمنين اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر قال عمر: تيدكم[3]، أنشدكم بالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث، ما تركناه صدقة» يريد رسول الله ﷺ نفسه؟ قال الرهط: قد قال ذلك، فأقبل عمر على على، وعباس، فقال: أنشدكما بالله أتعلمان أن رسول الله ﷺ قد قال ذلك؟ قالا: قد قال ذلك، قال عمر: فإنى أحدثكم عن هذا الأمر، إن الله قد خص رسوله ﷺ فى هذا الفىء بشىء لم يعطه أحدًا غيره، ثم قرأ: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر:٦]. فكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ ووالله ما احتازها دونكم، ولا أستأثر بها عليكم، قد أعطاكموها، وبثها فيكم، حتى بقى منها هذا المال، فكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال، ثم يأخذ ما بقى فيجعله مال الله، فعمل رسول الله ﷺ بذلك حياته، أنشدكما بالله، هل تعلمان ذلك؟ قال عمر: ثم توفى الله نبيه ﷺ فقال أبو بكر: أنا ولى رسول الله ﷺ والله يعلم أنه فيها لصادق بار راشد تابع للحق، ثم توفى الله أبا بكر، فكنت أنا ولىُّ أبى بكر فقبضتها سنتين من إمارتى، أعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ وما عمل فيها أبو بكر، والله يعلم إنى فيها لصادق بار راشد تابع للحق، ثم جئتمانى تكلمانى وكلمتكما واحدة وأمركم واحد، جئتنى يا عباس، تسألنى نصيبك من ابن أخيك، وجاءنى هذا «يريد عليًا» يريد نصيب امرأته من أبيها، فقلت لكما: إن رسول الله قال: «لا نورث، ما تركناه صدقة» فلما

(١) متع النهار: ارتفع قبل الزوال.

(٢) المراد أنه كان السرير قد نسج وجهه بالسعف.

(٣) التيد: الرفق، يقال: تيدك هذا، أى اتئد.

بدا لى أن أدفعه إليكما قلت: إن شئتما دفعتها إليكما، على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عملت فيها رسول الله ﷺ وما عمل أبو بكر، وبما عملت فيها منذ وليتها، فقلتما: ادفعها إلينا، فبذلك دفعتها إليكما فأنشدكم بالله هل دفعتها إليهما بذلك؟ قال الرهط: نعم، ثم أقبل على على وعباس فقال: أنشدكما بالله هل دفعتها إليكما بذلك؟ قالا: نعم، قال: فتلتمسان منى قضاء غير ذلك، فوالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض، لا أقضى فيها قضاء غير ذلك فإن عجزتما عنها فادفعاها إلىَّ، فإنى أكفيكماها[1].

ثامنًا: ترشيح عمر عليًا للخلافة مع أهل الشورى وما قاله على فى عمر بعد استشهاده:

١- **ترشيح على مع أهل الشورى:** لما طُعن عمر رضى الله عنه وظن أنه سيفارق الحياة، وأخذ المسلمون يدخلون عليه، ويقولون له: أوصِ يا أمير المؤمنين، استخلف، فقال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر- أو الرهط- الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ فسمى عليًا، وعثمان، والزبير وطلحة وسعدًا وعبد الرحمن[2]،ثم دعا خاصتهم وهم عبد الرحمن، وعثمان، وعلى فوعظهم[3]، إن عمر رضى الله عنه إمام وعليه أن يستخلف الأصلح للمسلمين، فاجتهد فى ذلك ورأى أن الستة الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض أحق من غيرهم، وهو كما رأى، فإنه لم يقل أحد أن غيرهم أحق منهم، وجعل التعيين إليهم خوفًا أن يعين واحدًا منهم، ويكون غيره أصلح لهم، فإنه ظهر له رجحان الستة دون رجحان التعيين، وقال: الأمر فى التعيين إلى الستة يعينون أحدًا منهم، وهذا اجتهاد إمام عادل ناصح لا هوى له رضى الله عنه، وهو نموذج واقعى لتطبيق قول الله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨] وقال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩]، فكان ما فعله من الشورى مصلحة[4].

إن الفاروق رضى الله عنه رأى الأمر فى الستة متقاربًا فإنهم وإن كان لبعضهم من الفضيلة ما ليس لبعض، فلذلك المفضول مزية أخرى ليست للآخر، ورأى أنه إذا عين واحدًا فقد يحصل بولايته نوع من الخلل فيكون منسوبًا إليه، فترك التعيين خوفًا من الله تعالى، وعلم أنه ليس واحد أحق بهذا الأمر منهم فجمع بين المصلحتين، بين تعيينهم إذ لا أحق منهم، وترك تعيين واحد منهم لما تخوفه من التقصير، والله تعالى قد أوجب على العبد أن يفعل المصلحة بحسب الإمكان، فكان ما فعله غاية ما يمكن من المصلحة[5]، ولا

(١) البخارى رقم٣٠٩٤، مسلم ١٧٥٧ واللفظ للبخارى.

(٢) البداية والنهاية (٧/ ١٤٢).

(٣) البخارى رقم ٣٧٠٠.

(٤)، (٥) منهاج السنة (٣/ ١٦٢-١٦٤)،المنتقى:ص(٣٦٢-٣٦٤).

يقال إنه بجعله الأمر شورى بين الستة قد خالف به من تقدمه كما هو زعم الشيعة الرافضة، لأن الخلاف نوعان، خـلاف تضاد وخلاف تنوع، وما فعله عـمر-رضى الله عنه- من النوع الثانى[1]، وقد أقـره على اجتهاده كـل الصحابة ولم نسمع أحـدًا عارضه، وقـد بسطت ما ابتكره عمر من طريقة جديدة فى اختيار الخليـفة من بعده فى كتابى فصل الخطاب فى سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شخصيته وعصره، فمن أراد التوسع فليرجع إليه مشكورًا.

٢- ما قاله على فى عمر بعد استشهاده: قال ابن عبـاس كما هو فى صحـيح البخارى: وضع عمـر على سريـره فتكنفـه الناس يدعون ويصلون، قـبل أن يرفع، وأنا فيـهم، فلم يرعنى إلا رجل آخذ منكبى،إذا على بن أبى طـالب، فترحم على عمر وقـال: ما خلفت أحدًا أحب إلـى أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله إن كنت لأظن أن يجـعلك الله مع صاحبيك، وحسبت أنى كنـت كثيرًا ما أسمع النبى ﷺ يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر[2].

٣- قول على فى عمـر: إن عمر كان رشـيد الأمر: وها هو حرصه على عدم مـخالفته بعد وفاته: عن عبد خير قال: كنت قريبًـا من على حيث جاء أهل نجران قال: قلت: فإن كان رادًا على عمر شيئًا فاليوم، قـال: فسلموا واصطفوا بين يديه، قال: ثم أدخل بعضهم يده فى كمه فـأخرج كتابًا فوضعـه فى يد على،قالوا: يا أمير المؤمنين، خطك بيـمينك وإملاء رسول الله ﷺ عليك، قال: فرأيت علـيًا وقد جرت الدموع على خـده قال: ثم رفع رأسه إليهم فـقال: يا أهل نجران، إن هذا لآخـر كتاب كـتبتـه بين يدى رسول الله ﷺ، قالوا: فأعطنا ما فيـه، قال: سأخبركم عن ذاك؛ إن الذى أخذه عمر لم يأخـذه لنفسه، إنما أخذه بجماعة مـن المسلمين، وكان الذى أخذه منكم خيرًا مما أعطاكم والله لا أرد شيـئًا مما صنعه عمـر، إن عمر كـان رشيـد الأمر[3]، وهذه الحادثة أصل الـفقهـاء عليهـا قولهم: لا يرد القاضى اجتهـاد قضاء من قبله عند على[4]، وروى عنه أنه قال: اقضوا كـما كنتم تقضون حتى تكونوا جماعـة، فإنى أخشى الاختلاف[5]، وهو قول جمهـور الفقهاء[6]،وقد قال على: ما كنت لأحل عقدة شدها عمر[7].

(١) عقيدة أهل السنة (٢/ ١٠٤٢). (٢) البخارى، رقم ٣٦٨٥.

(٣) معـجم البلدان (٥/ ٢٦٩)، والمختصـر من كتاب الموافـقة: ص(١٣٩)، فقـه الإمام على (٢/ ٨١٣) نقل عن السنن للبيهقى، إسناده مرسل، الآجرى (٤/ ١٧٧٧) إسناده مرسل.

(٤) فقه الإمام على (٢/ ٨١٣).

(٥) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ٣٢٩) نقلاً عن فقه الإمام على (٢/ ٨١٣).

(٦) فقه الإمام على (٢/ ٨١٣).

(٧) المختصر من كـتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة: ص(١٤٠) إسناده منقـطع، ابن أبى شيبة فى المصنف (١٢/ ٣٣) رقم ١٢٠٥٤.

٤- إن عمر بن الخطاب كـان يكره نزوله، فأنا أكرهه لذلك: لما فرغ على من وقعة الجمل، ودخل البصرة، وشيع أم المؤمنين عائشة لما أرادت الرجوع إلى مكة، سـار من البصرة إلى الكوفة، فدخلها يوم الاثنين، لثنتى عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين، فقيل له: انزل بالقصر الأبيض، فقال: لا، إن عمر بن الخطاب كـان يكره نزوله فأنا أكرهه لذلك، فنزل فى الرحبة وصلى فى الجامع الأعظم ركعتين(١).

٥- حب أهل البيت لعمر رضى الله عنه: إن من دلالة محبة أهل البيت الفاروق- رضى الله عنه- تسمية أبنائهم باسمه، حبًا وإعجابًا بشخصيته، وتقديرًا لما أتى به من الأفعال الطيبة والمكارم العظيمة، ولما قدم إلى الإسلام من الخدمات الجليلة، وإقرارًا بالصلات الودية الوطيدة والتى تربطه بأهل بيت النبوة والرحم، والصهر القائم بينه وبينهم، فأول من سمى ابنه باسمه أمير المؤمنين على بن أبى طالب سمى ابنه من أم حبيب بنت ربيعة البكرية عمر(٢)، وقد جاء فى كتاب صاحب الفصول، حتى ذكر أولاد على بن أبى طالب: وعمر من التغلبية، وهى الصهباء بنت ربيعة من السبى الذى أغار عليهم خالد بن الوليد بعين التمر، وعمَّر عمر هذا حتى بلغ خمسًا وثمانين سنة فحاز نصف ميراث على رضى الله عنه، وذلك أن جميع إخوانه وأشقائه وهم عبد الله وجعفر وعثمان قتلوا جميعهم قبله مع الحسين رضى الله عنه- يعنى أنه لم يقتل معهم- بالطف فورثهم(٣)، هذا وتبعه حسن فى ذلك الحب لعمر بن الخطاب رضى الله عنهم فسمى أحد أبنائه عمر أيضًا(٤)، وكذلك الحسين بن على سمى عمر، ومن بعد الحسين ابنه على الملقب بزين العابدين سمى أحد أبنائه باسم عمر(٥)، وكذلك موسى بن جعفر الملقب بالكاظم سمى أحد أبنائه باسم عمر(٦)، فهؤلاء الأئمة من أهل البيت الذين ساروا على هدى النبى ﷺ ومعالم منهج أهل السنة والجماعة بسيرتهم العطرة يظهرون لعمر الفاروق ما يكنونه فى صدورهم من حبهم وولائهم له بعد وفاته بمدة، وقد جرى هذا الاسم وكذلك أبو بكر وعثمان فى ذرية أهل البيت ممن ساروا على مذهب الحق وهو منهج أهل السنة والجماعة إلى يومنا هذا، ونجد أسماء الصحابة وأمهات المؤمنين فى البيوت الهاشمية التى التزمت بالكتاب والسنة، فقد سموا طلحة، وعبد الرحمن وعائشة وأم سلمة، ونحن ندعو الشيعة اليوم الاقتداء بعلى

(١) تاريخ الخلافة الراشدة، محمد كنعان: ص(٣٨٣).
(٢) تاريخ اليعقوبى (٢/ ٢١٣)، الشيعة وأهل البيت: ص(١٣٣).
(٣) الفصول المهمة: ص(١٤٣)، الشيعة وأهل البيت: ص(١٣٣).
(٤) الشيعة وأهل البيت: ص(١٣٣).
(٥) المصدر نفسه: ص(١٣٤).
(٦) المصدر نفسه: ص(١٣٥).

والحسن والحسين وسائر الأئمة من آل البيت، فيسمون بعض أبنائهم وبناتهم بأسماء الخلفاء الراشدين، وأمهات المؤمنين[1]، نرجو ذلك.

٦- عمر بن الخطاب جعله الله سببًا فى ذرية الحسين بن على بن أبى طالب: أعطى -عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- للحسين بن على رضى الله عنهم من غنائم الفرس ابنة يزدجرد ملك الفرس، فولدت له زين العابدين على بن الحسين الذى لم يبق من أبناء الحسين غيره، وكل ذرية الحسين تناسلوا منه وينسبون إليه[2]، فليحذر الذين يسبون عمر بن الخطاب ممن ينتسبون إلى الحسين، فلولاه بعد الله لما كان لهم وجود[3]، كما أن عمر- رضى الله عنه- أعطى أختها لمحمد بن أبى بكر فكان عديلاً للحسين، وأنجبت له القاسم بن محمد بن أبى بكر، فكان القاسم بن محمد بن أبى بكر، وعلى بن الحسين زين العابدين ابنى خالة[4].

٧- قول عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب فى عمر[5]: عن حفص بن قيس، قال: سألت عبد الله بن الحسن عن المسح على الخفين، فقال: امسح، فقد مسح عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، قال: فقلت: إنما أسألك أنت تمسح؟ قال: ذاك أعجز لك، أخبرك عن عمر وتسألنى عن رأيى، فعمر كان خيرًا منى ومن ملء الأرض، فقلت: يا أبا محمد، فإن ناسًا يزعمون أن هذا منكم تقية، قال: فقال لى- ونحن بين القبر والمنبر-: اللهم إن هذا قولى فى السر والعلانية، فلا تسمعن علىَّ قول أحد بعدى. ثم قال: من هذا الذى يزعم أن عليًا رضى الله عنه كان مقهورًا، وأن رسول الله ﷺ أمره بأمر ولم ينفذه؟ وكفى بإزراء على علىٍّ ومنقصة أن يزعم أن رسول الله ﷺ أمره بأمر ولم ينفذه[6].

****

(١) اذهبوا فأنتم الرافضة، عبد العزيز الزبير: ص (٢٣٠).

(٢) عمدة الطالب فى أنساب أبى طالب، الفصل الثانى عنوان (عقب الحسين) نقلاً عن: اذهبوا فأنتم الرافضة: ص(٢٣٢).

(٣) اذهبوا فأنتم الرافضة ص(٢٣٢).

(٤) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٥٤).

(٥) هو عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب، أبو محمد الهاشمى كان ذا هيبة ولسان وشرف، وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز، توفى سنة ١٤٥هـ، الأعلام للزركلى (٤/ ٢٠٧)، تاريخ بغداد (٩/ ٤٣١).

(٦) النهى عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب لمحمد عبد الواحد المقدسى: ص(٥٧).

المبحث الثالث

على رضى الله عنه فى عهد عثمان بن عفان

أولاً: بيعة على لعثمان رضى الله عنه:

لم يكد يفرغ الناس من دفن عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- حتى أسرع رهط الشورى وأعضاء مجلس الدولة الأعلى إلى الاجتماع فى بيت عائشة أم المؤمنين، رضى الله عنها، وقيل أنهم اجتمعوا فى بيت فاطمة بنت قيس الفهرية أخت الضحاك بن قيس، ليقضوا فى أعظم قضية عرضت فى حياة المسلمين-بعد وفاة عمر-، وقد تكلم القوم وبسطوا آراءهم واهتدوا بتوفيق الله إلى كلمة سواء رضيها الخاصة والكافة من المسلمين(1)، وقد أشرف على تنفيذ عملية الشورى واختيار الخليفة عبد الرحمن بن عوف، رضى الله عنه، وحقق رضى الله عنه أول مظهر من مظاهر الشورى المنظمة فى اختيار من يتحمل أعباء الخلافة ويسوس أمور المسلمين، فهو قد اصطنع من الأناة والصبر والحزم وحسن التدريب ما كفل له النجاح فى أداء مهمته العظمى(2)،وقاد ركب الشورى بمهارة وتجرد، مما يستحق أعظم التقدير(3)، قال الذهبى: ومن أفضل أعمال عبد الرحمن عزل نفسه من الأمر وقت الشورى، واختياره للأمة من أشار به أهل الحل والعقد، فنهض فى ذلك أتم نهوض على جمع الأمة على عثمان، ولو كان محابيًا فيها لأخذها لنفسه، أو لولاها ابن عمه وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبى وقاص(4)، وقد تم الاتفاق على بيعة عثمان بعد صلاة صبح يوم البيعة اليوم الأخير من شهر ذى الحجة ٢٣هـ/ ٦نوفمبر ٦٤٤م، وكان صهيب الرومى الإمام إذ أقبل عبد الرحمن بن عوف، وقد اعتم بالعمامة التى عممه بها رسول الله ﷺ، وكان قد اجتمع رجال الشورى عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار وأمراء الأجناد، منهم: معاوية أمير الشام، وعمير بن سعد أمير حمص، وعمرو بن العاص أمير مصر، وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر وصاحبوه إلى المدينة(5)،وجاء فى رواية البخارى: فلما صلى الناس الصبح، واجتمع أولئك الرهط عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر، فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن

---

(1) عثمان بن عفان، لصادق عرجون: ص(٦٢، ٦٣).

(2) المصدر نفسه ص:(٧٠، ٧١).

(3) مجلة البحوث الإسلامية العدد١٠ : ص(٢٥٥).

(4) سير أعلام النبلاء(١/ ٨٦).

(5) شهيد الدار: ص(٣٧).

ثم قال: أما بعد، يا على أنى قد نظرت فى أمر الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعل على نفسك سبيلاً فقال:[1] أبايعك على سنة الله ورسوله والخليفتين من بعده، فبايعه الناس المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون[2]، وجاء فى رواية صاحب التمهيد والبيان أن على بن أبى طالب أول من بايع بعد عبد الرحمن بن عوف[3].

ثانيًا: أباطيل رافضية دست فى قصة الشورى:

هناك أباطيل رافضية دست فى التاريخ الإسلامى فى قصة الشورى وتولية عثمان الخلافة، وقد تلقفها المستشرقون وقاموا بتوسيع نشرها، وتأثر بها الكثير من المؤرخين والمفكرين المحدثين، ولم يمحصوا الروايات ويحققوا فى سندها ومتنها، فانتشرت بين المسلمين، لقد اهتم مؤرخو الشيعة الرافضة بقصة الشورى وتولية عثمان بن عفان الخلافة ودسوا فيها الأباطيل والأكاذيب، وألف جماعة منهم كتبًا خاصة، فقد ألف أبو مخنف كتاب الشورى، وكذلك ابن عقدة، وابن بابويه[4]، ونقل ابن سعد تسع روايات من طريق الواقدى فى خبر الشورى وبيعة عثمان وتاريخ توليه للخلافة[5]، ورواية من طريق عبيد الله ابن موسى تضمنت مقتل عمر وحصره للشورى فى الستة ووصيته لكل من على وعثمان إذا تولى أحدهما أمر الخلافة، ووصيته لصهيب فى هذا الأمر[6]،وقد نقل البلاذرى خبر الشورى وبيعة عثمان عن أبى مخنف[7]، وعن هشام الكلبى منها ما نقله عن أبى مخنف ومنها ما تفرد به[8]، وعن الواقدى[9]، وعن عبيد الله بن موسى[10]، واعتمد الطبرى فى هذه القصة على عدة روايات منها رواية أبى مخنف[11]، ونقل ابن أبى الحديد بعض أحداث قصة الشورى من طريق أحمد بن عبد العزيز الجوهرى[12]، وأشار إلى نقله عن كتاب (الشورى) للواقدى[13]، وقد تضمنت الروايات الشيعية الرافضة عدة أمور مدسوسة ليس لها دليل من الصحة، وهى:

١- **اتهام الصحابة بالمحاباة فى أمر المسلمين:** اتهمت الروايات الشيعية الرافضية الصحابة بالمحاباة فى أمر المسلمين، وعدم رضا علىّ بأن يقوم عبد الرحمن باختيار الخليفة، فقد ورد عند أبى مخنف وهشام الكلبى عن أبيه وأحمد الجوهرى أن عمر جعل ترجيح الكفتين إذا

(١) قوله: فقال: أى عبد الرحمن مخاطبًا عثمان.
(٢) البخارى، ك الأحكام، رقم ٧٢٠٧.
(٣) التمهيد والبيان ص(٢٦).
(٤) الذريعة إلى تصانيف الشيعة (١٤/ ٢٤٦).
(٥)،(٦) الطبقات الكبرى (٣/ ٦٣)،(٣/ ٦٧).
(٧)،(٨)،(٩) أنساب الأشراف (٥/ ١٨، ١٩).
(١٠) المصدر نفسه (٥/ ٦).
(١١) أثر التشيع على الروايات التاريخية: ص(٣٢١).
(١٢)شرح نهج البلاغة (٩/ ٤٩، ٥٠، ٥٨).
(١٣) المصدر السابق (٩/ ١٥).

تساوتا بعبد الرحمن بن عوف، وأن عليًا أحس بأن الخلافة قد ذهبت منه، لأن عبد الرحمن سيقدم عثمان للمصاهرة التى بينهما[1]، وقد نفى ابن تيمية أى ارتباط فى النسب القريب بين عثمان وعبد الرحمن فقال: إن عبد الرحمن ليس أخًا لعثمان ولا ابن عمه ولا من قبيلته أصلاً، بل هذا من بنى زهرة وهذا من بنى أمية، وبنو زهرة إلى بنى هاشم أكثر ميلاً منهم إلى بنى أمية، فإن بنى زهرة أخوال النبى ﷺ، ومنهم عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص الذى قال له النبى ﷺ: **هذا خالى، فليرنى امرؤ خاله**[2]، فإن النبى ﷺ لم يؤاخ بين مهاجرى ومهاجرى، ولا بين أنصارى وأنصارى، وإنما آخى بين المهاجرين والأنصار، فآخى بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع الأنصارى[3]، وحديثه مشهور ثابت فى الصحاح وغيرها، يعرفه أهل العلم بذلك[4]، وقد بنت الروايات الشيعية الرافضية محاباة عبد الرحمن لعثمان للمصاهرة التى كانت بينهما، متناسية أن قوة النسب أقوى من المصاهرة من جهة،ومن جهة أخرى تناسوا طبيعة العلاقة بين المؤمنين فى الجيل الأول وأنها لا تقوم على نسب ولا مصاهرة، وأما كيفية المصاهرة، التى كانت بين عبد الرحمن وعثمان فهى أن عبد الرحمن تزوج أم كلثوم بن عقبة بن أبى معيط أخت الوليد[5].

٢- حزب أموى وحزب هاشمى: أشارت رواية أبى مخنف إلى وقوع مشادة بين بنى هاشم وبنى أمية أثناء المبايعة وهذا غير صحيح، ولم يرد ذلك برواية صحيحة ولا ضعيفة[6]، وقد انساق بعض المؤرخين خلف الروايات الشيعية الرافضية لحاجة فى نفوسهم مع بطلانها سندًا ومتنًا من جهة وثبوت روايات صحيحة تناقض ما ذهبوا إليه من جهة أخرى، وبنوا تحليلاتهم الخاطئة على تلك الروايات، فصوروا تشاور أصحاب الرسول ﷺ فى تحديد الخليفة الجديد بصورة الخلاف العشائرى وأن الناس قد انقسموا إلى حزبين؛ حزب أموى وحزب هاشمى، وهو تصور موهوم واستنتاج مردود لا دليل عليه،إذ ليس نابعًا من ذلك الجو الذى كان يعيشه أصحاب رسول الله ﷺ حينما كان يقف المهاجرى مع الأنصارى ضد أبيه وأخيه وابن عمه وبنى عشيرته، وليس نابعًا من تصور هؤلاء الصحب وهم يضحون بكل شئ من حطام الدنيا فى سبيل أن يسلم لهم دينهم، ولا من المعرفة الصحيحة لهؤلاء النخبة من المبشرين بالجنة، فالأحداث الكثيرة التى رويت عن هؤلاء تثبت

---

(١) أثر التشيع على الروايات التاريخية: ص(٣٢٢).
(٢) صحيح سنن الترمذى (٣/ ٢٢٠) رقم ٤٠١٨.
(٣) البخارى، ك مناقب الأنصار رقم ٣٧٨٠.
(٤) منهاج السنة النبوية (٦/ ٢٧١، ٢٧٢).
(٥) الطبقات الكبرى (٣/ ١٢٧).
(٦) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى: ص(١٧٧، ١٧٨).

أن هؤلاء كانوا أكبر بكثير من أن ينطلقوا من هذه الزاوية الضيقة فى معالجة أمورهم، فليست القضية تمثيلاً عائليًا أوعشائريًا، فهم أهل شورى لمكانتهم فى الإسلام[1].

٣- أكاذيب نسبت زوراً وبهتانًا لعلى رضى الله عنه: قال ابن كثير: وما يذكره كثير من المؤرخين كابن جرير وغيره عن رجال لا يعرفون أن عليًا قال لعبد الرحمن: خدعتنى، وإنك إنما وليته لأنه صهرك وليشاورك كل يوم فى شأنه، وأنه تلكأ حتى قال عبد الرحمن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠]، إلى غير ذلك من الأخبار المخالفة لما ثبت فى الصحاح، فهى مردودة على قائليها وناقليها والله أعلم، والمظنون من الصحابة خلاف ما يتوهم كثير من الرافضة وأغبياء القُصاص الذين لا تميز عندهم بين صحيح الأخبار وضعيفها ومستقيمها وسقيمها[2].

ثالثًا: المفاضلة بين عثمان وعلى رضى الله عنهما:

الذى عليه أهل السنة أن من قدم عليًا على أبى بكر وعمر فإنه ضال مبتدع، ومن قدم عليًا على عثمان فإنه مخطئ ولا يضللونه، ولا يبدعونه[3]، وإن كان بعض أهل العلم قد تكلم بشدة على من قدم عليا على عثمان بأنه قال: من قدم عليًا على عثمان فقد زعم أن أصحاب رسول الله ﷺ خانوا الأمانة حيث اختاروا عثمان على علىٍّ رضى الله عنه[4]، وقد قال ابن تيمية: استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان، وأن كانت هذه المسألة- مسألة عثمان وعلى- ليست من الأصول التى يضلل المخالف فيها عن جمهور أهل السنة، لكن المسألة التى يضلل المخالف فيها هى مسألة الخلافة، وذلك أنهم يؤمنون بأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم على، ومن طعن فى خلافة هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله[5]، وذكر أقوال أهل العلم فى مسألة تفضيل علىٍّ على عثمان: فقال: فيها روايتان: إحداهما، لا يسوغ ذلك، فمن فضل عليًا على عثمان خرج من السنة إلى البدعة، لمخالفته لإجماع الصحابة، ولهذا قيل: من قدم عليًا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار، يروى ذلك عن غير واحد، منهم أيوب السختيانى وأحمد بن حنبل والدارقطنى ،الثانية: لا يبدع من قدم عليًا، لتقارب حال عثمان وعلى[6].

(١) الخلفاء الراشدون، أمين القضاة ص٧٨، ٧٩.
(٢) البداية والنهاية (٧/ ١٥٢).
(٣) مجموعة الفتاوى (٣/ ١٠١، ١٠٢).
(٤) حقبة من التاريخ لعثمان الخميس: ص(٦٦).
(٥) مجموعة الفتاوى (٣/ ١٠١، ١٠١).
(٦) المصدر السابق (٤/ ٢٦٧).

رابعًا: على رضى الله عنه يقيم الحدود ويستشار فى شئون دولة عثمان رضى الله عنه:

١- إقامة على للحدود فى عهد عثمان رضى الله عنهما: عن حصين بن المنذر، قال: شهدت عثمان بن عفان، وأتى بالوليد فشهد عليه رجلان أحدهما حمران أنه شرب الخمر، وشهد آخر أنه لم يتقيأ، فقال عثمان: إنه لم يتقيأ حتى شربها، فقال: يا على قم فاجلده، فقال على: قم يا حسن فاجلده، فقال الحسن: ولِّ حارها من تولى قارها[(١)]، فكأنه وجد عليه، فقال: يا عبد الله بن جعفر قم فاجلده، فجلده وعلى يعد، حتى بلغ أربعين فقال: أمسك، ثم قال: جلد النبى ﷺ أربعين، وأبو بكر أربعين، وعمر ثمانين، وكل سنة، وهذا أحب إلى[(٢)]. ويؤخذ من هذا الحديث أن عليًا رضى الله عنه كان قريبًا من عثمان ومعينًا له على طاعة الله، وكان على رضى الله عنه يقول فى معرض دفاعه عن عثمان ردًا على من يعيب على عثمان بفعل المنسوب للوليد: إنكم ما تعيرون به عثمان كالطاعن نفسه ليقتل ردءه[(٣)]، ما ذنب عثمان فى رجل قد ضربه بفعله وعزله عن عمله، وماذنب عثمان فيما صنع عن أمرنا[(٤)].

٢- استشارة عثمان لعلى وكبار الصحابة فى فتح إفريقية: جاء فى رياض النفوس أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان جاءه من واليه على مصر «عبد الله بن سعد» أن المسلمين يغيرون على أطراف إفريقية فيصيبون من عدوهم، وأنهم قريبون من حوز المسلمين، فأعرب عثمان ابن عفان رضى الله عنه- على إثر ذلك- للمسور بن مخرمة عن رغبته فى بعث الجيوش لغزو إفريقية، جاء فى هذا الصدد ما نصه: فما رأيك يا ابن مخرمة؟ قلت: اغزهم، قال: أجمع اليوم الأكابر من أصحاب رسول الله، وأستشيرهم، فما أجمعوا عليه فعلته، أو ما أجمع عليه أكثرهم فعلته.. رأيت عليًا، وطلحة والزبير والعباس، وذكر رجالاً، فخلا بكل واحد منهم في المسجد، ثم دعا أبا الأعور «سعيد بن زيد» فقال له عثمان: لم كرهت- يا أبا الأعور- من بعثة الجيوش إلى إفريقية؟ فقال له: سمعت «عمر» يقول: لا أغزيها أحدًا من المسلمين ما حملت عيناى الماء فلا أرى لك خلاف عمر، فقال له عثمان: والله ما نخافهم وإنهم لراضون أن يقروا فى مواضعهم، فلا يغزون، فلم يختلف عليه أحد ممن شاوره غيره، ثم خطب الناس، وندبهم إلى الغزو، إلى إفريقية، فخرج بعض الصحابة منهم عبد الله بن الزبير، وأبو ذر الغفارى[(٥)].

---

(١) أى : ولِّ بشدتها وأوساخها من ولى هنيئها ولذاتها.

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم ك الحدود(١١/٢١٦).

(٣) الردء هو العون: تاريخ الطبرى (٥/٢٧٨).

(٤) تحقيق مواقف الصحابة فى الفتنة (١/٤٢١).

(٥) رياض النفوس (١/٨-٩) الجهاد والقتال، هيكل (١/٥٥٦).

٣- رأى على فى جمع عثمان الناس على قراءة واحدة: جمع عثمان رضى الله عنه المهاجرين والأنصار وشاورهم فى الأمر، وفيهم أعيان الصحابة وفى طليعتهم على بن أبى طالب رضى الله عنه، وعرض عثمان رضى الله عنه هذه المعضلة على صفوة الأمة وقادتها الهادين المهديين، ودارسهم أمرها ودارسوه، وناقشهم فيها وناقشوه، حتى عرف رأيهم وعرفوا رأيه، وظهر الناس فى أرجاء الأرض ما انعقد عليه إجماعهم، فلم يعرف قط يومئذ لهم مخالف، ولا عرف عند أحد نكير، وليس شأن القرآن الذى يخفى على آحاد الأمة فضلاً عن علمائها وأئمتها البارزين[١] أن عثمان- رضى الله عنه- لم يبتدع فى جمعه للمصحف، بل سبقه إلى ذلك أبو بكر الصديق- رضى الله عنه- كما أنه لم يضع ذلك من قبل نفسه إنما فعله عن مشورة للصحابة، رضى الله عنهم، وأعجبهم هذا الفعل وقالوا: نعم ما رأيت، وقالوا أيضًا: قد أحسن- أى فى فعله فى المصاحف[٢]، وقد أدرك مصعب ابن سعد صحابة النبى ﷺ حين مشق[٣] عثمان المصاحف فرآهم قد أعجبوا بهذا الفعل منه[٤]، وكان على رضى الله عنه ينهى من يعيب على عثمان- رضى الله عنه- بذلك ويقول: يا أيها الناس لا تغلوا فى عثمان، ولا تقولوا له إلا خيرًا، فوالله ما فعل الذى فعل- أى فى المصاحف- إلا عن ملأ منا جميعًا؛ أى الصحابة .. والله لو وليت لفعلت مثل الذى فعل[٥]، وجاء فى رواية أخرى عن على قوله: لما اختلف الناس فى القرآن وبلغ ذلك عثمان جمعنا أصحاب رسول الله واستشارنا فى جمع الناس على قراءة، فأجمع رأينا مع رأيه على ذلك، وقال بعد ذلك: لو وليت الذى ولى، لصنعت مثل الذى صنع[٦].

خامسًا: موقف على رضى الله عنه فى فتنة مقتل عثمان رضى الله عنه:

كانت هناك أسباب متنوعة ومتداخلة ساهمت فى فتنة مقتل عثمان رضى الله عنه، كالرخاء وأثره فى المجتمع، وطبيعة التحول الاجتماعى، ومجئ عثمان بعد عمر رضى الله عنهما، وخروج كبار الصحابة من المدينة، والعصبية الجاهلية، وتآمر الحاقدين، والتدبير

(١) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص(١٧٥).
(٢) فتنة مقتل عثمان (١/ ٧٨).
(٣) مشق: أحرق (لسان العرب ١٠/ ٣٤٤).
(٤) التاريخ الصغير للبخارى (١/ ٩٤) إسناده حسن لغيره
(٥) فتح البارى (٩/ ١٨) إسناده صحيح.
(٦) سنن أبى داود، ك المصاحف، ص(٢٩، ٣٠) إسناده صحيح، خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على، ص(٨٠).

المحكم لإثارة المآخذ ضد عثمان، واستخدام الوسائل والأساليب المهيجة للناس، وأثر السبئية فى أحداث الفتنة، وقد فصلت وشرحت تلك الأسباب فى كتابى «تيسير الكريم المنان فى سيرة عثمان بن عفان.. شخصيته وعصره».

لقد استخدم أعداء الإسلام فى فتنة مقتل عثمان الأساليب والوسائل المهيجة للناس، من إشاعة الأراجيف حيث ترددت كلمة الإشاعة والإذاعة كثيرا، والتحريض، والمناظرة والمجادلة للخليفة أمام الناس، والطعن على الولاة، واستخدام تزوير الكتب واختلاقها على لسان الصحابة، رضى الله عنهم، عائشة وعلى وطلحة والزبير، والإشاعة بأن على بن أبى طالب رضى الله عنه الأحق بالخلافة، وأنه الوصى بعد رسول الله ﷺ، وتنظيم فرق فى كل من البصرة والكوفة ومصر، أربع فرق من كل مصر مما يدل على التدبير المسبق، وأوهموا أهل المدينة أنهم ما جاءوا إلا بدعوة الصحابة، وصعدوا الأحداث حتى وصلت إلى القتل[1]، وإلى جوار هذه الوسائل، استخدموا مجموعة من الشعارات منها، التكبير، ومنها أن هذا ضد المظالم، ومنها أنهم لا يقومون إلا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ومنها المطالبة باستبدال الولاة وعزلهم، ثم تطورت المطالبة إلى خلع عثمان، إلى أن تمادوا فى جرأتهم وطالبوا بل سارعوا إلى قتل الخليفة، وخاصة حينما وصلهم الخبر بأن أهل الأمصار قادمون لنصرة الخليفة، فزادهم حماسهم المحموم لتضييق الخناق على الخليفة، والتشوق إلى قتله بأى وسيلة[2].

كان التنظيم السبئى بقيادة عبد الله بن سبأ اليهودى خلف تلك الأحداث والتى بعدها، وسيأتى الحديث عنه بإذن الله، وعن عثمان الذى هز مقتله العالم الإسلامى وأثر فى كثير من الأحداث إلى يومنا هذا.

١- **موقف على رضى الله عنه فى بداية الفتنة:** استمر على- رضى الله عنه- فى طريقته المعهودة مع الخلفاء، وهى السمع والطاعة والإدلاء بالمشورة والنصح، وقد عبر بنفسه عن مدى طاعته للخليفة عثمان والتزام أمره ولو كان شاقًا بقوله: لو سيرنى عثمان إلى صرار لسمعت وأطعت[3]، وعندما نزل المتمردون فى ذى المروة قبل مقتل عثمان بما يقارب شهراً ونصفًا، أرسل إليهم عثمان عليًا ورجلا آخر لم تسمه الروايات والتقى بهم على رضى الله

(١) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص(٤٠١). (٢) المصدر نفسه، ص(٤٠٢).
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٢٥) سنده صحيح.

عنه فقال لهم: تعطون كـتاب الله، وتعتبون من كل ما سخطتـهم، فوافقوا على ذلك[١]، وفى رواية أنهم شادوه وشادهم مرتين أو ثلاثًا، ثم قالوا: ابن عم رسول الله ﷺ، ورسول أمير المؤمنين يعرض عليكم كـتاب الله فقبلوا[٢]، فاصطلحوا على خمس: على أن المنفى يقلب، والمحروم يعطى، ويوفـر الفىء، ويعدل فى القسم، ويـستعمل ذو الأمـانة والقوة، وكـتبـوا ذلك فى كـتـاب، أن يرد ابن عـامر علـى البصـرة، وأن يبـقى أبو مـوسى على الكوفة[٣]، وهكذا اصطلح عـثمان- رضى الله عنـه- مع كل وفد على حدة ثـم انصرفت الوفود إلى ديارها[٤]، وبعد هذا الصلح وعودة أهـل الأمصار جميعًـا راضين تبين لمشعلى الفتنة أن خطتـهم قد فشلت، وأن أهدافهم الدنيـئة لم تتحـقق، لذا خططوا تخطيطًا آخر- يذكى الفتنة ويحييـها- يقتضى تدمير ما جرى من صلح بين أهل الأمـصار، وعثمان رضى الله عنه، وبرز ذلك فيما يأتى:

فى أثناء طريق عودة أهل مـصر، رأوا راكبًا على جـمل يتعرض لهم، ويفـارقهم فكأنه يقول: خذونى، فقبضوا عليه، وقـالوا له: مالك؟ فقال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر، ففتشوه فإذا هم بكتاب على لسان عثـمان، رضى الله عنه، ففتحوا الكتاب فإذا فيه أمر بصلبـهم أو قتلهم أو تقطيع أيديهم وأرجلهم، فـرجعوا إلى المديـنة حتى وصلوها[٥]، ونفى عثـمان، رضى الله عنه، أن يكون كتب هذا الكتـاب، وقال لهم: إنهمـا اثنتان: أن تقـيمـوا رجلين من المسلمين أو يمـين بالله الذى لا إله إلا هو ما كـتـبت ولا أمللت، ولا علمت، وقـد يكتب الكتـاب على لسـان الرجل وينقش الخـاتم، فلم يصدقـوه[٦]، وهو الصادق البار لغاية فى نفوسهم، وهذا الكتـاب الذى زعم هؤلاء المتمردون البغاة المنحرفون أنه من عثمان وعليـه خاتمه يحمله غلامه على واحد من إبل الصـدقة إلى عامله بمصر ابن أبى سرح، يأمر فيه بقتل هؤلاء الخارجين هو كتاب مزور مكذوب على لسان عثمان وذلك لعدة أمور منها[٧]: كيف علم العـراقيون بالأمر وقـد اتجهوا إلى بلادهم، وفـصلتهم عن المصريين- الذين أمسكوا بالكتاب المزعوم- مسافة شاسعة، فالعراقيون فى الشرق والمصريون فى الغرب، ومع ذلك عادوا جميعًا فى آن واحـد، كأنما كانوا على ميعاد؟ لا يعقل هذا إلا

(١) تاريخ دمشق ترجمة عثمان، ص(٣٢٨)، تاريخ خليفة، ص(١٦٩).

(٢) فتنة مقتل عثمان(١/ ١٢٩).

(٣) المصدر نفسه (١/ ١٢٩).

(٤) المصدر نفسه(١/ ٣٢٩).

(٥) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٧٩).

(٦) فتنة مقتل عثمان (٥/ ١٣٢)، البداية والنهاية(٧/ ١٩١).

(٧) تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان للصلابى، ص(٤١٠).

إذا كان الذين زوروا الكتاب واستأجروا راكبًا ليحمله ويمثل الدور فى البويب أمام المصريين، قد استأجروا راكبًا آخر انطلق إلى العراقيين ليخبرهم بأن المصريين قد اكتشفوا كتابًا بعث فيه عثمان لقتل المنحرفين المصريين، وهذا ما احتج بـه على بن أبى طالب رضى الله عنه فقد قال: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقى أهل مصر، وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا[1]، بل إن عليًا يجزم: هذا والله أمر أبرم بالمدينة[2].

إن هذا الكتاب المشئوم ليس أول كتاب يزوره هؤلاء المجرمون، بل زوروا كتبًا على لسان أمهات المؤمنين، وكذلك على لسان على وطلحة والزبير، فهذه عائشة، رضى الله عنها، تُتهم بأنها كتبت إلى الناس تأمرهم بالخروج على عثمان فتنفي وتقول: لا والذى آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت لهم سوداء فى بيضاء حتى جلست مجلسى هذا[3]، ويعقب الأعمش فيقول: فكانوا يرون أنه كتب على لسانها[4]، ويتهم الوافدون عليًا بأنه كتب إليهم أن يقدموا عليه بالمدينة، فينكر ذلك عليهم ويقسم: والله ما كتبت إليكم كتابا[5]، كما ينسب إلى الصحابة بكتابة الكتب إلى أهل الأمصار يأمرونهم بالقدوم إليهم، فدين محمد قد فسد وترك، والجهاد فى المدينة خير من الرباط فى الثغور البعيدة[6]، ويعلق ابن كثير على هذا الخبر قائلا: وهذا كذب على الصحابة، وإنما كتبت كتب مزورة عليهم، فقد كتب من جهة على وطلحة والزبير إلى الخوارج- قتلة عثمان- كتب مزورة عليهم أنكروها، وكذلك زور هذا الكتاب على عثمان أيضا، فإنه لم يأمر به، ولم يعلم به[7]، ويؤكد كلام ابن كثير ما رواه الطبرى وخليفة من استنكار كبار الصحابة- على وعائشة والزبير- أنفسهم لهذه الكتب فى أصح الروايات[8]. إن الأيدى المجرمة التى زورت الرسائل الكاذبة على لسان أولئك الصحابة هى نفسها التى أوقدت نار الفتن من أولها إلى آخرها، ورتبت ذلك الفساد العريض، وهى التى زورت وروجت على عثمان تلك الأباطيل، وإنه فعل وفعل، ولقنتها للناس، حتى قبلها الرعاع، ثم زورت على لسان عثمان ذلك الكتاب، ليذهب عثمان ضحية إلى ربه شهيدًا سعيدًا، ولم يكن عثمان الشهيد هو المجنى عليه وحده فى هذه المؤامرة السيئة اليهودية، بل الإسلام نفسه كان مجنيًا

(١)،(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٥٩).
(٣) تحقيق مواقف الصحابة(١/ ٣٣٤).
(٤) تاريخ خليفة بن خياط، ص(١٦٩).
(٥) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٥)، البداية والنهاية (٧/ ١٩١).
(٦) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٥) البداية والنهاية (٧/ ١٧٥).
(٧) البداية والنهاية (٧/ ١٧٥).
(٨) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٥).

عليه قبل ذلك، ثم التاريخ المشوه المحرف، والأجيال الإسلامية التى تلقت تاريخها مشوهًا هى كذلك ممن جنى عليهم الخبيث اليهودى، وأعوانه من أصحاب المطامع والشهوات والحقد الدفين، أما آن للأجيال الإسلامية أن تعرف تاريخها الحق، وسير رجالاتها العظام؟ بل ألم يأن لمن يكتب فى هذا العصر من المسلمين أن يخاف الله ولا يتجرأ على تجريح الأبرياء قبل أن يحقق ويدقق حتى لا يسقط كما سقط غيره[(١)].

٢- موقف على رضى الله عنه أثناء الحصار: اشتد الحصار على عثمان رضى الله عنه، حتى منع من أن يحضر للصلاة فى المسجد، وكان صابرًا على هذه البلوى التى أصابته كما أمره رسول الله ﷺ بذلك، وكان مع إيمانه القوى بالقضاء والقدر، يحاول أن يجد حلاً لهذه المصيبة، فنراه تارة يخطب الناس عن حرمة دم المسلم، وأنه لا يحل سفكه إلا بحقه، وتارة يتحدث فى الناس ويظهر فضائله وخدماته الجليلة فى الإسلام، ويستشهد على ذلك ببقية العشرة رضوان الله عليهم،[(٢)] وكأنه يقول: من هذا عمله وفضله هل من الممكن أن يطمع بالدنيا ويقدمها على الآخرة؟ وهل يعقل أن يخون الأمانة ويعبث بأموال الأمة ودمائها وهو يعرف عاقبة ذلك عند الله وهو الذى تربى على عين النبى ﷺ والذى شهد له وزكاه وكذلك أفاضل الصحابة، أهكذا تكون معاملته؟!.

واشتدت سيطرة الثوار على المدينة حتى أنهم ليصلون بالناس فى أغلب الأوقات[(٣)]، وحينما أدرك الصحابة أن الأمر ليس كما حسبوا، وخشوا من حدوث ما لا يحمد عقباه، وقد بلغهم أن القوم يريدون قتله، فعرضوا عليه أن يدافعوا عنه، ويخرجوا الغوغاء عن المدينة، إلا أنه رفض أن يراق دم بسببه[(٤)]، وأرسل كبار الصحابة أبناءهم دون استشارة عثمان، رضى الله عنه، ومن هؤلاء الحسن بن على رضى الله عنهما، وعبد الله بن الزبير حيث تذكر بعض الروايات أن الحسن حُمل جريحًا من الدار[(٥)]، كما جرح غير الحسن، عبد الله بن الزبير، ومحمد بن حاطب، ومروان بن الحكم، كما كان معهم الحسين بن على وابن عمر رضى الله عنهما[(٦)]، وقد كان على من أدفع الناس عن عثمان، رضى الله عنه، وشهد له بذلك مروان بن الحكم[(٧)]، أقرب الناس إلى عثمان رضى الله عنه،

(١) عثمان بن عفان الخليفة الشاكر الصابر، ص(٢٢٨، ٢٢٩).
(٢) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على، ص(٨٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٥١٥).
(٤) فتنة مقتل عثمان (١/ ١٦٧)، المسند (١/ ٣٩٦) أحمد شاكر.
(٥) الطبقات لابن سعد(٨/ ١٢٨) بسند صحيح.
(٦) تاريخ خليفة، ص(١٧٤).
(٧) تاريخ الإسلام للذهبى، الخلفاء الراشدون، ص(٤٦٠، ٤٦١) إسناده قوى.

وألصقهم به فى تلك المحنة القاسية الأليمة، وقد أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله، رضى الله عنه، أن عليًا أرسل إلى عثمان فقال: إن معى خمسمائة دارع، فأذن لى، فأمنعك من القوم، فإنك لم تحدث شيئًا يستحل به دمك، فقال: جزيت خيرًا، ما أحب أن يهراق دم فى سببى[(١)]، وقد وردت روايات عديدة تفيد وقوفه بجانب عثمان، رضى الله عنهما، أثناء الحصار، فمن ذلك: أن الثائرين منعوا عن عثمان الماء حتى كاد أهله أن يموتوا عطشًا، فأرسل على رضى الله عنه إليه بثلاث قرب مملوءة ماء، فما كادت تصل إليه، وجرح بسببها عدة من موالى بنى هاشم وبنى أمية حتى وصلت[(٢)]، ولقد تسارعت الأحداث فوثب الغوغاء على عثمان وقتلوه، رضى الله عنه، وأرضاه، ووصل الخبر إلى الصحابة وأكثرهم فى المسجد، فذهبت عقولهم، وقال على لأبنائه وأبناء إخوانه: كيف قتل عثمان وأنتم على الباب؟ ولطم الحسن، وكان قد جرح[(٣)] وضرب صدر الحسين، وشتم ابن الزبير وابن طلحة، وخرج غضبان إلى منزله ويقول: تبًا لكم سائر الدهر، اللهم إنى أبرأ إليك من دمه أن أكون قتلت أو مالأت على قتله[(٤)]، وهكذا كان موقف على رضى الله عنه، نصحًا وشورى، سمعًا وطاعة، وقفة قوية بجانبه أثناء الفتنة، ومن أدفع الناس عنه، ولم يذكره بسوء قط، يحاول الإصلاح وسد الخرق بين الخليفة والخارجين عليه، لكن الأمر فوق طاقته، وخارج إرادته، إنها إرادة الله عز وجل أن يفوز أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه بالشهادة[(٥)].

٣- المصاهرات بين آل على وآل عثمان رضى الله عنهم: لم يكن بين بنى هاشم وبنى أمية من المباغضة والعداوة والمنافرة التى اخترعها وابتكرها أعداء الإسلام والمسلمين ونسجوا الأساطير والقصص حولها، ولقد اتضح لكل منصف أن بنى أمية مع بنى هاشم علاقتهم فيما بينهم علاقة أبناء العمومة والإخوان والخلان، فهم من أقرب الناس فيما بينهم، يتبادلون الحب والتقدير والاحترام، ويتقاسمون الهموم والآلام والأحزان، فبنو أمية وبنو هاشم كلهم أبناء أب واحد، وأحفاد جد واحد، وأغصان شجرة واحدة قبل الإسلام وبعد الإسلام، وكلهم استقوا من عين واحدة ومنبع صاف واحد، وأخذوا الثمار من دين الله الحنيف الذى جاء به رسول الله الصادق الأمين، المعلم، المربى، خاتم الأنبياء والمرسلين،

(١) تاريخ دمشق، ص(٤٠٣).
(٢) أنساب الأشراف للبلاذرى (٥/ ٦٧).
(٣) ابن أبى عاصم، الآحاد والثمانى (١/ ١٢٥) نقلا عن خلافه على، ص(٨٧).
(٤) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٢٠٩)إسناده صحيح.
(٥) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على ص (٨٧).

ولقد كان بين أبـي سفيان وبين العبـاس صداقة يضرب بهـا الأمثال[1]، كما كانت بينهم المصاهرات قبل الإسلام وبـعده، فلقد زوج رسول الله ﷺ بناته الثلاث من الأربعة من بنى أمية؛ من أبى العاص بن الربيع وهو من بنى أمية، ومن عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمـية، وهو مع ذلك ابن بنت عـمة رسـول الله ﷺ التى ولدت مع والد رسـول الله عليه الصلاة والسلام عبد الله بن عبد المطلب توءمـين أروى بنت كريز بن حبيب بن عبد شمس وهى أم عثـمان وأمهـا أم حكيم وهى البيضـاء بنت عبد المطلب عـمة النبىﷺ، هذا ولقد تزوج بعد عثمان بن عفان،رضى الله عنه، من بنى هاشم ابنه أبان بن عثمان، وكانت عنده أم كلثوم بنت عبـد الله بن جعفر (الطيار) بن أبى طالب شقـيق على رضى الله عنهما[2]، وحفـيدة على، وبنت الحسين سكينة كـانت متزوجـة من حفيد عـثمان زيد بن عـمرو بن عثمان،رضى الله عنهم أجمعين، وحفيدة على الثانية وابنة الحسين فاطمة كانت متزوجة من حفيد عثـمان الآخر، محمد بن عبد الله بن عـمرو بن عثمان بن عفان، وكانـت أم حبيبة بنت أبى سفيان سيد بنى أمية متزوجة من سيد بنى هاشم وسيد ولد آدم رسول الله الصادق الأمين كما هو معروف، كما أن هند بنت أبى سـفيان وكانت متزوجة من الحارث بن نوفل ابن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم فولدت له ابنه محمداً[3].

وتزوجت لبـابة بنت عبـيد الله بن عـباس بن عـبـد المطلب، العبـاس بن على بن أبى طالب، ثم خلف عليها الوليد بن عتبة (ابن أخى معاوية) ابن أبى سفيان[4]، وتزوجت رملة بنت محمد بن جعفر- الطيار- ابن أبى طالب سليمان بن هشام بن عبد الملك (الأموى) ثم أبا القاسم بن وليد بن عتبة بن أبى سفيان[5]، كذلك تزوجت ابنة على بن أبى طالب رملة من ابن مروان بن الحكم[6] بن أبى العـاص بن أمية، فـقد كـانت رملة بنت على عند أبى الهياج.. ثم خلف عليها مـعاوية بن مروان بن الحكم بن أبى العاص[7]، وتزوجت حفيدة على بن أبى طالب من حفيد مروان بن الحكم،فنـفيسة بنت زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب تزوجها الوليـد بن عبد الملك بن مروان فـتوفيت عنده، وأمها لبـابة بنت عبد الله بن عباس[8]، وقد اكتفيت ببيان بعض منها، وفيها كفاية لمن أراد الحق والتبصر[9].

(١) الشيعة وأهل البيت، ص(١٤١).
(٢) المعارف للدينورى،ص (٨٦)، الشيعة وأهل البيت ص(١٤١).
(٣) طبقات ابن سعد (٥/ ١٥)، الإصابة (٣/ ٥٨، ٥٩).
(٤) نسب قريش،ص(١٢٣)، الشيعة وأهل البيت، ص(١٤٣).
(٥)، (٦) الشيعة وأهل البيت،ص(١٤٣).
(٧) جمهرة أنساب العرب ص (٨٧)، نسب قريش، ص(٤٥).
(٨) طبقات ابن سعد (٥/ ٢٣٤).
(٩) الشيعة وأهل البيت، ص(١٤٤).

سادسًا: من أقوال علي في الخلفاء الراشدين:

إن خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم قد أجمع على صحتها وانعقادها الصحابة الكرام، ومن طعن في أحد منهم فقد خالف قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وقول النبي ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ» فهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، رضي الله عنهم ومن اتبعهم بإحسان[١]، وما أحسن ما قاله أيوب السختياني في هذا المقام حيث قال: من أحب أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله عز وجل، ومن أحب عليًا فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن أحسن القول في أصحاب محمد فقد برئ من النفاق[٢].

قال الشاعر:

إني رضيت عليًا قدوة علمًا ... كما رضيت عتيقًا صاحب الغار
وقد رضيت أبا حفص وشيعته ... وما رضيت بقتل الشيخ في الدار
كل الصحابة عندي قدوة علم ... فهل عليَّ بهذا القول من عار
إن كنت تعلم أني لا أحبهم ... إلا لوجهك أعتقني من النار[٣]

هذا وقد جاءت الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة في العلاقة المتميزة بين علي والخلفاء الراشدين، رضي الله عنهم، وقد تم توضيح ذلك في الصفحات الماضية، وهذه بعض الأدلة نضيفها إلى ما سبق من براهين ساطعة على مكانة الخلفاء الراشدين عند أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

١- سيدا كهول أهل الجنة وشبابها: عن علي رضي الله عنه قال: كنت عند النبي ﷺ، فأقبل أبو بكر وعمر، فقال: يا علي، هذان سيدا كهول أهل الجنة، وشبابها، بعد النبيين والمرسلين[٤].

(١) الشريعة للآجري (٤/ ١٧٦٨).
(٢) المصدر نفسه (٤/ ١٧٧٢، ١٧٧٣).
(٣) المصدر نفسه (٥/ ٢٥٣٦).
(٤) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم ٦٠٢ حديث صحيح وهذا إسناد حسن.

- **ما أضمر لهما إلا الذى أتمنى للمضى عليه:** عن سويد بن غفلة، قال: مررت بنفر من الشيعة يتناولون أبا بكر وعمر فدخلت على عليّ فقلت: يا أمير المؤمنين، مررت بنفر من أصحابك آنفًا يتناولون أبا بكر وعمر بغير الذى هما له من الأمة أهل، فلولا أنك تُضمر على مثل ما أعلنوا عليه ما تجرءوا على ذلك فقال عليّ: ما أضمر لهما إلا الذى أتمنى المضى عليه، لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل، ثم نهض دامع العين يبكى، قابضًا على يدى حتى دخل المسجد، فصعد المنبر وجلس عليه متمكنًا قابضًا على لحيته ينظر فيها وهى بيضاء، حتى اجتمع له الناس، ثم قام فخطب خطبة موجزة بليغة، ثم قال: ما بال قوم يذكرون سيدى قريش وأبوى المسلمين؟ أنا مما قالوا برئ، وعلى ما قالوا مُعاقب، ألا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة، لا يحبهما إلا مؤمن تقى، ولا يبغضهما إلا فاجر ردى، صحبا رسول الله على الصدق والوفاء، يأمران وينهيان وما يجاوزان فيما يصنعان رأى رسول الله، ولا كان رسول الله يرى بمثل رأيهما، ولا يحب كحبهما أحدًا، قضى رسول الله ﷺ وهو عنهما راض، ومضيا والمؤمنون عنهما راضون، أمر رسول الله أبا بكر لصلاة المؤمنين فصلى بهم تسعة أيام[1] فى حياة رسول الله ﷺ، فلما قبض الله تعالى نبيه ﷺ واختار له ما عنده، ولاه المؤمنون أمرهم، وقضوا إليه الزكاة، لأنهما مقرونان، ثم أعطوه البيعة طائعين غير كارهين، أنا أول من سن ذلك من بنى عبد المطلب، وهو لذلك كاره يود أن أحدنا كفاه ذلك، وكان والله خير من بقى، أرحمه رحمة، وأرأفه رأفة، وأثبته ورعًا، وأقدمه سنًا وإسلامًا. . فسار فينا سيرة رسول الله ﷺ حتى مضى على ذلك، ثم ولى عمر الأمر من بعده، فمنهم من رضى، ومنهم من كره، فلم يفارق الدنيا حتى رضى به من كان كرهه، فأقام الأمر على منهاج النبى ﷺ وصاحبه، يتبع آثارهما كتباع الفصيل[2] أمه، وكان والله رفيقًا رحيمًا، وللمظلومين عونًا راحمًا وناصرًا، لا يخاف فى الله لومة لائم، ضرب الله بالحق على لسانه، وجعل الصدق من شأنه، حتى كنا نظن أن ملكًا ينطق على لسانه، أعز الله بإسلامه الإسلام، وجعل هجرته للدين قوامًا، ألقى الله تعالى له فى قلوب المنافقين الرهبة، وفى قلوب المؤمنين المحبة . . إلى أن قال: فمن لكم بمثلهما- رحمة الله عليهما- ورزقنا المضى على سبيلهما، فإنه لا يبلغ مبلغهما إلا باتباع آثارهما والحبّ لهما، ألا فمن أحبنى فليُحبهما، ومن لم يحبهما فقد أبغضنى، وأنا منه برىء، ولو كنت تقدمت إليكم فى أمرهما لعاقبت على هذا أشد العقوبة، ولكن لا ينبغى أن أعاقب قبل

(١) فى الأصل سبعة، وورد تصويبها فى الهامش.

(٢) الفصيل ولد الناقة إذا فُصل عن أمه.

التقدم، ألا فمن أتيت به يقول هذا بعد اليوم، فإن عليه ما على المفترى، ألا وخير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر وعمر، ولو شئت سميت الثالث، وأستغفر الله لى ولكم[(١)].

٣- هذا عثمان بن على سميته بعثمان بن عفان: عن أبى سعيد الخدرى: نظرت إلى غلام أيفع[(٢)]، له ذؤابة[(٣)] وجمة[(٤)]، والله يعلم إنى منه حينئذ لفى شك، ما أدرى غلام هو أم جارية، فمررنا بأحسن منه وهو جالس إلى جنب على فقلت: عافاك الله، من هذا الفتى إلى جانبك؟ قال: هذا عثمان بن على سميته بعثمان بن عفان، وقد سميت بعمر بن الخطاب، وسميت بعباس عم رسول الله، وقد سميت بخير البرية محمد، فأما حسن وحسين ومحسن[(٥)] فإنما سماهم رسول الله وعقّ عنهم وحلق رءوسهم[(٦)]، وتصدق وزنها وأمر بهم فسموا وختنوا[(٧)]، فقد ولدوا فى عهده عليه الصلاة والسلام ورسول الله هو الذى سماهم وعق عنهم.

٤- أبو بكر وعمر وعثمان، رضى الله عنهم، كان لهم بالنبى اختصاص عظيم: قد عرف بالتواتر الذى لا يخفى على العامة والخاصة أن أبا بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم كان لهم بالنبى ﷺ اختصاص عظيم، وكانوا من أعظم الناس اختصاصًا به، وصحبة له وقربة إليه، وقد صاهرهم كلهم وكان يحبهم ويثنى عليهم، وحينئذ فإما أن يكونوا على الاستقامة ظاهرًا وباطنًا فى حياته وبعد موته، وإما أن يكونوا بخلاف ذلك فى حياته، أو بعد موته، فإن كانوا على غير الاستقامة مع هذا القرب فأحد الأمرين لازم، إما عدم علمه بأحوالهم، أو مداهنته لهم، وأيهما كان فهو من أعظم القدح فى الرسول ﷺ كما قيل:

فإن كنت لا تدرى فتلك مصيبة ... وإن كنت تدرى فالمصيبة أعظم

وإن كانوا انحرفوا بعد الاستقامة فهذا خذلان من الله للرسول فى خواص أمته، وأكابر أصحابه، ومن وعد أن يظهر دينه على الدين كله، فكيف يكون أكابر خواصه مرتدين؟ فهذا ونحوه من أعظم ما يقدح به الرافضة فى الرسول ﷺ كما قال الإمام مالك وغيره: إنما

(١) النهى عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب، ص(٤٣)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائى رقم (٤٤٥٦).
(٢) أيفع: شارف الاحتلام.
(٣) الذؤابة: هى الشعر المضفور من شعر الرأس.
(٤) الجمة من شعر الرأس: ما سقط على المنكبين.
(٥) مسند أحمد (٢/ ١١٥) رقم (٧٦٩) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.
(٦) المختصر من كتاب الموافقة، ص(١٤١).
(٧) وختنوا: الختن للرجال، والخفض للنساء، المختصر من كتاب الموافقة، ص(١٤١).

أراد هؤلاء الرافضة الطعن فى الرسول ﷺ ليقول القائل: رجل سوء كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلاً صالحًا لكان أصحابه صالحين، ولهذا قال أهل العلم: إن الرافضة دسيسة الزندقة(١).

٥- ما يترتب عليه فى مذهب الرافضة من تكفير الصحابة: إن مذهب الرافضة فى تكفير الصحابة يترتب عليه تكفير أمير المؤمنين لتخليه عن القيام بأمر الله، ويلزم عليه إسقاط تواتر الشريعة، بل بطلانها ما دام نقلتها مرتدين، ويؤدى إلى القدح فى القرآن العظيم، لأنه وصلنا عن طريق أبى بكر وعمر وعثمان وإخوانهم، وهذا هو هدف واضع هذه المقالة، ولذلك قال أبو زرعة: إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ حق والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة(٢)، ولذلك اعترفت كتب الشيعة أن الذى وضع هذه المقالة هو ابن سبأ فقالت: إنه أول من أظهر الطعن فى أبى بكر وعمر وعثمان والصحابة، وتبرأ منهم، وادعى أن عليًا عليه السلام أمره بذلك(٣).

٦- قرائن عملية وأدلة واقعية على حقيقة العلاقة بين على والخلفاء الراشدين: قامت القرائن العملية والأدلة الواقعية من سيرة أمير المؤمنين على فى علاقته مع إخوانه أبى بكر وعمر وعثمان مما اشتهر وذاع نقله، وقد نقلنا منه الكثير فيما مضى ما يثبت المحبة الصادقة والإخاء الحميم بين هذه الطليعة المختارة، والصفوة من جيل الصحابة، رضوان الله عليهم، وتأتى فى مقدمة هذه الأدلة والقرائن تزويج أمير المؤمنين على ابنته أم كلثوم لأمير المؤمنين عمر(٤)، فإذا كان عمر فاروق هذه الأمة قد صار عند الشيعة الروافض أشد كفرًا من إبليس، أفلا يرجعون إلى عقولهم ويتدبرون فساد ما ينتهى إليه مذهبهم؟ إذ لو كان أبو بكر وعمر، رضى الله عنهما، كافرين كما يفترون لكان على بتزويجه ابنته أم كلثوم الكبرى من عمر، رضى الله عنه، كافرًا أو فاسقًا معرضا بنته للزنا، لأن وطء الكافر للمسلمة زنا محض(٥)، والعاقل المنصف البرئ من الغرض، الصادق فى محبته للنبى ﷺ وأهل بيته واتباعه لهم لا يملك إلا الإذعان لهذه الحقيقة، حقيقة الولاء والحب بين الخلفاء الأربعة،

(١) منهاج السنة (٤/ ١٢٣)، أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣١).
(٢) الكفاية، ص(٤٩).
(٣) المقالات والفرق للقمى، ص(٢٠) نقلا عن أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣٣).
(٤) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣٢).
(٥) المصدر نفسه (٢/ ٩٣٢).

رضوان الله عليهم، ولذلك لما قيل لمعز الدولة أحمد بن بويه- وكان رافضيًا يشتم صحابة رسول الله- إن عليًا- رضى الله عنه- زوج ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب، استعظم ذلك وقال: ما علمت بهذا، وتاب وتصدق بأكثر ماله وأعتق مماليكه ورد كثيرًا من المظالم وبكى حتى غشى عليه[(١)]، لشعوره بعظم جرمه فيما سلف من عمره، الذى أمضاه ينهش فى أعراض هؤلاء الأطهار مغترًا بشبهات الروافض[(٢)]، وقد حاول شيوخ الشيعة الروافض إبطال مفعول هذا الدليل فوضعوا روايات مكذوبة على لسان الأئمة تقول: ذلك فرج غصبناه[(٣)]، فزادوا الطين بلة، حتى صوروا أمير المؤمنين فى صورة «الديوث» الذى لا ينافح عن عرضه، ويقر الفاحشة فى أهله، وهل يتصور مثل هذا فى حق أمير المؤمنين على بطل الإسلام؟ إن أدنى العرب ليبذل نفسه دون عرضه، ويقتل دون حرمه، فضلا عن بنى هاشم الذين هم سادات العرب وأعلاها نسبًا وأعظمها مروءة وحمية، فكيف يثبتون لأمير المؤمنين وابنته حفيدة رسول الله ﷺ مثل هذه المنقصة الشنيعة، وهو الشجاع الصنديد، ليث بنى غالب، أسد الله فى المشارق والمغارب[(٤)].

ويبدو أن بعضهم لم يعجبه هذا التوجيه، فرام التخلص من هذا الدليل بمنطق أغرب وأعجب، حيث زعم أن أم كلثوم لم تكن بنت على ولكنها جنية تصورت بصورتها[(٥)]، فأتوا بما يستخف به أصحاب العقول ويستطيع كل من أراد أن يدعى على من يكرهه بأنه جنى أو جنية، وهكذا يعيش الناس فى الخرافات وتضيع الحقيقة.

ومن القرائن أيضا علاقات القربى القائمة بينهم، ووشائج الصلة، وكذلك مظاهر المحبة، حتى إن عليًا والحسن والحسين- كما مر معنا- يسمون بعض أولادهم باسم أبى بكر وعمر، وهل يطيق أحد أن يسمى أولاده بأسماء أشد أعدائه كفرًا وكرهًا له؟ وهل يطيق أن يسمع أسماء أعدائه تتردد فى أرجاء بيته يرددها مع أهله فى يومه مرات وكرات[(٦)].

إن أمير المؤمنين عليًا- رضى الله عنه- لا يحفظ عنه الصحابة ومن تبعهم من التابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين إلا محبة أبى بكر وعمر وعثمان- رضى الله عنهم- فى

---

(١) المنتظم (٧/٣٨، ٣٩). (٢) أصول مذهب الشيعة (٢/٩٣٧).

(٣) فروع الكافى (٢/ ١٠)، أصول مذهب الشيعة (٢/٩٣٧).

(٤) مؤتمر النجف للسويدى، ص(٨٦) نقلاً عن أصول مذهب الشيعة (٢/٩٣٧).

(٥) الأنوار النعمانية (١/٨٣، ٨٤) نقلاً عن أصول مذهب الشيعة (٢/٩٣٨).

(٦) أصول مذهب الشيعة (٢/٩٣٨).

حياتهم، وفي خلافتهم وبعد وفاتهم، فأما في خلافتهم فسامع لهم مطيع، يحبهم ويحبونه، ويعظم قدرهم ويعظمون قدره، صادق في محبتهم، مخلص في الطاعة لهم، يجاهد من يجاهدون، ويحب ما يحبون، ويكره ما يكرهون، يستشيرونه في النوازل فيشير مشورة ناصح مشفق محب، فكثير من سيرتهم بمشورة جرت[1]، وهم يبادلونه نفس الشعور ويقال: إنه لا يجتمع حب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي إلا في قلوب أتقياء هذه الأمة[2]، وقال سفيان الثوري: لا يجتمع حب عثمان وعلي رضي الله عنهما إلا في قلوب نبلاء الرجال[3]، وقال أنس بن مالك: قالوا: إن حب عثمان وعلي رضي الله عنهما لا يجتمعان في قلب مؤمن، كذبوا فقد جمع الله عز وجل حبهما بحمد الله في قلوبنا[4].

سابعًا: وصف لأصحاب النبي ﷺ في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ **مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴾[الفتح: ٢٩].

ومن المناسب أن أختم هذا الفصل بهذه الآية الكريمة لتكون دليلاً على ما ذكرته من المحبة والرحمة والتعاون بين الخلفاء الراشدين والصحابة الكرام، فهذه الآية تضمنت ذكر منزلة رسول الله ﷺ بالثناء، ثم ثنى الله تعالى فيها بالثناء على سائر الصحابة، رضوان الله عليهم أجمعين، فذكر تعالى أن صفاتهم الشدة والغلظة على أهل الكفر، كما وصفهم بالتراحم والتعاطف فيما بينهم، ووصفهم بأنهم يكثرون من الأعمال الصالحة المقرونة بالإخلاص وسعة الرجاء، وفي مقدمة تلك الأعمال الصالحة إكثارهم من الصلاة ابتغاء الحصول على فضل من الله رضوان، كما بين- سبحانه- أن آثار ذلك تظهر على وجوههم ﴿ **سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ** ﴾ والسيما أي العلامة، وقد قيل بها بياض يكون في الوجوه يوم القيامة، قاله الحسن وسعيد بن جبير وهي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواية أخرى عنه وعن مجاهد: السيماء في الدنيا هو السمت الحسن «وعن مجاهد أيضًا: هو الخشوع والتواضع»[5].

(١)،(٢) الشريعة للآجري (٥/ ٢٣١٢).　　(٣) حلية الأولياء (٧/ ٣٢).

(٤) الشريعة للآجري (٥/ ٢٣١٢) إسناده صحيح.

(٥) تفسير الطبري (٢٦/ ١١٠، ١١١)، تفسير القرطبي (١٦/ ٢٩٣، ٢٩٤).

وهذه الأقوال لا منافاة بينها؛ إذ يمكن أن يكون في الدنيا هو السمت الذي ينشأ عن التواضع والخشوع، وفي الآخرة يكون في جباههم نور[1]، قال ابن كثير: فالصحابة -رضي الله عنهم- خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم، فكل من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم وهديهم، وقال مالك، رضي الله عنه: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة، رضي الله عنهم، الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا، وصدقوا في ذلك، فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ، وقد نوه الله- تبارك وتعالى- بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة، ولهذا قال- سبحانه- ههنا: ﴿مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ ثم قال: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ أي: فراخه ﴿فَآزَرَهُ﴾ أي: شده وقواه ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ أي: شب وطال ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ أي: فكذلك أصحاب رسول الله ﷺ آزروه وأيدوه ونصروه، فهم معه كالشطء مع الزرع ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمة الله عليه في رواية عنه تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة، رضي الله عنهم، قال: لأنهم يغيظونهم ومن غاظه الصحابة، رضي الله عنهم، فهو كافر لهذه الآية ووافقه طائفة من العلماء، رضي الله عنهم، على ذلك.. ثم قال تبارك وتعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم﴾ أي: ثوابًا جزيلاً ورزقًا كريمًا، ووعد الله حق وصدق لا يخلف ولا يبدل، وكل من اقتفى أثر الصحابة رضي الله عنهم فهو في حكمهم ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة رضي الله عنهم وأرضاهم، وجعل جنات الفردوس مأواهم وقد فعل[2] وفي قوله- سبحانه- في حق الصحابة الكرام رضي الله عنهم ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ أخطر حكم وأغلظ تهديد وأشد وعيد في حق من غيظ بأصحاب رسول الله ﷺ، أو كان في قلبه غل لهم[3]، وأما قوله تعالى في ختام الآية: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ فيها وعد من الله تعالى لجميع الصحابة بالجنة، وكذلك كل من آمن وعمل الصالحات من أمة الإجابة؛ إذ هذا الوعد عام لجميع المؤمنين إلى يوم القيامة[4]، وكلمة «منهم» في الآية السابقة «من» لبيان الجنس وليست للتبعيض، قال ابن تيمية: لا ريب إن هذا مدح لهم بما ذكر من الصفات

---

(١) تفسير الطبري (٢٦/ ١١٢). (٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٦٥).

(٣) قبس من هدى الإسلام، عبد المحسن العباد، ص(٨٦).

(٤) عقيدة أهل السنة في الصحابة (١/ ٧٦).

وهو الشدة على الكفار والرحمة بينهم والركوع والسجود يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا، والسيماء في وجوههم من أثر السجود وأنهم يبتدئون من ضعف إلى كمال القوة والاعتدال كالزرع، والوعد لهم بالمغفرة والأجر العظيم ليس على مجرد هذه الصفات، بل على الإيمان والعمل الصالح، فذكر ما به يستحقون الوعد، وإن كانوا كلهم بهذه الصفة، ولولا ذكر ذلك لكان يظن أنهم بمجرد ما ذكر يستحقون المغفرة، ولم يكن فيه بيان سبب الجزاء بخلاف ما إذا ذكر الإيمان والعمل الصالح، فإن الحكم إذا علق باسم مشتق مناسب كان ما منه الاشتقاق سبب الحكم(١).

إن ما ذكرته في هذا الفصل ينسجم كليًا مع حديث القرآن الكريم عن الرحمة بين الصحابة والشدة على الكفار، وخصوصًا بين الخلفاء الراشدين، فهم السادة الكرام، وعلية القوم، وقادة الأمة بعد وفاة نبيها، فالحذر من الروايات الضعيفة والقصص الموضوعة التي اختلقها أعداء الأمة ليشوهوا به تاريخ صدر الإسلام، أنصدق الروايات الكاذبة والقصص الواهية التي تصور العداء بين الخلفاء الراشدين أم نصدق كتاب ربنا وماجاء في حقهم على لسان نبينا وما يوافقه مما دونه العلماء الثقات من أهل السنة والجماعة؟

قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣]، فهذا وصف القرآن الكريم لحقيقة الألفة بين قلوب الصحابة، فهي منحة ربانية ونعمة إلهية أعطاها الله لذلك الجيل الطاهر لا دخل لبشر فيها، وبيَّن القرآن الكريم أن الألفة بين الصحابة نعمة من الله تعالى امتن بها على رسول الله ﷺ، وهذا التصوير القرآني لحقيقة الصحابة ينسجم مع الروايات الصحيحة التي تبين محبة الصحابة والمودة بينهم، وبذلك يفتضح أمر الذين وضعوا الروايات المكذوبة والموضوعة، والآية تشمل كل من سار على هدى القرآن الكريم وسنة سيد المرسلين، قال ابن عباس: قرابة الرحم تقطع، ومنة المنعم تكفر، ولم نر مثل تقارب القلوب(٢).

قال الشاعر:

ولقد صحبت الناس ثم خبرتهم ... وبلوت ما وصلوا من الأسباب
فإذا القرابة لا تقرب قاطعًا ... وإذا المودة أقرب الأسباب(٣)

---

(١) منهاج السنة (١/١٥٨).

(٢)، (٣) الدر المنثور في تفسير المأثور (٤/ ١٠٠).

الفصل الثالث
بيعة على رضى الله عنه
وأهم صفاته وحياته فى المجتمع
المبحث الأول
بيعة على رضى الله عنه

أولاً: كيف تمت بيعة على رضى الله عنه:

تمت بيعة على رضى الله عنه بالخلافة بطريقة الاختيار وذلك بعد أن استشهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان، رضى الله عنه، على أيدى الخارجين المارقين الشذاذ الذين جاءوا من الآفاق، ومن أمصار مختلفة، وقبائل متباينة لا سابقة لهم، ولا أثر خير فى الدين، فبعد أن قتلوه رضى الله عنه ظلمًا وزورًا وعدوانًا، يوم الجمعة لثمانى عشرة ليلة مضت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين[1]. قام كل من بقى بالمدينة من أصحاب رسول الله ﷺ بمبايعة على رضى الله عنه بالخلافة، وذلك لأنه لم يكن أحد أفضل منه على الإطلاق فى ذلك الوقت، فلم يدع الإمامة لنفسه أحد بعد عثمان، رضى الله عنه، ولم يكن أبو السبطين، رضى الله عنه، حريصًا عليها، ولذلك لم يقبلها إلا بعد إلحاح شديد ممن بقى من الصحابة بالمدينة، وخوفًا من ازدياد الفتن وانتشارها، ومع ذلك لم يسلم من نقد بعض الجهال إثر تلك الفتن كموقعة الجمل وصفين التى أوقد نارها وأنشبها الحاقدون على الإسلام كابن سبأ وأتباعه الذين استخفهم فأطاعوه، لفسقهم ولزيغ قلوبهم عن الحق والهدى، وقد روى الكيفية التى تم بها اختيار على رضى الله عنه للخلافة بعض أهل العلم[2]، فقد روى أبو بكر الخلال بإسناده إلى محمد بن الحنفية قال: كنت مع على رحمه الله وعثمان محصر قال: فأتاه رجل فقال: إن أمير المؤمنين مقتول الساعة، قال: فقام على رحمه الله، قال محمد: فأخذت بوسطه تخوفًا عليه فقال: خلٍّ لا أم لك، قال: فأتى على الدار، وقد قتل الرجل رحمه الله، فأتى داره فدخلها فأغلق بابه، فأتاه الناس فضربوا عليه الباب فدخلوا عليه فقالوا: إن هذا قد قتل، ولابد للناس من خليفة ولا نعلم أحدًا أحق بها منك، فقال لهم على: لا تريدونى فإنى لكم وزيرًا خير منى لكم أميرًا، فقالوا: لا والله لا نعلم أحدًا

(١) الطبقات لابن سعد (٣/ ٣١).

(٢) عقيدة أهل السنة فى الصحابة الكرام (٢/ ٦٧٧).

أحق بها منك، قال: فإن أبيتم عليَّ فإن بيعتي لا تكون سرًا، ولكن أخرج إلى المسجد فبايعه الناس[1]، وفى رواية أخرى عن سالم بن أبي الجعد عن محمد بن الحنفية: فأتاه أصحاب رسول الله فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل ولابد للناس من إمام ولا نجد أحدًا أحق بها منك أقدم مشاهد، ولا أقرب من رسول الله ﷺ، فقال علي: لا تفعلوا فإني لكم وزيرًا خير منى أميرًا، فقالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك، قال: ففى المسجد فإنه ينبغى لبيعتى ألا تكون خفيا ولا تكون إلا عن رضا المسلمين، قال: فقال سالم بن أبى الجعد: فقال عبد الله بن عباس: فلقد كرهت أن يأتى المسجد كراهية أن يشغب عليه، وأبى هو إلا المسجد، فلما دخل المسجد جاء المهاجرون والأنصار فبايعوا وبايع الناس[2].

ومن هذه الآثار الصحيحة بعض الدروس والعبر والفوائد منها:

١- نصرة على بن أبى طالب رضى الله عنه لعثمان رضى الله عنه ودفاعه عنه، وهذا متواتر عن على رضى الله عنه، بل كان أكثر الناس دفاعا عن عثمان، رضى الله عنه، جاء ذلك بأسانيد كثيرة، وشهد بذلك مروان بن الحكم حيث قال: ما كان فى القوم أدفع عن صاحبنا من صاحبكم يعنى عليًا عن عثمان[3].

٢- زهد على رضى الله عنه فى الخلافة وعدم طلبه لها أو طمعه فيها، واعتزاله فى بيته حتى جاءه الصحابة يطلبون البيعة.

٣- إجماع الصحابة من المهاجرين والأنصار والناس عامة فى المدينة على بيعته، ويدخل فى هؤلاء أهل الحل والعقد، وهم الذين قصدوا عليًا وطلبوا منه أن يوافق على البيعة، وألحوا عليه حتى قبلها، وليس للغوغاء وقتلة عثمان كما فى بعض الروايات الضعيفة والموضوعة.

٤- إن عليًا كان أحق الناس بالخلافة يومئذ، ويدل على ذلك قصد الصحابة له، وإلحاحهم عليه، ليقبل البيعة، وتصريحهم بأنهم لا يعلمون أحق منه بالخلافة يومئذ.

٥- أهمية الخلافة، ولذلك رأينا أن الصحابة أسرعوا فى تولية على، وكان على يقول: لولا الخشية على دين الله لم أجبهم[4].

(١) كتاب السنة لأبى بكر الخلال، ص (٤١٥). (٢) الخلال فى السنة، ص (٤١٦) رجال الإسناد ثقات.

(٣) بيعة على بن أبى طالب مالك الخالدى، ص (٢) نقلا عن تاريخ الذهبى عهد الخلفاء الراشدين، ص (٤٦٠) إسناده قوى.

(٤) فتح البارى (١٣/ ٧٥) إسناده صحيح، بيعة على، ص (١٠٥).

والديانة لله به في شأن ترتيب الخلافة الراشدة، وقد ورد الإيماء إلى أحقية خلافة علي رضي الله عنه في كثير من النصوص الشرعية منها:

١- قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥]، ووجه الاستدلال بها على حقيقة خلافة علي رضي الله عنه أنه أحد المستخلفين في الأرض الذين مكن الله لهم دينهم.

٢- قوله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»[(١)] ووجه الدلالة في هذا الحديث على أحقية خلافة علي رضي الله عنه أنه أحد الخلفاء الراشدين المهديين الذين أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وحافظوا على حدود الله وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وساروا بسيرة رسول الله ﷺ في العدل وإقامة الحق.

٣- قوله ﷺ: «خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك من يشاء»[(٢)]، وفي هذا الحديث إشارة إلى أحقية علي رضي الله عنه حيث إن خلافته كانت آخر الثلاثين من مدة خلافة النبوة التي حددها النبي ﷺ في هذا الحديث وبموجب هذا قال أهل العلم[(٣)]، قال أحمد ابن حنبل: حديث سفينة في الخلافة صحيح، وإليه أذهب في الخلفاء[(٤)]، وقال عبد الله بن أحمد: قلت لأبي: إن قومًا يقولون إنه ليس بخليفة، قال: هذا قول سوء رديء فقال: أصحاب رسول الله كانوا يقولون له: يا أمير المؤمنين أفنكذبهم؟ وقد حج وقطع ورجم فيكون هذا إلا خليفة؟[(٥)]

- وقال ابن تيمية في حديث سفينة: وهو حديث مشهور من رواية حماد بن سلمة وعبد الوارث بن سعيد والعوام بن حوشب عن سعيد بن جمهان عن سفينة مولى رسول الله ﷺ رواه أهل السنن كأبي داود وغيره، واعتمد عليه الإمام أحمد وغيره في تقرير خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة، وثبته أحمد واستدل به على من توقف في خلافة علي من أجل افتراق الناس عليه، حتى قال أحمد: من لم يربع بعلي في الخلافة فهو أضل من حمار أهله ونهى عن مناكحته[(٦)]

(١) سنن أبي داود (٤/ ١ ٢)، الترمذي (٥/ ٤٤) حسن صحيح.

(٢) صحيح ابن حبان رقم ٦٦٥٧، الطبراني في الكبير ٦٤٤٢، السلسلة الصحيحة للألباني (١/ ٧٤٢-٧٤٩).

(٣) عقيدة أهل السنة والجماعة (٢/ ٦٨٦). (٤) السنة لعبد الله بن حنبل، ص (٢٣٥).

(٥) السنة لعبد الله بن حنبل، ص (٢٣٥)، عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/ ٦٨٦).

(٦) هذه الرسالة بالمكتبة الظاهرية بخطه في مسودته نقلاً عن عقيدة أهل السنة والجماعة (٢/ ٢٨٦).

وقال شارح الطحاوية: وتثبت الخلافة بعد عثمان لعلى رضى الله عنهما لما قتل عثمان وبايع الناس عليًا صار إمامًا حقًا واجب الطاعة، وهو الخليفة فى زمانه خلافة نبوة، كما دل عليه حديث سفينة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتى الله ملكه من يشاء**»[1].

٤- عن عكرمة قال لى ابن عباس ولابنه على: انطلقا إلى أبى سعيد فاسمعا من حديثه، فانطلقنا فإذا هو فى حائط يصلحه، فأخذ رداءه فاحتبى، ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى على ذكر بناء المسجد فقال: كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين، فرأى النبى ﷺ ينفض التراب عنه ويقول: **ويح**[2] **عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار**، قال: يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن[3]، وفى رواية مسلم عن أبى سعيد قال لعمار حين جعل يحفر الخندق وجعل يمسح رأسه ويقول: **بؤسى**[4] **ابن سمية تقتلك فئة باغية**[5]. قال ابن تيمية بعد ذكره لقوله ﷺ تقتل عمار الفئة الباغية[6]: وهذا يدل على صحة إمامة على ووجوب طاعته وأن الداعى إلى طاعته داعٍ إلى الجنة والداعى إلى مقاتلته داع إلى النار وإن كان متأولاً، أو باغ بلا تأويل، وهو أصح القولين لأصحابنا وهو الحكم بتخطئة من قاتل عليًا، وهو مذهب الأئمة الفقهاء الذين فرعوا على ذلك قتال البغاة المتأولين، وعندما أنكر يحيى بن معين على الشافعى استدلاله بسيرة على فى قتال البغاة المتأولين قال: أيجعل طلحة والزبير معًا بغاة؟ رد عليه الإمام أحمد فقال: ويحك وأى شىء يسعه أن يصنع فى هذا المقام يعنى: إن لم يقتد بسيرة على فى ذلك لم يكن معه سنة من الخلفاء الراشدين فى قتال البغاة - إلى أن قال - ولم يتردد أحمد ولا أحد من أئمة السنة فى ذلك[7]. فلو قال قائل: إن قتل عمار كان بصفين، وهو مع على، والذين قتلوه مع معاوية، وكان معه جماعة من الصحابة فكيف يجوز عليهم الدعاء إلى النار، فالجواب أنهم كانوا ظانين أنهم يدعون إلى الجنة وهم مجتهدون لا لوم عليهم فى اتباع ظنونهم، فالمراد بالدعاء إلى الجنة الدعاء إلى سببها وهو طاعة الإمام، وكذلك كان عمار يدعوهم إلى طاعة على، وهو

---

(١) شارح الطحاوية، ص(٥٤٥)، السلسلة الصحيحة (١/ ٧٤٢ - ٧٤٩).

(٢) ويح: كلمة رحمة تقال لمن وقع فى هلكة لا يستحقها، والويح: ترحم، غريب الحديث لابن الجوزى (٢/٤٨٦)، لطائف فى غريب الحديث (٤/ ٨٥)، النهاية فى غريب الحديث (٥/ ٢٣٥).

(٣) البخارى رقم (٤٤٧).

(٤) كأنه ترحم له من الشدة التى يقع فيها.

(٥، ٦) مسلم رقم (٢٢٣٥).

(٧) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٣٧، ٤٣٨).

الإمـام الواجب الطاعـة إذ ذاك، وكانوا هـم يدعون إلى خـلاف ذلك لكونهم مـعـذورين للتأويل الذى ظهر لهم[(١)]

قال النووى بعد قوله ﷺ: بؤسى ابن سمية تقتلك فئة باغية[(٢)]، قال العلماء: هذا الحديث حجة ظاهرة فى أن عليًا رضى الله عنه كـان محقًا مصيبًـا، والطائفة الأخرى بغاة، لكنهم مجتهدون، فلا إثم عليهم لذلك.. وفيه معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ من أوجه: منها: أن عمارًا يموت قتيلا، وأنه يقتله مـسلمون، وأنهم بغاة، وأن الصحابة يقاتلون وأنهم يكونون فرقتين باغية وغـيرها، وكل هذا وقع مثل فلق الصبح، صلى الله وسلم على رسوله الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى[(٣)]

٥- عن أبى سعـيد الخدرى رضى الله عنه قال: قـال رسول الله ﷺ: «تمرق مارقـة عند فرقـة من المسلمين يقـتلها أولى الطائفـتين بالحق. وفيه أيضـا: أنه قال: تكون فى أمتى فـرقتان فتخرج من بينهمـا مارقة يلى قتلهم أولاهم بالحق، وفى لفظ: قال: تمرق مارقة فـى فرقة من الناس فيلى قتلهم أولى الطائفتين بالحق. وجاء بلفظ: يخرجون على فرقة مختلفة يقتلهم أقرب الطائفتين من الحق[(٤)]، فقوله ﷺ: على حين فـرقة - بضم الفاء - أى: فى وقت افـتراق الناس أى: افتراق يقع بين المسلمين، وهو الافـتراق الذى كان بين على ومعاوية رضى الله عنهما[(٥)]، والمراد بالفرقة المارقة هم أهل النهـروان كانوا فى معسكر على رضى الله عنه فى حرب صـفين، فلـما اتفق على ومـعاوية على تحكيم الحكمـين خرجـوا وقالوا: إن علـيًا ومعاوية اسـتبقا إلى الكفـر كفرسى رهان، فكفر معـاوية بقتال على ثم كفـر على بتحكيم الحكمين، وكفروا طلحة والزبير، فقتلتهم الطائفة الذين كانوا مع على، وقد شهد النبى ﷺ أن الطائفة التى تقاتلهم أقرب إلى الحق، وهذه شهادة من النبى ﷺ لعلى وأصحابه بالحق، وهذا من معجزات النبى ﷺ لكونه أخبر بما يكون، فكان على ما قال، وفيه دلالة واضحة على صحة خلافة على رضى الله عنه وخطأ من خالفه[(٦)]

ثالثًا: بيعة طلحة والزبير رضى الله عنهما:

عن أبى بشيـر العابدى قال: كنت بالمدينة حين قـتل عثمان، رضى الله عنـه، واجتمع المهاجـرون والأنصار فيهم طلحـة والزبير فأتوا عليًـا، فقالوا: يا أبا الحـسن هلم نبايعك،

(١) فتح البارى (١/ ٥٤٢). (٢) مسلم رقم (٢٢٣٥).

(٣) شرح النووى على صحيح مسلم (١٨/ ٤٠، ٤١).

(٤) هذه الأحاديث فى صحيح مسلم (٢/ ٧٤٥، ٧٤٦). (٥) شرح النووى على صحيح مسلم (٧/ ١٦٦).

(٦) منهاج القاصدين فى فضل الخلفاء الراشدين لابن قدامة، ص (٧٥، ٧٦) نقلا عن عقيدة أهل السنة والجماعة (٢/ ٦٨٣).

فقال: لا حاجة لى فى أمركم، أنا معكم، فمن اخترتم فقد رضيت به.. فاختاروا، فقالوا: والله ما نختار غيرك[1].. إلخ الرواية وفيها تمام البيعة لعلى -رضى الله عنه-. والروايات فى هذا كثيرة ذكر بعضها ابن جرير فى تاريخه[2]، وهى دالة على مبايعة الصحابة - رضى الله عنهم - لعلى رضى الله عنه، واتفاقهم على بيعته بمن فيهم طلحة والزبير، كما جاء مصرحًا به فى الرواية السابقة، وأما ما جاء فى بعض الروايات من أن طلحة والزبير بايعا مكرهين، فهذا لا يثبت بنقل صحيح، والروايات الصحيحة على خلافه[3]، فقد روى الطبرى عن عوف بن أبى جميلة قال: أما أنا فأشهد أنى سمعت محمد بن سيرين يقول: إن عليًا جاء فقال لطلحة: ابسط يدك يا طلحة لأبايعك. فقال طلحة: أنت أحق،وأنت أمير المؤمنين، فابسط يدك، فبسط علىٌّ يده فبايعه[4]، وعن عبد خير الخيوانى أنه قام إلى أبى موسى فقال: يا أبا موسى، هل كان هذان الرجلان -يعنى طلحة والزبير- ممن بايع عليًا؟ قال: نعم[5]، كما نص على بطلان ما يدعى من أنهما بايعا مكرهين، الإمام المحقق ابن العربى وذكر أن هذا مما لا يليق بهما، ولا بعلى، قال -رحمه الله-: فإن قيل بايعا مكرهين «أى طلحة والزبير»، قلنا: حاشا لله أن يكرها، لهما ولمن بايعهما ولو كانا مكرهين ما أثر ذلك، لأن واحد واثنين تنعقد البيعة بهما وتتم، وهذا اجتهاد مردود، ومن بايع بعد ذلك فهو لازم له، وهو مكره على ذلك شرعًا، ولو لم يبايعا ما أثر ذلك فيهما، ولا فى بيعة الإمام، وأما من قال: يد شلاء وأمر لا يتم[6]، فذلك ظن من القائل أن طلحة أول من بايع ولم يكن كذلك، فإن قيل فقد قال طلحة: بايعت واللج على قفى! قلنا: اخترع هذا الحديث من أراد أن يجعل فى (القفا) لغة (قفى)، كما يجعل فى (الهوى) (هوي) وتلك لغة هذيل لا قريش[7]، فكانت كذبة لم

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٤٩) إسناد الرواية حسن لغيره، حملة رسالة الإسلام الأولون، محب الدين الخطيب، ص (٥٧).

(٢) انظر: تاريخ الطبرى (٥/ ٤٤٨ - ٤٥٠) وقد قام بجمع هذه الروايات ودرسها الدكتور محمد أمحزون، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٥٩-٧٥).

(٣) الانتصار للصحب والآل، ص (٢٣٦).

(٤) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٥٦)، الانتصار للصحب والآل، ص (٢٣٦).

(٥) تاريخ الطبرى (٥/ ٥١٧).

(٦) إشارة إلى ما جاء فى بعض الروايات: أن أول من بايع عليًا طلحة -رضى الله عنهما- وكان بيده اليمنى شلل، لما وقى بها رسول الله ﷺ يوم أحد، فقال رجل فى القوم: أول يد بايعت أمير المؤمنين شلاء لا يتم هذا الأمر، تاريخ الطبرى (٥/ ٤٥٧)، البداية والنهاية (٧/ ٢٣٧).

(٧) وقيل لغة طى: ذكره ابن الأثير فى النهاية (٤/ ٩٤) وكذلك اللج ليس من لغة قريش بل من لغة طى، قال ابن الأثير: هو بالضم: السيف بلغة طى، النهاية (٤/ ٢٣٤) وقيل: هو السيف بلغة هذيل وطوائف من اليمن، لسان العرب (٢/ ٣٥٤).

تدبر، وأما قوله: (يد شلاء) لو صح فلا متعلق لهم فيه، فإن يدًا شلت في وقاية رسول الله ﷺ يتم لها كل أمر، ويتوقى بها من كل مكروه، وقد تم الأمر على وجهه، ونفذ القدر بعد ذلك على حكمه[1]. إن الروايات التي تقول بأن طلحة والزبير أكرهوا على البيعة باطلة[2]، وهناك روايات صحيحة أشارت -كما ذكرت- إلى بيعتهما لعلي رضي الله عنهما، وهناك رواية صحيحة أوردها ابن حجر[3]، عن طريق الأحنف بن قيس وفيها أن عائشة وطلحة والزبير، رضوان الله عليهم، قد أمروا الأحنف بمبايعة علي رضي الله عنه بعدما استشارهم فيمن يبايع بعد عثمان رضي الله عنه[4].

إن سابقة علي -رضي الله عنه- وفضله، والتزامه بأحكام الكتاب والسنة، وتمسكه الشديد بالعمل بهما، وتعهده في خطبه بتطبيق الأوامر والنواهي الشرعية، ما كان ليفتح لأحد باب الطعن في ولايته على المسلمين، ويمكن القول إن عليًا كان أقوى المرشحين للإمامة بعد مقتل عمر -رضي الله عنه- فالفاروق عينه في الستة الذين أشار بهم، وهو واحد منهم، على أن الأربعة من رجال الشورى، وهم عبدالرحمن، وسعد، وطلحة والزبير بتنازلهم عن حقهم فيها له ولعثمان تركوا المجال مفتوحًا أمام الاثنين، فلم يبق إلا هو وعثمان، وهذا إجماع من أهل الشورى على أنه لولا عثمان لكانت لعلي، وبعد موت عثمان، وقد قدمه ورجحه أهل دار الهجرة صار مستحقًا للخلافة، على أنه لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ الموجودين في ذلك الحين أحق بالخلافة منه -رضي الله عنه- فهو من السابقين والمهاجرين الأولين، وابن عمّ رسول الله، وصهره، بالإضافة إلى ذلك له من القدرة والكفاءة ما لا ينكر، وله من الشجاعة والإقدام والذكاء والعقلية القضائية النادرة، والحزم في المواقف، والصلابة في الحق، وبعد نظره في تصريف الأمور، فكل هذه العوامل تجعله بلا منازع المرشح الوحيد لإمامة المسلمين في تلك الفترة الحساسة من حياتهم[5]، ومع هذا كله فإن خلافته صحت بعدما انعقد إجماع المهاجرين والأنصار عليه ومبايعتهم له.

(١) العواصم من القواصم ص (١٤٨، ١٤٩).

(٢) استشهاد عثمان ص (١٤١).

(٣) فتح الباري (١٣/ ٣٨).

(٤) استشهاد عثمان، ص (١٤١)، المصنف لابن أبي شيبة (١١/ ١١٨)، ورجاله رجال الصحيح عدا عمر بن جاوان مقبول وصححه ابن حجر في فتح الباري (٣٤/ ١٣-٥٧).

(٥) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢/ ٩١، ٩٢).

رابعًا: انعقاد الإجماع على خلافة على رضى الله عنه:

انعقد إجماع أهل السنة والجماعة على أن عليًا رضى الله عنه كان متعينًا للخلافة بعد عثمان رضى الله عنه لبيعة المهاجرين والأنصار له، لما رأوا لفضله على من بقى من الصحابة، وأنه أقدمهم إسلامًا، وأوفرهم علمًا، وأقربهم بالنبى ﷺ نسبًا، وأشجعهم نفسًا، وأحبهم إلى الله ورسوله، وأكثرهم مناقب وأفضلهم سوابق، وأرفعهم درجة وأشرفهم منزلة، وأشبههم برسول الله ﷺ هديًا وسمتًا، فكان رضى الله عنه متعينًا للخلافة دون غيره، وقد قام من بقى من أصحاب النبى ﷺ بالمدينة بعقد البيعة له بالخلافة بالإجماع، فكان حينئذ إمامًا حقًا وجب على سائر الناس طاعته وحرم الخروج عليه ومخالفته، وقد نقل الإجماع على خلافته كثير من أهل العلم منهم:

١- نقل محمد بن سعد إجماع من له قدم صدق وسابقة فى الدين ممن بقى من أصحاب النبى ﷺ بالمدينة على بيعة على رضى الله عنه حيث قال: وبويع لعلى بن أبى طالب رحمه الله بالمدينة الغد من يوم قتل عثمان بالخلافة، بايعه طلحة والزبير، وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعمار بن ياسر، وأسامة بن زيد، وسهل ابن حنيف، وأبو أيوب الأنصارى، ومحمد بن مسلمة، وزيد بن ثابت، وخزيمة بن ثابت وجميع من كان بالمدينة من أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم[1].

٢- وذكر ابن قدامة رحمه الله، أن الإمام أحمد، رحمه الله، روى بإسناده عن عبد الرزاق عن محمد بن راشد عن عوف قال: كنت عند الحسن فكأن رجلاً انتقص أبا موسى باتباعه عليًا، فغضب الحسن ثم قال: سبحان الله قتل أمير المؤمنين عثمان فاجتمع الناس على خيرهم فبايعوه أفَلُام أبو موسى باتباعه[2].

٣- وقال أبو الحسن الأشعرى: ونثبت إمامة على بعد عثمان، رضى الله عنه، بعقد من عقد له من الصحابة من أهل الحل والعقد لأنه لم يدع أحد من أهل الشورى غيره فى وقته، وقد اجتمع على فضله وعدله، وأن امتناعه عن دعوى الأمر لنفسه فى وقت الخلفاء قبله كان حقًا لعلمه أن ذلك وقت قيامه، ثم لما صار الأمر إليه أظهر وأعلن، ولم يقصر

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ٣١).

(٢) منهاج القاصدين فى فضل الخلفاء الراشدين: ص (٧٧، ٧٨) نقلا عن عقيدة أهل السنة فى الصحابة (٢/ ٦٨٩).

حتى مضى على السداد والرشاد، كما مضى من قبله من الخلفاء وأئمة العدل على السداد والرشاد؛ متبعين لكتاب ربهم وسنة نبيهم هؤلاء الأربعة المجمع على عدلهم وفضلهم رضى الله عنهم[1].

٤- **وقال أبو نعيم الأصبهاني:** فلما اختلف الصحابة كان على الذين سبقوا إلى الهجرة والسابقة والنصرة والغيرة فى الإسلام الذين اتفقت الأمة على تقديمهم لفضلهم فى أمر دينهم ودنياهم، لا يتنازعون فيهم ولا يختلفون فيمن أولى بالأمر من الجماعة الذين شهد لهم رسول الله بالجنة فى العشرة ممن توفى وهو عنهم راض، فسلم من بقى من العشرة الأمر لعلى رضى الله عنه ولم ينكر أنه من أكمل الأمة ذكرًا وأرفعهم قدرًا، لقديم سابقته وتقدمه فى الفضل والعلم، وشهوده المشاهد الكريمة، يحبه الله ورسوله، ويحب الله ورسوله، ويحبه المؤمنون ويبغضه المنافقون، لم يضع منه تقديم من تقدمه من أصحاب رسول الله ﷺ بل ازداد به ارتفاعًا لمعرفته بفضل من قدمه على نفسه؛ إذ كان ذلك موجودًا فى الأنبياء والرسل عليهم السلام، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ إلى قوله ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، فلم يكن تفضيل بعضهم على بعض بالذى يضع ممن هو دونه، فكل الرسل صفوة الله -عز وجل- وخيرته من خلقه، فتولى علىّ أمر المسلمين عادلاً زاهدًا آخذًا فى سيره بمنهاج الرسول -عليه الصلاة والسلام- وأصحابه رضى الله عنهم حتى قبضه الله عز وجل -شهيدًا هاديًا مهديًا، سلك بهم السبيل المستبين والصراط المستقيم[2].

٥- **وقال أبو منصور البغدادى:** أجمع أهل الحق والعدل على صحة إمامة على رضى الله عنه وقت انتصابه لها بعد قتل عثمان رضى الله عنه[3].

٦- **وقال الزهرى:** وكان قد وفى بعهد عثمان حتى قتل، وكان أفضل من بقى من الصحابة، فلم يكن أحد أحق بالخلافة منه، ثم لم يستبد بها مع كونه أحق الناس بها حتى جرت له بيعة، وبايعه مع سائر الناس من بقى من أصحاب الشورى[4].

٧- **وقال عبد الله الجوينى:** وأما عمر وعثمان وعلى -رضوان الله عليهم- فسبيل إثبات إمامتهم وإجماعهم لشرائط الإمامة كسبيل إثبات إمامة أبى بكر، ومرجع كل قاطع فى

(١) الإبانة عن أصول الديانة، ص (٧٨)، مقالات الإسلاميين (١/ ٣٤٦).
(٢) كتاب الإمامة والرد على الرافضة، ص (٣٦٠، ٣٦١).
(٣) كتاب أصول الدين، ص (٢٨٦، ٢٨٧). (٤) الاعتقاد، ص (١٩٣).

الإمامة إلى الخبر المتواتر والإجماع.. ولا اكتراث بقول من يقول: لم يحصل إجماع على إمامة على رضى الله عنه، فإن الإمامة لم تجحد له وإنما هاجت الفتن لأمور أخر[1].

٨- وقال أبو عبد الله بن بطة:كانت بيعة على -رحمه الله- بيعة اجتماع ورحمة، لم يدع إلى نفسه، ولم يجبرهم على بيعته بسيفه، ولم يغلبهم بعشيرته، ولقد شرف الخلافة بنفسه، وزانها بشرفه، وكساها حلة البهاء بعدله ورفعها بعلو قدره، ولقد أباها فأجبروه، وتقاعس عنها فأكرهوه[2].

٩- وقال الغزالي:وقد أجمعوا على تقديم أبي بكر، ثم نص أبو بكر على عمر، ثم أجمعوا بعده على عثمان، ثم على على رضى الله عنهم، وليس يظن منهم الخيانة فى دين الله -تعالى- لغرض من الأغراض، وكان إجماعهم على ذلك من أحسن ما يستدل به على مراتبهم فى الفضل، ومن هنا اعتقد أهل السنة هذا الترتيب فى الفضل، ثم بحثوا عن الأخبار فوجدوا فيها ما عرف مستند الصحابة وأهل الإجماع فى هذا الترتيب[3].

١٠- قال أبو بكر بن العربي:فلما قضى الله من أمره ما قضى، ومضى فى قدره ما مضى علم أن الحق لا يترك الناس سدى، وأن الخلق بعده مفتقرون إلى خليفة مفروض عليهم النظر فيه، ولم يكن بعد الثلاثة كالرابع قدرًا وعلمًا وتقى ودينًا، فانعقدت له البيعة، ولولا الإسراع بعقد البيعة لعلى لجرى على من بها من الأوباش مالا يرقع خرقة، ولكن عزم عليه المهاجرون والأنصار، ورأى ذلك فرضًا عليه فانقاد إليه[4].

١١- وقال ابن تيمية:واتفق أصحاب رسول الله ﷺ على بيعة عثمان بعد عمر، وثبت عن النبى ﷺ أنه قال: **«عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»**[5].

فكان أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه آخر الخلفاء الراشدين المهديين، وقد اتفق عامة أهل السنة من العلماء والعباد والأمراء والأجناد على أن يقولوا: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم على[6].

---

(١) كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد، ص (٣٦٢، ٣٦٣) يقصد القصاص من قتلة عثمان.
(٢) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ٣٤٦)، عقيدة أهل السنة (٢/ ٦٩٢).
(٣) الاقتصاد فى الاعتقاد، ص (١٥٤).
(٤) العواصم من القواصم، ص(١٤٢).
(٥) سنن أبى داود (٤/ ٢٠١)، الترمذى (٥/ ٤٤) حسن صحيح.
(٦) الوصية الكبرى، ص (٢٣).

١٢- وقال ابن حجر: وكانت بيعة علـى بالخلافة عقب قتل عثـمان فى أوائل ذى الحجة سنة خمس وثلاثين، فبايعه المهاجرون والأنصـار وكل من حضر، وكتب بيعته إلى الآفاق، فأذعنوا كلهم إلا معاوية فى أهل الشام فكان بينهما بعد ما كان[1]، والذى نستفيده من هذا النقول المتقدمة للإجماع أن خلافة على رضى الله عنه محل إجـماع على أحقيتها وصحتها فى وقت زمانها، وذلك بعد قتل عثمان - رضى الله عنه - حيث لم يبق على الأرض أحق بها منه رضى الله عنه، فقد جاءته رضى الله عنه على قدر فى وقتها ومحلها[2].

وقد اعترض بعض الناس على الإجماع على خلافة على رضى الله عنه من وجوه:

١- تخلف عنه من الصحـابة جماعة منهم سعـد بن أبى وقاص، ومحمـد بن مسلمة، وابن عمر وأسامة بن زيد وسواهم من نظرائهم[3].

٢- إنما بايعوه على أن يقتل قتلة عثمان[4].

٣- أن أهل الشام؛ معاوية ومن معه لم يبايعوه بل قاتلوه[5].

وهذه الاعتراضات لا تأثير لها على الإجمـاع المذكور، ولا توجب معارضته وذلك أنها مردودة من وجوه:

الوجه الأول: أن دعوى أن جماعة من الصحابة تخلفوا عن بيعـته دعوة غير صحيحة إذ أن بيعتـه لم يتخلف أحد عنها، وأما نصـرته فتخلف عنها قوم منهم من ذُكـر لأنها كانت مسـألة اجتـهادية، فاجـتهد كل واحـد وأعمل نظره وأصـاب قدره[6]، وأما مـا قاله ابن خلدون: إن الناس كانوا عند مقتل عـثمان مفترقين فى الأمصار، فلم يـشهدوا بيعة على، والذين شهدوا فمنهم من بايع ومنهم من توقف حتى يجتمع الناس ويتفقوا على إمام كسعد وسعيد وابن عمر. . إلخ[7]، ما ذكر فهذا مبالغـة من ابن خلدون رحمه الله، أما سعد بن أبى وقاص فقد نقل بيعتـه ابن سعد، وابن حبان، والذهبى[8] وغيرهم، وكذلك البقية قد بايعـوا كما ذكـرنا الإجمـاع فى ذلك فيـمن حضـر من الصحـابة فى المدينة، على أن ابن

(١) فتح البارى (٧/ ٧٢).

(٢) عقيدة أهل السنة والجماعة فى الصحابة (٢/ ٦٩٣).

(٣) العواصم من القواصم ص ١٤٦ - ١٤٧.

(٤) المصدر السابق ص ١٤٥.

(٥) عقيدة أهل السنة والجماعة فى الصحابة (٢/ ٦٩٥).

(٦) التمهيد للباقلانى ص ٢٣٣ - ٢٣٤، العواصم من القواصم ص ١٤٧.

(٧) المقدمة ص ٢١٤.

(٨) الطبقات (٣/ ٣١)، الثقات (٢/ ٢٦٨) دول الإسلام (١/ ١٤)، عبدالله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة فى صدر الإسلام ص ١٧١، ١٧٢.

خلدون نفسه نقل اتفاق أهل العصر الثانى من بعد الصحابة فى المدينة على انعقاد بيعة على ولزومها للمسلمين أجمعين، وقد نقلت ما قاله ابن خلدون لأن كثيرًا من الكتاب والباحثين اعتمدوا عليه فيما بعد .

الوجه الثانى: أن عقد الخلافة ونصب إمام واجب لابد منه، ووقف ذلك على حضور جميع الأمة واتفاقهم مستحيل متعذر، فلا يجوز اشتراطه لإفضاء ذلك إلى انتفاء الواجب ووقوع الفساد اللازم من انتفائه(١).

الوجه الثالث: أن الإجماع حصل على بيعة أبى بكر بمبايعة الفاروق وأبى عبيدة ومن حضرهم من الأنصار مع غيبة على وعثمان وغيرهما من الصحابة، وكذلك حصل الإجماع على خلافة على بمبايعة سعد بن أبى وقاص وابن عمر وأسامة بن زيد وعمار ومن حضرهم من البدريين وغيرهم من الصحابة، ولا يضر هذا الإجماع من غاب عن البيعة أو لم يبايع من غيرهم رضى الله عنهم جميعًا، قال الحسن البصرى: والله ما كانت بيعة على إلا كبيعة أبى بكر وعمر رضى الله عنهم(٢).

الوجه الرابع: دعوى أنه إنما بويع على أن يقتل قتلة عثمان: هذا لا يصح فى شرط البيعة وإنما يبايعونه على الحكم بالحق، وهو أن يحضر الطالب للدم، ويحضر المطلوب وتقع الدعوى، ويكون الجواب، وتقوم البينة ويقع الحكم(٣) بعد ذلك. وأما الروايات التى تزعم أن طلحة والزبير وبعض الصحابة، رضوان الله عليهم، قد اشترطوا فى بيعتهم لعلى إقامة الحدود، فهذا الخبر على ضعف سنده فإن فى متنه مقالا(٤)، وفى ذلك يقول ابن العربى: فإن قيل بايعوه على أن يقتل قتلة عثمان، قلنا: هذا لا يصح فى شرط البيعة(٥).

الوجه الخامس: أن معاوية - رضى الله عنه - لم يقاتل عليًا على الخلافة ولم ينكر إمامته وإنما كان يقاتل من أجل إقامة الحد الشرعى على الذين اشتركوا فى قتل عثمان مع ظنه أنه مصيب فى اجتهاده ولكنه كان مخطئا فى اجتهاده ذلك، فله أجر الاجتهاد فقط(٦). وقد ثبت بالروايات الصحيحة أن خلافه مع على - رضى الله عنه - كان فى قتل قتلة عثمان ولم ينازعه فى الخلافة، بل كان يقر له بذلك، فعن أبى مسلم الخولانى أنه جاء

(١) منهاج القاصدين فى فضل الخلفاء الراشدين، ص (٧٦، ٧٧) نقلا عن عقيدة أهل السنة.
(٢)، (٣) عقيدة أهل السنة فى الصحابة (٢/ ٦٩٦).
(٤) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٥٩، ٤٦٠).
(٥) العواصم من القواصم، ص (١٥٠).
(٦) عقيدة أهل السنة فى الصحابة (٢/ ٦٩٦).

وأناس معه إلى معاوية وقالوا: أنت تنازع عليًا، هل أنت مثله؟ فقال: لا والله، إنى لأعلم أنه أفضل منى، وأحق بالأمر منـى، ولكن ألستم تعلمون أن عثمـان قُتل مظلومًا، وأنا ابن عمه والطالب بدمه فأتوه فقولوا له: فليدفع إلىَّ قـتلة عثمان وأسلم له، فأتوا عليًا فكلموه فلم يدفعهم إليه[1]، ويروى ابن كثير من طرق ابن ديزيل بسنده إلى أبى الدرداء وأبى أمامة - رضى الله عنهـما -: أنهمـا دخلا على مـعاوية فـقالا له: يا مـعاوية علام تقـاتل هذا الرجل؟ فوالله إنه أقدم منك ومن أبيك إسلامًا، وأقرب منك إلى رسول اللهﷺ وأحق بهذا الأمر منك، فقال: أقاتله على دم عثمان، وإنه آوى قتلته، فاذهبا إليه فقولا له: فليقدنا من قتلة عثمان، ثم أنا أول من أبايعه من أهل الشام[2].

والروايات فى هذا كثيرة ومـشهورة بين العلماء[3]، وهى دالة على عدم منازعة معاوية لعلى - رضى الله عنهمـا - فى الخلافة. ولهـذا نص المحققـون من أهل العلم على هذه المسألة وقرروها[4]، يقول إمـام الحرمين الجوينى: إن مـعاوية وإن قاتل عليًـا فإنه لا ينكر إمـامتـه، ولا يدعيـها لنفـسه، وإنما كـان يطلب قـتلة عثـمان ظنًا منه أنه مـصيب وكـان مخطئًا[5]، ويقول ابن حجـر الهيثمى: ومن اعتـقاد أهل السنة والجماعـة أن ما جرى بين على ومعاوية - رضى الله عنهـما - من الحروب فلم يكن لمنازعة معـاوية لعلى فى الخلافة للإجماع على أحقيتها لعلى كما مر، فلم تهج الفتنة بسببها، وإنما هاجت بسبب أن معاوية ومن معه طلبوا من على تسليم قتلة عثمـان إليهم، لكون معاوية ابن عمه فامتنع على[6]، وسوف نبين موقف على رضى الله عنه من عدم تسليم قـتلة عثمان فى حينه، وإنما الشاهد هنا هو إثبات عـدم مبايعـة معاوية ليس اعـتراضًا على شـخص على. ويقول ابن تيمـية: ومعاوية لم يدع الخلافة، ولم يبايع له بها حين قاتل عليًا، ولم يقاتل على أنه خليفة، ولا أنه يستحق الخلافة ويقرون له بذلك، وقد كان معاوية يقر بذلك لمن سأله عنه. . وكل فرقة من المتشيعين[7] مقرة مع ذلك بأنه ليس مـعاوية كفئًا لعلى بالخـلافة، ولا يجوز أن يكون

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٦٥)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٤٧).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٧٠)، الانتصار للصحب والآل، ص (٢٣٩).

(٣) البداية والنهاية لابن كـثير (٧/ ٢٦٨ - ٢٧٠) وقد جمع هذه الروايات الدكـتور محمد أمحـزون فى كتابه: تحقيق مواقف الصحابة فى الفتنة (٢/ ١٤٦ - ١٥٠).

(٤) الانتصار للصحب والآل، ص (٢٣٩). (٥) لمعة الأدلة فى عقائد أهل السنة والجماعة، ص (١١٥).

(٦) الصواعق المحرقة نقلا عن الانتصار للصحب والآل، ص (٢٣٩).

(٧) أى المتشيعين لعـثمان أو على -رضى الله عنهما- وقد كان المطالبون بدم عثـمان -رضى الله عنه- قد انضموا إلى معاوية وما كانوا يفضلونه على على - رضى الله عنه.

خليفة مع إمكان استخلاف على -رضى الله عنه-، فإن فضل على وسابقته وعلمه ودينه وشجاعته وسائر فضائله كانت عندهم ظاهرة معروفة[(١)]، فثبت بهذا أنه لم ينازع عليًا - رضى الله عنه- أحد فى الخلافة، لا من الذين خالفوه، ولا من غيرهم[(٢)]، فهذه الأقوال عن هؤلاء العلماء كلها فى بيان عقيدة أهل السنة والجماعة فى ترتيب الخلافة الراشدة، فلابد من الذود عنها والتبشير وتربية الأجيال عليها، والاعتزاز والافتخار فى الانتساب إليها.

خامسًا: شروط أمير المؤمنين على رضى الله عنه فى بيعته وأول خطبة خطبها رضى الله عنه:

جاء فى بعض الروايات أن أمير المؤمنين عليًا رضى الله عنه اشترط فى بيعته أمورًا منها، أن تكون البيعة فى ملأ وليس فى خفية، وفى المسجد، وعن رضا المسلمين، وأنه يدير أمرهم كما يراه ويعلمه، فوافقوه وتواعدوا صباح اليوم التالى فى المسجد للبيعة[(٣)]، وكان يومًا حافلاً وحاسمًا، فقد خرج أمير المؤمنين وقد لبس ملابسه كاملة.. ثم بعد الحمد والثناء على الله بين للناس المحاولات التى بذلت معه وقال: إنى كنت كارهًا لأمركم، فأبيتم إلا أن أكون عليكم، ألا وإنه ليس لى أمر دونكم، ألا إن مفاتيح مالكم معى، ألا وأنه ليس لى أن آخذ منه درهما دونكم[(٤)]، ثم قال: ياأيها الناس: إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم، وقد افترقنا بالأمس على أمر، فإن شئتم قعدت لكم، وإلا فلا أجد على أحد، ثم رفع صوته قائلا: رضيتم؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد عليهم، وأقبل الناس يبايعونه[(٥)]، وبعد أداء البيعة قال أمير المؤمنين: أيها الناس: إنكم بايعتمونى على ما بايعتم عليه أصحابى، فإذا بايعتمونى فلا خيار لكم علىَّ، وعلى الإمام الاستقامة وعلى الرعية التسليم، وهذه بيعة عامة.. إلخ[(٦)]، ومما مضى دروس وعبر وفوائد منها:

١- **مبدأ الشورى:** إن البيعة للخليفة الرابع على رضى الله عنه لم تختلف من حيث مبدأ الشورى عن مثيلتها السابقة بالرغم من الأزمة التى ألمت بالأمة، والأحوال المدلهمة والمشكلات المتتابعة، فلم تتم البيعة على أساس عشائرى، أو أسرى، أو قبلى، أو على أساس عهد ووصية من رسول الله ﷺ ولو وجد شىء من هذا القبيل لما حصل هذا الحوار

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٧٢، ٧٣). (٢) الانتصار للصحب والآل، ص (٢٤١).

(٣) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٤٨)، دراسات فى عهد النبوة، ص (٢٨١).

(٤)، (٥) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٤٩). (٦) دراسات فى عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص (٢٨٢).

الطويل، ولما رفض أمير المؤمنين، ولكان أول من يطالب بحقه. بينما كان الناس هم الذين يدفعونه إلى البيعة دفعًا ويلحون عليه في الطلب إلحاحًا، وهو يروغ منهم متخلصًا لعله يحدث ما يمنعه من ذلك إلى أن قبل على كره منه، ولم يطالبوه بهذا على أساس وصية من رسول الله له- ولو وجدوا شيئا من ذلك لما ترددوا في تنفيذه - ولا على أساس أنه من عبد مناف، أو لأنه من قريش فحسب، بل لأنه من السابقين ومن العشرة المبشرين بالجنة، ولأنه الثاني بعد عثمان في اختيار الناس لهما عند تطبيق عملية الشورى بعد مقتل عمر بن الخطاب، فكان عبد الرحمن بن عوف لا يشير عليه أحد بتنصيب عثمان خليفة بعد عمر إلا سأله لو لم يكن عثمان موجودًا فمن تختار؟ فيقول: علي رضي الله عنه[1].

٢- أهل الحل والعقد في عهد أمير المؤمنين علي: كان أهل الحل والعقد عند استخلاف أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم بقية العشرة المبشرين ورؤساء بطون الأوس والخزرج، وكان هؤلاء من أهل المدينة، لأنهم هم السابقون الراسخون في العلم والإيمان[2]، وكان علي رضي الله عنه يرى أن أمر اختيار الخلافة لمن كان باقيا في المدينة من المهاجرين والأنصار وأهل الحل والعقد من أهل بدر، وأصحاب الشورى، إلا أن الحسن بن علي، رضي الله عنه، كان يرى ضرورة مراعاة الأمور المستجدة في تركيبة المجتمع الإسلامي، وقد بدا ذلك في هذا الحوار بين الحسن بن علي وأبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، قال الحسن: قد أمرتك فعصيتني فتقتل غدًا بمضيعة لا ناصر لك، فقال علي: إنك ما زلت تحن حنين الجارية، وما الذي أمرتني فعصيتك؟ قال: أمرتك يوم أحيط بعثمان، رضي الله عنه، أن تخرج من المدينة فيُقتل ولست بها، ثم أمرتك يوم قتل ألا تبايع حتى يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر[3]. .وكان جواب علي رضي الله عنه: وأما قولك لا تبايع حتى تأتي بيعة الأمصار فإن الأمر أمر أهل المدينة وكرهنا أن يضيع هذا الأمر[4]، على أن عليًا رضي الله عنه، كان يرى أن البيعة تجوز في غير أهل المدينة من المهاجرين والأنصار، ولكنه كان يكره أن يتحول ذلك عنهم إلى غيرهم، أو أن يشركهم فيه غيرهم تقًى وورعًا أن يُحدث بعد رسول الله ﷺ وخلفائه شيئًا يبتعد به عن نهجهم وسبيلهم، أو أنه كان يرى أن الوقت ما زال مبكرًا على إشراك غير المهاجرين والأنصار في أمور اختيار الحاكم المسلم، ولذلك فإنه كان يكره أن يضيع هذا الأمر من المهاجرين

(١) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص (٢٨٢).

(٢) الخلافة بين التنظير والتطبيق، محمود المرادوي، ص (٢٨٨).

(٣)، (٤) البداية والنهاية (٧/ ٢٤٥).

والأنصار[1]، والدليل على ذلك أنه رضى الله عنه عرض عليه أهل الكوفة بيعة الحسن قال: لا أنهاكم ولا آمركم، وهذا فيه تجويز لغير أهل المدينة فى اختيار الحاكم.

ونستفيد من الحوار الذى حدث بين الحسن بن على وأبيه رضى الله عنهما أموراً منها:

أ- احترام الرأى فى النقاش من الجانبين.

ب- لطف المعاملة من أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه لولده.

جـ- صراحة الولد مع والده وإبداء كل ما يراه صوابًا فى موضوع النقاش.

د- حسن الاستماع للطرف الثانى، حيث استمع أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه، من ابنه الحسن جميع ما عنده من الحجج.

هـ- تفنيد الحجج واحدة بعد الأخرى تفنيدًا علميًا[2].

٣- الحرص على أن لا يظل منصب الخليفة شاغراً:

لقد عزم المهاجرون والأنصار بالمدينة على علىٍّ رضى الله عنه أن يقبل الخلافة رغمًا عنه، تداركًا لخطر فساد أمر الأمة واختلاف الناس، فقبل وحرص على زحزحة الغوغاء خطوة أخرى إلى الوراء، بأن اشترط أن تكون البيعة له علانية فى المسجد، وبذلك يظل أهل الحل والعقد هم الذين يعقدون الإمامة، أما العامة فموضعهم هو: البيعة العلنية العامة[3]، وحرص على تأكيد هذا المبدأ من فوق المنبر، بقوله: أيها الناس إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم[4].

٤- الرد على بعض الكتب المعاصرة التى تحدثت عن بيعة على رضى الله عنه: يقول العقاد - وهو يتكلم عن اختيار الخليفة بعد مقتل عثمان -: وهذا الخبر - على وجازته - قد حصر لنا أسماء جميع المرشحين للخلافة بالمدينة بعد مقتل عثمان، وربما كان أشدهم طلبًا لها طلحة والزبير اللذين أعلنا الحرب على علىّ بعد ذلك، فقد كانا يمهدان لها فى حياة عثمان، ويحسبان أن قريشًا قد أجمعت أمرها ألا يتولاها هاشمى، وأن عليًا وشيك أن يذاد عنها بعد عثمان كما ذيد عنها قبله، وكانت السيدة عائشة تؤثر أن تؤول الخلافة إلى واحد

(١) الخلافة بين التنظير والتطبيق، ص (٢٩٣، ٢٩٤).

(٢) منهج على بن أبى طالب فى الدعوة إلى الله، ص (٤٢٧، ٤٢٨).

(٣) الدور السياسى للصفوة فى صدر الإسلام، السيد عمر، ص (٧٢).

(٤) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٤٩).

من هذين، أو إلى عبد الله بن الزبير، لأن طلحة من قبيلة تيم، والزبير زوج أختها أسماء، وفى تأييد السيدة عائشة لواحد منهم مدعاة أمل كبير فى النجاح[١].

وقال فى موضع آخر: فمما لا شك فيه أن الإمام أنكر إجحافًا أصابه فى تخطيه بالبيعة إلى غيره بعد وفاة ابن عمه صلوات الله عليه، وأنه كان يرى أن قرابته من النبى مزية ترشحه للخلافة بعده، لأنها فرع من النبوة على اعتقاده، وهم شجرة النبوة ومحط الرسالة، كما قال[٢].

وقال: فمن المعلوم أن عليًا كان يرى أنه أحق بالخلافة من سابقيه، وأنه لم يزل مدفوعا عن حقه هذا منذ انتقل النبى عليه السلام إلى الرفيق الأعلى[٣]، وغير ذلك من الطامات والأكاذيب والإفك المبين التى تورط فيها العقاد بسبب الروايات الموضوعة، وسار على منهجه خالد محمد خالد فى كتابه خلفاء الرسول ونقل عن على كلامًا مفترى، ذكر فيه أن أبا بكر وعمر قد اغتصبا الخلافة من على[٤]، وجانب الصواب خالد البيطار فى كتابه على ابن أبى طالب، عندما علق على موقف السيدة فاطمة من ميراث أبيها[٥]، وموقف على من خلافة أبى بكر، وهذا مثال لفيلق طويل لا ينتهى خاض هذه المعمعة وخبط فيها والتى تدعى أن عليًا -رضى الله عنه- ذيد عن الخلافة بعد عثمان كما ذيد عنها قبله، وأن الصحابة كانوا يتآمرون لنيل الخلافة بدافع العصبية ضد بنى هاشم، أو لمطامع دنيوية، وأن عليا أنكر إجحافًا أصابه فى تخطيه بالبيعة إلى غيره بعد وفاة النبى ﷺ، وأنه كان يرى أنه أحق بالخلافة من سابقيه، وأن النبى ﷺ مهّد لخلافته وحببه للناس بما أمَّره حينًا واستخلفه حينًا آخر، وأن ليس ثمة علاقة حميمة بين الإمام وبين الصحابة، وأنه غفر للشيخين تعديهما عليه بأخذ الخلافة، وأنه بايع الصدّيق بعد وفاة فاطمة، وكل هذا بهتان وزور، وكذب وافتراء، يأباه الحق والعدل والإنصاف، وينكره التاريخ الصحيح، ويكذبه الكلام الصريح الذى صدر عن على نفسه الذى سبق ذكره، فقد اعترف على بأفضلية الخلفاء، حينما كان هو الخليفة، فكان يعلن ذلك على المنبر ويتوعد من يفضله عليهم بالعقاب، وهذا ثابت بالأسانيد الصحيحة، وكان لهم ناصرًا ومعينًا، وعلاقته بهم وطيدة وشيجة لا تؤثر فى رسوخها العواصف الهوج[٦] التى يثيرها من تورط فى الروايات الضعيفة والأخبار

(١) عبقرية على، ص (٨٤).
(٢) المصدر نفسه، ص (١٤٨).
(٣) المصدر نفسه، ص (١٨١).
(٤) خلفاء الرسول، ص (٥٢٦، ٥٢٧).
(٥) على بن أبى طالب: خالد البيطار، ص (٨٤).
(٦) المصدر نفسه، ص (١٣٠).

الموضوعة من الكتاب الذين ذكرنا بعض نقولهم على سبيل المثال لا الحصر، والسبب الذى أسقطهم فى هذه الهوة هو جهلهم بمنهج أهل السنة والجماعة فى كتابة التاريخ، وبعدهم عن التمييز بين المصادر الصحيحة والمصادر الساقطة، وعدم تفريقهم بين الروايات الصحيحة والروايات الضعيفة والموضوعة والاعتماد على الموضوعات فى تحليلاتهم.

٥- أول خطبة خطبها على رضى الله عنه: قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه فى أول خطبة خطبها حين تولى الخلافة: إن الله عز وجل أنزل كتابًا هاديًا، بيَّن فيه الخير والشر، فخذوا بالخير ودعوا الشر، الفرائض أدوها إلى الله (سبحانه) يؤدِّكم إلى الجنة، إن الله حرَّم حُرَمًا غير مجهولة وفضَّل حرمة المسلم على الحُرم كلها، وشدّ بالإخلاص والتوحيد المسلمين، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق، لا يحل أذى المسلم إلا بما يحب، بادروا أمر العامة. . . . ، فإن الناس أمامكم وأن من خلفكم الساعة تحدوكم، تخففوا تلحقوا، فإنما ينتظر الناس أخراهمْ، اتقوا الله فى عباده وبلاده، إنكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله عز وجل ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشر فدعوه ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ﴾[١] [الأنفال: ٢٦].

ولما كانت بيعة على جاءت بعد فتنة عمياء ذهب ضحيتها خليفة المسلمين السابق، فقد دعا المسلمين إلى الخير ونبذ الشرّ، وبين لهم أن حرمة المسلم فوق كل الحرمات، فلا يجوز أذاه فى حال من الأحوال، ثم ذكرهم بالموت والآخرة وحثهم على التقوى والطاعة والعمل الصالح[٢].

وقد جاءت محاور الخطبة حول جانب العقيدة، والعبادة، والأخلاق، واهتمت ببعض مقاصد الشريعة، ولو شئنا أن نلخص خطته التى يريد أن يرسمها للناس لقلنا: يريد أن يقول لهم: ارجعوا إلى العهد الذى كنتم عليه أيام رسول الله[٣]، والخلفاء الراشدين الذين سبقوه، وقد أشار أمير المؤمنين فى حكمه وبلاغه إلى النهج الذى سيقبلون به عهد الخلافة الجديد بقوله: إذا رأيتم الخير فخذوا به، وإذا رأيتم الشر فدعوه.

وختم بالآية الكريمة التى كانوا فى حاجة إلى استحضارها، ليقارنوا بها بين ما كانوا عليه قبل الإسلام وبعد الإسلام - إلى أمد بعيد - من القلة والضعف والضَّعة والخمول حتى كانوا كقطعة لحم على كف يتخطفها الطير، ثم ما صاروا إليه من القوة والسعة والأمن

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٥٨، ٤٥٩).
(٢) الأدب الإسلامى، نايف معروف، ص (٥٧).
(٣) الخلفاء الراشدون للنجار، ص (٣٧٨).

والسَّلام، والرخاء والثراء، وما أكرمهم به عليهم من النِعَم فطنّت حصاتهم وخفقت راياتهم ودانَ لهم العباد والبلاد[1].

٦- الترادف بين ألفاظ: الإمام والخليفة وأمير المؤمنين: قال النووى: يجوز أن يقال للإمام: الخليفة والإمام وأمير المؤمنين[2]، وقال ابن خلدون: وإذ قد بيَّنا حقيقة هذا المنصب وأنه نيابة عن صاحب الشريعة فى حفظ الدين وسياسة الدنيا، به تسمى خلافة وإمامة، والقائم به خليفة وإمام[3]، ويعرف ابن منظور الخلافة بأنها الإمارة[4]، ويفسر أبو زهرة الترادف بين لفظى الخلافة وهى الإمامة الكبرى وسميت خلافة لأن الذى يتولاها ويكون الحاكم الأعظم للمسلمين يخلف النبى ﷺ فى إدارة شئونهم، وتسمى إمامة، لأن الخليفة كان يسمى إمامًا، ولأن طاعته واجبة، ولأن الناس كانوا يسيرون وراءه كما يصلون وراء من يؤمهم[5]، كما فسر الأستاذ محمد المبارك سبب اختيار هذه الألفاظ، الإمام والخليفة وأمير المؤمنين بأنه: ابتعاداً بالمفهوم الإسلامى للدولة ورياستها عن النظام الملكى بمفهومه القديم عند الأمم الأخرى من الفرس والرومان المختلف اختلافًا أساسيًا عن المفهوم الإسلامى الجديد[6]، هذا وقد كان الخلفاء الأُول يُلقبون بالخلفاء كما يلقبون بالأئمة، ومنذ خلافة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - استعمل المسلمون لقب «أمير المؤمنين».

ولقد ورد لفظ «إمام» فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع بمعنى الزعيم أو الدليل أو الرئيس، قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، أى جاعلك قدوة يؤتم به[7]، وقال تعالى: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان ٧٤]، أى يقتدون بنا فى أمر الدين، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء:٧١]، أى بمن ائتموا به من نبى أو مقدم فى الدين، وقيل: بكتاب أعمالهم التى قدموها[8]، وورد لفظ الإمام فى مواطن كثيرة من السنة النبوية منها قول رسول الله ﷺ: «من بايع إمامًا، فأعطاه صفقة يده، وثمرة قلبه، فليعطه إن استطاع، فإن جاء آخر

(١) المرتضى للندوى، ص (١٤٠، ١٤١).
(٢) روضة الطالبين (١٠/ ٤٩).
(٣) المقدمة، ص (١٩٠).
(٤) لسان العرب (٩/ ٨٣).
(٥) تايخ المذاهب لأبى زهرة، ص (٢١).
(٦) نظام الإسلام (الحكم والدولة)، ص (٦١).
(٧) نظام الحكم فى الإسلام، عارف خليل، ص (٨٠).
(٨) المصدر نفسه، ص (٨١).

ينازعه فاضربوا عنق الآخر»[١]، وقوله ﷺ: **«تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»**[٢]، وقوله: **«سبعة يظلهم فى ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل...»**[٣].

ومن الملاحظ أن لفظ الإمامة يغلب استعماله عند أهل السنة فى مباحثهم العقدية والفقهية بينما يغلب استعمالهم لفظ (الخلافة) فى كتاباتهم التاريخية، ولعل السبب فى ذلك يعود إلى أن هذه المباحث -خاصة العقدية- قد كتبت للرد على المبتدعة فى هذا الباب كالشيعة الروافض والخوارج[٤]، فالشيعة الروافض يستخدمون لفظ الإمام دون الخلافة ويعتبرونها أحد أركان الإيمان عندهم، ويفرقون بين الإمامة والخلافة، فهم يعتبرون الإمامة رئاسة دين، والخلافة رئاسة دولة[٥]. ويريدون من ذلك إثبات أن عليًا رضى الله عنه كان إمامًا زمن خلافة الثلاثة الذين سبقوه[٦]، وقال ابن خلدون: إن الشيعة خصوا عليًا باسم الإمام نعتًا له بالإمامة التى هى أخت الخلافة، وتعريضًا بمذهبهم فى أنه أحق بإمامة الصلاة من أبى بكر[٧].

إن هذه الألقاب: الخليفة، الإمام، أمير المؤمنين، ليست من الأمور التعبدية، وإنما هى مصطلحات وجدت بعد وفاة الرسول ﷺ، واصطلح الناس عليها، وقد أطلق المسلمون غير هذه الألقاب فى وقت لاحق كلقب الأمير، كما كان الحال فى الأندلس، وكذلك لقب السلطان، كما تسمى بذلك الحكام فى الدولة الإسلامية، بلقب من هذه الألقاب، إذ إن المهم فى هذا المجال أن يكون المسلمون ورئيسهم خاضعين للتشريع الإسلامى عقيدة وشريعة، بغض النظر عن الألقاب التى يمكن أن تطلق على هذا الرئيس، سواء كان لقبه الخليفة أم أمير المؤمنين أم رئيس الدولة أم رئيس الجمهورية، فيمكن إطلاق أحد هذه الألقاب أو غيرها، وهذا يرجع إلى ما يتعارف عليه الناس، وإن كان الأفضل الالتزام بالألقاب السابقة، لما لها من مفهوم سياسى متميز عن المفاهيم المختلفة عند الأمم الأخرى، ولما لها من معان دوت عبر التاريخ على أنها رمز للحضارة الإسلامية[٨].

٧- أيهما أصح عند ذكر أمير المؤمنين على: هل نقول رضى الله عنه أم كرم الله وجهه أم عليه السلام؟ إن الأصل عند ذكر الصحابة الترضى عنهم جميعًا، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى (١٢/ ٢٣٣).
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى (١٢/ ٢٣٧).
(٣) فتح البارى (٣/ ٢٩٣).
(٤) الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة للدميجى، ص (٣٦).
(٥)، (٦) المصدر نفسه، ص (٣٦).
(٧) نظام الحكم، عارف خليل، ص (٨١).
(٨) المصدر نفسه، ص (٨٢).

الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾[الفتح: ١٨] لذلك اصطلح أهل السنة على الترضى على كل صحابى يجرى ذكره أو يروى عنه حديث، فيُقال مثلا: عن أبى بكر -رضى الله عنه- ولم يستعمل السلام -فيما أعلم- عند ذكر أحد منهم، مع أن السلام تحية المسلمين فيما بينهم، كما تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً﴾ [النور: ٦١]، على هذا فالترضى أفضل من السلام، قال تعالى ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢]، وأخبر النبى ﷺ أن الله تعالى يقول لأهل الجنة: «أُحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم أبدًا»[١]، ولكن اصطلح العلماء على أن السلام يختص بالأنبياء لقوله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٨١]، ولقوله: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ [مريم: ١٥]، ولما ورد فى حق على «أنت منى بمنزلة هارون من موسى»[٢]، أخذ الغلاة كالرافضة يستعملون فى حق أمير المؤمنين على: عليه السلام، أو كرم الله وجهه، ولا شك أنه أهل لذلك، لكن يشركه فى ذلك جميع الصحابة[٣]، وقد وقع هذا فى عبارة كثير من النساخ للكتب ومن بعض علماء أهل السنة أن يفرد على -رضى الله عنه- بأن يقال: عليه السلام من دون سائر الصحابة، أو كرم الله وجهه، وهذا وإن كان معناه صحيحًا لكن ينبغى أن يساوى بين الصحابة فى ذلك[٤].

(١) مشكاة المصابيح للبغوى (٣/ ٨٨).
(٢) البخارى رقم (٤٠٤٢).
(٣) فتاوى فى التوحيد، عبدالله بن جبرين، ص (٣٧).
(٤) الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية، ص (٢٦) فى الحاشية من تعليق المحقق أحمد التويجرى.

المبحث الثاني

شيء من فضائله وأهم صفاته وقواعد نظام حكمه

قال الإمام أحمد، وإسماعيل القاضي، والنسائي، وأبو علي النيسابوري: لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء في علي[1]، وقال الحافظ ابن حجر: وكان السبب في ذلك أنه تأخر، أي آخر الخلفاء الراشدين، ووقع الاختلاف في زمانه وخرج من خرج عليه، فكان ذلك سببًا لانتشار مناقبه من كثرة من كان يبينها من الصحابة ردًا على من خالفه، فاحتاج أهل السنة إلى بث فضائله، فكثر الناقل لذلك، وإلا فالذين في نفس الأمر أن لكل من الأربعة من الفضائل، إذا حرر بميزان العدل لا يخرج عن قول أهل السنة والجماعة أصلاً[2]، وقال ابن كثير: من فضائله أنه أقرب العشرة المشهود لهم بالجنة إلى رسول الله ﷺ نسبًا[3]، وقد ذكرت كثيرًا من فضائله فيما مضى من البحث كل في موضعه، وإتمامًا للفائدة نشير إلى مزيد من الفضائل لعلي رضي الله عنه منها:

*عن زر رضي الله عنه قال: قال علي: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إليّ: «أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق»[4].

*عن أبي إسحاق: سأل رجل البراء وأنا أسمع قال: أشهد علي بدرًا؟ قال: بارز وظاهر[5].

*عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة فقال رسول الله ﷺ «اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»[6].

*قال سعيد بن زيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، ولو شئت أن أسمي العاشر»[7].

---

(١) فتح الباري (٧/ ٧١).

(٢) المراد ترتيبهم في الفضل وهو حسب ترتيبهم في الخلافة، فتح الباري (٧/ ٧١).

(٣) البداية والنهاية (١١/ ٢٩). (٤) الصحيح المسند في فضائل الصحابة، ص(١١١).

(٥) ظاهر: أي لبس درعًا على درع، الصحيح المسند، ص(١١٢).

(٦)، (٧) الصحيح المسند في فضائل الصحابة، ص(١١٧).

* قالت أم سلمة رضى الله عنها: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سب عليًا فقد سبنى» (١).

* جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن عثمان، فذكر محاسن عمله، قال: لعلَّ ذلك يسوؤك؟ قال: نعم. . قال: فأرغم الله بأنفك، ثم سأله عن على فذكر محاسن عمله قال: هو ذاك، بيته أوسط بيوت النبى ﷺ ثم قال: لعلَّ ذاك يسوؤك؟ قال: أجل! قال فأرغم الله بأنفك، انطلق فاجهد على جهدك(٢).

هذه بعض الفضائل الثابتة لعلى رضى الله عنه، وأما صفاته رضى الله عنه، فقد كان له صفات القائد الربانى المضحى فى سبيل الله وكتابه وسنة نبيه، ونجملها فى أمور ونركز على بعضها بالتفصيل، فمن أهم هذه الصفات، سلامة المعتقد، والعلم الشرعى، والثقة بالله، والقدوة، والصدق، والكفاءة والشجاعة، والمروءة، والزهد، وحب التضحية، وحسن اختياره لمعاونيه، والتواضع والحلم والصبر، وعلو الهمة والحزم والإرادة القوية، والعدل، والقدرة على التعليم وإعداد القادة، وغير ذلك من الصفات التى ظهرت للباحث في الفترة المكية فى صحبته للنبى ﷺ وفى العهد المدنى فى غزواته مع رسول الله ﷺ وحياته فى المجتمع، وظهر البعض الآخر لما تسلم قيادة الدولة الراشدية وأصبح أمير المؤمنين رضى الله عنه، ومن أهم هذه الصفات:

أولا: العلم والفقه فى الدين:

كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه من علماء الصحابة الكبار، وقد تميز رضى الله عنه بجده فى التحصيل، والتحرى فى قبول العلم، والسؤال فى طلبه، واستخدام وسائل ضبط العلوم فى زمنه، من كتابة، وتعهد، ولزوم النبى ﷺ، حيث يقول رضى الله عنه فى جمعه للقرآن الكريم: آليت بيمين ألا أرتدى بردائى إلا إلى الصلاة حتى أجمع القرآن(٣)، وقال: ما دخل نوم عينى، ولا غمض رأسى على عهد رسول الله ﷺ حتى علمت ذلك اليوم ما نزل به جبريل، عليه السلام، من حلال أو سنة، أو كتاب، أو أمر، أو نهى، وفيمن نزل(٤)، وكان رضى الله عنه يتلقى النص من رسول الله ﷺ مباشرة، ولكن عندما يبلغه الحديث من غيره فإنه شديد التحرى فى قبوله، خشية أن يَنسب لرسول الله ﷺ قولاً لم

(١) الصحيح المسند، ص(١٢١). (٢) المصدر السابق، ص(١٤٠).
(٣) الطبقات (٢/ ٣٣٨).
(٤) مسند الإمام زيد، ص(٣٤٣) نقلا عن منهج على بن أبى طالب فى الدعوة.

يقله، ومما يدل على هذا المنهج قوله ﷺ: كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله حديثًا نفعنى الله منه بما شاء أن ينفعنى، وإذا حدثنى أحد من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لى صدقته، قال: وحدثنى أبو بكر- وصدق أبو بكر- رضى الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد يذنب ذنبًا فيحسن الطهور، ثم يقوم فيصلى ركعتين، ثم يستغفر الله إلا غفر الله له» ثم قرأ هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ [آل عمران: ١٣٥] إلى آخر الآية»[١] نعم، على بن أبى طالب رضى الله عنه يستحلف أصحاب رسول الله ﷺ وهم الثقات العدول، ما هذا إلا دليل على شدة تحريه فى تلقى الحديث الذى يلقاه من غير رسول الله[٢]، وكان رضى الله عنه صاحب لسان سئول وقلب عقول، فقد قال: .. إن ربى وهب لى قلبًا عقولاً ولسانًا سئولاً[٣]، وعلل رضى الله عنه كثرة علمه بطلبه إياه من رسول الله ﷺ بالسؤال، بقوله: كنت إذا سألت أعطيت، وإذا سكت ابتديت[٤]، وعندما يكون عائق الحياء بينه وبين رسول الله ﷺ يتغلب عليه بطلب من أحد الصحابة بسؤال رسول الله، فعن محمد ابن الحنفية قال: قال على: كنت رجلاً مذاء[٥]، فاستحييت أن أسأل رسول الله ﷺ فأمرت المقداد بن الأسود فسأله فقال: فيه الوضوء[٦]، وكان رضى الله عنه يحذر الناس من ترك العلم بسبب الحياء، فقد قال: ولا يستحى أحدكم إذا لم يعلم أن يتعلم[٧]، ولا يستحى جاهل أن يسأل عما لا يعلم، وكان أمير المؤمنين على رضى الله عنه من بين القلة من المسلمين الذين كانوا يعرفون الكتابة فى صدر الإسلام، وفوق هذا فقد كان من كتاب الوحى لرسول الله ﷺ وقد ساعدته هذه المهارة فى القراءة والكتابة على التبحر فى العلوم الشرعية، وكان رضى الله عنه يرى أن تكون كتابة النصوص بخط بيِّن مع التفريج بين السطور، والتقريب بين الحروف، فعن أبى عثمان عمرو بن بحر بن الجاحظ، قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب: الخط علامة، فكلما كان أبين كان أحسن[٨]، وقد أمر كاتبه عبيد الله بن أبى رافع بقوله: ألف دواتك وأطل سن قلمك، وأفرج بين السطور، وقرمط[٩] بين الحروف[١٠]. وعن أبى حكيمة

---

(١) صحيح سنن الترمذى (١/ ١٢٨)، مشكاة المصابيح (١/ ٤١٦).

(٢) منهج على بن أبى طالب فى الدعوة، ص(٥٢).

(٣) الطبقات (٢/ ٣٣٨)، الحلية(١/ ٦٧).

(٤) فضائل الصحابة (٢/ ٦٤٧) إسناده صحيح.

(٥) أى كثير المذى وهو ما يخرج عند الملاعبة.

(٦) مسلم ك (١/ ٢٤٧).

(٧) مصنف ابن أبى شيبة (١٣/ ٢٨٤).

(٨) الجامع لأخلاق الراوى(١/ ٢٦٢).

(٩) قرمط بين الحروف: أى قرب بينها.

(١٠) الجامع لأخلاق الراوى(١/ ٢٦٢).

العبـدى قال: كنا نكتب المصاحف بالـكوفة، فيمـر علينا على ونحن نكتب فيـقول: أجِلّ قلمك[١]، قال: فقططت منه، ثم كتبت فقال: هكذا نوروا ما نور الله[٢]، وكان رضى الله عنه يتعـهد ما تعلمه بالعـمل وتطبيقه، وكان من أحـرص الناس على تطبيق ما سـمعه من رسول الله ﷺ ، ولو كان ذلك فى أصـعب الظروف، كما مر مـعنا فى تعليم رسول الله له وللسيدة فاطمـة رضى الله عنهما الأذكار، فقد قـال أمير المؤمنين: ما تركته منذ سـمعته من النبى ﷺ ، قيل له: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين[٣]، وقد أشار أمير المؤمنين على رضى الله عنه إلى ضـبط النص بالعـمل به بقوله: تعلمـوا العلم تعـرفوا به، واعـملوا به تكونوا من أهله[٤]، وكان يرى أن العالم لا يسمى عالمًا إلا إذا كان عاملاً بعلمه، لذا يقول مخاطبًا حـملة العلم: يا حملة العلم، اعملوا به فإن العـالم من عمل بما علم ووافق علمه عَمَلَه[٥]، وقال رضى الله عنه: هتف العلم بالعـمل فإن أجاب وإلا ارتحل[٦]، وكان على رضى الله عنه من المكثرين من الفتيا فى أصحاب رسول الله، قال ابن القيم: الذين حفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله مائة ونيف وثلاثون نفسًا، ما بين رجل وامرأة، وكان المكثرون مـنهم سبعـة: عمـر بن الخطاب، وعلى بن أبى طالب، وعبـد الله بن مسـعود، وعائشة أم المؤمنين، وزيد بن ثابـت، وعبد الله بن عباس، وعبـد الله بن عمر[٧]، وقد عد ابن حزم عليًا رضى الله عنه فى المرتبة الثالثـة من بين الصحابة، رضى الله عنهم، فى كثرة الفتيا، وسيأتى الحديث بإذن الله تعالى عن المسائل القضائيـة، وكثير من اجتهاداته الفقهية، عند حديثنا عن المؤسسة القضائية، وكان رضى الله عنه يحث على التزاور والمدارسة، حيث يقول: تزاوروا وتدارسوا الحديث، ولا تتركوه يدرس[٨]، وفى رواية: تزاوروا وتحدثوا، فإن لم تفعلوا فإنه يدرس[٩]، وكان أميـر المؤمنين على رضى الله عنه يحث على لزوم الشيخ، والحرص على الأخذ منه، ويقول: ولا تشبع من طول صحبته، فإنما هو كالنخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شىء[١٠]، وقد تهيأ لعلى بن أبـى طالب رضى الله عنه، ملازمة رسول الله ﷺ صغيرًا حين تربى فى حـجره، وكبيرًا حينما كان صـهره ووالد سبطيه، فكان بذلك قريبًا من رسول الله، يأخذ عنه ويتعلم منه، وقد شهدت السيدة عائشة لعلى بلزومه لرسول الله ﷺ ، فعن المقـدام بن شريح، عن أبيه قال: سـألت عائشة فقلت: أخـبرينى برجل من

(١) أى عظم قلمك، وهو كناية عن تكبير الخط.
(٢) الجامع لأخلاق الراوى (١/ ٢٦٠).
(٣) مسلم (٤/ ٢٠٩١، ٢٠٩٢).
(٤) البداية والنهاية (٨/ ٦).
(٥) بيان العلم وفضله، ص (٢٨٥).
(٦) منهج على بن أبى طالب، ص ٦٣.
(٧) أعلام الموقعين.
(٨) الجامع لأخلاق الراوى (١/ ٢٣٦).
(٩) شرف أصحاب الحديث للبغدادى، ص(٩٣).
(١٠) تذكرة السامع، ص(١٠٠).

أصحاب النبى ﷺ أسأله عن المسح على الخفين، فقالت: ائت عليًا فسله، فإنه كان يلزم النبى ﷺ، قال: فأتيت عليًا فسألته، فقال: أمرنا رسول الله ﷺ بالمسح على خفافنا إذا سافرنا[1]، وكان رضى الله عنه يرى الانتقاء فى العلوم فقد قال: العلم أكثر من أن يحفظ، فخذوا من كل علم محاسنه[2]، وقد وصل من العلم مرتبة جعلته يقول للناس وهو فى العراق: سلونى، فعن سعيد بن المسيب رضى الله عنه قال: ما كان أحد من الناس يقول: سلونى غير على بن أبى طالب[3] رضى الله عنه، وقد وثق الناس بعلمه سواء الصحابة أو التابعون، فعن ابن عباس، رضى الله عنه، قال: إذا أتانا الثبت عن على لم نعدل به[4]، وعنه أيضا قال: إذا حدثنا ثقة عن على بفتيا لا نعدوها[5]، وعن سويد بن غفلة أنه جاءه رجل يسأله عن فريضة رجل ترك ابنته وامرأته، قال: أنا أنبئك قضاء على قال: حسبى قضاء على، قال: قضى على لامرأته الثمن، ولابنته النصف، ثم رد البقية على ابنته[6]، وقد أثنى الناس عليه فى علمه، فعن عائشة رضى الله عنها قالت: أما إنه أعلم الناس بالسنة[7]، وكان معاوية رضى الله عنه يكتب فيما ينزل به ليسأل له على بن أبى طالب رضى الله عنه عن ذلك، فلما بلغه قتله، قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبى طالب[8]، وعن الحسن بن على، أنه خطب الناس بعد وفاة على رضى الله عنه فقال: لقد فارقكم رجل أمس، ما سبقه الأولون بعلم، ولا أدركه الآخرون[9]، وعن عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة- وقد سئل عن على- فقال: كان لله والله ما شاء من ضرس قاطع السطة[10] فى النسب، وقرابته من رسول الله ومصاهرته، والسابقة فى الإسلام، والعلم بالقرآن والفقه بالسنة، والنجدة فى الحرب، والجود فى الماعون[11]، وعن مسروق قال: انتهى علم أصحاب رسول الله إلى عمر، وعلى، وابن مسعود، وعبد الله رضى الله عنهم[12].

وقد ترك أمير المؤمنين رضى الله عنه نصائح وإرشادات لطلاب العلم والعلماء والفقهاء تستحق أن تحفظ ويعمل بها، ومن هذه النصائح:

(١) مسند أحمد (٢/ ١٩٥) إسناده صحيح، تحقيق أحمد شاكر.
(٢) تاريخ اليعقوبى (٢/ ٥).
(٣) الاستيعاب، ص(١١٠٣).
(٤) المصدر السابق، ص(١١٠٤).
(٥) الطبقات (٢/ ٣٣٨).
(٦) سنن الدارمى (٢/ ٣٧٥).
(٧) الاستيعاب، ص(١١٠٤).
(٨) المصدر السابق، ص(١١٠٨).
(٩) فضائل الصحابة (٢/ ٥٩٥) إسناده صحيح.
(١٠) السطة: التوسط، والوسط فى النسب هو أكرمه وأشرفه.
(١١) ذخائر العقبى للمحب الطبرى، ص(٧٩).
(١٢) تاريخ السيوطى، ص(١٩٦).

١- الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق: روى الحافظ أبو نعيم عن كميل بن زياد قال: أخذ على بن أبى طالب رضى الله بيدى فأخرجنى إلى ناحية الجبّان- يعنى الصحراء- فلما أصحرنا جلس ثم تنفس ثم قال: يا كميل بن زياد، القلوب أوعية فخيرها أوعاها للعلم، احفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة: عالم ربانى، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق[١]. إن هذه الوصية البليغة قد اشتملت على دور المواعظ وغُرر الحكم، فقد قسم أمير المؤمنين على رضى الله عنه الناس إلى ثلاثة أقسام:

(أ) العلماء الربانيون: والمقصود بالعلماء علماء الدين، والربانيون الذين يجمعون بين الفقه والحكمة كما جاء فى تفسير ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى: ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ [آل عمران:٧٩]، قال: حكماء فقهاء، أخرجه الإمام البخارى،وبذلك فسره عبدالله بن مسعود، رضى الله عنه[٢]،فالذين يجمعون بين الحكمة والفقه هم المؤهلون لتربية الأمة وتوجيهها، لأن الحكمة وضع الشيء فى موضعه المناسب ومن ذلك التوفيق إلى تطبيق الحكم الشرعى على واقع الناس، وذلك يقتضى فهما دقيقًا لواقع المجتمع الإسلامى، ومن الحكمة القيام بتربية الأمة بهذا الدين، وذلك يقتضى الجمع بين تعليم الدين والتربية علي التقوى ومكارم الأخلاق، وأما الفقه فهو فهم الأحكام الدينية من مصادرها الشرعية، ولذلك كان العلماء الربانيون هم أفضل الأمة، لأنهم جمعوا بين فضيلتين هما: تلقى العلم، والتعليم مع التربية،فهم المؤهلون لتربية الأمة وتوجيهها[٣]، وقد عرف أمير المؤمنين على رضى الله عنه الربانيين بأنهم هم الذين يغذون الناس بالحكمة ويربونهم عليها[٤].

(ب) طلاب العلم الذين أخلصوا نياتهم فى طلب العلم: ليكون وسيلة إلى نجاتهم من المسئولية أمام الله تعالى، وقد عبر على رضى الله عنه عن هذا القسم بقوله: ومتعلم على سبيل نجاة، وهذا لا يختص بالدارسين الذين تفرغوا لطلب العلم، وإنما يشمل كل من حمل مسئولية تطبيق هذا الدين، وأهمه أمر نجاته فى الآخرة، فاستفتى فى أمور دينه العلماء الربانيين، ليعبد الله على بصيرة، وليستقيم فى معاملته مع الناس على منهج الله، فهذا يعتبر من المتعلمين على سبيل نجاة وإن لم يجلس فى حلقات العلم[٥]. إن أمير

(١) حلية الأولياء (١/ ٧٥)، صفة الصفوة (١/ ٣٢٩).
(٢)، (٣) التاريخ الإسلامى للحميدى (١١، ١٢/ ٤٣٨).
(٤) الفتاوى (١/ ٤٩).
(٥) التاريخ الإسلامى للحميدى (١١، ١٢/ ٤٣٨).

المؤمنين علي- رضي الله عنه- يرينا أهمية إخلاص النية لله في طلب العلم، ويدعوهم لتقديم ما عند الله والدار الآخرة على حطام الدنيا وشهوات النفس والدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله ودين الحق والصبر على ذلك.

(ج) الذين هجروا العلم الديني ولم يكن لهم ارتباط بالعلماء الربانيين في معرفة أمور دينهم، وقد عبر عنهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بقوله: وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم.

تحدث أمير المؤمنين عن صنف الهمج الرعاع أتباع كل ناعق، الذين يميلون مع كل ريح وليس لهم نور يستضيئون به، وحذر من هذا الصنف الإمعي، وكأنه رضي الله عنه يدعو الناس بأن يكون همهم الحق والثبات عليه، وبأن يعمروا الدنيا والآخرة بطاعة الله وأن يستضيئوا بنور الله ويجعلوا الدنيا مطية للآخرة.

٢- المقارنة بين العلم والمال: وجاء في وصية أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لكميل بن زياد.. العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو مع العمل، والمال تنقصه النفقة، العلم حاكم، والمال محكوم عليه، وصنعة المال تزول بزواله ومحبة العالم دين يدان بها، العلم يكسب العالم الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد مماته، مات خزان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة[1]، عقد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه مقارنة بين العلم والمال، باعتبار أن العلم الشرعي هو عماد أهل الآخرة ومعقد عزهم وشرفهم في الدنيا والأخرة، والمقصود بالمال هنا الذي يجمعه صاحبه لذاته ولا يتوجه فيه بالطاعات وفق شرع ربه، وقد سوغ هذا الحكم بعدة أمور:

(أ) أن العلم يحرس صاحبه بينما صاحب المال هو الذي يحرسه، فأما حراسة العلم صاحبه فإن العلم الإلهي يقي صاحبه من المهالك في الدنيا والآخرة، فأما أمر الآخرة فظاهر معلوم، حيث إن هذا العلم يقود صاحبه إلى رضوان الله تعالى والجنة ويجنبه طريق النار، وما أعظمها من مطالب وما أبلغها من مكاسب، وأما الوقاية من مهالك الدنيا فإن السعادة الروحية الحقة لا تكون إلا باليقين الذي تتضاءل أمامه الحياة الدنيا، فتصبح جميع مآسيها ونكباتها بردًا وسلامًا على أصحاب اليقين، لأنهم لا يلقون لها بالاً، ولا يعيرونها اهتمامًا، بينما تتحول هذه المآسي والنكبات إلى حياة جحيمية على أهل الدنيا الذين يعتبرون الحياة الدنيا هي رأس المال والمكسب، وأما حراسة صاحب المال ماله فأمرها ظاهر، فكم تململ

(١) حلية الأولياء (١/ ٧٥)، صفة الصفوة (١/ ٣٢٩).

أصحابها من الهم والخوف عليها تململ المريض، وباتوا يحرسون أموالهم بالهم والقلق والحزن المنهك[1]. والعلم ينور بصيرة صاحبه في الاختيار الأفضل وفي استخلاص العبر من الأمم الماضية والعيش بها في الحياة، والعلم يفتح آفاقًا واسعة في فقه الخلاف، ومعرفة المصالح والمفاسد، والمقاصد، وترتيب الأولويات فيسير صاحبه بنور بين الناس.

(ب) أن العلم ينمو ويترسخ بالعمل،لأن العمل تطبيق للعلم، فهو بذلك يزيده عمقًا في الذاكرة، بخلاف المال فإن الإنفاق منه ينقصه، ولا يغيبنَّ عن البال أن المقصود هنا أموال أهل الدنيا التي ينفقون منها من أجل الدنيا، أما أموال أهل الآخرة فإنها محكومة بالعمل الشرعي، فالإنفاق منها يزيدها نموًا كما جاء في قول الرسول ﷺ «ما نقص مال عبد من صدقة»[2].

(ج) أن العلم الشرعي حاكم لأنه تنتظم به شئون الحياة،وعلى منهاجه يجب أن تقرر جميع الأنظمة التي تحكم الناس، فهو الحاكم الحقيقي، أما المال فإنه محكوم عليه لأن إصداره وإيراده يخضع للأنظمة الحاكمة سواء كانت شرعية أو غير شرعية[3].

(د) أن العلاقات الاجتماعية التي تقوم على المصالح المالية المشتركة تزول بزوال المال،لأنه هو الذي عقد تلك العلاقات بناء على تبادل المصلحة بوجوده، فإذا زال زالت تلك المصالح، أما العلاقات الأخوية التي تقوم على تبادل العلم الشرعي بين العالم ومحبيه فإنها باقية خالدة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

(هـ) أن العلم الشرعي يكسب صاحبه ولاء المسلمين وطاعتهم لأهله اختيارًا منهم،من غير أن تفرض عليهم هذه الطاعة، وذلك على امتداد حياتهم، كما يكسبهم الذكر الحسن بعد مماتهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، حيث لا يفقد الناس إلا صورهم وأشكالهم. وإننا لو استعرضنا التاريخ إلى عصرنا هذا لوجدنا العلماء من عهد الصحابة، رضي الله عنهم، تتردد أسماؤهم ويذكر التاريخ حياتهم في الكتب والخطب والدروس العلمية، بينما اندرست أسماء كبار أهل الدنيا بانقضاء حياتهم، وأحيانًا يشاهدون انطفاء سمعهم وهم أحياء[4].

(١) التاريخ الإسلامي للحميدي (١٢/ ٤٤٢) (٢)، (٣) المصدر نفسه(١٢/ ٤٤٢).
(٤) المصدر نفسه (١٢/ ٤٤٣).

٣- أن الفقيه كل الفقه الذى لا يقنط الناس من رحمة الله،ولا يؤمنهم من عذاب الله، ولا يرخص لهم فى معاصى الله،ولا يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره، ولا خير فى عبادة لا علم فيها، ولا خير فى علم لا فهم فيه، ولا خير فى قراءة لا تدبر فيها[١].

فى هذا النص يبين أمير المؤمنين على رضى الله عنه أن من الفقه فى الدين التزام صفة الاتزان والاعتدال فى عرض أمور الدنيا ومحاولة إصلاح الناس،وذلك بأن يسير الداعية فى خط وسط بين مقامى الخوف والرجاء، فلا ينطلق فى تخويف الناس إلى الحد الذى يجعلهم يقنطون من رحمة الله،ولا ينطلق فى ترغيب الناس إلى الحد الذى يجعليهم يأمنون من عذاب الله تعالى، ونجد عليًا رضى الله عنه فى هذا النص يبين أن من مظاهر الفقه فى الدين ألا يهون العالم من شأن المعاصى فيجرئ الناس على ارتكابها، وأن يحافظ على مستوى الإيمان والتقوى لدى الناس مع محاولة رفعهم نحو الكمال فى ذلك، كما يبين أن من الفقه أن يحاول العالم ربط المسلمين بكتاب الله تعالى، وهنا يبين على رضى الله عنه أهمية القرآن الكريم وتفضيله المطلق على كل ما سواه، وفيه تبيين أو تعليم للطريقة التى نتعامل بها مع القرآن الكريم، وألا نتجاوزه إلى غيره رغبة عنه لأنه مصدر الهداية الأول، ومن المعلوم أن السنة النبوية بيان تفصيلى للقرآن الكريم، فالتوجيه إلى القرآن يعتبر توجيهًا إلى السنة، ثم يبين أن من أهم شروط العبادة الشرعية المقبولة أن تكون صادرة عن علم بالكتاب والسنة وأن العلم لا يكون نافعًا إلا إذا رافقه الفهم الصحيح.

ويختم وصيته النافعة ببيان أهمية تدبر معانى كتاب الله تعالى حال التلاوة لأن الخير كل الخير فى فهم مقاصد القرآن الكريم للعمل بأحكامه، والتوجه الكامل لله بالقلب والعقل والروح والجوارح عند قراءتنا لكتابه، وبذل كل ما نستطيع لفهم مراد الله والعمل بأوامره واجتناب نواهيه، والتخلص من كل العوائق التى تحول بيننا وبين كتاب الله، فهذا يدعونا للتجرد لله بالكلية وإخلاص الدين له، وتحرى مراد الله ورسوله ودين الحق، ولو أدى إلى مفارقة الأهل والمال والولد والوجاهة الدنيوية، فإن ما عند الله خير وأبقى والاتعاظ بمواعظه وتنمية الإيمان بتذكر معانى هذا الكتاب العظيم[٢].

٤-ما أبردها على الكبد:عن الشعبى عن على رضى الله عنه أنه خرج عليهم وهو يقول: ما أبردها على الكبد فقيل له: وما ذلك؟ قال: أن تقول للشىء لا تعلمه: الله أعلم[٣].

٥- أهل العلم وتعليم الناس:قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه: ما أخذ الله العهد على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يُعَلِّموا[٤].

(١) حلية الأولياء (١/ ٧٧)، صفة الصفوة(١/ ٣٢٥).
(٢) التاريخ الإسلامى (١٢/ ٤٣١ إلى ٤٣٣).
(٣) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٦٦).
(٤) فرائد الكلام، ص(٣٦١).

٦- **الخير فى كثرة العلم لا المال والولد:** قال على رضى الله عنه: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن تباهى الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله، ولا خير فى الدنيا إلا أحد رجلين، رجل أذنب ذنبًا فهو تدارك ذلك بتوبة، أو رجل يسارع فى الخيرات، ولا يقل عمل فى تقوى، وكيف يقل ما يتقبل؟[١].

٧- **العلم والجهل:** قال رضى الله عنه: كفى بالعلم شرفًا أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح به إذا نُسب إليه، وكفى بالجهل ضعة أن يتبرأ منه من هو فيه ويغضب إذا نُسب إليه[٢].

٨- **سبب زهد الناس فى العلم:** قال رضى الله عنه: إنما زهد الناس فى طلب العلم، لما يرون من قلة انتفاع من عَلِمَ بما عَلِم[٣]، وهذا فيه تحذير لعلماء السوء الذين يصدون عن سبيل الله، ودعوة للعلماء بالعمل بعلمهم ودعوة الناس إليه والصبر على أذاهم فى سبيل الله تعالى.

٩- **من حقوق العلماء على أمتهم:** قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه: من حق العالم أن لاتكثر عليه بالسؤال، ولا تعنته بالجواب، ولا تلح عليه إذا كسل، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تفشين له سرًا، ولا تغتابن عنده أحدًا، ولا تطلبن عثرته، وإن زل قبلت معذرته، وعليك أن توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ أمر الله، ولا تجلس أمامه، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته[٤].

١٠- **مكانة العلماء العاملين عند الله:** قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه: من علم وعمل دُعى فى ملكوت السماوات عظيمًا[٥]، وهذه دعوة للعلم والعمل، وحث للسعى للمقامات العالية التى يكرم الله بها من علم وعمل ابتغاء مرضاته سبحانه وتعالى.

١١- **الاشتغال بالعلم أولى من الاشتغال بالعبادات التطوعية:** قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه: العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد، وإذا مات العالم ثلم فى الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف مثله[٦]. وهذا التوجيه فيه دلالة على فقه ترتيب الأولويات عند أمير المؤمنين على، فهو يرى العمل المتعدى لخير الناس، هو العلم الأولى بالتقديم من العمل التعبدى الذى ترجع فائدته على الشخص نفسه.

---

(١) حلية الأولياء، ص(٧٥).
(٢) فرائد الكلام، ص(٣٦٦).
(٣) أدب الدين والدنيا، ص(٨٢، ٨٥).
(٤) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥١٩).
(٥) المصدر نفسه (١/ ٤٩٧).
(٦) المتجر الرابح فى ثواب العمل الصالح للدمياطى، ص(١٣).

هذه بعض التوجيهات النافعة والإرشادات الصالحة من أمير المؤمنين على- رضى الله عنه- لطلاب العلم.

ثانيًا: زهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وورعه:

فهم أمير المؤمنين على بن أبى طالب من خلال معايشته للقرآن الكريم وملازمته للنبى الأمين ﷺ، ومصاحبته للصحابة الكرام، ومن تفكره فى هذه الحياة أن الدنيا دار اختبار وابتلاء، فقد تربى أمير المؤمنين على- رضى الله عنه- على كتاب الله، واستوعب الآيات التى تحدثت عن الدنيا، وأخبرتنا بخستها وقلتها وانقطاعها وسرعة فنائها، والآيات التى رغبت فى الآخرة، وأخبرت بشرفها ودوامها كقوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٥) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٥، ٤٦]، وتربى على يدى النبى ﷺ الذى كان أعرف الخلق بالدنيا ومقدارها، إذ هو القائل ﷺ: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء**»[(1)]، وقال ﷺ: «**ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه فى اليم فلينظر بما ترجع**»[(2)]، وقال ﷺ: «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**»[(3)]، وقد تأثر أمير المؤمنين على- رضى الله عنه- بالتربية القرآنية والنبوية، فكان من أصدق النماذج التى زكتها تربية النبى- عليه الصلاة والسلام- والتى قال الله فيها: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ...﴾ [البقرة: ١٥١]، فقد ضرب لنا أروع الأمثلة فى الزهد، وهذه بعض المواقف المدهشة فى هذا الباب.

١- يا صفراء، ويا بيضاء غُرِّى غيرى: عن على بن ربيعة الوالبى أن على بن أبى طالب جاءه ابن النباح فقال: يا أمير المؤمنين امتلأ بيت مال المسلمين من صفراء وبيضاء، فقال: الله أكبر، فقام متوكئًا على ابن النباح حتى قام على بيت مال المسلمين فقال:

هذا جَنَاىَ خياره فيه ... وكل جَانٍ يده إلى فيه

يا ابن النباح علىَّ بأشياع الكوفة، قال: فنودى فى الناس، فأعطى جميع ما فى بيت مال المسلمين وهو يقول: يا صفراء، ويا بيضاء غرى غيرى، ها،ها، حتى ما بقى منه دينار

(١) سنن الترمذى رقم (٤١١٠) صحيح غريب.
(٢) مسلم رقم (٢٨٥٨).
(٣) مسلم رقم (٢٨٥٦).

ولا درهم، ثم أمره بنضحه وصلى فيه ركعتين، وفي رواية أخرى لأبي نعيم من خبر مجمع التيمي قال: كان علي يكنس بيت المال ويصلي فيه ويتخذه مسجدًا رجاء أن يشهد له يوم القيامة.

ففي هذا مثل بليغ في الترفع عن متاع الدنيا الزائل، فبيت المال قد امتلأ من الذهب والفضة، ولا ينظر إليه أمير المؤمنين علي- رضي الله عنه- نظرة إعجاب وغرور، بل كان جوابه حينما أبلغه المسئول المالي عن ذلك أن قال: «الله أكبر»، فإذا كان بعض الناس يكبرون الدنيا ويعظمونها، فالله تعالى أكبر منها ومن كل شيء، وما دام المسلم يشعر حقا أن الله أكبر، فلماذا يجعل قلبه مستسلمًا لما هو أصغر؟! إنه فقه عظيم من أمير المؤمنين علي- رضي الله عنه- حينما تذكر هوان الدنيا وحقارتها، فكبر الله تعالى، ولسان حاله يؤنب من انخدع بمتاع الدنيا الزائل ونسى أن الله، جل وعلا، أكبر من كل شيء، إنه لميزان دقيق يحسه المؤمن الذي نَوَّر الله، سبحانه، بصيرته، فكلما كان الله تعالى أعظم وأكبر من كل شيء في قلبه كانت الدنيا وما فيها أهون شيء عليه، وأصبح يسخر المال الحلال في طاعة الله جل وعلا، وكلما عظمت الدنيا في قلبه كان ذلك على حساب نقص تعظيمه لله تعالى، ونجد أمير المؤمنين عليا- رضي الله عنه- يحلق في آفاق العظمة وهو يخاطب الدنيا بقوله: يا صفراء يا بيضاء غري غيري.. مما يدل على الوجدان الحي والحس المرهف الذي يصور الدنيا كخصم يخاتل ويراوغ خصمه.. وهو بهذا يعلن انتصاره على جموح النفس وجنوح العواطف، ويحكم عقله الذي يعطي الدنيا حجمها المناسب لزمنها المحدود في شقائها ونعيمها، ويعطي الآخرة حجمها المناسب لخلودها وعظمة نعيمها وهول جحيمها، ونجده- رضي الله عنه- يصل إلى قمة المعالي حينما صلى في بيت المال ركعتين لتكونا شاهدتين له يوم القيامة بأنه عدل في حكمه واستقام في أمره، ولعل في اتخاذ بيت المال مسجدًا رمزًا لعلو الآخرة على الدنيا، وهو مُكَمِّل للسلوك العالي الذي مارسه في تصريف ذلك المال في وجوهه المشروعة[1].

٢- والله ما أرزؤكم من مالكم شيئًا: ومن مواقف أمير المؤمنين علي- رضي الله عنه- في الزهد والورع ما رواه هارون بن عنترة عن أبيه قال: دخلت على عليٍّ بن أبي طالب بالخورنق[2]، وهو يرعد[3] تحت سمل قطيفة[4]، فقلت: يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل

(١) التاريخ الإسلامي (١٢/٤٢٧) للحميدي.
(٢) موضع بالكوفة.
(٣) يرعد: من شدة البرد.
(٤) سمل قطيفة: يعني قطيفة قديمة.

لك ولأهل بيتك فى هذا المال، وأنت تصنع بنفسك مـا تصنع! فقال: والله ما أرزؤكم من مالكم شيئًا، وإنها لقطيفتى التى خرجت بها من منزلى- أو قال من المدينة-(١).

وهنا نتساءل فنقول: ما الذى حمل أمير المؤمنين عليًا على أن يعيش عيشة الفقراء وأن يتحمل البرد القارس وهو قادر على أن يشترى أفخر ما يوجد فى الأرض من الملابس وأكثرها دفئًا؟ إنه مثال للزهد الحقيقى حيث يرغب عن متاع الدنيا مع القدرة على تحصيله، إنه تلميذ المدرسة النبوية التى ربى فيها على الزهد فى متاع الدنيا الزائل، والتنافس على نعيم الآخرة الخالد، فلقد عاش رسول الله ﷺ عيشة الفقراء وهو يستطيع أن يكون كأفضل الأغنياء(٢).

٣- باعنى رضاى وأخذه رضاه: عن أبى مطر عمر بن عبد الله الجهنى قال: رأيت عليًا عليه السلام متزرًا بإزار، مرتديًا برداء ومعه الدرة(٣)، كأنه أعرابى بدوى، ثم ذكر دخوله إلى السوق ومساومته أحد التجار فى ثوب بثلاثة دراهم، وأن التاجر عرفه، قال: فلما عرفه لم يشتر منه شيئًا، فأتى آخر فلما عرفه لم يشتر منه شيئًا، فأتى غلامًا حدثًا فاشترى منه قميصًا بثلاثة دراهم، ثم جاء أبو الغلام فأخبره، فأخذ أبوه درهمًا ثم جاء به فقال: هذا الدرهم يا أمير المؤمنين، قال: ما شأن هذا الدرهم؟ قال: كان ثمن القميص درهمين، فقال باعنى رضاى وأخذ رضاه(٤). فهذا مثل فى الزهد من أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه، فلقد كان مظهره فى لباسه يوحى بأنه رجل أعرابى لخشونة ملابسه، وحينما اشترى له ثوبًا اختار نوعًا متواضعًا رخيص الثمن مع أنه كان آنذاك أعلى مسئول فى العالم، حيث كان خليفة المسلمين، وهذا يدل على تواضعه وزهده فى الدنيا، علمًا أن له حقه من الفيء ومن بيت المال وغيرهما من مصادر الدولة لشخص مفرغ، كخليفة وحاكم، لمراعاة مصالح المسلمين.

ومثل آخر فى الورع والاحتياط للدين حينما امتنع من الشراء ممن يعرفونه حتى لا يراعوه فى الثمن لمنصبه، فهو لا يريد أن يستثمر منصبه الكبير لمصالحه الخاصة، وهذا فهم دقيق لمجالات الورع والتقوى، فالخلافة عنده وعند أمثاله عمل صالح، والخليفة إذا صاحبه العدل كان أول السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم القيامة، فهو لا يريد أن يدنس هذا

---

(١) حلية الأولياء (١/ ٨٢)، صفة الصفوة (١/ ٣١٦).

(٢) التاريخ الإسلامى (١٢/ ٤٢٨).

(٣) الدرة بكسر الدال وتشديدها، العصا.

(٤) الزهد، ص(١٣٠).

العمل الصالح بمصالح دنيوية، فيتحول العمل إلى مجلبة للوزر بدلاً من الأجر، فكان بهذا السلوك العالى قدوة حسنة لمن أتوا بعده(١).

٤- **يخشع القلب ويقتدى به المؤمن:** قال عمر بن قيس: قيل لعلى رضي الله عنه: لم ترقع قميصك؟ قال: يخشع القلب ويقتدى به المؤمن(٢)، فهذا من زهده- رضى الله عنه- وحرصه على تربية المسلمين على حياة الزهد والتقشف، فقد لاحظ فى لبس الثوب المرقوع ملحظين: الأول أنه وسيلة إلى خشوع القلب وتواضع النفس والبعد عن أسباب العجب والكبرياء، والثانى أنه يعتبر بذلك قدوة للمسلمين ، فإذا رآه الناس- وهو فى أعلى منصب- يلبس الثوب المرقع فإن نفوسهم تتواضع ويبتعدون عن التنافس فى شراء الملابس الغالية الثمن، ويتقوى بذلك الزاهدون الذين يتعرضون لملامة الناس على سلوكهم حياة الزهد(٣).

٥- **لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان:** عن عبد الله بن زُرَير الغافقى قال: دخلت على علىٍّ بن أبى طالب- رضى الله عنه- فقرب إلينا خزيرة(٤)، فقلت: أصلحك الله لو قربت إلينا من هذا البط- يعنى الأوز- فإن الله- عز وجل- قد أكثر الخير، فقال: يا ابن زرير إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان، قصعة يأكلها هو وأهله، وقصعة يضعها بين يدى الناس**»(٥)، فهذا أمير المؤمنين على بن أبى طالب- رضى الله عنه- يضرب مثلاً عاليا فى الورع والزهد فى متاع الدنيا الزائل من طعام وشراب، فلقد كان بإمكانه أن يأخذ من بيت المال ما شاء من الأموال مما لا يلفت النظر إليه، حيث يؤمن له معيشة مساوية لأغنياء المسلمين، ولكنه رضى بخشونة العيش إيثارًا للآجلة على العاجلة، واحتياطًا لأمر دينه، وإبرازًا للقدوة الصالحة، لأنه إذا كان أعلى رجل فى الدولة يعيش فى هذا المستوى من العيش فإن فى ذلك عزاء للفقراء ليصبروا ويرضوا بقضاء الله تعالى وقدره، ووعظًا للأغنياء ليشكروا الله تعالى، فيخففوا من اندفاعهم نحو الترف والإسراف(٦).

---

(١) التاريخ الأسلامى (١٢/ ٤٢٩) للحميدى.

(٢) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص(٦٤٧) للذهبى.

(٣) التاريخ الإسلامى (١٢/ ٤٣٠) للحميدى.

(٤) الخزيرة: لحم يقطع ويطبخ بالماء ويذر عليه الدقيق.

(٥) مسند أحمد (١/ ٧٨) إسناده صحيح، قاله أحمد شاكر وهناك من ضعفه.

(٦) التاريخ الإسلامى (١٢/ ٤٣١).

٦- **لا أحب أن يدخل بطنى إلا ما أعلم:** كان أمير المؤمنين على- رضى الله عنه- يختم على الجراب الذى فيه دقيق الشعير الذى يأكل منه ويقول: لا أحب أن يدخل بطنى إلا ما أعلم[(١)]، وقال سفيان: إن عليًا لم يبن آجرة على آجرة، ولا لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة، وإن كان ليؤتى بحبوبه من المدينة فى جراب[(٢)].

٧- **إنك لطيب الريح، حسن اللون، طيب الطعم:** يروى عدى بن ثابت، وحبة بن جوين أنه أتى بطستخوان فالوذج[(٣)] إلى على فلم يأكل، وقال على: إنك لطيب الريح، حسن اللون، طيب الطعم، لكن أكره أن أعوِّد نفسى ما لم تعتده[(٤)].

٨- **أزهد الناس فى الدنيا على بن أبى طالب:** قال الحسن بن صالح بن حى: تذاكروا الزهاد عند عمر بن عبد العزيز، فقال: أزهد الناس فى الدنيا على بن أبى طالب[(٥)]،وقد ذكر الذهبى أن عليًّا ركب حمارًا ودلى برجليه إلى موضع واحد ثم قال: أنا الذى أهنت الدنيا (وفعله هنا من باب التربية العملية على الزهد والتقوى والترفع على الدنيا وليس على سبيل الخيلاء)[(٦)]، وأخرج أبو عبيد فى الأموال عن على- رضى الله عنه- أنه أعطى العطاء فى سنة ثلاث مرات، ثم أتاه مال من أصبهان، فقال: اغدوا إلى عطاء رابع، إنى لست بخازنكم، فأخذها قوم وردها قوم[(٧)]، وخطب على الناس فقال: أيها الناس، والله الذى لا إله إلا هو، ما رزأت من مالكم قليلاً ولا كثيرًا إلا هذه، وأخرج قارورة من كم قميصه فيها طيب، فقال أهدى إلى دهقان، وقال: ثم أتى بيت المال وقال: خذوا، وأنشأ يقول:

أفلح من كانت له قوصرة[(٨)] ... يأكل منها كل يوم تمرة[(٩)]

لقد كان الزهد من الصفات البارزة فى شخصية أمير المؤمنين على بن أبى طالب، رضى الله عنه، وكان زهده مع توافر أسباب الرخاء والثراء، وثقة الناس وتوقيرهم وإجلالهم له الذى يمنع من النقد والحسبة والمؤاخذة[(١٠)]، ولم يكن- رضى الله عنه- مع زهده وورعه وتصلبه فى دينه، على شيء من الفظاظة والخشونة والعبوس والكلح، ولم يكن ثقيل

(١)،(٢) الكامل فى التاريخ (٢/ ٤٤٣).

(٣) الطستخوان: عبارة عن طست كبير يوضع وسط المائدة، والفالوذج: حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل.

(٤) الحلية(١/ ٨١)، صحيح التوثيق، ص(٧٤).

(٥) تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين، ص(٦٤٥).

(٦) تاريخ الإسلام، للذهبى ص،(٦٤٥).

(٧) كنز العمال (٢/ ٣٢٠).

(٨) القوصرة: وعاء من قصب يجعل فيه التمر ونحوه.

(٩) المرتضى للندوى، ص(٢١٢).

(١٠) المصدر نفسه،ص(٢١٠).

الظل، بل كان ودودًا بشوشًا فيه دعابة ملحوظة، وقد جاء في وصفه: كان حسن الوجه، ضحوك السن، خفيف المشى على الأرض[1] وقد عرَّف على- رضى الله عنه- الزهادة فقال: أيها الناس الزهادة، قصر الأمل، والشكر عند النعم والتورع عم المحارم[2]. وقصر الأمل ضد طول الأمل الذى ينسى الإنسان الآخرة، وإما قصره فيجعله يجمع بين الدنيا والآخرة ابتغاء مرضاة الله، وأما الشكر عند النعم فهى صفات المسلم الربانى الذى يستشعر نعم الله عليه المادية والمعنوية، ما ظهر منها وما بطن، ويقابلها بالشكر للعزيز الوهاب، فتعريف أمير المؤمنين يبين حقيقة الزهد، ولا شك أن زهد أمير المؤمنين على- رضى الله عنه- قد أثر فى من حوله، وأصبح مدرسة مؤثرة فى تاريخ الأمة، وقد ربط أبو الحسن الندوى بين الزهد والتجديد فى المجتمع الإسلامى فقال: ولقد رأينا الزهد والتجديد مترافقين فى تاريخ الإسلام، فلا نعرف احدًا ممن قلب التيار، وغير مجرى التاريخ، ونفخ روحًا جديدة فى المجتمع الإسلامى، أو فتح عهدًا جديدًا فى تاريخ الإسلام، وخلف تراثًا خالدًا فى العلم والفكر والدين، وظل قرونًا يؤثر فى الأفكار والآراء ويسيطر على العلم والأدب، إلا وله نزعة فى الزهد، وتغلب على الشهوات، وسيطرة على المادة ورجالها، ولعل السر فى ذلك أن الزهد يكسب الإنسان قوة المقاومة، والاعتداد بالشخصية والعقيدة، والاستهانة برجال المادة، وصرعى الشهوات، وأسرى المعدة[3].

ثالثًا: تواضع أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه:

من الأخلاق القرآنية التى تجسدت فى شخصية أمير المؤمنين على بن أبى طالب- رضى الله عنه- خلق التواضع، قال الله تعالى: ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾ [الإسراء: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٨، ١٩].

وفى آية الإسراء دعوة واضحة إلى التحلى بمكارم الأخلاق من التواضع واللين، ومعرفة قدر النفس، والنهى الصريح عن رعونات النفس من الكبر والبطر والأشر والاحتقار للناس، والأمر بضده وهو التواضع والقصد من الأمور صراحة بعد أن علم بالمفهوم من

(١) المرتضى للندوى، ص (٢١٣).

(٢) على بن أبى طالب، محمد رشيد رضا، ص (٣٠٤).

(٣) رجال الفكر والدعوة فى حديثه عن الإمام أحمد (١/ ١٠٥).

النهى السابق، وذيَّل الله تعالى النهى والأمر بما ذيل به النهى السابق من عدم رضاه وشدة سخطه على من اتصف بتلك الصفات، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان:١٨]، فعدم محبته لمن كان كذلك، يعنى بغضه له، كما دلت عليه الآية السابقة، وفى هذا من الحث على التواضع ما فيه الكفاية للمؤمن(١)، غير أن القرآن الكريم لم يقتصر على ذلك، بل نوه بالمتواضعين أيما تنويه حيث قال الله جل ذكره: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾ [الفرقان:٦٣].

وهذا تنويه عظيم بالمتواضعين حيث وصفهم بالعبودية له، وذلك أعظم تشريف لهم، لأن العبودية له، سبحانه، هى أشرف الأوصاف، ومن أعلى مراتب المحبين، وبذلك يتفاخرون ولذلك يقول الشاعر:

ومما زادنى شرفًا وتيهًا ... وكدت بأخمصى أطأ الثريا
دخولى تحت قولك يا عبادى ... وأن صيرت أحمد لى نبيًا(٢)

وكان نبينا محمد ﷺ فى ذروة الذرا من هذا الخلق العظيم فى كل صوره وأشكاله، ولا غرابة فى ذلك فهو الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه، وكان مما أدبه الله تعالى به فى هذا الخلق قوله سبحانه وتعالى: ﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨] وقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٢١٥]. وخفض الجناح كناية عن التواضع لهم والرفق بهم(٣)، وقد قام النبى ﷺ بذلك حق القيام، وظهر أثر التواضع فى كل أحواله الذاتية والاجتماعية والأسرية، وفى كل زمان ومكان بحيث لا يخلو حال من أحواله ﷺ عن التواضع لله تعالى والمؤمنين(٤)، وقد تأثر أمير المؤمنين على- رضى الله عنه- بالتربية القرآنية الكريمة، والتربية النبوية الرشيدة، فكانت هذه الصفة متجسدة فى شخصيته الفذة، وإليك بعض المواقف:

(أ) **أنا الذى أهنت الدنيا:** عن صالح بن أبى الأسود عمن حدثه أنه رأى عليًا قد ركب حمارًا ودلى رجليه إلى موضع واحد ثم قال: أنا الذى أهنت الدنيا(٥)، وهكذا يشعر أمير المؤمنين على بن أبى طالب- رضى الله عنه- بالفرح لانتصاره على نفسه، وظهوره بمظهر

(١) أخلاق النبى فى القرآن والسنة، أحمد الحداد (١/ ٤٥٤).
(٢) المصدر نفسه (١/ ٤٥٥).
(٣) روح المعانى للألوسى (٥/ ٨٠).
(٤) أخلاق النبى فى القرآن والسنة (١/ ٤٥٩).
(٥) البداية والنهاية (٨/ ٥).

التواضع أمام الناس وهو خليفة المسلمين، إن مناصب الدنيا خداعة غـرارة، وإن فتنة الجاه بها أعظم من فتنة المال، فلطالما رئى أناس مسئولون كانوا متواضعين قبل أن يلوا، فلما تولوا مناصب كبيرة بدأ التعاظم فى نفوسهم شيئًا فشيئًا، حتى يكون من الصعب فى آخر الأمر مخاطبتهم، واللقاء معهم، لكن أولياء الله المتقين كلما ازدادوا رفعة في المناصب الدنيوية زادوا تواضعًا للناس، وشعروا بالسرور وهم يقومون بمظاهر التواضع التى تنفى عنهم صفة التجبر والكبرياء[1].

(ب) **أبو العيال أحق أن يحمل**:روى عن على- رضى الله عنه- أنه أشترى تمرًا بدرهم فحمله فى ملحفة، فقالوا: نحمل عنك يا أمير المؤمنين، قال: لا، أبو العيال أحق أن يحمل[2]،فهذا مثل من تواضعه حيث حمل متاعه بنفسه مع كونه أمير المؤمنين ومع كبر سنه، فلم ير فى ذلك مسوغًا لقبول خدمة الناس له، وهو بهذا يجعل من نفسه قدوة حسنة للمسلمين فى التواضع،فلو نازعت أحد الكبراء نفسه فى تصور العيب من حمل المتاع فإنه بتذكره لموقف أمير المؤمنين على- رضى الله عنه- يزول ما فى نفسه من ذلك،ولو اعترض على أحد المتواضعين معترض فإن له من الاقتداء بأكبر أمير على وجه الأرض ما يرد هذا الاعتراض[3].

(ج) **معاملته لعمه العباس رضى الله عنهما**:عن صهيب مولى العباس، قال: رأيت عليا يقبل يد العباس ورجله ويقول: يا عم، ارض عنى[4]. ولنتأمل ما ورد فى وصف ضرار الطائى لعلى- رضى الله عنه- حيث يقول: يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، كان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له[5].

ومن أقوال أمير المؤمنين فى التواضع: «تواضع المرء يكرمه»[6]، إن العبد كلما رسخ فى العلم بالكتاب والسنة وعمل بهما، وعرف حقيقة نفسه ازداد تواضعًا لله ولخلقه، كما إن علة من أعجب بنفسه من بعض دعاة اليوم إنما هى من قلة العلم والفهم،إضافة إلى انصراف نظر الداعى إلى كثرة من حوله من الأتباع، وغفلته عن النظر إلى ما عند الله،

(١) التاريخ الإسلامى (١٧/ ٦٣) للحميدى.
(٢) الزهد للإمام أحمد، ص(١٣).
(٣) التاريخ الإسلامى (١٧/ ٦٤).
(٤) أصحاب الرسول (١/ ٢٢٤)،السير الذهبى (٢/ ٩٤) إسناده صحيح.
(٥) الاستيعاب (٣/ ١١٠٨).
(٦) منهج أمير المؤمنين على فى الدعوة، ص(٥٢٣).

ثم إلى من فوقه من العلماء الربانيين، وهذا من مداخل الشيطان الخفية على طلاب العلم والمحسوبين على حقل الدعوة، وقد قيل فى منشور الحكم: «إذا علمت فلا تفكر فى كثرة من دونك من الجهال، ولكن انظر إلى من فوقك من العلماء»(١).

ونختم هذه الصفة بقول أمير المؤمنين على: «ما أحسن تواضع الغنى للفقير رغبة فى ثواب الله، وأحسن منه تيه الفقير على الغنى ثقة بالله عز وجل»(٢)، والتيه المقصود به: الاستغناء بالله عما فى أيدى الأغنياء ولا يعنى أبدًا التكبر والغرور.

رابعًا: كرمه وجوده: من الأخلاق القرآنية الكريمة التى تجسدت فى شخصية أمير المؤمنين على بن أبى طالب- رضى الله عنه- خلق الكرم والجود، وقد كان تنويه القرآن الكريم بأهل الكرم عظيمًا، وقد كان هذا التنويه من أول القرآن الكريم حيث يقول سبحانه فى مستهل ثانى سورة بعد البسملة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١-٥].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ۝٢٢ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢-٢٤]، وقد كان رسول الله ﷺ قد بلغ مبلغ الكمال والعظمة فى كافة الأخلاق، ولا سيما خلق الكرم، وقد وصفته خديجة، رضى الله عنها، بقولها: «إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق»(٣)، فهى تصفه بهذه الصفات البالغة العظمة والقدر، والتى كان عليها قبل بعثته ورسالته، ولم يكن قد تحمل أعباء أمته، ولقد أضفت عليه النبوة زيادة كمال وعظمة، فكيف به بعد ذلك كله؟ لا جرم أن كرمه ﷺ بعد ذلك سيكون بالغًا ذروة الذُّرَا فى كرم الأنبياء وسائر البشر، وهو ما دلت عليه الدلائل النقلية الكثيرة(٤)، وقد تأثر أمير المؤمنين على بن أبى طالب بالتربية القرآنية والنبوية، وترك لنا آثارًا بارزة دالة على تأصل خلق الجود والكرم فى شخصيته العظيمة، فقد ذكر الحافظ ابن كثير من خبر الأصبغ بن نباتة:

---

(١) هداية المرشدين، ص(١٠٥) على محفوظ.

(٢) موعظة المؤمنين (٢/ ٣٤٤)، فرائد الكلام، ص(٣٣٩). (٣) السيرة النبوية (١/ ١١٦).

(٤) أخلاق النبى ﷺ فى القرآن والسنة (٢/ ٦٤٨).

أن رجلاً جاء على بن أبى طالب- رضى الله عنه- فقال: يا أمير المؤمنين إن لى إليك حاجة فرفعتها إلى الله تعالى قبل أن أرفعها إليك، فإن قضيتها حمدت الله وشكرتك، وإن لم تقضها حمدت الله وعذرتك، فقال على: اكتب حاجتك على الأرض فإنى أكره أن أرى ذل السؤال فى وجهك، فكتب: إنى محتاج، فقال على: علىَّ بحُلة، فأُتى بها، فأخذها الرجل فلبسها، ثم أنشأ يقول:

كسوتنى حُلة تبلى محاسنها ... فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا

إن نلت حسن ثنائى نلت مكرمة ... ولست أبغى بما قد قلته بدلا

إن الثنا ليحى ذكر صاحبه ... كالغيث يحيى نداه السهل والجبلا

لا تزهد الدهر فى خير تواقعه ... فكل عبد سيجزى بالذى عملا

فقال على:علىَّ بالدنانير، فأُتى بمائة دينار فدفعها إليه، فقال الأصبغ: يا أمير المؤمنين، حلة ومائة دينار قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنزلوا الناس منازلهم»وهذه منزلة هذا الرجل عندى[1]، فهذا موقف جليل لأمير المؤمنين على بن أبى طالب- رضى الله عنه- فى الوقوف عند حاجات المحتاجين والاهتمام بأمورهم ورعاية مشاعرهم، وإن أروع ما فى هذا الخبر قوله:«اكتب حاجتك على الأرض فإنى أكره أن أرى ذل السؤال فى وجهك» فكم يعانى المحتاجون من الذل بين يدى من يعرضون عليهم حوائجهم،وقد يتلعثمون فلا يستطيعون النطق، ولقد كانت مشاعر ذلك المحتاج عظيمة حينما واجهه أمير المؤمنين علىّ بهذه المعاملة السامية، ولقد صاغ هذه المشاعر بالأبيات المذكورة[2]،وقد كان- رضى الله عنه- يفرح بقدوم الضيف، ويكرم إخوانه فى الله ويتفقدهم، فعن أمير المؤمنين على- رضى الله عنه- قال: لم يأتنى ضيف منذ سبعة أيام، أخاف أن يكون الله قد أهاننى[3].

وقال:لعشرون درهمًا أعطيها أخى فى الله أحب إلىَّ من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين[4]، وعندما سُئل عن السخاء، قال:«ما كان منه ابتداء، فأما ما كان من مسألة فحياء وتكرم»[5] وقد جعل فى حياته أوقافًا لله تعالى، حيث جعل أرضه بينبع وقفًا، وكتب فيها كتابًا: «هذا ما أمر به على بن أبى طالب، وقضى فى ماله: إنى تصدقت بينبع

(١) البداية والنهاية (٨/ ٩).

(٢) التاريخ الإسلامى للحميدى (١٧/ ١٢٧).

(٣) فرائد الكلام، ص(٢٠٤)، موعظة المؤمنين (٢/ ٢٥٢).

(٤) موعظة المؤمنين (١/ ١٣٩).

(٥) تاريخ الخلفاء للسيوطى،ص(٢٠٤).

ووادى القرى والأذينة وراعة فى سبيل الله وذى الرحم القريب والبعيد، ولا يوهب ولا يورث، حيًا أنا أو ميتًا»[1]، وقد قال عن صدقته: «لقد رأيتنى وإنى لأربط الحجر على بطنى من الجوع، وإن صدقتى لتبلغ اليوم أربعة آلاف دينار»[2]، ولم يرد بقوله أربعة آلاف دينار زكاة ماله، وإنما أراد الأوقاف التى جعلها صدقة، وكان الحاصل من دخلها صدقة هذا العدد، فإن أمير المؤمنين على -رضى الله عنه- لم يدخر مالاً، ودليل ذلك[3] ما قاله ابنه الحسن بعد مقتله: لقد فارقكم رجل ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم، بقيت من عطائه، أراد أن يبتاع بها خادمًا، يعنى عليًا[4]، رضى الله عنه.

وكان يحث الناس على إكرام العشيرة فيقول: «أكرم عشيرتك، فإنهم جناحك الذى به تطير، وإنك بهم تصول، وبهم تطول، وهم العدة عند الشدة، أكرم كريمهم، وعُدْ سقيمهم، وأشركهم فى أمورك، ويسِّر عن معسرهم»[5].

خامسًا: الحياء من الله تعالى:

الحياء من أجل مكارم الأخلاق، لأنه يدل على طهارة النفس، وحياة الضمير، ويقظة الوازع الدينى ومراقبة الله تعالى، إذ من لم يكن ذا حياء لم يقر الضيف، ولم يف بالوعد، ولم يؤد الأمانة، ولم يقض لأحد حاجة، ولا تحرى الجميل فآثره، والقبيح فتجنبه، ولا ستر عورة، ولا امتنع من فاحشة، وكثير من الناس لولا الحياء الذى فيه لم يؤد شيئًا من الأمور المفترضة عليه، ولم يرع لمخلوق حقًا، ولم يصل له رحمًا، ولا بر له والدًا فإن الباعث على هذه الأفعال إما دينى- وهو رجاء عاقبتها الحميدة- وإما دنيوى علوى وهو حياء فاعلها من الخلق، وقد تبين أنه لولا الحياء- إما من الخالق، وإما من الخلائق- لم يفعلها صاحبها[6]، وعلى حسب حياة القلب تكون قوة خلق الحياء، فكلما كان القلب أحيا كان الحياء أتم، وقلة الحياء من موت القلب والروح[7]، وهو من شعب الإيمان، لأنه يكون باعثًا على أفعال البر، ومانعًا من المعاصى[8]، ولهذا كان من الأخلاق العليا التى كان للقرآن الكريم بها عناية عظيمة[9]، فقد تحدث القرآن الكريم عن الحياء فى الجانب النبوى فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ

(1) تراث الخلفاء الراشدين، ص(517).
(2) أسد الغابة (4/7).
(3) صحيح التوثيق، ص(77).
(4) الطبقات (3/38).
(5) فرائد الكلام، ص(348).
(6) مفتاح دار السعادة (1/277).
(7) مدارج السالكين (2/259).
(8) شرح مسلم للنووى (3/5).
(9) أخلاق النبى فى القرآن الكريم (1/478).

نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، فترى كيف حمله الحياء على عدم مواجهة أصحابه بما كان يرغب فيه من خروجهم، ولم يستطع مشافهتهم بما يراه منهم[(١)]، لانه ﷺ كان أشد حيـاء من العذراء فى خدرها[(٢)]، وقد قال ﷺ: «الحياء لا يأتى إلا بخير»[(٣)]، وقد تجسد هذا الخلق فى شخص أمير المؤمنين على بن أبى طالب، رضى الله عنه، وقد حدثنا عن هذا الخلق فقال: إنى لأستحى من الله أن يكون ذنب أعظم من عفوى، أو جهل أعظم من حلمى، أو عورة لا يواريها سترى، أو خلة لا يسدها جودى[(٤)]. فهذه أربع صفات من النقص قابلها أمير المؤمنين على بن أبى طالب- رضى الله عنه- بأربع صفات من الكمال، فالحياء من الله عز وجل يقتضى من الإنسان أن يتصف بالعفو عند المقدرة، وذلك فيما إذا لم يكن الذنب فيه حد من حدود الله تعالى، وأن يتصف بالعلم الذى يحتوى جهل الجاهلين، وأن يكون ستارًا لعيوب الناس، وأن يتسع كرمه لسد حاجة من احتاج إليه، ومما أعطى هذه الحكم وزنها الراجح أن أمير المؤمنين عليًا -رضى الله عنه- ربطها بالحياء من الله تعالى، فهذه الصفات الأربع تعتبر من صفات الكمال عند العقلاء، وكان كثير من العقلاء يتصف بها لكسب السمعة الدنيوية وسياسة الأمور بكسب الناس ورضاهم،أما أمير المؤمنين على- رضى الله عنه- فإنه ربطها بالحياء من الله تعالى لأن هدفه الأعلى ابتغاء مرضاة الله جل وعلا، ولا شك أن من هذا هدفه سيكون تمثيله لهذه الصفات أقوى بكثير ممن كان هدفه دنيويًا[(٥)].

سادسًا: شدة عبوديته وصبره وإخلاصه لله تعالى:

مارس على- رضى الله عنه- مفهوم العبادة الشامل فى حياته، وتميز بقيامه الليل، وأصبح من أهل التهجد الذين قال الله فيهم: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]، وقال تعالى فيهم: ﴿آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٦- ١٨]، وقال تعالى فيهم: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣، ٦٤].

(١) أخلاق النبى فى القرآن والسنة(١/ ٤٧٨). (٢) مسلم رقم (٢٣٢٠).

(٣) مسلم رقم (٣٧).

(٤) تاريخ دمشق(٤٢/ ٥١٧)، نقلا عن التاريخ الإسلامى للحميدى (٢٠/ ٢٧٤).

(٥) التاريخ الإسلامى للحميدى (٢٠/ ٢٧٥).

وهذا ضرار بن ضميرة الكنانى يصف على بن أبى طالب لمعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهم: كان يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، وأشهد بالله لقد رأيته فى بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه يتململ فى محرابه، قابضًا لحيته، يتململ تململ السليم[(١)]، ويبكى بكاء الحزين، فكأنى أسمعه الآن وهو يقول: يا ربنا، يا ربنا، يتضرع إليه، ثم يقول للدنيا: أبى تغررت أم إلىَّ تشوفت، هيهات هيهات، غُرِّى غيرى، قد بنتك[(٢)] ثلاثا، فعمرك قصير، ومجلسك حقير، وخطرك يسير[(٣)]، آه من قلة الزاد، وبعد السفر ووحشة الطريق، فوكفت[(٤)] دموع معاوية على لحيته، ما يملكها وجعل ينشفها بكمه، وقد اختنق القوم بالبكاء، فقال: كذا كان أبو الحسن رحمه الله، كيف وجدك عليه يا ضرار؟ قال: وجد من ذُبح واحدُها فى حجرها، لا يرقأ[(٥)] دمعها، ولا يسكن حزنها، ثم قام فخرج[(٦)].

ودخل الأشتر النخعى على أمير المؤمنين على بن أبى طالب وهو قائم يصلى بالليل، فقال له: يا أمير المؤمنين، صوم بالنهار وسهر بالليل، وتعب فيما بين ذلك، فلما فرغ «على» من صلاته قال له: سفر الآخرة طويل، فيحتاج إلى قطعه بسير الليل[(٧)]، وكان أمير المؤمنين على- رضى الله عنه- يحث الناس على تقوى الله ومراقبته، وخشيته، فقد قال: أيها الناس، اتقوا الذى إن قلتم سمع، وإن أضمرتم علم، وبادروا الموت الذى إن هربتم أدرككم، وإن أقمتم أخذكم[(٨)]، وكان يقول: يا أيها الناس خذوا عنى هذه الكلمات، فلو ركبتم المطى حتى تنضوها -يعنى تهزلوها- ما أصبتم مثلها: لا يرجونَّ عبد إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحى -إذا لم يعلم- أن يتعلم، ولا يستحى-إذا سئل عما لا يعلم- أن يقول: لا أعلم، واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا خير فى جسد لا رأس له[(٩)].

ففى هذه الوصية الجمع بين تصحيح التوحيد، والإرشادات إلى آداب العلم، حيث يوصى- رضى الله عنه- بتصحيح الاتجاه فى مقامى الخوف والرجاء، فالمؤمن الحق لا يرجو إلا الله لأنه وحده المنعم بسائر النعم، والذين تجرى على أيديهم النعم من المخلوقين إنما هم

(١) السليم: الملدوغ.
(٢) بنتك: أى طلقتك.
(٣) خطر بمعنى: القدر والمنزلة.
(٤) فوكفت: أى سالت.
(٥) لا يرقأ: لا يسكن ولا يجف.
(٦) حلية الأولياء (١/ ٨٤، ٨٥)، الرقة والبكاء، ص(١٩٨).
(٧) لطائف المعارف لابن رجب، التحمس لقيام الليل، محمد صالح، ص(٩٣).
(٨) أدب الدنيا والدين، ص(١٢٣)، فرائد الكلام، ص(٣٦٩).
(٩) حلية الأولياء (١/ ٧٥)، صفة الصفوة (١/ ٣٢٦).

وسائط وأسباب فى وصول تلك النعم، أما منشىء النعم وموجدها فهو الله سبحانه وتعالى، والمؤمن الحق لا يخاف إلا من الله تعالى لأنه هو الذى يملك ضره ونفعه، والمخلوقات الذين يتوهم الناس أنهم مصدر خوف إنما هم وجميع الخلق فى قبضة الله تعالى، وإذا كان الله تعالى وحده هو الرازق، وهو الخالق وحده، وهو المالك وحده، القادر على كل شيء، فلِمَ يرجو المؤمن سواه أو يخاف من غيره؟ ولقد عبر أمير المؤمنين على- رضى الله عنه- عن الخوف من الله تعالى بالخوف من الذنوب لأن المراد هو الخوف من عاقبتها وهو عذاب الله تعالى، فهو إرشاد لأهم السبل الموصلة إلى تحقيق مقام الخوف من الله تعالى، ثم بيَّن شيئًا من آداب التعلم لأن أمور الدين إنما تؤخذ بالعلم، فيذكر من آداب المتعلم أن لا يمنعه الحياء من التعلم حتى لو كان كبير السن، أو القدر، ويذكر من آداب المعلم أن لا يمنعه الحياء من أن يقول لا أعلم فهى- «لا أعلم»- أحفظ لدينه ودين من سأله.

ثم يختم وصيته النافعة ببيان أصل من أصول الإيمان، ألا وهو الصبر حيث يعتبره من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، وذلك أن نجاح الأمور كلها يقوم على الصبر سواء فى أمور الدنيا أو الآخرة[(١)]، وقد مارس أمير المؤمنين على- رضى الله عنه- مقام الصبر فى حياته منذ نعومة أظافره، وإسلامه سرًا مع رسول الله ﷺ مرورًا بما لاقاه فى المغازى والسرايا، وعهد الخلفاء الراشدين وما صحبها من أحداث جسام، ومن ثم ما واجهه من صنوف الفتن فى خلافته، إلى أن انتهى الأمر بقتله، كل هذه المراحل فى حياته فيها الدروس البليغة لدعاة اليوم، والتنبيه لهم لما تحتاجه الدعوة إلى الله، سبحانه وتعالى، من الصبر والتحمل ودفع الثمن[(٢)] ابتغاء مرضاة الله تعالى، وكان- رضى الله عنه- يحث أصحابه على مقام الصبر، فقد قال- رضى الله عنه- للأشعث بن قيس: «إنك إن صبرت جرى عليك القلم وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القلم وأنت مأزور»[(٣)]، وقال رضى الله عنه: «ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس بار الجسم»، «ثم رفع صوته فقال: «ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له»[(٤)]، وقال: «الصبر مطية لا تكبو»، والصبر له مكانته المعروفة فى دين الله، فقد ذكر الله تعالى الصبر فى آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا

(١) التاريخ الإسلامى (١٢/ ٤٤٣).

(٢) منهج على بن أبى طالب فى الدعوة إلى الله ،ص(٥٢٥).

(٣) أدب الدنيا والدين، ص(٢٧٨)، فرائد الكلام، ص(٣٧١).

(٤) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم، ص(١٥٣).

﴿يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، وقد جاء ذكر فضائله فى أحاديث كثيرة، والصبر له ثلاثة أقسام وهى الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصية الله، والصبر على البلاء.

وقد كان أمير المؤمنين على بن أبى طالب حريصًا على أن تكون أعماله خالصة لوجه الله تعالى، عاملاً بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤]، وقوله جل شأنه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥]، فقد كان أمير المؤمنين على بن أبى طالب قد تعلم من رسول الله ﷺ أن الأعمال لا تقبل إلا إذا خلصت النية، فمعنى ذلك أن الإخلاص ركن أساسى فى العبادة، وأن العبادة التى فقد منها الإخلاص ترد على صاحبها كما جاء فى الحديث القدسى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه غيرى تركته وشركه»(١)، فقد كان على رضى الله عنه محاربًا للشرك، بجميع أشكاله وأنواعه سواء شرك الربوبية أو شرك الألوهية، وكان حريصًا فى سكناته وحركاته أن تكون أعماله خالصة لوجه الله تعالى، وكان يحث الناس خصوصًا طلاب العلم على البعد عن الرياء، فقد قال رضى الله عنه: يا حملة العلم، اعملوا به، فإنما العالم من عمل بما علم، ووافق عمله علمه، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، تخالف سريرتهم علانيتهم، ويخالف عملهم علمهم، يجلسون حلقًا، فيباهى بعضهم بعضًا، حتى إن أحدهم ليغضب على جليسه حين يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم فى مجالسهم تلك إلى الله عز وجل(٢). وقد أشار أمير المؤمنين على رضى الله عنه إلى أحد الأمراض الخطيرة عند بعض من يجلس للتعليم للمباهاة والسمعة، ويغضب على طلابه لو تركوه وذهبوا لغيره، لو كان هذا الذهاب فيه مصلحة لهم، فليست مصلحة طلابه عنده هى المهمة، بل المهم عنده مكانته وسمعته، وإن لم يقل ذلك بلسان المقال، فإنه يتبين من حكاية الحال(٣)، لأن من إخلاص الداعى إلى الله أن يكون همه أن يتبع الناس الحق ولو خالفوا رأيه، وهذه

(١) مسلم. ك الزهد رقم (٥٩٨٥).

(٢) سنن الدارمى فى المقدمة (١/ ١٠٦)، الجامع لأخلاق الراوى (١/ ٩٠).

(٣) منهج على بن أبى طالب، ص(٥١٣).

حال أمير المومنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فقد قال: اقضوا كما كنتم تقضون، فإنى أكره الاختلاف حتى يكون الناس جماعة، أو أموت كما مات أصحابى[1]، وكان ذلك فى رأى رآه فى عدم جواز بيع أم الولد، وكان عمر يرى رأيه هذا، ثم رجع على عن رأيه الأول فرأى أنهن يبعن[2]، وهذا تعليم للدعاة وطلاب العلم أن الخلاف فى الرأى المشروع أمر طبيعى يجب ألا تضيق به الصدور ولا يؤثر على وحدة الصف، إن دعاة اليوم فى أشد الحاجة أن يراجعوا أنفسهم فى هذا الخلق، وأين هم منه، وأن يتضرعوا إلى الله ليمدهم بهذه الصفة الجميلة حتى ينالوا ثواب الله بعد مماتهم. وتثمر دعوتهم إلى الله فى دنياهم.

لقد كانت عبادة على رضى الله عنه قائمة على كمال الإخلاص لله تعالى، واتباع هدى النبى ﷺ، فالله هو المستحق للعبادة وحده، فقد كانت حياته كلها عبادة، ينتقل فيها من نوع إلى نوع، ومن حال إلى حال، يمتثل قول الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، لقد كانت العبادة عاملاً مهمًا فى تزكية الأخلاق والاستقامة على شرع الله تعالى، ولذلك عرف أمير المؤمنين الاستقامة فى تفسيره لمعنى «استقاموا» فقال: أدوا الفرائض[3].

سابعًا: شكره لله:

والشكر هو صرف العبد كل ما أنعم به عليه إلى ما خلق لأجله[4]، يعنى من نعمه الظاهرة والباطنة فى النفس والمال فيصرف ذلك كله إلى عبادة ربه بما يليق بكل جارحة على الوجه الأكمل، وإذا ما فعل ذلك كان قد أظهر نعم الله عليه، وأدى واجب شكرها[5]، ويعتبر الشكر من أجل الأخلاق السلوكية الإيمانية التى على المؤمن أن يتحلى بها فى كل أحواله لما فيه من الاعتراف بالنعم لمسديها، وقد دل على عظم مكانته انضواء جل الأخلاق الإيمانية تحته من محبة ورضا وتوكل، لأن الشكر لا يتم إلا بعد التحلى بها، ولا يكون إلا عند استشعارها[6]، ولقد كانت عناية القرآن الكريم بهذا الخلق عظيمة كعظم مكانته فى الأخلاق، فقد ورد ذكره فى نحو من سبعين آية، أمرًا به، وحثًا عليه، وثناء على أهله، ووعدًا لهم بحسن بجزائه، ونهيًا عن ضده مما يدل على أمر هذا الخلق عظيم الشأن[7]، فقد قرن الله سبحانه فى كتابه الذكر بالشكر، فقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[البقرة: ١٥٢]، وقرن سبحانه العبادة بالشكر، قال تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ

(١) البخارى. ك فضائل الصحابة (٣/ ٢٣).
(٢) فتح البارى (٧/ ٧٣).
(٣) زاد المسير (٧/ ٢٥٤).
(٤) التوفيق على مهمات التعاريف، ص(٤٣٥).
(٥) أخلاق النبى ﷺ فى القرآن والسنة، ص(١٨٥).
(٦) مدارج السالكين (٢/ ٢٤٩).
(٧) أخلاق النبى فى القرآن والسنة (١/ ١٨٦).

الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[العنكبوت:١٧]، مما يدل على تلازم العبودية بالشكر تلازمًا وثيقًا(١). وكان رسول الله ﷺ صاحب القدح المعلى في كل الأخلاق الحميدة، ومنها هذا الخلق، وربى أصحابه ومنهم علي بن أبي طالب على هذا الخلق، فكان لا يشعر بنعمة إلا شكر الله عليها، وكان إذا خرج من الخلاء مسح بطنه بيده، وقال: يا لها من نعمة لو يعلم العباد شكرها(٢)، وعن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أنه قال لرجل من أهل همدان: إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر متعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله وجل حتى ينقطع الشكر من العبد(٣)، وكان رضي الله عنه يرى أن من شكر النعمة العفو عن الخصم، فقد قال رضي الله عنه: إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرًا للمقدرة عليه(٤).

ثامنًا: الدعاء لله:

فالدعاء باب عظيم، فإذا فتح للعبد تتابعت عليه الخيرات وانهالت عليه البركات، ولذلك حرص أمير المؤمنين علي حسن الصلة بالله وكثرة الدعاء، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[غافر: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[البقرة:١٨٦]، وقد لازم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه رسول الله ﷺ ورأى كيف كان رسول الله ﷺ يستغيث بالله ويستنصره ويطلب المدد منه، وقد حرص أمير المؤمنين علي أن يتعلم هذه العبادة من رسول الله ﷺ وأن يكون دعاؤه وتسبيحه على الصيغة التي يأمر بها رسول الله ﷺ ويرتضيها، إذ ليس للمسلم أن يفضل على الصيغة المأثورة في الدعاء والتسبيح والصلاة على النبي صيغًا أخرى مهما كانت في ظاهرها حسنة اللفظ، جيدة المعنى، لأن رسول الله ﷺ هو معلم الخير والهادي إلى الصراط المستقيم، وهو أعرف بالأفضل والأكمل. وقد نسب أقوام من الدعاء والذكر المبتدع لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب كذبًا وزورًا وبهتانًا، فمن كان محبًا لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فعليه أن يتبع هديه ومنهجه، فقد أرشدنا لمتابعة النبي ﷺ في الأقوال والأفعال، وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه صاحب دعوة مستجابة، فعن زاذان أبي عمر أن رجلا حدث عليًا بحديث فقال: ما أراك إلا قد كذبتني، قال: لم أفعل، قال: أدعو عليك إن كنت كذبت، قال: ادع، فدعا فما برح حتى عمي(٥)، وكان رضي

(١) أخلاق النبي في القرآن والسنة (١/ ١٨٧).
(٢) عدة الصابرين، ص(١٢٢)، علو الهمة (٥/ ٤٨١).
(٣) الشكر لابن أبي الدنيا، نقلاً عن علو الهمة (٥/ ٤٨١).
(٤) الإعجاز والإيجاز للثعالبي، ص(٣٠).
(٥) البداية والنهاية (٨/ ٦).

الله عنه يقول عندما يُثنى عليه: اللهم اغفر لى مالا يعلمون، ولا تؤاخذنى بما يقولون، واجعلنى خيرًا مما يظنون(١).

ويروى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليرد عليه من حوله: يرحمك الله، وليرد عليه يهديكم الله، ويصلح بالكم» (٢)، وفى هذا الفعل من حسن الخلق والتأدب مع الله سبحانه وتعالى بحمده والثناء عليه فى مناسبة أمر فيها العبد بذلك. قال الحليمى: العطاس يدفع الأذى من الدماغ، الذى فيه قوة الفكر، ومنه منشأ الأعصاب، التى هى معدن الحس وبسلامته تسلم الأعضاء، فيظهر بذلك أنها نعمة جليلة، فناسب أن تقابل بالحمد لله، لما فيه من الإقرار لله بالخلق والقدرة، وإضافة الخلق إليه لا إلى الطبائع(٣).

وبيّن أمير المؤمنين على رضى الله عنه أدبًا من آداب المسافر فيما يرويه عن رسول الله ﷺ بقوله: كان النبى ﷺ إذا أراد سفرًا قال: «بك اللهم أصول، وبك أجول، وبك أسير» (٤).
وبيَّن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه أدبًا آخر من آداب المسافر، وذلك لما أراد سفرًا ووضع رجله فى الركاب قال: بسم الله، فلما استوى قال: الحمد لله، ثم قال: سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، ثم حمد الله ثلاثًا، وكبر ثلاثًا، ثم قال: اللهم لا إله إلا أنت، ظلمت نفسى فاغفر لى، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم ضحك، قال: فقيل: ما يضحكك يا أمير المومنين؟ قال: رأيت النبى ﷺ فعل مثل ما فعلت، وقال مثل ما قلت، ثم ضحك، فقلنا: ما يضحكك يا نبى الله قال: عجبت للعبد، إذا قال لا إله إلا أنت، ظلمت نفسى فاغفر لى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، يعلم أنه لا يغفر الذنوب إلا هو (٥).

وعن ابن أعبد قال: قال لى على بن أبى طالب رضى الله عنه: يا ابن أعبد، هل تدرى ما حق الطعام؟ قال: قلت: وما حقه يا ابن أبى طالب؟ قال. تقول: بسم الله، اللهم بارك لنا فيما رزقتنا، قال: وتدرى ما شكره إذا فرغت، قال: قلت: وما شكره؟ قال تقول: الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا(٦)، وكان رضى الله عنه إذا رأى الهلال قال: اللهم إنى اسألك خير هذا الشهر وفتحه ونصره وبركته ورزقه ونوره وطهوره وهداه، وأعوذ بك من

(١) فرائد الكلام، موعظة المؤمنين (٢/ ٢٢٨).

(٢) سنن ابن ماجة (٢/ ١٢٢٤)، صحيح سنن ابن ماجة للألبانى (٢/ ٣٠٣).

(٣) فتح البارى (١٠/ ٦٠٢).

(٤) مسند أحمد (٢/ ٨٣) إسناده صحيح، قاله أحمد شاكر.

(٥) المصدر نفسه(٢/ ١٨٣) إسناده صحيح قاله أحمد شاكر.

(٦) المصدر نفسه (٢/ ٣٢٩) قال المحقق: إسناده حسن.

شره وشر ما فيه وشر ما بعده[١]، وكان يقول في السجود: رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي[٢]، وكان يقول بين السجدتين: اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني وارزقني[٣]، وكان يُعَلِّم من دخل السوق هذا الدعاء فيقول: إذا دخلت السوق فقل: بسم الله الرحمن الرحيم، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إني أعوذ بك من يمين فاجرة، وصفقة خاسرة، ومن شر ما أحاطت به هذه السوق[٤]، وكان يقول: ما من كلمات أحب إلى الله من أن يقول العبد: اللهم لا إله إلا أنت، اللهم لا أعبد إلا إياك، اللهم لا أشرك بك شيئًا، اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت[٥]، وكان يقول: اللهم ثبتنا على كلمة العدل بالرضا والصواب، وقوام الكتاب، هادين مهديين، راضين مرضيين، غير ضالين، ولا مضلين[٦].

ومن أدعيته رضي الله عنه: اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء، وبجبروتك الذي غلبت به على كل شيء، وبعظمتك التي غلبت بها كل شيء وسلطانك الذي ملأت به كل شيء وبقوتك التي لا يقوم لها شيء، وبنورك الذي أضاء له كل شيء، وبعلمك الذي أحاط بكل شيء، وباسمك الذي يبيد كل شيء، وبوجهك الباقي بعد فناء كل شيء، يا الله يا رحمن يا رحيم، اغفر لي الذنوب التي تنزل النقم، والذنوب التي تورث الندم، واغفر لي الذنوب التي تحبس القسم، واغفر لي الذنوب التي تغير النعم، واغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء، وتديل الأعداء، واغفر لي الذنوب التي تحبس غيث السماء وترد الدعاء، واغفر لي الذنوب التي تردني إلى النار[٧]، وهذا الدعاء يبين افتقار أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى ربه وخوفه من ذنوبه، ويعلمنا كيفية التعامل مع أسماء الله الحسنى ودعاء الله بها سبحانه وتعالى، وهذا الدعاء يسلط الأضواء على عبودية أمير المؤمنين لله عز وجل.

وعن علي رضي الله عنه قال: لقَّاني رسول الله ﷺ هؤلاء الكلمات وأمرني إن نزل بي كربة أو شدة أن أقولها: «**لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحانه، تبارك الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين**»[٨]، وكان عبد الله بن جعفر يلقنها الميت وينفث بها على الموعوك[٩]، ويعلمها المغتربة من بناته[١٠].

---

(١) كنز العمال رقم (٢٤٣١٠)، فقه علي بن أبي طالب، قلعجي، ص(٢٥١).

(٢)، (٣)، (٤) فقه علي بن أبي طالب، قلعجي، ص(٢٥١).

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (٢/١٤٩).

(٦)، (٧) فقه علي بن أبي طالب، ص(٢٥٢).

(٨) سنن البيهقي (٧/١٢٩)، معرفة الصحابة لأبي نعيم رقم (٣٥٢).

(٩) الموعوك من الوعك: وهو الحمى وقيل: ألمها.

(١٠) فضائل الصحابة (٢/ ٨٢٠) إسناده حسن.

هذه بعض صفـاته التى كانت ثمــارًا لتوحيـده وإيمانه بالله واستعـداده للقدوم على الله تعالى، وسوف يلاحظ القارئ الكـريم كثيرًا من صفاته بإذن الله تعالى، كـالشجاعة والحلم والفصاحة والبلاغة وغيرها من الصفات من خلال الأحداث التى يمر بها فى هذا الكتاب.

تاسعًا: المرجعية العليا لدولة أمير المؤمنين على رضى الله عنه:

كانت المرجعية العليا لدولة أمـير المؤمنين على رضى الله عنه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والاقتداء بالشيخين فى هديهما.

١- فالمصدر الأول: هـو كتاب الله: قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥]، فكتاب الله تعالى يشتمل على جميع الأحكام الشرعية التى تتعلق بشئـون الحياة، كما بين القرآن الكريم للمسلمين كل ما يحتـاجون إليه من أسس تقـوم عليها دولتـهم، وقد قال أميـر المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه: الزموا دينكم، واهتـدوا بهدى نبيكم، واتبـعوا سنته، واعرضـوا ما أشكل عليكم على القرآن، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه[(١)].

٢- المصدر الثانى: السنة المطهرة: التى يستمد منها الدستور الإسلامى أصوله، ومن خلاله يمكن معرفة الصيغ التنفيذية والتطبيقية لأحكام القرآن الكريم[(٢)]، فقد قال أمير المؤمنين على ابن أبى طالب رضى الله عنه: واهتدوا بهدى نبيكم ﷺ، فإنه أفضل الهدى واستنوا بسنته، فإنها أفضل السنن[(٣)].

٣- الاقتداء بالخلفاء الراشدين الذين سبقوه: قال رسول الله ﷺ: «اقتدوا بالذين من بعدى: أبى بكر وعمر»[(٤)]، وقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما: والذى خلق الحبة وبرأ النسمة، لا يحبـهما إلا مؤمن تقى، ولا يبغضهما إلا فاجر ردىٌّ، صحبـا رسول الله على الصدق والوفاء، يأمران وينهيان ومـا يجاوزان فيما يصنعان رأى رسول الله، ولا كـان رسول الله يرى بمثل رأيهما، ولا يحب كحبـهما أحدًا، قضى رسول الله وهو عنهـما راض، ومضيا والمؤمنون عنهـما راضون- واستمـر فى حديثه إلى أن قال فى أبى بكر- وكـان والله خير من بقى، أرحـمه رحمـة، وأرأفه رأفة، وأثبـته ورعًا، وأقدمه سنًا وإسلامًا، فسار فينا سيرة رسول الله ﷺ حتى مضى على ذلك، ثم ولى

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٤٦).
(٢) فقه التمكين فى القرآن الكريم للصلابى، ص(٤٣٢).
(٣) البداية والنهاية (٧/ ٣١٩).
(٤) صحيح سنن الترمذى (٣/ ٢٠٠).

عمر الأمر من بعده.. فأقام الأمر على منهاج النبي ﷺ وصاحبه، يتبع آثارهما كاتباع الفصيل[1] أمه.. إلى أن قال: فمن لكم بمثلهما- رحمة الله عليهما - ورزقنا المضى على سبيلهما، فإنه لا يبلغ مبلغهما إلا باتباع آثارهما والحب لهما، ألا من أحبنى فليحبهما ومن لم يحبهما فقد أبغضنى وأنا منه برئ[2]، وكان رضى الله عنه يدافع عن اجتهادات عثمان ابن عفان ويقول: يا أيها الناس لا تغلوا فى عثمان، ولا تقولوا له إلا خيرًا- أو قولوا خيرًا- فو الله مافعل الذى فعل- أى فى المصاحف- إلا عن ملأ منا جميعًا، أى الصحابة.. ووالله لو وليت لفعلت مثل الذى فعل[3]، وكان يقول: ما كنت لأحل عقدة شدها عمر[4].

عاشرًا: حق الأمة فى الرقابة على الحكام:

إنَ للأمة الحق فى مراقبة الحكام وتقويمهم، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وكان أول ماقاله أمير المؤمنين على رضى الله عنه إثر توليه.. إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم، إلا أنه ليس لى أمر دونكم[5]، وهذا نفس ما قاله أبو بكر عندما تولى حيث قال: فإن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقوموني[6]، وما قاله عمر: أحب الناس إليَّ من رفع إليَّ عيوبى[7]، وقال: إنى أخاف أن أخطئ فلا يردنى أحد منكم تهيبًا منى[8]، وما قاله عثمان: إن وجدتم فى كتاب الله أن تضعوا رجلى فى القيد فضعوا رجلى فى القيد[9]،وبذلك يكون قد جرى العمل فى عهد الخلفاء الراشدين على التسليم للأمة بحق الرقابة على الحكام، ولم ينكره أحد، فدل ذلك على الإجماع[10]، كما إن إجماع الصحابة- حكامًا ومحكومين- فى عهد الخلافة الراشدة ليس له إلا معنى واحد وهو الفهم الصحيح للكتاب، والطريق السليم للعمل بالسنة، فهم الذين عاصروا عهد تنزيل الكتاب

(١) الفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمه.

(٢) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائى رقم (٢٤٥٦). (٣) فتح البارى (٩/٨) إسناده صحيح.

(٤) المختصر من كتاب الموافقة، ص(١٤٠)، إسناده منقطع، ابن أبى شيبة، المصنف رقم (١٢٠).

(٥) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٤٩، ٤٥٧). (٦) البداية والنهاية (٦/ ٣٠٥).

(٧) الشيخان أبو بكر وعمر من رواية البلاذرى، ص(٢٣١).

(٨) المصدر نفسه، ص(٢٣١)، نظام الحكم فى عهد الخلفاء الراشدين، ص(١٨٩).

(٩) مسند أحمد، الموسوعة الحديثية رقم (٥٢٤).

(١٠) الدولة والسيادة فى الفقه الإسلامى، فتحى عبد الكريم، ص(٣٧٨).

وعاشوا طريقة النبى ﷺ فى إقامة حياة الناس عليه، فهم أفهم الناس لروح الدين، وأعرف الناس بمقاصد الشرع، وأقدر الناس على التمييز بين الحق والباطل، ومن المستبعد بل من المحال أن يجمعوا على باطل، لقول النبى ﷺ: «إن أمتى لا تجتمع على ضلالة»[1]، ولهذا كان إجماعهم حجة يسوغ أن تراعى وتوضع ضمن مصادر الدستور الإسلامى، وإجماع الأمة قد يكون على فهم نص، ويجوز أن ينعقد الإجماع عن اجتماع وقياس، ويكون حجة[2]، إن أمير المؤمنين عليًا رضى الله عنه كان يحث الناس فى خلافته على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فقد خطب ذات يوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنما هلك من هلك قبلكم بركوبهم المعاصى ولم ينههم الربانيون والأحبار، فأخذتهم العقوبات، فمُروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم مثل الذى نزل بهم، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يقطع رزقًا ولا يقرب أجلا[3].

الحادى عشر: الشورى:

إن من قواعد الدولة الإسلامية حتمية تشاور قادة الدولة وحكامها مع المسلمين والنزول على رضاهم ورأيهم وإمضاء نظام الحكم بالشورى، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[الشورى: ٣٨] لقد قرنت الآية الكريمة حكم الشورى بين المسلمين بإقامة الصلاة، فدل ذلك على أن حكم الشورى كحكم الصلاة، وحكم الصلاة واجبة شرعًا، فكذلك الشورى واجبة شرعًا[4].

وقد كان أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه حريصًا على التزام منهج الشورى فى تصرفاته وأعماله وقراراته، فمن ذلك أنه حينما وصل إليه كتاب من قائده معقل بن قيس الرياحى المكلف بمحاربة الخريت بن راشد الخارجى جمع أصحابه وقرأ عليهم كتابه واستشارهم وطلب منهم الرأى حيث اجتمع رأى عامتهم على قول واحد وهو: نرى أن تكتب إلى معقل بن قيس فيتبع أثر الفاسق فلا يزال فى طلبه حتى يقتله، أو ينفيه، فإنا لا نأمن أن يفسد عليك الناس[5]، ومما روى عن أمير المؤمنين على رضى الله عنه فى الشورى

(١) سنن ابن ماجه (٢/ ٢٦٤) رقم (٤٠١٤).
(٢) روضة الناظر وجنة المناظر(١/ ٣٨٥).
(٣) تفسير ابن أبى حاتم (٣/ ١٥)، تفسير ابن كثير (٢/ ٦٠٣).
(٤) النظام السياسى فى الإسلام لأبى فارس، ص(٩).
(٥) تاريخ الطبرى (٦/ ٣٩).

قوله: الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه[1]، وقوله: نعم المؤازرة المشاورة وبئس الاستعداد الاستبداد[2]، وقوله: رأى الشيخ خير من مشهد الغلام[3]، ومما أوصى به أمير المؤمنين عليّ مالك بن الحارث الأشتر حين بعثه إلى مصر فى الشورى قوله: لا تدخلن فى مشورتك بخيلاً فيعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر، ولا جبانًا فيضعفك عن الأمور، ولا حريصًا فيزين لك الشره بالجور، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله[4]، وكان على رضى الله عنه يعلم أن الحاكم إذا لم يكن له مستشارون فلا يعلم محاسن دولته ولا عيوبها، وسوف يغيب عنه الكثير من شئون الدولة وقضايا الحكم، وكان يعلم أن الشورى تعرفه ما يجهله، وتضع أصابعه على مالا يعرفه، وتزيل شكوكه فى كل الأمور التى يقدم عليها، فها هو يقول للأشتر النخعى عندما ولاه مصر: انظر فى أمور عمالك الذين تستعملهم، فليكن استعمالك إياهم اختيارًا ولا يكن محاباة ولا إيثارًا، فإن الأثرة بالأعمال- أى الاستبداد بلا مشورة- والمحاباة بها جماع من شعب الجور والخيانة لله، وإدخال الضرر على الناس، وليست تصلح أمور الناس، ولا أمور الولاة إلا بإصلاح من يستعينون به على أمورهم، ويختارونه لكفاية ما غاب عنهم،فاصطف لولاية أعمالك أهل الورع والعفة والعلم والسياسة والصق بذوى التجربة والعقول والحياء من أهل البيوتات الصالحة وأهل الدين والورع، فإنهم أكرم أخلاقًا وأشد لأنفسهم صونًا وإصلاحًا وأقل فى المطامع إسرافًا،وأحسن فى عواقب الأمور نظرًا من غيرهم، فليكونوا عمالك وأعوانك[5].

الثانى عشر: العدل والمساواة:

إن من أهداف الحكم الإسلامى الحرص على إقامة قواعد النظام الإسلامى التى تساهم فى إقامة المجتمع المسلم، ومن أهم هذه القواعد العدل والمساواة، وقد قام أمير المؤمنين على رضى الله عنه بإقامة العدل بين الناس، وقد تضافرت كل الخصال الحميدة والمعطيات العلمية والفقهية التى جعلته مؤهلا للقيام بدوره هذا على أكمل وجه حتى أن الرسول ﷺ

(١) أدب الدنيا والدين للماوردى ص٨٩،٢٩١، الإدارة العسكرية (١/ ٢٧٩).

(٢) نهاية الأرب (٦/ ٦٩) نقلا عن الإدارة العسكرية (١/ ٢٧٩).

(٣) المصدر نفسه (٦/ ٧٥)، المصدر نفسه (١/ ٢٧٩).

(٤) الإدارة العسكرية فى الدولة الإسلامية (١/ ٢٧٩).

(٥) نهاية الأرب (٦/ ٢١)، فن الحكم الإسلامى ،ص(١٥١)، الشورى بين الأصالة والمعاصرة، عز الدين التيمى، ص(١٠٢).

لثقتـه به وبقدراته بعثه قاضـيًا إلى اليمن[1]، وقد دعا له رسـول الله بهذا الدعاء العظيم: «اللهم ثبت لسـانه، واهد قلبـه»[2]، ولذلك كـان من الطبيـعى أن يقـيم حكمه على العـدل الشامل، وأن يجعله على رأس غايات وأهداف الحكم، لأن به تسـتقيم الأمور وتظهر المودة بين الرعية[3]، ولا شك أن العدل فى فكر أمـير المؤمنين علىّ هو عـدل الإسلام الذى هو الدعامة الرئيـسية فى إقامة المجـتمع الإسلامى والحكم الإسلامى، فـلا وجود للإسلام فى مجتمع يسوده الظلم ولا يعرف العدل.

لقد كان أمير المؤمنين عـلى بن أبى طالب رضى الله عنه قدوة فى عدله، أسر القلوب وبهر العـقول، فـالعدل فى نظره الذى يسـعى لتطبيـقه فى الحكم هو إحـدى أهم ركائز الخلافـة الراشدة، دعوة عمليـة للإسلام تفتح قلوب الناس للإيمان، وقـد سار على ذات نهج الرسول ﷺ فكانت سياسته تقوم على العدل الشامل بين الناس، فعن شريح قال: لما توجـه على رضى الله عنه إلى حـرب معـاوية، رضى الله عنه، افـتقـد درعًا له، فلمـا انقضت الحرب ورجع إلى الكوفـة، أصاب الدرع فى يد يهودى يبيعهـا فى السوق، فقال له: يا يهودى، هذا الدرع درعى، لـم أبع ولم أهب، فقال اليـهودى: درعى وفى يدي، فقـال على: نصيـر إلى القاضى، فتـقدمـا إلى شريح، فجلس على إلـى جنب شريح، وجلس اليهودى بين يديه.

فـقال شـريح: قل يا أمـير المؤمـنين، فقـال: نعم، أقـول: إن هذه الدرع التى فى يد اليهودى درعى، لم أبع ولم أهب، فـقال شريح: يا أمير المؤمنين بـينة، قال: نعم قنبر[4] والحسن والحسين يشهدون أن الدرع درعى، قال: شهادة الابن لا تجوز للأب، فقال: رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحسن والحسين سـيدا شباب أهل الجنة»[5] فقال اليهودى: أمير المؤمنين قدمنى إلى قاضيه، وقاضيه قضى عليه؟ أشهد أن هذا الحق، أشـهد أن لا إله إلا الله، وأن مـحـمدًا رسـول الله، وأن الدرع درعك ، كنت راكبًا على جملك الأورق وأنت متوجه إلى صفين فوقعت منك ليلاً، فأخذتها قال: أما إذا قلتها فهى لك، وحمله على فرس، فرأيته وقد خرج فقاتل مع على الشراة بالنهروان [6].

(١) نظام الحكم فى العهد الراشدى: ص(١٤١).

(٢) فضائل الصحابة (٢/ ٨٧١) إسناده حسن رقم (١١٩٥).

(٣) نظام الحكم فى العهد الراشدى، ص(١٤١).

(٤) مولى لعلى رضى الله عنه.

(٥) مصنف ابن أبى شيبة رقم (١٢٢٢٥) المستدرك (٣/ ١٦٦) حديث صح من أوجه كثيرة.

(٦) الشراة: الخوارج. النهروان: بين واسط وبغداد.

ومن أمثلة عدله فى الحكم: عن ناحية القرشى عن أبيه قال: كنا قياما على باب القصر إذ خرج على علينا فلما رأيناه تنحينا عن وجهه هيبة له، فلما جاز صرنا خلفه، فبينما هو كذلك إذ نادى رجل: يا غوثًا بالله، فإذا رجلان يقتتلان ، فلكز صدر هذا وصدر هذا، ثم قال لهما: تنحيا، فقال أحدهما: يا أمير المؤمنين إن هذا اشترى منى شاة وقد شرطت عليه أن لا يعطينى مغموزًا ولا محذفًا- يعنى الدراهم المعيبة- فأعطانى درهمًا مغموزًا فرددته عليه فلطمنى، فقال للآخر:ما تقول؟ قال: صدق يا أمير المؤمنين قال: فأعطه شرطه، ثم قال للاطم: اجلس، وقال للملطوم: اقتص، قال: أو عفو يا أمير المؤمنين، قال: ذلك إليك، قال: فلما جاز الرجل،قال على: يا معشر المسلمين خذوه، قال: فأخذوه فحمل على ظهر رجل كما يحمل صبيان الكتاب، ثم ضرب خمس عشرة درة، ثم قال: هذا نكال لما انتهكت من حرمته، وفى رواية أنه قال: هذا حق السلطان[1].

هذا الخبر ليعتبر مثلاً عاليًا للتواضع حيث يخرج أمير المؤمنين من بيته إلى السوق يتفقد أحوال الناس، ويقوم بنفسه فى حل مشكلاتهم، وهو نوع من السلوك العالى الذى يبرز وجود الولاة فى واقع حياة الرعية، سواء قام بذلك الوالى الأكبر أو من دونه، ولا يلزم تكرار هذا الوجود كل يوم، إذ يكفى شعور الناس بأن الولاة معهم فى مشكلاتهم ليطمئن صاحب الحق على بقاء حقه فى حوزته، وعودته إليه فيما لو اعتدى عليه، وليرتدع من تسول له نفسه الاعتداء على حقوق الناس، وقبل ذلك وأهم منه أن يردع كل من يحدث نفسه بالاعتداء على حق الله تعالى، وهذا الوجود المتلاحم بين الوالى والرعية يظهر بصور متعددة تتناسب مع أنماط الحياة فى كل عصر، فلا يقولن قائل: إن ما قام به أمير المؤمنين على رضى الله عنه يعتبر سائغًا فى عصره، ولكنه بعيد التصور فى هذا العصر، فإنه لا عبرة بالأشكال والصور، وإنما العبرة بالأهداف والمقاصد التى بها تحقق الحياة السعيدة للمسلمين، وذلك برعاية حق الله أولاً، ثم حقوق الناس العامة والخاصة، وفيما أمر به أمير المؤمنين على رضى الله عنه من إجراء العقوبة على المعتدى مع تنازل صاحب الحق دلالة على إدراكه رضى الله عنه لمقاصد الإسلام من حفظ الأمن، وإشاعة السلام بين المؤمنين، وبذلك سيرتدع من تميل نفسه إلى الاعتداء على غيره إذا عرف بأن العقوبة ستجرى عليه ولو عفا عنه خصمه[2].

(١) تاريخ الطبرى(٦/ ٧٢،٧٣).

(٢) التاريخ الإسلامى للحميدى (١٢/ ٤٢٣، ٤٣٣).

ومن مواقف عـدله رضي الله عنه: ما رواه عاصم بن كليب عن أبيـه قال: قدم على عليٍّ ابن أبي طالب مال من أصبهان[1]، فقسمه سبـعة أسباع، فوجد فيه رغيفًـا، فقسمه سبع كسر، وجعل على كل جزء كسرة، ثم أقرع بينهم، أيهم يعطى أول[2].

وأما مبدأ المساواة الذي اعتـمده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في دولته، فيعد أحد المبادئ العامة التي أقرهـا الإسلام، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، وجاءت ممارسة أمير المؤمنين على رضى الله عنه لهذا المبـدأ خير شاهد، ومن هذه المواقف، حرصه على تقسيم المال فور وروده إليه على الناس بالتساوى بعـد أن يحتجز منه ما ينبغى أن يأخذ للمرافق العامـة، ولم يكن يستبيح لنفـسه أن يأخذ من هذا المال إلا مثلمـا يعطى غيره من الناس، كما أنه كان يعطى معارضيه من الخوارج من العطاء مثلما يعطى غيرهم، وهذا قبل سفكهـم للدماء، واعتـدائهم على الناس[3]، وكان رضى الله عنه يسـاوى فى العطايا بين الناس وبذلك يكون اقتـداؤه بالصديق فى هذا الباب، رضى الله عنه لا يفضل شـريفًا على مشـروف، ولا عربيًا على أعـجمى، فقـد دفع مرة طعـامًا ودراهم بالتسـاوى إلى امرأتين إحداهما عـربية، والثانية أعـجمية، فـاحتجت الأولى قائلة: إنى والله امـرأة من العرب، وهذه من العجم، فأجابها على: إنى والله لا أجد لبنى إسماعيل فى هذا الفىء فضلاً على بنى إسحـاق. وكذلك لما طلب إليه تفضـيل أشراف العرب وقـريش على الموالى والعجم، قال: لا والله، لو كان المال لى لواسيت بينهم، فكيف وإنما هى أموالهم؟[4] وعن يحيى بن سلمة قال: استعمل على عـمرو بن سلمة على أصبهان فقدم ومعه مـاله وزقاق فيها عسل وسمن، فـأرسلت أم كلثوم بنت على إلى عـمرو تطلب منه سمنا وعـسلاً، فأرسل إليـها ظرف عسل وظرف سمن، فلما كان الغد خرج على وأحضر المال والعسل والسمن ليقسم، فعد الزقاق فـنقصت زقين، فسأله عنهما، فكتـمه وقال: نحن نحضرهما، فـعزم عليه إلا ذكرها له، فأخبره، فـأرسل إلى أم كلثوم فأخذ الزقين منها فرآهما قد نقصـا، فأمر التجار بتقويم ما نقص منهما، فكان ثلاثة دراهم، فأرسل إليـها فأخذها منها ثم قسم الجميع[5]. وعن أبى رافع وقـد كـان خازنًا لعلى رضـى الله عنه على بيت المال، وقال: دخـل يـومًا وقد زينت ابنته، فرأى عليها لؤلؤة من بيت المال قد كـان عرفها، فقال: من أين لها هذه؟

(١) مدينة عظيمة فى بلاد فارس.
(٢) الكامل فى التاريخ (٢/ ٤٤٢).
(٣) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ، ص(٢١٦).
(٤) تراث الخلفاء الراشدين، ص(١٠١).
(٥) الكامل فى التاريخ (٢/ ٤٤٢).

لله علىَّ أن أقطع يدها، قـال: فلمـا رأيت جده فى ذلك قلـت: أنا والله يا أميـر المؤمنين زينت بها ابنة أخى، ومن أين كانت تقدر عليها لو لم أعطها، فسكت[1].

الثالث عشر: الحريات:

مبـدأ الحرية من المبادئ الأسـاسية التى قـام عليها الحـكم فى عهد الخلفـاء الراشدين، ويقضى هذا المبدأ بتأمين وكفالة الحريات العامة للناس كافة ضمن حدود الشريعة الإسلامية وبما لا يتناقص معها، فـقد كانت دعوة الإسلام لحرية الناس، جمـيع الناس، دعوة واسعة عريضة قلما تشمل على مثلها دعـوة فى التاريخ، وكانت أول دعوة أطلقها فى هذا المجال هى دعوته الناس فى العديد من الآيات القرآنية لتوحـيد الله والتوجه له بالعبادة وحده دون سائر الكائنات والمخلوقـات، وفى دعوة التوحـيد هذه كل معـانى الحرية والاستـقلال لبنى الإنسان، أضف إلى ذلك أن الإسلام عـرف الحرية بكل معانيهـا ومدلولاتها ومفاهيـمها، فتارة تكون فعلاً إيجابيًا كالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وتارة فعلاً سلبيًا كالامتناع عن إكراه أحد فى الدخول فى الدين، وفى أحيان كثـيرة يختلط معناها بمعنى الرحمة، والعدل والشورى والمساواة، لأن كل مبدأ من هذه المبادئ التى نادى بها الإسلام لا يستقيم أمره ولا يمكن تحقيـقه إلا بوجود الحرية، وقـد أسهم مبدأ الحـرية مساهمة فعـالة إبان حكم الخلفاء الراشدين خاصة بانتشار الدين الإسلامى، وبتسهيل فتوحات المسلمين واتساع رقعة دولتهم، لأن الإسلام كـرم الإنسان وكفل حرياته على أوسـع نطاق، ولأن النظم السياسيـة الأخرى السائدة آنذاك فى دولة الروم والفرس كانت أنظمة استبدادية وتسلطية، وفئوية قاسى بسببها الرعايـا، وبصورة خاصـة المناوئون السـياسيـون والأقليات الدينـية، أشد درجـات الكبت والاضطهاد والظلم، وأما فى الإسـلام فى عهد النبى ﷺ والخلفاء الراشدين، فـقد كانت الحريات العامـة المعروفة فى أيامنا معلومة ومـصونة تمامًا[2]، وقد كان لأمير المؤمنين على رضى الله عنه أقوال تدافع عن الحـريات ومواقف تدعم هذا المبدأ فى المجتـمع الإسلامى، فمن أقـواله: بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العـباد[3]، وقوله الموجز هذا يدل على أن الاعتداء علي الناس كافة بأى شكل كان غيـر جائز فى الإسلام، وذكر المعتدين بعذاب الله يوم القيامة، وعرف عنه قوله: ليس من الـعدل القضاء على الثقة بالظن[4]،وقوله هذا يدل

(١) تاريخ الطبرى (٦/ ٧٢).

(٢) نظام الحكم فى عهد الخلفاء الراشدين، ص(١٥٧، ١٥٨).

(٣)، (٤) نظام الحكم فى عهد الخلفاء الراشدين، ص(١٦٥).

دلالة واضحة على أنه ليس من الجائز أخذ الناس بالشبهات والحكم عليه لمجرد الظنون والشكوك، بل ينبغى أن يكون ذلك بـ(الثقة) أى باليقين المستند إلى أدلة دامغة وأكيدة لا تقبل الجدل حولها، وخير هذه الأدلة ما نصت عليه الشريعة[1]، وبذلك يكون المبدأ الذى أقرته التشريعات الجزائية الحديثة القائل بأن المتهم يبقى بريئًا حتى إثبات العكس قد عرفه الإسلام منذ أمد بعيد[2].

وقد تجلى مبدأ الحرية فى أروع صوره ومعانيه أيام على رضى الله عنه، فبالرغم من وجود ظروف استثنائية (فتن، مؤامرات، وحروب) تبرر الحاجة إلى تقييد حرية الأفراد فى ذهابهم وإيابهم وإقامتهم، أو ما يسمى فى العصر الحديث بقانون الطوارئ إلا أن عليًا لم يقيد حرية أحد، سواء كان من أتباعه أم من خصومه، ولم يكره أحدًا على الإقامة والبقاء فى ظل سلطانه، أو على الخروج منه، ولا حتى على المسير معه لمقاتلة أعدائه، ولم يصد أحدًا من الناس عن اللحاق بمعاوية[3]، كما أنه لم يقيد حرية أصحاب عبد الله بن مسعود وعبيدة السلمانى والربيع بن خيثم، ولم يكرههم على المسير معه لمقاتلة أهل الشام عندما رفضوا ذلك، بل سمح لهم بالذهاب لبعض الثغور نزولاً على رغبتهم[4]، وعندما ثار عليه الخوارج بعد معركة صفين بسبب قبول التحكيم، فإنه لم يكره أحدًا منهم على البقاء فى ظل سلطانه أو الخروج منه، بل بالعكس فقد كان يأمر عماله بعدم التعرض لهم فى طريقهم ما داموا لا يفسدون فى الأرض ولا يعتدون على الناس[5]، وقال لهم: ... إن لكم عندنا ثلاثًا، لا نمنعكم صلاة فى هذا المسجد، ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفىء ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا[6].

---

(١) هذه الأدلة هى: البينة الخطية المنظمة وفقًا لأحكام الشريعة، أو الثابتة بشهادة رجلين أو بشهادة رجل وامرأتين وأحيانًا بشهادة أربعة رجال كما فى حالة الزنا.

(٢) نظام الحكم فى عهد الخلفاء الراشدين، ص (١٦٦)

(٣)، (٤) المصدر نفسه، ص (١٥٩).

(٥) المصدر السابق، ص (١٦٠)

(٦) تاريخ الطبرى (٥/ ٦٨٨).

المبحث الثالث

حياته فى المجتمع واهتمامه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

أولاً: دعوته للتوحيد ومحاربته للشرك:

إن حياة أمير المؤمنين على بن أبى طالب عامرة بالدعوة إلى توحيد الله تعالى، وتعريف الناس معانى الإيمان، والاعتماد والتوكل على الله والخوف منه سبحانه وتعالى، والتعريف به من خلال أسمائه الحسنى وصفاته العلى، ومحاربته للشرك بجميع أشكاله وأنواعه، ومن خلال توجيهه وتعليمه وتربيته للناس على دعوة التوحيد ومحاربة الشرك أمور منها:

١- قوله رضى الله عنه: «لا يرجونَّ عبد إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه»[(١)] فهذا من أحسن الكلام، وأبلغه وأتمه. فإن الرجاء يكون للخير، والخوف يكون من الشر، والعبد إنما يصيبه الشر بذنوبه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، فالراجى يطلب حصول الخير ودفع الشر، ولا يأتى بالنعم إلا الله، ولا يذهب المصائب إلا الله ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾[يونس: ١٠٧]، ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٢]، والرجاء مقرون بالتوكل، فإن المتوكل يطلب ما رجاه من حصول المنفعة ودفع المضرة، والتوكل لا يجوز إلا على الله، كما قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[آل عمران: ١٦٠]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾[التوبة: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[آل عمران:١٧٣]، فهؤلاء قالوا: حسبنا الله، أى: كافينا الله فى دفع البلاء، أولئك أمروا أن يقولوا: حسبنا فى جلب النعماء - فهو - سبحانه - كاف عبده فى إزالة الشر وفى إنالة الخير، أليس الله بكاف عبده، ومن توكل على غير الله ورجاه خُذل من جهته وحُرم، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ

(١) الفتاوى (٨/ ١٠١).

الْعَنكَبُوتِ﴾ [العنكبوت: ٤١]، ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١، ٨٢]، ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، ﴿لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً﴾ [الإسراء: ٢٢]. وقال الخليل: ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧]، فمن عمل لغير الله رجاء أن ينتفع بما عمل له، كانت صفقته خاسرة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، كما قيل في تفسيرها: كل عمل باطل إلا ما أريد به وجهه، فمن عمل لغير الله ورجاه بطل سعيه، والراجي يكون راجيًا تارة بعمل يعمله لمن يرجوه، وتارة باعتماد قلبه عليه والتجائه إليه وسؤاله، فذاك نوع من العبادة له، وهذا نوع من الاستعانة به، وقد قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقال: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وقال: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠]، ومما يوضح ذلك: أن كل خير ونعمة تنال العبد فإنما هي من الله، وكل شر ومصيبة تندفع عنه أو تكشف عنه، فإنما يمنعها الله، وإنما يكشفها الله، وإذا جرى ما جرى من أسبابها على يد خلقه، فالله - سبحانه - هو خالق الأسباب كلها سواء كانت الأسباب حركة حي باختياره وقصده، كما يحدثه تعالى بحركة الملائكة والجن والإنس والبهائم أو حركة جماد بما جعل الله فيه من الطبع، أو بقاسر يقسره كحركة الرياح والمياه ونحو ذلك، فالله خالق ذلك كله، فإنه لا حول ولا قوة إلا به(١)، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فالرجاء يجب أن يكون كله للرب، والتوكل عليه والدعاء له، فإنه إن شاء ذلك ويسره كان وتيسر، ولو لم يشأ الناس، وإن لم يشأه ولم ييسره لم يكن وإن شاء الناس(٢)، هذه بعض المعاني من قول أمير المؤمنين: لا يرجونَّ أحد إلا ربه(٣).

---

(١)، (٢) الفتاوى (٨/ ١٠٢).

(٣) المصدر نفسه (٨/ ٩٩)

وأما قوله: «ولا يخافن إلا ذنبه»(1)، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ﴾ [الأعراف: ١٣١]. بيَّن سبحانه أن الحسنة من الله ينعم بها على الناس، وأن السيئة إنما تصيبهم بذنوبهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]، فأخبر أنه لا يعذب مستغفرًا، لأن الاستغفار يمحو الذنب الذى هو سبب العذاب، فيندفع العذاب، كما فى سنن أبى داود وابن ماجة عن النبى ﷺ أنه قال: «من أكثر الاستغفار، جعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب»(2)، وقال تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (2) وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: ٢، ٣]. فبين: أن من وحَّده واستغفره متعه متاعًا حسنًا إلى أجل مسمى، ومن عمل بعد ذلك خيرًا زاده من فضله، وفى الحديث: يقول الشيطان: أهلكت الناس بالذنوب، وأهلكونى بلا إله إلا الله، والاستغفار(3)، فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يتوبون، لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا(4).

وقال عمر بن عبد العزيز: ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة، ولهذا قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (174) إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٣- ١٧٥]، فنهى المؤمنين عن خوف أولياء الشيطان، وأمرهم بخوفه، وخوفه يوجب فعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، والاستغفار من الذنوب، وحينئذ يندفع البلاء وينتصر على الأعداء، فلهذا قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه: لا يخافن عبد إلا ذنبه(5)، وإن سلط عليه مخلوق فما سلط عليه إلا بذنوبه، فليخف الله، وليتب من ذنوبه التى نال بها ما ناله(6)، كما فى الأثر: يقول الله: أنا الله مالك الملوك، قلوب الملوك ونواصيهم بيدى، من أطاعنى جعلتهم عليه رحمة، ومن عصانى جعلتهم عليه نقمة، فلا تشتغلوا بسب الملوك، وأطيعونى أعطف قلوبهم عليكم(7).

---

(1) الفتاوى (٨/ ٩٩). (2) سنن ابن ماجة رقم (٣٨١٩)، سنن أبى داود (١٥١٨).

(3) مسند أبى يعلى (١/ ١٢٣) رقم (١٣٦)، مجمع الزوائد (١/ ٢١٠) وهو ضعيف.

(4) الفتاوى (٨/ ١٠٠). (5) المصدر نفسه (٨/ ٩٩).

(6)، (7) المصدر نفسه (٨/ ١٠١).

٢- تعريف أمير المؤمنين الناس بأسماء الله وصفاته: قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف، كما فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقد بيَّن القرآن الكريم أن معرفة الأسماء الحسنى وصفاته العلى من أعظم الوسائل فى زيادة الإيمان وقوته وثباته، ومعرفتها تتضمن أنواع التوحيد الثلاثة، توحيد الربوبية، توحيد الإلهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأنواع هى روح الإيمان، وأصله وغايته، فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته، ازداد إيمانه وقوى يقينه(١)، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقد ثبت فى الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا - مائة إلا واحدة - من أحصاها دخل الجنة»(٢)، أى من حفظها وفهم معانيها، واعتقدها، وتعبد الله بها دخل الجنة، والجنة لا يدخلها لا المؤمنون(٣).

ولأهمية هذا العلم قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه: يا طالب العلم: إن للعالم ثلاث علامات، العلم بالله، وبما يحب الله، وبما يكره الله(٤)، وقال فى معرض وصفه للمولى سبحانه وتعالى: هو العالم بكل مكان، وكل حين وأوان، لم يخلق الأشياء من أصول أولية، ولا بأوائل كانت قبله بدية، بل خلق ما خلق فأقام خلقه، وصور ما صور فأحسن صورته، توحد فى علوه فليس لشىء منه امتناع، ولا له بطاعة شىء من خلقه انتفاع، إجابته للداعين سريعة، والملائكة فى السماوات والأرضين له مطيعة، علمه بالأموات البائدين، كعلمه بالأحياء المتقلبين، وعلمه بما فى السماوات العلى، كعلمه بما فى الأرض السفلى، وعلمه بكل شىء، لا تحيره الأصوات، ولا تشغله اللغات... مدبر بصير، عالم بالأمور، حى قيوم... سبحانه وتعالى عن تكييف الصفات(٥).

وجاء يهودى إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فسأله: متى كان ربنا؟ فتمعر(٦) وجه على بن أبى طالب وقال: لم يكن فكان؟! هو كان ولا كينونة، كان بلا

---

(١) الوسطية فى القرآن الكريم للصلابى: ص (٢٢٨) (٢) البخارى، ك الدعوات رقم: (٦٤١٠).
(٣) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للسعدى، ص (٤١).
(٤) تاريخ اليعقوبى (٢/ ٢٠٧)، منهج على بن أبى طالب، ص (٩١).
(٥) حلية الأولياء (١/ ٧٣). (٦) تمعر: تغير، لسان العرب (٥/ ١٨١).

كيف، كان ليس قبل ولا غاية، انقطعت الغايات دونه، فهو غاية كل غاية، فأسلم اليهودي[(١)]، ومما يرويه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ في صفات الله سبحانه وتعالى قوله: قال رسول الله ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»[(٢)].

إن معرفة أسماء الله وصفاته، وتأمل معانيها، والإيمان بها تثمر للعبد محبة الله وتعظيمه الموجبين للقيام بأمره ونهيه، كما توجب اللجوء إليه في الكربات، وسؤاله عند الحاجات، واستغاثته في الملمات وغيرها من أنواع العبادات القلبية[(٣)].

٣- تعريف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الناس بنعم الله المستوجبة لشكره: قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مذكرًا بالله سبحانه وتعالى وبنعمه على عباده: أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال، ووقت لكم الآجال، وجعل لكم أسماعًا تعي ما عناها، وأبصارًا لتجلو عن غشاها، وأفئدة تفهم ما دهاها، في تركيب صورها وما أعمرها، فإن الله لم يخلقكم عبثًا ولم يضرب عنكم الذكر صفحًا، بل أكرمكم بالنعم السوابغ، وأرفدكم بأوفر الروافد، وأحاط بكم الإحصاء، وأرصد لكم الجزاء في السراء والضراء، فاتقوا الله عباد الله وجدوا في الطلب، وبادروا بالعمل مقطع النهمات وهادم اللذات[(٤)]، وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يحث الناس على القرب من الله بشكر النعم الحاصلة ويحذرهم من الركون إليها والأمن معها، ويرغبهم فيما عند الله من المزيد في حال شكر النعم، حيث يقول: فإن نزلت بكم رغبة فاشكروا الله، واجمعوا معها رهبة، وإن نزلت بكم رهبة فاذكروا الله واجمعوا معها رغبة، فإن الله قد تأذن المسلمين بالحسنى، ولمن شكره بالزيادة[(٥)]، ودعا أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الناس إلى التفكير في أنفسهم فقال: من عرف نفسه فقد عرف ربه[(٦)]، وقد قال تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص (٢٠٦)

(٢) مسند أحمد (٢/ ١٧٣)، قال أحمد شاكر: إسناده حسن.

(٣) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، ص (٩٢).

(٤) الحلية (١/ ٧٨)، صفة الصفوة (١/ ٣٢٨).

(٥) البداية والنهاية (٧/ ٣٠٩).

(٦) مطلوب كل طالب من شرح كلمات علي بن أبي طالب، لمحمد عبد الجليل العمري، مخطوط نقلاً عن منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، ص (٩٦).

٤- حرص أمير المؤمنين على بن أبى طالب على محو آثار الجاهلية: قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: كان رسول الله ﷺ فى جنازة، فقال: «**أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع وثنًا إلا كسره، ولا قبرًا إلا سواه، ولا صورة إلا لطخها؟**» فقال على رضى الله عنه: أنا أنطلق يا رسول الله، فقال: «**فانطلق**» فانطلق، ثم رجع فقال: يا رسول الله، لم أدع بها وثنًا إلا كسرته، ولا قبرًا إلا سويته، ولا صورة إلا لطختها، ثم قال رسول الله ﷺ «**من عاد لصنعة شىء من هذا فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**»[(١)].

وعندما أصبح أمير المؤمنين أرسل أبا الهياج الأسدى وقال له: أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته[(٢)]، فأمره بمحو التماثيل، وأن تكون القبور مدروسة معالمها. وقد كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه كثيرًا ما يقصد المقبرة زائرًا ومتعظًا، وقد أشرف على المقبرة فقال: يا أهل القبور أخبرونا بخبركم، أما خبركم قبلنا فالنساء قد تزوجن، والمال قد قسم، والمساكن قد سكنها قوم غيركم، ثم قال: أما والله لو نطقوا لقالوا: لم نر خيرًا من التقوى[(٣)]، وقد كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يسعى جاهدًا فى تجريد التوحيد، وقطع أسباب الشرك ووسائله من جميع الجهات، ولذلك حذر من اتخاذ القبور مساجد لما تسببه من الفتنة فى أهلها، وكونها ذريعة إلي عبادة الأموات، وقد وصف رضى الله عنه من فعل ذلك بأنه من شرار الناس كما فى قوله: شرار الناس من يتخذ القبور مساجد[(٤)]، وهذا اتباع لقول رسول الله ﷺ: «**اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[(٥)]، وغيره من الأحاديث التى صحت فى هذا المعنى، كما لابد من التنبيه على أن الغرض من زيارة القبور أمران، كما هو بيِّن من الهدى النبوى الشريف الاتعاظ بالموت، والدعاء للميت والترحم عليه، وليس فى واحد منها ما يدل على أن الزائر يقصد القبر، ليقضى حاجته، فقصد القبر للانتفاع به مخالف لهدى النبى ﷺ ومخالف لأدب زيارة القبور التى نصّ عليها العلماء[(٦)]، قال ابن العربى وهو يعدد أغراض السفر، ومنه: القصد إلى الإخوان لتفقد أحوالهم - وبعد أن ذكر فضل من زار أخًا له فى الله - قال: هذا إن كان حيًا، فإن كان ميتًا، فتجوز زيارة قبره

(١) مسند أحمد (٢/ ٨٧ حديث رقم ٦٥٧) ط. الرسالة. (٢) مسلم، ك الجنائز (٢/ ٦٦٦).

(٣) الاستذكار (١/ ٢٣٤).

(٤) مصنف عبد الرزاق (١/ ٤٠٥)، كنز العمال رقم (٢٢٥٢٢).

(٥) فتح البارى (٤/ ٣٧٦) إسناده حسن

(٦) الغلو فى الدين، د. الصادق الغريانى، ص (١١٩).

أيضًا، والترحم عليه لينتفع الميت بالحى، ولا يقصد الانتفاع بالميت فإنها بدعة[1]، بل إن قصد القبر رجاء قضاء الحاجة هو عين ما حذر منه النبى ﷺ أصحابه عندما سألوه أن يجعل لهم ذات أنواط، ففى حديث أبى واقد الليثى: أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها: ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم (ذات أنواط)، فقال النبى ﷺ: «**سبحان الله، هذا كما قيل لموسى، اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، والذى نفسى بيده لتركبن سنة من كان قبلكم**»[2]، وفى عدة المريد يقول الشيخ الزروق بعد أن ذكر الحديث المتقدم: ولا يجوز عند العلماء تعظيم مكان، أو شجر، أو بناء، أو أى شىء آخر له أصل فى معتقدات الجاهلية، رجاء الشفاء أو قضاء حاجة[3]، ثم قال: فى الحديث دليل على منع كل ما يستدام أو يكون له أصل فى عبادة الجاهلية من خشبة أو حديدة أو حجر أو بناء ونحوه، لا يمتهن أو يكون مستهلكًا[4]، ولا شك أن القبر له أصل فى عبادة الجاهلية، بل هو أصل أصولها، ولا أدل على ذلك من أن أشهر أصنامهم التى عبدوها من دون الله، «اللات» و «مناة»، هى أسماء لرجال صالحين ماتوا فغالوا فى تعظيمهم حتى عبدوهم من دون الله[5]، وهنا كان حديث النبى ﷺ وفعل سيدنا على له عمل عظيم فى حماية جناب التوحيد، ويتضح لنا أن ما يفعله بعض جهلة المسلمين من تعظيم القبور والطواف حولها والتعلق بأهلها أمر محرم يخالف أمر الله وسيرة أمير المؤمنين، فعلى العلماء الربانيين الذين يرجون الله واليوم الآخر أن يقتدوا بالنبى ﷺ كما فعل أمير المؤمنين على، وأن يسعوا لتعبيد الناس لربهم وجعل قلوبهم تتعلق بالله الواحد القهار، وأن يحاربوا العوائق فى الطريق إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

أ- الزيارة الشرعية للقبور: إن الزيارة الشرعية للقبور سنة مجهولة عند الكثيرين، قد غفلها جمع من الناس لفشو البدع والخرافات فى العالم الإسلامى، وعدم إرشاد أهل العلم الناس إلى هذه الزيارة المشروعة، وتقصير الدعاة فى توضيح هذا النوع المباح وما يقال عند الزيارة، فالزيارة الشرعية الغرض منها: تذكر الموت ومكان الإنسان ونهايته، وأنه سيأتى اليوم الذى يكون هذا موضعه ومضجعه الذى يزوره الآن، مما يعين على الثبات على الطاعة، وحث النفس، والأخذ بزمامها نحو العبادة، خاصة إذا أصابها فتور وتقاعس عن العبادة، كما يشرع فيها السلام على الأموات والدعاء لهم بالرحمة والمغفرة، ومن الأدلة

(١) فتح البارى (٣/ ٦٥).
(٢) سنن الترمذى رقم (٢١٨٠) حسن صحيح.
(٣)، (٤) عدة المريد، ص (٢٠٦)، الغلو فى الدين للغريانى، ص (١١٩).
(٥) الغلو فى الدين، ص (١١٩).

على ذلك حديث عائشة، رضى الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد»، وفى رواية عنها، رضى الله عنها، فى قصة جبريل، حين جاء النبى ﷺ وأخبره أن الله تعالى يأمره أن يستغفر لأهل بقيع الغرقد، قالت عائشة رضى الله عنها: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ فقال: «قولى: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»(١).

ب- تاريخ الاحتفال بالمزارات فى الأضرحة: يذكر أن أول من أحدث الاحتفال بالمزارات السنوية فى الأضرحة هم العبيديون (الفاطميون) فى القرن الرابع، ذكر ذلك المقريزى أحمد ابن على قال: كانت لهم ستة موالد، مولد النبى ﷺ مولد على بن أبى طالب، والحسن والحسين، وفاطمة رضى الله عنهم، ومولد الخليفة، وكانوا ينحرون عند قبر الحسين الإبل والبقر والغنم(٢). ولم يكن المسلمون قبل هذا التاريخ فى القرون الثلاثة الأولى يقيمون الأضرحة، ولا يحتفلون بها، ولا أدل على ذلك من أن أكثر الصحابة رضوان الله عليهم دفنوا خارج البقيع فى مصر والشام والعراق، لا تعرف قبورهم، ومن عرف قبره منهم، فمختلف فيه بين المؤرخين، وكُتاب السير، فكيف خفيت قبورهم عن أهل السير، وهم الصلحاء والعلماء وأعلام الهدى، الذين حملوا راية الدين والعلم، والجهاد والعبادة؟ لو كان للأضرحة فى زمانهم وزمان تابعيهم ذكر لما خفى مكانها، ولما اختلف المؤرخون فيها، وفعل الناس لهذا الأمر بعد القرون الأولى خير القرون لا يكسبه مشروعية بحال، كيف وقد نهى النبى ﷺ عن اتخاذ قبره عيدًا؟ فمن يفعل ذلك من الناس فإنما يفعل عين ما حذر منه النبى ﷺ، ويحتج بعمله، وعمل شيخه، ويقدمه على هدى رسول الله ﷺ وأصحابه، والله تعالى يقول: ﴿لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١]، ويقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

جـ- ارتباط المزارات بالتخلف والجهل: ارتفع شأن القباب والتوابيت - المضروبة على القبور - خلافًا لأمر رسول الله ﷺ بتسويتها، كما بين لنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه، وتفنن الناس فى زخرفتها بالألوان الزاهية، ونصبت عليها ستائر الحرير كستائر الكعبة، وحرست بالأبواب الفاخرة وزودت بخزائن الحديد الثقيلة، لجمع ما يجود

(١) مسلم رقم (١/ ٦٧١) رقم (٩٧٤).

(٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (١/ ٤٢٧، ٤٩٠)، الغلو فى الدين للغريانى، ص (١٠٣).

به الزائرون، وما ينفقونه على أصحاب الأضرحة من نذور، لتقضى حوائجهم وتتحقق آمالهم، وازدهرت الحياة للمتعيشين على خدمة الضريح وحراسته، رواة الكرامات، ورواة التحذير الصارم بسوء عاقبة كل من يحاول أن يشكك فى سلامة ما يجرى، ومن المعروف أن التبجيل على هذا النحو للأضرحة لم يزدهر إلا يوم أن تخلف المسلمون، وضعفت هممهم، فى عصور الانحطاط العلمى، والجمود الفكرى، يوم أن حولوا نور الرسالة المحمدية، التى استطاعت فى الأربعين سنة الأولى من عمرها أن تجعل أهل الأرض من فارس إلى المغرب يدينون بها، حولوا هذه الرسالة الحضارية المشرقة إلى دروشة وخمول، وبطالة وتعلق بالأوهام، وقصروا هممهم على أمور ما كان سلفنا الصالح، الذى ملأ الدنيا علمًا وعملاً صالحًا يقف عندها، ولا يلتفت إليها، ألا يجدر بنا أن نسأل أنفسنا: هل وجد شىء من هذا على عهد الصحابة فعلوه لقبر الرسول ﷺ، وهو أفضل قبر على وجه الأرض؟! أو لقبورهم، وهم أفضل أمته، أو وجد شىء منه حتى فى عهد الأئمة الذين يقتدى بهم، كمالك والشافعى وأبى حنيفة وأحمد رحمهم الله؟!

أليس عدم وجود شىء من ذلك عندهم دليلاً على أن ما يجرى لا صلة له بالدين، ولا بالعبادة، ولا بالولاية؟! وإنما هى مظاهر التخلف والجهل، استغلها من لهم مصلحة باسم الدين، أيا كانت المصلحة، لتخدير العامة والاستيلاء على عقولهم، وجيوبهم، وأكل أموالهم وشدهم إلى الوراء، لقد ظل الإسلام قرونًا عديدة يتزعم العالم قوة ومعرفة، وحضارة، وتشريعًا، وأخلاقًا، ورحمة بالإنسانية، وتطلعًا إلى الابتكار، ومعالى الأمور، ذلك كان حال المسلمين يوم أن كان تعلقهم بحقيقة الإسلام، فلما أعرضوا عن ذلك، واستبدلوا مفاهيم مغلوطة - تعتمد على التواكل والبطالة والدروشة والتعلق بالغيبيات التى لم يقم عليها دليل، ولم يأمرنا الله بها - بما عندهم من العلم والهداية، وسموا كل ذلك (بركة)، تسمية للشىء بضده، وأحرى بمن يعرض عن الهداية وأسبابها أن يكون من الضالين، وعن البركة من المبعدين(١).

د- **الحملات الاستعمارية وإقامة الأضرحة:** كان للحملات الغربية الاستعمارية مواقف فى تشجيع المسلمين أن ينحوا هذا المنحى ليبتعدوا عن جوهر الدين، ذكرت صحيفة التايمز الإنجليزية قول أحد رجال الاستعمار البريطانى يحض على تشجيع البدع والأوهام بين المسلمين يقول: فإن ذلك كفيل بإبعادهم عن الإسلام، يقول الشيخ أحمد الباقورى: إن

(١) الغلو فى الدين، للغريانى (١٠٥).

أحد كبار المستشرقين حدثه عن بعض أساليب الاستعمار في آسيا، أن الضرورة كانت تقضي بتحويل القوافل الآتية من الهند إلى بغداد، عبر تلك المنطقة الواسعة إلى اتجاه جديد، للمستعمر فيه غاية، ولم تجد الوسائل في جعل القوافل تختاره، وأخيرًا اهتدوا إلى إقامة عدة أضرحة وقباب على مسافات متقاربة في هذا الطريق، وما هو إلا أن تناقل الناس الإشاعات بما فيها من الأولياء، وبما شوهد من كراماتهم، حتى صارت تلك الطريق مأهولة، ومقصودة عامرة(١)، وقد اهتمت الحكومة الإنجليزية بالحالة الدينية في مصر، وهي ترصد التحرك الشيوعي في المنطقة، فكان مما طمأنها على تدين المصريين: أن ثلاثة ملايين مسلم زاروا ضريح أحمد البدوي بطنطا في ذلك العام، يقول أحد العلماء الذين أوفدوا من وزارة الأوقاف لوعظهم: لقد كنت أشهد من أعمالهم ما يستدعي الجلد بالسياط لا ما يستدعي الزجر بالكلام، ولو دعوا إلى واجب ديني صحيح لفروا نافرين، وحسبك معرفة حالهم أنهم جاءوا الضريح المذكور للوفاء بالنذور والابتهال بالدعاء(٢).

هـ- هل المزارات من الإحداث في الدين: مات رسول الله ﷺ وهو أكرم الخلق على الله تعالى وأتقاهم لله، وأخشاهم لله، وتوقير أصحابه له غير خاف، ومحبتهم إياه لا تقدر، وقُبر ﷺ في بيته، ومكان قبره الشريف معروف لدى أصحابه غير مجهول، وهو أفضل قبر في الدنيا، فلم يقيموا عليه مشهدًا، ولا بناء، ولا قبابًا، ولم يجتمع عند قبره الخلفاء الراشدون إحياء لذكراه في يوم من السنة معلوم في (مزار) ولا غيره من أصحابه الأخيار، اغتنامًا للذكر والعبادة، بل كانوا إذا مروا بقبره الشريف يصلون ويسلمون عليه كما أمرهم ربهم، وكانوا يطيعون أمره ويتبعون سنته، ويهتدون بهديه، ويقفون عند أمره ونهيه، حيًا وميتًا، امتثالاً لأمر ربهم: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وقوله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وخلفاؤهم هم القدوة الحسنة الذين أمرنا رسول الله ﷺ باتباع سنتهم والعض عليها بالنواجذ، ولم ينقل أحد من أهل الإسلام أن أصحابه اجتمعوا ليلة في السنة عند قبره للذكر والعبادة، رجاء البركة، وهم أولياء الله، وحزب الهدى، وأنصار الحق، وكتائب الدين، وأعلم منا بما يحبه رسول الله ﷺ، وأحرص على الطاعة، وتعظيم رسول الله ﷺ في قلوبهم وتوقيره بالمكان الذي لا يخفى، ولا يختلف عليه، لأنه الذي نطق به القرآن، وأجمع على تعظيمهم له، ومحبته وتوقيرهم إياه أهل الإسلام، ولو كان هذا العيد السنوي

(١) انظر: ليس من الإسلام، لمحمد الغزالي، ص (٢٢٤)

(٢) الغلو في الدين، ص (١٠٥)

عند قبره مما يقرب إلى الله، ولا يخاف منه فساد فى الدين لكانوا أسبق إليه، ولم يأمرهم رسول الله ﷺ فى حياته بشىء من هذا، ولا وُجد فى سنته بفعل ولا تقرير ما يدل على مشروعيته عند قبر النبى ﷺ بعد موته، أو عند أحد من قبور أصحابه الذين ماتوا، ومرت عليهم السنون فى حياته، فلم يتعبد هو ولا أصحابه بشىء من هذا، وهو أكمل الخلق عبودية لله، وأكملهم علمًا بما يرضى الله تعالى، ونصحه لأمته، وحرصه على ما ينفعهم نزل به القرآن ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]، وقد نهانا النبى ﷺ عن اتخاذ قبره عيدًا، فقال ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبرى عيدًا، وصلوا علىَّ، فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم»(١)، ومعنى عيد من العود، وهو الرجوع والمعاودة، لأنه يتكرر مرة بعد مرة، أى لا تجعلوا لزيارة قبرى أيامًا معلومة، وأوقاتًا مخصوصة، كل شهر، أو كل سنة، أو غير ذلك، فى اجتماع عام يتكرر بصفة ثابتة كالعيد، ولا تتخذوه منسكًا ترحلون إليه كالحج، ولا تتشبهوا باليهود والنصارى، فإنهم يفعلون ذلك، وقد أدى بهم الأمر إلى الغلو والمبالغة فى الإطراء، حتى جعلوا المسيح عليه السلام إلهًا، وقد حذر النبى ﷺ أصحابه من ذلك فقال ﷺ: «لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله»(٢)، فإذا كان الحال من النهى فى التعلق بقبر النبى ﷺ، وهو أكرم الخلق على الله، وهو سيد الأولين والآخرين، وأفضل الخلق أجمعين، وأرجى الشفعاء عند الله يوم الدين، فما بالك بقبور الأموات من دونه من الأولياء والصالحين، فتكون مخالفة نهيه فى ذلك باتخاذ قبورهم أعيادًا، داخلة فى الشق الثانى من الحديث، وهو ما يقرب إلى من يخالف نبيه فى قوله عز وجل: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]

فهذا هو هدى خير القرون، فمن خالفهم زاعمًا أنه أتى بطاعة وقربة، فلا يخلو حاله من أمرين، إما أنه جاء ببدعة ظلمًا، وإما أن يكون مدعيًا أنه فاقهم فضلاً وعلمًا، بل كان الإمام مالك رحمه الله تعالى يقول: من أحدث فى هذه الأمة شيئًا لم يكن عليه سلفها، فقد زعم أن رسول الله ﷺ خان الدين، لأن الله تعالى يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فما لم يكن يومئذ دينًا، لا يكون اليوم دينًا(٣)، وكان يقول: السنة سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق(٤).

(١) فتح البارى: (٤/ ٣٧٦) إسناده حسن.
(٢) البخارى رقم (٣٣٤٥).
(٣) الاعتصام للشاطبى (٢/ ٥٣).
(٤) الغلو فى الدين للغريانى، ص (١٠٩).

إن إقامة (المزارات) عبادة لم يفعلها رسول الله ﷺ ولا أصحابه، بل نهى عنها، ومخالفته من الإحداث في الدين الذي ينتهي بصاحبه إلى الضلال كما أخبر النبي ﷺ، فقد كان مما خطب به في كل جمعة محذرًا: أما بعد.. فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة[1]، وقال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد»[2].

إن جمع الناس في يوم معين على الدوام، في مكان ما، تشد إليه الرحال من كل حدب وصوب للعبادة، لا يجوز إلا فيما شرعه الله تعالى من إقامة النُسك في مكة، وعرفة، ومنى، والمزدلفة، وفي صلوات الأعياد والجمعة والجماعة، وهي الشعائر التي أمر الله تعالى بتعظيمها، وإقامتها، وأثنى على أهلها بقوله تبارك وتعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، وإحداث مشهد آخر غير ما ذكر، في يوم من السنة، من الإحداث في الدين، لأنه إحداث عبادة ونسك لم يشرعها الله تعالى، فإن هذه المزارات صارت عند العامة كالنسك، يجتمع إليها الناس في يوم من السنة معلوم للذبح والعبادة، وتشد إليها الرحال، وهذا في ذاته أمر مذموم، فإن الطاعات المطلقة المندوب إليها في كل وقت، إذا خصص شيء منها بليلة معينة، أو يوم معين، أو مكان معين، لم يخصصه الشرع به، واعتقد أن لفعلها في ذلك الوقت المعين، أو المكان المعين، أثرًا خاصًا في البركة، أو رفع الدرجات، أو قبول العمل، أو تعظيم الأجر، تحولت تلك الأعمال التي هي من جنس الطاعات إلى بدعة بالاتفاق، لأن ترتيب الثواب على الأعمال، أمر توقيفي لا يكون إلا من الشارع، وقد جر هذا إلى مفاسد عظام، منها اعتقاد العامة في أصحابها الذين بنيت عليهم القباب خلافًا لنهي رسول الله ﷺ فاعتقدوا فيها الشر والنفع، وقضاء الحوائج، وتقربوا إليها بالذبائح والقرابين في يوم معلوم من السنة، عند إقامة المزار، وتوددوا إليها بعد ما أشاعوا حولها أن من ساق إليها الحيوان ليذبح في ذلك اليوم، وكانت له حاجة يرجوها من ربه، مثل ولد إن كان لا يلد، أو شفاء مرض إن كان مريضًا - لا يرجع إلا بها، فصارت ملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها ما سأله العباد من ربهم واستغاثوا بها، وظنوا أن حوائجهم تقضى لهم من ربهم بواسطتها وعن طريقها، حتى صاروا يذبحون عندها، لاستنزال المطر إذا تأخر المطر، معرضين عن كتاب الله وهدى رسول الله ﷺ الذي أمر بالتوبة والاستغفار والدعاء والصلاة طلبًا للسقيا، وقد ينزل المطر بعد ذبحهم، استدراجًا وابتلاء، ولكن عملهم لا يزال من أعمال الشياطين، ومعتقدات الجاهلية[3]، فإلى الله المشتكى.

---

(١) مسلم: رقم (٨٦٧) (٢) البخاري: ٢٦٩٧.

(٣) الغلو في الدين، ص (١١١، ١١٢).

إن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه دعا للتوحيد وحارب الشرك وأسبابه، فعلى محبيه ومتبيعه أن يأخذوا بأقواله وأفعاله التى ترشدنا للتمسك بالقرآن الكريم وهدى النبى ﷺ، وما أحسن كلامه عندما قال: «لا يرجون أحد إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه»(١)، وقوله لأبى الهياج الأسدى: ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ: «أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفًا إلا سويته»(٢).

و- حرص أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه على بطلان الاعتقاد بالكواكب: لما أراد أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه أن يسافر لقتال الخوارج، عرض له منجم، فقال: يا أمير المؤمنين، لا تسافر، فإن القمر فى العقرب، فإنك إن سافرت والقمر فى العقرب هزم أصحابك - أو كما قال - فقال على: بل أسافر ثقة بالله وتوكلاً على الله وتكذيبًا لك، فسافر فبورك له فى ذلك السفر، فقتل عامة الخوارج(٣)، وجاء فى رواية: . . . فلما فرغ من النهروان حمد الله وأثنى عليه ثم قال: لو سرنا فى الساعة التى أمرنا المنجم لقال الجهال الذين لا يعلمون: سار فى الساعة التى أمره بها المنجم فظفر(٤).

انظر إلى حرص أمير المؤمنين على رضى الله عنه على سلامة عقيدة أصحابه مما ادعاه المنجم من ذلك الاعتقاد الفاسد، فعلى رضى الله عنه مع ما كان فيه من الأمر المهم من قتال الخوارج، وانشغاله بنتيجة المعركة، فإنه لم ينس تلك الكلمة التى قالها ذلك المنجم له فى بداية مسيره، فكان منه بيان فساد ذلك المعتقد فى الوقت المناسب بعد انتهاء قتاله للخوارج وانتصاره عليهم(٥).

ز- إحراق أمير المؤمنين على رضى الله عنه لمن غلوا فيه وادعوا فيه الألوهية: عن عبد الله بن شريك العامرى عن أبيه قال: قيل لعلى: إن هنا قومًا على باب المسجد يدعون أنك ربهم، فدعاهم فقال لهم: ويلكم، ما تقولون؟ قالوا: أنت ربنا وخالقنا ورازقنا، فقال: ويلكم إنما أنا عبد مثلكم، آكل الطعام كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، إن أطعت الله أثابنى إن شاء الله، وإن عصيته خشيت أن يعذبنى، فاتقوا الله وارجعوا، فأبوا فلما كان الغد غدوا عليه، فجاء قنبر، فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام، فقال: أدخلهم، فقالوا

(١) الفتاوى (٨/ ١٠١)
(٢) مسلم، ك الجنائز (٢/ ٦٦٦).
(٣) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٧٩)، البداية والنهاية (٧/ ٢٨٨).
(٤) البداية والنهاية (٧/ ٢٨٨).
(٥) منهج على بن أبى طالب فى الدعوة إلى الله، ص (٣٢٩).

كذلك. فلما كان اليوم الثالث، قال: لئن قلتم ذلك لأقتلنكم بأخبث قتلة، فأبوا إلا ذلك، فخد لهم أخدودًا بين المسجد والقصر، وقال: إني طارحكم فيها أو ترجعوا، فأبوا أن يرجعوا، فقذف بهم فيها، حتى إذا احترقوا[1] قال:

إني إذا رأيت الأمر أمرًا منكرًا   أوقدت ناري ودعوت قنبرًا[2]

كما أخرج البخاري في صحيحه خبر الإحراق من حديث عكرمة، قال: أتي علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله ﷺ حيث قال: «لا تعذبوا بعذاب الله»، ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه»[3]، وقال ابن تيمية: وثبت عنه أنه حرق غالية الرافضة الذين اعتقدوا فيه الإلهية[4].

لم ير ابن عباس رضي الله عنهما، رأي علي بن أبي طالب رضي الله عنه في إحراق السبئية، حيث يقول: لو كنت أنا لم أحرقهم محتجًا عليه بنهي رسول الله ﷺ: «لا تعذبوا بعذاب الله»، ولقوله ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه»[5]. قال ابن حجر: وهذا يحتمل أن ابن عباس سمعه من رسول الله ﷺ، ويحتمل أن يكون سمعه من بعض الصحابة.

وفي رواية أبي داود: فبلغ ذلك عليًا، فقال: ويح أم ابن عباس[6]، وهذا يحتمل أنه لم يرض بما اعترض به، ورأى أن النهي للتنزيه[7]. وقال ابن حجر أيضًا: (ويح) كلمة رحمة، فتوجع له لكونه حمل النهي على ظاهره، فاعتقد التحريم مطلقًا، فأنكره، ويحتمل أن يكون قالها رضًا بما قال، وأنه حفظ ما نسيه بناء على أحد ما قيل في تفسير «ويح»، أنها تقال بمعنى المدح والتعجب[8]، وقال: واختلف السلف في التحريق، فكره ذلك عمر، وابن عباس، وغيرهما مطلقًا سواء كان ذلك بسبب كفر، أو في حال مقاتلة، أو كان قصاصًا، وأجازه علي، وخالد بن الوليد وغيرهما، وقال المهلب: ليس هذا النهي على التحريم، بل على سبيل التواضع، ويدل على جواز التحريق فعل الصحابة، فقد سمل النبي ﷺ أعين العرنيين بالحديد المحمى، وقد حرق أبو بكر البغاة بالنار بحضرة الصحابة،

(١)، (٢) فتح الباري (١٢/ ٢٧٠) سنده حسن.
(٣) البخاري، ك المرتدين (٤/ ٢٧٩).
(٤) الفتاوى (٢٨/ ٤٧٤)، منهاج السنة (٥/ ١٢).
(٥) البخاري، ك المرتدين (٤/ ٢٧٩).
(٦) سنن أبي داود، ك الحدود (٤/ ٥٢٠) صححه الألباني.
(٧) فتح الباري (١٢/ ٢٧١).
(٨) المصدر نفسه (١٢/ ٢٧٢).

وحرق خالد بن الوليد بالنار ناسًا من أهل الردة، وأكثر علماء المدينة يجيزون تحريق الحصون والمراكب على أهليها، قاله الثورى، والأوزاعى، وقال ابن المنير وغيره، لا حجة فيما ذكر للجواز، لأن قصة العرنيين كانت إما قصاصًا أو منسوخة كما تقدم، وتجويز الصحابى معارض بمنع صحابى آخر، وقصة الحصون والمراكب مقيدة بالضرورة إلى ذلك إذا تعين طريقًا للعدو[١]، وقال ابن القيم: وحرق أبو بكر رضى الله عنه اللوطية وأذاقهم حر النار فى الدنيا قبل الآخرة، وكذلك قال أصحابنا: إذا رأى الإمام تحريق اللوطى فله ذلك، فإن خالد بن الوليد، رضى الله عنه، كتب إلى أبى بكر الصديق، رضى الله عنه، أنه وجد فى بعض نواحى العرب رجلاً ينكح كما تنكح المرأة، فاستشار الصديق أصحاب رسول الله وفيهم على بن أبى طالب وكان أشدهم قولاً، فقال: إن هذا الذنب لم تعص به أمة من الأمم، إلا واحدة فصنع الله بهم ما قد علمتم، أرى أن يحرق بالنار، فكتب أبو بكر إلى خالد أن يحرقوا فحرقهم، ثم حرقهم عبد الله بن الزبير فى خلافته، ثم حرقهم هشام بن عبد الملك[٢].

ح- كيفية بداية الإيمان فى القلب عند أمير المؤمنين على بن أبى طالب، وتعريفه للتقوى: قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه: إن الإيمان يبدو لمظة بيضاء فى القلب، فكلما ازداد العبد إيمانًا ازداد القلب بياضًا، وكلما ازداد العبد نفاقًا ازداد القلب سوادًا، حتى إذا استكمل العبد النفاق اسود القلب، وايم الله لو شققتم عن قلب المؤمن لوجدتموه أبيض، ولو شققتم عن قلب المنافق والكافر لوجدتموه أسود[٣].

وقد بين علماء أهل السنة حقيقة الإيمان فقالوا بأن الإيمان هو التصديق بالقلب والنطق بالشهادتين والعمل بالجوارح والأركان، أى هو: اعتقاد وقول وعمل، فهذه الثلاثة كلها مندرجة فيه وتمثل أجزاء من حقيقته، وقد تواترت أقوال العلماء ومن بعدهم على هذه الحقيقة واستدلوا بأدلة كثيرة من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية على صحة هذا القول فى حقيقة الإيمان[٤]، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢- ٤].

فقد جمعت هذه الآيات - وهى تعرض صفات المؤمنين - بين عمل القلب وعمل الجوارح، واعتبرت هذا كله إيمانًا، وقصرت الإيمان عليه بأداة القصر والحصر (إنما) وعرفت

(١) فتح البارى (٦/ ١٥٠).
(٢) الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية، ص (٢٢، ٢٣).
(٣) الفتاوى (٧/ ١٩١).
(٤) فى ظلال الإيمان للخالدى، ص (٢٣).

المؤمنين بتلك الصفات مجتمعة، عندما ضمنتها بعبارة﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ وأعمال الجوارح في هذه الصفات هي: إقامة الصلاة والإنفاق في سبيل الله[1]

وقال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»[2] والشاهد في الحديث ما ذكره رسول الله ﷺ، فالشهادة قول وإماطة الأذى عن الطريق عمل، والحياء خلق وسلوك، وجعل الثلاثة من الإيمان دليل على حقيقته، ومعظم شعب الإيمان هي أعمال[3]، وقال الإمام البخاري في صحيحه: هو قول وفعل يزيد وينقص، والحب في الله والبغض في الله من الإيمان. وقال عمر بن عبد العزيز: إن للإيمان فرائض وشرائع وحدودًا وسننًا، فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها، وإن مت فما أنا على صحبتكم بحريص[4]، وما قاله أمير المؤمنين في الإيمان لما سئل عنه: «الإيمان على أربع دعائم: على الصبر واليقين والعدل والجهاد، والصبر منها على أربع شعب: على الشوق والشفق والزهد والترقب، فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار اجتنب المحرمات، ومن زهد في الدنيا استهان بالمصيبات، ومن ارتقب الموت سارع إلى الخيرات، واليقين منها على أربع شعب: على تبصرة الفطنة، وتأول الحكمة، وموعظة العبرة، وسنة الأولين. فمن تبصر في الفطنة تبينت له الحكمة، ومن تبينت له الحكمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة فكأنما كان في الأولين. والعدل منها على أربع شعب: على غائص الفهم، وغور العلم، وزهرة الحكم، ورساخة الحلم، فمن فهم علم غور العلم، ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم، ومن حلم لم يفرط في أمره وعاش بين الناس حميدًا، والجهاد منها على أربع شعب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن وشنئان الفاسقين، فمن أمر بالمعروف شد ظهور المؤمنين، ومن نهى عن المنكر أرغم أنوف المنافقين، ومن صدق في المواطن قضى ما عليه، ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وأرضاه يوم القيامة»[5] وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في تعريفه للتقوى: «ترك الإصرار على المعصية، وترك الاغترار بالطاعة»[6] وقال فيها: «التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل،

(١) تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين، ص (١٨٨)
(٢) مسلم، ك الإيمان (١/ ٦٣) رقم (٧٥)
(٣) في ظلال الإيمان، ص (٣٠).
(٤) البخاري، ك الإيمان (١/ ٩).
(٥) نهج البلاغة، ص (٦٦٧، ٦٦٨).
(٦) تفسير الرازي (٢/ ٢١).

والاستعداد ليوم الرحيل»[1]. ففى اهتمام أمير المؤمنين فى حث الناس على التقوى ثمرات وآثار فى جانب الفرد والمجتمع، منها: محبة الله له ﴿اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[التوبة: ٤]، معية الله ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[النحل: ١٢٨]، الانتفاع بالقرآن ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة: ٢]، الحفظ من الشيطان ووساوسه ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[الأعراف: ٢٠١]، انتفاء الخوف والحزن ﴿فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[الأعراف: ٣٥]، قبول العمل ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[المائدة: ٢٧]، اليسر بعد العسر، والمخرج بعد الضيق ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]، ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، الفراسة والحكمة والنور ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]، دخول الجنة ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران: ١٣٣]، النجاة من النار ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[مريم: ٧٢]، المنزلة العالية يوم القيامة[2] ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[البقرة: ٢١٢].

ط- القضاء والقدر عند أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه:قال أمير المؤمنين على ابن أبى طالب رضى الله عنه: إنه لا يكون فى الأرض شيء حتى يقضى فى السماء، وليس من أحد إلا وقد وكل به ملكان يدفعان عنه ويكلانه، حتى يجئ قدره، فإذا جاء قدره خليا بينه وبين قدره، وإن علىَّ من الله جنة حصينة، فإذا جاء أجلى كشف عنى، وإنه لا يجد طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه[3]، وقال رضى الله عنه: إن الأمر ينزل من السماء كقطر المطر لكل نفس ما كتب الله لها من زيادة أو نقصان فى نفس أو أهل أو مال، فمن رأى نقصًا فى نفسه أو أهله أو ماله، ورأى لغيره عثرة فلا يكونن ذلك له فتنة، فإن المسلم ما لم يغش دنياه يظهر تخشعا لها إذا ذكرت، ويغرى به لئام الناس كالبائس العالم ينتظر أول فورة من قداحة توجب له المغنم، وتدفع عنه المغرم، فكذلك المسلم البرئ من الخيانة بين إحدى الحسنيين، إذا ما دعا الله، فما عند الله خير له، وإما أن يرزقه الله مالاً فإذا هو ذو أهل ومال ومعه حسبه ودينه، وإما

(١) فرائد الكلام، ص (٣٣٤).

(٢) سورة الحجرات دراسة تحليلية موضوعية للعمرى، ص (٢٣٦، ٢٣٧).

(٣) حياة الصحابة للكاندهلوى (ج٣)، ص (٣٠٥)، فرائد الكلام، ص (٣٤٨).

أن يعطيه الله فى الآخرة، فالآخرة خير وأبقى، الحرث حرثان، فحرث الدنيا: المال والتقوى، وحرث الآخرة: الباقيات الصالحات، وقد يجمعهما الله تعالى لأقوام(1).

ى- كيف يحاسب الله العباد على كثرة عددهم؟ قيل لأمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه: كيف يحاسب الله العباد على كثرة عددهم؟ فقال: كما يرزقهم على كثرة عددهم(2).

ثانيًا: خطبة لأمير المؤمنين على بن أبى طالب وتحليلها:

كان أمير المؤمنين على بن أبى طالب يتعهد الرعية بالتوجيه والتعليم والتربية من خلال الاحتكاك اليومى، وخصوصًا يوم الجمعة حيث كانت خطبة الجمعة من المنابر المهمة فى توجيه الأمة وترشيدها، وقد حفظ التاريخ لأمير المؤمنين على كثيرًا من خطبه، وهذه إشارات عابرة عن خطبه، وإليك هذا النموذج الفريد العجيب من خطبه حيث قال:

أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت(3) بوداع، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع، وإن المضمار(4) اليوم وغدًا السباق، ألا وإنكم فى أيام أمل من ورائه أجل، فمن قصر فى أيام أمله قبل حضور أجله فقد خاب عمله، ألا فاعملوا لله فى الرغبة، كما تعملون له فى الرهبة، وإنه لم أر كالجنة نام طالبها، ولم أر كالنار نام هاربها، وإنه من لم ينفعه الحق ضره الباطل، ومن لم يستقم به الهدى حاد به الضلال، ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن، ودللتم على الزاد، ألا أيها الناس إنما الدنيا عرض حاضر، يأكل منها البر والفاجر، وإن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر، ألا إن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً، والله واسع عليم، أيها الناس، أحسنوا فى أعماركم تحفظوا فى أعقابكم، فإن الله وعد جنته من أطاعه، وأوعد ناره من عصاه، إنها نار لا يهدأ زفيرها، ولا يفك أسيرها، ولا يجبر كسيرها، حرها شديد، وقعرها بعيد، وماؤها صديد(5).

ولو تأملنا فى المقطع السابق لوجدنا أن عوامل التأثير فى المدعوين تتمثل فيما يلى:

1- صدق اللهجة النابع من إيمانه بما يدعو إليه، مما يجعل كلماته كأنها قبس من نفسه المشتعلة، وصورة من عواطفه المنفعلة، فهو لا يكاد ينطق بالجملة حتى تكون أسماعهم قد تلقفتها، وقلوبهم قد وعتها.

(1) البداية والنهاية (8/8)، فرائد الكلام، ص (343).

(2) أدب الدنيا والدين، ص (26)، فرائد الكلام، ص (339).

(3) أذنت: أعلمت.

(4) المضمار: الموضع الذى تضمر فيه الخيل للسباق.

(5) البداية والنهاية (8/ 7).

٢- تمتاز الألفاظ بالقوة، مع سهولتها وعذوبتها وسلاستها، كما أن عبارتها واضحة، وجملتها قصيرة، ولعل ذلك يسعف السامعين بإدراك المعنى المراد.

٣- المقابلة بين المعانى المتضادة مما يزيد المعنى وضوحًا، والسامع تأثرًا، ومن ذلك مثلاً: قوله: فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع.. وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع، وقوله: وإنه لم أر كالجنة نام طالبها.. ولا كالنار نام هاربها.

٤- الاقتباس من القرآن الكريم، كما فى قوله: ألا إن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً، والله واسع عليم، ذلك مقتبس[١] من قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

٥- لقد كانت عناصر الخطبة المذكورة تتمثل فى التأثر الشديد بالقرآن الكريم وبكلام الرسول ﷺ وواقعيتها واتصالها الحميم بالحياة البشرية، وعمق المعانى وسموها وشمولها، والإجادة فى تخير الألفاظ وبناء العبارة، والإيجاز، والتعبير عن المعانى والألفاظ بالصور، واعتماد الوسائل البديعية، وغاية القول، فإن هذه الخطبة تكتسب أهمية خاصة لما تتكشف عنه من مزايا دينية وأدبية وشخصية، فهى عميقة الدلالة على شخصية صاحبها أمير المؤمنين على بن أبى طالب، تنبئ عن إدراكه السليم للمفاهيم والآراء الإسلامية السديدة التى تتناول طبيعة الدنيا وغاية الوجود البشرى والمصير الذى ينتهى إليه، ونوضح النتائج التى توصل إليها أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى هذا الخصوص، وتدلنا على ما كان يتحلى به من حكمة نافذة ورؤيا معمقة يرفدها صفاء ذهنه وطهارة روحه، إلى غير ذلك من المزايا العقلية والروحية العالية التى أفاضها عليه إيمانه وتقواه وتمسكه بعرى الإسلام واعتصامه بربه ورضاه بقضائه، إن هذا كله قد ساعده فى الوصول بالنثر الفنى إلى هذا المستوى الرفيع، فكان بحق فى عالم الأدب فارس الكلمة وقائدها وإمامها تمامًا، كما كان فى الناس إمامًا عادلاً زاهدًا، وقائدًا حكيمًا مجربًا، وفارسًا لا يبارى[٢]، هذا وقد اهتم أمير المؤمنين على رضى الله عنه بانتهاز المناسبات فى وعظ الناس وتذكيرهم، ولم يكتف بخطب الجمعة فقط، فعندما شيع جنازة ووضعت فى لحدها وعج[٣] أهلها وبكوا قال: ما تبكون؟ أما والله لو

(١) منهج على بن أبى طالب فى الدعوة إلى الله.

(٢) الأدب العربى، حبيب يوسف مغنية، ص (٣٥٤- ٣٦٣).

(٣) العج: رفع الصوت، الصحاح للجوهرى، (١/ ٣٢٧).

عاينوا ما عاين ميتهم، لأذهلتهم معاينتهم عن ميتهم. وإن له فيهم لعودة ثم عودة، ثم لا يُبقى منهم أحدًا.. فاتقوا الله عباد الله، وجدوا فى الطلب، وبادروا بالعمل مقطع النهمات، وهادم اللذات، فإن الدنيا لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجائعها، غرور حائل، وسند مائل، اتعظوا عباد الله بالعبر، واعتبروا بالآيات والأثر، وازدجروا بالنذر، وانتفعوا بالمواعظ، فكأنما قد علقتكم مخالب المنية، وضمكم بيت التراب، ودهمتكم مقطعات الأمور بنفخة الصور، وبعثرة القبور وسياقة المحشر، وموقف الحساب، بإحاطة قدرة الجبار، كل نفس معها سائق يسوقها لمحشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٦٩]. فارتجت لذلك اليوم البلاد، ونادى المناد، وكان يوم التلاق، وكشف عن ساق، وكسفت الشمس، وحشرت الوحوش، مكان مواطن الحشر، وبدت الأسرار، وهلكت الأشرار وارتجت الأفئدة(١).

ونستنتج من هذه الموعظة بعض عوامل التأثير منها:

١- وقوع الموعظة في مناسبتها، فإن الموعظة كانت بمناسبة تشييع جنازة، والنفوس فى هذه الحالة تكون مستعدة لتلقى ما تذكر به فى الموت والدار الآخرة.

٢- الصياغة البلاغية للموعظة، فمواعظ أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه تتميز بأسلوبها المؤثر فى نفوس المدعوين، فمن الجوانب البلاغية فى النموذج المذكور ما يلى:

أ- الاستعارة مثل قوله: فكأنما قد علقتم مخالب المنية، تشبيه الموت (المنية) بحيوان مفترس له مخالب، فحذف المشبه به وأبقى شيئًا من لوازمه وصفاته وهو المخالب.

ب- السجع العفوى غير المتكلف مثل قوله: فإن الدنيا لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجائعها، غرور حائل، وسند مائل.

جـ- الصيغ الإنشائية(٢)، وهى مبثوثة فى الخطبة كلها منها: ما تبكون؟ استفهام.. (اتعظوا عباد الله بالعبر) نداء.. (اتعظوا، اعتبروا، وازدجروا، وانتفعوا) كل هذا على سبيل الأمر.

(١) حلية الأولياء لأبى نعيم (١/ ٧٨)، صفة الصفوة (١/ ٣٢٨).

(٢) الكلام الذى لا يحتمل التصديق والتكذيب.

د- جزالة الألفاظ،لعل أى جزء من الخطبة يكون شاهدًا عليها، لأن الخطبة كلها لا خلل فيها ولا ضعف.

٣- اعتماد المضمون على القرآن الكريم وانتهاجها منهجه فى الإرشاد والإقناع، كقوله: «كل نفس معها سائق يسوقها لمحشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها» اعتمادًا على قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[ق: ٢١].

٤- الترهيب بذكر أهوال يوم القيامة، كقوله: «ودهمتكم مقطعات الأمور بنفخة الصور، وبعثرة القبور، وسياقة المحشر، وموقف الحساب بإحاطة قدرة الجبار».

٥- الإقناع ومن ذلك قوله: كم مرضت بيديك وعللت بكفيك، ممن تطلب له الشفاء وتستوصف له الأطباء. . للإقناع بحصول الموت، والارتحال عن الدنيا والقدوم على الآخرة، وأنه لا مهرب ولا فكاك.

٦- استحضار الصورة، وذلك لتعبيره بالفعل الماضى عما سيحدث فى المستقبل، حتى يتصور السامع هذا الأمر الذى ينتظره، ومن ذلك قوله: فكأنما قد علقتكم مخالب المنية، وضمكم بيت التراب، ودهمتكم مقطعات الأمور.

٧- لطف العبارة بحيث تستهوى السامعين ولا تنفرهم(١).

فهذه بعض النماذج من خطب ومواعظ أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه والتى انتشرت بين الناس وساهمت فى تربيتهم وتهذيب نفوسهم، وتطهير قلوبهم، وكان مفعولها ساريًا فى جيله والأجيال التى بعده إلى يومنا هذا.

ثالثًا: أمير المؤمنين على بن أبى طالب والشعر:

يظهر من الأخبار التى وصلتنا أن الحركة الشعرية فى عهد الخلفاء الراشدين، كانت نشطة، ومعروف أن كتب الأدب لم تعتمد فى الأسانيد على الموثوقين من الرواة، ولكنها تكون المصدر الوحيد للأخبار الأدبية والنقدية التى تتصل بالخلفاء الراشدين، والصحابة بعامة، والتابعين بإحسان ماعدا بعض الأراجيز التى كانت تردد فى العهد النبوى وروتها كتب الحديث الشريف(٢)، فالمراجع فيما يتعلق بالشعر، والشعراء فى عهد أمير المؤمنين على هى كتب الأدب والأدباء، فهى غنية فى هذا الجانب، ولا يختلف موقف أمير المؤمنين

(١) منهج على بن أبى طالب فى الدعوة إلى الله، ص (١٤٥). (٢) المدينة النبوية فجر الإسلام (٢/ ٩٨)

على رضى الله عنه من الشعر عن مواقف الراشدين الذين سبقوه إلى سدة الخلافة، فكلهم يستقون من كتاب الله وسنة رسوله، فهو يستمع إلى الشعراء ينشدون بين يديه ما يطلب له أن يسمعه من صادق القول ورفيع المعانى، وكان يعطى على الشعر إذا استساغه وأعجبه، كما مر معنا عندما قال الأعرابى:

كسوتنى حُلة تبلى محاسنها فسوف أكسوك من حسن الثنا حُللا[1]

ولعلىٌ آراء نقدية راقية فى الشعر، مازالت معايير يعتمدها النقاد فى عصرنا الحاضر، فهو يقول: الشعر ميزان القول[2]، أى أن للشعر خصائص فنية يعرف بها صحيح القول من سقيمه فى مقاييس أهل هذا الفن الكلامى، وإن خالف فى أغراضه قيم قوم آخرين[3]، وأما أمير المؤمنين الشاعر، فقد اختلف فى كثير مما ينسب إليه من شعر، وهذا الاختلاف لا يقلل من شاعريته المتمثلة فيما رجحت نسبته إليه ولا يقدم ولا يؤخر فى إمامته اللغوية والأدبية، ولكن يبدو للباحث أن الشعر لم يكن غاية عنده، كما أن سيرته السياسية وما رافقها من أحداث جسام لم تكن لتسمح له بالالتفات إلى صناعة الشعر وروايته، واصطياد المعانى الجميلة واختيار القوافى الرنانة المؤثرة، ومع ذلك فقد اشتهر له شعر كثير، ونسب إليه ديوان شعر يشتمل على العديد من القصائد والمقطوعات، فيه الكثير من الأقوال المرتجلة والآراء السديدة السامية، وكان أول من شكك في نسبة بعض القصائد إليه ابن هشام، فقد روى أن عليًا كان يرتجز فى أثناء بناء مسجد الرسول فى المدينة:

لا يستوى من يعمر المسجدا يدأب فيه قائمًا وقاعدًا
ومن يُرى عن الغبار حائدًا[4]

ويعقب ابن هشام قائلاً: سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر عن هذا الرجز، فقالوا: بلغنا أن عليًا بن أبى طالب ارتجز به، ثم يقول: فلا يدرى أهو قائله أم غيره[5]، وفي موضع آخر يقول ابن هشام: وقد روى ابن إسحاق ثلاث قصائد منسوبة لعلى، ولم تصح له، ويرجح أنها قيلت فى المعارك الإسلامية من قبل أحد المسلمين، وقد نظروا إلى معانيها الدينية فرأى الرواة أنها تناسب عليًا فنسبوها له، وأما الديوان الذى نسب إليه فيرى الدكتور نايف معروف أن أمير المؤمنين عليًا بفصاحته المعهودة وبلاغته المشهورة، هو أرفع

(١) العمدة لابن رشيق (١/ ١٦).
(٢) المصدر السابق (١/ ١٤).
(٣) الأدب فى الإسلام، نايف معروف، ص (١٩٢).
(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٤٩٧).
(٥) المصر السابق (١/ ٤٩٧).

مستوى من مجموع هذا الديوان، ويغلب على الظن أنه خليط لشعراء من مستويات متفاوتة قام بجمعها بعض محبيه الذين عز عليهم ألا يكون شاعرًا، ظنًا منهم أن ذلك يرفع من قدره عند الناس، علمًا أن عليًا لم يكن بين شعراء الرسول الذين تولوا الرد على الحملة الدعائية التي شنها شعراء المشركين على الإسلام والمسلمين[1]، ولكن الأمر لم يصح أن عليًا تكلم من الشعر بشيء غير بيتين[2]، فهناك روايات عديدة جاءت تخالف هذا القول، إذ أثبت له الرواة عددًا من المقطوعات التي صحت نسبتها إليه عندهم[3].

ومن الأشعار التي نسبت إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

١- في الفَرَج والشدة:

إذا اشتملت على اليأس القلوب ... وضاق بما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت ... وأرست في أماكنها الخطوب[4]
ولم تر لانكشاف الضر وجهًا ... ولا أغنى بحيلته الأريب[5]
أتاك على قنوط منك غوث ... يمن به القريب المستجيب[6]
وكل الحادثات إذا تناهت ... فموصول بها الفرج القريب[7]

٢- في الصبر:

ألا فاصبر على الحدث الجليل ... وداوِ جواك بالصبر الجميل[8]
ولا تجزع فإن أعسرت يومًا ... فقد أيسرت في الدهر الطويل
ولا تظنن بربك ظن سوء ... فإن الله أولى بالجميل
فإن العسر يتبعه يسار ... وقول الله أصدق كل قيل
فلو أن العقول تجر رزقًا ... لكان الرزق عند ذوي العقول
فكم من مؤمن قد جاع يومًا ... سيروى من رحيق السلسبيل[9]

---

(١) الأدب في الإسلام، د. نايف معروف، ص (١٩٥).
(٢) معجم الأدباء، ياقوت (٥/ ٢٦٣).
(٣) الأدب في الإسلام، ص (١٩٥).
(٤) الخطوب: الأمور العظيمة.
(٥) الأريب: العاقل.
(٦)، (٧) البداية والنهاية (٨/ ١٠)
(٨) الجوى: الشوق.
(٩) البداية والنهاية (٨/ ١١).

٣- في حرص الناس على الدنيا:

للناس حرص على الدنيا وتدبير | وفي مراد الهوى عقل وتشمير
وإن أتوا طاعة الله ربهم | فالعقل منهم على الطاعات مأسور
لأجل هذا وذاك الحرص قد مزجت | صفاء عيشاتها همٌّ وتكدير
لم يرزقوها بعقل عندما قسمت | لكنهم رزقوها بالمقادير
كم من أديب لبيب لا تساعده | ومائق نال دنياه بتقصير
لو كان عن قوة أو عن مغالبة | طار البزاة بأرزاق العصافير(١)

٤- في الصداقة:

فلا تصحب أخا الجهل | وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى | حليمًا حين آخاه
يقاس المرء بالمرء | إذا ما هو ماشاه
وللشيء من الشيء | مقاييس وأشباه
قياس النعل بالنعل | إذا ما هو حاذاه
وللقلب على القلب | دليل حين يلقاه(٢)

٥- في التواضع والقناعة:

حقيق بالتواضع من يموت | ويكفي المرء من دنياه قوت
فما للمرء يصبح ذا هموم | وحرص ليس تدركه النعوت
صنيع مليكنا حسن جميل | وما أرزاقه عنا تفوت
فيا هذا سترحل عن قليل | إلى قوم كلامهم السكوت(٣)

٦- في السر وكتمانه:

ولا تفش سرك إلا إليك | فإن لكل نصيح نصيحًا

(١) البداية والنهاية (٨/ ١١).

(٢)، (٣) البداية والنهاية (٨/ ١٢).

فـــإنى رأيت غـــواة الرجـــال لا يتـــركـون أديمًا صـحيـحًـا[1]

رابعًا: من حكم أمير المؤمنين على التى سارت بين الناس:

تهيأ لأمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه مجموعة من الأسباب من سرعة البديهة، وذلاقة اللسان، ورجحان العقل، وطهارة القلب، وصفاء النفس وعمق الإيمان، والتضلع فى الدين، والقرب من رسول الله ﷺ وتلقى الوحى عنه، ما مكنه من فصاحة اللسان، وجودة البيان، فأصبحت كلماته دررًا، وجمله حكمًا أعجبت ذوى العقول، فهى لأهل البلاغة مطلب، ولأهل الهداية مغنم، ففيها حث لهم على فضائل الأعمال، وجميل الخصال وأصبحت حكمه الجميلة مادة قيمة فى مجال دعوة الناس وتعليمهم، وتهذيب نفوسهم وتنوير عقولهم، وإحياء قلوبهم، لما فيها من جودة التعبير، ووضوح المعانى، وعمق التفكير، وفوق ذلك فهى تنبع من قلب تقى، وصدر نقى[2] ومن هذه الحكم على سبيل المثال ما يلى:

١- صلاة الليل بهاء فى النهار[3]. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: ٦٤].

وقال أيضًا فى قيام الليل: نور المؤمن من قيام الليل[4].

٢- صلاح الدين من الورع وفساده من الطمع[5].

٣- طوبى لمن عمل بعلمه[6].

٤- الفرصة تمر مر السحاب[7].

٥- قسوة القلب من الشبع[8].

٦- الشرف بالفضل والأدب، لا بالأصل والنسب[9].

٧- جمال الخُلق أبهى من جمال الخَلق[10].

٨- فى سعة الأخلاق كنوز الأرزاق[11].

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة (١/ ٩٧).

(٢) منهج على بن أبى طالب فى الدعوة إلى الله، ص (٢٧٥).

(٣)، (٤)، (٥) نثر الآلىء، مخطوط نقلاً عن منهج على بن أبى طالب، ص (٢٧٦).

(٦)، (٧) المرجع السابق، ص (٢٧٧). (٨) المرجع السابق، ص (٢٧٨)

(٩) الإعجاز والإيجاز للثعالبى، ص (٣٠)، نقلاً عن منهج على بن أبى طالب، ص (٢٢٦).

(١٠)، (١١) نثر اللآلئ مخطوط نقلاً عن منهج على بن أبي طالب، ص (٢٢٨).

٩ـ المعروف كنز من أفضل الكنوز[١].

اجتمع عند أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه جماعة فتذاكروا المعروف، فانتهز أمير المؤمنين هذا الحديث لترغيبهم فيه وحثهم عليه فقال: المعروف كنز من أفضل الكنوز، وزرع من أزكى الزروع، فلا يزهدنكم فى المعروف كفر من كفره، وجحد من جحده، فإن من يشكرك عليه ممن لم يصل إليه منه شيء أعظم مما ناله أهله منه، فلا تلتمس من غيرك ما أسديت إلي نفسك، إن المعروف لا يتم إلا بثلاث خصال: تصغيره، وستره، وتعجيله، فإذا أصغرته فقط عظمته، وإذا سترته فقد أتممته، وإذا عجلته فقد هنأته[٢].

١٠ـ لا شرف مع سوء الأدب[٣].

١١ـ لا راحة لحسود[٤].

١٢ـ الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له[٥].

١٣ـ ويل للباغين من أحكم الحاكمين[٦].

١٤ـ من سل سيف البغى قُتل به[٧].

١٥ـ للظالم البادى - غدًا - بكفه عظة[٨]. وهذا الترهيب مستفاد من قوله ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾[الفرقان: ٢٧].

١٦ـ إخفاء الشدائد من المروءة[٩].

١٧ـ أحسن إلى المسئ تسده[١٠].

١٨ـ الإحسان يقطع اللسان[١١].

(١)، (٢) تاريخ اليعقوبى (٢/ ٢١٠)، منهج على بن أبى طالب، ص (٢٣٠).
(٣) الإعجاز والإيجاز للثعالبى، ص (٢٨).
(٤) مطلوب كل طالب من كلمات على بن أبى طالب مخطوطة نقلاً عن منهج على، ص (٢٣٤).
(٥) الإعجاز والإيجاز للثعالبى، ص (٢٩)، منهج على بن أبى طالب، ص (٢٣٥).
(٦) المصدر نفسه، ص (٣٥)، المصدر نفسه، ص (٢٣٥).
(٧) منهج على بن أبى طالب فى الدعوة إلى الله، ص (٢٣٥).
(٨) المصدر نفسه، ص (٢٣٦).
(٩) المروءة: هى كمال الرجولة، منهج علي بن أبى طالب، ص (٢٤٣).
(١٠) نثر اللآلئ من كلام على بن أبى طالب، نقلاً عن منهج على بن أبى طالب، ص (٢٤٥).
(١١) مطلوب كل طالب فى شرح كلمات على بن أبى طالب، عن منهج على، ص (٢٤٦).

١٩- من عَذُبَ لسانه كثر إخوانه[١].

٢٠- من قل صدقه، قل صديقه[٢].

٢١- لسانك يقتضيك ما عودته[٣].

٢٢- من طلب ما لا يعنيه فاته ما يعنيه[٤].

٢٣- صاحب الأخيار تأمن الأشرار[٥].

٢٤- جليس الخير غنيمة[٦].

٢٥- صحبة الأحمق نقصان فى الدنيا وحسرة فى الآخرة[٧].

٢٦- كفى أدبًا لنفسك ما كرهته لغيرك[٨].

٢٧- لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال[٩].

٢٨- خير الناس من ينفع الناس[١٠].

٢٩- المرء مخبوء تحت لسانه[١١].

٣٠- اللسان معيار أطاشه الجهل وأرجحه العقل[١٢].

٣١- أخوك من واساك فى الشدة[١٣].

٣٢- قيمة كل امرئ ما يحسنه.

٣٣- احذر صولة الكريم إذا جاع، وصولة اللئيم إذا شبع.

٣٤- النفس مؤثرة للهوى، آخذة بالهوينى، جامعة إلى اللهو، أمارة بالسوء، مستوطنة للفجور، طالبة للراحة، نافرة عن العمل، فإن أكرهتها أنضيتها، وإن أهملتها أرديتها[١٤].

---

(١) منهج على بن أبى طالب ص (٢٤٧). (٢) المصدر نفسه، ص (٢٤٧).

(٣) المصدر نفسه، ص (٢٤٨).

(٤) المصدر السابق ص (٢٤٩)، الإعجاز والإيجاز للثعالبى، ص (٢٩).

(٥)، (٦) نثر اللآلئ من كلام على بن أبى طالب ومنهج على بن أبى طالب، ص (٢٤٩).

(٧) منهج على بن أبى طالب، ص (٢٤٩) (٨)، (٩) المرجع السابق، ص (٢٥٠).

(١٠) المصدر السابق، ص (٢٥١). (١١) المصدر السابق، ص (٢٥٢)

(١٢) أدب الدنيا والدين، ص (٢٦٥).

(١٣) منهج على بن أبى طالب فى الدعوة إلى الله، ص (٢٥٣).

(١٤) المرتضى للندوى، ص (٢٠١).

٣٥- العجز آفة، والصبر شجاعة، والزهد ثروة، والورع جنة.

٣٦- لا تكن عبد غيرك، وقد جعلك الله حراً.

٣٧- إياك والاتكال على المُنَى، فإنها بضائع النوكى[١].

٣٨- الناس نيام، إذا ماتوا انتبهوا.

٣٩- الناس أعداء ما جهلوا.

٤٠- ما هلك امرؤ عرف قدره.

٤١- رب كلمة سلبت نعمة.

٤٢- الآداب حلل مجددة والفكر مرآة صافية.

٤٣- الفقر يخرس الفطن عن حجته، والمقل غريب فى بلدته.

٤٤- إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه[٢].

٤٥- اجمعوا هذه القلوب، والتمسوا لها طرف الحكمة، فإنها تمل كما تمل الأبدان[٣].

٤٦- بشاشة الوجه عطية ثانية[٤].

٤٧- العفو عند المقدرة شكر للمقدرة[٥].

٤٨- إعادة الاعتذار تذكير للذنب[٦].

٤٩- أبلغ العظات النظر إلى الأموات[٧].

٥٠- ذكر الموت جلاء القلوب[٨].

فهذه بعض الحكم لأمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه التى سارت بين الناس، والتى لخصت كثيراً من تجاربه فى الحياة فى عبارات موجزة، غزيرة المعانى،

(١) النوكى: الحمقى. (٢) المرتضى للندوى، ص (٢٠٢).

(٣) المصدر نفسه، ص (٢٠١).

(٤) نثر اللآلئ فى كلام على بن أبى طالب نقلاً عن منهج على بن أبى طالب، ص (٢٣٨).

(٥) مطلوب كل طالب نقلاً عن منهج على بن أبى طالب، ص (٢٣٩).

(٦) الإعجاز والإيجاز، ص (٢٩)، نقلاً عن على بن أبى طالب، ص (٢٣٩).

(٧) نثر اللآلىء نقلاً عن منهج على بن أبى طالب، ص (١٤٨).

(٨) منهج على بن أبى طالب، ص (١٤٩).

والغايات والأهداف والمقاصد، كان لهـا تأثير فى حياة المجتمع الذى عاش فيـه والمجتمعات المتـلاحقـة من بعده إلى يومنا هذا، لـقد كـانت الحكم، والخطب والأشعـار والمواعظ من وسائل أمير المؤمنين على رضى الله عنه فى توجيه وترشيد وتعليم المجتمع الإسلامى.

خامسًا: حـديث أمير المؤمنين على بن أبي طالب عن صفات خيـار العباد، وعن تطوع النبى ﷺ، ووصف الصحابة الكرام:

١- صفات خيـار العباد: سئل أميـر المؤمنين على بن أبى طالب عن خيار العبـاد فقال: الذين إذا أحـسنوا استـبشروا، وإذا أسـاءوا استـغفـروا، وإذا ابتلوا صبـروا، وإذا غضـبوا غفروا[١]، وقال: ألا وإن لله عبادًا كـمن رأى أهل الجنة فى الجنة مخلدين، وأهل النار فى النار معذبين... شرورهم مأمـونة، وقلوبهم محزونة، أنفسهم عفيفة وحوائجـهم خفيفة، صبروا أيامًا قليلة لـعقبى راحة طويلة، إذا رأيتهم فى الليل، رأيتهم صـافين أقدامهم تجرى دموعـهم على خدودهم، يجأرون إلى الله فى فكاك رقـابهم، وأما نهارهم فضـلاء حلماء بررة أتقـياء، كـأنهم القداح، يـنظر إليهم الناظر فـيـقول: مـرضى وما بهم من مـرض، وخولطوا، ولقد خالط القوم أمر عظيم[٢].

وقال: ينبغى للمؤمن أن يكون نظره عبرة، وسكوته فكرة، وكلامه حكمة[٣].

وقال: طوبى لكل عبد نومة[٤]، عرف الناس، ولم يعرفه الناس، عرف الله برضوان، أولئك مصـابيح الهدى، يكشف الله عنهم كل فتنة مظلـمة، سيدخلهم الله فى رحـمة منه ليسـوا بالمذاييع[٥] البذر[٦]، ولا الجفاة[٧] المرائين[٨]. وكلام أمـير المؤمنين على فـيه تأثر واضح بقول رسول الله ﷺ «إن الله يحب العبد التقى الغنى الخفى»[٩].

٢- إجابته لمن سأل عن تطوع النبى ﷺ: عن عاصم بن ضمرة قـال: سألنا عليًا عن تطوع النبى ﷺ بالنهار فقال: إنكم لا تطيقونه. قال: قلنا ما أطقنا. قال: كان النبى ﷺ إذا صلى

(١) مروج الذهب (٢/ ٤٣١).
(٢) البداية والنهاية (٨/ ٦).
(٣) مروج الذهب (٢/ ٤٣٤).
(٤) الخامل الذكر الذى لا يؤبه له، وقيل: الغامض فى الناس الذى لا يعرف الشر وأهله.
(٥) المذاييع: جمع مذياع، من أذاع الشيء إذا أفشاه والمذياع: الذى لا يكتم السر.
(٦) البذر: جمع بذور وهو الذى يفشى الكلام بين الناس.
(٧) الجفاء: غلظ الطبع.
(٨) صفة الصفوة (١/ ٣٢٥).
(٩) المسند (١/ ١٦٨)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح مسلم (٤/ ٢٢٧٧).

الفجر أمهل، حتى إذا كانت الشمس من ههنا، يعنى من قبل المشرق، مقدارها من صلاة العصر من ههنا من قبل المغرب قام فصلى ركعتين، ثم يمهل حتى إذا كانت الشمس من ههنا يعنى من قبل المشرق مقدارها من صلاة الظهر من ههنا، يعنى من قبل المغرب قام فصلى أربعًا، وأربعًا قبل الظهر إذا زالت الشمس، وركعتين بعدها، وأربعًا قبل العصر، يفصل بين كل ركعتين بالتسليم على الملائكة المقربين، والنبيين، ومن تبعهم من المؤمنين والمسلمين، قال: قال على: تلك ست عشرة ركعة تطوع النبى ﷺ بالنهار، وقل من يداوم عليها(١).

وقد بيّن أمير المؤمنين فى موضع آخر هدى رسول الله ﷺ فى الوتر فقال: أوتر رسول الله ﷺ من أول الليل وآخره وأوسطه، فانتهى وتره إلى السحر(٢)، وفى بيان هدى النبى ﷺ بعد صلاته، قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب: كان النبى ﷺ إذا سلم من الصلاة قال: «اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت وما أنت أعلم به منى، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت»(٣).

٣- وصف أمير المؤمنين على رضى الله عنه للصحابة الكرام: لما أحس أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه من أصحابه شيئًا من الغفلة وقلة النشاط فى الطاعة ذكرهم بشىء من سيرة أسلافهم أصحاب رسول الله ﷺ، فيما رواه أبو أراكة بقوله: صليت مع على صلاة الفجر، فلما انفلت عن يمينه مكث كأن عليه كآبة، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح صلى ركعتين ثم قلب يده فقال: والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى اليوم شيئًا يشبههم، لقد كانوا يصبحون صفرًا شعثًا غبرًا بين أعينهم أمثال ركب المعزى، قد باتوا لله سجدًا وقيامًا، يتلون كتاب الله، يتراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما تميد الشجر فى يوم الريح، وهملت أعينهم حتى تبتل ثيابهم، والله لكأن القوم باتوا غافلين، ثم نهض فما رُئى بعد ذلك مفترًا يضحك حتى قتله ابن ملجم عدو الله الفاسق(٤).

٤- تنبيه أمير المؤمنين على رضى الله عنه أصحابه على فضائل الأعمال: مما ورد له فى خطبة قوله: أوصيكم بتقوى الله، فإن أفضل ما توسل به العبد الإيمان والجهاد فى سبيله، وكلمة

(١) مسند أحمد (٢/ ٦٢)، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.
(٢) المصدر نفسه (٢/ ٦٤)، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.
(٣) صحيح سنن أبى داود (١/ ٢٨٣) للألبانى.
(٤) حلية الأولياء (١/ ٧٦).

الإخلاص فإنها الفطرة، وإقـام الصلاة فإنها الملة، وإيتاء الزكاة فإنها فـريضة، وصوم شهر رمضان فـإنه جنة من عذابه، وحج البيت فإنه مـنقاة مدحضة للذنب، وصلـة الرحم فإنها منسأة في الأجل، مـحبـة في الأهل، وصدقة السـر فإنها تكفـر الخطيئـة، وتطفئ غضب الرب، وصنع المعروف فإنه يدفع ميتة السوء ويقى مـصارع الهول، أفيضوا في ذكر الله فإنه أحسن الذكر(١).

٥- معايدة المريض: عن ثوير بن أبى فاختة عن أبيـه قال: أخذ علىّ بيدى، قال: انطلق بنا إلى الحسن نعوده، فوجدنا عنده أبا مـوسى فقال على (رضى الله عنه): أعائدًا جئت يا أبا موسى أم زائرًا؟ قـال: لا بل عائدًا، فقـال على: سمعت رسـول الله ، يقول: «ما من مسلم يعود مسلمًـا غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك، حتى يمسى، وإن عـاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح»(٢).

٦- تشجيعه لابنه الحسن على الخطابة: قال أمير المؤمنين على لابنه الحسن يومًا: يا بنى ألا تخطب حتى أسمعك؟ فقال: إنى أستحيى أن أخطب وأنا أراك، فذهب على حيث لا يراه الحسن، ثم قـام الحسن فى الناس خطيبًا، وعلى يسـمع فأدى خطبة بليـغة فصيحـة، فلما انصرف جعل على يقول: ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم(٣).

٧- إنى لست كما تقول: قال عمرو بن مُرَّة، عن أبى البخترى قال: جاء رجل إلى علىّ فـأثنى عليه، وكـان قد بلـغه عنه أمـر، فقـال: إنّى لست كـما تقـول، وأنا فوق مـا فى نفسك(٤).

٨- التحذير من الانقيـاد للشهوات: قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه: إياكم وتحكيم الشهـوات على أنفسكم، فإن عاجـلها ذميم، وآجلها وخـيم، فإن لم ترها تنقاد بالتـحذير والإرهاب، فسوّفـها بالتأمل والإرغاب، فإن الرغـبة والرهبة إذا اجتمـعا على النفس ذلت لهما وانقادت(٥).

٩- إدخال السرور على المسلم: قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: إن من مـوجبات المغفرة إدخال السرور على أخيك المسلم(٦).

(١) البداية والنهاية (٧/ ٣١٩).
(٢) صحيح سنن الترمذى للألبانى (١/ ٢٨٦).
(٣) البداية والنهاية (٨/ ٣٧).
(٤) تاريخ الذهبى عهد الخلفاء الراشدين، ص (٦٤٦).
(٥) أدب الدنيا والدين، ص (٢٦).
(٦) تنبيه الغافلين، ص (٢٤٥).

١٠- أشد الأعمال ثلاثة: قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب: أشد الأعمال ثلاثة: إعطاء الحق من نفسك، وذكر الله على كل حال، ومواساة الأخ فى المال[١].

سادسًا: التحذير من الأمراض الخطيرة التى حذر منها أمير المؤمنين:

١- جزاء المعصية: قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه: جزاء المعصية الوهن فى العبادة، والضيق فى المعيشة، والنقص فى اللذة، قيل: وما النقص فى اللذة؟ قال: لا ينال شهوة حلالاً إلا جاءها ما ينغصه إياها[٢]، ومع هذا الترهيب والتخويف من المعصية فإن أمير المؤمنين عليًا رضى الله عنه لا يغفل عن الترغيب فى تركها، حيث قال: من كان يريد العز بلا عشيرة، والنسل بلا كثرة، والغنى بلا مال، فليتحول من ذل المعصية إلى عز الطاعة[٣]، وقال: إذا رغبت فى المكارم، فاجتنب المحارم[٤].

٢- طول الأمل واتباع الهوى: خطب أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه على منبر الكوفة، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس إن أخوف ما أخاف عليكم طول الأمل واتباع الهوى، فأما طول الأمل فينسى الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، ألا إن الدنيا قد ولت مدبرة والآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل[٥].

فقد أشار أمير المؤمنين على رضى الله عنه فى هذه الخطبة إلى أمرين خطيرين لهما تأثير كبير فى حياة الناس وهما طول الأمل بالبقاء على قيد الحياة، فإنه يخدع الإنسان فيشغله بمشاريعه وطموحاته الدنيوية، ويمنيه بتأجيل الأعمال الصالحة وينسيه الحياة الآخرة، فيتضخم عمله للدنيا ويتضاءل عمله للآخرة، ولو أن كل إنسان وضع فى مخيلته أنه معرض للموت فى كل ساعة لأصبح العمل للدنيا قليلاً بقدر الضرورة، ولأصبح العمل للآخرة كثيرًا لأنه هو الذى سيبقى بعد الموت، وأما اتباع الهوى فإنه يغير اتجاه صاحبه، ويجعل الهدف الأعلى فى فكره هو تحقيق هوى نفسه وهوى من يعمل تحت إرادتهم،

(١) حلية الأولياء (١/ ٨٥).
(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطى، ص (٢٠٤).
(٣) تاريخ اليعقوبى (٢/ ٢٠٦).
(٤) منهج على فى الدعوة إلى الله، ص (٣٠٧)، نقلاً عن سجع الحمام فى حكم الإمام، ص (٥٧).
(٥) حلية الأولياء (١/ ٧٦)، صفة الصفوة (١/ ٣٢١).

وينسى الهدف الإسلامى الأعلى الذى هو ابتغاء رضوان الله تعالى وفضله فى الجنة، وبناء على تغير الأهداف فإن مناهج العمل تتغير فتصبح مناهج دنيوية يُراد بها تحقيق أهداف لا تتجاوز الحياة الدنيا، كما تتغير العلاقات والروابط، فتصبح الأخوة قائمة على المصالح الدنيوية بدلاً من الإيمان والتقوى، إلى غير ذلك مما يترتب على تغير الأهداف(١).

٣- الرياء: قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه: لا تعمل شيئًا من الخير رياءً، ولا تتركه حياء(٢)، وقال رضى الله عنه: للمرائى ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان فى الناس، ويزيد فى العمل إذا أثنى عليه، وينقص إذا ذم به(٣)، وقد جاءت نصوص الشرع بتسمية الرياء شركًا أصغر، فقد قال رسول الله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» ، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء، يقول الله تعالى يوم القيامة، إذا جازى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون فى الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء» (٤)، وعن شداد بن أوس قال: كنا نعد الرياء على عهد رسول الله ﷺ الشرك الأصغر(٥).

إن أمير المؤمنين عليًا رضى الله عنه حذّر من مرض القلب الخطير المتعلق بإرادة الإنسان وقصده، وحث الناس على إفراد الله سبحانه وتعالى بالقصد والطاعة والالتزام بالسير على هدى السنة النبوية، فقد ثبت عنه أنه قال: لا ينفع قول إلا بعمل، ولا عمل إلا بنية، ولا نية إلا بموافقة السنة(٦)، وروى عن الفضيل بن عياض أنه تلا قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك: ٢]، فقال: أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا على ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إذا كان العمل خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا، لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص إذا كان لله عز وجل، والصواب إذا كان على السنة(٧).

إن صور الرياء متعددة منها: ما يكون بالأعمال، كمن يصلى فيطيل القيام ويطيل الركوع والسجود ويظهر الخشوع عند رؤية الناس له، ومنها ما يكون من جهة القول، كالرياء

(١) التاريخ الإسلامى للحميدى (٢٠/ ٢٧٦).
(٢) أدب الدنيا والدين، ص (١١٠)
(٣) الكبائر للذهبى، ص ١٤٥، فرائد الكلام، ص (٣٣٨).
(٤) مسند أحمد (٥/ ٤٢٨، ٤٢٩) إسناده حسن.
(٥) الحاكم (٤/ ٣٢٩)، صححه الألبانى فى صحيح الترغيب (١/ ١٨).
(٦) الشريعة للآجرى (٢/ ٦٣٨)، إسناده فيه ضعف.
(٧) مدارج السالكين (٢/ ٨٩).

بالوعظ والتذكير وحفظ الأخبار والآثار لأجل المحاورة وإظهار غزارة العلم، وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس ويتغافل عنه في منزله، أو يكون الرياء من جهة الزى، كإبقاء أثر السجود على جبهته، ولبس الغليظ من الثياب وخشنها مع تشميرها كثيرًا ليقال: عابد زاهد، أو ارتداء نوع معين من الزى ترتديه طائفة يعدهم الناس علماء ليقال: عالم، أو يكون الرياء بالأصحاب والزائرين، كالذى يتكلف أن يستزير عالمًا أو عابدًا ليقال: إن فلانًا قد زار فلانًا، ودعوة الناس لزيارته كى يقال: إن أهل الخير يترددون عليه، وكذلك من يرائى بكثرة الشيوخ ليقال: لقى فلان شيوخًا كثيرين واستفاد منهم ليباهى بذلك، أو يكون الرياء لأهل الدنيا، كمن يتبختر ويختال فى مشيته، أو يصعر خده أو يلف عباءته، أو يحرك سيارته حركة خاصة، أو يكون الرياء من جهة البدن، كأن يرائى بإظهار النحول والصفار ليوهم الناس أنه جاد فى العبادة، كثير الخوف والحزن، وغير ذلك من الصور التى يرائى بها المراءون، يطلبون بذلك الجاه والمنزلة فى قلوب العباد(١).

وبالجملة فإن المحافظة على أعمال الخير والإكثار من ذكر الله وعبادته وخشيته وحده، وعدم خشية الناس فى ذات الله ومحبة الصالحين وغيرها، كل هذا من الأعمال الصالحة الحسنة المطلوبة، ولكن لابد أن تكون كلها لله، لأن الرياء هو عمل العمل الصالح لغير الله، فيجب على المؤمن تصحيح نيته لله، لا أن يترك العمل الصالح خوفًا من الرياء، فلتحذر تلك الأصناف من خطورة مرض الرياء، ولتتذكر قول رسول الله ﷺ: «من طلب العلم ليمارى به الفقهاء، أو يجارى به العلماء، أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار»(٢).

إن أمير المؤمنين عليًا حذّر من الرياء، وبين أن الأعمال لا تقبل إلا إذا كانت خالصة لله وعلى سنة رسول الله ﷺ، وقد حث رضى الله عنه على التمسك بالسنة فى مناسبات عديدة، فقد قال: واقتدوا بهدى نبيكم ﷺ، فإنه أفضل الهدى، واستنوا بسنته فإنها أفضل السنن(٣).

٤- العجب: قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب: الإعجاب آفة الألباب(٤). إن العجب من الآفات التى تفسد الأعمال، وتهلك العباد، والعجب أحد العوارض التى تعرض

(١) انظر: مختصر منهاج القاصدين، ص (٢١٥ - ٢١٧)، الشرك فى القديم والحديث، أبو بكر محمد زكريا (١/ ١٧١، ١٧٢).

(٢) مسلم، ك الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة (٢/ ١٥١٣)

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٣١٩).

(٤) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٧١).

للعاملين أثناء سيرهم إلى الله تعالـى، والعجب داء ينافي الإخلاص ويضاده، ويجافي الذلّ والافتقـار لله تعالى، فهو سوء أدب مع الله جل جلالـه، كما أن العجب يجانب محـاسبة النفس، ويعمى عن مـعرفة أدواء النفس وعـيوبها، ومع كل ذلك فالحـديث عن تلك الآفة قليل مع شدة خطرها، وعظيم ضررها، وكثرة انتشـارها، قال عبد الله بن المبارك: العجب أن ترى عندك شيئًا ليس عند غيرك[1]، وفرق ابن تيمية بين الرياء والعجب فقال: والعجب قـرين الرياء لكن الرياء من بـاب الإشراك بالخـلق، والعـجب من باب الإشـراك بالنفس، فالمرائي لا يحقق قوله تعالى: ﴿إياك نعبد﴾ والمعجب لا يحقق قوله تعالى: ﴿إياك نستعين﴾ فمن حقق قوله: ﴿إياك نعبد﴾ خرج من الرياء، ومن حقق قوله: ﴿إياك نستعين﴾ خرج عن الإعجاب[2].

وقال الغزالي: اعلم أن آفات العجب كـثيرة، فإن العجب يدعو إلى الكبـر، فيتولد عن العجب الكبر، ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى، والعجب يدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها، وأما العبادات فإنه يستعظمها ويتبجح بها، ويمنّ على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها، والمعجب يغتر بنفسه وبرأيه ويأمن مكر الله وعذابه، ويظن أنه عند الله بمكان. . ويخرجه العجب إلى أن يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها[3].

وقال القرافي: وسر تحريم العجب أنه سوء أدب مع الله تعالى، فإن العبد لا ينبغي له أن يستعظم ما يتقرب به إلى سيده، بل يستصغره بالنسبة إلى عظمة سيده، لا سيما عظمة الله تعالى، ولذلك قـال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، أي ما عظموه حق تعظيمـه، فمن أعجب بنفـسه وعبـادته فقد هلك مع ربه، وهو مطلع عليـه، وعرض نفسه لمقت الله تعالى وسخطه[4]. ويمكن القول ابتداء، أن سبب العجب أمران:

أ- الجهل بحق الله تعـالى، وعدم تقدير الله تعـالى حقّ قدره، وقلة العلم بأسـماء الله وصفاته، وضعف التعبد بهذه الأسماء والصفات.

ب- الغفلة عن حقيقة النفس، وقلة العلم بطبيعـتها، والجهل بعيوبها وأدوائها، وإهمال محاسبة النفس ومراقبتها[5].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٠٧).
(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٧٧).
(٣) الإحياء (٣/ ٣٧٠)، باختصار.
(٤) الفروق (٤/ ٢٢٧).
(٥) معالم السلوك وتزكية النفوس، عبد العزيز العبد اللطيف، ص ٩٨.

ومن ثم فإن العلاج هو التعرف على الله تعالى، وتحقيق تعظيمه وتقديره حق قدره والقيام بالعبودية له من خلال العلم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وتعبد المولى عز وجل بها، فالخير كله بيديه، ورحمته تعالى وسعت كل شيء: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

قال الإمام الشافعي: إذا خفت على عملك العُجْب، فاذكر رضا من تطلب، وفى أى نعيم ترغب، ومن أى عقاب ترهب، فمن فكر فى ذلك صغر عنده عمله[(١)].

وقال النووي: وطريقه فى نفى الإعجاب أن يعلم أن العلم فضل من الله تعالى، ومنّة عارية، فإن لله تعالى ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فينبغى ألا يعجب بشيء لم يخترعه، وليس مالكًا له، ولا على يقين من دوامه[(٢)].

قال ابن القيم: اعلم أن العبد إذا شرع فى قول أو عمل يبتغى مرضاة الله، مطالعًا فيه منة الله عليه به، وتوفيقه له فيه، وأنه بالله لا بنفسه، ولا بمعرفته وفكره وحوله وقوته، بل هو الذى أنشأ له اللسان والقلب والعين والأذن، فالذى منّ عليه بالقول والفعل، فإذا لم يغب ذلك عن ملاحظته ونظر قلبه لم يحضره العجب الذى أصله رؤية نفسه وغيبته عن شهود منة ربه وتوفيقه[(٣)]. وأما العلاج الآخر للعجب فهو معرفة النفس ومحاسبتها، قال ابن الجوزى: من تلمح خصال نفسه وذنوبها، علم أنه على يقين من الذنوب والتقصير، وهو من حال غيره، فى شك، فالذى يُحذر منه الإعجاب بالنفس، ورؤية التقدم فى أعمال الآخرة، والمؤمن لا يزال يحتقر نفسه، وقد قيل لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه: إن مت ندفنك فى حجرة رسول الله ﷺ، فقال: لأن ألقى الله بكل ذنب غير الشرك أحب إلىّ من أن أرى نفسى أهلاً لذلك[(٤)]، وقال ابن حزم: من امتحن بالعجب فليفكر فى عيوبه، فإن أعجب بفضائله، فليفتش ما فيه من الأخلاق الدنيئة، فإن خفيت عليه جملة حتى لا يظن أنه لا عيب فيه، فليعلم أن مصيبته إلى الأبد، وأنه أتّم الناس نقصًا، وأعظمهم عيوبًا، وأضعفهم تميزًا، وأول ذلك أنه ضعيف العقل، جاهل، ولا عيب أشد من هذين، لأن العاقل هو من ميّز عيوب نفسه فغالبها وسعى فى قمعها، والأحمق هو الذى يجهل عيوب نفسه، وإن أعجبت بآرائك، فتفكر فى سقطاتك واحفظها ولا تنسها، وفى كلّ رأى قدّرته صوابًا فخرج بخلاف تقديرك، وأصاب غيرك وأخطأت أنت، وإن أعجبت بعملك، فاعلم

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٢)
(٢) المجموع (١/ ٥٥).
(٣) الفوائد، ص (١٤٤).
(٤) صيد الخاطر، ص (٢٥٠، ٢٥١).

أنه لا حصة لك فيه، وأنه موهبة من الله مـجردة، وهبك إياها ربك تعالى، فلا تقابلها بما يسخطه، فلعله ينسيك ذلك بعلة يمتحنك بها، تولّد عليك نسيان ما علمت وحفظت، وإن أعجبت بمدح إخوانك لك، ففكر فى ذمّ أعدائك إياك، فحينئذ ينجلى عنك العجب، فإن لم يكن لك عدو، فلا خير فـيك، ولا منزلة أسقط من منزلة من لا عدو له، فليست إلا منزلة من ليس لله تعالى عنده نعمة يحـسد عليها - عافانا الله - فإن استـحقرت عيوبك، فـفكر فيـهـا لو ظهرت إلى الناس، وتمـثل اطلاعهم عليـهـا، فحـينئـذ تخجل وتعـرف نقصك[1].

ويقول ابن القيم أثناء حـديثه عن الحكم والأسرار فى قضاء السيئـات وتقدير المعاصى: ومنها: أن الله سبحانه إذا أراد بعبده خيرًا أنســاه رؤية طاعاته ورفعها من قلبه ولسانه، فإذا ابتلى بذنب جعله نصب عينيه، ونسى طاعته وجـعل همه كله بذنبه، فلا يزال ذنبه أمامه، إن قام أو قعد، أو غدا أو راح، فيكون هذا عين الرحمة فى حقه، كما قال بعض السلف: إن العبـد ليعمل الذنب فيـدخل به الجنة، ويعمل الحسنة فـيدخل بها النار، قـالوا: وكيف ذلك؟ قال: يعـمل الخطيئة لا تزال نصب عـينيه، كلما ذكـرها بكى وندم وتاب واستغـفر وتضرّع وأناب إلى الله، وذلّ له وانكسر وعمل لها أعمــالاً فتكون سبب الرحمة فى حقه، ويعمل الحـسنة فلا تزال نصب عينيـه يمنّ بها، ويراها، ويعتـدّ بها على ربه وعلى الخلق، ويتكبر بها ويتـعجب من الناس كيف لا يعظمونه ويكرمونه ويجلونه عليـها، فلا تزال هذه الأمور به حـتى تقوى عليه آثارها فـتدخله النار[2]. هذا شرح مـوجز وسريع لقول أمـير المؤمنين على رضى الله عنه: الإعجاب آفة الألباب[3].

سابعًا: اهتمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب بترشيد الأسواق ومواقف متنوعة مع الناس:

حرص أمير المؤمنين على رضى الله عنه على تفقـد أحوال المتعاملين فى السوق وحملهم على التعامل بالشرع الحنيف، وقد ثبت أن عليًا رضى الله عنه كان شديد العناية بالاحتساب فى مجـال السوق، فـعن الحر بن جرمـوز المرادى عن أبيه قـال: رأيت على بن أبى طالب رضى الله عنه يخرج من القـصر وعليه قطريتـان، إزاره إلى نصف الساق، ورداؤه مشـمر قريبًا منـه، ومعه الدرة يمشى فى الأسواق ويأمـرهم بتقوى الله وحسن البـيع ويقول: أوفوا

(١) الأخلاق والسير، ص (٦٦ - ٧١) باختصار.

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٩٧، ٢٩٨)، مدارج السالكين (١/ ١٧٧).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٧).

الكيل والميزان ولا تنقحوا[1] اللحم[2]، وعن أبي مطر قال: خرجت من المسجد، فإذا رجل ينادي من خلفي: ارفع إزارك، فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك، وخذ من رأسك إن كنت مسلمًا، فمشيت خلفه، وهو مؤتزر بإزار، مرتد برداء، ومعه الدرة، كأنه أعرابي بدوي، فقلت: من هذا؟ فقال لي رجل: أراك غريبًا في هذا البلد، فقلت: أجل من أهل البصرة. فقال: هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، حتى انتهى إلى دار ابن أبي معيط وهو يسوق الإبل، فقال: بيعوا ولا تحلفوا، فإن اليمين تنفق السلعة وتمحق البركة، ثم أتى أصحاب التمر، فإذا خادمة تبكي، فقال: ما يبكيك؟ فقالت: باعني هذا الرجل تمرًا بدرهم، فرده مولاي فأبى أن يقبله. فقال له علي: خذ تمرك وأعطها درهمًا، فإنها ليس لها أمر، فدفعه، فقلت: أتدري من هذا؟ فقال: لا. فقلت: هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين. فهبت تمرها فأعطاها درهمًا. ثم قال الرجل: أحب أن ترضى عني يا أمير المؤمنين. قال: ما أرضاني عنك، إذا وفيت الناس حقوقهم. ثم مر مجتازًا بأصحاب التمر، فقال: يا أصحاب التمر، أطعموا المساكين يَرْبُ كسبكم، ثم مر مجتازًا - ومعه المسلمون - حتى أتى إلى أصحاب السمك، فقال: لا يباع في سوقنا طافٍ. ثم أتى دار فرات وهي سوق الكرابيس[3].

عن زاذان قال: كان علي يمشي في الأسواق وحده يرشد الضال، ويعين الضعيف، ويمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣]، ثم يقول: نزلت هذه الآية بأهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة من سائر الناس[4]. وأخرج الخلال بسنده عن أبي سعيد قال: كان علي أتى السوق فقال: يا أهل السوق، اتقوا الله وإياكم والحلف، فإن الحلف ينفق السلعة، ويمحق البركة، وإن التاجر فاجر إلا من أخذ الحق وأعطى الحق، والسلام عليكم ثم ينصرف، ثم يعود إليهم فيقول لهم مثل مقالته[5].

---

(١) في بعض الروايات (ولا تنفحوا) كما في الطبقات (٣/ ٢٨)، ومصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٣٠٨).

(٢) تنقيح العظم استخراج مخه، وتنقح شحم الناقة أي قل، ونقح الشيء أي قشره، والمراد - والله أعلم - لا تخرجوا مخ العظام المكسو باللحم، لسان العرب (٢/ ٦٢٤)، فضائل الصحابة (٢/ ٦٨٨) إسناده صحيح رقم (٩٣٨).

(٣) البداية والنهاية (٨/ ٤).

(٤) الدر المنثور للسيوطي (٦/ ٤٤٤) البداية والنهاية (٨/ ٥).

(٥) السنة ص (٣٥٢)، تحقيق د. عطية الزهراني ص (٣٥٢).

وعن أبي الصهباء قال: رأيت علي بن أبي طالب رضى الله عنه بشط الكلأ يسأل عن الأسعار(١)، فهذا الإشراف المباشر من أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه، تضمن أموراً منها:

أ- لم تقتصر الجولات على الإشراف والتوجيه، بل تعدت ذلك إلى خدمة الناس فى شئونهم، كإرشاد الضال، وإعانة الضعيف، فمن كانت هذه حاله كانت كلماته وتوجيهاته أقرب للناس، وأبلغ فى نفوس السامعين.

ب- تضمن التوجيه النصح بتقوى الله سبحانه وتعالى وحسن البيع،وربما وعظهم بالقرآن الكريم، فإن من اتقى الله سبحانه وتعالى أحسن معاملته للناس فى النفع لهم، والبعد عن مخادعتهم وغشهم.

جـ- منع الظلم فى المعاملات، وإعادة الحق إلى أهله، لأن موالى الجارية التى اشترت التمر لم يجيزوا هذا الشراء، وهى فى نفسها ليس لها أمر.

د- النهى عن أصناف الغش التى تحصل فى الأسواق، كنهيه عن تنقيح اللحم، وفى رواية (نفح اللحم).

هـ- بيان بعض الأحكام والآداب المتعلقة فى معاملات الناس ومنها:

* النهى عن الحلف فى البيع، وتعليل ذلك بأن اليمين تنفق السلعة، وتمحق البركة، كما ورد عن رسول الله ﷺ: «الحلف مَنْفَقَة للسلعة، مَمْحقَةُ للبركة»(٢).

* الحث على إطعام المساكين وترغيبهم فيه، لأنه زيادة فى الكسب.

* النهى عن بيع السمك الطافى(٣)، ولعل ذلك حتى لا يختلط مع المصيد الطرى.

كان أمير المؤمنين يتفقد أمور التجار فى حضرته، ويأمر ولاته بذلك فى الولايات، ويثنى على المحسن منهم، أما من يقترف خطيئة بعد النهى، فينكل به، ويعاقبه من غير إسراف(٤)، وكانت له بعض الإرشادات النافعة والنواهى الزاجرة التى تحث الناس على مكارم الأخلاق والالتزام بأحكام الشريعة وإليك بعض منها:

---

(١) الرياض النضرة فى مناقب العشرة، ص (٦٩٠)، شط الكلأ مكان وبالبصرة سوق الكلأ.

(٢) البخارى. ك البيوع (٢/ ٨٥). (٣) هو الذى يعلو الماء ولا يرسب.

(٤) الدور السياسى للصفوة فى صدر الإسلام، ص (٢٠٢).

١- إنكاره على مزاحمة النساء الرجال فى الأسواق: أنكر أمير المؤمنين علىٌّ على أناس لا يمنعون نساءهم من الخروج إلى الأسواق لمزاحمات الكفار، فقال لهم: ألا تستحيون أو تغارون؟ فإنه بلغنى أن نساءكم يخرجن فى الأسواق يزاحمن العلوج[١].

٢- لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره: كان على رضى الله عنه يدخل السوق وبيده الدرة، وعليه عباء ويقول: يا أيها التجار، خذوا الحق، وأعطوا الحق تسلموا، لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره، ونظر إلى رجل يقص، فقال له: أتقص ونحن قريب عهد برسول الله ﷺ لأسألنك فإن أجبتنى وإلا جعفتك[٢] بهذه الدرة، ما ثبات الدين وما زواله؟ قال: أما ثباته فالورع، وأما زواله فالطمع، قال: أحسنت، قص فمثلك من يقص[٣].

٣- خطورة التجارة قبل التفقه فى أحكامها: قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه: من اتجر قبل أن يتفقه فى الدين فقد ارتطم فى الربا، ثم ارتطم، ثم ارتطم[٤]، وقد كان الفاروق، رضى الله عنه، يضرب بالدرة من يقعد فى السوق وهو لا يعرف الأحكام، ويقول: لا يقعد فى سوقنا من لا يعرف الربا[٥]، وكان يقول: لا يبيع فى سوقنا إلا من تفقه، وإلا أكل الربا شاء أو أبى[٦]، فكل شئون الحكم كانت محل اهتمام الخلفاء الراشدين، رضى الله عنهم، لا يطغى جانب على جانب، فلا يختل الحال بين يدى الحاكم، فقد كانوا يقعّدون للتجارة القواعد التى تصلح للأسواق، وتنظم التداول، وتضمن الثبات والاستقرار، فلا غبن ولا غش، ولا احتكار ولا أسواق سوداء ولا زرقاء ولا جهل بما يجوز وما لا يجوز فى عالم التجارة.

ويمكن اليوم تفقيه التجار من خلال دورات فى المساجد خصوصًا التى فى قلب الأسواق، ولابد من توجيه الخطاب للتجار من خلال كتيبات خاصة بهم والأشرطة الصوتية المختصرة التى تبين أحكام التجارة وتبسط المسائل المتعلقة بها والتى تبرز ما يلى:

* نماذج مختارة من التجار المسلمين المخلصين لدينهم الذين نصروا الله ورسوله بأموالهم.

(١) العلوج: جمع علج وهو الواحد من كفار العجم، مسند أحمد (٢/ ٢٥٤، ٢٥٥) قال أحمد شاكر: صحيح الإسناد.

(٢) جعفه: صرعه وضرب به الأرض.

(٣) المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزى (٥/ ٧٠).

(٤) ارتطم: وقع: بستان العارفين، ص (٣٥٠).

(٥) نظام الحكومة الإسلامية للكتانى (٢/ ١٧).

(٦) المصدر نفسه (٢/ ١٧).

* بيان أهمية الآخرة بالنسبة لهم لكى يجمعوا بين خيرى الدنيا والآخرة.

وعلى العلماء وطلاب العلم واجب كبير فى تفقيه هذه الشريحة الكبيرة فى المجتمعات، وعلى الحركات الإسلامية ألا تنسى واجبها فى تعليم أبنائها من التجار وغيرهم هذا الفقه العزيز.

٤- من سبق إلى موضع فهو أحق به: أثيرت قضية المحل التجارى فى السوق وقضى على ابن أبى طالب رضى الله عنه فى سوق الكوفة، أن من سبق إلى موضع فهو أحق به ما دام فيه ذلك اليوم، فإذا انتقل عنه، فهو لمن حلّ فيه، قال الأصبغ بن نباتة: خرجت مع على ابن أبى طالب إلى السوق، فرأى أهل السوق قد حازوا أمكنتهم، فقال على: ما هذا؟ فقالوا: أهل السوق قد حازوا أمكنتهم، فقال: ليس ذلك لهم، سوق المسلمين كمصلّى المسلمين، من سبق إلى شىء فهو له يومه حتى يدعه، وظلّت هذه القاعدة متّبعة حتى ولاية المغيرة بن شعبة، فلمّا كانت ولاية زياد بن أبيه عليها عام ٤٩هـ جعل من قعد فى مكان فهو أحق به مادام فيه(١).

٥- المحتكر عاص ملعون: قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فى احتكار الطعام: جالب الطعام مرزوق، والمحتكر عاص ملعون(٢)، وقد أمر أمير المؤمنين بتحريق الطعام المحتكر، فقد أخرج الحافظ ابن أبى شيبة عن الحكم قال: أُخبر على برجل احتكر طعامًا بمائة ألف فأمر به أن يحرق(٣). وقد ذهب ابن قدامة إلى أن الاحتكار المحرم ما اجتمعت فيه شروط ثلاثة هى:

أ- أن يشترى، فلو جلب شيئًا، أو أدخل من غلته شيئًا فادخره لم يكن محتكرًا، وهذا واضح من قول على رضى الله عنه.

ب- أن يكون المشترى قوتًا(٤).

جـ- أن يضيق على الناس بشرائه. وترهيب أمير المؤمنين علىٍّ من الاحتكار مبنى على قول رسول الله ﷺ: «لا يحتكر إلا خاطئ» (٥).

(١) الأموال لأبى عبيد، ص (١٢٣)، الحياة الاقتصادية، د. بطاينة، ص (١١٥).

(٢) فقه على، قلعجى، ص (٢٧)، مصنف عبد الرزاق (٨/ ٢٠٤)، مسند زيد، ص (٢٤٥).

(٣) المصنف رقم ٤٣٣ (٦/ ١٠٣)، الحسبة فى العصر النبوى، ص (٣٤).

(٤) وقيل: لا فرق بين القوت وغيره.

(٥) مسلم، ك المساقاة (٣/ ١٢٢٨) والخاطئ: العاصى الآثم.

٦- الخسارة على المال والربح على ما اصطلحوا عليه: بين أمير المؤمنين على بن أبى طالب شيئًا من أحكام المضاربة وهى: نوع من أنواع المعاملات بين الناس، وهى دفع مال معلوم لمن يتجر به ببعض ربحه، فقال رضى الله عنه: الوضيعة على المال، والربح على ما اصطلحوا عليه[١]، والوضيعة تعنى الخسران فى الشركة وهى على المال، أى على كل واحد بقدر ماله، فإن كان ما لهما متساويًا فى القدر[٢] فالخسران بينهما نصفان، وإن كان أثلاثًا فالوضيعة تكون أثلاثًا.

٧- تحريقه قرية كانت تباع فيها الخمر: كان رضى الله عنه شديد الإنكار على من باع خمرًا، فقد أمر بتحريق قرية كانت تباع فيها الخمر، فقد روى الإمام أبو عبيدة القاسم بن سلام أن عليًا بن أبى طالب رضى الله عنه نظر إلى زرارة[٣] فقال: ما هذه القرية؟ قالوا: قرية تدعى زرارة، يلحم فيها، تباع فيها الخمر، فقام يمشى حتى أتاها، فقال: علىَّ بالنيران، اضرموها فيها، فإن الخبيث يأكل بعضه بعضًا، قال (الراوى): فاحترقت من غربيها حتى بلغت بستان خواستا بن جبرونا[٤].

٨- احتسابه فيما يتعلق باللباس والهيئة: عن أبي مطر قال: خرجت من المسجد فإذا رجل ينادى خلفى: ارفع إزارك فإنه أنقى لثوبك، وأتقى لربك، وخذ من شعرك إن كنت مسلمًا[٥].

٩- حبسه أهل الشر والفساد: كان رضى الله عنه يلاحق أهل الشر والفساد، فإذا وجد أحدًا منهم حبسه، فقد روى القاضى أبو يوسف عن عبد الملك بن عمير قال: كان على بن أبى طالب رضى الله عنه إذا كان فى القبيلة أو القوم الرجل الداعر حبسه، فإن كان له مال أنفق عليه من ماله، وإن لم يكن له مال أنفق عليه من بيت مال المسلمين، وقال: يحبس عنهم شره ويُنفق عليه من بيت مالهم[٦].

١٠- الترهيب من عدم الإنفاق: قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب: بشر مال البخيل بحادث أو وارث[٧]، وقال: البخيل مستعجل الفقر، يعيش فى الدنيا عيش الفقراء، ويحاسب فى العقبى حساب الأغنياء[٨].

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٤)، مصنف عبد الرزاق (٨/ ٢٤٨).
(٢) المغنى (٥/ ٣١).
(٣) محلة فى الكوفة سميت باسم بانيها زرارة بن زيد.
(٤) الأموال، ص (٩٧، ٩٨)، الحسبة لابن تيمية، ص (٦٠).
(٥) البداية والنهاية (٨/ ٤).
(٦) الخراج لأبى يوسف ص (١٥٠).
(٧) نثر اللآلئ نقلاً عن منهج على بن أبى طالب، ص (١٨٣).
(٨) منهج على فى الدعوة إلى الله، ص (١٨٣).

١١- مناداته للصلاة: كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه شديد الاهتمام بأمر الصلاة، فقد كان يمر فى الطريق مناديًا: الصلاة، الصلاة، كان يوقظ بذلك الناس لصلاة الفجر، يحدثنا الحسن، رضى الله عنه، عن خروجه اليوم الذى طُعن فيه من بيته حيث يقول: فلما خرج من الباب نادى: أيها الناس! الصلاة، الصلاة. وكذلك كان يصنع كل يوم، ومعه درته، فاعترضه الرجلان، فضربه ابن ملجم على دماغه[١].

١٢- الاهتمام بالطرق العامة: كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يأمر بالمثاغب[٢]، والكنف[٣]، تقطع من طريق المسلمين[٤].

١٣- ظهور بدعة القصص ومحاربة أمير المؤمنين على لها: حدثت بدعة القُصَّاص فى عهد على - رضى الله عنه - فأنكرها الصحابة والتابعون، فقد أخرج محمد بن وضّاح عن موسى بن معاوية قال: حدثنا ابن مهدى عن سفيان عن عبيد الله بن نافع قال: لم يقص على عهد النبى ﷺ، ولا أبى بكر، ولا عمر، ولا عثمان، وأول ما كان القصص حين كانت الفتنة[٥]، والقصاص هم الوعاظ الذين يعقدون مجالس للوعظ تضاهى مجالس العلم، يعظون الناس فيها بالحكايات والإسرائيليات ونحوها، مما لا أصل له أو موضوع، أو مما لا تدركه عقول العامة، وقد منعهم أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه، لأنهم أخذوا يحدثون الناس بالغرائب والمتشابهات، وما لا تدركه عقولهم وما لا يعرفون[٦]، وأذن أمير المؤمنين لمن كان متمكنًا من العلم الشرعى بأن يقص على الناس.

كانت حياة أمير المؤمنين فى المجتمع دعوة للتوحيد ومحاربة للشرك، وكان حريصًا على تعليم الناس أسماء الله وصفاته وربط قلوبهم به وحده، وتذكيرهم بنعم الله وحضهم على شكرها، وقد كان رضى الله عنه مثابرًا على محو آثار الجاهلية، متخذًا جميع الوسائل الدعوية من خطابة ووعظ، وشعر وحكم، ولم يعش رضى الله عنه بعيدًا عن الناس بل عاش بينهم بأخلاقه وسمته وعلمه رضى الله عنه.

(١) البداية والنهاية (٧/ ٣٣٩).
(٢) المثاغب: مفردها الثغب: سيل الماء فى الوادى.
(٣) والكنف: جمع كنيف وهو المرحاض، المصباح المنير، ص (٥٤٢).
(٤) مصنف عبد الرزاق (١/ ٧٢). (٥) البدع والنهى عنها، ص (٢٠).
(٦) دراسات فى الأهواء والفرق والبدع، ص (٢٣٩).

ثامنًا: ولاية الشرطة فى عهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب:

عندما تولى على رضى الله عنه أمر الخلافة كانت وظيفة الشرطة إحدى الوظائف المهمة المعروفة فى الدولة، والقصص والآثار التى تحدثت عن دور الشرطة فى عهد على رضى الله عنه كثيرة منها، ما رواه أصبغ بن نباتة، أن شابًا شكا إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه نفرًا، فقال: إنّ هؤلاء خرجوا مع أبى فى سفر فعادوا ولم يعد أبى، فسألتهم عنه، فقالوا: مات، فسألتهم عن ماله: فقالوا: ما ترك شيئًا، وكان معه مال كثير، وترافعنا إلى شريح، فاستحلفهم وخلّى سبيلهم، فدعا علىّ بالشرطة، فوكّل بكلّ رجل رجلين، وأوصاهم ألا يمكنوا بعضهم يدنو من بعض، ولا يمكنوا أحدًا يكلمهم، ودعا كاتبه، ودعا أحدهم، فقال: أخبرنى عن أبى هذا الفتى، أى يوم خرج معكم؟ وفى أى منزل نزلتم؟ وكيف كان سيركم؟ وبأى علة مات؟ وكيف أصيب بماله؟ وسأله عمّن غسله ودفنه، ومن تولى الصلاة عليه، وأين دفن، ونحو ذلك، والكاتب يكتب، فكبر علىّ، وكبّر الحاضرون والمتهمون لا علم لهم إلا أنهم ظنّوا أن صاحبهم قد أقرّ عليهم، ثم دعا آخر بعد أن غيب الأول عن مجلسه، فسأله كما سأل صاحبه، ثم الآخر كذلك، حتى عرف ما عند الجميع، فوجد كل واحد منهم يخبر بضدّ ما أخبر به صاحبه، ثم أمر بردّ الأول فقال: يا عدو الله، قد عرفت عنادك وكذبك بما سمعت من أصحابك، وما ينجيك من العقوبة إلا الصدق، ثم أمر به إلى السجن، وكبّر وكبّر معه الحاضرون، فلما أبصر القوم الحال لم يشكوا أن صاحبهم أقرّ عليهم فدعا آخر منهم، فهدده، فقال: يا أمير المؤمنين، والله لقد كنت كارهًا لما صنعوا، ثم دعا الجميع فأقروا بالقصة واستدعى الذى فى السجن وقيل له: قد أقر أصحابك ولا ينجيك سوى الصدق، فأقر بكل ما أقر به القوم، فأغرمهم المال، وأقاد منهم القتيل[(١)].

فهذه القصة تحوى معان ودلالات كثيرة تفيد المحققين، وتدلّ فى الوقت نفسه على وجود السجن، ورجال الشرطة[(٢)]، هذا وقد بنى أمير المؤمنين سجنًا فى الكوفة سمّاه «نافعًا» لم يكن مستوثق البناء، فكان المسجونون يخرجون منه، فهدمه وبنى بدلاً منه سجنًا سمّاه مخيسًا[(٣)]، وقد أجرى على أهل السجون ما يقوتهم من طعامهم وأدمهم وكسوتهم

(١) الطرق الحكمية، ص (٤٩).

(٢) ولاية الشرطة فى الإسلام، د. نمر الحميدانى، ص (١٠٧).

(٣) وهذه التسمية ليست اعتباطًا بل لها غرض، فإن النافع من النفع وهو ضد الضرر.. المخيس وهو التذليل والتهذيب.. التسميتان تحققان أغراض السجن.

فى الشتاء، والصيف[1]، وكان لأمير المؤمنين على بن أبى طـالب شرطة منهم، أبو الهياج الأسدى، وقيس بن سعد بن عبادة ومعقل بن قيس الرّياحى، ومالك بن خبيب اليربوعى، والأصبغ بن نباتة المشاجـعى، وسعيد بن سارية بن مرة الخزاعى، وكـان من ضمن الوظيفة الاجتماعيـة للشرطة، مساعدة المحتاج، وإغاثة الملهـوف، وإرشاد التائه، وإطعام المساكين، وتقديم العون، وإظهـار الرفق، وغير ذلك من المساعدات الإنسانيـة التى يراد بها وجه الله تعالى.

ومن هنا يظهـر لنا أن الأمن فى العصـر الراشدى كـان يقوم بدور حـضارى فى تـقديم خدمات عامة للمجتمع، ولم يقتصر دوره فقط على الجانب الأمنى وإن كان للجانب الأمنى الأهمية الكبرى.

(١) ولاية الشرطة، ص (١٠٨).

الفصل الرابع

المؤسسة المالية والقضائية فى عهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب وبعض اجتهاداته الفقهية

المبحث الأول

المؤسسة المالية

فى عهـد على بن أبى طالب رضى الله عنه لم يحـدث تغييـر يذكر فى السـياسـة المالية للدولة الإسلامـية، إلا أن أميـر المؤمنين على رضى الله عنه رجع إلى ما كـان عليه أبو بكر الصديق فى التسوية فى العطاء(١)، فلم يفضل أحدًا على أحد، فـأعطى الموالى كما أعطى السادة(٢)، وكان الخراج فى بعض الأمصار موكولاً إلى الولاة أنفسهم، ففى مصر كان قيس ابن سعد بن عبادة- الوالى العام- مسئولاً عن الخراج فيها، وكذلك حينما بـعث على رضى الله عنه الأشتر النخعى على مصر كان خطابه له مـا يوحى أنه مع ولايته العامة كان مسئولاً عن الخراج بما يصلح أهله، فإن صلاحه وصـلاحهم صلاح لمن سواهم ولا صلاح إلا بهم، لأن الناس كلهم عيـال على الخراج وأهله، وليكن نظرك فى عـمارة الأرض أبلغ عن نظرك فى استجلاب الخراج، لأن ذلك يدرك بالعمارة ومن طلب الخـراج بغير عمارة، أضر بالبلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليـلاً، فإن شكوا ثقلاً أو علة أو انقطاع شرب،. أو إحالة أرض اغتمرها غرق، أو أجحف بهـا عطش، خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم.. فإن العمـران محتمل ما حـملته، وإنما خراب الأرض من إعواز أهلهـا، وإنما إعوازها أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر(٣).

فقد كانت نظرة أمير المؤمنين على رضى الله عنه إلى الخراج بما يتعدى الجباية إلى المسألة الاقتصادية برمتها، حيث يشكل الخـراج المصدر الأساسى لها فى ذلك الوقت، وقد اشتهر عن على رضى الله عنه تشديده فى مراقبة عماله فى جميع النواحى، وكان الخراج والشئون المالية من الأمور المهمة التى كان يدقق فيها أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه،

---

(١) الاستيعاب (٣/ ١١).
(٢) على بن أبى طالب ، د. على شرفى، ص (٦٦).
(٣) الولاية على البلدان (٢/ ١٥٣ إلى ١٦٣).

فكان يبعث العيون والأرصاد ليعلم أحوالهم(١)، وقد كان لولاة البلدان صلاحيات عامة في المصروفات من ولاياتهم وبيوت أموالها، فالولاة الذين كانوا يباشرون بيت المال وعمال الخراج بأنفسهم في عهد الخلفاء عمومًا كانوا ينفقون من الأموال التي لديهم في الأوجه الشرعية في مصالح الولاية، فكانوا يستخدمون هذه الأموال في شئون الجهاد والفتوح من إعداد للسلاح والدواب ومرتبات الجند وغير ذلك من أوجه الجهاد، كما كان الولاة يقومون بصرف نفقات العمال، والموظفين في الولاية(٢)، بالإضافة إلى أنهم كانوا يقومون ببعض الإصلاحات من بناء الجسور وحفر للقنوات والعيون والأنهار، وكان ذلك يستدعي الصرف مما يجبونه من ولاياتهم(٣).

وفي الأوقات التي تعزل فيها ولاية الخراج أو بيت المال عن الولاية العامة فإن الولاة بحكم إشرافهم العام على الولاية يطلبون من عمال الخراج الإنفاق على هذه الإصلاحات، أو يقوم الولاة بتعيين عمال خاصين بهذه المشاريع، وتصرف نفقات العمل أو التجهيز من دخل الولاية عن طريق عمال الخراج إذا كانوا مستقلين، وهكذا فإنه حتى لو عزلت مهمة (الجباية) عن الوالي كما عبّر عنها بعض الباحثين(٤) فإن النفقات مع ذلك كانت تأخذ طريقها بواسطة الولاة في كثير من الأحيان سواء للجهاد أو التعمير.

ولقد نبه بعض الفقهاء إلى أن على الولاة إنفاق الأموال في مصالح المسلمين وعدم تجميدها، إذ إن تجميد الأموال التي أخذت بحقها وعدم صرفها في مصالح المسلمين يوازي الظلم في جمعها، فعدوا التجميد للأموال العامة من باب الظلم والتقصير من جانب الولاة(٥)، وقد كانت الأمصار والولايات أحق بأموالها وجباياتها من غيرها، فكان الولاة لايعملون على ترحيل الأموال عن مناطقهم إلى العاصمة في المدينة أو الكوفة فيما بعد، إلا بعد أن يسدوا حاجة ولاياتهم من النفقات(٦)، ولاشك أن ماقام به الخلفاء الراشدون خصوصًا في عهد عمر من تنظيم دقيق للشئون المالية في الولايات بما فيها من جباية- مصادر الدخل أو الواردات العامة إضافة إلى النفقات العامة- يعتبر تنظيمًا جديدًا، ولم يمنعهم ذلك من الاستفادة من خبرات من سبقوهم حيث استحدثوا الدواوين وضبطوا

(١) الولاية على البلدان (٢/٩٨)، النظريات المالية في الإسلام، ص (١٥٥).
(٢) التراتيب الإدارية للكتاني (١/٣٩٣). (٣) الولاية على البلدان (٢/٩٨).
(٤) النظم المالية في الإسلام، ص (١٥٧)، الولاية على البلدان (٢/٩٩).
(٥) أصول الفكر السياسي الإسلامي، فتحي عثمان، ص (٤٣).
(٦) السياسة المالية لعثمان بن عفان، قطب، ص (٩٩).

أمورهم المالية من مختلف جوانبها، وقد تحدثت عن المؤسسة المالية فى عهد الفاروق، رضى الله عنه، بنوع من التفصيل، فمن أراد المزيد فليرجع إليها فى كتابى فصل الخطاب فى سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وقد حاول بعض المستشرقين وفيهم فيليب حتى فى موسوعته عن تاريخ العرب أن يقلل من شأن ما قام به الخلفاء الراشدون من تنظيم للأموال فى الدولة عمومًا فقال:

«والحقيقة أن الأخبار تعزو إلى عمر كثيرًا مما أحدثته السنون التى لحقت عهده من إنشاءات دعت إليها التجارب والأحوال الجديدة، وأن ما جاء به الخلفاء وعمال الأمصار الأول فى صدد الخراج والجزية، وأصول جبايتها وسياسة أموال الدولة لم يكن بالشىء الخطير، فلقد أبقى الإسلام أساس الحكم وأنظمة الإدارة البيزنطية على ما كانت عليه فى سوريا ومصر، ولم يفكر أرباب الأمر فى الأمصار الفارسية أن يبدلوا أصول الحكومة المحلية، ولم يأخذ الفاتحون الضرائب إلا طبقًا لطبيعة البلاد وبمقتضى الأصول المرعية فى العهد المنقرض سواء أكان بيزنطيًا أو فارسيًا، ولم يعتبروا فى ذلك إذا كانت قد دانت لهم صلحًا أو أنهم فتحوها عنوة، ولا اهتدوا بتشريع أوجده عمر»(١). والكاتب هنا قد تجاهل النصوص التى وردت فى استنباط عمر للخراج على الأراضى المفتوحة عنوة، وكيف أن النظام قد لقى مجادلة ومعارضة من بعض الصحابة إلى أن استقر الأمر عليه، واتفق الجميع على تنفيذه(٢). وقد تولى محمد ضياء الدين الريس الرد على هؤلاء المستشرقين فيما قالوه من خلال نصوص تاريخية موثقة يخلص منها إلى أن هذه الدعوى لا أساس لها من الصحة، وأن المسلمين وفقهاءهم كانوا يفرقون بين ما أحدثه عمر، وما أحدثه غيره، بل ويفصلون تفصيلاً دقيقًا فى قضايا الخراج فى عهد عمر(٣).

وهذه عادة المستشرقين وأذنابهم من الطعن والتنقص فى عظماء الإسلام، ولكن المشكلة أنهم يجدون من الأمة من ينظر لهم بإجلال وتقدير.

وبسبب الحروب والنزاعات الداخلية تأثرت دولة الخلافة فى عهد على فى مؤسساتها المتعددة، كالمالية والعسكرية، ومنصب الخلافة، مما ساهم فى زوال الخلافة الراشدة، وسيأتى تفصيل ذلك فى محله بإذن الله.

(١) تاريخ العرب، فيليب حتى (١/ ٢٢٨). (٢) الولاية على البلدان (٢/ ١٠٠).

(٣) الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، ص (١٣١- ١٣٦)، نقلاً عن الولاية على البلدان (٢/ ١٠٠).

المبحث الثانى

المؤسسة القضائية

ولى الخلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه، واقترنت توليته التى نجمت عن قتل عثمان وما تبعها من أحداث شقت صف المسلمين وفرقت كلمتهم، وأصبحت مواجهة تلك الأحداث لرأب الصدع شغله الشاغل، ولم يكن هذا الصراع الدامى فى عهد على رضى الله عنه مانعًا له من أن يعطى للقضاء نصيبًا من الاهتمام به وتنظيمه، ويدل على هذا رسالته(١) التى أرسلها إلى الأشتر النخعى واليه على مصر حين كانت تابعة لحكمه، وفيها يقول: ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك فى نفسك ممن لا تضيق به الأمور، ولا تمحكه الخصوم، ولايتمادى فى الزلة، ولايحصر فى الفىء إلى الحق إذا عرفه، ولا تستشرف نفسه على طمع، ولايكتفى بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم فى الشبهات، وآخذهم بالحجج، وأقلهم تبرمًا بمراجعة الخصوم، وأصبرهم على كشف الأمور، وأصرمهم على اتضاح الحكم، ممن لايزدهيه إطراء، ولايستميله إغراء، وأولئك قليل، ثم أكثر من تعاهد قضائه، وأفسح له فى البذل ما يزيل علته، وتقل معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لايطمع فيه غيره من خاصتك، ليأمن بذلك اغتيال الرجال عندك(٢).

وفى هذه الرسالة أيضًا: أنصف الله، وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعيّتك، فإنك إلا تفعل تَظْلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجته، وكان لله حربًا، حتى ينزِع أو يتوب. وليس شىء أدعى إلى تغيير نعمة الله، وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإن الله سميع دعوة المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد(٣).

ونلاحظ أن هذا العهد تضمن صفات القاضى، كما تضمن حقوقه وواجباته، والذى يتأمل فى الذى كتبه أمير المؤمنين على رضى الله عنه لواليه على مصر، يعجب لهذا العهد الذى كتب عام ٤٠ هـ، أو حولها، فى وقت لم يكن للعرب فيه أى اتصال بالحضارات الأخرى بعد، وكيف كان العقل المسلم الذى ينظر بنور الله قادرًا على تفتيق المعانى، ووضع

(١) وقائع ندوة النظم الإسلامية (١/ ٣٧٩).

(٢) شرح نهج البلاغة نقلاً عن نظام الحكم للقاسمى (٢/ ١٠٣).

(٣) المصدر نفسه (٢/ ٥٥٩).

أمور الدولة فى نصابها، على خير مـا نرى اليوم فى الدساتير والقوانين(١). وهذه النظرات من أمير المؤمنين على فـى إنصاف الرعية، وتجنب ظلمهـا كانت فيما بعـد عماداً فى تنظيم ولاية المظالم(٢).

أولاً: الخطة القضـائية والتشريعـية فى عهد الخلفـاء الراشدين والمصادر التى اعتـمدها الصحابة فى ذلك العهد:

قصد بهذه الخطة الطريـقة التى سلكها الخلفاء الراشدون والصحابـة الكرام وهم يبحثون عن الأحكام الشرعـية لما يحدث لهم من وقائع وقضـايا فى حياتهم العملـية، وهى طريقة هدتهم إليهـا صحبتهم للـرسول الكريم وتدريبهم على يديه، لذلك كان اتبـاع هذه الطريقة حقًا على من جاء بعدهم. وقد لاحظنا من خلال دراسـتنا لعهد الخلفاء الراشدين فى كتبنا عن أبى بكر وعمـر وعثمان ودراستنا الحـالية لعهد على رضي الله عنهم، أنهـم كانوا كلما عرض لهم حـادث، أو قضاء لجـأوا إلى كتاب الله أولاً، فـإن وجدوا فيـه الحكم الشرعى للنازلة حســم الأمر، وإلا رجعـوا إلى سنة رسول الله ﷺ، حتى إذا لم يجـدوا فيهـا حلاً انتقلوا إلى الرأى بمعناه الواسع، وقـد لاحظنا أن هذا الرأى كان فى أول الأمر جمـاعيًا فى غالب الأحـيان، خـصوصًا إذا انصـب موضوعـه على أمر من أمـور الدولة ذات الصبـغة العامة، وقد ساعد على ذلك أن كبار الصحابة كانوا مازالوا مستقرين بالمدينة يسهل جمعهم وأخذ رأيهم، وقد انبثق عن رأيهم الجماعى ما اصطلح على تسمـيته فيما بعد «الإجماع»، وقد كانوا يستـعملون القياس والمصلحة هى مناط التشريـع، وخير دليل على هذه الخطة ما قاله ميمون بن مهران حيث قـال: كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصوم نظر فى كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضى بينهم قضى به، وإن لم يكن فى الكتاب، وعَلِم من رسول الله ﷺ فى ذلك الأمر سنة قـضى بها، فإن أعيـاه أن يجد فيه سنة عن رسـول الله جمع رءوس الناس وخيارهم فاستشارهم فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به. وكان عمر يفعل ذلك فإن أعياه أن يجـد فى القرآن والسنة نظر هل كـان فيـه لأبى بكر قضـاء قضى بـه، وإلا دعا رءوس المسلمين، فإن أجمـعوا على شيء قضى به(٣). وعن ابن مسـعود قال: فمن عـرض عليه قضاء بعـد اليوم فليقض بما فى كتـاب الله، فإن جاءه أمر ليس فى كـتاب الله ولا قضى به نبيه ﷺ، فليقض بما قضى به الصـالحون، فإن جاءه أمر ليس فى كتـاب الله ولا قضى نبيه

(١) نظام الحكم للقاسمى (٢/ ١٠٤) (٢) المصدر نفسه (٢/ ٥٦٠)

(٣) سنن الدارمى (١/ ٥٨) رجال إسناده ثقات غيـر جعفر بن برقان صدوق، السنن الكبـرى للبيهقى (١٠/ ١١٤) وصحح إسناده ابن حجر، فتح البارى (١٣/ ٣).

ﷺ ولا قضى به الصالحون فليجتهد رأيه، ولايقل: إنى أرى وإنى أخاف، فإن الحلال بين، والحرام بين، وبين ذلك مشتبهات فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك[1]، وقد بينا فى حديثنا عن المرجعية العليا لدولة أمير المؤمنين على بن أبى طالب حرصه على السير على نفس المنهج، ويتبين من هذه الآثار أن الصحابة كانوا يعتمدون فى خطتهم التشريعية والقضائية على الكتاب والسنة قبل الانتقال إلى الرأى بمعناه الواسع[2].

ونحب أن نقف عند هذه الآثار لنستخلص منها بعض النتائج:

١- اتفاق الصحابة حول هذه الخطة إذ كانوا يرتبون مراحل اجتهادهم وفقههم مبتدئين بكتاب الله أولاً، ثم الانتقال إلى سنة رسول الله ﷺ قبل استخدام الرأى الجماعى ثم القياس.

٢- كان للسابقة القضائية دور مهم فى هذه الخطة وهو دور جعلها تلى النصوص مباشرة.

٣- ومما يلفت النظر فى هذه الخطة أن أبا بكر وعمر على الخصوص، لم يكونا يستشيران إلا من كان موجودًا من الصحابة بالمدينة، ولم نطلع على نص يدل على أنهما كانا يستدعيان من كان غائبًا من الصحابة قصد استشارته فى أمر من الأمور الاجتهادية، مما يدل على أن الإجماع كان ينعقد باتفاق من حضر من الصحابة بصرف النظر عن رأى من كان غائبًا[3]، ويتضح لنا من خلال ما سبق من خطة الخلفاء الراشدين والصحابة فى التشريع والقضاء أنهم كانوا كلما حزبهم أمر، أو عرضت عليهم قضية بادروا إلى القرآن أولاً حتى إذا لم يجدوا فيه حلاً رجعوا إلى السنة، فإذا لم يجدوا الحل، استعملوا الرأى بمعناه الواسع سواء كان جماعيًا أو فرديًا، وقد انبثق عن آرائهم الجماعية ما سمى بالإجماع، وهو مصدر طارئ لم يكن له وجود فى عصر الرسالة، وقد صنف هذا المصدر ثالث المصادر بعد الكتاب والسنة، وبما أنه لم يكن من الميسور دائمًا جمع الصحابة قصد التشاور والاتفاق على حكم معين لأسباب كثيرة، فقد لجأ الصحابة لاستعمال الرأى بصورة فردية فى الفتوى والقضاء، وقد اعتمدوا الكتاب والسنة فى آرائهم الفردية والجماعية، وعلى الفهم العميق لمقاصد الشريعة الهادفة إلى دفع المفاسد وجلب المصالح، واستوحوا الأحكام للحوادث التى لا نص فيها من روح النصوص ولم يقضوا مع ظواهرها، وقد استعملوا

---

(١) أعلام الموقعين (١/ ٦٢)
(٢) الاجتهاد فى الفقه الإسلامى.. ضوابطه ومستقبله، ص (١٥٣).
(٣) المصدر السابق نفسه، ص(١٥٣).

القياس منذ عهد الرسول ﷺ وهو المصدر الرابع من مصادر التشريع يأتى بعد الإجماع فى المرتبة وإن كان سابقًا عليه فى الوجود[1].

وهذه هى المصادر التى اعتمدها الخلفاء الراشدون والصحابة الكرام:

١- القرآن الكريم وهو العمدة والأساس، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه.

٢- السنة وتطلق على ما جاء منقولاً عن النبى ﷺ بطرق صحيحة.

٣- الإجماع ولابد أن يكون مستندًا إلى نص من كتاب أو سنة أو قياس.

٤- القياس.

وكان الخلفاء الراشدون والصحابة الكرام يشرعون أحكامًا لحوادث بناء على المصلحة الواجب مراعاتها أو دفع المفسدة، فكان اجتهادهم فيما لا نص فيه فسيحًا مجاله يتسع لحاجات الناس ومصالحهم[2].

ثانيًا: ميزات القضاء فى العهد الراشدى:

إن القضاء فى العهد الراشدى يمثل الدرجة الثانية بعد القضاء فى العهد النبوى الذى يمثل الجذور والأساس، وجاء القضاء فى العهد الراشدى يمثل البناء الكامل، والتنظيم الشامل من جهة، ويعطى الصورة البراقة للقضاء الإسلامى من جهة ثانية، ويعتبر أنموذجًا ومثلاً وقدوة وتحت محط الأنظار طوال العهود التالية، ويمكننا أن نشير باختصار وإيجاز إلى أهم ميزات القضاء فى العهد الراشدى، وهى:

١- كان القضاء فى العهد الراشدى امتدادًا لصورة القضاء فى العهد النبوى، بالالتزام به، والتأسى بمنهجه، وانتشار التربية الدينية، والارتباط بالإيمان والعقيدة، والاعتماد على الوازع الديني، والبساطة فى سير الدعوى، واختصار الإجراءات القضائية، وقلة الدعاوى والخصومات إذا قورنت باتساع الدولة، وتعدد الشعوب والأمصار، وحسن اختيار القضاة، وتوافر الشروط الكاملة فيهم.

٢- يعتبر القضاء فى العهد الراشدى صورة صحيحة وصادقة وسليمة للقضاء الإسلامى، ولذلك صار موئل الباحثين، ومحط الأنظار للفقهاء، وصارت الأحكام القضائية والتنظيم

(١) الاجتهاد فى الفقه الإسلامى. ضوابطه ومستقبله، ص (١٥٤).
(٢) المصدر نفسه، ص (١٥٩).

القضـائى فى العهد الراشـدى مصدراً للأحكام الشـرعية، والاجتـهادات القضـائية والآراء الفقهية فى مختلف العصور، وهذا بالاتفاق -ولو أدبيًا- عند جميع العلماء والمذاهب، مع وجود الاختـلاف فى التدقيق والجزئيات والتفـاصيل، ومن ذلك اختلاف الأئمة فى حـجية قول الصحابى وعدم حجيته، كما هو مقرر فى علم أصول الفقه، وعلم مصطلح الحديث، وتاريخ التشريع وسيأتى الحديث عن ذلك بإذن الله.

٣-مارس الخلفاء الراشدون، وبعض ولاة الأمصـار، النظر فى المنازعات وتولى القضاء بجانب الولاية، كما أولوا الاهتمام الكامل لتولى قضاء المظالم وقضاء الحسبة[١].

٤-عين الخلفاء الراشـدون فى أكثـر المدن والأقطار الإسلاميـة قضاة لـممارسة القـضاء خاصة، دون بقية السلطات، وظهر بشكل مبـدئى- ولأول مرة- فصل السلطة القضائية عن بقية السلطات، وأن الولاة لا سلطان لهم على القضاة فى المدن الـكبرى التى تم فيها تعيين القضاة بجانب الولاة، بينما يتولى الولاة فى بقيـة المدن والأمصار القضاء والولاية معًا وهم تحت بصر ومحاسبة الخليفة الراشد.

٥-كان القـضاة فى العهـد الراشدى مـجتهـدين، فينظرون فى نصـوص القرآن والسنة مباشرة، ويعملون فيها بما يؤدى إليه اجتهـادهم، فإن لم يجدوا فيها حكم الواقعة اجتهدوا رأيهم بعد الاستئناس بما قضى به أسلافهم، واسـتشارة العلماء المعاصرين لهم، ثم أصدروا الحكم الذى وصل إليه اجتهادهم.

٦-ظهرت مـصادر جـديدة للقضـاء فى العهـد الراشدى نتيـجة للمنهج الـسابق الذى التزموه، وصارت الأحكام القـضائية هى: القرآن، والسنة الشريفة، والإجـماع، والقياس، والسوابق القضائية، والرأى الاجتهادى، مع المشورة.

٧- تم التنظيم الإدارى الدقيق للقضاء فى العـهد الراشدى، وأرسل عمر وعلى- رضى الله عنهما- الرسـائل الخالدة والمشهورة إلى القـضاة والولاة، لتنظيم شئون القـضاء، وبيان الدسـتـور والمنهج، وتبع ذلك متابعـة الخلفاء للقضـاة، ومراقبـتهم، وتبادل الرأى مـعهم، والسؤال عن أخبارهم وأقضيتهم، وطلب مراجـعتهم فى القضايا المهمة والمعضلة والخطيرة، وكانت هذه الميزة فى أوجها فى عهد عمـر، رضى الله عنه، وخفت قليلاً فى عهد عثمان، وضـعفت فى عـهد على لاضطراب الأمـور، وكـثرة الفتن، ونشـوب الحروب الداخليـة، وظهور بذرة الاستقلال الذاتى فى الشام وما يتبعه، مع تعدد السلطة.

(١) تاريخ القضاء فى الإسلام ص (١٥٨).

٨- كانت اختصاصات القاضى فى الغالب عامة وشاملة لجميع الوقائع، وكانت صلاحية القاضى واسعة، وله الحرية الكاملة فى الإجراءات، ولكن ظهر فى هذا العهد نواة الاختصاص الموضوعى والنوعى للقضاة، وتم تعيين قضاة للنظر فى القضايا الصغيرة والبسيطة، كما تم تعيين قضاة للأحداث الجسيمة والوقائع الكبيرة، وبقى معظم الخلفاء - غالبًا- يتولون النظر فى الجنايات والحدود، وقام بهذا الشأن بعض الولاة أيضًا، كما ظهر فى هذا العهد تعدد القضاة فى وقت واحد فى المدن الكبرى والأقطار الواسعة كالمدينة المنورة، والكوفة، والبصرة، واليمن، كما ظهر قاض للعسكر لأول مرة.

٩- تأكد فى هذا العهد ماكان فى العهد النبوى من مراقبة الأحكام القضائية، وإقرار ما وافق القرآن والسنة، وما صدر عن الرأى والاجتهاد، لأن الاجتهاد لاينقض بمثله، وينقض ما خالف القرآن والسنة(١).

١٠- استحدثت فى العهد الراشدى رواتب القضاة بشكل منظم، مع التوسعة على القضاة، وأقيمت دار للقضاء، وأنشىء السجن للحبس، كما ظهر- ولأول مرة- امتناع كبار الصحابة عن القضاء، كابن عمر الذى طلبه عثمان فامتنع، وكعب بن يسار بن ضَنَّة الذى طلبه عمر لتولى القضاء بمصر فأبى أن يقبل، وقيل قبله أيامًا، ثم اعتزل(٢).

١١- كانت إجراءات التقاضى فى العهد الراشدى بسيطة وسهلة وقليلة، بدءًا من سماع الدعوى، إلى إقامة البينة والإثبات والحجج، إلى إصدار الحكم فيها، إلى التنفيذ، وكانت آداب القضاء مرعية فى حماية الضعيف، ونصرة المظلوم، والمساواة بين الخصوم، وإقامة الحق والشرع على جميع الناس، ولو كان الحكم على الخليفة أو الأمير أو الوالى، وكان القاضى فى الغالب يتولى تنفيذ الأحكام، إن لم ينفذها الأطراف طوعًا واختيارًا، وكان التنفيذ عقب صدور الحكم فورًا، ولكن ظهرت فى العهد الراشدى أمور تنظيمية جديدة، فوجد كاتب للقاضى فى عهد عمر، وظهرت الشرطة والأعوان لمساعدة القاضى والوالى فى عهد عثمان، وتطور التحقيق الجنائى فى عهد سيدنا على رضى الله عنه، وفرّق بين الشهود للوصول إلى الحق وكشف الواقع حتى صار مضرب المثل(٣).

ثالثًا: أشهر قضاة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه:

أقر أمير المؤمنين على بن أبى طالب بعض القضاة الذين ثبتت جدارتهم، وكانوا على القضاء قبله، وعين قضاة وولاة آخرين(٤)، منهم:

(١) تاريخ القضاء فى الإسلام، ص (١٥٩). (٢)، (٣) المصدر نفسه، ص (١٦٠).

(٤) تاريخ القضاء فى صدر الإسلام، جبر محمود ، ص (٢٣٩).

١- شريح بن الحارث الذى كان على قضاء الكوفة، وأقره عليٌّ عليها، وكان يرزقه كل شهر خمسمائة درهم[١].

٢- أبو موسى الأشعرى الذى ولاه عثمان القضاء بالكوفة، فأقره على، ثم عزله[٢].

٣- عبيد الله بن مسعود، الوالى والقاضى باليمن.

٤- عثمان بن حنيف على البصرة.

٥- قيس بن سعد على مصر، وكان شهد فتح مصر، واختط بها دارًا، ووليها لعلى ثم عزله بمحمد بن أبى بكر[٣].

٦- عمارة بن شهاب على الكوفة.

٧- قثم بن العباس على المدينة المنورة، سنة ٣٧ هـ على مكة والطائف [٤].

٨- جعدة بن هبيرة المخزومي، ثم خليد بن قرة اليربوعى على خراسان[٥].

٩- عبد الله بن عباس كان واليًا لعلى على البصرة، وكان أبو الأسود الدؤلى على قضائها، وفى قول ولى عبد الله بن عباس على القضاء فى البصرة عبد الرحمن بن يزيد الحُدّانى، وكان أخا المهلب بن أبى صفرة لأمه، وبقى قاضيًا عليهم أيام على بن أبى طالب، وطائفة من عمل معاوية حتى قدم زياد فعزله[٦]، وقال أبو عبيدة: كان ابن عباس يفتى الناس ويحكم بينهم[٧]، وإذا خرج ابن عباس عن البصرة استخلف أبا الأسود، فكان هو المفتى، والقاضى يومئذ يدعى المفتى، فلم يزل كذلك حتى قتل على سنة أربعين، ونقل عن أبى الأسود أقضية طريفة، ولما خرج أمير المؤمنين على من المدينة إلى البصرة ولى عليها عبد الله بن عباس[٨].

١٠- سعيد بن نمران الهمذانى الذى عينه على لما قدم الكوفة، ثم عزله، ثم استقضاه مصعب بن الزبير على الكوفة فقضى ثلاث سنوات، ثم عين ابن الزبير عبد الله بن عتبة بن مسعود[٩].

---

(١) أخبار القضاة (٢/ ٢٢٧).
(٢) تاريخ القضاء فى الإسلام، ص (١٤٩).
(٣) تاريخ الطبرى (٥/ ٥٨٩)
(٤) المصدر نفسه (٦/ ٧١).
(٥) تاريخ القضاء فى الإسلام، ص (١٥١).
(٦) أخبار القضاة (١/ ٢٨٨، ٢٨٩).
(٧) المصدر نفسه (١/ ٢٨٨).
(٨) تاريخ القضاء فى الإسلام، ص (١٥١).
(٩) أخبار القضاة (٢/ ٣٩٦، ٣٩٧).

١١- عبيدة السلمانى، محمد بن حمزة الذى عـينه علىٌّ على قضاء الكوفة بعد عزل سعيد الهمذانى، وقال له: اقضوا كما كنتم تقـضون، ثم عزله وعين شريحًا، وقال الشعبى: كان شريح أعلم الناس بالقـضاء، وكان عبيـدة يوازى شريحًا فى القضاء، وله أقـضية طريفة، وكان من علماء الكوفة المشهورين، وكان شريح يستشيره ويرجع إليه(١).

١٢- محـمد بن يزيد بن خليـدة الشيبـانى، عينه على قـاضيًا على الكـوفة، وله أقضـية فيها(٢).

وقد كان قضاة على فى الأمصار هم ولاته على البلدان المختلفة لأن ولايتهم كانت عامة تشمل الحكم والإدارة وإقامة الحدود والإمامة والقـضاء وجباية الصدقات وغيرها(٣)، وكان على رضى الله عنه يطلب من ولاته التحرى فى تعـيين القضاة، مما يدل على أنه خول لهم تعيين القضـاة فى البلدان التابعة لولاياتهم، مع أن الولاة- فى الغالب- هم قضـاة الأمصار التى يقيمون فيـها، إلا أنه ورد ذكر أسماء عدد من قضاة الأمصار فى عـهد على، كما مر معنا، ويبـدو أن ولاة الأمصار كان لهـم الحق فى النظر فى المظالم التى يرفعهـا الناس ضد أحكام القـضاء، وبالدرجة الأولـى التى حكم فيـها قضـاة ولوا من قبلهم وليس مـن قبل الخليفـة، كمـا كان لهم النظر فى المظالم الأخـرى من قبل قـضاة البلدان المعيـنين من قبل الخليفة بحكم عموم ولايتهم(٤)، إلا أنهم كانوا يرجعون إلى الخليفة فى مثل هذه القضايا، ومن المعروف أن الخلفاء كانوا يفتحون أبوابهم لمن يجأر بالشكوى سواء كانت الشكوى ضد الولاة أو ضد القضاة أو عمال الخراج أو غيرهم(٥).

رابعًـا: الأسلوب القـضائى عند أمـيـر المؤمنين على، ونظرته للأحكام الـصادرة قـبله، والمؤهلين للقضاء ومكانة ومجانية الحصول على الحكم:

١- إبقـاؤه على أسلوب القضـاء: يظهـر أن عليا بن أبى طالب رضى الله عنه كـان ينوى إدخال بعض التـعديلات فى أسلوب القضـاء وأصول المحاكمـات بما يتناسب مع التطورات الجديدة التى طرأت على المجـتمع، إلا أنه أرجأ ذلك إلى أن تسـتقر الأمور، فـقد أثر عنه رضى الله عنه قال: اقضوا كما تقضون حتى تكونوا جماعة، فإنى أخشى الاختلاف(٦).

(١) طبقات ابن سعد (٦/ ١٠)، أخبار القضاة (٢/ ٣٩٩، ٤٠١).
(٢) أخبار القضاة (١/ ٣٩٥).
(٣) قضاء أمير المؤمنين، عبد الله بن عثمان، ص (٢٩٠).
(٤) الأحكام السلطانية، ص (٧٧) للماوردى.
(٥) الولاية على البلدان (٢/ ٩٣).
(٦) مصنف عبد الرزاق (١١/ ٣٢٩).

٢- عدم نقضه الأحكام الصادرة قبله: وحرصًا على استقرار الأمور فإن أمير المؤمنين كان يرى بأنه لايحق للقاضى أن ينقض حكمًا أصدره قاض آخر، وقد كان هو- رضى الله عنه- كتب الكتاب بين أهل نجران وبين النبى ﷺ، فكثروا فى عهد عمر حتى خافهم على الناس، فوقع بينهم الاختلاف، فأتوا عمر، فسألوه البدل، فأبدلهم، ثم ندموا، ووضع عليهم شيئًا فأبوه، فاستقالوه، فأبى أن يقيلهم، فلما ولى على أتوه فقالوا: يا أمير المؤمنين شفاعتك بلسانك وخطك بيمينك، فقال على: ويحكم إن عمر كان رشيد الأمر[(١)]، ولن أرد قضاء قضى به عمر[(٢)]

٣- الأهلية للقضاء: القضاء من الولايات العامة، ولذلك يشترط فى القاضى ما يشترط فيمن تكون له ولاية عامة على المسلمين من العقل والبلوغ والإسلام، ويشترط فى القاضى أن يكون عفيفًا عما فى أيدى الناس، حليمًا لا تثيره الكلمة، ولا يغضبه التصرف النابى، عالمًا بأحكام الشريعة، وبناسخها ومنسوخها، فقد قال على بن أبى طالب لقاض: هل تعلم الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا ، قال: هلكت وأهلكت[(٣)]، وإنما سأله على عن الناسخ والمنسوخ لأن معرفته ليس بالأمر السهل فى ذلك العصر، ويشترط فيه أن يكون عالمًا بما قضى به القضاة السابقون، حتى لايخرج عن خطهم فى القضاء، حسمًا لفوضى الأحكام، وأن يكون متواضعًا لا يرى غضاضة في استشارة ذوى العلم والعقل الراجح، لأن هذه الشورى تبعده عن الخطأ فى الأحكام، وأن يكون جريئًا فى الحق لا يتأخر عن النطق بالحكم به، ولو أغضب ذوى السلطان، وقد جمع ذلك كله قول على رضى الله عنه: لاينبغى أن يكون القاضى قاضيًا حتى تكون فيه خمس خصال: عفيف، حليم، عالم بما كان قبله، يستشير ذوى الألباب، لايخاف فى الله لومة لائم[(٤)]

٤- مكان القضاء: على القاضى أن يختار مكان جلوسه بين المتخاصمين فى وسط المدينة بحيث لايشق على أحد الوصول إليه، ولذلك كان علىّ رضى الله عنه يأمر شريحًا- القاضى- بالجلوس فى المسجد الأعظم[(٥)]، ليسر الوصول إليه[(٦)]

---

(١) سنن البيهقى (١٠/ ١٢).
(٢) المغنى (٩/ ٥٧).
(٣) سنن البيهقى (١٠/ ١١٧).
(٤) المغنى (٩/ ٤٣).
(٥) مسند زيد (٤/ ١٣٧)، موسوعة فقه على بن أبى طالب، ص (٥٠٦).
(٦) موسوعة فقه على بن أبى طالب ، ص (٥٠٦).

٥- مجانية الحصول على الحكم: لما كانت إقامة العدل بين الناس من أهداف الدولة الإسلامية، فإن الفقه الإسلامي يقضي بألا يقام أي حائل بين صاحب الحق وبين الحصول على حقه، ولذلك فإن المتقاضيين لايدفعان للقاضي ولا للدولة شيئًا من المال للحصول على الحكم الذي يفصل الخلاف بينهما، بل الدولة الإسلامية هي التي تتكفل بنفقات الحاكم والمحكمة، وقد كان عليّ رضي الله عنه يعطي شريحًا على القضاء رزقًا، وقد رزقه حين ولاه القضاء في الكوفة كل شهر خمسمائة درهم[(١)].

٦- بذور المحاماة: في العهد الراشدي ظهرت بذور المحاماة، فكان علي رضي الله عنه يوكل أخاه عقيلاً في المخاصمة، ولما أسن عقيل، وكل عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عنه أمام القضاء، وكان يقول: ما قضي لوكيلي فلي، وما قضي على وكيلي فعلي[(٢)].

خامسًا: مايجب على القاضي:

لكي يحقق القاضي العدل في الأحكام لابد له من مراعاة ما يلي:

١- دراسة القضية المعروضة عليه دراسة واعية: ولايجوز له أن يتسرع في إصدار الحكم قبل الانتهاء من الدراسة، والاطمئنان إلى الحكم، ولذلك قال علي لشريح: لسانك عبدك ما لم تتكلم، فإذا تكلمت فأنت عبده، فانظر ما تقضي، وفيم تقضي؟ وكيف تقضي؟[(٣)].

٢- المساواة بين الخصوم: فقد نزل على عليٍّ ضيف، فكان عنده أيامًا، فأتى في خصومة، فقال له علي: أخصم أنت؟ قال: نعم، قال: فارتحل عنا، فإنا نهينا أن ننزل خصمًا إلا مع خصمه[(٤)].

٣- عدم الصياح بالمتخاصمين: ولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه أبا الأسود الدؤلي القضاء، ثم عزله، فقال: لم عزلتني وما خنت ولا جنيت؟ فقال: إنما رأيتك يعلو كلامك على الخصمين[(٥)].

٤- الابتعاد عن المؤثرات ومجاهدة النفس: سواء كانت هذه المؤثرات قرابة، أو مالاً، أو بغضًا أو.. فقد جاء جعدة بن هبيرة إلى علي بن أبي طالب فقال: يا أمير المؤمنين، يأتيك

---

(١) موسوعة فقه عمر، ص (٥٠٦).

(٢) أصول المحاكمات الشرعية، ص(٧٠)، تاريخ القضاء في الإسلام، ص (١٣٢).

(٣) كنز العمال (١٤٤٣٣). (٤) كنز العمال برقم ١٤٤٢٩، مصنف عبد الرزاق (٨/ ٣٠٠).

(٥) المغني (٩/ ١٠٤)

الرجلان أنت أحب إلى أحدهما من نفسه، والآخر لو يستطيع أن يذبحك لذبحك، فتقضى لهذا على هذا؟ قال: فلمزه على وقال: هذا شيء لو كان لى لفعلت، ولكن إنما ذلك شيء لله[1].

٥- الشورى: وعلى القاضى أن يستشير ذوى العلم، والرأى لئلا يفلت منه حق، وقد كان على رضى الله عنه أحد أعضاء الشورى الذين يحرص الخلفاء على استشارتهم عندما تعرض عليهم مشكلة، فقد روى الخصاف فى أدب القاضى أن عثمان بن عفان كان إذا جاءه الخصمان قال لهذا: ادع عليًا، وقال لهذا: ادع طلحة والزبير ونفرًا من أصحاب رسول الله ﷺ، فإذا جاءوا إليه قال لهما: تكلما، فإذا تكلما يقبل عليهم فيقول: ماذا تقولون؟ فإن قالوا ما يوافق قوله قضى عليهما ولا ينظرهما بعد[2].

****

(١) فقه على بن أبى طالب، قلعجى، ص (٥٠٨).

(٢) شرح أدب القاضى للخصاف (١/ ٣٠٥)، موسوعة على بن أبى طالب، ص(٥٠٨).

المبحث الثالث

من فقه أمير المؤمنين على بن أبى طالب

أولاً: فى العبادات:

لم يألُ أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه جهدًا فى بيان أحكام العبادات للناس، لما يتمتع به من غزارة فى العلم وفقه فى الدين، وما بينه للناس من أحكام العبادات يحتاج إلى سفر ضخم[1]، ولكن نشير إلى مجموعة من الأحكام فى هذا الكتاب على النحو التالى:

أحكام فى الطهارة:

١- **يغسل من بول الجارية وينضح من بول الغلام ما لم يطعم:** قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه: يغسل من بول الجارية، وينضح من بول الغلام ما لم يطعم[2]، والدليل على ذلك، لما بال الحسين بن على فى حجر النبى ﷺ قالت لبابة بنت الحارث: يارسول الله ، أعطنى ثوبك، والبس ثوبًا غيره، فقال ﷺ : إنما ينضح من بول الذكر، ويغسل من بول الأنثى[3].

٢- **نوم الجالس وحكمه فى نقض الوضوء:** أخرج عبد الرزاق فى مصنفه بسنده أن علياً، وابن مسعود، والشعبى قالوا فى الرجل ينام وهو جالس: ليس عليه الوضوء[4]، ودل على ذلك حديث رسول الله ﷺ : «وكاء السه العينان، فمن نام فليتوضأ»[5].

٣- **غسل المذى والوضوء منه:** قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه: كنت رجلاً مذاء فأمرت رجلاً[6] أن يسأل النبى ﷺ -لمكان ابنته- فسأله، فقال ﷺ : توضأ، واغسل ذكرك[7].

٤- **قراءة القرآن- من دون المصحف- على كل حال ما لم يكن جنبًا:** قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: كان رسول الله ﷺ يقرئنا القرآن على كل حال ما لم يكن جنبًا[8]، وعن عامر الشعبى قال: سمعت أبا الغريف الهمدانى يقول: شهدت على بن أبى طالب بال ثم قال: اقرءوا القرآن ما لم يكن أحدكم جنبًا، فإذا كان جنبًا فلا، ولا حرفًا واحدًا[9].

---

(١) انظر على سبيل المثال: موسوعة فقه على بن أبى طالب، محمد قلعجى، فقه الإمام على، أحمد طه.
(٢) صحيح سنن أبى داود للألبانى (١/ ٧٥) صحيح موقوف.
(٣) صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٨٥) حسن صحيح.
(٤) المصنف (١/ ١٣١).
(٥) صحيح سنن أبى داود للألبانى (١/ ٢٠٣).
(٦) الرجل هو المقداد كما فى رواية البخارى.
(٧) مسلم، ك الحيض (١/ ٢٤٧).
(٨) مسند أحمد (٢/ ٥١) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.
(٩) مصنف عبد الرزاق (١/ ٣٣٦).

٥- وطء الحائض: سأل عمر رضى الله عنه عليًا: ما ترى فى رجل وقع على امرأته وهى حائض؟ قال: ليس عليه كفارة إلا أنه يتوب[١]، وقد أجمعت الأمة على حرمة وطء الحائض دون خلاف[٢]، لقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾[البقرة: ٢٢٢].

٦- مباشرة الحائض: فقد سئل على - رضى الله عنه-: مالك من امرأتك إذا كانت حائضًا؟ قال: ما فوق الإزار[٣]، ودليله فى ذلك عن عائشة- رضى الله عنها- قالت: كانت إحدانا إذا كانت حائضًا أمرها رسول الله فتأتزر بإزار ثم يباشرها[٤].

أحكام فى الصلاة:

١- لا يقرأ القرآن راكعًا ولا ساجدًا: قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: نهانى رسول الله عن قراءة القرآن وأنا راكع، أو ساجد[٥].

٢- من لم يصلِّ فهو كافر: سُئل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه: يا أمير المؤمنين ما ترى فى امرأة لا تصلى؟ قال: من لم يصل فهو كافر[٦]، قال عبد الله بن شقيق: لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة، ولأنها عبادة يدخل بها فى الإسلام، فيخرج بتركها منه كالشهادة[٧]، ويؤيد هذا الحكم قول رسول الله ﷺ «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»[٨]. قال الإمام النووى: تارك الصلاة إن كان منكرًا لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين، خارج من ملة الإسلام، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام، ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه، وإن كان تركه تكاسلاً مع اعتقاد وجوبها- كما هو حال كثير من الناس- فقد اختلف العلماء فيه، فذهب مالك والشافعى (رحمهما الله) والجماهير من السلف والخلف إلى أنه لا يكفر بل يفسق، ويستتاب، فإن تاب وإلا قتلناه حدًا، كالزانى المحصن، ولكنه يقتل بالسيف، وذهب جماعة من السلف إلى أنه يكفر، وهو مروى عن على بن أبى طالب (رضى الله عنه)، وهو إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل (رحمه الله)، وبه قال عبد الله بن المبارك،

(١) مصنف ابن أبى شيبة (١/ ٥٩). (٢) بداية المجتهد (١/ ٥٧)، المجموع (٢/ ٣٥٩)

(٣) فقه الإمام على بن أبى طالب (١/ ١٥٥).

(٤) مسلم (١/ ١٦٦). (٥) مسلم (١/ ٣٤٩).

(٦) مصنف ابن أبى شيبة (١١/ ٤٧)، كنز العمال (٨/ ١٣).

(٧) المغنى (٢/ ٤٤). (٨) مسلم ك. الإيمان (١/ ٨٨).

وإسحاق بن راهويه، وهو وجه لبعض أصحاب الشافعى، وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة، والمزنى صاحب الشافعى أنه لا يكفر ولا يقتل، بل يعزر ويحبس حتى يصلى[1].

٣- إعادة الصلاة فى الوقت: إذا أعاد المصلى صلاته فى الوقت لفضيلة الجماعة فإن[2] الأولى فرضه والمعادة نافلة عند على، نقل ذلك عن ابن قدامة، وعن الحارث عن علىّ فى الذى يصلى وحده، ثم يصلى فى جماعة، قال: صلاته الأولى[3]، أى الثانية نافلة له، ودليله ما رواه أبو ذر حيث قال: قال لى رسول الله ﷺ: «كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يميتون الصلاة أو يؤخرون الصلاة عن وقتها، فإن أدركتها معهم فصلٍّ فإنها لك نافلة»[4]، وجه الدلالة أنه سمى التى يصليها جماعة نافلة[5]، وإذا أعاد المغرب شفعها بركعة عند علىّ، فعن الحارث عن على إذا أعاد المغرب شفع بركعة[6].

٤- قضاء الفوائت: من فاتته صلاة فيجب عليه قضاؤها، ويستحب أن يقضيها على الفور عند على، وقد قال على: إذا نام الرجل عن صلاة أو نسى فليصلٍّ إذا استيقظ أو ذكر[7]، وعلى هذا إجماع المسلمين دون خلاف[8]، والدليل على ذلك قول رسول الله ﷺ: «إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها، فإن الله يقول: أقم الصلاة لذكرى»[9].

٥- صلاة التراويح: عن أبى عبد الرحمن السلمى أن عليًا قام بهم فى رمضان[10]، وعن إسماعيل بن زياد قال: مر على المساجد وفيها القناديل فى شهر رمضان فقال: نوَّر الله على عمر قبره، كما نور علينا مساجدنا[11]، وعلى هذا إجماع مذاهب أهل السنة[12]، والحجة فى ذلك ما رواه أبو هريرة أن النبى ﷺ قال: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»[13]، وجه الدلالة أن التراويح من القيام فهو سنة[14]، والجماعة فى التراويح

(١) شرح صحيح مسلم (٢/ ٧٠)، المغنى (٢/ ٤٤٢-٤٤٧).
(٢) المغنى (٢/ ١١٣).
(٣) مصنف ابن أبى شيبة (٢/ ٢٧٦)، كنز العمال (٢٢٨٣٣).
(٤) مسلم، ك المساجد رقم (٢٤٠).
(٥) فقه الإمام على بن أبى طالب (١/ ١٧٧).
(٦) مصنف ابن أبى شيبة (٢/ ٢٧٦).
(٧) المصدر نفسه (٢/ ٦٤).
(٨) فقه الإمام على بن أبى طالب (١/ ١٨١).
(٩) مسلم ك المساجد ومواضع الصلاة (١/ ٤٧٧) رقم (٦٨٤).
(١٠) المغنى (٢/ ١٦٩)، مصنف ابن أبى شيبة (٢/ ٣٩٥).
(١١) المغنى (٢/ ١٦٩).
(١٢) بداية المجتهد (١/ ٢١٤)، المغنى (٢/ ١٦٥).
(١٣) مسلم رقم (٧٥٩).
(١٤) فقه الإمام على بن أبى طالب (١/ ٢٨٥)

أفضل عند على وكان هو يصليها جماعة[(١)]، ويجعل للرجال إمامًا وللنساء إمامًا، فعن عرفجة الثقفى قال: كان على بن أبى طالب يأمر الناس بقيام شهر رمضان ويجعل للرجال إمامًا وللنساء إمامًا، قال عرفجة: فكنت أنا إمام النساء[(٢)]، وصلاة التراويح لها دليل فى أصلها من هدى النبى ﷺ: فعن عروة بن الزبير أن عائشة- رضى الله عنها- أخبرته أن رسول الله ﷺ خرج ذات ليلة من جوف الليل، فصلى فى المسجد، وصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس يتحدثون، فاجتمع أكثر منهم، فصلوا معه، فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله فصلى الناس بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح، فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال: «أما بعد فإنه لم يخف علىَّ مكانكم، ولكنى خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها»، فتوفى رسول الله والأمر على ذلك[(٣)].

٦- صلاة العيد فى المسجد بالشيوخ والضعفاء: لما تولى أمير المؤمنين على بن أبى طالب الخلافة وصار بالكوفة، وكان الخلق بها كثيرين، قالوا: يا أمير المؤمنين، إن بالمدينة شيوخًا وضعفاء يشق عليهم الخروج إلى الصحراء، فاستخلف على بن أبى طالب رجلاً يصلى بالناس العيد فى المسجد، وهو يصلى بالناس خارج الصحراء، ولم يكن هذا يُفعل قبل ذلك، وعلى من الخلفاء الراشدين، وقد قال النبى ﷺ: «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى»[(٤)]، فمن تمسك بسنة الخلفاء الراشدين فقد أطاع الله ورسوله [(٥)].

٧- تغسيل الرجل زوجته: يجوز للرجل أن يغسل زوجته عند على إذ إنه غسل زوجته فاطمة رضى الله عنهما[(٦)]، وعن أسماء بنت عميس قالت: أوصت فاطمة إذا ماتت ألا يغسلها إلا أنا وعلى، قالت: فغسلتها أنا وعلى[(٧)]، وحكى إجماع الصحابة على ذلك لأن ذلك اشتهر فيهم ولم ينكروه[(٨)]، وبه قال جمهور العلماء والحجة لهم لقول رسول الله ﷺ لعائشة: «ما ضرك لو مت قبلى فغسلتك وكفنتك ثم صليت عليك ودفنتك» [(٩)].

٨- الكفن من مال الميت: يحسب تكاليف تكفين الميت من رأس ماله إن كان له مال عند على[(١٠)]، فعن عبد الله بن ضميرة عن أبيه عن جده عن على رضى الله عنه أنه قال:

---

(١) المغنى (٢/ ١٦٨).
(٢) المجموع (٤/ ٣٤)، مصنف ابن أبى شيبة (٢/ ٢٢٢).
(٣) البخارى رقم (٢٠١٢).
(٤) سنن الترمذى فى العلم (٢٢٧٦) حسن صحيح.
(٥) الفتاوى (٢٤/ ١١٣).
(٦) السيل الجرار (١/ ٣٤٤)، المبسوط (٢/ ٧١).
(٧) مصنف عبد الرزاق (٣/ ٤١٠)، المحلى (٥/ ١٧٥).
(٨) المغنى (٢/ ٢٥٢)، نيل الأوطار (٤/ ٥٨).
(٩) سنن ابن ماجه رقم (١٤٦٤) إسناده صحيح.
(١٠) فقه الإمام على بن أبى طالب (١/ ٣٠٥).

الكفن من رأس المال[1]، والحجة فى ذلك أن مصعب بن عمير قتل يوم أحد ولم يوجد له شيء يكفن فيه إلا نمرة، فكنا إذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه وإذا وضعناها على رجليه خرج رأسه، فقال رسول الله ﷺ: «ضعوها مما يلى رأسه واجعلوا على رجليه الأذخر»[2]، وجه الدلالة، أنه لو كان واجبًا على المسلمين لأخذ له من المسلمين الحاضرين ما يتم به كفنه[3].

٩- كفن الرجل والمرأة وعدم المغالاة فيه: يسن أن يكفن الرجل فى ثلاثة أثواب، والمرأة فى خمسة أثواب عند على، نقل ذلك عنه الكاسانى وغيره[4]، ويكره المغالاة فى الكفن وهو الزيادة على الثلاثة للرجل والخمسة للمرأة عند على[5]، فقد قال أمير المؤمنين على: كفن المرأة خمسة أثواب وكفن الرجل ثلاثة، ولا تعتدوا إن الله لايحب المعتدين[6].

١٠- غسل الشهيد وكفنه: لايغسل الشهيد ولايكفن عند على، فقد نقل ذلك عنه الكاسانى وغيره[7]، وروى عنه أنه لم يغسل من قتل معه فى قتال مع مخالفيه ولم يأمر بتكفينهم، بل دفن عمارًا ولم يغسله[8]، وهذا قول جمهور أهل العلم إلا الحسن البصرى وسعيد بن المسيب لقولهما أن الميت يجنب[9].

أحكام متعلقة بالزكاة:

١- لا زكاة فى مال حتى يحول عليه الحول: بيَّن أمير المؤمنين على أن حولان الحول شرط فى وجوب الزكاة، لما ورد عنه رضى الله عنه قال: ليس فى مال زكاة حتى يحول عليه الحول[10]، والحول شرط لوجوب الزكاة فى النقود والمواشى، وأموال التجارة، وليس بشرط فى الزرع، وذلك إجماع لا خلاف فيه[11].

٢- نصاب الذهب والفضة ومقدار الزكاة فيهما: بيَّن أمير المومنين على بن أبى طالب رضى الله عنه أن نصاب الذهب عشرون مثقالاً، وليس فيما دونه زكاة، وما زاد فيحسبه، حيث يقول: ليس فيما دون عشرين دينارًا شيء، وفى عشرين نصف دينار، وفى أربعين

(١) الطبرانى الأوسط (٤/ ٦٧) إسناده ضعيف.
(٢) مسلم (٢/ ٦٤٩) رقم ٩٤٠.
(٣) فقه الإمام على بن أبى طالب (١/ ٣٠٦)
(٤) البدائع (٢/ ٧٧٦)، المبسوط (٢/ ٧٢).
(٥) فقه الإمام على بن أبى طالب (١/ ٣٠٧).
(٦) البدائع (٢/ ٧٦٦)، المبسوط (٢/ ٧٢).
(٧) البدائع (٢/ ٢٨٧)، فقه الإمام على بن أبى طالب (١/ ٣٠٦).
(٨) المغنى (٢/ ٥٣٤)، فقه الإمام على (١/ ٣٠٦).
(٩) البدائع (٢/ ٨٠٦)، المغنى (٢/ ٥٢٩).
(١٠) مسند أحمد (٢/ ٢١١) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.
(١١) موسوعة فقه الإمام على، قلعجى، ص (٢٩٥).

دينار، فما زاد بالحساب[1]، وقال عن نصاب الفضة: ليس في أقل من مائتي درهم زكاة[2]، وقال: فإذا بلغ مائتي درهم ففيه خمسة دراهم، وأن نقص من المائتين فليس فيه شيء، وإن زاد على المائتين فبحساب[3].

٣- نصاب الإبل ومقدار الزكاة فيها: قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: في خمس من الإبل شاة إلى تسع، فإن زادت واحدة ففيها شاتان إلى أربع عشرة، فإن زادت واحدة ففيها ثلاث شياه إلى تسع عشرة، فإن زادت واحدة ففيها أربع شياه إلى أربع وعشرين، فإن زادت واحدة ففيها خمس شياه[4]، فإن زادت واحدة ففيها بنت مخاض أو لبون (ذكر أكبر منها بعام) إلى خمس وثلاثين، فإن زادت واحدة ففيها بنت لبون إلى خمس وأربعين، فإن زادت واحدة ففيها حقة «طرقة الفحل» إلى ستين، فإن زادت واحدة ففيها بنتا لبون إلى تسعين، فإذا كثرت الإبل ففي كل خمسين من الإبل حقة، ولا يجمع بين مفترق ولا يفرق بين مجتمع[5].

٤- الأصناف التي تجب فيها الزكاة من الزروع: الأصناف التي تجب فيها الزكاة عند علي هي الحنطة والشعير والتمر والزبيب، نقل ذلك عنه ابن حزم وغيره[6]، وقد قال علي: الصدقة عن أربع: من البر فإن لم يكن بر فتمر، فإن لم يكن تمر فزبيب، فإن لم يكن زبيب فشعير[7].

٥- عدم الزكاة في الخضراوات والفواكه والعسل: قال أمير المؤمنين علي: ليس في الخضر صدقة[8]، وفي رواية: ليس في الخضر والبقول صدقة[9]، وهو قول جمهور العلماء[10]، ولا زكاة في الفواكه عند علي، فعن أبي إسحاق عن علي قال: ليس في التفاح وما أشبه صدقة[11]، وعن عاصم بن ضمرة عن علي قال: ليس في الخضر صدقة؛ البقل والتفاح والقثاء[12]، وهو قول كل من قال باقتصار وجوب الزكاة على الأصناف الأربعة، والحجة

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ١١٩).
(٢) المصدر نفسه (٣/ ١١٧).
(٣) المحلى (٦/ ٦١، ٥٩)، المجموع (٦/ ١٦).
(٤) عند ابن قدامة في المغني (٢/ ٥٧٩) من ٢٠ إلى ٣٥ فيها بنت مخاض.
(٥) مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ١٢٢).
(٦) المحلى (٥/ ٢١٢)، فقه الإمام علي (١/ ٣٤٦).
(٧) مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٤٣٨).
(٨) مصنف عبد الرزاق (٧١٨٨)، جمع الجوامع (٢/ ١٥٧).
(٩) سنن البيهقي نقلاً عن فقه الإمام علي (١/ ٣٤٧).
(١٠) فقه الإمام علي (١/ ٣٤٧).
(١١) جمع الجوامع (٢/ ٩٥)، فقه الإمام علي (١/ ٣٤٨).
(١٢) مصنف عبد الرزاق (٧١٩٩)، فقه الإمام علي (١/ ٣٤٨).

لهم لدخولها تحت حكم الخضراوات لاشتراكها معها فى عدم البقاء والادخار[1]، وأما زكاة العسل فهى غير واجبة عند على حيث قال: ليس فى العسل زكاة[2].

٦- صرف الزكاة لصنف واحد: يجوز إعطاء الزكاة لصنف واحد من الأصناف الثمانية، أو لشخص واحد بها عند على، فقد قال: لا بأس أن يبعث الرجل الصدقة فى صنف واحد[3]، وروى عنه أنه أتى بصدقة فبعثها إلى أهل بيت واحد[4].

٧- إعطاء الزكاة للأصول والفروع: قال أمير المؤمنين على: ليس لولد ولا لوالد حق فى صدقة مفروضة، ومن كان له ولد أو والد فلم يصله فهو عاق[5]، وحكى إجماع العلماء على هذا، وحمل من خالفه على صدقة التطوع، والحجة لهم لأن منفعتها تعود على دافع الزكاة لأنها تغنيهم عن النفقة فلا يدفعها إليهم، وقد يتخذ ذلك حيلة للتخلص من دفع الزكاة، ثم إن الزكاة والنفقة واجبان مستقلان لايحل أحدهما مكان الآخر كالصلاة والصوم، وإن الزكاة حق لله تعالى فهى عبادة، وأما النفقة فهى حق العباد، وهى صلة القرابة[6].

أحكام متعلقة بالصيام:

١- ثبوت صيام رمضان برؤية الواحد العدل: يثبت دخول شهر رمضان عند أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه بخبر الواحد العدل، ويلزم الناس بصيامه، فعن فاطمة بنت الحسين أن رجلاً شهد عند على بن أبى طالب رضى الله عنه على رؤية هلال رمضان فصام، وأحسبه قال: وأمر الناس بالصيام[7]، وهذا الحكم مبنى على ما ثبت عن رسول الله ﷺ «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غُمِّىَ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يومًا»[8]، قال النووى: المراد رؤية بعض المسلمين، ولا يشترط رؤية كل إنسان، بل يكفى جميع الناس رؤية عدلين، وكذا عدل على الأصح، وأما الفطر فلايجوز بشهادة عدل واحد على هلال شوال عند جميع العلماء إلا ثور فجوزه بعدل[9].

(١) فقه الإمام على بن أبى طالب (١/ ٣٤٥).
(٢) جمع الجوامع (٢/ ١٥٧)، فقه الإمام على (١/ ٣٤٥).
(٣) فقه الإمام على (١/ ٣٥٢) نقلاً عن سنن البيهقى.
(٤) البدائع (٢/ ١٠٤) فقه الإمام على (١/ ٣٥٢).
(٥) سنن البيهقى نقلاً عن فقه الإمام على (١/ ٣٥٥).
(٦) فقه الإمام على بن أبى طالب (١/ ٣٣٥).
(٧) المجموع (٦/ ٣١٥)، المغنى (٣/ ٩٠)، موسوعة فقه الإمام على، ص (٤٢).
(٨) مسلم (٢/ ٧٥٩). (٩) شرح صحيح مسلم (٧/ ١٩٠).

٢- صيام الجنب: يجوز أن يصوم الجنب أى يؤخر الغسل حتى يصبح، ثم يغتسل ويتم صومه عند على، نقل ذلك عنه ابن قدامة وعن الحارث عن على قال: إذا أصبح الرجل وهو جنب فأراد أن يصوم فليصم إن شاء[١]، والدليل على ذلك ما ورد عن عائشة وأم سلمة: أن رسول الله ﷺ كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم[٢].

٣- الإفطار للشيخ الكبير: قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه فى تفسيره قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤] قال: الشيخ الكبير الذى لا يستطيع الصوم يفطر ويطعم مكان كل يوم مسكينًا[٣].

٤- مكان الاعتكاف: عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على قال: لا اعتكاف إلا فى مسجد جماعة[٤]، وفى لفظ: لا اعتكاف إلا فى مصر جامع[٥]، ولعله قصد بذلك أن الاعتكاف لايقام إلا فى مسجد المصر الجامع الذى تقام فيه الجمعة[٦].

٥- مايجوز للمعتكف: قال على: إذا اعتكف الرجل فليشهد الجمعة وليعد المريض وليشهد الجنازة وليأتى أهله وليأمرهم بالحاجة وهو قائم[٧].

من أحكام الحج:

١- تقبيل المحرم امرأته: قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب: من قبل امرأته وهو محرم فليهرق دمًا[٨].

٢- قتل المحرم للحيوان الصائل: عن مجاهد عن على فى الضبع إذا عدا على المحرم فليقتله، فإن قتله قبل أن يعدو عليه فعليه شاة[٩]، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة:١٧٣]، لأنه إن لم يقتله قتله فيتحقق منه الاضطرار، ثم إنه انقلب بذلك حيوانًا شريرًا فليلحق بالمؤذيات التى يجوز قتلها[١٠].

٣- قتل الغراب: يجوز للمحرم قتل الغراب عند على، فقد قال: يقتل المحرم الغراب[١١]، ودليل ذلك قول رسول الله ﷺ: خمس فواسق يقتلن فى الحرم: الفأرة، والعقرب، والغراب، والحديا والكلب العقور[١٢].

(١) مصنف ابن أبى شيبة (٢/ ٨١)، المغنى (١/ ١٣٧).
(٢) البخارى (٢/ ٢٣٢).
(٣) تفسير الطبرى (٢/ ٨١).
(٤) مصنف عبد الرزاق (٩ ٨٠٠).
(٥) مصنف ابن أبى شيبة (٣/ ٩١).
(٦) فقه الإمام على بن أبى طالب (١/ ٣٨٦).
(٧) مصنف ابن أبى شيبة (٣/ ٨٧)، جمع الجوامع (٢/ ١٤٠).
(٨) فتح العزيز، شرح الوجيز للرافعى الهامش المجموع (٧/ ٤٨٠)
(٩) مصنف ابن أبى شيبة (٤/ ٦).
(١٠) فقه الإمام على بن أبى طالب (١/ ٤٠٣).
(١١) مصنف ابن أبى شيبة (٤/ ٩٤).
(١٢) سنن الترمذى (١/ ١٦٦) حسن صحيح.

٤- الشك فى الطواف: قال أمير المومنين: إذا طفت فى البيت فلم تدر أتممت أو لم تتم، فأتِ ما شككت فإن الله لايعذب على الزيادة[١].

٥- النسيان فى الطواف: إذا نسى الرجل فطاف أشواطًا زائدة على المسنون يضيف إليها ما يبلغه مجموع أشواط طوافين عند علىّ، قال علىّ فى الرجل ينسى فيطوف ثمانية فليزد عليها ستة حتى تكون أربعة عشر ويصلى أربع ركعات[٢].

٦- النيابة للحج: من استطاع بماله الحج ولم يستطع ببدنه لشيخوخة أو مرض يجب عليه أن ينيب عنه غيره عند على، نقل ذلك عنه ابن حزم وغيره[٣]، فقد قال فى الشيخ الكبير، أنه يجهز رجلاً بنفقته فيحج عنه[٤]، ودليل ذلك ما روى ابن عباس أن امرأة من خثعم قالت: يارسول الله ﷺ إن أبى شيخ كبير عليه فريضة الله فى الحج وهو لايستطيع أن يستوى على ظهر بعيره، فقال النبى ﷺ: «فحجى عنه»[٥]، وهذا يدل على أن الاستطاعة بالمال كافية لوجوب الحج على المكلف عند على ومن معه، أما الاستطاعة بالبدن فيكفى أن يستطيع بغيره إذا وجد سواه أكان بمؤنة أو إجارة أو غيرهما[٦].

٧- الشك فى عدد الرميات: إذا شك الحاج فى عدد رمى الجمرات يعيد ما شك فيه عند على، فعن أبى مجلز أن رجلاً سأل ابن عمر فقال: إنى رميت الجمرة ولم أدر رميت ستًا أو سبعًا، قال: أنت وذاك الرجل يريد عليًا، فذهب فسأله فقال: أما أنا لو فعلت فى صلاتى لأعدت الصلاة، فجاء فأخبره بذلك، فقال: صدق، أو أحسن، قال الشيخ: وكأنه أراد والله أعلم لأعدت المشكوك فى فعله، كذلك فى الرمى يعيد المشكوك فى رميه[٧].

بعض الأحكام ألحقت بالعبادات:

١- إدراك الميتة قبل موتها: إذا أُدرك الحيوان الآيل إلى الموت قبل موته بوقت قصير فذبح جاز أكله، وعلامة حياته قبل ذبحه أن يتحرك منه عضو بعد ذبحه عند على[٨]، فقد قال: إذا وجدت الموقوذة، والمتردية والنطيحة وما أصاب السبع فوجدت تحريك يد أو رجل فذكها وكُلْ[٩]، ودليل ذلك قول الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ

---

(١) مصنف ابن أبى شيبة (٤/ ٩٦).
(٢) مصنف عبد الرزاق رقم ٩٨١٤.
(٣) المحلى (٧/ ٦١)، المغنى (٣٠/ ٢٢٨).
(٤) المحلى (٧/ ٦١).
(٥) مسلم (٢/ ٩٧٤) رقم (١٣٣٥).
(٦) فقه الإمام على بن أبى طالب (١/ ٤٢٠).
(٧) سنن البيهقى (٥/ ١٤٩) نقلاً عن فقه الإمام على (١/ ٤١٨).
(٨) فقه الإمام على بن أبى طالب (١/ ٤٥٦).
(٩) المحلى (٧/ ٤٥٨).

اللَّه بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة: ٣] ووجه الدلالة: أن قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ استثناء مما سبقه، أى إلا ما أدركتم ذكاته فيحل أكله[١].

٢- ذبائح نصارى العرب: لايحل أكل ذبائح نصارى العرب استثناء من عموم النصارى عند على، نقل ذلك عنه الطبرى وغيره[٢]، وعن عبيدة السلمانى قال: لاتؤكل ذبائح نصارى العرب فإنهم لايتمسكون من النصرانية إلا بشرب الخمر[٣]، وفى رواية: لا تأكلوا ذبائح نصارى بنى تغلب فإنهم لم يتمسكوا بشىء من النصرانية إلا بشرب الخمر[٤]، وقد استدل على ذلك بعدم التزامهم بتعاليم النصرانية فى تحليل ما حللوا وتحريم ما حرموا فلا يعدون منهم، ولكن الله تعالى حين أحل ذبحائهم أحلها فى وقت كان النصارى منحرفين عن أصل تعاليم النصرانية سواء عن عقيدتها، أو فى أحكامها، فلم يمنع ذلك من تحليل ذبائحهم، فهذا ما عليه جمهور الصحابة والفقهاء[٥].

٣- ذبيحة الفخر: يحرم أكل ما ذبح فخرًا عند علىّ رضى الله عنه، فعن الجارود بن أبى سبرة قال: كان رجل من بنى رياح يقال له ابن وشيل- وهو سحيم- قال: وكان شاعرًا نافرًا غالبه أبو فرزدق الشاعر بماء بظهر الكوفة على أن يعقر هذا مائة من إبله وهذا مائة من إبله إذا وردت، فلما وردت الإبل الماء قاما إليها بالسيوف فجعلا يكسعان عراقيبهما، فخرج الناس على الحمرات[٦] يريدون اللحم، وعلىّ بالكوفة، فخرج على بغلة رسول الله ﷺ، وهو ينادى أيها الناس: لا تأكلوا من لحومها فإنه أهل بها لغير الله. قال ابن حزم: إن رسول الله قال: «لعن الله من ذبح لغير الله»[٧]، وجه الدلالة أن الذبح لأجل الفخر مما أهل به لغير الله، فيشمله الحديث[٨].

٤- نجاسة البيضة داخل الدجاجة الميتة: البيضة فى بطن الدجاجة الميتة نجسة عند علىّ لايجوز أكلها سواء أصلبت قشرتها أم لا، نقل ذلك عنه ابن قدامة[٩].

(١) فقه الإمام على بن أبى طالب (١/ ٤٥٦). (٢) تفسير الطبرى (٦/ ٥٦)، تفسير القرطبى (٦/ ٧٨).
(٣) مصنف عبد الرزاق (١٠٠٣٥)، تفسير الطبرى (٦/ ٦٥).
(٤) مصنف عبد الرزاق(١٠٠٣٤)، كنز العمال (١٥٦٥١).
(٥) تفسير الطبرى (٥/ ٦٥)، بداية المجتهد (١/ ٤٦٥). (٦) فقه الإمام على (١/ ٤٦٧).
(٧) مسلم، ك الأضاحى، باب تحريم الذبح لغير الله (٣/ ١٥٦٧).
(٨) فقه الإمام على بن أبى طالب (١/ ٤٦٨). (٩) المغنى (١/ ٧٥)، المجموع (١/ ٢٤٥)

٥- طعام المشركين والمجوس غير الذبائح: لا بأس بأكل طعام المجوس والمشركين إذا لم يكن فيها من ذبائحهم، لأن التحريم خاص بالذبائح، فقد قال أمير المومنين على: لا بأس بطعام المجوس إنما نهى عن ذبائحهم[١]، وفى رواية: لا بأس بأكل خبز المجوس إنما نهى عن ذبائحهم[٢]، وهو قول جمهور الفقهاء[٣]..

٦- ترك الشيب أبيض: يجوز ترك الشيب أبيض دون تغييره بحناء أو غيره عند على، نقل ذلك عنه ابن حجر وغيره[٤]، وعن الشعبى قال: رأيت عليًا أبيض الرأس واللحية قد ملأت ما بين منكبيه[٥] وعن أبى إسحاق: رأيت عليًا أصلع أبيض الرأس واللحية[٦]، وعن ابن الحنفية أن عليًا اختضب الحناء مرة ثم ترك[٧].

٧- اللعب بالنرد والشطرنج: لعب النرد حرام عند أمير المؤمنين علىٍّ حيث قال: لأن أقلب جمرتين أحب إلىَّ من أن أقلب كعبين[٨]. وكان لا يسلم على أصحاب النردشير[٩]، ودليل تحريمه قول رسول الله ﷺ: «من لعب النردشير فكأنه صبغ يده فى لحم الخنزير ودمه»[١٠]. والشطرنج محرم عند على أيضًا نقله عنه ابن قدامة[١١]، وكان يقول فى الشطرنج: هو ميسر الأعاجم[١٢]، وفى رواية هو من الميسر[١٣]، وعن ميسرة بن حبيب قال: مر على بن أبى طالب على قوم يلعبون بالشطرنج فقال: ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون، لأن يمس جمرًا حتى يطفأ خير له من أن يمسها[١٤]، وعن عمار بن أبى عمار قال: مر على بمجلس من مجالس تيم الله وهم يلعبون بالشطرنج فوقف عليهم فقال: أما والله لغير هذا خلقتم، أما والله لولا أن تكون سنة لضربت بها وجوهكم[١٥]،والحجة فى هذا التحريم بين المتلاعبين هو علة الميسر المحرم بنص الكتاب فيقاس عليه[١٦].

(١) كنز العمال (٢٥٧٦)، فقه الإمام على بن أبى طالب (١/ ٤٧٦).
(٢) المغنى (٤/ ٢٩٦).
(٣) فقه الإمام على (١/ ٤٧٧).
(٤) المتقى (٧/ ٢٧٠) ، فقه الإمام على (١/ ٤٩٥).
(٥) فقه الإمام على (١/ ٤٩٥).
(٦)، (٧) مصنف ابن أبى شيبة (٩/ ٤٢٧).
(٨) المصدر نفسه (٨/ ٧٣٨).
(٩) إعلاء السنن للتهانوى (١٧/ ٤٦٤).
(١٠) مسلم (٤/ ١٧٧٠) رقم (٢٢٦٠).
(١١) المغنى (١٠/ ٢١٢).
(١٢)، (١٣) إعلان السنن للتهانوى (١٧/ ٤٦٤)، فقه الإمام على (١/ ٥٠١).
(١٤) المغنى (٩/ ١٧).
(١٥) سنن البيهقى نقلاً عن فقه الإمام على (١/ ٥٠٢).
(١٦) فقه الإمام على (١/ ٥٠٢).

٨- نكاح المتعة: قال أمير المؤمنين عليّ رضى الله عنه: نسخ رمضان كل صوم ونسخ المتعةَ الطلاقُ والعدةُ والميراثُ[١]، وحجة على ما رواه عن النبى ﷺ بأنه نهى عن المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر[٢].

٩- النكاح بدون ولى: عن أبى قيس الأودى أن عليًا كان يقول: إذا تزوج بغير إذن ولى ثم دخل بها لم يفرق بينهما وإن لم يصبها فُرق بينهما[٣].

١٠- العيوب الجسدية فى المرأة: إذا وجد الرجل فيمن تزوجها عيبًا يصعب المقام معه، قال أمير المؤمنين على: إنه إذا دخل بها وجب المهر وخُير بين الطلاق والإمساك، وإن لم يدخل بها فُرق بينهما بدون مهر[٤].

١١- نكاح الخصى: قال أمير المؤمنين على: لايحل للخصى أن يتزوج، فإن تزوج ولم تعلم المرأة، فُرق بينهما عند على، فقد قال: لايحل للخصى أن يتزوج امرأة مسلمة عفيفة[٥]، ودليل ذلك أن الخصاء من العيوب المنفرة التى يصعب معه الجماع أو ينعدم، فقيس على غيره من العيوب التى جاز بها التفريق[٦].

١٢- من تزوج أختين جهلاً بأنهما أختان: من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى فظهر أنهما أختان يفارق التى تأخر زواجها عند على، فعن ابن جريج قال: أُخبرت عن على أنه قال فى رجل تزوج امرأة فأصابها ثم انطلق إلى أرض أخرى فتزوج امرأة فأصابها، فإذا هى أختها فقضى أنه يفارق الآخرة ويراجع الأولى، غير أنه لايراجع الأولى حتى تقضى هذه عدتها[٧]، وهو قول جمهور فقهاء المذاهب[٨]، والحجة لهم: أن نكاح الأول وقع صحيحًا دون الثانية، فإنه باطل لاينعقد[٩].

١٣- تحريم وطء الزوجة فى دبرها: وطء الزوجة فى دبرها حرام عند علىّ، نقل ذلك عنه ابن قدامة[١٠]، فعن أبى المعتمر قال: نادى علىّ على المنبر فقال: سلونى، فقال رجل: أتؤتى النساء فى أدبارهن؟ فقال: سفلت سفل الله بك، ألم تر أن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّكُمْ

(١) فقه الإمام على (٢/ ٥٠٩).
(٢) مسلم، ك النكاح (٢/ ١٠٢٧) رقم (١٤٠٧).
(٣) مصنف عبد الرزاق (٦/ ١٩٦).
(٤) كنز العمال (٤٥٦٦٤)، مصنف عبد الرزاق (١٠٦٧٧)، فقه الإمام على (٢/ ٥٣٥).
(٥) مصنف عبد الرزاق (١٠٧١٩).
(٦) فقه الإمام على بن أبى طالب (٢/ ٥٣٦).
(٧) مصنف عبد الرزاق (١٠٥١٧).
(٨) المدونة (٢/ ٢٨٠)، المغنى (٦/ ٢٥٨١).
(٩) فقه الإمام على بن أبى طالب (٢/ ٥٦٢).
(١٠) المغنى (٧/ ٢٢).

﴿لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾[العنكبوت:٢٨]، وروى ذلك عن عبد الله ابن عباس وعبد الله بن عمرو وأبى هريرة، وبه قال سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن ومجاهد وعكرمة وهو قول أبى حنيفة والشافعى وأحمد والمالكية والظاهرية[١]،ودليل التحريم، قول رسول الله ﷺ: «ملعون من أتى امرأته فى دبرها»[٢]، وجه الدلالة: أن النهى عن الشيء وترتيب اللعن عليه يدل على التحريم[٣].

١٤- عدة الحامل المتوفى عنها زوجها: إذا كانت المرأة حاملاً وتوفى زوجها فوضعت قبل أن تنقضى عدتها فعند علىٍّ أنها تعتد أبعد الأجلين، أى عدة الحمل، إذا لم تضع قبل عدة المتوفى عنها زوجها، فإن وضعت قبل ذلك تعتد أربعة أشهر وعشرًا، نقل ذلك عن ابن رشد وغيره[٤]، وعن عبد الرحمن بن معقل قال: شهدت عليًا سأله رجل عن امرأة توفى عنها زوجها وهى حامل قال: تتربص أبعد الأجلين[٥]، وعن الشعبى كان يقول: أجل كل حامل آخر الأجلين[٦]، وقد جمع أمير المؤمنين على رضى الله عنه بين قول الله تعالى: ﴿وأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق:٤]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة:٢٣٤] ، إذ بينهما عموم وخصوص فلا يترجح العمل بأحدهما دون الآخر، فيعمل بالاثنين للخروج من الظن إلى اليقين والتخلص من التعارض[٧].

والراجح أن عدتها وضع الحمل فى كلتا الحالتين، فقد صح عن عبد الله بن عتبة أن سبيعة بنت الحارث أخبرته أنها كانت تحت سعد بن خولة، وكان ممن شهد بدرًا، فتوفى عنها فى حجة الوداع وهى حامل، فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته، فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك، فقال لها: مالى أراك متجملة؟ لعلك ترجين النكاح؟ إنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر. قالت سبيعة: فلما قال لى ذلك جمعت علىّ ثيابى حين أمسيت فأتيت رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك فأفتانى بأنى قد حللت حين وضعت حملى وأمرنى بالتزوج إن بدا لى[٨]،

(١) المغنى (٧/ ٢٢)، المحلى (٧/ ٦٩)، تفسير القرطبى (٣/ ٩٣).
(٢) سنن أبى داود (٢/ ٢٥٦)، الجامع الصغير (٢/ ٥٣٩).
(٣) فقه الإمام على بن أبى طالب (٢/ ٥٦٨).
(٤) بداية المجتهد (٢/ ٩٥)، نيل الأوطار (٨/ ٧٧).
(٥) مصنف ابن أبى شيبة (٤/ ٣٠٠)
(٦) المصدر نفسه (٤/ ٢٩٨).
(٧) سبل السلام (٣/ ١٩٨).
(٨) البخارى رقم (٥٣١٨)، مسلم (١٤٨٤)

وهذا قول جمهور علماء المسلمين. وقيل: حصل الإجماع على ذلك بعد سماع هذا الحديث[1]، وقال الشعبي: ما أصدق أن على بن أبي طالب كان يقول عدة المتوفى عنها زوجها آخر الأجلين[2]، ولعل عليًا قال بذلك لعدم بلوغه حديث سبيعة وإلا فلا يخالف على الصحيح الثابت عن النبي ﷺ [3].

بعض الأحكام المتعلقة بالمعاملات المالية:

١- جوائز السلطان: قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه: لابأس بجوائز السلطان، ما يعطيكم من الحلال أكثر مما يعطيكم من الحرام[4]، وقال أيضًا: لا تسأل السلطان شيئًا، فإن أعطاك فخذ فإن ما فى بيت المال من الحلال أكثر مما فيه من الحرام[5].

٢- الهدية لرفع الظلم وأخذ الحق: من نصر شخصًا فى حق أو دفع عنه ظلمًا لايجوز له أن يقبل هدية من نصره أو رفع عنه الظلم عند على، نقل ذلك عنه ابن حزم[6].

٣- عدم ضمان العارية: لايضمن المستعير العارية إذا تلفت بدون تعد عند على[7]، فقد قال علىّ: ليست العارية مضمونة إنما هو معروف إلا أن يخالف فيضمن[8].

٤- عدم ضمان الوديعة: الوديعة أمانة بيد المودع عنده، فإذا تلفت عنده من غير جناية فلا ضمان عليه عند علىّ، فقد قال رضى الله عنه: لا يضمن صاحب العارية ولا الوديعة[9].

٥- بيع الغنيمة للكفار: لايجوز بيع ما غنمه المسلمون من أموال الكفار فى الحرب إلى الكفار أنفسهم عند على رضى الله ، فعن أم موسى قالت: أتى على بن أبى طالب بآنية مرصعة بالذهب من آنية العجم فأراد أن يكسرها ويقسمها بين المسلمين، فقال ناس من الدهاقين: إن كسرت هذه كسرت ثمنها، ونحن نغلى لك بها، فقال على: لم أكن لأرد لكم ملكًا نزعه الله منكم فكسرها وقسمها بين الناس[10]،وقد فعل أمير المؤمنين ذلك حتى لا تذكرهم بأمجادهم أو تعود بالنفع عليهم.

٦- تضمين الصناع: وذلك حفاظًا لأموال الناس من الضياع، قال الشاطبى: إن الخلفاء الراشدين قضوا بتضمين الصناع. قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: لايصلح الناس

(١) المغنى (٧/ ٤٧٣)، فقه الإمام على (٢/ ٧١٦).
(٢) سبل السلام (٣/ ١٩٨).
(٣) فقه الإمام على بن أبى طالب (٢/ ٦١٧).
(٤) المغنى (٦/ ٤٤٤)، فقه الإمام على (٢/ ٧١٦).
(٥) المغنى (٦/ ٤٤٤).
(٦) المحلى (٩/ ١٢٩).
(٧) فقه الإمام على بن أبى طالب (٢/ ٧٢١).
(٨) مصنف عبد الرزاق (١٤٧٨٨).
(٩) المصدر نفسه (١٤٧٨٦).
(١٠) فقه الإمام على بن أبى طالب (٢/ ٧٥٢).

إلا ذاك[1]، وفى هذا مقصد من مقاصد الشريعة وهو حفظ الأموال من الضياع[2]، وفى مصنف عبد الرزاق أن عليًا رضى الله عنه ضمن الخياط والصباغ، وأشباه ذلك احتياطًا للناس[3].

٧- **عقد الذمة وعدم التشديد فى الجباية عليهم:** قال أمير المؤمنين على: لا يقبل من مشركى العرب إلا الإسلام أو السيف، أما مشركو العجم فتؤخذ منهم الجزية، وأما أهل الكتاب من العرب والعجم فإن أبوا أن يسلموا وسألونا أن يكونوا أهل ذمة قبلنا منهم الجزية[4]، وعن على أنه قال: إنما قبلوا عقد الذمة لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا[5]، وكان رضى الله عنه يستعمل الرفق فى طريقة أخذها واليسر فى مقدارها، فعن عبد الملك بن عمير قال: أخبرنى رجل من ثقيف قال: استعملنى على بن أبى طالب ، فقال: لاتضربن رجلاً سوطًا فى جباية درهم ولا تبيعن لهم رزقًا ولا كسوة شتاء ولا صيف، ولادية يعملون عليها، ولاتقم رجلاً قائمًا فى طلب درهم، قال: قلت: يا أمير المؤمنين إذًا أرجع إليك كما ذهبت من عندك، قال: وإن رجعت كما ذهبت، إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو يعنى الفضل[6].

ثانيًا: فى الحدود:

١- **عقوبة المرتد:** قال أمير المؤمنين علىّ رضى الله عنه: يستتاب المرتد ثلاثًا، فإن عاد وإلا قتل[7]. وحجة قتله: ما روى ابن عباس عن النبى ﷺ قال: **«من بدل دينه فاقتلوه»**[8]، وأما دليل استتابته فما روى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ استتاب رجلاً ارتد عن الإسلام أربع مرات[9].

وروى عن على فى استتابة الزنديق الذى يظهر الإسلام ويبطن الكفر قولان هما:

أ- لا فرق فى الاستتابة بين من أظهر الردة، وبين الزنديق الذى أظهر الإسلام وأبطن الكفر، وقامت عليه البينة بذلك[10].

---

(١) الاعتصام (٢/ ١٩).
(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية، ص (٦٠٢).
(٣) مصنف عبد الرزاق (٨/ ٢١٧)، موسوعة على بن أبى طالب ، ص(٢٢).
(٤) فقه الإمام على (٢/ ٧٥٦).
(٥) المغنى (٨/ ٣٧٥)، فقه الإمام على (٢/ ٧٥٦).
(٦) كنز العمال (١٤٣٤٦)، المغنى (٨/ ٥٣٧)
(٧) مصنف ابن أبى شيبة (١٠/ ١٣٨).
(٨) البخارى رقم (٣٠١٧).
(٩) مجمع الزوائد (٦/ ٢٦٢) فيه ضعف.
(١٠) المغنى (٨/ ١٢٦)، موسوعة فقه على بن أبى طالب ، ص (٢٧٣).

فقد روى عبد الرزاق أن محمد بن أبى بكر كتب إلى علـى عن مسلمين تزندقا فكتب إليه: إن تابا وإلا فاضرب أعناقهما[1].

ب- يستتاب من أظهر الردة ولا يستتاب الزنديق، فقد روى الأثرم بإسناده إلى على (رضى الله عنه)، أنه أُتى برجل عربى قد تنصر، فاستتابه فأبى أن يتوب فقتله، وأُتى برهط يصلون وهم زنادقة وقد قامت عليهم بذلك الشهود العدول، فجحدوا وقالوا: ليس لنا دين إلا الإسلام، فقتلهم ولم يستتبهم، قال: أتدرون لم استتبت النصرانى؟ استتبته لأنه أظهر دينه، فأما الزنادقة الذين قامت عليهم البينة فإنما قتلتهم لأنهم جحدوا، وقد قامت عليهم البينة[2].

وأما المرأة المرتدة فقد ورد فيها عن على قولان:

أ- لا فرق بينهما وبين الرجل فى حكم القتل، وقد روى هذا القول أيضًا عن أبى بكر رضى الله عنه، وقال به الحسن والزهرى والنخعى ومكحول وحماد ومالك والليث والأوزاعى والشافعى وإسحاق[3].

ب- المرأة تسترق ولا تقتل، وهذا القول قال به الحسن وقتادة، لأن أبا بكر استرق نساء بنى حنيفة وذراريهم وأعطى عليًا منهم امرأة فولدت محمد ابن الحنفية، وكان ذلك بمحضر من الصحابة فلم ينكر، فكان إجماعًا[4]، كما أن قصة بعث على إلى بنى ناجية دليل على هذا الرأى، وسيأتى الحديث عنها لاحقًا وفيها: وقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم[5].

وقد قتل أمير المؤمنين على المرتدين بطرق مختلفة حسب حال كل منهم على النحو التالى:

أ- **ضرب العنق بالسيف:** كما فى جواب على بن أبى طالب رضى الله عنه لمحمد بن أبى بكر عندما سأله عن مسلمين تزندقا؟ فقال: فأما اللذان تزندقا، فإن تابا، وإلا فاضرب أعناقهما[6].

---

(1) المصنف (٧/ ٣٤٢) (١/ ١٧٠).

(2) المغنى (٨/ ٤١٤١)، موسوعة فقه على بن أبى طالب، ص (٢٧٣).

(3) المغنى (٨/ ١٢٣). (4) المغنى (٨/ ١٢٣)، فتح البارى (١٢/ ٢٦٨).

(5) مصنف ابن أبى شيبة (١٠/ ١٤٤). (6) مصنف عبد الرزاق (٨/ ٣٩٥).

ب- الضرب حتى الموت: ففى مصنف ابن أبى شيبة أن عليًا أُتِى برجل نصرانى أسلم ثم تنصر، فسأله عن كلمة فقال له، فقام إليه علىّ فرفسه برجله ،فقام الناس إليه فضربوه حتى قتلوه[١].

جـ- الإحراق بعد القتل: كما فى قصة المستورد العجلى حيث أسلم ثم ارتد، فإن عليًا رضى الله عنه أحرقه بعد أن قتله، ولعل عليًا رضى الله عنه أحرقه لما خاف أن ينبش قومه جثته، بعد أن رفض على تسليمها مقابل مبلغ من المال بذلوه له[٢].

د- القتل بالإحراق: كما فى قصة على رضى الله عنه، مع السبيئة كما سبق بيانه[٣].

وقتل المرتد فيه حفظ لأهل الدين، ومن مقاصد الشريعة الغراء حفظ الدين، فقد لاحظنا حرص الخلفاء الراشدين على تنفيذ أحكام الله فى أهل الأهواء والخارجين عن الدين، وإنزال العقوبة المناسبة بهم، ومن أعظمها قتل المرتدين وقتالهم، كما فعل الخلفاء الراشدون وهذا تنفيذ لقول رسول الله ﷺ: «لايحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزانى، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»[٤].

وقال ابن تيمية: فإنه لو لم يقتل ذلك- يعنى المرتد- لكان الداخل فى الدين يخرج منه فقتله حفظ لأهل الدين، والدين، فإن ذلك يمنع من النقص ويمنعهم من الخروج عنه[٥].

٢- حد الزنا:

أ- قصة رجم: قال الشعبى: كان لشراحة زوج غائب بالشام، وإنها حملت، فجاء بها مولاها إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه، فقال: إن هذه زنت واعترفت، فجلدها يوم الخميس مائة جلدة، ورجمها يوم الجمعة، وحفر لها إلى السرة، وأنا شاهد، ثم قال: إن الرجم سنة سنها رسول الله ﷺ، ولو كان شهد على هذا أحد لكان أول من يرمى الشاهد بشهادته، ثم يتبع شهادته حجره، ولكنها أقرت، فأنا أول من يرميها، فرماها بحجر، ثم رمى الناس وأنا منهم، فكنت والله فيمن قتلها، وفى لفظ لأحمد والبخارى أن عليًا قال: جلدتها بكتاب الله، ورجمتها بسنة رسول الله ﷺ[٦]، وهذا الحكم القضائى اجتهاد لعلى وهو مختلف فيه بين الفقهاء، وقال الجمهور بعدم الجمع بين الجلد والرجم[٧].

---

(١) المحلى لابن حزم (١١/ ١٩٠).
(٢) موسوعة فقه على بن أبى طالب ص (٢٧٥).
(٣) منهج على بن أبى طالب ، ص (٢٧٥).
(٤) البخارى رقم (٦٨٧٨).
(٥) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٠٢)
(٦) البخارى، ك الحدود (٤/ ٢٥٣).
(٧) تاريخ القضاء فى الإسلام، ص (١٥٢).

وجاء في رواية: فحفر لها حفرة بالسوق فدار الناس عليها أو قال بها، فضربهم بالدرة، ثم قال: ليس هكذا الرجم إنكم إن تفعلوا هذا يفتك بعضكم بعضًا ولكن صفوا كصفوفكم للصلاة ثم قال: أيها الناس، إن أول الناس يرجم الزانى الإمام إذا كان الاعتراف، وإذا شهد أربعة شهداء على الزنا، أول الناس يرجم الشهود بشهادتهم عليه، ثم الإمام ثم الناس، ثم رماها بحجر وكبر، ثم أمر الصف الأول فقال: ارموا، ثم قال: انصرفوا، وكذلك صفًا صفًا حتى قتلوها[١].

ب- تأجيل رجم الحامل: المرأة الحامل إذا ثبت عليها الزنا لايقام عليها الحد حتى تضع حملها عند على[٢]، فعنه رضى الله عنه قال: إن خادمًا للنبى ﷺ فجرت، فأمرنى أن أقيم عليها الحد، فوجدتها لم تجف من دمها، فأتيته فذكرت له، فقال: «إذا جفت من دمها فأقم عليها الحد، أقيموا الحدود على ما ملكت أيمانكم»[٣]، وقد قام بهذا الحكم فى خلافته.

جـ- المستكرهة على الزنا: لا حد على المستكرهة على الزنا عند على ولها مهر المثل بذلك[٤]، فقد قال فى البكر تستكره نفسها أن للبكر مثل صداق إحدى نسائها وللثيب مثل صداق[٥] مثلها».

٥- زنا المضطرة: إذا اضطرت امرأة على الزنا لإنقاذ حياتها من الموت فلم يدفع إلا بها سقط عنها الحد عند على[٦]، فقد جاء فى رواية: أن امرأة أتت عمر فقالت: إنى زنيت فارجمنى فردها حتى شهدت أربع شهادات فأمر برجمها، فقال على: يا أمير المؤمنين، ردها فاسألها ما زناها لعل لها عذرًا؟ فردها فقال: مازناك؟ قالت: كان لأهلى إبل فخرجت فى إبل أهلى فكان لنا خليط[٧]،فخرج فى إبله فحملت معى ماء ولم يكن فى إبلى لبن، وحمل خليطنا ماء وكان فى إبله لبن، فنفد مائى فاستسقيت فأبى أن يسقينى، حتى أمكنه من نفسى، فأبيت حتى كادت نفسى تخرج أعطيته، فقال على: الله أكبر، فمن اضطر غير باغ ولا عاد، أرى لها عذرًا[٨]، وزيد فى رواية: فأعطاها عمر شيئًا وتركها[٩]، وقد ذكر الفقهاء هذه الحادثة ضمن الإكراه على الزنا فلم يختلفوا فى سقوط الحد بالإكراه[١٠]، ولكن الإكراه غير الاضطرار لأن الاضطرار فيه الإقدام على الفعل اختيارًا، أما الإكراه فلا

(١) مصنف عبد الرزاق ١٣٣٣٥، فقه الإمام على (٢/ ٧٨٢).

(٢) فقه الإمام على (٢/ ٧٨٣).

(٣) مسند الإمام أحمد رقم (١١٣٧) صحيح لغيره.

(٤) فقه الإمام على (٢/ ٧٨٦).

(٥) مصنف عبد الرزاق (١٣٦٠٧).

(٦) فقه الإمام على (٢/ ٧٨٨).

(٧) خليط: الشريك الذى يخلط ماله بمال غيره.

(٨) كنز العمال ١٣٥٩٦، مغنى المحتاج (٤/ ١٤٥).

(٩) المغنى (٨/ ١٨٧).

(١٠) إعلاء السنن (١١/ ٦٧١)، المغنى (٨/ ١٨٧).

إقدام فيه وإنما يساق إلى الفعل جبرًا، بدليل أن الله تعالى ذكر الإكراه مستقلا عن الاضطرار كما فى قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦] وقوله تعالى: ﴿وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ [النور: ٣٣] وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣] .

وقد استدل على رضى الله عنه بالآية الأخيرة، ووجه الدلالة أن الاضطرار لإنقاذ الحياة يرفع العقوبة الأخروية عن المضطر، فهو يسقط العقوبة الدنيوية من باب أولى فى حقوق الله تعالى، ويؤخذ من هذه المسألة: عمل على بقاعدة الضرورات تبيح المحظورات[(١)] .

هـ- درء الحدود بالشبهات: تدرأ الحدود بالشبهات عند علىّ، فعن الضحاك بن مزاحم عن على قال: إذا بلغ فى الحدود لعل وعسى فالحد معطل[(٢)]، وعن على أن امرأة أتته فقالت: إنى زنيت، فقال: لعلك أتيت وأنت نائمة فى فراشك أو أكرهت؟ قالت: أتيت طائعة غير مكرهة، قال: لعلك غصبت على نفسك، قالت: ما غصبت، فحبسها فلما ولت وشب ابنها جلدها[(٣)]، لأنها لم تكن متزوجة ولذلك جُلدت.

و- زنا النصرانية: إذا زنت النصرانية فلا تحد بل تدفع إلى أهل دينها يقيمون عليها حسب دينهم عند على[(٤)]، فعن قابوس بن مخارق أن محمد بن أبى بكر كتب إلى على يسأله عن مسلم زنى بنصرانية، فكتب إليه على: أما المسلم فأقم عليه الحد وادفع النصرانية إلى أهل دينها[(٥)]، إن حد الزنا أمر تعبدي فيه التطهير من الإثم، وذلك لايناسب الخارج عن ملة الإسلام.

ز- الحد كفارة لذنب من أقيم عليه عند علىّ: فعن أبى ليلى عن رجل من هذيل قال وعداده من قريش سمعت عليًا يقول: من عمل سوءًا فأقيم عليه الحد فهو كفارة[(٦)]، وفى رواية عنه أيضًا: كنت مع علىّ حين رجم شراحة فقلت: لقد ماتت هذه على شر حالها، فضربنى بقضيب، أو بسوط كان فى يده حتى أوجعنى فقلت: لقد أوجعتنى، قال: وإن أوجعتك، قال: فقال: إنها لن تسأل عن ذنبها هذا أبدًا كالدين[(٧)]، ودليل ما ذهب إليه أمير المؤمنين على رضى الله عنه حديث عبادة بن الصامت حيث قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى مجلس فقال: «ومن أصاب شيئًا من ذلك فعوقب به، فهو كفارة له، ومن أصاب شيئًا من ذلك فستره الله عليه، فأمره إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه»[(٨)] .

(١) فقه الإمام على (٢/ ٧٨٩).
(٢) مصنف عبد الرزاق ١٣٧٢٧، المغنى (٨/ ٢١١).
(٣) فقه الإمام على (٢/ ٧٦١)
(٤) المصدر السابق (٢/ ٧٩٩).
(٥) مصنف عبد الرزاق (١٣٤١٩).
(٦) المصدر نفسه (١٣٣٥٥).
(٧) المصدر نفسه (١٣٣٥٣).
(٨) مسلم. ك الحدود، رقم (٧٠٩) (٣/ ١٣٣٣).

إن من مقاصد الشريعة حفظ العرض والنسب، فعدم حفظه يترتب عليه مفاسد حاصلة بسبب إهماله: وانتهاكه، ومعلوم ما يحصل من جراء ذلك من الحروب والتقاتل والفساد، واختلاط الأنساب، وقطع النسل، لأن الزانى ليس له قصد فى الولد، وإنما قصده اللذة الحاضرة، فلو لم تحفظ الفروج لعزف الناس عن النكاح، وانتشار الفساد الخلقى وظهور جريمة الزنا، وما ينشأ عنها من مفاسد خلقية وصحية، ونزول المصائب وحلول الكوارث والمحن، ولو لم يرد فى ذلك إلا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، لكان كافيًا(١)، لذلك جاءت الشريعة الغراء بالتشريعات اللازمة لحفظ الأعراض والأنساب وقام الخلفاء الراشدون بتنفيذها.

٣- حد الخمر:

أ- شرب الخمر فى رمضان: عن عطاء عن أبيه أن عليًا ضرب النجاشى الحارثى الشاعر، شرب الخمر فى رمضان فضربه ثمانين ثم حبسه، فأخرجه الغد فضربه العشرين ثم قال له: إنما جلدتك هذه العشرين بجرأتك على الله تعالى، وإفطارك فى رمضان(٢).

ب- حكم الموت بإقامة حد الخمر: عن علىّ، قال: ما من رجل أقمت عليه حدًا، فمات فأجد فى نفسى إلا الخمر، فإنه لو مات لوديته، لأن النبى ﷺ لم يَسُنَّه(٣).

وقد جاءت الأحكام الشرعية بالمحافظة على العقل الذى ميز الله به الإنسان وكرمه، فحرمت الخمر التى تذهب بالعقل وتغيبه، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١]، وقال رسول الله ﷺ: «كل مسكر خمر وكل خمر حرام»(٤)، ولذلك شرع إقامة الحد على السكران، وحرم المخدرات والمفترات التى تؤثر على سلامة العقل(٥).

إن حفظ العقل مقصود فى الشرع لما يترتب عليه من حفظ باقى الضرورات، ولما يترتب على إهماله من مفاسد لا تعد ولا تحصى(٦).

(١) مقاصد الشريعة لليوبى، ص (٢٥٥).
(٢) كنز العمال ١٣٦٨٧، فقه الإمام على (٢/ ٨٠٧).
(٣) مسند أحمد رقم (١٠٢٤) إسناده صحيح على شرط الشيخين.
(٤) البخارى رقم (٥٥٨٥).
(٥) الحكم والتحاكم فى خطاب الوحى (١/ ٤٦٧).
(٦) مقاصد الشريعة لليوبى، ص (٢٤٣).

٤- حد السرقة:

أ- اشتراط الحرز: يشترط لقطع يد السارق أن يسرق المال من حرز مثله عند عليّ، فعن ضميرة قال: قال علي: لايقطع السارق حتى يخرج المتاع من البيت[(١)].

ب- سرقة ما فيه شبهة ملك: لا تقطع يد سارق سرق من مال له فيه شبهة ملك، كأن يكون له نصيب فيه عند علي[(٢)]، فعن زيد بن دثار قال: أُتي علي برجل سرق من الخمس فقال: له فيه نصيب، فلم يقطعه، وعن الشعبي عن علي أنه كان يقول: ليس على من سرق من بيت المال قطع[(٣)].

جـ- سرقة الحر: من سرق حرًا صغيرًا فإنه تقطع يده عند عليّ، فعن ابن جريج أن عليًا قطع البائع - بائع الحر- وقال: لايكون الحر عبدًا[(٤)]، لأن الإنسان أقوم وأثمن من المال، فهو الأولى أن يقطع فيه[(٥)].

د- سرقة العبد مولاه: لاتقطع يد عبد سرق من سيده عن عليّ، فعن الحكم أن عليًا قال: إذا سرق عبد من مالي لم أقطعه[(٦)].

هـ- إثبات السرقة: تثبت السرقة عند أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه بشهادة شاهدين أو الاعتراف مرتين، نقل ذلك عنه ابن قدامة[(٧)]، وعن عكرمة بن خالد قال: كان عليّ لايقطع سارقًا حتى يأتي بالشهداء فيوقفهم عليه ويسجنه، فإن شهدوا عليه قطعه وإن نكلوا تركه، فأتي مرة بسارق فسجنه حتى إذا كان الغد دعا به وبالشاهدين فقيل: تغيب أحد الشاهدين فخلى سبيل السارق ولم يقطعه[(٨)]. وعن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه أن رجلاً أتى إلى علي فقال: إني سرقت فانتهره وسبه فقال: إني سرقت، فقال علي: اقطعوا قد شهد على نفسه مرتين، فلقد رأيتها في عنقه[(٩)].

و- كشف السارق قبل أن يسرق: لاتقطع يد السارق عند كشفه قبل أن يخرج المتاع من الحرز عند عليّ، فعن الحارث عن علي قال: أتي برجل قد نقب فأخذ على تلك الحال فلم يقطعه[(١٠)]، وفي لفظ بزيادة وعزره أسواطًا[(١١)].

(١) كنز العمال ١٣٩١١، فقه الإمام عليّ (٢/ ٨١٠).
(٢) فقه الإمام علي (٢/ ٨١١).
(٣) مصنف عبد الرزاق (١٨٨٧١)
(٤) المصدر نفسه رقم (١٨٨٠٦)
(٥) فقه الإمام علي (٢/ ٨١٤).
(٦) مصنف ابن أبي شيبة (١٠/ ٢٠٢)
(٧) المغني (٨/ ٢٧٩).
(٨) مصنف عبد الرزاق، (١٨٧٧٩)، كنز العمال، (١٣٩٠٨).
(٩) مصنف عبد الرزاق رقم (١٨٧٨٤)، المغني (٨/ ٢٨٠).
(١٠) مصنف ابن أبي شيبة (٩/ ٤٧٧).
(١١) كنز العمال (١٣٩١١)، فقه الإمام علي (٢/ ٨١٧).

ز- تكرار السرقة: من سرق قطعت يده اليمنى، ثم إن سرق مرة ثانية قطعت رجله اليسرى، فإن سرق ثالثة ورابعة يعزر ولا تقطع يده الأخرى أو رجله الثانية عند على، نقل ذلك عنه ابن المنذر وغيره(١)، وعن عبد الله بن سلمة أن عليًا أُتى بسارق فقطع يده، ثم أتى به فقطع رجله، ثم أتى به فقال: أقطع يده؟ فبأى شىء يتمسح وبأى شىء يأكل؟ ثم قال: أقطع رجله؟ على أى شىء يمشى؟ إنى لأستحى من الله، قال: ثم ضربه وخلده السجن(٢). وعن المغيرة والشعبى قالا: كان على يقول: إذا سرق السارق مرارًا قطعت يده ورجله، ثم إن عاد استودعته السجن(٣)، وعن الشعبى قال: كان على لايقطع إلا اليد والرجل، وإن سرق بعد ذلك سجن ونكل، وأنه كان يقول: إنى لأستحى من الله أن لا أدع له يدًا يأكل بها ويستنجى(٤).

ح- قطع اليد وتعليقها: يستحب أن يحسم اليد ويعلق المقطوع فى عنق المحدود عند على(٥)، فعن حجية بن عدى: كان علىٌ يقطع ويحسم ويحبس، فإذا برئوا أرسل إليهم فأخرجهم ثم قال: ارفعوا أيديكم إلى الله فيرفعونها، فيقول: من قطعكم؟ فيقولون على، فيقول: ولم؟ فيقولون: سرقنا، فيقول: اللهم اشهد اللهم اشهد(٦)، وحسم اليد، فلكى لاينزف الدم ويسرع البرء ومخافة سريان الجرح إلى الجسم وتلفه(٧).

إن من مقاصد الشريعة الإسلامية حفظ أموال الناس التى هى قوام حياتهم، وقد حرم الإسلام كل وسيلة لأخذ المال بغير حق شرعى، وحرم السرقة، وأوجب الحد على من ثبتت عليه تلك الجريمة، قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ﴾ وقام الخلفاء الراشدون بالإشراف على تنفيذ تلك الأحكام.

ثالثًا: فى القصاص والجنايات:

جاءت شريعة الإسلام بأحكام القصاص للمحافظة على النفس ودرء المفاسد الناشئة عن شيوع القتل وسفك الدماء المحرمة، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ [البقرة:١٧٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾

(١) المحلى (٣/ ٣٥٤)، المغنى (٨/ ٢٦٤).
(٢) البدائع (٩/ ٤٢٧٣)، فقه الإمام على (٢/ ٨١٨).
(٣) مصنف ابن أبى شيبة (٩/ ٥٠٩).
(٤) مصنف عبد الرزاق رقم (١٨٧٦٤).
(٥) فقه الإمام على (٢/ ٨٢١).
(٦) كنز العمال (١٣٢٦).
(٧) فقه الإمام على (٢/ ٨٢١).

[البقرة: ١٧٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣]، وهذه بعض المسائل المتعلقة بأحكام القتل والقصاص والجنايات.

أ- الاشتراك في القتل العمد: إذا اجتمع جماعة على قتل شخص عمدًا فإنهم يقتلون به جميعًا عند علي[(١)]، وقد روى عنه أنه قتل ثلاثة قتلوا رجلاً[(٢)].

ب- من أمر عبده بالقتل: إذا أمر السيد عبده أن يقتل رجلا فقتله يقتل السيد عند عليٍّ ويحبس العبد، نُقل ذلك عن ابن المنذر وغيره[(٣)]، وعن خلاس عن علي في رجل أمر عبده أن يقتل رجلاً قال: إنما هو بمنزلة سوطه أو سيفه[(٤)]، وفي رواية: إذا أمر الرجل عبده أن يقتل رجلاً فإنما هو كسيفه أو كسوطه، يقتل المولى ويحبس العبد[(٥)].

جـ - المقتول في الزحام: من قتل في الزحام ولم يعلم قاتله، فإن ديته على بيت مال المسلمين عند علي[(٦)]، وعن يزيد بن مذكور الهمداني أن رجلا قتل يوم الجمعة في المسجد في الزحام، فجعل علي ديته من بيت المال[(٧)].

د- جناية السائق والقائد والراكب: في المسألة روايتان عن علي: الرواية الأولى: سائق الدابة وقائدها وراكبها ضامنون إذا وطئت الدابة، أو ضربت برجلها أحدًا، أو شيئًا عند علي لنسبة التقصير وعدم التحرز والتثبت إليهم[(٨)]، فعن خلاس على عليّ: أنه كان يضمن القائد والسائق والراكب[(٩)]، والحجة في ذلك، أن الراكب مباشر للقتل لأن الدابة كالآلة في يده، أما السائق، والقائد فهما متسببان، ويضمنان لعدم تحرزهما من الوقوع في الجناية وعدم تثبتهما من السوق والقود والركوب بصورة تمنع وقوع الجناية[(١٠)]، والرواية الثانية: لاضمان عليهم إذا ثبت عدم التقصير منهم عند علي، إذ روى عنه أنه قال: إذا قال: الطريق، فأسمع فلا ضمان عليه[(١١)]، وعن علي أنه قال: إذا كان الطريق واسعًا فلا ضمان عليه[(١٢)]، والحجة أن وسع الطريق وتنبيه المارة هو التحرز والتثبت، فإذا لم يبال المارة فهو

---

(١) فقة الإمام علي (٢/ ٨٢٦).
(٢) المغني (٧/ ٦٧٢).
(٣) المغني (٧/ ٧٥٧).
(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٩/ ٣٧١).
(٥) فقه الإمام علي بن أبي طالب (٢/ ٨٣٦).
(٦) المصدر نفسه (٢/ ٨٣٨).
(٧) الخلافة الراشدة، يحيى اليحيى، ص (٥٠٢).
(٨) فقه الإمام علي (٢/ ٨٤١).
(٩) مصنف ابن أبي شيبة (٩/ ٢٥٩).
(١٠) فقه الإمام علي (٢/ ٨٤١).
(١١) المصدر نفسه (٢/ ٨٤٢).
(١٢) مصنف ابن أبي شيبة (٩/ ٥٥٩).

تقصيرهم، فإن أصيبوا فقد جنوا على أنفسهم فلا ضمان لهم، ولا منافاة بين الروايتين، لأن الأولى مع ثبوت التقصير، والثانية مع عدمه[1]، وثبوت التقصير على المارة.

هـ- ما أنشئت بتعد فأحدثت تلفًا: من حفر بئرًا أو وضع شيئًا أو بناه فى مكان لا حق له فيه فسبب تلف إنسان كأن يقع فى البئر أو يعثر بما وضعه فيموت فهو ضامن عند على[2]، فقد قال رضى الله عنه: من حفر بئرًا أو عرض عودًا فأصاب إنسانًا فهو ضامن[3].

و- الخطأ فى الشهادة: الخطأ فى الشهادة يوجب الضمان عند على، فمن شهد على غيره خطأ فى حد أو قصاص فأدى إلى تلف عضو أو نفس ضمن الدية عنده[4]، فقد روى عن على من طرق متعددة أنه: شهد رجلان بسرقة على رجل، فقطع علىٌّ يده، ثم جاء الغد برجل فقال: أخطأنا بالأول، هو هذا الآخر فأبطل شهادتهما على الآخر، وأغرمهما دية الأول[5]، وفى رواية فقال: لو كنتما تعمدتماه لقطعتكما فأبطل شهادتهما عن الآخر وأغرمهما دية الأول[6]، والحجة فى ذلك أنهما تسببا فى الإتلاف والتسبب موجب للضمان كحافر البئر فى الطريق[7].

ز- اشتراك جماعة فى قتل بعضهم بعضًا خطأ: إذا اشترك جماعة فى قتل بعضهم بعضًا خطأ توزعت المسئولية الجنائية على جميعهم، كل واحد بقدر فعله مطروحًا منه ما جناه الميت على نفسه[8]، فعن خلاس قال: استأجر رجل أربعة رجال ليحفروا له بئرًا فحفروها فانخسفت بهم البئر، فمات أحدهم فرفع ذلك إلى على بن أبى طالب، فضمن الثلاثة ثلاث أرباع الدية وطرح عنه ربع الدية[9].

ح- من استخدم صغيرًا أو عبدًا بغير إذن: من استخدم صغيرًا بغير إذن وليه، أو عبدًا بغير إذن مولاه فى عمل، أو حمله على دابة فمات إثر ذلك فهو ضامن عند على، فعن الحكم قال: قال على: من استعمل مملوك قوم صغيرًا أو كبيرًا فهو ضامن[10]، وقال على: من استعان صغيرًا حرًا.. فهو ضامن ومن استعان كبيرًا لم يضمن[11].

(1) فقه الإمام على (2/ 842).
(2) المصدر نفسه (2/ 842).
(3) مصنف عبد الرزاق (18400).
(4) فقه الإمام على بن أبى طالب (2/ 843).
(5) مصنف ابن أبى شيبة (9/ 409).
(6) مصنف عبد الرزاق (18461).
(7) فقه الإمام على (2/ 844).
(8) المصدر نفسه (2/ 844).
(9) المحلى (10/ 505)، فقه الإمام على (2/ 844).
(10)، (11) مصنف ابن أبى شية (9/ 377).

ط- الفعل المعنوى: الفعل المعنوى كالإخافة والترويع وما شابههما إذا سبب قتل إنسان أو عطبه توجب المسئولية الجنائية عند على[1]، فعن ابن جريج قال: قلت لعطاء: رجل نادى صبيًا على جدار أن استأخر فخر فمات؟ قال: يروون عن على أنه قال: يغرمه ويقول: أفزعه[2]، وإيجاب المسئولية على الفعل المعنوى إجمالاً هو قول جمهور العلماء[3].

ى- جناية الطبيب: إذا خالف الطبيب أو البيطرى شروط المعالجة، فعطب الإنسان أو الحيوان فهو ضامن[4]، فعن الضحاك بن مزاحم قال: خطب علىٌّ الناس فقال: يامعشر الأطباء البياطرة والمطببين من عالج منكم إنسانًا أو دابة فليأخذ لنفسه البراءة، فإنه إن عالج شيئًا ولم يأخذ لنفسه البراءة فعطب فهو ضامن[5]، وعن مجاهد أن عليًا قال فى الطبيب: إن لم يُشهد على ما يعالج فلا يلومن إلا نفسه، يقول: يضمن[6].

ك- الميت من القصاص والحد: إذا أقيم حد أو قصاص على مستحق فمات فلا ضمان على المقتص عند على[7]، فقد قال رضى الله عنه: من مات بقصاص بكتاب الله فلا دية له[8]، وقال: من مات فى حد فإنما قتله الحد[9]، وقال أيضًا: إذا أقيم على الرجل حد فى الزنا أو السرقة أو قذف فمات فلا دية له[10]، والحجة فى ذلك، أن القصاص واجب، والواجب غير مشروط بالسلامة فيه فلا ضمان فى أدائه إذا لم يحصل فيه تقصير أو إهمال[11].

ل- قاطع طريق ألقى القبض عليه: إذا لم يأخذ مالاً ولم يقتل نفسًا حبس حتى يتوب، وإذا أخذ مالاً ولم يقتل نفسًا قطعت يداه، ورجلاه من خلاف، وإذا قتل وأخذ المال قطعت يداه ورجلاه من خلاف ثم صلب حتى يموت، وإن تاب قبل أن يؤخذ ضمن الأموال واقتص منه ولم يحد[12].

وقد تاب الحارث بن بدر قبل القدرة عليه، وكان قاطعًا للطريق، فقبل على توبته وأسقط حد الحرابة عنه لأنه تاب قبل القدرة عليه[13].

(١) فقه الإمام على بن أبى طالب (٢/٨٤٦).
(٢) كنز العمال (٨٦/ ٤٠).
(٣) فقه الإمام على (٢/٨٤٦).
(٤) المصدر نفسه (٢/٨٤٧).
(٥) مصنف عبد الرزاق (١٨٠٤٧).
(٦) المصدر نفسه (١٨٠٤٦).
(٧) فقه الإمام على (٢/٨٤٧).
(٨)، (٩) المصدر نفسه (٢/٨٤٨).
(١٠) مصنف ابن أبى شيبة (٩/٣٤٢).
(١١) فقه الإمام على (٢/٨٤٨).
(١٢) المحلى رقم (٢٥٢)، عصر الخلافة الراشدة للعمرى، ص (١٥١).
(١٣) عصر الخلافة الراشدة، ص (١٥١).

م- قاتل اعترف بالقتل لدفع التهمة عن متهم برئ: أُتي برجل إلى أمير المؤمنين على من خربة بيده سكين ملطخة بدم، وبين يديه قتيل يتشحط في دمه، فسأله، فقال: أنا قتلته، قال: اذهبوا به فاقتلوه، فلما ذهب به أقبل رجل مسرعًا فقال: ياقوم لا تعجلوا ردوه إلى على، فردوه، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين ما هذا صاحبه، أنا قتلته، فقال على للأول: ما حملك على أن قلت أنا قاتله، ولم تقتله؟ قال: يا أمير المؤمنين، وما أستطيع أن أصنع، وقد وقف العسس على الرجل يتشحط فى دمه، وأنا واقف بين يدى سكين، وفيها أثر الدم، وقد أخذت في الخربة، فخفت ألا يقبل منى، وأن يكون قسامة، فاعترفت بما لم أصنع، واحتسبت نفسى عند الله، فقال عليّ: بئس ما صنعت، فكيف كان حديثك؟ قال: إنى رجل قصاب، خرجت إلى حانوتى فى الغلس، فذبحت البقرة وسلختها، فبينما أنا أسلخها، والسكين فى يدى أخذنى البول، فأتيت خربة كانت بقربى، فدخلتها لقضاء حاجتى، وعدت أريد حانوتى، فإذا أنا بهذا المقتول يتشحط فى دمه، فراعنى أمره، ووقفت أنظر إليه، والسكين فى يدى، فلم أشعر إلا بأصحابك قد وقفوا عليّ، فأخذونى، فقال الناس: هذا قتل هذا، ما له من قاتل سواه، فأيقنت أنك لا تترك قولهم بقولى، فاعترفت بما لم أجنه، فقال على للمقر للثانى: فأنت كيف كانت قصتك؟ فقال: أغوانى إبليس فقتلت الرجل طمعًا فى ماله، ثم سمعت حس العسس فخرجت من الخربة، واستقبلت هذا القصاب على الحال التى وصفها، فاستترت منه ببعض الخربة، حتى أتى العسس فأخذوه وأتوك به، فلما أمرت بقتله علمت أنى سأبوء بدمه أيضًا، فاعترفت بالحق، فقال على للحسن: ما الحكم فى هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن كان قد قتل نفسًا فقد أحيا نفسًا، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ٣٢]، فخلى على عنهما، وأخرج دية القتيل من بيت المال[1]، ولعله فعل ذلك بعد أن أسقط أولياء القتيل حقهم بالقصاص[2].

ن- امرأة قتلت زوجها يوم زفافها بحضور صديقها: حدث فى عهد عليّ رضى الله عنه أن امرأة قتلت زوجها يوم زفافها بحضور صديقها، فكانت العقوبة القتل قصاصًا[3] من الجناة.

(١) الطرق الحكمية، ص(٥٦)، القضاء فى الإسلام، ص(١٥٤).

(٢) القضاء فى الإسلام، ص(١٥٤).

(٣) المغنى (٩/ ٣٦٢، ٣٧٦)، الطرق الحكمية، ص(٥٠)، عصر الخلافة الراشدة، ص(١٥٣).

س- بدل الإبل فى دفع الدية، وكيف تدفع الدية؟: الإبل أصل فى الدية ويجوز دفع بدلها إذا لم يتوافر الإبل عند على، فعن عامر عن على وعبد الله وزيد قالوا: الدية مائة من بعير[١]، وعن الحسن أن عليًا قضى بالدية اثنى عشر ألفًا[٢]، أى درهم من الفضة، وأما كيفية دفع الدية، فدية الخطأ وشبه العمد على العاقلة تدفعها مقسطًا على ثلاث سنين عند على[٣]، والحجة فى ذلك ما روى عن المغيرة بن شعبة قال: قضى رسول الله ﷺ بالدية على العاقلة[٤]، وأما تقسيطها، فلأنها كثيرة يصعب أداؤها حالاً فقسمت على ثلاث سنين بناء على التيسير الذى أمر به الإسلام[٥].

ع- دية الكتابى: دية الكتابى من اليهود والنصارى مثل دية المسلم[٦]، فعن الحكم بن عتيبة أن عليًا قال: دية اليهودى والنصرانى وكل ذمى مثل دية المسلم[٧].

ف- دية الصلب: دية العمود الفقرى دية كاملة عند على إذا كسر وفقد صاحبه القوة على الجماع، فقد قال علىّ رضى الله عنه: إذا كسر الصلب ومنع الجماع ففيه الدية[٨].

ص- عين الأعور: إذا فقأ إنسان عين الأعور فإن فيها الدية كاملة أو يقتص الأعور لنفسه فيفقأ عينًا للجانى ويأخذ نصف الدية عند علىّ، نقل ذلك ابن قدامة[٩]، لأن عين الأعور تعادل عينى البصير فى منفعة البصر، لذلك فيها الدية كاملة[١٠].

ق- دية الأصابع: دية كل أصبع من الأصابع عشر دية النفس عند على، أى عشر من الإبل، فعن عاصم بن ضمرة عن على قال: فى الأصابع عشر الدية[١١]، وفى رواية: فى الأصابع عشر العشر[١٢].

رابعًا: فى التعزير:

كان أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه يؤدب العاصى ويردعه عن معصيته بالتعزير إذا لم يترتب على معصيته حد، ولما كانت عقوبة التعزير على المعصية غير محددة، فإن أمير المؤمنين عليًا رضى الله عنه يذهب إلى الملاءمة بين العقوبة والمعصية، فكلما

(١) مصنف ابن أبى شيبة (٩/ ١٢٨).
(٢) الأم (٧/ ١٧٧).
(٣) فقه الإمام على (٣/ ٨٥٣).
(٤) سنن ابن ماجة رقم (٣٦٣٣).
(٥) فقه الإمام على (٢/ ٨٥٤).
(٦) المصدر نفسه (٢/ ٨٥٥).
(٧) مصنف عبد الرزاق (١٨٤٩٤).
(٨) مصنف ابن أبى شيبة (٩/ ٢٣١).
(٩) المغنى (٨/ ٥).
(١٠) فقه الإمام على (٢/ ٨٦٠).
(١١) مصنف ابن أبى شيبة (٩/ ١٩٣).
(١٢) مصنف عبد الرزاق رقم (١٧٦٩٣)

تعاظمت المعصية كانت العقوبة أعظم، ولقد تعددت وسائل التعزير عند أمير المؤمنين على ابن أبى طالب رضى الله عنه حسب نوع المعصية وحال العاصى[1]، ومنها على سبيل المثال:

١- الضرب باليد: ومثال ذلك لما كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يطوف بالبيت، وعلى رضى الله عنه يطوف معه، إذ عرض رجل لعمر فقال: يا أمير المؤمنين خذ حقى من على بن أبى طالب، فقال: وما باله؟ قال: لطم عينى، فوقف عمر، حتى لحق به على فقال: ألطمت عين هذا يا أبا الحسن؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين، قال: ولِمَ؟ قال: لأنى رأيته يتأمل حرم المؤمنين فى الطواف، فقال عمر: أحسنت يا أبا الحسن[2].

٢- الجلد دون الحد: وكان أكثر ما يعزر به، ومن ذلك جلده للنجاشى الشاعر الذى شرب الخمر، وأفطر فى رمضان، فقال له: إنما جلدتك هذه العشرين لجرأتك على الله، وإفطارك فى رمضان[3].

٣- التشهير: لجأ على بن أبى طالب رضى الله عنه إلى التشهير بالعاصى وتعريف الناس به، كما فعل بشاهد الزور، وفى ذلك مصلحة للمجتمع، لئلا يستشهد فتضيع الحقوق، عن على بن الحسين قال: كان على إذا أخذ شاهد زور بعثه إلى عشيرته فقال: إن هذا شاهد زور فاعرفوه وعرفوه ثم خلى سبيله[4]، وعن زيد بن على عن أبيه عن جده عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه أنه أخذ شاهد الزور فعزروه، وطاف به فى حيه وشهره، ونهى أن يستشهد به[5].

٤- الحبس: كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يعاقب بالحبس أحيانًا، ومن ذلك حبسه للنجاشى الشاعر، الذى شرب الخمر، وأفطر فى رمضان[6].

٥- التقييد فى الحبس: كان أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه يقيد الدعار[7] بالحبس بقيود لها أقفال، ويوكل بهم من يحلها لهم وقت الصلاة من أحد الجانبين[8].

٦- الغمس فى الأقذار: وجد رجل تحت فراش امرأة، فأتى به علىّ، فقال رضى الله عنه: اذهبوا به فقلبوه ظهرًا لبطن فى مكان منتن، فإنه كان فى مكان شر منه[9].

---

(١) منهج على بن أبى طالب فى الدعوة، ص (٣٢١).
(٢) الرياض النضرة فى مناقب العشرة (٢/ ١٦٥).
(٣) موسوعة فقه على بن أبى طالب، قلعجى، ص (١٥٣).
(٤) المصدر نفسه، ص (١٤٩).
(٥) موسوعة فقه على، ص (١٤٨).
(٦) مصنف ابن أبى شيبة (٣٦١٠).
(٧) جمع داعر، والدعارة هى الفسق والخبث.
(٨) موسوعة فقه علىّ، قلعجى، ص(١٥٦).
(٩) المصدر نفسه ، ص(١٥٤).

٧- القتل: قد يصل التعزير عند أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه إلى القتل، إذا كانت الجريمة قد تعاظمت، وكان لها أثرها البالغ الأهمية، كوضع الأحاديث على لسان رسول الله ﷺ، لأن هذا العمل يؤدى إلى إدخال شىء فى الدين ما ليس منه، وانحراف الناس عن دينهم الذى ارتضى الله لهم[(١)]، لذا فقد كان يقول: من كذب على النبى ﷺ يضرب عنقه[(٢)].

٨- إتلاف أداة الجريمة وما يتبعها: فقد ورد عن ربيعة بن زكار قال: نظر عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه إلى قرية فقال: ما هذه القرية؟ قالوا: قرية تدعى زرارة[(٣)]، يلحم فيها ويباع فيها الخمر، فأتاها بالنيران فقال: أضرموها فيها، فإن الخبيث يأكل بعضه بعضًا، فاحترقت[(٤)]، فقد أحرق أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فى هذه القرية الخمر وما يتبعه من مواد وأدوات تستخدم لصناعته[(٥)].

لقد أثر أمير المؤمنين على رضى الله عنه فى المؤسسة القضائية باجتهاداته فى مجال القصاص والحدود والجنائيات والتعزير، كما أنه- رضى الله عنه- ساهم فى تطوير المدارس الفقهية الإسلامية باجتهاداته الدالة على سعة اطلاعه وغزارة علمه وعمق فقهه وفهمه واستيعابه لمقاصد الشريعة الغراء.

****

(١) منهج على بن أبى طالب فى الدعوة إلى الله ،ص (٣٢٤).

(٢) موسوعة فقه على، ص (١٥٤).

(٣) محلة بالكوفة سميت بزرارة بن يزيد بن عمر من بنى بكار.

(٤) كنز العمال رقم (١٣٧٤٤) أبو عبيد، الأموال، ص (١٠٣).

(٥) منهج على فى الدعوة إلى الله ص (٣٢٥).

المبحث الرابع

حجية قول الصحابى والخلفاء الراشدين

تحدث الأصوليـون عن مذهب الصحابى وقـالوا بأنه من الأدلة المختلف فيهـا عند الكثير منهم، وحكى ابن القيم إجماع الأئمة الأربعة على الاحتجاج به[1].

إن أصحاب النبى ﷺ وخصوصًا ساداتهم تبوأوا مكانة عالية فى الفهم والإدراك كما قال عنهم ابن مسعود رضـى الله عنه: فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقـها علمًا، وأقلها تكلفًا، وأقومها هديًا، وأحسنها حالاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبـعوا آثارهم، فإنهم كـانوا على الهدى المستـقيم[2]، والشاهد من كـلامه قوله: «أعمقها علمًا» فهم أعمق الأمة علمًا، وأكثرهم فهمًا وإدراكًا، ونسبة علم من بعدهم إلى علمهم كنسبة فضلهم إلى فضلهم[3]، وإذا كان هذا من الوضوح بمكان بحيث لا يحتاج إلى حجة وبرهان، فإنا نشير إلى بيان الأسباب التى بَوّأهم الله بها هذه المكانة وهى:

١- تلقيهم المباشر من النبى ﷺ:

وهذا له أثره فى الفهم من عدة نواح:

أ- صفاء المورد: إذ بتلقيـهم من النبى يتلقون الوحى غضـا كما أنزل، ويسمـعون كلام النبى ﷺ منه مباشـرة، فليس علمهم مشوبًا بما يكدره، بل هو مـحض الكتاب والسنة لم يخـتلط به آراء الرجال، وغـيره من العلوم التى فـتح بابهـا من بعد على المسلمين كـعلوم الفلسفة وغيرها.

ب- دقة الفهم: حيث إن معلمـهم رسول الله ﷺ أفصح الناس لسـانًا، وأبلـغهم بيانًا، وأقدرهم تفهيمًا، فكيف إذا صادف ذلك آذانًا صاغية، وقلوبًا واعية، وسليقة مواتية، تنشد الحق، وتتلهف لسمـاعه، ولا شك أن ذلك يجعلـهم يفهمون مـا يلقى إليهم فـهمًا دقيـقًا مطابقًا لمراد الله ورسولـه، وهذا الأمر فى غاية الوضوح إذ الناس فى حيـاتهم وطلبة العلم فى طلبـهم يبحثـون إبان تلقيـهم عن أفضل العلمـاء علمًا وأحسـنهم تصويرًا للمـسائل، وأقدرهم تفهيمًا، وكم من تلميذ سطع نجـمه، وعلا كعبه فى العلم بفضل الله، ثم بفضل

(١) إعلام الموقعين (٤/ ١٢٠). (٢) شرح السنة للبغوى (١/ ٢١٤، ٢١٥).
(٣) إعلام الموقعين (٤/ ١٤٧).

حسن تعليم معلمه، ونحن نعلم أن أحدًا لن يبلغ معشار ما بلغ إليه النبى ﷺ فى حسن التعليم، ولا أقل من ذلك، وبهذا شهد معاوية بن الحكم رضى الله عنه فى حسن التعليم، حيث قال: فبأبى هو وأمى ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه(١).

ج- ما يحصل لهم من يقين بما سمعوا وفهموا: فعلومهم يقينية، وعلوم من بعدهم يداخلها الظن فى كثير من أحوالها.

د- ما يحصل لهم من اطلاع على أسباب النزول وأسباب ورود الأحاديث ومعرفة الناسخ والمنسوخ مما يعينهم على فهم المراد وإدراك المقاصد.

هـ- وما يحصل لهم من مشاهدة أفعال النبى ﷺ التى تفسر أقواله، وتشرحها، وتبين آيات القرآن وتوضحها، ويوقف بها على المراد.

و- إمكانية السؤال عما أشكل عليهم، والحصول على الجواب.

٢- سليقتهم العربية:

يفهمون آى القرآن، وأحاديث النبى ﷺ بسليقتهم ويعرفون وجوه دلالتها علي معانيها، فلا يحتاجون إلى ما يحتاج إليه من بعدهم من دراسة قواعد اللغة وقواعد الأصول.

٣- إخلاصهم لله وتقواهم:

فببركة إخلاصهم نالوا العلوم الكثيرة النافعة، فى أوقات قليلة، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

فإذا تقرر هذا فكل هذه الأسباب شكلت فقها قويًا متماسكًا لدى أصحاب النبى ﷺ، قال ابن القيم بعد أن ذكر مدارك اختصوا بها، كسماعهم من النبى ﷺ وسماعهم من بعضهم، وعلمهم بالعربية على أكمل الوجوه(٢)، قال: أما المدارك التى شاركناهم فيها من دلالات الألفاظ والأقيسة، فلا ريب أنهم كانوا أبر قلوبًا وأعمق علمًا، وأقل تكلفًا وأقرب إلى أن يوفقوا فيما لم نوفق له نحن، ولما خصهم الله تعالى به من توقد الأذهان، وفصاحة اللسان، وسعة العلم، وسهولة الأخذ، وحسن الإدراك وسرعته، وقلة المعارض أو عدمه، وحسن المقصد وتقوى الرب تعالى، فالعربية طبيعتهم وسليقتهم، والمعانى الصحيحة مركوزة فى فطرهم وعقولهم، ولا حاجة بهم إلى النظر فى الإسناد وأحوال الرواة وعلل

---

(١) مسلم، ك المساجد، رقم (٣٣).
(٢) مقاصد الشريعة لليوبى، ص (٦٠).

الحديث والجرح والتعديل، ولا إلى النظر فى قواعد الأصول وأوضاع الأصوليين، بل غنوا فى ذلك كله، فليس فى حقهم إلا أمران:

أحدهما: قال الله تعالى كذا، وقال رسوله كذا.

والثانى: معناه كذا وكذا.

وهم أسعد الناس بهاتين المقدمتين، وأحظى الأمة بهما، فقواهم متوفرة مجتمعة عليهما، وأما المتأخرون فقواهم متفرقة وهممهم متشعبة، فالعربية وتوابعها قد أخذت من قوى أذهانهم شعبة، والأصول وقواعدها قد أخذت منها شعبة، وعلم الإسناد وأحوال الرواة قد أخذ منها شعبة، وفكرهم فى كلام مصنفهم وشيوخهم على اختلافهم وما أرادوا به قد أخذ منها شعبة، إلى غير ذلك من الأمور، فإذا وصلوا إليها بقلوب وأذهان قد كلت من السير فى غيرها، وأوهن قواهم مواصلة السير فى سواها، فأدركوا من النصوص ومعانيها بحسب القوة[١]، وبما تقدم يتقرر أن أصحاب النبى ﷺ أدق فهمًا وعلمًا بما هيأ الله لهم من الأسباب المعينة على الفهم والعلم، فبناء على ذلك فهم أعلم بمقاصد الشريعة ومراميها من غيرهم، ولكون من أهم الطرق المحصلة لمقاصد الشريعة: العلم بالكتاب والسنة وطرق الاستنباط منهما، وهذا متوافر لدى الصحابة بلا شك على أكمل الوجوه وأحسنها[٢].

قال الشاطبى: السلف أعلم الناس بمقاصد القرآن[٣]، وقال عن الصحابة: هم القدوة فى فهم الشريعة والجرى على مقاصدها[٤]. هذا وقد تنوعت مذاهب العلماء فى حجية قول الصحابى وانقسمت إلى خمسة أقوال مشهورة، وقبل أن نذكر أقوال المذاهب نحرر محل النزاع فنقول:

١- اتفق الكل على أن مذهب الصحابى فى مسائل الاجتهاد لا يكون حجة على غيره من الصحابة إمامًا كان أو حاكمًا أو مفتيًا.

٢- إذا قال الصحابى قولاً ووافقه الباقون فليس داخلاً فى محل النزاع لكونه إجماعًا حينئذ.

٣- إذا قال قولاً وانتشر ولم يخالفه أحد فهذا له حكم الإجماع السكوتى.

٤- اتفقوا على أن قول الصحابى ليس بحجة إذا خالفه صحابى آخر.

(١) إعلام الموقعين (٤/ ١٤٩).
(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية لليوبى، ص (٦٠١).
(٣) الموافقات (٣/ ٤٠٩).
(٤) المصدر نفسه (٤/ ١٣٠).

٥- اتفقوا على أن قول الصحابى إذا رجع إلى الكتاب أو السنة أو الإجماع فإن الحجة حينئذ فيما رجع إليه.

٦- اتفقوا على أن قول الصحابى إذا رجع عنه فليس بحجة، ومحل الخلاف إذا قال الصحابى قولاً فى مسألة اجتهادية تكليفية ولا ظهر له مخالف ولا موافق، ولا ندرى انتشر أم لا؟ خالف أحدًا أم لا؟[(١)].

واختلف العلماء فى ذلك على أقوال:

القول الأول: أنه حجة وهو قول مالك والشافعى فى القديم، وأحمد فى رواية عنه، وعليه أكثر الأصوليين والفقهاء من الحنفية وابن عقيل من الحنابلة والعلائى[(٢)]، والخطيب البغدادى من الشافعية، واختاره ابن القيم فى إعلام الموقعين والشاطبى فى الموافقات وابن تيمية[(٣)].

القول الثانى: إنه ليس بحجة وهو قول الشافعى فى أحد قوليه اختارها الآمدى والرازى والغزالى وأحمد فى رواية[(٤)].

القول الثالث: إنه حجة إن كان مما لا مجال للرأى فيه فقط، وهو قول جماعة من الأحناف[(٥)].

القول الرابع: قول أبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - حجة دون غيرهما[(٦)].

القول الخامس: قول الخلفاء الأربعة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم حجة دون غيرهم[(٧)].

والراجح -والله أعلم- هو القول الأول، وأدلة الترجيح فى ذلك:

أولاً: من كتاب الله تعالى: قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

روى الحافظ ابن جرير فى تفسيره لهذه الآية بسنده عن محمد بن كعب القرظى قال: مر عمر بن الخطاب برجل يقرأ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ﴾ حتى بلغ

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية، ص (٥٩٦، ٥٩٧). (٢) حقيقة البدعة وأحكامها (١/ ٣٢٠).
(٢) مجموعة الفتاوى (٥/ ٤١٣)، إعلام الموقعين (٤/ ١٢٠). (٤) مقاصد الشريعة الإسلامية، ص (٥٩٧).
(٥) حقيقة البدعة وأحكامها (١/ ٣٢١).
(٦) الإحكام للآمدى (٤/ ١٣٠)، حجية قول الصحابى، ص (٤٠). (٧) حجية قول الصحابى، ص (٤٠).

﴿ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾قال: وأخذ عمر بيده فقال: من أقرأك هذا؟ قال: أبي بن كعب، قال: لا تفارقني حتى أذهب بك إليه، فلما جاءه قال عمر: أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا.. قال: نعم، قال: أنت سمعتها من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قال: لقد كنت أظن أنا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا، فقال أبي: تصديق هذه الآية من أول سورة الجمعة: ﴿ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[الجمعة: ٣]، وفي سورة الحشر: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾[الحشر: ١٠]، وفي الأنفال: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[الأنفال: ٧٥]، وسبب سؤال عمر أنه كان يقرأ هذه الآية برفع الأنصار وبعدم إلحاق الواو في الذين كما أورد ذلك ابن جرير[(١)]، ثم لما تبين له من أبي بن كعب الخفض وإلحاق الواو قال: لقد كنت أظن أنا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا، يقصد المهاجرين، وهذا القول منه - رضى الله عنه - يؤيد ما ذهب إليه أصحاب القول الأول القائلون بحجية أقوال الصحابة من غير تخصيص لبعضهم، إذ اشترك الجميع فى وصف الثناء عليهم بكونهم سبقوا فى كل علم وفضل وجهاد وعمل، وهذه الآية احتج بها ابن القيم وجعلها من الأدلة الدالة على وجوب اتباع الصحابة[(٢)]، وحكى احتجاج الإمام مالك بها فى هذا المعنى[(٣)]، وذكر أن الآية تتضمن مدح الصحابة والثناء عليهم واستحقاقهم أن يكونوا أئمة متبوعين يقتدى بهم، وتؤخذ أقوالهم، وأنها اقتضت المدح لمن اتبعهم كلهم، أو اتبع كل واحد منهم ما لم يخالف نصًا[(٤)]. ومن الأدلة: قوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[آل عمران: ١١٠]، روى ابن جرير بسنده عند تفسيره لهذه الآية عن الضحاك، قال: هم أصحاب رسول الله ﷺ خاصة[(٥)]، قال ابن جرير بعد إيراده لهذا الأثر مبينًا معناه: يعني وكانوا هم الرواة الدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم[(٦)]، واستشهد بالآية الشاطبى حين قرر أن: سنة الصحابة - رضى الله عنهم - وسنة يُعمل عليها ويُرجع إليها[(٧)]، فقال فى الآية: إثبات الأفضلية على سائر الأمم، وذلك يقتضى استقامتهم فى كل حال وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة[(٨)]، وقد أفاض الإمام

(١) تفسير الطبرى (١٤/ ٤٣٨).
(٢) إعلام الموقعين (٤/ ١٢٣).
(٣) المصدر نفسه (٤/ ١٢٣).
(٤) المصدر نفسه (٤/ ١٢٣-١٢٩).
(٥) تفسير الطبرى (٧/ ١٠٢).
(٦) المصدر نفسه (٧/ ١٢٠).
(٧) الموافقات (٤/ ٧٤)
(٨) المصدر نفسه (٤/ ٧٤).

ابن القيم الجوزية فى الاستدلال على حجيـة قول الصحابة بالآيات الكريمة ووجه استدلاله فأجاد وأفاد[(١)]

ثانيًا: أمـا الأدلة من السنة فهي كـثيـرة منها: قوله ﷺ: «خيـر الناس القرن الذى أنا فـيه، ثم الثاني ثم الثالث»[(٢)]، فإخباره ﷺ بذلك يقتضى تقديمهم في كل باب من أبواب الخير، ولا سيمـا فى ظفرهم بالصواب[(٣)]، فهم أفـضل من غيرهم في كل فضـيلة، من علم وعمل وإيمان وعقل ودين وبيـان وعبادة، وأنهم أولى بالبـيان لكل مشكل، هذا لا يدفـعه إلا من كابر المعلوم من الدين بالضرورة من دين الإسلام[(٤)]، وعند عبد الله بن مسعود: قال رسول الله ﷺ: **«ما من نبى بعـثه الله عز وجل إلا كـان له فى أمته حـواريون وأصحاب يأخـذون بسنته ويقتدون بأمره»**[(٥)]، وقد استشهد البيهـقى بهذا الحديث على أفضليتهم ومنزلتهم[(٦)] العالية فى كل علم وعمل ومقصد[(٧)]

ثالثًا: الأدلة من الآثار منها: ما روى عن حذيفة بن اليمان - رضى الله عنهما - أنه قال: يا معشر القراء خـذوا الطريق ممن كان قبلكم، فوالله لئن استقمتم لقد سـبقتم بعيدًا، ولئن تركتموه يمينًا وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيدًا[(٨)]، روى الخطيب بسنده عن عامر الشعبى أنه قال: ما حدثوك عن أصحاب محمد ﷺ فخذه[(٩)]

رابعًا: من أقوال الأئمة والعلماء فى حجية قول الصحابى:

١- قول الشافعي: ما كان الكتـاب والسنة موجودين فالعـذر عمن سمعهـما مقطوع إلا باتبـاعـهمـا، فـإذا لم يكن ذلك صـرنا إلى أقـاويل أصـحاب رسـول الله ﷺ أو واحـد منهم[(١٠)]، وقـال أيضـًا: لا يكون لك أن تقـول إلا عــن أصل، أو قـيـاس على أصل، والأصل كتاب أو سنة، أو قول بعض أصحاب رسول الله ﷺ أو إجماع الناس[(١١)]

٢- **وقال أحـمد:** لا تقلد دينك أحدًا من هؤلاء، مـا جاء عن النبى ﷺ وأصحابـه فخذ به، ثم التابعين بعد، الرجل فيه مخير[(١٢)]

---

(١) إعلام الموقعين (٤/ ١٢٣-١٣٥).
(٢) مسلم (٢/ ١٩٦٥).
(٣) إعلام الموقعين (٤/ ١٣٦).
(٤) مجموع الفتاوى (٤/ ١٥٨).
(٥) مسلم، ك الإيمان (١/ ٦٩).
(٦) الاعتقاد للبيهقى، ص (٣١٩).
(٧) حقيقة البدعة وأحكامها (١/ ٣٢٨).
(٨) حلية الأولياء (١٠/ ٢٨٠)، البدع لابن وضاح، ص (١٠).
(٩) حقيقة البدعة وأحكامها (١/ ٣٢٩).
(١٠) الأم للشافعى (٧/ ٢٦٥).
(١١) مناقب الشافعى، ص (٣٦٧).
(١٢) مسائل الإمام أحمد لأبى داود، ص(٢٧٦).

٣- **وقول الإمام مالك:** ومذهبه في ترجيح عمل أهل المدينة مشهور ومعلوم، بيد أنه قد ذهب إلى أبعد من ذلك، حين اعتبر قول الصحابة، ولا سيما ولاة الأمر بعده محل احتجاج[(١)].

٤- **قال ابن تيمية:** ومن قال من العلماء إن قول الصحابى حجة، فإنما قاله إذا لم يخالفه غيره من الصحابة، ولا عرف نصًا يخالفه، ثم إذا اشتهر ولم ينكروه، كان إقرارًا على القول، فقد يقال هذا إجماع إقرارى إذا عرف أنهم أقروه، ولم ينكره أحد منهم وهم لا يقرون على باطل[(٢)]، أما إذا لم يشتهر فهذا إن عرف أنه خالفه فليس بحجة بالاتفاق[(٣)].

٥- قال الشاطبي: عند شرحه لقول النبى ﷺ: «ما أنا عليه وأصحابى»[(٤)]، فإنه راجع إلى ما قالوه وما سنوه، وما اجتهدوا فيه حجة على الإطلاق، وبشهادة رسول الله ﷺ لهم بذلك خصوصًا - إلى أن قال - فإذًا كل ما سنوه فهو سنة، من غير نظير فيه بخلاف غيرهم[(٥)]، وقال فى الموافقات: سنة الصحابة - رضى الله عنهم - سنة يعمل عليها ويرجع إليها[(٦)].

---

(١) إعلام الموقعين (٤/ ١٢٣)، ترتيب المدارك (١/ ٦٤).
(٢)،(٣) مجموع الفتاوى (١/ ٢٨٣).
(٤) السلسلة الصحيحة (١/ ١٢، ٢٥) (٣/ ٤٨٠).
(٥) الاعتصام (٢/ ٢٦٣)
(٦) الموافقات (٤/ ٧٤).

الفصل الخامس

مؤسسة الولاية فى عهد أمير المؤمنين

على بن أبى طالب رضى الله عنه

المبحث الأول

أقاليم الدولة

أولاً: مكة المكرمة:

توفى عثمان - رضى الله عنه - وعلى مكة خالد بن سعيد بن العاص، فأصدر على رضى الله عنه قرارًا بعزله وعين أبا قتادة الأنصارى واليًا على مكة[1]، ويبدو أن فترة ولايته قصيرة إذ إن عليًا رضى الله عنه عندما أراد الخروج من المدينة إلى العراق بعث قثم بن العباس[2] واليًا على مكة، وعزل أبا قتادة الأنصارى[3]، وبهذا فإن ولاية أبى قتادة استمرت قرابة الشهرين، ولم ترد عنها أخبار تذكر، ومعظم المصادر التى تحدثت عن ولاية قثم بن العباس على مكة ذكرت أن عليًا ولاه على مكة والطائف وأعمالها فى وقت واحد[4]، وما نقلت الأخبار عن مكة فى عهد خلافة على رضى الله عنه سوى ما يتعلق بموسم الحج ومن كان واليًا عليه، فعلى بن أبى طالب لم يرد أنه شهد الحج أثناء خلافته بسبب انشغاله بالفتن التى قامت فى أنحاء الدولة الإسلامية، حيث لم تستقر الأوضاع فيها، وكان خلال موسم الحج يبعث من يقود الحجيج، ويبدو أن قثم بن العباس أقام الحج بالناس سنة ٣٧ هـ فقط، بينما بعث على رضى الله عنه على الحج عبد الله بن العباس سنة ٣٦ هـ، وعبيد الله بن العباس سنة ٣٨ هـ[5]، مع وجود اختلاف بين المصادر فى سنة حج كل منهما، وأما سنة ٣٩ هـ فقد بعث معاوية أحد قواد الشام مع حجاج الشام وأمره أن يقيم الحج بالناس، فلما وصل إلى مكة تنازع مع (قثم بن عباس) وكاد أن يقع بينهما قتال لولا أن عمل بعض الصحابة بينهما بالصلح على أن يقيم الحج بالناس أحد بنى شيبة

(١) الولاية على البلدان (٢/ ٣)، تاريخ ابن خياط، ص (٢٠١). (٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٤٠).

(٣) تاريخ اليعقوبى (٢/ ١٧٩).

(٤) الكامل فى التاريخ (٣/ ٣٩٨)، الولاية على البلدان (٢/ ٤).

(٥) تاريخ خليفة، ص (١٩١، ١٩٢، ١٩٨)، الولاية على البلدان (٢/ ٤).

وانتهى الحج بسلام ولم يقع قتال(١)، وقد استمر قـثم بن العباس فى ولايته على مكة إلى أن قدم جيش معاوية بقيادة بسر بن أرطأة فـخرج منها قثم هاربًا خائفًا على نفسه، وبذلك انتـهت ولاية قـثم، وخرجت مكة من ولايـة على بن أبى طالب، وقـد بعث علىّ بعض أجناده لاستعادة مكة إلا أن استشهاد على رضى الله عنه حال دون إتمام المهمة(٢).

ثانيًا: المدينة النبوية:

كانت المدينة المنورة طيلة عـهد رسول الله ﷺ وخلفائه الثـلاثة من بعده عاصـمة الدولة الإسلامية، ويقيم فيها الخليفة، ويتولى شـئونها بنفسه أثناء وجوده، أما فى حالة السفر فإنه ينيب عليها من يتولى شئونها، وقد اختلف الوضع بعد مبايعة على رضى الله عنه بالخلافة، إذ دعته الحـالة العامة والارتبـاك الذى حدث بعد مقـتل عثمان إلى مـغادرة المدينة المنورة، خصـوصًا بعد خـروج طلحة والزبيـر وعائشة باتجـاه العراق قـبل موقعـة الجمل(٣)، وقد استـخلف على المدينة سهل بن حنيف الأنصـارى كما تـقول بعض الروايات(٤)، ولا نعلم المدة التى بقى فيها ابن حنيف واليًا على المدينة، والذى يبدو أن ولايته قد استمرت أكثر من سنة، فقد ورد أنه كان على المدينة سنة ٣٧ هـ(٥)، ثم ولى على تمام بن العباس على المدينة بعد أن عزل سهل بن حنيف، وقـد ولى على بن أبى طالب على المدينة بعد ذلك أبا أيوب الأنصارى الذى استـمر واليًا عليها إلى سنة ٤٠ هـ، حيث قـدم المدينة جيش من الشام من قـبل معـاوية بقـيادة بسـر بن أرطأة(٦)، ففـر أبو أيوب من المدينة، وتوجـه إلى على فى الكوفة(٧)، وبذلك خرجت المدينة من حكم على بن أبى طالب رضى الله عنه ودخلت فى حكم مـعاوية، وهـكذا تحولت المدينـة فى عهـد على من قـاعدة للـخلافـة إلى ولاية من الولايات، وأخذت الأحداث السياسية تدور بعيـدًا عنها، لذلك نجد المصادر التاريخية تكاد تهملها خلال تلك الفترة إلى أن استطاع جيش معاوية الاستيلاء عليها(٨).

(١) الولاية على البلدان (٢/ ٤)، تاريخ الطبرى (٦/ ٧٩).
(٢) تاريخ الطبرى (٦/ ٨٠) الولاية على البلدان (٢/ ٥).
(٣) تاريخ خليفة بن خياط، ص (١٨١)، الولاية على البلدان (٢/ ٢).
(٤) تاريخ ابن خياط، ص (١٨١، ٢٠١)، الولاية على البلدان (٢/ ٢).
(٥) تاريخ الطبرى (٦/ ٥٣)، الولاية على البلدان (٢/ ٢).
(٦) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٠٩)، الولاية على البلدان (٢/ ٢).
(٧) تاريخ الطبرى (٦/ ٨٠)، الكامل (٣/ ٣٧٣).
(٨) الولاية على البلدان (٢/ ٣).

ثالثًا: ولاية البحرين وعمان:

كانت البحرين حين توفى عثمان - رضى الله عنه - تابعة لإمارة البصرة، وكان ابن عامر يولى عليها من عماله، وفى عهد على رضى الله عنه عين علىٌّ على ولاية البحرين مجموعة من الأمراء كان من أهمهم عمر بن أبى سلمة[1] الذى خرج مع على من المدينة أثناء سفره إلى العراق، ثم بعثه على واليًا على البحرين[2]، لفترة من الوقت، ثم استدعاه على لمصاحبته فى العراق بعد ذلك، كما كان من عمال على فى البحرين قدامة بن العجلان الأنصارى[3]، والنعمان بن العجلان الأنصارى[4]، وكذلك ذكر من ولاته على البحرين عبيد الله بن العباس[5]، ويلاحظ أن عبيد الله بن عباس كان والى اليمن، فلعل البحرين ونجد كانتا تابعتين له فى تلك الفترة، وهذا يوحى به تعبير الطبرانى، كما أن تعبير خليفة ابن خياط يوحى بعدم معرفته لترتيب معين لهؤلاء الولاة[6]، وقد أوردت المصادر أسماء بعض العمال الذين وجههم على إلى عمان أحدهم والٍ والآخر قائد جند لإخماد إحدى الثورات التى قامت ضد على فى عمان[7]، وكذلك كان هنالك عامل على اليمامة[8]، ولعله خاضع لإشراف والى البحرين[9].

رابعًا: ولاية اليمن:

لما استشهد عثمان وبويع علىٌّ بالخلافة ولى على اليمن عبيد الله بن العباس، رضى الله عنهما[10]، وقد خرج ولاة عثمان من اليمن قبل وصول عبيد الله بن عباس إليها، واشترك بعضهم فى جيش الجمل مع طلحة والزبير وكان لهم دور فى تجهيز الجيش[11]، وقد كان عبيد الله بن عباس على صنعاء وأعمالها، كما كان معه فى الولاية سعيد بن سعد بن عبادة الأنصارى[12] على الجند ومخالفيها[13]. وكان مقتل عثمان له أثر بالغ على المسلمين فى اليمن، وأحس القوم بالامتعاض والتبرم من هذا الجرم، وبقى بعض اليمنيين لم يبايع

(١) تهذيب التهذيب (٧/ ٤٥٦).
(٢) الكامل (٣/ ٢٢٢)، الولاية على البلدان (٢/ ٥).
(٣) الولاية على البلدان (٢/ ٥).
(٤) الإصابة (٣/ ٥٦٢)، الولاية على البلدان (٢/ ٥).
(٥) تاريخ الطبرى (٦/ ٩٠).
(٦) الولاية على البلدان (٢/ ٦).
(٧) تاريخ اليعقوبى (٢/ ٩٥)، الولاية على البلدان (٢/ ٦).
(٨، ٩) الولاية على البلدان (٢/ ٦).
(١٠) تاريخ خليفة بن خياط ص (٦).
(١١) مروج الذهب للمسعودى (٢/ ٣٥٧)، الولاية على البلدان (٢/ ٦).
(١٢) الاستبصار لابن قدامة المقدسى، ص (٩٩)، الولاية على البلدان (٢/ ٦).
(١٣) الولاية على البلدان (٢/ ٦).

ويرغب فى قتل قتلة عثمان، رضى الله عنه، ولما تأخر هذا راسلوا معاوية بعد التحكيم، فأرسل بسر بن أبى أرطأة، فاستطاع أن يستولى على اليمن بفضل مساعدتهم، ولكن لفترة وجيزة[1]، حيث استطاع على استرجاعها من جيش معاوية، فأعاد عبيد الله بن عباس إلى ولايتها مرة أخرى، واستمر واليًا عليها إلى أن استشهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه[2].

وقد روى أن بسرًا قتل ابنين لعبيد الله بن عباس وبعض أنصار على هناك، ثم رجع إلى الشام، وكان أمير المؤمنين قد وجه جارية بن قدامة السعدى، قيل: ففعل مثلما فعل بسر وقتل بعض محبى عثمان فى اليمن[3]، قال ابن كثير: وهذا الخبر مشهور عند أهل السير وفى صحته عندى نظر[4]، ولاشك أن قتل الأبرياء لم يحصل فى تلك المرحلة حتى فى أيام البصرة وصفين عندما قامت الحرب بين الطرفين، فكيف يقتل الأطفال والأبرياء فى مرحلة الهدنة، لذلك لا يمكن قبول هذه الأعراف المناقضة لأعراف المسلمين وقيمهم ودينهم[5].

خامسًا: ولاية الشام:

كان معاوية، رضى الله عنه، واليًا على الشام فى عهدى عمر وعثمان، رضى الله عنهما، ولما تولى على الخلافة أراد عزله وتولية عبد الله بن عمر فأبى عليه عبد الله بن عمر قبول ولاية الشام، واعتذر فى ذلك، وذكر له القرابة والمصاهرة التى بينهم[6]، ولم يلزمه أمير المؤمنين على وقبل منه طلبه بعدم الذهاب إلى الشام، وأما الروايات التى تزعم أن عليًا قام بالتهجم على عبد الله بن عمر، رضى الله عنه، لاعتزاله وعدم وقوفه إلى جانبه، ففى ذلك الخبر تحريف وكذب[7]، وأقصى ما وصل إليه الأمر فى قضية عبد الله بن عمر وولاية الشام ما رواه الذهبى من طريق سفيان بن عيينة، عن عمر بن نافع عن أبيه عن ابن عمر قال: بعث إلىَّ على قال: يا أبا عبد الرحمن إنك رجل مطاع فى أهل الشام، فسر فقد أمرتك عليهم، فقلت: أذكرك الله وقرابتى من رسول الله وصحبتى إياه، إلا ما أعفيتنى فأبى على، فاستعنت بحفصة فأبى، فخرجت ليلاً إلى مكة[8]، وهذا دليل قاطع على

(١) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على، ص (١٠٩).
(٢) تاريخ الطبرى (٦/ ٨٠، ٨١)، الولاية على البلدان (٢/ ٧).
(٣) تاريخ الطبرى (٦/ ٥٥).
(٤) البداية والنهاية (٧/ ٣٣٤).
(٥) الإنصاف د. حامد، ص (٥٧٥).
(٦) المصنف لابن أبى شيبة (٧/ ٤٧٢) إسناده صحيح.
(٧) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، خالد الغيث، ص (١٦٠).
(٨) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٢٤) رجاله ثقات.

مبايعة ابن عمر، ودخوله فى الطاعة، إذ كـيف يوليه على وهو لم يبايع؟. وفى الاستيعاب لابن عبد البر من طريق أبى بكر بن أبى الجهم عن ابن عمـر أنه قال حين احتضر: ما آسى على شيء إلا تركى قتال الفئـة الباغية مع على رضى الله عنه[1]، وهذا مما يدل أيضًا على مبايعته لعلى، وأنه إنما ندم على عدم خروجه مـع على للقتال، فإنه كان ممن اعتزل الفتنة، فلم يقاتل مع أحد، ولو كان قد ترك البيـعة لكان ندمه على ذلك أكبر وأعظم ولصرح به، فإن لزوم البيعة والدخول فيها واجب، والتخلف عن ذلك متوعد عليه برواية ابن عمر نفسه أن النبى ﷺ قال: «من مات وليس فى عنقه بيعة مـات ميتة جاهلية»[2]. وهذا بخلاف الخروج للقتال مع على، فإنه مختلف فيه بين الصحابة، وقد اعتزله بعض الصحابة، فكيف يتصور أن يندم ابن عمر على ترك هذا القتال، ولا يندم على ترك البيـعة لو كان تاركًا لها، مع ما فيـه من الوعيد الشديد، وبهـذا يظهر بطلان قول بعض المؤرخين فى زعـمهم من ترك ابن عمر البيعة لعلى - رضى الله عنهـما - حيث ثبت أنه كان من المبايعين له بل المقربين منه، الذين كان يحـرص على توليتهم، والاستـعانة بهم، لما رأى فيـه من صدق الولاء والنصح له[3].

وبعد اعتذار ابـن عمر عن قبول ولاية الشام، أرسل أمـير المؤمنين علىٌّ سهل بن حنيف بدلاً منه، إلا أنه ما كـاد يصل مشارف الشام حـتى أخذته خيل معاويـة وقالوا له: إن كان بعثك عثمـان فحيهلا بك وإن كان بعـثك غيره فارجع[4]، وكانت بلاد الشام تغلى غضبًا على مقـتل عثمـان ظلمًا وعدوانًا، فـقد وصلهم قميـصه مخـضبًا بدمـائه، وبأصابع نائلة زوجه، التى قطعت أصابعهـا وهى تدافع عنه، وكانت قصة استشهاده أليـمة فظيعة اهتزت لها المشاعر، وتأثرت بها القلوب، وذرفت منها الدموع، كما وصلتهم أخبار المدينة وسيطرة الغوغاء عليها، وهروب بنى أمية إلى مكة، كل هذه الأمور وغيرها من الأحداث والعوامل كان لها تأثير على أهل الشام وعلى رأسهم معاوية، رضى الله عنه، فقال كان يرى أن عليه مسئولية الانتصار لعثمـان والقود من قاتليه فهو ولى دمه، والله عز وجل يقول: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣]، لذلك جمع معاوية الناس، وخطبـهم بشأن عثمان وأنه قُتل ظلمًا وعدوانا على يد سـفهاء منافقين لم يقـدروا الدم الحـرام؛ إذ سفكوه فى الـشهـر الحـرام، فى البلد الحـرام، فثـار الناس،

(١) الاستيعاب (٦/ ٣٢٦) بحاشية كتاب الإصابة. (٢) مسلم. ك الإمارة رقم (١٨٥١).
(٣) الانتصار للصحب والآل، ص (٥٠٧).
(٤) تهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٣٩)، خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على، ص (١١٠).

واستنكروا وعلت الأصوات، وكان منهم عدد من أصحاب رسول الله ﷺ، فقام أحدهم واسمه مرة بن كعب فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما تكلمت، وذكر الفتن فقربها، فمر رجل متقنع فى ثوب، فقال: «هذا يومئذ على الهدى»، فقمت إليه، فإذا هو عثمان بن عفان فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال: نعم[1]. وهناك حديث آخر له تأثيره فى طلب معاوية القود من قتلة عثمان وكان منشطًا ودافعًا قويًا للتصميم على تحقيق الهدف، وهو عن النعمان بن بشير عن عائشة رضى الله عنها قالت: أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن عفان فجاء فأقبل عليه رسول الله ﷺ، فكان من آخر كلمة أن ضرب منكبه فقال: «يا عثمان، إن الله عسى أن يلبسك قميصًا فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى» قالها ثلاثًا، فقلت لها: يا أم المؤمنين فأين كان هذا عنك؟ قالت: نسيته والله ما ذكرته، قال: فأخبرته معاوية بن أبى سفيان فلم يرض بالذى أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين أن اكتبى إلى به، فكتبت إليه به كتابًا[2]. كان الحرص الشديد على تنفيذ حكم الله فى القتلة السبب الرئيسى فى رفض أهل الشام بزعامة معاوية بن أبى سفيان بيعة على بن أبى طالب بالخلافة، وليست لأطماع معاوية فى ولاية الشام، أو طلبه ما ليس له بحق؛ إذ كان يدرك إدراكًا تامًا أن هذا الأمر فى بقية الستة من أهل الشورى، وأن عليًا أفضل منه وأولى بالأمر[3]، ودليل ذلك ما أخرجه يحيى بن سليمان الجعفى بسند جيد، عن أبى مسلم الخولانى أنه قال لمعاوية: أنت تنازع عليًا، أم أنت مثله؟ فقال: لا والله إنى لأعلم أنه أفضل منى، وأحق بالأمر منى، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلومًا، وأنا ابن عمه، والطالب بدمه، فأتوه، فقولوا له: فليدفع إلىَّ قتلة عثمان، وأسلم له، فأتوا عليًا، فكلموه، فلم يدفعهم إليه[4]، وفى رواية: فأتوه فكلموه فقال: يدخل فى البيعة ويحاكمهم إلىَّ، فامتنع معاوية[5]، وأما الروايات التى تصور معاوية فى خروجه عن طاعة على بسبب أطماع ذاتية وأطماع دنيوية، وبسبب العداء والتنافس الجاهلى القديم بين بنى هاشم وبنى أمية، وغير ذلك من القذف والافتراءات والطعن على أصحاب رسول الله ﷺ، مما اعتمد عليها الكتاب المعاصرون - كالعقاد فى عبقرية على، وعبد العزيز الدورى فى مقدمة فى

(١) صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٢٤).

(٢) مسند أحمد، باقى مسند الأنصار رقم (٢٤٠٤٥)، حديث صحيح.

(٣) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على، ص (١١٢).

(٤) فتح البارى (١٣/ ٩٢)، البداية والنهاية (٨/ ١٢٩).

(٥) فتح البارى (١٣/ ٩٢)، استشهاد عثمان، ص (١٦٠).

تاريخ صدر الإسلام - وبنوا عليها تخيلاتهم الباطلة، فهي روايات متروكة مطعون في رواتها عدلاً وضبطًا[1].

وقد استمرت ولاية الشام تابعة لنفوذ معاوية بن أبي سفيان طيلة خلافة علي رضي الله عنه، ولم يتمكن علي من السيطرة عليها أو تعيين العمال والأمراء فيها، وقد وقعت في الشرق من بلاد الشام بعض المناوشات بين جند علي وجند معاوية كان أهمها موقعة (صفين) والتي شهدها علي ومعاوية رضي الله عنهما في سنة ٣٧ هـ، ولم تمنع هذه المعارك من استمرار سيطرة معاوية على الشام[2].

سادسًا: ولاية الجزيرة:

كانت الجزيرة إحدى الولايات التابعة للشام أيام عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وبعد استشهاده كانت الشام بيد معاوية، والعراق بيد علي، مما جعل الجزيرة محل تنازع بين الفريقين، نظرًا لموقعها الجغرافي واتصالها بالشام من جهة وبالعراق من جهة أخرى[3]، وبالتالي سهولة السيطرة عليها من كلا الجانبين، وقد وقعت في الجزيرة العديد من المعارك بين أجناد علي وأجناد معاوية في محاولة من كلا الطرفين للسيطرة عليها، ويبدو أن عليًا استطاع السيطرة عليها[4]، لفترة من الوقت، وعين عليها «الأشتر» وهو أشهر ولاة علي في الجزيرة[5]، حيث ولاه عليها لأكثر من مرة، فاستطاع أن يرتب أمورها، ثم اضطر علي رضي الله عنه لنقله لولاية مصر وذلك في سنة ٣٨ هـ[6]، فعاد الاضطراب مرة أخرى إلى الجزيرة، ونشط معاوية في الاستيلاء عليها بعد ذلك، فوقعت فيها العديد من المعارك[7]، ويبدو أن معاوية استطاع في أواخر سنة ٣٩ هـ أن يسيطر إلى حد ما على الجزيرة[8]، وقد كانت ملجأ لبعض المعتزلين للحرب بين علي ومعاوية وهم الذين لم يبايعوا أيامها أثناء النزاع الناشب بينهما[9]، ولعل موقعها في المنتصف بين الطرفين هو الذي دفعهم لاختيارها، وقد وردت أسماء بعض من ولي الجزيرة لعلي ومنهم شبيب بن عامر[10]، وكميل بن زياد، وكان لهما دور في مقاومة جيوش الشام التي هاجمت الجزيرة بل إنهما استطاعا الهجوم على الشام من قبل الجزيرة[11].

---

(١) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي، ص (١١٢).
(٢) الولاية على البلدان (٢/ ٨).
(٣) معجم البلدان (٢/ ١٣٥).
(٤) الأخبار الطوال للدينوري، ص(١٥٤)، الولاية على البلدان (٢/ ٨).
(٥) تاريخ خليفة بن خياط، ص (٢٠٠).
(٦) تاريخ الطبري (٦/ ٥٤).
(٧) الفتوح لابن أعثم الكوفي (٤/ ٤٥)، الكامل (٣/ ٣٧٩).
(٨) الكامل (٣/ ٣٨٠).
(٩) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤١٤).
(١٠) الولاية على البلدان (٢/ ٩).
(١١) الفتوح، لابن أعثم الكوفي (٤/ ٥٠ - ٥٢)، تاريخ الطبري (٦/ ١٩).

سابعًا: ولاية مصر:

استشـهد عثمان، رضى الله عنه، وعلى مـصر محمد بـن أبى حذيفة مغتـصبًا للولاية فيها، ولم يقـره عثمان عليها، وبعـد وفاة عثمان أقره علىٌّ على مصـر فترة من الوقت لم تطل، حيث وجه معاوية جيشًا إلى نواحى مصر فظفر بمحمد بن أبى حذيفة فقبض عليه ثم سجن وقتل[١]، وقد ذكر أن عليًا لم يعين محمد بن أبى حذيفة على مصر وإنما تركه على حاله حتى إذا قـتل عين علىٌّ قيس بن سعد الأنصـارى على ولاية مصر[٢]، فقال له: سر إلى مصر وليتكهـا، واخرج إلى رحلك واجمع إليه ثقاتك ومن أحبـبت أن يصحبك حتى تأتيهـا ومعك جند، فإن ذلك أرعب لعـدوك وأعز لوليك، فإذا أنت قـدمتهـا إن شاء الله فأحسن إلى المحـسن واشتد على المريب، وارفق بالعامة والخـاصة، فإن الرفق يمن[٣]، وقد ظهر ذكاء قيس وحسن تصرفه فى العديد من المواقف، فـإنه حين توجه إلى مصر كان فيها مجموعة ممن غـضبوا لمقتل عثمان، ومجـموعة ممن اشتركوا فى قتله، ولقد لقـيته خيل من مصر قبل دخوله إليهـا فقالوا: من أنت؟ قال: من فألة[٤] عثمان، فأنا أطلب من أوى إليه فأنتصر به لله، قـالوا: من أنت؟ قال: قيس بن سعد، قالوا: امض فـمضى حتى دخل[٥] مصر. وهذا الموقف لقـيس هو الذى مكنه من دخول مصر، ثم أعلن بعـد ذلك أنه أمير، وربما لو أنه أعلن لهـؤلاء الأجناد أنه أمير لمنعـوه من دخول مصـر أصلاً، كمـا حدث لمن وجهه على إلى الشام فـمنعته أجناد الشام من دخولها حينما علمـوا أنه قد بعث أميرًا على الشام[٦]، وحينما وصل قيس بن سعد إلى الفسطاط صعد المنبر وخطب فى أهل مصر وقرأ عليهم كتابًا من على بن أبى طالـب رضى الله عنه وطلب البيعة لعلى[٧]، وهنا انقسم أهل مصـر إلى فريقين: فريق دخل فى بيعـة على وبايعوا قيـسًا، وفريق توقف واعتـزل، وكان قيس بن سعد حكيمًا مع الذين بايعوا والذين امـتنعوا، حيث لم يجبرهم على البيعة وكف عنهم وتركهـم فى حالهم[٨]، ولم يكتف بذلك، بل إنه بعث لهـؤلاء أعطياتهم فى مكان

---

(١) ولاة مصر للكندى، ص (٤٢، ٤٣)، الولاية على البلدان (٢/ ٩).

(٢) ولاة مصر، ص (٤٤)، النجوم الزاهرة (١/ ٩٤).

(٣) الكامل فى التاريخ (٢/ ٣٥٤).

(٤) الفألة: الجماعة المنهزمون، لسان العرب (١١/ ٥٣١).

(٥) الولاية على البلدان (٢/ ١٠) نقلاً عن نهاية الأرب فى تاريخ العرب للنويرى.

(٦) تهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٣٩).

(٧) الكامل فى التاريخ (٢/ ٣٥٤).

(٨) ولاة مصر، ص (٤٤)، الكامل فى التاريخ (٢/ ٣٥٤).

اعتزالهم، ووفد عليه قوم منـهم فأكرمهم وأحسن إليهم[1]، فساعدت تلك المعاملة الطيبة على تجنب الصدام بهم، وبالتالى ساعدته على تهدئة الأوضاع بمصر، حتى استطاع قيس أن ينظم الأمـور فيهـا، فوزع الأمـراء ونظم أمور الخـراج، وعين رجالات على الشـرطة[2]، وبذلك استطاع أن يرتب ولاية مصر، وأن يسترضى جميع الأطراف فيها[3]، وأصبح قيس ابن سعد فى هذا الموقع يشكل ثقلاً سياسيًـا وخطرًا عسكريًا على معاوية بن أبى سفيان فى الشام، نظرًا لقرب مصر من الشام، ولترتيب قيس لهـا وتنظيمها، وما اشتهر عن قيس من حزم، وخوف مـعاوية من حركات عـسكرية مناوئة له تخرج من مصر، ولـذلك فإنه أخذ يراسل قيس بن سعد فى مصر مهددًا له، وفى الـوقت نفسه يحاول إغراءه بالانضمام إليه، وكانت إجـابات قيس على تلك الرسائل إجـابات ذكية بحـيث لم يستطع معـاوية أن يفهم موقف قـيس وما ينوى عـمله، وقد تعـددت بينهمـا الرسائل[4]، وقد انتـشرت الروايات الرافضيــة من الرسائل بين معاوية وقـيس بن سعد التى ذكرها أبو مخنـف فى كتب التاريخ وهى باطلة لا تصح، فقد انفرد بها هذا الرافضى التالف الذى ضعفه رجال الجرح والتعديل بها، وفى متن تلك الرواية غرائب من أبرزها ما يلى:

١- خطاب على إلى أهل مصر مع قـيس بن سعد وفيه: ثم ولى بعدهـما والٍ فأحدث أحداثًا فوجدت عليه الأمة مقالاً فقـالوا: ثم نقموا عليه فغيروا، وهذا يعنى أن الذين قاموا على عثـمان (رضى الله عنه) رجال الأمـة، وأن الأمة قد غيـرت هذا المنكر بقتل عثـمان، وعلى رضى الله عنه برئ من هذا القول، وهو يعلم أن الذين قتلوا عثمان هم أوباش الناس وأن قتله ظلم وفـجور، وأقواله تدل على ذلك، ومنها مـا رواه ابن عساكر أن مـحمد ابن الحنفية قال: ما سمعت عليا ذاكرًا عثمان بسوء قط[5]، وأخرج الحاكم وابن عساكر أن عليًا رضى الله عنه قال: اللهم إنى أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلى يوم قتل عثمان، وأنكرت نفسى، وجـاءونى للبيعـة فقلت: والله إنى لأسـتحى من الله أن أبايع قومًـا قتلوا رجلاً قال له رسول الله ﷺ: **«ألا أستحى ممن تستحى منه الملائكة»**، وإنى لأستحى من الله أن أبايع وعثـمان قتيل على الأرض لم يدفن بعـد، فانصرفوا فلمـا دُفن رجع الناس يسألوننى البيعـة، فقلت: اللهم إنى مشـفق مما أقدم عليه، جاءت عـزيمة فبايعت، فلما قـالوا: أمير

(١) ولاة مصر، ص (٤٤).
(٢) الولاية على البلدان (٢/ ١١)، النجوم الزاهرة (١/ ٩٨).
(٣) الولاية على البلدان (٢/ ١١).
(٤) الكامل (٢/ ٣٥٥)، الولاية على البلدان (٢/ ١١).
(٥) تاريخ ابن عسـاكر، ترجمة عثمان، ص (٣٩٥).

المؤمنين فكأن صدع قلبي وانسكب[١] بعبرة. وأقواله في هذا المعنى كثيرة[٢]، وقد جمعتها في كتابي: تيسير الكريم المنان في سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان[٣].

٢- قول قيس بن سعد: أيها الناس إنا قد بايعنا خير ما نعلم بعد نبينا ﷺ. وهذا مردود، إذ إن الثابت تفضيل أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) على علي رضي الله عنه كما صح بذلك، وهذا لا يشك فيه أحد في ذلك الزمان من الصحابة وغيرهم، وعليه فلا يصح نسبة هذا الكلام لقيس بن سعد، رضي الله عنه، ولا لغيره من الصحابة والتابعين، ولم يشتهر هذا إلا عند الشيعة الروافض المتأخرين[٤]، قال ابن تيمية: الشيعة المتقدمون كلهم متفقون على تفضيل أبي بكر وعمر[٥]، والأدلة في تفضيل أبي بكر وعمر كثيرة منها ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ، فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان[٦].

والأحاديث في ذلك كثيرة[٧] ومشهورة، وحقيقة الأمر كما مر معنا في الروايات الصحيحة السابقة أن معاوية طلب من أمير المؤمنين تسليمه قتلة عثمان ولم يتهم أمير المؤمنين عليًا به.

٣- رسالة معاوية إلى قيس بن سعد: وإشارته إلى كون علي طرفًا في قتل عثمان، وهذا لا يصح صدوره من معاوية، ذلك أن الأمر واضح في براءة علي (رضي الله عنه) كما مر في الفقرة السابقة، وهذا لا يجهله معاوية (رضي الله عنه)، فضلاً أن يقره لقيس ابن سعد (رضي الله عنهما)، وهذا محمد بن سيرين من كبار التابعين ومن الذين عاصروا ذلك المجتمع يقول: لقد قتل عثمان وما أعلم أحدًا يتهم عليًا في قتله[٨]، ويقول أيضًا: لقد قتل عثمان يوم قتل وإن الدار يومئذ لغاصة، فيهم عبد الله بن عمر، وفيهم الحسن بن علي في عنقه السيف، ولكن عثمان عزم عليهم أن لا يقاتلوا[٩]، وأخرج ابن أبي شيبة بسند رجاله ثقات عن محمد ابن الحنفية أن عليًا قال: لعن الله قتلة عثمان في السهل

(١) المستدرك (٣/ ٩٥، ١٠٣) صحيح على شرط الشيخين.

(٢) مرويات أبي مخنف، د. يحيى اليحيى، ص (٢١١).

(٣) عثمان بن عفان للصلابي، ص (٤٠٧ - ٤٠٩).

(٤) مرويات أبي مخنف، ص (٢١١).

(٥) منهاج السنة (١/ ٤، ٢١١١).

(٦) البخاري رقم (٣٦٩٧).

(٧) مرويات أبي مخنف، ص (٢١٢).

(٨) تاريخ ابن عساكر، ترجمة عثمان، ص ٣٥، مرويات أبي مخنف، ص (٢١٢).

(٩) تاريخ ابن عساكر، ترجمة عثمان، ص (٣٥٠).

والجبل والبر والبحر[١]، والنصوص فى هذا المعنى كثيرة جدًا[٢]، مما يؤكد اشتهار كراهية على رضى الله عنه لقتل عثمان[٣].

٤-وأما ما أورده من اتهام معاوية للأنصار فى دم عثمان، فهذا لا يصح من معاوية وهو يعلم أن الذى قام بالدفاع جميعًا هم الأنصار، فقد أخرج ابن سعد بسند صحيح أن زيد بن ثابت، رضى الله عنه، جاء إلى عثمان، رضى الله عنه، وهو محصور فقال: هذه الأنصار بالباب يقولون: إن شئت كنا أنصار الله مرتين، قال: فقال عثمان: أما القتال فلا[٤].

٥- ما ذكره من اختلاق معاوية كتابًا على لسان قيس بن سعد، فهذا من الكذب الذى لا يعقل صدوره من معاوية، ذلك أن العرب كانوا يعدون الكذب من أقبح الصفات التى يتنزه عنها الرجال الكرام، وهذه قصة أبى سفيان وهو يومئذ على الشرك فيما أخرجه البخارى فى قصة سؤال هرقل عن رسول الله ﷺ يقول أبو سفيان: فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علىَّ كذبًا لكذبت عليه[٥]، فهذه منزلة الكذب عند العرب، وعند المسلمين أشد وأخزى، ولا يقول قائل: هذه خدعة، والحرب خدعة، فإن الخدعة ليس معناها الكذب كما هو معلوم من كلام العرب، ومعاوية، رضى الله عنه، أحذق من أن يفعل هذا[٦].

٦-رواية هذه الكتب الكثيرة بين قيس ومعاوية وعلى رضى الله عنهم بهذا التسلسل وبهذه الدقة تدخل الشك والريبة على القارئ لجهالة المطلع والناقل لها[٧].

يقول الدكتور يحيى اليحيى: إن ولاية قيس بن سعد بن عبادة، رضى الله عنهما، على مصر من قبل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه أمر مجمع عليه[٨]، وكل من ترجم لقيس لم يذكر هذه التفاصيل[٩]، أى التى ذكرها أبو مخنف فى روايته، وحتى مؤرخو مصر المعتبرون لم يذكروا ذلك[١٠]، هذا وقد نقل رواية أبى مخنف من الطبرى بعد حذف واختصار كل من: ابن الأثير، وابن كثير، وابن خلدون، وابن تغرى بردى[١١]،

(١) المصنف (١٥/ ٢٦٨).

(٢) نقل ابن عساكر نصوصًا كثيرة تبين نصرة على لعثمان، ترجمة عثمان، ص (٣٩٥).

(٣) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى، ص (٢١٣).

(٤) الطبقات (٣/ ٧٠) سنده صحيح.

(٥) البخارى رقم (٧).

(٦) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى، ص (٢١٤).

(٧) المصدر نفسه، ص (٢١٤).

(٨) تاريخ خليفة، ص (٢٠١)، فتوح مصر (٢٧٤)، ولاة مصر (٤٤٠)، سير أعلام النبلاء (٣/ ١٣).

(٩) طبقات ابن سعد (٦/ ٥٢)، تاريخ بغداد (١/ ١٧٧)، سير أعلام النبلاء (٣/ ١٠٢).

(١٠) فتوح مصر، وولاة مصر مرويات أبى مخنف، ص (٢٠٧).

(١١) تاريخ ابن خلدون (٤/ ١٠٩٢)، النجوم الزاهرة (١/ ٩٧)، البداية والنهاية (٧/ ٢٥١).

وقد أخرج الكندى أيضًا عن عبد الكريم بن الحارث قال: لما ثقل مكان قيس على معاوية كتب إلى بعض بنى أمية بالمدينة: أن جزى الله قيس بن سعد خيرًا واكتموا ذلك، فإنى أخاف أن يعزله على إن بلغه ما بينه وبين شيعتنا، حتى بلغ عليًا فقال من معه من رؤساء أهل العراق وأهل المدينة: بدل قيس وتحول، فقال على: ويحكم، إنه لم يفعل، فدعونى، قالوا: لتعزلنه فإنه قد بدل، فلم يزالوا به حتى كتب إليه: إنى قد احتجت إلى قربك، فاستخلف على عملك واقدم[1]، وقد رجح هذه الرواية الدكتور اليحيى فى كتابه القيم مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى قال:

١- إنها من رواية مصرى ثقة وهو أعلم بقطره من غيره.

٢- أخرجها مؤرخ مصرى.

٣- خلوها من الغرائب.

٤- متنها مما يتفق مع سيرة أولئك الرجال.

٥- بينت تردد على فى عزل قيس حتى ألح عليه الناس فاستبقاه عنده، وهكذا القائد لا يفرط بالقيادات الحاذقة وقت المحن[2].

- تعيين محمد بن أبى بكر على ولاية مصر: تدخل بعض الناس للإفساد بين على وقيس ابن سعد لكى يعزله، وفى نهاية المطاف طلب بعض مستشارى على منه أن يعزل قيسًا وصدقوا تلك الإشاعات التى قيلت فيه، وألحوا فى عزله، فكتب إليه على: إنى قد احتجت إلى قربك فاستخلف على عملك واقدم[3]. وكان هذا الكتاب بمثابة عزل لقيس عن ولاية مصر، وقد عين على مكانه الأشتر النخعى[4]، على أكثر الأقوال، وقد التقى على بالأشتر قبل سفره إلى مصر، فحدثه حديث أهل مصر وخبره خبر أهلها، وقال: ليس لها غيرك، اخرج رحمك الله فإنى إن لم أوصك اكتفيت برأيك، واستعن بالله على ما أهمك؛ فاخلط الشدة باللين، وارفق ما كان الرفق أبلغ، واعزم بالشدة حين لا يغنى عنك إلا الشدة[5]، وقد توجه الأشتر إلى مصر ومعه رهط من أصحابه، إلا أنه حينما وصل إلى أطراف (بحر القلزم) - البحر الأحمر - مات قبل أن يدخل مصر، وقد قيل إنه سقى شربة

---

(١) ولاة مصر، ص (٤٥، ٤٦) وفيها المدائنى وهو صدوق وبقية رجالها ثقات إلا أنها مرسلة.

(٢) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى، ص (٢١٠).

(٣) ولاة مصر (٤٥، ٤٦).

(٤) فتوح البلدان، ص (٢٢٩)، الولاية على البلدان (٢/ ١٢).

(٥) النجوم الزاهرة (١/ ١٠٣).

مسمومة من عسل فمات منها، وقد اتهم أناس من أهل الخراج أنهم سموه بتحريض من معاوية[١]، والتهمة الموجهة إلى معاوية فى قتل الأشتر بالسم لا تثبت من طريق صحيح. واستبعد ذلك ابن كثير[٢]، وابن خلدون[٣]، وسار على نهجهما الدكتور يحيى اليحيى[٤]، وملت إلى هذا القول.

هذا وقد مات الأشتر قبل أن يباشر عمله فى مصر، ومع ذلك فإن المصادر تتحدث عنه كأحد ولاة مصر لعلى بن أبى طالب، وقد ولى بعده على مصر محمد بن أبى بكر[٥]. وقد سبق لمحمد بن أبى بكر أن عاش فى مصر فى عهد عثمان، وتدل الروايات على أن محمد بن أبى بكر قد وصل إلى مصر قبل أن يغادرها الوالى الأول قيس بن سعد، وقد دارت محاورة بين قيس بن سعد ومحمد بن أبى بكر قدم فيها قيس عدة نصائح لمحمد، خصوصًا فيما يتعلق بالناس الغاضبين لمقتل عثمان، والذين لم يبايعوا عليًا بعده، وقد قال قيس: يا أبا القاسم إنك قد جئت من عند أمير المؤمنين وليس عزله إياى بمانعى أن أنصح لك وله، وأنا من أمركم هذا على بصيرة، ودع هؤلاء القوم ومن انضم إليهم - يقصد الذين لم يبايعوا عليًا ولا غيره - على ما هم عليه، فإن أتوك فاقبلهم وإن تخلفوا عنك فلا تطلبهم، وأنزل الناس على قدر منازلهم وإن استطعت أن تعود المرضى وتشهد الجنائز فافعل، فإن هذا لا ينقصك[٦].

وقد حمل محمد معه عهدًا من على رضى الله عنه فقرأه على أهل مصر وخطبهم[٧]، وقد كتب أمير المؤمنين على لمحمد بن أبى بكر كتابًا جاءه عندما ولاه على مصر، ولم يكن هذا الكتاب مقتصرًا على سياسة الولاية، بل يحوى دعوة محمد بن أبى بكر الصديق إلى الله، ومما جاء فى هذا الكتاب: واعلم يا محمد أنك وإن كنت محتاجًا إلى نصيبك من الدنيا، إلا أنك إلى نصيبك من الآخرة أحوج، فإن عرض لك أمران: أحدهما للآخرة والآخر للدنيا، فابدأ بأمر الآخرة، ولتعظم رغبتك فى الخير، ولتحسن فيه نيتك، فإن الله عز وجل يعطى العبد على قدر نيته، وإذا أحب الخير وأهله ولم يعمله كان - إن شاء الله - كمن عمله، فإن رسول الله ﷺ قال حين رجع من تبوك: «إن بالمدينة لأقوامًا ما سرتم من

(١) النجوم الزاهرة (١/ ١٠٤)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٤).
(٢) البداية والنهاية (٨/ ٣٠٣).
(٣) تاريخ ابن خلدون (٤/ ١١٢٥).
(٤) مرويات أبى مخنف، ص (٢٢٤).
(٥) النجوم الزاهرة (١/ ١٠٦).
(٦) ولاة مصر، ص (٥٠)، الولاية على البلدان (٢/ ١٣).
(٧) الكامل فى التاريخ (٢/ ٣٥٦).

مسير، ولا هبطتم من واد إلا كانوا معكم، ما حبسهم إلا المرض. يقول: كانت لهم نية»[1]، ثم اعلم يا محمد أني قد وليتك أعظم أجنادي: أهل مصر ووليتك ما وليتك من أمر الناس، فأنت محقوق أن تخاف فيه على نفسك وتحذر فيه على دينك، ولو كان ساعة من نهار، فإن استطعت أن لا تسخط ربك لرضا أحد من خلقه منه، فاشتد على الظالم، ولِنْ لأهل الخير وقربهم إليك واجعلهم بطانتك، وإخوانك، والسلام[2].

وبدأ محمد بن أبي بكر يمارس ولايته، وقد مضى الشهر الأول من ولايته بسلام، إلا أن الأمور بدأت تتغير بعد ذلك، فلم يعمل محمد بنصيحة قيس بن سعد، وبدأ يتحرش بأولئك الأقوام الذين لم يبايعوا عليًا، فكتب إليهم يدعوهم إلى المبايعة فلم يجيبوه، فبعث رجالاً إلى بعض دورهم فهدموها ونهب أموالهم وسجن بعض ذراريهم، فعملوا على محاربته[3]، ثم إن معاوية أعد جيشًا بقيادة عمرو بن العاص فغزا به مصر، وتحالف مع من قاتلهم محمد بن أبي بكر، وكانت قوتهم كبيرة تصل إلى عشرة آلاف مقاتل وفيهم مسلمة ابن مخلد ومعاوية بن حديج[4] ووقعت بينهم وبين محمد بن أبي بكر معارك قوية انتهت بمقتل محمد بن أبي بكر واستيلاء أجناد معاوية على مصر، وبذلك خرجت مصر من حكم علي بن أبي طالب رضي الله عنه سنة ثمان وثلاثين للهجرة[5]، وقد انفرد أبو مخنف الشيعي الرافضي برواية مفصلة ذكرها الطبري[6]، شوهت كثيرًا من حقائق التاريخ والتي لم يخرجها غيره ثم ذكرها بعض المؤرخين على النحو التالي:

اليعقوبي: ذكر قتال عمرو بن العاص لمحمد بن أبي بكر، وأن معاوية بن حديج أخذه وقتله ثم وضعه في جيفة حمار فأحرقه[7]، وأما المسعودي[8]، وابن حبان[9]، فقد أشارا إلى قتل محمد بن أبي بكر ولم يذكرا التفاصيل[10]، ونقل ابن الأثير[11] رواية أبي مخنف في الطبري بعدما حذف منها كتاب معاوية إلى محمد بن أبي بكر، ونص المكاتبات بين علي وابن أبي بكر، وحذف رد ابن أبي بكر على معاوية وعمرو بن العاص، من رواية أبي مخنف في الطبري.

(١) له أصل في صحيح مسلم، ك الإمارة (٣/١٥١٨).
(٢) تاريخ الطبري، منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص (٢٨٢).
(٣) الكامل في التاريخ (٢/٣٥٧)، الولاية على البلدان (٢/١٣).
(٤) تاريخ الطبري (٦/١١).
(٥) تاريخ خليفة بن خياط، ص (١٩)، تاريخ الطبري (٦/٥).
(٦) تاريخ الطبري (٦/٧ إلى ١٨).
(٧) تاريخ اليعقوبي (٢/١٩٤).
(٨) مروج الذهب (٢/٤٢٠).
(٩) الثقات (٢/٢٩٧).
(١٠) مرويات أبي مخنف ص (٢٤١).
(١١) الكامل (٢/٤٠٩ إلى ٤١٤).

وقد ذكر النويرى نحواً مما ذكره ابن الأثير[1]، وذكر ابن كثير قريبًا مما ذكره ابن الأثير والنويرى، وأما ابن خلدون فأشار إلى معنى روايات أبى مخنف[2]، واختصر ابن تغرى بردى روايات أبى مخنف[3]، وكل هذه الروايات جاءت من طريق أبى مخنف وساهمت فى تشويه التاريخ الإسلامى لتلك الحقبة، وتناقلها الكتاب المعاصرون دون تمحيص وساهموا فى نشرها، واستقرت كثير من تلك الأكاذيب فى أذهان بعض المثقفين، فأصبحت جزءًا لا يتجزأ من ضمن سلسلة المفاهيم المغلوطة التى نشروها بين الناس.

هذا وإن قتل معاوية بن حديج لمحمد بن أبى بكر قد ثبت من طريق صحيح فيما أخرجه أبو عوانة عن عبد الرحمن بن شماسة قال: دخلت على عائشة أم المؤمنين فقالت لى: ممن أنت؟ قلت: من أهل مصر، قالت: كيف وجدتم ابن حديج فى غزاتكم هذه؟ فقلت: وجدناه خير أمير، ما مات لرجل منا عبد إلا أعطاه عبدًا، ولا بعير إلا أعطاه بعيرًا، ولا فرس إلا أعطاه فرسًا، قالت: أما إنه لا يمنعنى قتله أخى أن أحدث ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول: «من ولى من أمر أمتى شيئًا فرفق بهم فارفق به، ومن شق عليهم فشق عليه»[4].

وقد اشتملت روايات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى حول ولاية محمد بن أبى بكر لمصر ومقتله على جملة من الغرائب أبرزها ما يأتى:

١- ما ذكره من مبايعة أهل الشام لمعاوية بالخلافة بعد التحكيم فهذا غير صحيح، فقد نقل ابن عساكر بسند رجاله ثقات عن سعيد بن عبد العزيز التنوخى أعلم الناس بأمر الشام[5]، أنه قال: كان علىٌّ بالعراق يدعى أمير المؤمنين وكان معاوية بالشام يدعى الأمير، فلما مات على دُعى معاوية بالشام أمير المؤمنين[6]. فهذا النص يبين أن معاوية لم يبايع بالخلافة إلا بعد وفاة على وإلى هذا ذهب الطبرى، فقد قال فى آخر حوادث سنة أربعين: وفى هذه السنة بويع لمعاوية بالخلافة بإيليا[7]، وعلق على هذا ابن كثير بقوله: يعنى لما مات على قام أهل الشام فبايعوا معاوية على إمرة المؤمنين لأنه لم يبق له عندهم منازع[8]،

(١) نهاية الأرب (٢٠/١٠٧ - ١١٢). (٢) تاريخ ابن خلدون (٤/١١٢٦ - ١١٢٨).

(٣) النجوم الزاهرة (١/١٠٧ - ١١٢).

(٤) مسند أبى عوانة (٤٠/١١٣)، مسلم (٣/١٤٥٨) مع اختلاف فى بعض الألفاظ.

(٥) قال الحاكم: هو لأهل الشام كمالك لأهل المدينة، تهذيب التهذيب (٤/ ٦٠).

(٦) تاريخ الطبرى (٦/٧٦). (٧) تاريخ دمشق (١٦/ ٣٦٠).

(٨) البداية والنهاية (٨/١٦).

وكان أهل الشام يعلمون بأن معاوية ليس كفئًا لعلى بالخلافة، ولا يجوز أن يكون خليفة مع إمكان استخلاف على رضى الله عنه، فإن فضل على وسابقته وعلمه، ودينه، وشجاعته، وسائر فضائله كانت عندهم ظاهرة معروفة، كفضل إخوانه أبى بكر وعمر وعثمان، وغيرهم رضى الله عنهم[1]، وإضافة إلى ذلك فإن النصوص تمنع من مبايعة خليفة مع وجود الأول، فقد أخرج مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»[2]، والنصوص فى هذا المعنى كثيرة، ومن المحال أن يقدم الصحابة على مخالفة ذلك[3].

٢- قوله: إن عمرو بن العاص صالح معاوية على أن له مصر طعمة ما بقى، فهذه القصة أخرجها ابن عساكر بسند فيه مجهول[4]، وذكرها الذهبى بصيغة التمريض، وبالتالى تصبح ساقطة لا اعتبار لها.

٣- اتهام محمد بن أبى بكر بقتل عثمان رضى الله عنه بمشاقصه، فهذا باطل، وقد جاءت روايات ضعيفة فى ذلك، كما أن متونها شاذة لمخالفتها للرواية الصحيحة التى تبين أن القاتل هو رجل مصرى[5]، وقد ذكر الدكتور يحيى اليحيى عدة أسباب ترجح براءة محمد بن أبى بكر من دم عثمان منها:

(أ) أن عائشة، رضى الله عنها، خرجت إلى البصرة للمطالبة بقتلة عثمان ولو كان أخوها منهم ما حزنت عليه لما قتل.

(ب) لعن على رضى الله عنه لقتلة عثمان، رضى الله عنه، وتبرؤه منهم، يقتضى عدم تقريبهم وتوليهم، وقد ولى محمد بن أبى بكر مصر فلو كان منهم ما فعل ذلك.

(جـ) ما أخرجه ابن عساكر بسنده عن محمد بن طلحة بن مصرف قال: سمعت كنانة مولى صفية بنت حيى قال: شهدت مقتل عثمان وأنا ابن أربع عشرة سنة، قال: هل أندى محمد بن أبى بكر شىء من دمه؟ فقال: معاذ الله، دخل عليه، فقال عثمان: يا ابن أخى لست بصاحبى، فخرج، ولم يند من دمه بشىء[6]، ويشهد بهذا ما أخرجه خليفة بن خياط والطبرى بإسناد رجاله ثقات عن الحسن البصرى، وكان ممن حضر يوم الدار[7]، أن

(١) فتاوى ابن تيمية (٣٥/ ٧٣). (٢) صحيح مسلم (٣/ ١٤٨٠).
(٣) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى، ص (٤١٢).
(٤) تاريخ دمشق (١٣/ ٢٦١). (٥) فتنة مقتل عثمان (١/ ٢٠٩).
(٦) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى ص (٢٤٣). (٧) المصدر نفسه ص (٢٤٤)، تهذيب الكمال (٦/ ٩٧).

ابن أبى بكر أخذ بلحيته، فقال عثمان: لقد أخذت منى مأخذًا أو قعدت منى مقعدًا ما كان أبوك ليقعـده، فخرج وتركه[1]، وبهذا يتـبين لنا براءة محمـد بن أبى بكر الصديق من دم عثمـان، براءة الذئب من دم يوسف، كما تبين أن سـبب تهمته هو دخوله قـبل القتل[2]، وقد ذكر ابن كثـير - رحمه الله - أنه لما كلمه عثمـان - رضى الله عنه - استحى، ورجع وتندم، وغطى وجهه وحاجز دونه فلم تفد محاجزته[3].

(د) ما ورد مـن تخويف مـعاوية بن أبى سـفيـان (رضى الله عنه) لمحمـد بن أبى بكر بالمثلة، وما ذكر من جعل محمد بن أبى بكر فى جيـفة حمار وإحراقه، كل هذا لا يستقيم مع أحكام الشرع فى القتلى، فقد ورد الزجر عن التـمثيل بالكفار فكيف بالمسلمين، أخرج مسلم فى صحـيحه أن رسول الله ﷺ كان إذا أمـر أميرًا على جيش أو سـرية، أوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن مـعه من المسلمين خيرًا، ثم قال: اغزوا بسم الله فى سبيل الله، قاتلوا من كفـر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقـتلوا وليدًا[4]، وقال الشافعى: وإذا أسر المسلمون المشـركين فأرادوا قتلهم، قتلوهم بضـرب الأعناق ولم يجاوزوا ذلك؛ أى أن لا يمثلوا بقطع يد ولا رجل ولا عضو ولا مفصل ولا بقر بطن، ولا تحريق، ولا تغريق ولا شىء يعدو مـا وصفت، لأن رسول الله ﷺ نهى عن المثلة[5]، وهل يظن بالصحابة الكرام مخالفة هذا، وهم كمـا وصفهم ابن مسعود: خير هذه الأمة، أبرها قلوبًا وأعـمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد ﷺ كانوا على الهدى المستقيم ورب الكعبة[6]، وقال عنهم ابن أبى حاتم: ندب الله عز وجل إلى التمسك بهـديهم والجرى على مناهجهم، والسلوك لسبيلهم والاقتداء بهم قال: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[7] [النساء: ١١٥].

وأصح رواية جاءت فى إحراقـه ما أخرجه الطبرانى عن الحسن البـصرى قال: أخذ هذا الفاسقُ محمد بن أبى بكر فى شعب من شعاب مـصر فادخل فى جوف حمار فأحرق[8]، وهذا الرواية مرسلة إذ إن الحـسن لم يشهد الحادثة، ولم يسم لنا من نقل عـنه، إضافة إلى

(١) مرويات أبى مخنف، ص (٢٤٤).
(٢) فتنة مقتل عثمان (١/ ٢٠٩).
(٣) البداية والنهاية (٧/ ١٩٣).
(٤) صحيح مسلم (٣/ ١٣٥٧).
(٥) الأم (٤/ ١٦٢)، انظر آثار الحرب فى الفقه الإسلامى، ص (٤٧٩).
(٦) حلية الأولياء (١/ ٣٠٥).
(٧) مقدمة الجرح والتعديل (١/ ٧).
(٨) المعجم الكبير (١/ ٨٤) ورجاله ثقات غير أمية بن خالد فهو صادق.

أن النص لم يذكر من قام بإحراقه، وأيضا ما كان الحسن أن يرميه بالفسق وهو يعلم ثناء علي رضي الله عنه عليه وتفضيله له[1].

(هـ) ما ذكره من قوله علي (رضي الله عنه)، الفاجر ابن الفاجر يقصد معاوية، فهذا يستبعد صدوره من علي (رضي الله عنه)، إذ إن الخلاف مع معاوية دون أبيه، وأبو سفيان، رضي الله عنه، قد أسلم وحسن إسلامه ومات قبل مقتل عثمان رضي الله عنه، فلم يدرك الفتنة[2]، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨]، والصحابة أعلم الناس بكتاب الله وأشدهم وقوفًا عند حدوده، فكيف ينسب لهم مثل هذا الفعل[3].

(و) ما ذكره من قول معاوية بن حديج - رضي الله عنه - لعمرو بن العاص - رضي الله عنه - لما طلب ابن أبي بكر وتلاوته لهذه الآية ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر: ٤٣]، فهذا يعني تكفير محمد بن أبي بكر وغيره، وهذا لم يعرف من الصحابة وما كان بينهم لم يصل إلى درجة التكفير، وقد وضح سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه، هذا بقوله: «إن ما بيننا لم يبلغ ديننا»[4]، وأيضًا فإن معاوية بن حديج من جند عمرو بن العاص، رضي الله عنه، وما كان له أن يرفض طلب قائده[5].

(ز) ما أورده من قول محمد بن أبي بكر أن عثمان عمل بالجور ونبذ حكم الكتاب لم أقف له على أصل يثبت صحة نسبته إلى ابن أبي بكر، أما إظهار براءة عثمان، رضي الله عنه، من ذلك فأشهر من أن تذكر[6]، وقد توسعت فيها في كتابي «تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان».

ثامنًا: ولاية البصرة:

أرسل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عثمان بن حنيف الأنصاري أميرًا على البصرة بدلاً من عبد الله بن عامر واليها السابق الذي تركها واتجه إلى مكة المكرمة، وقد كان عثمان بن حنيف الأنصاري صاحب خبرة في المنطقة؛ إذ سبق أن عينه عمر على

(١) الاستيعاب (٣/ ٣٤٨).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٠٥)، و مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص (٢٤٨).
(٣) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص (٢٤٧).
(٤) فضائل الصحابة (٢/ ٧٥١) وسنده صحيح، مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص (٢٤٨).
(٥)، (٦) مرويات أبي مخنف، ص (٢٤٨).

مسح (السـواد) وتقدير الخراج فـيه[1]، وقد سـار عثمـان بن حنيف إلى البصـرة ودخلها بسلام، إلا أن أهل البصرة انقـسموا ثلاث فرق، فرقة بايعت ودخلت فى الجمـاعة، وفرقة اعتزلت وقالت: ننظر ما يصنع أهل المدينة فنصنعه، وفـرقة رفضت الدخول فى البيعة.[2] ولم يلبث عثـمان بن حنيف طويلاً فى الولاية، فقد قـدم إلى البصرة جيش طلحـة والزبير وعائشة قبل معركة الجمل ومعـهم ممن خرج للمطالبة بدم عثمان، وتطورت الأمور وحدث قتال، وخرج عثمـان بن حنيف إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه فلقيه فى طريقه إلى البصرة قبيل وقعة الجـمل، وبذلك انتهت ولاية عثمان بن حنيف، وقد وصل على بن أبى طالب إلى البصرة ومكث فيها بعضًا من الوقت حدثت فى أثنائه وقعة الجمل - التى سيأتى تفصيلها بإذن الله تعالى - وعندما أراد على بن أبى طالب الخروج من البصرة ولى عبد الله ابن عباس، رضى الله عنه، وقد ولى علىٌّ مع عبد الله بن عباس زياد بن أبيه على الخراج، وأمر ابن عباس أن يستشيره ويأخذ برأيه نظرًا لما وجد على عنده من خبرة فى العمل وفطانة فى السياسة[3]. وقدم على بعض النصائح لابن عباس منهـا قوله: «أوصيك بتقوى الله عز وجل والعـدل على من ولاك الله أمـره، اتسع للناس بـوجهك وعـلمك وحكمك، وإياك والإحن[4]، فـإنها تميت القلب والحق، واعلـم أن ما قـربك من الله بعدك من النار، ومـا قربك من النار بعدك من الله، واذكر الله كثيرًا ولا تكن من الغافلين[5]. وقد بدأ ابن عباس يمارس عمله فى ولايتـه وهو صحابى عرف بعلمه الواسع فى الـفقه والتفسـير، وقد أثبت مهارة إدارية بتوطيد الأمن فى سجسـتان وهى تابعة لولاية البصرة، وفى إقليم فارس حيث عين زياد بن أبى سفيان واليًا عليه، كما أنابه حين خرج من البصرة فتمكن من ضبط الأمن فيـها، ويعتبـر عبد الله بن عـباس من أهم رجالات أمـير المؤمنين على، وكان يرافـقه فى الأحداث الخطيرة، وينصح له ويجادل عنه، وكان أمير المؤمنين على يعتمد عليه ويستشيره، وقد اسـتمرت ولاية ابن عبـاس على البصرة حـتى ٣٩ هـ، وكان يعاونه صـاحب الشرطة وصاحب الخراج، وقد استمر ابن عبـاس فى بعض الروايات على البصرة حتى مقتل على، قال الطبرى فى حـوادث سنة ٤٠ هـ: وفيها خـرج عبد الله بن عبـاس من البصرة، ولحق بمكة فى قول عـامة أهل السيرة، وقد أنكر ذلك بـعضهم وزعم أنه لم يزل بالبصـرة عاملاً

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٢٠).
(٢) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على، ص (١٠٧)، تاريخ الطبرى (٥/ ٤٩٢).
(٣) تاريخ الطبرى (٥/ ٥٨٠). (٤) الإحن: الأحقاد.
(٥) وقعة صفين للمنقرى ص (١٠٥)، الولاية على البلدان (٢/ ١٥).

عليها من قبل أمير المؤمنين على رضى الله عنه حتى قتل، وبعد مقتل على صالح الحسن معاوية، ثم خرج إلى مكة[1].

إن شخصية ابن عباس كانت شخصية قيادية جمعت صفات القائد الربانى، من العلم والفطنة والذكاء والصبر، والحزم، وغيرها من الصفات إلا أنه اشتهر بالفقه والعلم بسبب دعاء رسول الله ﷺ له بالفقه فى الدين والعلم بالتأويل، وأخذه عن كبار الصحابة، وقوة اجتهاده وقدرته على الاستنباط، واهتمامه بالتفسير، ومنهجه المتميز فى تعليم أصحابه، وحرصه على نشر العلم، ورحلاته وأسفاره، وتأخر وفاته وقرب منزلته من عمر، رضى الله عنه[2]، فقد حظى بعناية خاصة من الفاروق عندما لمس فيه مخايل النجابة والذكاء والفطنة، فكان يدنيه من مجلسه، ويقربه إليه، ويشاوره، ويأخذ برأيه فيما أشكل من الآيات، وابن عباس مازال شابًا غلامًا، فكان لذلك الأثر البالغ فى دفعه وحثه على التحصيل والتقدم، بل والإكثار فى باب التفسير وغيره من أبواب العلم، فعن عامر الشعبى عن ابن عباس، رضى الله عنه، قال: قال لى أبى: يا بنى إنى أرى أمير المؤمنين يقربك، ويخلو بك، ويستشيرك مع أناس من أصحاب رسول الله، فاحفظ عنى ثلاثًا: اتق الله ولا تفشين له سرًا، ولا يجربن عليك كذبة، ولا تغتابن عنده أحدًا[3]، وكان عمر يدخله مع أكابر الصحابة، وما ذلك إلا لأنه وجد فيه قوة الفهم وجودة الفكر، ودقة الاستنباط، وقد قال ابن عباس، رضى الله عنهما: كان عمر يسألنى مع أصحاب محمد ﷺ، فكان يقول لى: لا تتكلم حتى يتكلموا، فإذا تكلمت قال: غلبتمونى أن تأتوا بما جاء به هذا الغلام الذى لم تجتمع شئون رأسه[4]، وكان ابن عباس لشدة أدبه، إذا جلس فى مجلس فيه من هو أسن منه لا يتحدث إلا إذا أُذن له، فكان عمر يلمس ذلك منه فيحثه، ويحرضه على الحديث تنشيطًا لنفسه، وتشجيعًا له فى العلم[5]. وكان لعمر، رضى الله عنه، مجلس يسمع فيه الشباب ويعلمهم، وكان ابن عباس من المقدمين عند عمر، فعن عبد الرحمن بن زيد قال: كان عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، إذا صلى السبحة وفرغ دخل مربدًا له[6]، فأرسل إلى فتيان قد قرءوا القرآن منهم ابن عباس، قال: فيأتون فيقرؤون القرآن ويتدارسونه، فإذا كانت القائلة انصرفنا، قال: فمروا بهذه الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ

(١) تاريخ الطبرى (٦/ ٥٦). (٢) تفسير التابعين (١/ ٣٧٤ - ٣٩٥).
(٣) الحلية (١٠/ ٣١٨)، تفسير التابعين (١/ ٣٧٦).
(٤) المستدرك (٣/ ٥٣) صحح إسناده الحاكم ووافقه الذهبى. (٥) تفسير التابعين (١/ ٣٧٧).
(٦) السبحة: الدعاء وصلاة التطوع، المربد: المكان يجعل فيه التمر.

الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٦، ٢٠٧]، فقال ابن عباس لبعض من كان إلى جانبه: اقتتل الرجلان: فسمع عمر ما قال، فقال: وأى شيء قلت؟ قال: لا شيء يا أمير المؤمنين، قال: ماذا قلت؟ اقتتل الرجلان؟ قال: فلما رأى ذلك ابن عباس قال: أرى هاهنا من إذا أمر بتقوى الله أخذته العزة بالإثم، وأرى من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله، يقوم هذا فيأمر هذا بتقوى الله فإذا لم يقبل، وأخذته العزة بالإثم قال هذا: وأنا أشرى نفسى، فاقتتل الرجلان، فقال عمر: لله تلادك يا ابن عباس[(١)]، وكان عمر، رضى الله عنه، يسأل ابن عباس عن الشيء من القرآن ثم يقول: غص غواص[(٢)]، بل كان إذا جاءته الأقضية المعضلة يقول لابن عباس: يا ابن عباس قد طرأت علينا أقضية عضل، وأنت لها ولأمثالها، ثم يأخذ برأيه، وما كان يدعو لذلك أحدًا سواه إذا كانت العضل[(٣)]، وعن سعد بن أبى وقاص قال: ما رأيت أحدًا أحضر فهمًا، ولا ألب لبًا، ولا أكثر علمًا، ولا أوسع حلمًا من ابن عباس، ولقد رأيت عمر بن الخطاب يدعوه للمعضلات ثم يقول: عندك قد جاءتك معضلة، ثم لا يجاوز قوله، وإن حوله لأهل بدر من المهاجرين والأنصار[(٤)]، وكان عمر يصفه بقوله: ذاكم فتى الكهول، إن له لسانًا سؤولاً، وقلبًا عقولاً[(٥)]، يقول طلحة بن عبيد الله: ما كنت أرى عمر بن الخطاب يقدم على ابن عباس أحدًا[(٦)]، وكان ابن عباس، رضى الله عنه، كثير الملازمة لعمر، حريصًا على سؤاله والأخذ عنه، ولذا كان رضى الله عنه من أكثر الصحابة نقلاً ورواية لتفسير عمر وعلمه -رضى الله عنه-،وقد أشار بعض أهل العلم إلى أن عامة علم ابن عباس أخذه عن عمر، رضى الله عن الجميع[(٧)]، لقد كان اهتمام عمر به مساعدًا له على المضى قدما فى طريق العلم عامة والتفسير خاصة[(٨)]، ولذلك تشرفت المدرسة المكية فى عهد التابعين بحبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس رضى الله عنهما[(٩)]، وكان ابن عباس فى عهد عثمان من المقربين إلى الخليفة، وقد كلفه بالحج بالناس

---

(١) تفسير الطبرى (٤/ ٢٤٥)، الدر المنثور (١/ ٥٧٨).
(٢) فضائل الصحابة لأحمد (١/ ٩٨١) رقم (١٤٠).
(٣) تفسير التابعين (١/ ٣٧).
(٤) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٩).
(٥) تفسير التابعين (١/ ٣٧٩)، فضائل الصحابة لأحمد رقم (١٥٥٥).
(٦) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٧٠).
(٧) تفسير التابعين (٢/ ٣٧٠).
(٨) المصدر نفسه (١/ ٥٠٦).
(٩) عمر بن الخطاب للصلابى، ص (٢٢٠).

فى العام الذى قتل فيه[1]، هذا وقد عمل بعض المتأثرين بمدرسة الاستشراق بتشويه صورة حبر الأمة ونسبوا إليه أباطيل وأكاذيب ألصقوها بسيرته، علمًا بأن مدرسة الاستشراق فيما يتعلق بالعهد الراشدى وتاريخ صدر الإسلام امتداد لمؤرخى الرفض والشيعة الغلاة الذين اختلقوا الروايات والأخبار، ولطخوا بها سيرة الصحابة الكرام، فجاء مؤرخو الاستشراق وأحيوا تلك الأخبار الكاذبة، والروايات الموضوعة، وصاغوها بأسلوب حديث ويرفعون شعار الموضوعية والبحث العلمى، وكل هذا كذب وزور، وقد تأثر به الكثير من الباحثين والأدباء والمؤرخين، ولذلك تجد فى كتب التاريخ والأدب المعاصر البعيدة عن منهج أهل السنة والموغلة فى مناهج المستشرقين، تشويهًا عجيبًا للصحابة، فمثلا: زعمت تلك الكتب أن عبد الله بن عباس رضى الله عنه نهب أموال المسلمين بالبصرة، وغدر بابن عمه على رضى الله عنه، وهرب بالأموال المسروقة إلى مكة، وتطلع للانضمام إلى معاوية[2] بعد أن كان مع على، ذكر ذلك دون حياء صاحب كتاب الفتنة الكبرى (على وبنوه) الدكتور طه حسين والعبارات التى وردت على لسان طه حسين فى كتابه (على وبنوه):

١- قال: وكان لابن عباس من العلم بأمور الدين والدنيا، ومن المكانة فى بنى هاشم خاصة وفى قريش عامة، وفى نفوس المسلمين جميعًا، ما كان خليقًا أن يعصمه من الانحراف عن ابن عمه[3]

٢- قال: رأى ابن عباس نجم ابن عمه فى أفول، ونجم معاوية فى صعود، فأقام فى البصرة يفكر فى نفسه أكثر مما يفكر فى ابن عمه[4]

٣- قال: ولو نسى ابن عباس نفسه قليلاً، ولكنه لم يضعها بحيث كان يجب عليه أن يضعها منذ قليل، أن يكون واليًا لعلى على مصر من أمصار المسلمين[5]

وغير ذلك من الأكاذيب والترهات التى اعتمد قائلوها على الروايات الضعيفة والموضوعة، ويكفى شرفًا لابن عباس دعاء رسول الله ﷺ له: «اللهم علمه التأويل وفقهه فى الدين»[6]

هذا، وقد بدأ ابن عباس يمارس عمله فى ولايته على البصرة بعد خروج على من البصرة إلى الكوفة، ولحق ابن عباس بعلى قبيل صفين واستخلف على البصرة زياد بن

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٢٥ - ٤٣١).
(٢) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، ص (١٩١).
(٣) الفتنة الكبرى (على وبنوه)، ص (١٢١).
(٤) المصدر نفسه، ص (١٢٢).
(٥) المصدر نفسه، ص (١٢٦).
(٦) الطبرانى رقم (١٠٥٨٧) إسناده صحيح.

أبيه[1]، وفى أثناء ولاية ابن عباس على البصرة قام بالعديد من الأعمال أهمها ترتيب (سجستان) بعد أن قتل واليها على يد مجموعة من الخوارج، حيث بعث إليها ابن عباس بأمر من على مجموعة من أجناد البصرة تمكنوا من قتل الخوارج فيها وترتيب أمورها وتأمين أهلها سنة ٣٦ هـ[2]، كما كان لابن عباس ولأجناد البصرة دور مع على بن أبى طالب فى معركة صفين[3]، كما قام ابن عباس بتنظيم شئون بعض الأقاليم التابعة لولايته وعين عليها الأمراء من قبله، حيث وجه إلى فارس زياد بن أبيه فرتبها، واستطاع أن ينظم أمورها ويؤدب أهلها بعد عصيانهم[4]، وفى أيامه غدر أهل اصطخر فقام بغزوهم وتأديبهم[5]، وفى سنة ٣٨ هـ أرسل معاوية بن أبى سفيان رجلاً إلى البصرة ليدعو له بين أهلها، إلا أن زياد بن أبيه نائب ابن عباس على البصرة تمكن من مقاومته ومدافعته حتى قتل الرجل فى إحدى دور البصرة[6]، وكان ابن عباس يرافق عليًا فى كثير من تحركاته فى نواحى العراق، وإذا وقعت بعض الأشياء وابن عباس فى البصرة كان على يطلعه عليها بالكتب التى كان يرسلها إليها باستمرار ويأخذ رأيه فى كثير من القضايا عن طريق المراسلة، كما كان ابن عباس أيضًا يكتب لعلى عن شئون ولايته، كما بعثه على سنة ٣٨ هـ على الحج نيابة عنه، وقد استمر ابن عباس فى ولاية البصرة إلى استشهاد على أخذًا برأى الطبرى فى ذلك، وقد وجد مجموعة من المساعدين لوالى البصرة أيام على فيهم القاضى وصاحب الشرطة، وصاحب الخراج وغيرهم، كما كانت تتبع ولاية البصرة مجموعة من الأقاليم فى بلاد فارس.

ومما سبق يتبين لنا أن على بن أبى طالب بعد مبايعته بادر إلى عزل ابن عامر، والى عثمان على البصرة، وعين مكانه عثمان بن حنيف، ولكن حملة الجمل أحدثت ارتباكًا فى البصرة، وبالتالى خرجت من سيطرة عثمان بن حنيف، فاضطر إلى مغادرتها حتى قدم على، وبعد موقعة الجمل عمل علىٌّ على تنظيم أمورها[7]. كما وقعت بعض الاضطرابات فى البصرة من جراء حركة الخوارج، وكذلك أثناء محاولة معاوية السيطرة عليها، إلا أن البصرة مع ذلك استمرت إحدى الولايات الإسلامية التابعة لخلافة على طيلة عصره، ولم

(١) تاريخ خليفة بن خياط، ص (٢٠١)، الولاية على البلدان (٢/ ١٦).
(٢) الكامل فى التاريخ (٢/ ٣٥١، ٣٥٢).
(٣) الولاية على البلدان (١/ ١٦)، تاريخ الطبرى (٥/ ٥٩٥ إلى ٦١٥). (٤) تاريخ الطبرى (٦/ ٥٢، ٥٣).
(٥) الأخبار الطوال، ص (٢٠٥)، الولاية على البلدان (٢/ ١٦).
(٦) الولاية على البلدان (٢/ ١٦) نقلا عن خليفة بن خياط. (٧) الولاية على البلدان (٢/ ١٧).

يتمكن خصومه من السيطرة عليها[1]، وبرزت في البصرة قدرات ابن عباس القيادية، وقد انتفع بصحبته لعلى رضى الله عنهما وتأثر به غاية التأثر، وكان أمير المؤمنين على يتعهده بالنصح والإرشاد والموعظة بين الحين والآخر، حتى أن ابن عباس قال: ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله ﷺ كانتفاعى بكتاب كتب به إلىّ على بن أبى طالب رضى الله عنه، فإنه كتب إلىّ: أما بعد فإن المرء يسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، ويسره درك ما لم يكن ليفوته، فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك، وليكن أسفك على ما فاتك منها، وما نلت من دنياك فلا تكثرن به فرحًا، وما فاتك منها فلا تأس عليه حزنًا، وليكن همك فيما بعد الموت[2].

وقد كان ابن عباس من أهل القيام، فعن ابن مليكة قال: صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة، فكان يصلى ركعتين، فإذا ترك، قام شطر الليل، ويرتل القرآن حرفًا حرفًا، ويكثر فى ذلك من النشيج والنحيب[3]، وقد كان رضى الله عنه غزير الدمعة حتى أثر ذلك على خديه، فعن أبى رجاء، قال: رأيت ابن عباس وأسفل من عينيه مثل الشراك البالى من البكاء[4]، وكان رضى الله عنه يصوم الاثنين والخميس، فعن سعيد بن أبى سعيد، قال: كنت عند ابن عباس، فجاء رجل، فقال: يا ابن عباس، كيف صومك؟ قال: أصوم الاثنين والخميس، قال: ولم؟ قال: لأن الأعمال ترفع فيهما، فأحب أن يرفع عملى، وأنا صائم[5]، وكان كريما جوادًا يحفظ لأهل السبق مكانتهم ومنزلتهم، فقد تعرض أبو أيوب الأنصارى رضى الله عنه لأزمة مالية وأثقلته الديون، فنزل على ابن عباس، ففرغ له بيته، وقال: لأصنعن بك كما صنعت برسول الله ﷺ ثم قال: كم دينك؟ قال: عشرون ألفًا فأعطاه أربعين ألفًا، وعشرين مملوكًا، وكل ما فى البيت[6].

وكان من أبلغ الناس وله قدرة عجيبة على تفهيم المستمعين، فعن الأعمش قال: حدثنا أبو وائل قال: خطبنا ابن عباس، وهو أمير على الموسم، فافتتح سورة النور، فجعل يقرأ ويفسر، فجعلت أقول: ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثل هذا، لو سمعته فارس والروم والترك لأسلمت[7]، وكان رضى الله عنه من أجمل الناس وأفصح الناس، وأعلم الناس،

(١) الولاية على البلدان (٢/ ١٧).
(٢) صفة الصفوة (١/ ٣٢٧).
(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥٢).
(٤) المصدر نفسه (٣/ ٣٥٢).
(٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥٢) إسناده فيه ضعف إلا أن فعل ابن عباس ثابت عن النبى ﷺ حيث قال: «تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس فأحب أن يعرض عملى وأنا صائم» رواه الترمذى رقم ٨٤٧ حديث حسن.
(٦) المصدر نفسه (٣/ ٣٥١)، الحلية (١/ ٣٢٤).
(٧) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥١).

فعن مسروق قال: كنت إذا رأيت ابن عباس، قلت: أجمل الناس، فإذا نطق، قلت: أفصح الناس، فإذا تحدث، قلت: أعظم الناس[1]، وقال القاسم بن محمد: ما رأيت فى مجلس ابن عباس باطلاً قط[2]، وقد أصيب رضى الله عنه ببصره قبل وفاته وقد قال فى ذلك شعرًا:

إن يأخذ الله من عينى نورهما ... ففى لسانى وقلبى منهما نور

قلبى ذكى وعقلى غير ذى دخل ... وفى فمى صارم كالسيف مأثور[3]

وابن عباس رضى الله عنه نموذج رائع للعالم الربانى والقائد المحنك والأمير العادل، وهو أحد المؤثرين فى الأحداث فى عهده، وهو باختصار من أفضل النماذج لورثة الأنبياء.

تاسعًا: ولاية الكوفة:

استشهد عثمان رضى الله عنه وواليه على الكوفة أبو موسى الأشعرى، وبعد مبايعة على بالخلافة أقر أمير المؤمنين علىٌ أبا موسى الأشعرى على ولايته، وقد أخذ له البيعة من أهلها، وكتب له بموقف أهل الكوفة من بيعته، من حيث تقبل الكثير للبيعة[4]، وعندما خرج أمير المؤمنين من المدينة للعراق كان يسأل عن أبى موسى خصوصًا، ففى أثناء الطريق إليها لقيه رجل من أهل الكوفة، فسأله على عن أبى موسى فقال: إن أردت الصلح فأبو موسى صاحب ذلك، وإن أردت القتال، فأبو موسى ليس بصاحب ذلك، قال: والله ما أريد إلا الإصلاح حتى يرد علينا، قال: قد أخبرتك الخبر[5]، وقد تبين فيما بعد ميل أبى موسى إلى الصلح والمسالمة وعدم القتال بين المسلمين، فقد بعث على محمد بن أبى بكر وعمار بن ياسر والحسن بن على وغيرهم فى وفود مختلفة لاستنفار أهل الكوفة قبل موقعة الجمل - سيأتى الحديث عنها بالتفصيل لاحقًا إن شاء الله تعالى - فسأل أهل الكوفة أبا موسى عن الموقف واستشاروه فى الخروج: فقال: أما سبيل الآخرة فأن تقيموا، وأما سبيل الدنيا فأن تخرجوا وأنتم أعلم[6]، وقد اقتنع العديد من أهل الكوفة بعد ذلك بالخروج مع الحسن، رضى الله عنه، بعد محاورات متعددة وطويلة بينهم وبين الحسن، وقيل إنه خرج معه قرابة تسعة آلاف رجل[7]، وتميل العديد من الروايات إلى أن ولاية أبى موسى على الكوفة قد انتهت فى هذه الفترة قبيل موقعة الجمل، حيث تذكر بعض الروايات أن الأشتر

(1)، (2) سير أعلام النبلاء (3/ 351).
(3) المصدر نفسه (3/ 357).
(4) تاريخ الطبرى (5/ 467).
(5) المصدر نفسه (5/ 511).
(6) المصدر نفسه (5/ 508).
(7) المصدر نفسه (5/ 517).

«وكان أحد قــواد علي» قد طرد أبا موسى وغلمانه من قصــر الكوفة وتغلب عليه[1]، كما ذكرت بعض الروايات أن عليًّـا كتب إلى أبي موسى بعزله، وعين مكانه «قــرضة بن كعب الأنصاري» واليًا على الكوفة[2]، ثم إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قدم الكوفة بعد موقعــة الجمل حيث أصبحت الكوفــة قاعدة الخلافة، وبالتــالي كان علي رضي الله عنه هو المسئول مبــاشرة عن أحوال الكوفة وما يتبــعها من ولايات، وأصبح لها مكانة خــاصة بقية عصره، حيث كانــت عاصمة الخلافة ومنها يدير أميــر المؤمنين على مختلف أنحاء الدولة، وإليها تقــدم الوفود، ومنها تخرج الأجناد، كمــا كان ذلك سببًا في جــذب السكان إليها، ولاشك أن هذا كان له دور كــبير في تنشــيط الحركة التجــارية والعمرانيــة في الكوفة طيلة خلافــة علي. وقد كان رضي الله عنه كثــير الاهتمام بالـكوفة ويتفقــد أهلها بنفسه، كــما يحرص على تعيين من ينوب عنه في ولايتها في حال غــيابه، فحينما أراد علي الخروج إلى صفين ولى على الكوفــة «أبا مسعــود البدري»[3] وحينمــا أراد التوجه لقتــال الخوارج في «النهروان»[4]، ولى على الكوفــة «هاني بن هوذة النخــعي»[5]، فلم يزل بالكوفــة حــتى استشهد علي[6] رضي الله عنه.

ومما سبق نلاحظ أن الكوفة كانت تدار مــن قبل الولاة، حتى إذا اتخذها علي رضي الله عنه مقرًا للخــلافة أصبح هو المسئول عن ولايتــها، وأخذ ينيب عنه من يتولى شــئونها في غيابه، وأصبحت الكوفة ذات أهمية خاصة نظرًا لإقامة أمير المؤمنين فيها[7].

عاشرًا: ولايات الشرق:

١- فــارس: تذكــر المصــادر أن علي بن أبي طالب ولــى على فــارس ســهل بن حنيف الأنصاري، رضي الله عنه، وقد استمر واليًا على فارس فترة من الوقت، ثم إن أهل فارس عــصوا وأخــرجوا ســهل بن حنيف سنة ٣٧ هـ تقريــبًا، فــاتصل علي رضي الله عنه بابن عبــاس، وتباحث معــه في شأن فــارس، وكان ابن عبــاس على البصرة، فــاتفق معــه بعد استشــارة مجموعــة من الناس على أن يبعث ابن عباس مــساعده زياد بن أبي سفــيان على

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٥١٩).

(٢) الاستبصار لابن قدامة ص ١٢٤، الولاية على البلدان (٢/ ١٩). (٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٩٣).

(٤) هي كورة واسعة بين بغــداد وواسط بها العديد من القرى، وبها وقعة أميــر المؤمنين علي مع الخوارج، معجم البلدان (٥/ ٣٢٤).

(٥) الولاية على البلدان (٢/ ٢٠)، تاريخ خليفة ص (١٨٧، ٢٠٢). (٦) المصدر نفسه (٢/ ٢٠).

(٧) المصدر نفسه (٢/ ٢٠)

فارس[1]، وهنا يبدو الارتباط واضحًا بين ولاية البصرة وإقليم فارس، وإحساس ابن عباس بمسئوليته عن ذلك الإقليم من خلال مباشرته لولاية البصرة، إذ اتفق ابن عباس مع عليٍّ على بعث أحد معاونيه إلى ذلك الإقليم لضبطه وترتيب أموره، وقد توجه زياد إلى فارس بصاحبه أربعة آلاف جندى، فدوخ تلك البلاد وقضى على الفتنة فيها وتمكن من ضبطها[2]، وقد اشتهر زياد بمقدرة سياسية فذة مكنته من إعادة الاستقرار إلى تلك البلاد بأقل الخسائر[3]، يقول الطبرى: لما قدم زياد فارس بعث إلى رؤسائها فوعد من نصره ومناه، وخوف قومًا وتوعدهم وضرب بعضهم ببعض، ودل بعضهم على عورة بعض، وهربت طائفة، وأقامت طائفة، فقتل بعضهم بعضًا، وصفت له فارس فلم يلق فيها حميًا ولا حربًا، وفعل مثل ذلك بكرمان[4]، ثم رجع إلى فارس فسار فى كورها ومناهم فسكن الناس إلى ذلك، فاستقامت له البلاد[5]، وقد قام زياد بتنظيم أمور فارس، وبنى فيها بعض الحصون، وقام بترتيب شئون الخراج فيها، كما ضبط العديد من البلدان التابعة لولايته حتى أمنت البلاد واستقامت[6]، وقد استمر زياد واليًا على فارس بقية خلافة على رضى الله عنه، وكان زياد أشهر ولاة عليٍّ على فارس نظرًا لسياسته وتمكنه من ضبطها[7].

وقد وجدت بعض التقسيمات الإدارية داخل إقليم فارس، فقد ورد ذكر بعض الولاة المختصين ببلدان معينة داخل الإقليم، فقد ذكرت اصطخر، وذكر أنه كان من ولاتها المنذر ابن الجارود[8]، وجرت بينه وبين على بعض المكاتبات[9]، كما أن زياد بن أبى سفيان سكنها وتحصن بها بعد مقتل على رضى الله عنه[10]، كما ذكرت من بلدان فارس أصبهان التى تعد من أكبر كورها[11]، وقد ذكر من ولاتها لعلى محمد بن سليم[12]، كما كان من أشهر ولاة أصبهان لعلى «عمر بن سلمة» وقد قدم بأموال وطعام من أصبهان إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب[13]، وقد ضربت الدراهم زمن علي فى هذه المناطق الفارسية

(1) تاريخ الطبرى (٦/ ٧١).
(2) تاريخ الطبرى (٦/ ٥٣).
(3) ولاية البلدان (٢/ ٢١).
(4) تاريخ الطبرى (٦/ ٥٣).
(5) المصدر نفسه (٦/ ٥٢).
(6) المصدر نفسه (٦/ ٥٣).
(7) الولاية على البلدان (٢/ ٢١).
(8) الطبقات الكبرى (٥/ ٥٦١) (٧/ ٨٧).
(9) تاريخ اليعقوبى (٢/ ٢٠٣)، الولاية على البلدان (٢/ ٢٢).
(10) الأخبار الطوال، ص (٢١٩)، الولاية على البلدان (٢/ ٢٢).
(11) معجم البلدان (١/ ٢٠٧).
(12) الأخبار الطوال، ص (١٥٣)، الولاية على البلدان (٢/ ٢٢).
(13) الكامل فى التاريخ (٢/ ٤٤٢).

سنة ٣٩ هـ، ولا يزال بعض منها محفوظًا في المتحف العراقي وتحمل عبارات عربية، إضافة إلى تاريخ ضربها(١).

٢- خراسان: تعتبر خراسان ولاية واسعة، وقد ارتبطت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بولاية البصرة في عهد الخلفاء الراشدين، وفي خلافة علي رضي الله عنه ورد ذكر العديد من الحوادث التي وقعت في هذه الولاية خلال تلك الفترة، كما ورد ذكر بعض ولاتها، وبعض الأمراء على كورها وبلدانها، فقد ورد أن أول ولاة عليّ على خراسان عبد الرحمن ابن أبزى(٢)، كما كان من ولاة علي إلى خراسان جعدة بن هبيرة بن أبي وهب(٣)، وقد بعثه علي رضي الله عنه إلى خراسان، بعد عودته من صفين سنة ٣٧ هـ، وكان أهل خراسان قد ارتدوا فحاول تأديبهم وتنظيم البلاد مرة أخرى(٤)، إلا أنه - على ما يبدو - لم ينجح، فبعث علي أحد قواده إلى خراسان، حتى تمكن من مصالحة أهلها، وضبط أمورها مرة أخرى(٥).

كما تعد سجستان أحد الأقاليم المجاورة لخراسان، وكلا الإقليمين مرتبطان إلى حد ما بوالي البصرة، وفي الغالب فإن هناك ارتباطا إداريًا بين الإقليمين، وقد ورد ذكر بعض ولاة سجستان في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومن هؤلاء عبد الرحمن بن جزء الطائي(٦)، وقد بعثه علي رضي الله عنه إلى سجستان بعد موقعة الجمل، فقام ثوار من صعاليك العرب بقتله، وعاثوا فسادًا في البلد، فكتب علي إلى ابن عباس في البصرة أن يوجه أميرًا آخر إلى سجستان، فوجه ربعي بن كأس العنبري، فاستطاع القضاء على ثورة الصعاليك، وقتل زعيمهم وضبط أمور البلاد، واستقر بها إلى أن استشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه(٧).

وكانت همذان: أحد الثغور الشرقية، وقد امتازت أثناء ولاية عثمان بوجود والٍ مستقل فيها، وتوفي عثمان وعليها جرير بن عبد الله البجلي، وبعد مبايعة علي بالخلافة ووصوله إلى العراق بعث إلى جرير بن عبد الله في همذان يأمره بأخذ البيعة له بالخلافة على من

(١) الدراهم الإسلامية للخلفاء الراشدين، ص (٥)، وداد القزاز.
(٢) فتوح البلدان، ص (٣٩٩).
(٣) تهذيب الكمال (١/ ١٩١)، الولاية على البلدان (٢/ ٢٣).
(٤) فتوح البلدان، ص (٣٩٩)، الولاية على البلدان (٢/ ٢٣).
(٥) تاريخ خليفة بن خياط، ص (١٩٩)، الولاية على البلدان (٢/ ٢٣).
(٦) الولاية على البلدان (٢/ ٢٣).
(٧) فتوح البلدان، ص (٣٨٧)، الأخبار الطوال، ص (١٥٣)، الولاية على البلدان (٢/ ١٥٣).

قبله من الناس والقدوم إليه[1]، وبعث بالرسالة مع رجل يعتمد عليه وقال: إنى بعثت إليك بفلان، فاسأله عما بدا لك واقرأ كتابى هذا على المسلمين[2]، وقد قدم جرير إلى على فى الكوفة فبعثه إلى معاوية فى الشام، ثم عاد مرة أخرى وتعرض للإهانة من قبل بعض أجناد على، ومنهم الأشتر وغيره، فلحق جرير بمعاوية فى الشام، وترك ولايته، وكان ذلك قبيل موقعة صفين[3].

٣- أذربيجان: كان الأشعث بن قيس عاملاً على أذربيجان حينما توفى عثمان بن عفان، فلما بويع على بن أبى طالب بالخلافة كتب إلى الأشعث بن قيس أن يبايع له، وأن يأخذ له البيعة على من قبله[4]، ويبدو أن عليًا رضى الله عنه استقدم الأشعث بن قيس فلحق بعلى فى الكوفة، ثم شهد معه المشاهد حيث اشترك معه فى صفين[5]، وفى قتال الخوارج، ويبدو أن عليا رضى الله عنه ولىَّ على أذربيجان خلال هذه الفترة سعيد بن سارية الخزاعى، ثم أعاد الأشعث بن قيس مرة أخرى على أذربيجان، ويظهر أن عليًا ضم إليه ولاية أرمينية، كما صرح بذلك البلاذرى[6]، وقد كانت للأشعث بن قيس بعض الأعمال الهامة أثناء ولايته أذربيجان لعلى، ومن ذلك إنزاله مجموعة من العرب من أهل العطاء أردبيل[7]، وتمصيرها وبناء مسجدها بعد أن انتشر الإسلام بين أهلها[8]، وقد وردت بعض الأسماء لولاة على فى بعض بلدان المشرق الأخرى، من ذلك أسماء بعض الولاة فى الأهواز، ومنهم الخريت بن راشد، وقد كان واليًا على بعض بلاد الأهواز قبل صفين، فلما رجع على من صفين أخذ الخريت يجمع الجنود، ويدعو إلى خلع على، واستولى على بعض الأماكن فبلغ ذلك عليًا فوجه إليه جيشًا تمكن من القضاء على حركته وقتله[9]، وسيأتى الحديث عنها بالتفصيل بإذن الله تعالى.

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٥٩٩).

(٢) الفتوح، ابن أعثم الكوفى (٢/ ٣٦٣)، الولاية على البلدان (٢/ ١٦٧).

(٣) تاريخ الطبرى (٥/ ٦٠٠، ٦٠١).

(٤) تاريخ الطبرى (٥/ ٥٩٩).

(٥) تاريخ خليفة بن خياط، ص (١٩٣)، الولاية على البلدان (٢/ ٢٤).

(٦) فتوح البلدان، ص (٢٠٧)، الولاية على البلدان (٢/ ٢٤).

(٧) أدريبل من أشهر مدن أذربيجان وهى قاعدتها قبل الإسلام، واشتهرت بذلك فى صدر الإسلام وتقع حاليًا على بعد ٦٤ كيلو مترًا شرق تبريز، معجم البلدان (١/ ١٤٥).

(٨) فتوح البلدان، ص (٣٢٤)، الولاية على البلدان (٢/ ٢٥).

(٩) تاريخ اليعقوبى (٢/ ٩٥)، تاريخ الطبرى (٦/ ٢٧ - ٤٧).

ومن الأمراء لعلي في الأهـواز مصقلة بن هبـيرة الشيـباني[١]، وقد اشتـرى أسرى من بعض أجناد علي فـأعتقهـم، ولـم يتمكن من تسديد كـامل ثمنهم، ثم فر إلى مـعاوية في الشام[٢]، وقد أورد خليفة بن خياط واليًا لعلي على بلاد السند، وذكر أنه جمع جمعًا أيام علي وتوجـه إلى السند، بعد أن اجـتمع إليه النـاس، ولكنه فشل في إحـدى المعارك ومن معـه، ولم يبق من جيشه إلا عـصابة[٣] يسيرة، كـما ذكر من ولاة علي (يزيد بن حـجية التيمي) وقد استعمله عليٌّ على «الري» بعد صفين، ثم اتهمه علي رضي الله عنه بأنه أخذ من الخراج فحبسه في الكوفة، ثم فر إلى معاوية في الشام[٤]، وأما المدائن فقد كان عليها سعد بن مـسعود الثقفي، وقـد كان له دور رئيسي في مجـابهة الخوارج، ودارت بينه وبين علي وقواده العديد من المراسلات في شـأنهم، حيث حاولوا الوصول إلى المدائن[٥]، وقد اشتهـر عن سعد توليته ابن أخيـه - المختار بن أبي عبيـد الثقفي[٦]- على المدائن في حالة غيابـه، وقد غضب علي على المختـار الثقفي نتيـجة تصرفه تصـرفًا غير شـرعي في أموال الخراج[٧]، ويعتبر سعد من قواد علي المشهورين، ولعل قرب ولايته من الكوفة كان السبب الرئيسي في اشتـراكه مع علي في الكثير من المواقع، وقـد أورد المؤرخ أبو حنيفة الدينوري بعض الأسماء لولاة علي في مناطق مختلفة[٨].

وهكذا رأينا فيمـا سبق أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بذل جهدًا كـبيرًا في تنظيم الولايات، وأنه عـاني من الصعوبـات والمشكلات الكثيـرة في هذه الولاية، فقـد خرجت العديد من الولايات من يده كاليمن والحجاز ومصر، كما أنه لم يفرض سيطرته ابتداء على بعض الولايات كالشـام وفلسطين وما جاورها، وأمـا البلاد والولايات التي استـمرت تحت حكمه كالعراق وفارس فـقد عاني فيها من المشكلات الكثيرة وعلـى رأسها مشكلة الخوارج الذين ظهروا في تلك المناطق، خصوصًا في السنوات الأخيرة من حكم علي، وبالتالي فإن الاسـتقـرار في تلك المناطق لم يكن تامًـا، كمـا أن أهل البلاد الأصليين في بلاد المشـرق

(١) الأنساب للسمعاني (٧/٤٣٨)، الولاية على البلدان (٢/ ٢٥).
(٢) البداية والنهاية (٧/ ٣١٠)، الولاية على البلدان (٢/ ٢٥).
(٣) تاريخ خليفة، ص (٢٠٠)، الولاية على البلدان (٢/ ٢٥).
(٤) نهاية الأرب (٢٠/ ١٩٧)، الولاية على البلدان (٢/ ٢٦).
(٥) تاريخ الطبري (٥/ ٦٩٠).
(٦) المصدر نفسه (٥/ ٦٩٠).
(٧) التمهيد والبيان، ص (١٨٦)، الولاية على البلدان (٢/ ٢٦).
(٨) الأخبار الطوال، ص (٢٦) نقلا عن الولاية على البلدان (٢/ ٢٦).

كفارس وخراسان وسجستان قاموا بالعديد من الثورات التى قتل فيها بعض ولاة على، ومن أبرز المشكلات التى واجهها على ما وقع له من خلاف مع بعض الولاة، وبالتالى تخلوا عن ولاياتهم، كجرير بن عبد الله فى همذان، ومفضلة بن هبيرة فى الأهواز وغيرهما، وهكذا يتضح أن عليًا رضى الله عنه قضى مدة خلافته فى جهاد داخلى مع جبهات داخلية منعته فى كثير من الأحيان من تنظيم شئون تلك البلاد كما أراد، وواجهته العديد من العقبات التى بددت طاقته، واستنفدت جهوده رضى الله عنه، وقد شغلت هذه المشكلات اهتمام المؤرخين فركزوا عليها الأضواء، وكان هذا على حساب رصدهم للشئون التنظيمية والإدارية لهذه الولايات[1].

****

(١) الولاية على البلدان (٢/ ٢٧) جل هذا المبحث من كتاب الولاية على البلدان للدكتور عبد العزيز العمرى، وهو من أفضل ما اطلعت فى هذا الباب فجزاه الله خيراً.

المبحث الثاني

تعيين الولاة في عهد علي رضي الله عنه

بويع علي بالخلافة بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان، رضي الله عنه، وقد وقع الاضطراب في مختلف أنحاء الدولة نتيجة مقتل عثمان، وبالتالي فإن عليًا رضي الله عنه بويع في ظروف صعبة بدأت الدولة الإسلامية خلالها تفقد الشيء الكثير من استقرارها ونشاطها، وقد ظهر هذا الاضطراب واضحًا في المدينة نفسها، وقد بدأت الأمور تضطرب في مختلف أنحاء الدولة، وأحس المستشارون والنصحاء بخطورة ما يقع، فتقدم بعضهم بنصائح إلى علي فيما يمكن أن يفعله من البداية وخصوصًا فيما يتعلق بالولاة على البلدان[1].

أولاً: موقف علي من ولاة عثمان وتعيينه لأقاربه:

١- موقف علي من ولاة عثمان: كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يدرك إدراكًا كاملاً، أن من الأسباب الرئيسية للفتنة، عدم رضا مجموعة من الناس عن ولاة عثمان، رضي الله عنه، وذلك بسبب ما أشاعه رؤوس الفتنة ضد عثمان وولاته، وليس لعجزهم أو ظلمهم، ولكن الكثير من الكتاب المعاصرين في حديثهم عن سياسة علي في تولية الولاة، يستفتحون بقولهم: إن عليًا لم يكن ليرضى أن يبقى عمال عثمان على ولايتهم ساعة واحدة بعد توليه الخلافة، يمنعه من ذلك دينه وأمانته[2]، وما أفظع هذا الاتهام الموجه ضد عثمان، رضي الله عنه، وضد عماله، وقد نسفته في كتابي تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان، وتحدثت عن حقيقة ولاة عثمان في مبحث كامل[3]، فمن أراد المزيد فليرجع إليه.

لقد اعتمد من طعن في ولاة عثمان على روايات واهية ومشهورة وهي:

أ- الرواية الأولى: من طريق الواقدي: أن ابن عباس قال: دعاني عثمان فاستعملني على الحج ثم قدمت المدينة وقد بويع لعليّ، فأتيته في داره، فوجدت المغيرة بن شعبة مستخليًا به فحبسني حتى خرج من عنده، فقلت: ماذا قال هذا؟ قال: قال لي قبل مرته هذه: أرسل إلى عبد الله بن عامر، وإلى معاوية، وإلى عمال عثمان بعهودهم تقرهم على أعمالهم،

(١) الولاية على البلدان (٢/ ٢٧، ٢٨).

(٢) الخلفاء الراشدون للنجار، ص (٣٧٤).

(٣) عثمان بن عفان للصلابي، ص(٢٦٤-٢٨٩).

يبايعون لك الناس، فإنهم يهدئون البـلاد ويسكنون الناس، فأبيت ذلك عليه يومئذ وقلت: والله لو كان ساعة من نهار لاجتهـدت فيها رأيي، ولا وليت هؤلاء ولا مثلهم يولى، قال: ثم انصرف من عندى وأنا أعرف فيه أنه يرى أنه مخطئ ثم عاد إلىّ الآن فقال: إنى أشرت عليك أول مرة بالـذى أشرت عليك وخالفـتنى فيه، ثم رأيـت بعد ذلك رأيًا، وأنا أرى أن تصنع الذى رأيت فتنزعهم وتستعين بمن تثق به، فـقد كفى الله، وهم أهون شوكة مما كان، قال ابن عباس: فـقلت لعلى: أما المرة الأولى فقد نصحك وأما المرة الأخيـرة فقد غشك، قال لى على: ولو نـصحنى؟ قال ابن عـباس: لأنك تعلم أن معـاوية وأصحـابه أهل دنيا، فمتى تثبـتهم لايبالون بمن ولى الأمر، ومتى تعزلهم يقولون: أخذ هـذا الأمر بغير شورى، وهو قتل صاحبنا ويؤلبون عليك، فـينتقض عليك أهل الشام وأهل العراق، مع أنى لا آمن طلحة والزبير أن يكرا عليك، فقال على: أما ما ذكرت من إقرارهم فوالله ما أشك أن ذلك خير فى عاجل الدنيا لإصلاحهما، وأمـا الذى يلزمنى من الحق والمعرفة بعمال عثمان فوالله لا أولى منهم أحدًا أبدًا، فـإن أقبلوا فذلك خير لهم، وإن أدبروا بذلـت لهم السيف، قال ابن عباس: أطعنى وادخل دارك والحق بمالك بينبع، وأغلق بابـك عليك، فإن العرب تجول جولة وتضطرب ولاتجد غيرك، فإنـك والله لئن نهضت مع هؤلاء اليوم ليحملنك الناس دم عثمان غدًا، فأبى على، فقال لابن عباس: سـر إلى الشام فقد وليتكها، فقال ابن عباس: ما هذا برأى، معاوية من بنى أمية، وهو ابن عم عثمان رضى الله عنه وعامله على الشام، ولست آمن أن يضرب عنقى لعثمان، أو أدنى ما هو صانع أن يحبسنى فيتحكم علىّ، فقال له على: ولم؟ قـال: لقرابة مـا بينى وبينك، وإن كان مـا حمل عليك حـمل على ولكن اكتب إلى معاوية فمنّه وعده، فأبى علىّ وقال: والله لا كان هذا أبدًا(١).

ب- الرواية الثانية: وهى مثل الرواية الأولى فى المعنى، وفيها زيادة واختلاف يثير الشك فى صحـتها، وهو أن ابن عـباس قـدم مكة بعد مقـتل عثمـان- رضى الله عنه- فلقى فى طريقـه الزبير وطلحـة ومعهـما فـئة من قـريش بالنواصف(٢)، يريد مكة، وهذا يخالف الحقيـقة، إذ إن عليًا بويع بعد أن وصل ابن عـباس من الحج، وأن الزبير وطلحـة قد بايعا عليًا، فإذا خرجا فى هذا الوقت يكون قد خرجا قبل البيعة وهذا خطأ واضح جلى(٣).

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٦١ إلى ٤٦٣).
(٢) المصدر نفسه (٥/ ٤٦٣).
(٣) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على، ص(١٠٣).

جـ- الرواية الثالثة: رواية أبى مخنف، رواها بدون إسناد، بأن المغيرة بن شعبة أشار على علىّ أن يثبت معاويـة على الشام، وأن يولى طلحة والزبير البصرة والكوفـة، فاعترض ابن عباس على رأيه لأن البصرة والكوفة عين المال ومصدره، فإذا ولاهما ضيّقا على علىٍّ، وأن ولاية معـاوية الشام لا تنفـعه وقد تضـره، فاستـمع على إلى رأى ابن عبـاس، ولم يقبل مشورة المغيرة بن شعبة(١).

د- الرواية الرابعة: وردت رواية الواقـدى الأولى بشىء من الاختـصار عن ابـن عبـد البر(٢)، ولكن بدل ابن عبـاس، الحسن(٣). إن هذه الروايات يأتى خطرها من حـيث إنها الأساس الذى بنيت عليـه أهم الدراسات المعاصـرة وخرجت منها بنتـائج خطيرة تطعن فى أكابر الصـحابة أهل الشـورى، فى دينهم وفى عدلهم وأمانتـهم، وتصورهم أفـرادًا ماديين همهم الثـروة والسلطان ولو على حسـاب دماء المسلمين، ومـا الفتنة التى أدت إلى مـقتل عثمان، وما حرب الجمل إلا بسبب هذه الأطماع الشخصية(٤)، ويظهر الاضطراب والنكارة فى متن هذه الروايات فى جل فـقراتها، فـقوله: إن ابن عبـاس قدم المدينة بعد بيـعة علىّ يخالف الروايات الموثوقة فى أنه جاء قبل أن يبايع بالخلافـة وقد تقدم. وقوله: أشار المغيرة على علىّ بأن يرسل إلى عبد الله بن عامر وإلى معاوية، وإلى عمال عثمان بعهودهم يقرهم على أعمالهم.. يخالف روايات أوثق منها تفـيد أن معظم هؤلاء الولاة قد تركوا ولاياتهم واتخذوا سبيلهم إلى مكة، فكيف يرسل إليهم بإثباتهم وهم قد تركوا البلاد؟.

وقوله: إن عليًا قـال فى هؤلاء الولاة، والله لو كانت ساعة نهـار لاجتهدت فـيها رأيى ولا وليت هؤلاء، ولا مثلهم يولى، يخالفه أن هؤلاء الولاة مؤهلـون للإمارة والقيادة، فقد توسعت على أيديهم الدولة الإسلامية، فعبـد الله بن عامر وصلت فتوح البصرة فى ولايته إلى كابل- عاصمة أفغانستان- أمـا معاوية فلولا أنه لم يكن مؤهلاً ما ولى عشرين عامًا.. وقد بينت أن عدم رضا مجموعة من الناس عن عمال عثمان هو بسبب ما أشاعه أهل الفتنة عنهم، وليس لعجـزهم، والواقع التاريخى يثبت ذلك، وتصور الرواية الواهية المغـيرة بن شعبة بالمداهنة والغش، وعدم المبالاة بمصلحة المسلمين، وفى هذا الوقت العصيب بالذات، وهذا لايوافق أخلاقه وسيـرته قبل الفتنة وبعدها، كما تصـور- عن حسن نية- عليًا رضى

(١) أنساب الأشراف (٢/ ٣٦).
(٢) الاستيعاب (٢/ ٣٧١) بحاشية الإصابة.
(٣) خلافة على بن أبى طالب، عبدالحميد ،ص (١٠٣)، تاريخ الإسلام للذهبى عهد الخلافة الراشدة، ص (٥٣٧).
(٤) على وبنوه، طه حسين إسلاميات ، ص(٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٤)، عبقرية على ص (٥٣، ٥٥، ٧٥) للعقاد.

الله عنه بالجاهل فى هذه الأمور السياسية، وأن المغيرة وابن عباس هما العارفان بهذه الأمور(١)، وأما رواية أبى مخنف، فإن ابن عباس يشير على علىّ بعزل معاوية وأن ولايته لا تنفعه «سياسيًا» بخلاف روايات الواقدى- وفيها أن الصحابيين الجليلين طلحة والزبير إذ ولاهما على مِصْرَىْ العراق، فسيستأثران بموارده المالية(٢).

إن الروايات السابقة واهية من حيث السند، وهذا كاف فى إسقاطها، ومضطربة ومنكرة من حيث المتن، وهى روايات افتراضية إذا حدث كذا فسيحدث كذا، فهى لا تنقل الخبر التاريخى على حقيقته، وللأهواء وتدخل الراوى بشخصه وميوله الرافضية أثر فى ذلك(٣).

وما قام به أمير المؤمنين على رضى الله عنه من تعيين ولاة جدد أدعى إلى بيعة الناس فى تلك البلاد البعيدة، وليجدد بهم عهد الفتوحات، ويفسح المجال أمام العبقريات الجديدة أن تنطلق وتخدم دين الله تعالى(٤).

إن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه كان يمتلك موهبة قيادية ومعرفة بالنفوس والأوضاع القائمة، وأنه أقال الولاة ليختار سواهم حسب مايراه ملائمًا لتحقيق الانسجام الإدارى والسياسى بين الخليفة وأعوانه، وقد عزل عمر بعض ولاة أبى بكر، كما عزل عثمان بعض ولاة عمر، وبالتالى من حق على أن يعزل من يرى أن المصلحة متحققة بعزله وتعيين غيره(٥)، وقد جانب الصواب بعض المؤلفين المعاصرين فى قضية عزل على لولاة عثمان، فاشتطت أقلامهم فى تفسير هذا الموقف، فمنهم من حمله على صلابة على فى الحق وضرورة التغيير، ومنهم من حمله على ضعف خبرة على السياسية، وأن الأولى سياسيًا إبقاء الولاة، وخاصة معاوية حتى تستقر الأوضاع وتؤخذ البيعة لعلى فى الأمصار، وهذه التفسيرات مدارها على روايات واهية وأخبار ضعيفة تدور حول إبداء المغيرة بن شعبة رأيين متعارضين حول الموقف من الولاية(٦)، كما أن عليًا - رضى الله عنه- إمام مجتهد له أن يعزل جميع عمال عثمان إذا رأى المصلحة فى ذلك، وقد ولى رسول الله ﷺ وهو المعصوم- خالد بن سعيد بن العاص على صنعاء وعمرو بن العاص على عمان(٧)، فعزلهما الخليفة الصديق من بعده- رضى الله عنه- عزل خالد وولى مكانه المهاجر بن أبى أمية- له صحبة- وعزل عمرو وولى مكانه حذيفة بن محصن- له صحبة-(٨)، وقد ولى أبو بكر-

(١) خلافة على بن أبى طالب ، عبد الحميد على، ص (١٠٥)..
(٢)، (٣) المصدر نفسه، ص (١٠٦).
(٤) على بن أبى طالب، عبد الستار الشيخ، ص (١٧٦).
(٥) عصر الخلافة الراشدة، ص (١٢٩).
(٦) المصدر نفسه، ص(١٥٩).
(٧) تاريخ خليفة بن خياط، ص (٩٧).
(٨) المصدر نفسه، ص(١٢٣).

رضى الله عنه- القائدين العظيمين خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة- رضى الله عنهما- فعزلهما عمر- رضى الله عنه- مع كفاءتهما[١]، وولى الفاروق- رضى الله عنه- على مصر عمرو بن العاص[٢]- رضى الله عنه- وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة- رضى الله عنه-[٣]، فعزلهما ذو النورين، وولى على مصر ابن أبى سرح[٤]، وعلى الكوفة سعد بن أبى وقاص[٥]، فهل ينتقد عاقل الصديق والفاروق وذا النورين فى عزلهم هؤلاء العمال الأكفاء؟ إن لكل وقت أحوالاً وظروفًا تطرأ، فيحمل اللاحق على ما لايراه السابق من الاجتهاد، ويرى الشاهد ما لايراه الغائب[٦]، وأما قول بعض الكتاب المعاصرين بأن أمير المؤمنين على عزل جميع عمال عثمان، فإن العزل لم يتحقق إلا فى معاوية بن أبى سفيان فى الشام[٧]، وخالد بن أبى العاص بن هشام فى مكة[٨]، وأما البصرة فخرج منها عبد الله ابن عامر، ولم يول عثمان عليها أحدًا[٩]، وفى اليمن أخذ أميرها يعلى بن منية- رضى الله عنه- مال جباية اليمن وقدم مكة بعد مقتل عثمان، وانضم إلى طلحة والزبير وحضر معهما موقعة الجمل، ووفد ابن أبى سرح عامل مصر واستناب ابن عمه عليها، فلما رجع إليها وجد ابن أبى حذيفة تغلب عليها فطرده عنها، فذهب إلى الرملة بفلسطين ومكث بها حتى مات[١٠]، وهكذا فإن أميرى اليمن والبصرة عزلا نفسيهما، وأمير مصر عزله المتغلب عليها ابن أبى حذيفة، وأمير الكوفة أقره علىّ- رضى الله عنه- فى منصبه، فلم يرد العزل حقيقة إلا فى حق معاوية والى الشام وخالد بن أبى العاص والى مكة، كما أن أمير المؤمنين علىّ رضى الله عنه ولى أخيار الناس على المسلمين، فمن الولاة الذين ولاهم على الأقاليم سهل بن حنيف على الشام وهو صحابى جليل شهد بدرًا وأحدًا، وثبت مع النبى ﷺ يوم أحد حين انكشف الناس وبايعه على الموت، وجعل ينضح بالنبل عن رسول الله ﷺ، وشهد أيضًا الخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ[١١]،وولى عثمان بن حنيف على

(١) تاريخ خليفة بن خياط، ص (١٢٢).
(٢) المصدر نفسه، ص (١٥٥).
(٣) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٦٧).
(٤) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٣)، الولاية على البلدان (١/ ١٧).
(٥) تاريخ الطبرى (٥/ ٢٥١).
(٦) تحقيق مواقف الصحابة فى الفتنة (٢/ ٩٩).
(٧) المعجم الكبير للطبرانى (١٢/ ٢٦١)، مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٨١) رجاله رجال الصحيح.
(٨) تاريخ ابن خياط، (٢٠١)، الولاية على البلدان (٢/ ٣).
(٩) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥)، الإصابة ترجمة (٤٧١١).
(١٠) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٠٠)
(١١) الطبقات (٣/ ٤٧١).

البصـرة، وهو صحابى من الأنصار كـان عاملاً لعمـر على العراق[1]، كما ولى قيس بن سعد بن عبـادة على مصر[2]، وكان صاحب شرطة النبى ﷺ وكان جوادًا من ذوى الرأى والذكاء[3]، وولى عبـيد الله بن العباس بن عـبد المطلب على اليمن، له صـحبة[4]، وهو أصغـر من أخيه بسنة، وكـان كريمًا ممدوحًا نبـيلاً[5]، وأما قول بعض الـكتاب، إنه عزل العمال قـبل أن تصل إليه بيعة أهل الأمـصار،فإن تولية الإمـام العمال على الأمصـار غير مشروطة بوصول بيعة أهلها له عند جميع المسلمين، فمتى بايع أهل الحل والعقد أى خليفة لزمت بيعته جـميع البلدان النائية عن مركز خلافـته شرعًا وعقلاً، ولو كانـت تولية الخليفة العمال على الأمصار مـتوقفة على وصول بيعة أهلها له مـا تمت بيعة الصديق - رضى الله عنه- لأنه تصرف بإرسال بعث أسامة ومحاربة المرتدين ومانعى الزكاة قبل وصول بيعة أهل مكة والطائف وجوائى فى البحرين، وكذلك الفاروق، رضى الله عنـه، فإنه استهل خلافته بعزل خالد بن الوليد وتوليـة أبى عبيدة بن الجراح قائدًا عامًـا على جيوش المسلمين بالشام قبل وصول بيـعة أهل اليمن وجيوش المسلمين بالشام والعـراق إليه، وتصرف ذو النورين- رضى الله عنه- فى أمور المسلمين أيضًا قبل بيعة الأمصار إليه[6].

٢- تعيين أميـر المؤمنـين علىّ رضـى الله عنه بعـض أقـاربه علـى الولايات: تحـدث الكتاب المعاصـرون عن قضية تولـية الأقارب على الولايات فى خلافـتى عثمـان وعلىّ، حيث إن عثمان عين عددًا من الولاة، وقد تم تبيين ذلك، وكانوا خمسة من بنى أمية من ثمانية عشر واليًا، وعندما توفى عثمان لم يكن من بنى أمـية من الولاة إلا ثلاثة وهم معاوية وعبد الله ابن سعد بن أبى السرح، وعبـد الله بن عامر بن كريز فقط، وعزل عثمـان الوليد بن عقبة وسعيـد بن العاص، ولكنه عزلهما من أين؟ مـن الكوفة التى عزل منها عمـر سعد بن أبى وقاص، الكوفـة التى لم ترض بوال أبدًا، إذ عـزل عثمـان ، رضى الله عنه لأولئك الولاة لايعتـبر مطعـنًا فيهـم بل مطعن فى المدينة التى وُلُّوا عليـها[7]، ثم إن الولاة الذين ولاهم عثمان -رضى الله عنه- من أقاربه قد أثبتوا الكفاية والمقدرة فى إدارة شئون ولاياتهم، وفتح الله على أيديهم الكثيـر من البلدان وساروا فى الرعيـة سيرة العدل والإحـسان، ومنهم من

(١) التاريخ الكبير للبخارى (٣/ ٢٠٩).
(٢) النجوم الزاهرة (٢/ ٩٤)، ولاة مصر ص (٤٤).
(٣) الإصابة (٣/ ٩٤)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٠١).
(٤) تاريخ خليفة، ص (٢٠٠)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٠١).
(٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ٥١٢).
(٦) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٠١).
(٧) حقبة من التاريخ، ص (٥٧)، عثمان بن عفان للصلابى، ص (٢٦٥)، هناك تحقيق موسع فى المسألة.

تقلد مهام الولاية قبل ذلك فى عهد الصديق والفاروق، رضى الله عنهما[1]، وقد قام أمير المؤمنين علىّ رضى الله عنه بالسير على منهج عثمان فى تولية أصحاب الكفاية والمقدرة والصلاح من الأقارب على الولايات، وهم من أبناء عمه العباس بن عبد المطلب،وهم على التوالى، عبد الله بن عباس، وعبيد الله بن عباس، وقثم وتمام ابنا العباس، ومحمد ابن أبى بكر ربيبه، والتحقيق يثبت أن كلاً من على وعثمان عينا من يغلب على ظنهما كفاءته، ولا يتصور أنهما قدما الأقارب بسبب القرابة، وكانت الظروف التى تسود الولايات تقتضى اختيارًا دقيقًا للولاة من حيث القوة والأمانة، فلاتزال الفتوحات فى الأقاليم الشرقية غير مستقرة، فضلاً عن مشكلات الخوارج فى خلافة على[2]، ولو تأملنا فى أنساب ولاة علىّ لوجدنا أحد عشر واليًا منهم من الأنصار من بين ستة وثلاثين واليًا، وسبعة منهم من قريش- بينهم أربعة من أبناء العباس بن عبد المطلب- وهذه قائمة بأسماء الولاة فى خلافة على[3].

١- سهل بن حنيف الأنصارى (المدينة).

٢- تمام بن العباس بن عبد المطلب (المدينة).

٣- أبو أيوب الأنصارى (المدينة).

٤- أبو قتادة الأنصارى (المدينة).

٥- قثم بن العباس بن عبد المطلب (مكة والطائف).

٦- عمر بن أبى سلمة (البحرين).

٧- قدامة بن العجلان الأنصارى (البحرين).

٨- النعمان بن العجلان الأنصارى (البحرين).

٩- عبيد الله بن عباس (اليمن والبحرين).

١٠- سعيد بن سعد بن عبادة الأنصارى (الجند).

١١- مالك بن الأشتر (الجزيرة ثم مصر).

١٢- شبيب بن عامر (الجزيرة).

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة (١/٤١٧).
(٢)، (٣) عصر الخلافة الراشدة، ص (١٢٩).

١٣- كميل بن زياد النخعى (الجزيرة).

١٤- محمد بن أبى حذيفة بن عتبة (مصر).

١٥- قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى (مصر).

١٦- محمد بن أبى بكر الصديق (مصر).

١٧- عثمان بن حنيف الأنصارى (البصرة).

١٨- عبد الله بن عباس (البصرة).

١٩- أبو الأسود الدؤلى (الكوفة).

٢٠- هانى بن هوذة النخعى (الكوفة).

٢١- أبو موسى الأشعرى (الكوفة).

٢٢- أبو مسعود البدرى (الكوفة).

٢٣- قرظة بن كعب الأنصارى (الكوفة).

٢٤- سهل بن حنيف الأنصارى (فارس).

٢٥- زياد بن أبى سفيان (فارس).

٢٦- المنذر بن الجارود (اصطخر).

٢٧- عمر بن سلمة (أصبهان).

٢٨- محمد بن سليم (أصبهان).

٢٩- خليد بن قرة التميمى (خراسان).

٣٠- عبد الرحمن بن أبزى (خراسان).

٣١- جعدة بن هبيرة بن أبى وهب (خراسان).

٣٢- عبد الرحمن بن جزء الطائى (سجستان).

٣٣- ربعى بن كأس العنبرى (سجستان).

٣٤- جرير بن عبد الله البجلى (همذان).

٣٥- الأشعث بن قيس الكندى (أذربيجان).

٣٦- سعيد بن سرية الخزاعى (أذربيجان).

٣٧- الخريت بن راشد الناجى (الأهواز).

٣٨- مصقلة بن هبيرة الشيبانى (الأهواز).

٣٩- يزيد بن حجية التميمى (الرى).

٤٠- سعد بن مسعود الثقفى (المدائن).

٤١- الحارث بن مرة العبدى (السند)[١].

إن عثمان وعليًا- رضى الله عنهما- خليفتان راشدان يقتدى بهما، وأفعالهما تشكل سوابق دستورية فى هذه الأمة، فكما أن عمر سن لمن بعده التحرج من تقريب الأقربين، فإن عثمان وعليًا سنا لمن بعدهم تقريب الأقربين إذا كانوا أهل كفاءة[٢].

ثانيًا: مراقبة أمير المؤمنين عليٍّ لعماله وبعض توجيهاته:

دأب أمير المؤمنين عليّ رضى الله عنه مراقبة ولاته وتتبع أحوالهم فى ولاياتهم، والسؤال عنهم، وقد اتبع لذلك عدة أساليب منها أنه كان يبعث مفتشيه إلى هؤلاء الولاة فيسألون عنهم الناس، وقد يسأل بعض العمال عن بعض ويأمرهم بتفقد أمورهم، فقد كتب إلى كعب بن مالك: أما بعد فاستخلف على عملك، واخرج فى طائفة أصحابك حتى تمر بأرض كورة السواد فتسأل عن عمالى وتنظر فى سيرتهم [٣]، كما كان على رضى الله عنه يعتمد على تقارير سرية يبعثها إليه مفتشوه على هذه الولايات ولايعرف الولاة مهمتهم[٤]، وقد يكون هؤلاء المراقبون من موظفى الوالى أو آخرين مجهولين، وقد يكونون مقيمين فى الولاية أو متنقلين من ولاية إلى أخرى، ويدل على وجود هذه التقارير السرية ما كان يكتبه عليّ رضى الله عنه إلى هؤلاء الولاة، ولعل تدخل بعض الأشخاص بين أمير المؤمنين وولاته هوالسبب فى ترك بعضهم للولاية ورفضهم للعمل، كتدخل الأشتر بين عليّ وجرير ابن عبدالله البجلى، وتدخل بعض الناس بين على ومصقلة بن هبيرة[٥]، وقد فتح عليّ

(١) عصر الخلافة الراشدة، ص (١٣٠، ١٣١، ١٣٢).

(٢) الأساس في السنة وفقهها سعيد حوى (٤/ ١٦٧٥)، عثمان بن عفان للصلابى ،ص (٣٦٥).

(٣) تاريخ اليعقوبى (٢/ ٢٠٤). (٤) الولاية على البلدان (٢/ ٣٣).

(٥) تاريخ الطبري (٥/ ٦٠٠، ٦٠١).

رضى الله عنه الباب على مصراعيه لأى شكوى تقدم إليه ضد أحد من ولاته، وكان إذا بلغه عن أحد منهم شكاية قال: اللهم إنى لم آمرهم أن يظلموا خلقك أو يتركوا حقك(١)، وقد قام رضى الله عنه بحبس أحد الولاة وتأديبه وضربه بالدرة حينما بلغته شكاية عنه(٢)، وثبتت التهمة.

وقد كان أمير المؤمنين على دائم النصح لولاته، وقد نصح علىّ رضى الله عنه مجموعة من الولاة منهم قيس بن سعد، حين ولاه على مصر حيث أوصاه: تأتيها ومعك جند، فإن ذلك أرعب لعدوك، وأعز لوليك، فإذا أنت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن واشتد على المريب، وارفق بالعامة والخاصة، فإن الرفق يمن(٣). ومن نصائحه إلى قيس بن سعد فى إحدى رسالاته: أما بعد فأقبل على خراجك بالحق، وأحسن إلى جندك بالإنصاف، وعلم من قبلك مما علمك الله(٤)، وقد كانت بعض العهود المرسلة للبلدان فى تعين الولاة تشتمل على بعض النصائح والتوجيهات، ومن ذلك عهد على إلى محمد بن أبى بكر فى ولاية مصر الذى قرأه على الناس، فقد كان يحتوى على جملة من النصائح للعامة وللوالى نفسه(٥)، وكانت تجرى بين علىّ وبين ولاته العديد من الاتصالات سواء بالمراسلة الخطية، أو الشفهية، أو بالاتصال المباشر، وبالدرجة الأولى أثناء قدوم هؤلاء الولاة إلى الكوفة لمقابلة أمير المومنين علىّ أو للاشتراك معه فى قتال الخوارج وغيرهم، ولم يؤثر عن أمير المؤمنين أنه حج واتصل بولاته فى الحج بعد مبايعته، كما كان يفعل الخلفاء السابقون، وإنما كان ينيب عنه فى ذلك بعض من يثق فيهم كأبناء العباس وغيرهم، وكان ولاة المشرق أكثر ولاة علىّ اتصالاً به، نظرًا لقربهم من الكوفة وتكرار وفودهم إليها، وكان علىّ كثيرًا ما يكتب أوامر تصدر على شكل نصائح تبين لهم طريقة العمل، وقد كان بعضها مكتوبًا، وبعضها مشافهة، فقد جاء فى أحد كتب أمير المؤمنين إلى عماله: «فإنكم خزان الراعية، ووكلاء الأمة، وسفراء الأئمة، ولا تجشموا أحدًا عن حاجته، ولا تحبسوه عن طلبته، ولا تبيعن الناس فى الخراج كسوة شتاء، ولا صيف، ولا دابة يعملون عليها، ولا عبدًا، ولا تضربن أحدًا سوطًا لمكان درهم ولا تمس مال أحد من الناس مصلّ ولا معاهد(٦)».

وتقدم بعض الدهاقين بشكوى إلى علىّ من أحد عماله فكتب إلى ذلك العامل: أما بعد فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة واحتقارًا وجفوة، ونظرت فلم أرهم أهلاً

(١) الفتاوى (٢٨، ١٥١).
(٢) الولاية على البلدان (٢/ ٣٤) نقلاً عن الكامل لابن الأثير.
(٣)، (٤) الولاية على البلدان (٢/ ٣٦).
(٥) تراث الخلفاء الراشدين، ص (١٥٦)
(٦) نهج البلاغة (٢/ ١٥٥).

لأن يدنوا لشركهم، ولا أن يُقصوا ويجفوا لعهدهم، فالبس لهم جلبابًا من اللين تشوبه بطرف من الشدة، وداول لهم بين القسوة والرأفة، وامزج لهم بين التقريب والإدناء، والإبعاد والإقصاء إن شاء الله[1].

ثالثًا: الصلاحيات الممنوحة للولاة في عهد عليّ رضي الله عنه:

امتنع أمير المؤمنين عليّ عن تسليم جميع السلطات بيد شخص واحد، فكان مبدؤه توزيع السلطات وتحديد الصلاحيات، فقد نصب ابن عباس واليًا على البصرة، ونصب زيادًا على الخراج وبيت المال، ولم يكتف بهذا بل أمر ابن عباس أن يسمع منه ويطيع[2]، وهذا قمة الضبط الإداري، فزياد يطيع ابن عباس في إطار ولايته على البصرة، وابن عباس يطيع زياد في إطار عمله في بيت المال والخراج، أما لشئون القضاء فقد نصب أبا الأسود الدؤلي[3].

ومن خلال عهد أمير المؤمنين علي الذي كتبه لمالك بن الأشتر يمكن أن نلاحظ الصلاحيات الممنوحة للولاة، ونحاول أن نجعل الصورة أكثر وضوحًا مع التفصيل:

١- تعيين الوزراء: يقول أمير المؤمنين في عهده لمالك بن الأشتر: إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيرًا، ومن شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة[4]، فإنهم أعوان الأثمة، وإخوان الظلمة، وأنت واجد منهم خير الخلف[5]، ممن له مثل آرائهم ونفاذهم، وبين عليه مثل آصارهم وأوزارهم[6]، ممن لم يعاون ظالمًا على ظلمه، ولا آثمًا على إثمه، أولئك أخف عليك مئونة، وأحسن لك معونة، وأحنى لك عطفًا، وأقل لغيرك إلفًا[7]. ففي هذا النص الذي أورده أمير المؤمنين علي بصورة نصائح أورد فيه النقاط والحقائق الآتية:

أ- تعيين الوزراء من صلاحيات الوالي.

ب- الشروط التي يجب أن يختار الوالي وزراءه بموجبها.

جـ- طريقة التعامل والعلاقة المتبادلة بين الوالي والوزير.

د- وظيفة الوزير.

---

(١) نهج البلاغة (٢/ ١٥٥)

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٥٨٠).

(٣) تاريخ خليفة بن خياط، ص (٢٠٠).

(٤) بطانة الرجل: خاصته، والأثمة: جمع إثم، والظلمة: جمع ظالم.

(٥) الخلف: بمعنى البدل.

(٦) الآصار: جمع إصر وهو الذنب والإثم وكذلك الأوزار.

(٧) الإلف: الألفة والمحبة.

أما عدد الوزراء فلم يذكره أمير المؤمنين على بل اكتفى بلفظ الجمع، ويظهر أن عددهم يرتبط بمقدار حاجة الوالى إلى المعاونين، لأن عمل الوزير هو مساعدة الوالى فى وظائفه، وهناك شروط حددها أمير المؤمنين على: أن لايكون وزيرًا سابقًا للولاة الأشرار، وينتخب الوالى من مجموع وزرائه وزيرًا واحدًا يكون نائبه ومساعده فى تمشية الأمور، ويجب أن يختاره من بين وزرائه على أساس[1] قول أمير المؤمنين: ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك[2]. وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه واقعًا ذلك من هواك حيث وقع[3]، وأما وظائفهم فهى تدخل فى دائرة «المساعدة» وأما تحديد تفاصيل هذه الدائرة فيوكل إلى الوالى الذى يقرر وظائف وزرائه حسب الحاجة إليهم، ويكون ارتباط الوزراء بالوالى بصورة مباشرة[4].

٢- تشكيل مجالس الشورى: وذلك بالاستعانة بالعلماء والحكماء وهم أهل الحل والعقد، وأهل الخبرة، فقد ورد فى حقهم هذا النص: وأكثر مدارسة العلماء، ومناقشة الحكماء فى تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك[5].

وفى هذا النص التأكيد على جمع العلماء والحكماء فى مجالس استشارية منتظمة، ويمكن أن يجرى تعيينهم من قبل الوالى أو يتم انتخابهم من قبل الناس، فليس هناك تحديد من أمير المؤمنين عن طبيعة تشكيل هذه المجالس، بل اكتفى أمير المؤمنين بالمطالبة من واليه، وأكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء، أما كيف تم جمعهم؟ فهل اجتمعوا بأمر من الوالى أو يتم انتخابهم من قبل الناس؟ فهذا أمر لم يبت فيه أمير المؤمنين على، بل تركه معلقًا حسب الظروف التى تتحكم فى طريقة تعيينهم، إما باختيار الوالى أو انتخاب الناس، وأما وظيفة هذا المجلس فهو الدراسة والبحث لتحديد السياسات العامة بخصوص الأمرين:

أ- تثبيت ما صلح عليه البلاد.

ب- إقامة ما استقام عليه الناس من قبل الوالى.

وهذا يعنى وضع الخطوط العريضة لكل ما يتعلق بإصلاح أوضاع البلاد والعباد، سواء كان ذلك فى مصرف بيت المال أو تعين الإداريين، أو تقديم الخدمات للأصناف من تجار

(١) الإدارة والنظام الإدارى عند الإمام على، د. محسن الموسوى، ص (٢٦١).

(٢) مر الحق: صعوبته على نفس الوالى.

(٣) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ص (٦٠٩).

(٤) الإدارة والنظام الإدارى عند الإمام على، ص (٢٦١).

(٥) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ص (٦١٠).

وصناع ومزارعين، وهذا المجلس أشبه مايكون بالمجالس المحلية التي تقام في الدول التي يقوم نظامها على اللامركزية[1]، وفي نص آخر يذكر أمير المؤمنين صفات هؤلاء المستشارين والمعاونين: ثم الصق بذوي المروءات والأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة، ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة، فإنهم جماع من الكرم وشعب من العرف[2]، وذكر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أهمية الاهتمام بهم وتفقد أحوالهم وأمورهم فقال: ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما، ولا يتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به[3]، ولاتحقرن لطفًا تعاهدتهم [4] له، وإن قل فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك، ولا تفقد لطيف أمورهم اتكالاً على جسيمه، فإن لليسير من لطفك موضعًا ينتفعون به، وللجسيم موقعًا لايستغنون عنه[5].

٣- إنشاء الجيش وتجهيزه: قال أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه لمالك النخعي: وليكن آثار رؤوس جندك عندك[6] من واساهم في معونته، وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم، ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم، حتى يكون همهم همًّا واحدًا في جهاد العدو، فإن عطفك عليهم[7] يعطف قلوبهم عليك[8]. والذي يظهر من هذا النص:

أ- لابد من وجود قوة عسكرية تدافع عن الولاية.

ب- تشكيل هذه القوة وإعدادها من مسئولية الوالي، ويجري الإنفاق عليها من بيت مال الولاية.

جـ- تعيين رؤساء الجند من مسئولية الوالي، وهناك شروط على الوالي يجب العمل بموجبها عند اختيار رؤساء الجند، فلابد من رعايتهم والاهتمام بهم حتى يكون همهم همًّا واحدًا في جهاد العدو[9]، فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك[10].

---

(١) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي، ص (١٦١).

(٢) نهج البلاغة: شرح محمد عبده، ص (٦١٢).　　(٣) تفاقم الأمر: عظم، فهم مستحقون لكل خير.

(٤) أي لا تعد شيئًا من تلطفك معهم حقيرًا فتتركه لحقارته، فكل تلطف له موقع في قلوبهم.

(٥) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ص (٦١٣).

(٦) أي أفضل وأعلى منزلة من واسى الجند وساعدهم.　　(٧) أي على الرؤساء.

(٨) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ص (٦١٣).

(٩) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ص (٢٦٥).

(١٠) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ص(٦١٣).

٤- ترسيم السياسة الخارجية فى مجال الحرب والسلم: يقول أمير المؤمنين علىّ رضي الله عنه لواليه مالك الأشتر: ولا تدفعن صلحًا دعاك إليه عدوك ولله فيه رضا، فإن فى الصلح دعة لجنودك[١]، وراحة من همومك وأمنًا لبلادك، ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فإن العدو ربما قارب ليتغفل[٢]، فخذ بالحزم، واتهم فى ذلك حسن الظن، وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة[٣]، فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت[٤]، فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعًا مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود[٥]، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر[٦]، فلا تغدرن بذمتك، ولا تخيسنّ بعهدك[٧]، ولا تختلن عدوك، فإنه لايجترئ على الله إلا جاهل شقى، وقد جعل الله عهده وذمته أمنًا أفضاه بين العباد برحمته[٨]، وحريمًا يسكنون إلى منعته، ويستفيضون إلى جواره[٩]، فلا إدخال ولا مدالسة[١٠]، ولا خداع فيه ولا تعقد عقدًا تجوز فيه العلل[١١]، ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة، ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق، فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وأن تحيط بك من الله فيه طلبة[١٢]، فلا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك[١٣].

واستنادًا لهذا النص يقوم الوالى بـ:

- عقد معاهدة الصلح مع الدول والأمم المجاورة.
- أخذ الاستعداد للحرب، وأخذ الحيطة عند الضرورة، وبين هذين الأمرين تجرى مفردات كثيرة من تبادل الرسائل، وتبادل الوفود، وتبادل الزيارات وعقد الحوارات[١٤].

---

(١) الدعة: الراحة.

(٢) قارب أى تقرب منك بالصلح ليلقى عليك غفلة عنه فيغدرك فيها.

(٣) الذمة: العهد.

(٤) أى الوقاية، أى حافظ على ما أعطيت من العهد بروحك.

(٥) أى أن الناس لم يجتمعوا على فريضة من فرائض الله أشد من الوفاء بالعهود.

(٦) لأنهم وجدوا عواقب الغدر وبيلة أى مهلكة.

(٧) خاس بعهد: خانه ونقضه، والختل: الخداع.

(٨) أفضاه هنا: بمعنى أفشاه.

(٩) يستفيضون: أى يفزعون إليه بسرعة.

(١٠) الإدخال: الإفساد، والمدالسة: الخيانة.

(١١) نهج البلاغة، ص (٦٢٧).

(١٢) نهج البلاغة ، ص (٦٢٧).

(١٣) المصدر نفسه،ص (٦٢٧).

(١٤) الإدارة والنظام الإدارى عند الإمام على، ص (٢٥٦).

- الوفاء بالعهد عند المسلمين قاعدة أصولية من قواعد الدين الإسلامي التي يجب على كل مسلم أن يلتزم بها(١)، كما أن الوفاء بالعهود والمواثيق لم يكن عند أمير المؤمنين على مجرد نظرية مكتوبة على الورق، ولكنه كان سلوكًا عمليًا في حياته بالوفاء بالعهود، وقد حذر الله من نقض الأيمان بعد توكيدها في كثير من الآيات القرآنية، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١]، وقال جل وعلا: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٤].

٥- الحفاظ على الأمن الداخلي: وذلك بانتهاج السياسات السلمية، كتب أمير المؤمنين إلى بعض عماله: «أما بعد، فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة واحتقارًا وجفوة، فالبس لهم جلبابًا من اللين تشوبه بطرف من الشدة، وداول لهم بين القسوة والرأفة، وامزج لهم بين التقريب والإدناء والإبعاد والإقصاء»(٢)، وتأتي هذه السياسة للحفاظ على الأمن الداخلي، فإذا حدث مايعكر هذه المهمة فإن مهمة الوالي هي محاولة حل المشكلات بطرق سلمية بعيدة عن استخدام القوة رافضًا سياسة الاستقواء على الشعب(٣)، وفي رسالته إلى مالك بن الأشتر: فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام، فإن ذلك مما يضعفه ويهونه، بل يزيله وينقله(٤).

٦- تشكيل الجهاز القضائي في الولاية: يقول أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه: «ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تفيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم(٥)، ولايتمادى في الزلة، ولايحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه(٦)، ولاتشرف نفسه على طمع(٧)، ولايكتفي بأدنى فهم دون أقصاه(٨)، وأوقفهم في الشبهات(٩)، وآخذهم بالحجج، وأقلهم تبرمًا بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشف الأمور، وأصرمهم عند انفتاح الحكم ممن لايزدهيه إطراء(١٠)، ولا يستميله إغراء.. وافسح له في البذل مايزيل

(١) منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية، ص(٣٢٩).
(٢) الولاية على البلدان (٢/ ٣٧) نقلا عن شرح نهج البلاغة (٢/ ٢٣٠) طبعة أخرى غير محمد عبده.
(٣) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي، ص (٢٥٧)
(٤) شرح نهج البلاغة، ص (٦٢٧).
(٥) لاتحمله مخاصمة الخصوم على اللجاج والإصرار على رأيه.
(٦) أي: لايضيق صدره من الرجوع إلى الحق.
(٧) الإشراف على الشيء: الاطلاع عليه من فوق.
(٨) لايكتفي في الحكم بما يبدو له بأول فهم وأقربه دون أن يأتي على أقصى فهم.
(٩) الشبهات: ما لايتضح الحكم فيها بالنص.
(١٠) لاتستخفه زيادة الثناء عليه.

علته وتقل معه حاجته إلى الناس، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك». فانظر فى ذلك نظرًا بليغًا[١].

من هذا النص يظهر لنا:

أ- من مسئولية الوالى تعيين القضاة.

ب- على الوالى الالتزام بشروط صارمة فى اختيار القاضى.

جـ- على الوالى رعاية القضاة رعاية كاملة حتى لا يشعروا بالحاجة إلى الآخرين[٢].

٧- النفقات المالية: المصدر لتمويل النفقات فى الولاية أموال الزكاة والصدقات والغنائم والفئ والخراج والعشور، وتوضع فى بيت المال وهو المحل الذى يجتمع فيه بيت مال المسلمين، وهناك عامل فى بيت المال يسجل كل ما يصله من أموال، وكل ما يخرج من بيت المال، ولبيت المال وظيفة مهمة فى الإدارة اللامركزية، فما يجتمع من الأموال يتم أولاً إنفاقه على شئون الولاية من موظفين وعمال وقضاة، ومحتاجين، وإعمار إلخ.. وما تبقى يتم إرساله إلى عاصمة الخلافة، ويعتبر بيت المال قلب الولاية الذى يوزع الدم فى شرايين الأجهزة العاملة[٣]، قال أمير المؤمنين علي: وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى من قبلك من ذوى العيال والمجاعة[٤]، وجزء من هذه الأموال مصدره الخراج- كما ذكرنا- وهو ما وضع لأخذه على الأرض المزروعة، وهو المصدر الأول لتغطية رواتب موظفى الولاية، ومازاد على ذلك يوزع على الفقراء والمساكين، يقول أمير المؤمنين علي: «الناس كلهم عيال على الخراج وأهله» والمقصود بالناس عامة الموظفين والمجاهدين الذين قال عنهم أمير المؤمنين رضى الله عنه: «لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله من الخراج». وقد أرشد أمير المؤمنين إلى استثمار الأرض؛ أى عمارة الأرض فقد قال: «وليكن نظرك فى عمارة الأرض أبلغ من نظرك فى استجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج لغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد»[٥]، فعمارة الأرض ستضيف موارد مالية جديدة يمكن الاستفادة منها فى مجال الرواتب والنفقات المتنوعة، وتتم هذه النفقات باستقلالية عن الأجهزة المركزية التى لها حصة من هذه الموارد بعد أن يتم استخراج المقادير الضرورية للولاية، وبعث البقية إلى العاصمة، يقول أمير المؤمنين: «وما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيمن قبلنا»[٦]، كما أن النفقات المهمة فى الولاية إعمار الأنهار، فقد

(١) شرح نهج البلاغة، ص (٦١٥).

(٢) الإدارة والنظام الإدارى ، ص(٢٥٨).

(٣) الإدارة والنظام عند الإمام على، ص (٢٦٢).

(٤) شرح نهج البلاغة، ص (٦٤٧).

(٥) المصدر نفسه ، ص (٦١٧).

(٦) المصدر نفسه (٦١٨)، الإدارة والنظام، ص (٢٥٨)

كتب أمير المؤمنين على لقرظة بن كعب الأنصارى: «أما بعد، فإن رجالاً من أهل الذمة من عمالك ذكروا نهرًا فى أرضهم قد عـفا واندفن، وفيه لهم عمارة على المسلمين، فانظر أنت وهم، ثم أعمر وأصلح النهر، فلعمرى لأن يعـمروا أحب إلينا من أن يخرجوا وأن يعجزوا ويقصروا فى واجب من صلاح البلاد والسلام»(١).

٨- العمال التابعون للـولاة ومتابعتهم: قال أمير المؤمنين على: «ثم انظر فى أمور عمالك فاستعـملهم اختبارًا(٢)، ولا تولهم محاباة وأثرة، فإنها جـماع شعب الجور واليانة، وتوخً منهم أهل التجربة والحـياء، أهل البيوتات الصالحـة والقدم فى الإسلام(٣) المتقدمة، فإنهم أكرم أخلاقًا وأصح أعراضًا، وأقـل فى المطامع إشرافًا، وأبلغ فى عواقب الأمور نظرًا، ثم أسبغ عليهم الأرزاق(٤)، فإن ذلك قوة لهم على استـصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ماتحت أيديهم، وحـجة عليهم إن خـالفوا أمرك أو ثلمـوا أمانتك(٥)، ثم تفقد أعـمالهم، وابعث العيون(٦) من أهل الصدق والوفـاء عليهم، فإن تعاهدك فى السـر لأمورهم حدوة لهم(٧) على استعمال الأمانة والرفق بالرعـية، وتحفظ من الأعوان، فإنْ أحد منهم بسط يده إلى الخيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك(٨)، اكتفيت بذلك شاهدًا، فبسطت عليه العقـوبة فى بدنه، وأخذته بما أصاب من عمـله، ثم نصبته بمقـام المذلة ووسمته بالخـيانة، وقلدته عار التهمة»(٩).

وهنا يتـحـدث عن الموظفين الـتابـعين للولاة والمحـافظين على المدن والقـرى وجـبـاة الصدقات، وعلى عاتقهم مسئولية كبيرة لأن عملهم متصل بالناس بصورة مباشرة، ويتجلى فى هذا النص أهميـة هؤلاء فى الجهاز الإدارى؛ لأنهم يمثلون السلطة التنفـيذية الحقيـقية، فكان لابد من إشباع حاجاتهم حتى لا يطمعـوا فى مال غيرهم، ولا حقوقهم(١٠)،ويشير أميـر المؤمنين على إلى أهمية الـعيون التى تقـوم بأعمال الرقـابة على الإدارات والوحدات وبيت المال، ويتم تعـيينهم من قبل الوالى ويكون ارتبـاطهم معـه، وهناك شروط يجب أن تتوافر فيهم:

---

(١) تاريخ اليعقوبى (٢/٢٠٣)، الولاية على البلدان (٢/٣٧).

(٢) أى الاختبار والامتحان قبل تولية الأعمال.

(٣) أى أهلها هم الأولون.

(٤) أكمله ووسع لهم فيه.

(٥) نقصوا فى أدائها أو خانوا.

(٦) العيون: الرقباء.

(٧) حدوة لهم: أى سوق لهم وحث.

(٨) اجتمعت عليه أخبار الرقباء.

(٩) شرح نهج البلاغة، ص (٦١٦).

(١٠) الإدارة والنظام الإدارى عند على، ص (٢٦٦).

أ- أن يكونوا من أهل الصدق حتى تكون تقاريرهم واقعية صادقة.

ب- أن يكونوا من أهل الوفاء حتى يكون هدفهم هو الإخلاص للدولة، وبعد تقديم التقارير على الوالى أن يثبت بدقة ما فى هذه التقارير ولايسرع فى الحكم على الأفراد، ومن أعمال هذا الجهاز فرض الرقابة على التجار وذوى الصناعات لمنعهم من الاحتكار وإيقاع الضرر بالناس، وما قاله أمير المؤمنين فى رسالته للأشتر فى هذه الفقرة يشير إلى أن دولة الخلافة الراشدة تهتم بدوام المباشرة لأحوال الرعية، وتفقد أمورها، والتماس الإحاطة بجانب الخلل فى أفرادها وجماعاتها، وهذا مبدأ قرآنى بينه المولى عز وجل على لسان سليمان عليه السلام: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٢٠، ٢١]، وتفقد الطير، وذلك بحسب ما تقتضيه العناية بأمور الخلافة والاهتمام بكل جزء فيها والرعاية لكل واحد فيها وخاصة الضعفاء، ولاشك أن القيادة تحتاج إلى لجان ومؤسسات وأجهزة حتى تستطيع أن تقوم بهذه المهمة العظيمة، إن سليمان عليه السلام كان مهتمًا بمتابعة الجند وأصحاب الأعمال وخاصة إذا رابه شىء من أحوالهم، فسليمان عليه السلام، لما لم ير الهدهد بادر بالسؤال: ﴿مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ يعنى أهو غائب؟ كأن يسأل عن صحة ما لاح له[1]، ثم قال: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ سؤال آخر ينم عن حزم فى السؤال بعد الترفق، فسليمان عليه السلام أراد أن يُفهم منه أنه يسأل عن الغائب لا عن شفقة فقط ولكن عن جد وشدة، إذا لم يكن الغياب بعذر[2]، فعهد الخلافة الراشدة تطبيق عملى لمفاهيم القرآن الكريم، إن أمير المؤمنين عليًا رضى الله عنه أشار إلى أهمية الأجهزة الأمنية للدولة المسلمة التى تحرص أشد الحرص على الاهتمام بالأخبار والمعلومات حتى توظف لخدمة الدين، ونشر المبادئ السامية، والأهداف النبيلة، والمثل العليا، وتقضى على بذور الفساد فى الأجهزة المتعددة التى يقوم عليها نظام الولايات.

٩- أصناف وطبقات المجتمع: قال أمير المؤمنين: «واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوى

(١) تفسير الرازى (٢٤/ ١٨٩). (٢) الحكم والتحاكم فى خطاب الوحى (٢/ ٥٩٣).

الحاجة والمسكنة، وكل قد سمى الله سهمه[1]، ووضع على حده فريضته فى كتابه أو سنة نبيه ﷺ، عهدًا منه عندنا محفوظًا» إلى أن قال: «ولا قوام لهم جميعًا إلا بالتجار ذوى الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم[2]، ويقيمونه من أسواقهم، ويكفونه من الترفق بأيديهم مالا يبلغه وفق غيرهم، ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم»[3] ثم أوصى بالتجار وأصحاب الصناعة بهم خيرًا فقال: «ثم استوصِ بالتجار وذوى القناعات وأوص بهم خيرًا: المقيم منها، والمضطرب بما له[4]، والمترفق ببدنه، فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق وجُلاَّبها من المباعد والمطارح فى برك وسهلك وجبلك، وحيث لايلتم الناس لمواضعها[5]، ولايجترئون عليها، فإنهم سلم لاتخاف بائقته[6]، وصلح لا تخشى غائلته، وتفقد أمورهم بحضرتك وفى حواشى بلادك، واعلم مع ذلك أن فى كثير منهم ضيقًا فاحشًا وشحًا قبيحًا[7]، واحتكارًا للمنافع وتحكمًا فى البياعات، وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاية، فامنع من الاحتكار، فإن رسول الله ﷺ منع منه، وليكن البيع بيعًا سمحًا، بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع، فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه[8]، فنكل به، وعاقب فى غير إسراف»[9]

ونلاحظ من كلام أمير المؤمنين على رضى الله عنه أن طبقة التجار من أهم شرائح المجتمع، ولذلك أرشد الولاة إلى الاهتمام بهم من خلال وجود دائرة تتولى رعاية هذه الطبقة والإشراف على أعمالها، حتى لا يظهر عليها المظاهر السلبية كالشح والاحتكار وما شابه ذلك. وذوو الصناعات، يلم بهم ما يلم التجار من أضرار ومشاكل، فكان لابد من قيام جهاز لرعايتهم ومساعدتهم فى إتمام أعمالهم[10]، ومن هذه الطبقات أهل الخراج، وهم العاملون على الأرض من زراع وحراث وحافرين لآبار، وهم يحتاجون إلى الاهتمام وتشكيل لجان تكون موكلة بأهل الخراج لحل المشكلات التى تعترضهم، لأن هذا الطريق هو السبيل إلى التنمية واستثمار الأرض. ومن هذه الأصناف أهل الذمة الذين يعيشون فى الدولة الإسلامية، ويعملون فيها، فلابد من رعاية الدولة لهم وتفقد شئونهم، من خلال جهاز يتولى شئونهم الاقتصادية منها والاجتماعية[11]، ومنها الطبقة السفلى من المساكين

(١) أى نصيبه من الحق.
(٢) شرح نهج البلاغة، ص (٦١١).
(٣) رفدهم: مساعدتهم وصلتهم.
(٤) المتردد بأمواله بين البلدان.
(٥) يجلبونها من أمكنة بحيث لا يمكن التئام الناس واجتماعهم فى مواضع تلك المرافق.
(٦) البائقة: الداهية.
(٧) الشح: البخل.
(٨) قارف: خالط، حكرة: الاحتكار.
(٩) شرح نهج البلاغة، ص (٦٢٠).
(١٠)، (١١) الإدارة والنظام الإدارى عند الإمام على، ص (٢٦٣).

والمحتاجين وأهل البؤس والزمن، فـإن فى هذه الطبقة القانع[١]، والمعتر[٢]، وتشمل هذه الطبقة أهل اليتم وذوى الرقة فى السنٍّ ممن لا حيلـة له، ولا ينصب للمسألة نفسه، فالدولة مسئولة عن رعاية كامـلة، اجتماعية واقتصادية وتعليميـة، وكان على الوالى أن يحدد وقتًا للقاء بهم ليزيل عنهم مشاعر الحرمان ويتفقد أمورهم بنفسه وبصورة مباشرة، وعليه أن يوفر الأجواء التى يستطيع بواسطتها هؤلاء المحرومون من التكلم أمام الوالى[٣].

١٠- التربية بالعـقاب والثواب: قال أمير المؤمنين على: «ولايكون المحسن والمسىء عندك بمنزلة سواء، فإن فى ذلك تزهيدًا لأهل الإحسان فى الإحسان، وتدريبًا لأهل الإساءة على الإساءة، وألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه[٤]، واعلم أنه ليس بشىء أدعى إلى حسن ظن راعٍ برعيـته من إحسانه إليـهم وتخفيـفه المؤونات عليهم، وترك استـكراهه إياهم على ما ليس قِبَلهم[٥]، فليكن منك فى ذلك أمر يجـتمع لك به حسن الظن برعيـتك، فإن حسن الظن يقطع عنك نصبًا طويلاً[٦]، وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده»[٧]، وهذه التربية بالعقاب والثواب تحدث عنها القرآن الكريم وتتضح معالمها جلية فى قصة ذى القرنين فى قوله تعالى: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: ٨٧، ٨٨].

إن التربية العمليـة للقيادة الراشدة هى التى تجعل الحوافز المشجعـة هدية للمحسن ليزداد فى إحسانه، وتفـجر طاقة الخير العاملة عـلى زيادة الإحسان وتشعره بالاحتـرام والتقدير، وتأخذ على يد المسىء لـتضرب على يده، حـتى يترك الإساءة، وتعـمل على توسيع دوائر الخير والإحسان فى أوساط المجتمع وتضييق حلقات الشر إلى أبعد حدود وفق قانون الثواب والعقاب، وهذا ما أرشد إليه أمير المؤمنين علىّ رضى الله عنه.

١١- دور العرفاء والنقبـاء فى تثبيت نظام الولايات: عرف المسلمون النقباء فى بيـعة العقبة الثانية حـينما عين الرسول ﷺ اثنى عشر نقيبًـا من الأنصار على قومهم؛ ثلاثة من الأوس وتسعة من الخزرج[٨]، واستمر تنظيم النقباء والعرفاء فى الأجناد الإسلامية المختلفة فى عهد عمـر، ومما ورد فى ذلك تنظيم الناس فى القـادسيـة على يد سعـد بن أبى وقاص حـيث اجتمعت الـقبائل، فأمَّر أمراء الأجناد وعـرَّف العرفاء، فعرَّف على كل عشـرة رجلاً، كما

(١) القانع: السائل.
(٢) المعتر: المتعرض للعطاء بلا سؤال.
(٣) الإدارة والنظام الإدارى، ص(٢٦٤).
(٤) فإن المسىء ألزم نفسه استحقاق العقاب، والمحسن الثواب.
(٥) قبلهم: بكسر ففتح- أى عندهم.
(٦) النصب: التعب.
(٧) البلاء هنا: الصنع مطلقًا حسنًا أو سيئًا، انظر: نهج البلاغة، ص (٦١).
(٨) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٨٧).

كانت العرافات أزمان النبي ﷺ وكذلك كانت إلى أن فرض العطاء، وأمر على الرايات رجالات من أهل السابقة، وعشر الناس وأمر على الأعشار رجالاً من الناس لهم وسائل في الإسلام[1]. ويُعد عمر أول من نظم تقسيم الناس في الأمصار عمومًا، ففي زمانه برز العرفاء على الناس في أمصارهم وأصبحوا مسئولين أمام الوالي عن قبائلهم والمجموعات المنضمة إليهم حسب التقسيم المتبع ذلك الوقت[2]، وقد استمر نظام العرفاء طيلة عصر عثمان رضي الله عنه، وخلال عهد عليّ رضي الله عنه، فكان يجمع النقباء ويعطيهم الأموال بحصصهم فيقسمونها على من يتبعهم من الناس[3]، وقد استفاد الولاة من العرفاء في إدارة الولايات في الشئون المختلفة المدنية منها والعسكرية، فكانوا يساعدون في توزيع العطاء على الناس، وفي السيطرة على النظام داخل الولايات، وفي البحث عن المطلوبين للقضاء وغيره، وفي سرعة تجنيد الناس حين الحاجة، وفي أخذ المشورة من الناس، كما كان للنقباء دور في معرفة من يضاف اسمه إلى العطاء ومن يحذف اسمه، وغير ذلك من الأمور المختلفة، وهكذا كان العرفاء من أهم الموظفين للولاة في إدارة أمصارهم مع أن هؤلاء في الغالب لم يكونوا متفرغين لهذا العمل وحده، بل كانوا مجرد مساعدين وقت الحاجة، وكان في تقسيم العرفاء والنقباء في كثير من الأحيان شيء من التنظيم القبلي، حيث كان التقسيم أحيانًا باعتبار القبيلة، إلى أن كثر الداخلون في الإسلام من الأعاجم وبدءوا يستوطنون الأمصار فبدأ هذا التقسيم يقل تدريجيًا[4] مع احتفاظه بقوته في معظم الأوقات خلال عهد الخلفاء الراشدين[5]، وقد كان يتبع الولاة على البلدان بعض كبار القواد الذين يتولون قيادة أقسام معينة في الجيش، ويقومون بالفتوح المختلفة بتوجيه من أمراء الولايات، كما كانوا يصحبون الوالي وهو أمير الحرب في غزواته المختلفة ويساعدونه في تنظيم الجيش وقيادته[6]، وقد كان أمراء التعبئة يلون الأمير، والذين يلون أمراء التعبئة أمراء الأعشار، والذين يلون أمراء الأعشار، أصحاب الرايات، والذين يلون أصحاب الرايات والقواد رؤوس القبائل[7]، كما أن العرفاء يرفعون مايراه قومهم من اقتراحات أو تظلمات جماعية، ويوصلونها نيابة عنهم، ويتحدثون باسمهم ويدافعون عن حقوقهم أمام الوالي وغيره[8].

(١) الولاية على البلدان (٢/١٠٦)، تاريخ الطبري (٥/٨٧).
(٢) النظم الإسلامية، صبحي الصالح، الولاية على البلدان (٢/١٠٦).
(٣) الأموال، القاسم بن سلام، ص(٣٤٥)، الولاية على البلدان (٢/١٠٦).
(٤) الولاية على البلدان (١/١٠٧)
(٥) المصدر نفسه (٢/١٠٧).
(٦) الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة للزبيدي ، ص (٤١).
(٧) تاريخ الطبري، نقلا عن الولاية على البلدان (٢/١٠٨).
(٨) العرافة والنقابة للفاروقي ص (٨٠، ٨١، ٨٦)، الولاية على البلدان (٢/١٠٨).

رابعًا: من المفاهيم الإدارية عند أمير المؤمنين علىّ رضى الله عنه:

١- التأكيد على العنصر الإنسانى: كتب أمير المؤمنين إلى أحد عماله: «أما بعد، فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة واحتقارًا وجفوة.. فالبس لهم جلبابا من اللين تشوبه بطرف من الشدة، وداول بين القسوة والرأفة وامزج لهم بين التقريب والإدناء والإبعاد والإقصاء إن شاء الله»[١]. فكان على الرئيس ملاحظة الأوضاع النفسية لمرءوسيه، وأن يضع استراتيجيته الإدارية على ضوء هذا الواقع، وأن يوازن بين ضرورات الضبط والتنظيم مع الضرورات الواقعية التى تفرزها الحالات الإنسانية والنفسية، فمن الخطأ أن تقوم النظرية الإدارية التنظيمية على قواعد صارمة وثابتة لاتراعى العامل الإنسانى، ولا تراعى تأثيرات الظروف، وكأن التنظيم الإدارى لأى مؤسسة أو منظمة أو حركة، أو حزب أو جمعية أو ناد... إلخ يتحرك فى فراغ بمعزل عن التأثيرات الخارجية والداخلية[٢].

٢- عامل الخبرة والعلم: فى هذا النطاق يؤكد أمير المؤمنين على رضى الله عنه على أهمية أن يكون المسئول صاحب خبرة وعلم، فإذا كان كذلك فله حق الطاعة، وإلا فإنه لا طاعة له، يقول أمير المؤمنين: عليكم بطاعة من لا تعذرون بجهالته[٣]، فإذا كان جاهلاً فإنهم معذورون فلا طاعة للجاهل لأنه يأخذهم إلى الهلاك. ويقول أيضًا: لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق[٤]، والجاهل غير العارف بالأمور ينتهى أمره إلى معصية الخالق[٥] بأمر مخالف.

٣- العلاقة بين الرئيس والمرءوس: هذه العلاقة لايرسمها التسلسل التنظيمى والتدرج بل ترسمه المصلحة المشتركة بين الرئيس والمرءوسين، يقول أمير المؤمنين على لواليه عندما بعثه إلى مصر: «ثم أمور من أمورك لابد لك من مباشرتها، منها إجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك، ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك بما تحرج به صدور أعوانك»[٦] ونحن هنا أمام حالة أُلغى فيها التسلسل الوظيفى إلغاء تامًا، وإذا لم يقدر الوالى على القيام بهذه المهمة فإنه ينتدب بعض خلصائه لذلك، فيقول: «وتفقد أمور من لايصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال، ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم»[٧]، وهذا تجاوز واضح على الإدارة البيروقراطية التى ترى أن كل شىء

(١) نهج البلاغة، ص (٥٣٩)
(٢) الإدارة والنظام الإدارى عند الإمام على، ص (٢١٧).
(٣) نهج البلاغة، ص (٧٠٠).
(٤) المصدر نفسه، ص (٧٠١).
(٥) الإدارة والنظام الإدارى، ص(٢١٧).
(٦) نهج البلاغة ، ص(٦٢٣).
(٧) المصدر نفسه، ص (٦٢١)

يجب أن يتم ضمن التسلسل الإدارى ولاحق لأحـد فى إلغاء هذا التسلسل، ومن يُلغِ ذلك يُعد متجـاوزًا للتنظيم، ثم بين أمير المؤمنين مضار التـقيد غير المسئـول بالتسلسل الوظيفى: «فإن احـتجاب الولاة عن الرعيـة شعبة من الضـيق وقلة علم بالأمور، والاحـتجاب عنهم يقطع عنهم علم ما احتجـبوا دونه؛ فيصغر عندهم الكبير، ويعظم الصـغير، ويقبح الحسن ويحسن القبيح، ويشاب الحق بالباطل»[1]. هذه هى مضار التسلسل الإدارى والتقيد الحرفى به، فتـباطؤ الأمور بين هذه السلسلة الطويلة وانتـقالها من مـسئول إلى مسـئول، ومنه إلى مسئـول ثالث، فرابع وخامس حتى وصولها إلى الناس الـعاديين، هذه السلسلة التى تجرى بعيدًا عن مباشرة الرئيس الأعلى قد تغير الأمور وتقلبـها رأسًا على عقب، فيصبح الصغير كبيرًا والحق باطلاً، والحســن قبيحًا والقبيح حسنًا، كمـا يقول أمير المؤمنين رضى الله عنه، وهو ما تعانى مـنه التنظيمات البيـروقراطية لأنها تعتـمد على سلسلة تنتقل عـبرها المسائل والقضايا، فـتنحرف عن أهدافها ومراميـها، والعلاج كما يقدمـه أمير المؤمنين على هو ألا يحتـجب المسئول عن أفـراده، فاحتجـابه يتسبب فى تغـيير قراراته أو تـطبيقهـا فى أحسن الظروف تطبيقًـا متحجرًا بعـيدًا عن الأهداف التى طمح من أجلها، ومهـمة الرئيس ليست محـصورة فى لقاء المرءوسين، بل عليه أن يوفـر الأجواء المطمئنة التى تجـعل المرءوس قادرًا على طرح مـشاكله بطمـأنينة وبدون خوف، لأن الغـاية ليست هى المقـابلات الفجـة، بل الهدف هو أن يكون هذا اللقاء مفيدًا فلابد مـن خلق الأجواء المناسبة لهذه اللقاءات، يقول فى ذلك: واجعل لذوى الحاجات منك قـسمًا تُفرغُ لهم فيه شخـصك وتجلس لهم مجلسًا عامًا فتتواضع فيه لله الذى خلقك وتقعد عنهم جندك وأعوانك من حراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متعتع[2]. ويبعث إلى قثم بن العباس «ابن عمه» برسالة يقول فيها: «ولايكن لك إلى الناس سـفيـر إلا لسـانك ولا حاجب إلا وجـهك»[3]، وهناك نصوص أخرى تؤكد على طبيعة العلاقة بين الرئيس والمرءوسين وأنها لاتقوم عبر الوسائل ولا القيود الإدارية، بل تقوم وجهًا لوجه عندما تستدعى الحاجة لذلك[4].

٤- مكافحـة الجمود: هناك بعض النظريات الإدارية واللوائح التنظيـمية تسبب الجـمود، وإضاعة الوقت والجهد، وإضاعة الحقوق، كما أن كثيرًا من الأعمال لايفكر بإنجازها أساسًا لأنها تستغرق وقتًا طويلا حتى يتم إقـرارها عبر السلسلة الإدارية، من هنا جاءت دعوة أمير المؤمنين رضى الله عنه: من أطاع التوانى ضيع الحقوق[5].

(١) نهج البلاغة رقم (٥٣) ص (٦٢٤). (٢) المصدر نفسه، ص (٦٢٢).
(٣) المصدر نفسه (٦٤٧). (٤) الإدارة والنظام الإدارى عند الإمام على، ص (٢١٧).
(٥) نهج البلاغة، ص (٧١٤).

٥- **الرقابة الواعية:** الرقابة مهمة فى كل تنظيم إدارى، فقد نوه أمير المؤمنين رضى الله عنه إلى هذه الوظيفة فقال: «وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك فى السر لأمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية»[(١)]، فالرقابة عند أمير المؤمنين هى عطف ونصرة للمراقب لمواصلة أداء الأمانة، كما أن الرقابة لابد أن تتم عبر وسائط من أهل الصدق والوفاء حتي يكون تقييمهم عادلاً لا تتلاعب فيه أهواؤهم، فالرقابة هنا عامل مساعد على التقدم، وتدفع بالأفراد إلى الحركة، والإخلاص فى العمل. إن القوانين الصارمة لا وجود لها فى الفكر الإدارى لأمير المؤمنين رضى الله عنه عندما تعيق هذه القوانين حركة الأفراد داخل التنظيم، وتصبح سببًا لإضاعة الحقوق [(٢)].

٦- **التوظيف يتم عبر الضوابط وليس عبر الروابط الشخصية:** فى هذا المجال أكد أمير المؤمنين على فى عهده لواليه على مصر: «ثم انظر فى أمور عمالك فاستعلمهم اختباراً ولا تولهم محاباة وأثرة» فلابد من إجراء الاختبارات الأولية على الشخص الذى يراد استخدامه فى عمل ما، ويجب أن يبتعد الرئيس عن المعايير الشخصية فى توظيف أو ترقية الأشخاص إلى المناصب العالية، ثم يقول: «ثم انظر فى حال كُتابك، فولّ على أمورك خيرهم»[(٣)] وليس أقربهم إلى قلبك وعائلتك، فلا مجال للروابط والعواطف، فالمعيار هو الحق، وتتعلق هذه الميزة بخاصية أخرى هى الأمانة[(٤)].

٧- **الضبط:** ففى كتاب أمير المؤمنين علىّ رضى الله عنه إلى الأشعث بن قيس يتبين هذا المفهوم: «وإن عملك ليس لك بطعمة، ولكنه فى عنقك أمانة، وأنت مسترعى لمن فوقك»[(٥)]. فقد اعتبر أمير المؤمنين العمل الإدارى- فى هذا النص- أمانة، ويجب على المسئول أن يرد هذه الأمانة كما هى، وأن يحافظ عليها، وأنه مسئول أمام الله على أدائها، ومسئول أمام رئيسه «من فوقه» اعترافًا بأهمية التسلسل الوظيفى، وهذا عامل مهم من عوامل إيجاد الضبط الإدارى الذاتى الذى يمنع مظاهر التسيب والانحراف[(٦)].

٨- **المشاركة فى صنع القرار:** إذا ما أعدنا قراءة النصوص عند أمير المؤمنين التى تحث على المشاورة لوجدنا أن الغاية من هذا الحث هو إيجاد مقدار من المشاركة فى صنع القرار، وأن

(١) نهج البلاغة، ص (٦١٦).
(٢) الإدارة والنظام الإدارى، ص (٢٢١، ٢٢٢).
(٣) نهج البلاغة، ص (٦١٨).
(٤) الإدارة والنظام الإدارى، ص(٢٢٢).
(٥) نهج البلاغة، ص(٥٢٥).
(٦) الإدارة والنظام الإدارى، ص (٢٢٣).

لاينفرد رجل واحد فى صنع القرار، سواء كان هذا الرجل قائدًا عسكريًا، أو ماليًا، أو مديرًا أو مسئولاً فى أى ميدان من الميادين، فـ «الشركة» فى الرأى تؤدى إلى الصواب(١)، لأنها مشاركة جمع من العقول، وإضافة آراء ذوى الخبرة والتجربة، فالقرار الذى يأتى عبر مناقشة مستفيضة ستجتمع عليه الآراء فيكون أقرب إلى الصواب(٢)، فالمشاورة تكفل هذا النجاح، يقول أمير المؤمنين على: شاوروا فالنجاح فى المشاورة(٣)، لم يحدد أمير المؤمنين كيفية وأسلوب المشاورة بل وضع أمامنا قاعدة عامة، وذكر لنا فوائد تطبيق هذه القاعدة، ولم يستثن ميدانًا من الميادين عن المشورة، وهذا يعنى أنها ضرورية لكل عمل يقوم به الإنسان، وتشتد الضرورة عندما يكون هذا العمل منوطًا بمجموعة من الأشخاص وليس فردًا واحدًا، وإذا أمعنا النظر فى هذا النص: صواب الرأى بإجالة الأفكار(٤)، لاتضح لنا أهمية المناقشات المستفيضة من ذوى الشأن للوصول إلى القرار الصائب(٥).

٩- حسن الاختيار لدى الوالى والضمانات المادية والنفسية لموظفى الدولة: إن حسن الاختيار يسد الطريق أمام المشاكل التى قد تطرأ نتيجة ضعف الموظف أو عدم انسجامه مع الجو العام، وإذا أمعنا النظر فى رسالة أمير المؤمنين علىّ لمالك الأشتر النخعى لوجدنا الشروط المهمة التى يضعها أمامه عند اختياره لعماله: «ثم انظر فى أمور عمالك فاستعملهم اختبارًا، ولا تولهم محاباة وأثرة، فإنها جماع من شعب الجور والخيانة، وتوخَّ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة، والقدم فى الإسلام المتقدمة فإنهم أكرم أخلاقًا، وأصح أغراضًا، وأقل فى المطامع إسرافًا ،وأبلغ فى عواقب الأمور نظرًا»(٦). فهذه شروط متعددة غير محصورة بالكفاءة اللازمة فى العمل فقط، بل لابد من ملاحظة «العامل» من النواحى النفسية والاجتماعية أيضًا، حتى لايأخذه الطموح ولا تتغير نواياه وأغراضه، كما لابد من من ملاحظة سلوكه الاجتماعى وقدرته على التكيف فى المحيط الاجتماعى الجديد، عند ذلك تبدأ مسئولية الوالى: ثم أسبغ عليهم الأرزاق، فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك(٧)، فعندما تجتمع تلك الخصال فى فرد من الأفراد ثم يقابل بالمكافأة الجيدة فإن ذلك مدعاة له لأن يستقيم فى عمله ويواصل جهده لترقية الولاية أو المؤسسة. وفى مكان آخر

(١- ٥) الإدارة والنظام الإدارى، ص (٢٢٩). (٦)، (٧) نهج البلاغة، ص (٦١٦).

يقول: وافسح له فى البذل ما يزيل علته، وتقل معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك مالايطمع فيه غيره من خاصتك[1]. وهذه عوامل تحصن الموظفين الكبار من السقوط فى طريق الرشوة أو شرائه بالمال:

أ- البذل الواسع الذى يكفل جميع حاجاته حتي يشعر بالغنى.

ب- المنزلة المرموقة حتى يشعر بالأمن والطمأنينة على وظيفته، وهذا ما يسمى بالأمن الوظيفى.

فماذا يريد الموظف بعد كل ذلك إذا كانت حياته مؤمنة، ووضعه الوظيفى مستقرًا، وهذه الضمانات لكبار موظفى الدولة يمكن إنزالها على الشركات الكبرى والمؤسسات العملاقة وقادة الحركات الإسلامية، إنها كفالة كاملة تضمنها للموظف أفضل الأفكار الإدارية، فحتى الإدارة اليابانية لا تحيط الموظف بهذا الشكل من الرخاء الأمنى والمعيشى، فالموظف يأخذ راتبًا معينًا، وقد يكون هذا الراتب غير كاف لتغطية جميع نفقاته، فماذا سيعمل حينذاك يا ترى؟ قد تدفعه الحاجة إلى أعمال مشينة مخلة بالأخلاق، لكن المنهاج الإدارى لأمير المؤمنين علىّ رضى الله عنه يجب أن يؤمن الموظف حتى يصل حد الغنى، أى لايتم الاكتفاء بالراتب الشهرى فقط، بل المعيار هو تأمين حاجاته، ومن ثم توفير الأمن الوظيفى له[2]، «وأعطه من المنزلة ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك»[3].

١٠- مرافقة ذوى الخبرات: فذوو التجارب هم مصدر المعرفة الواقعية، ومن الطبيعى أن يستفيد المتعلم من أصحاب التجارب أكثر ممن يتلقى العلوم النظرية، وقد استفاد اليابانيون من هذه القاعدة عندما حولوا معاملهم إلى جامعات يستفيد منها العامل الجديد، فهو يتلقى الخبرة ممن سبقه، والذى سبقه ممن سبقه، وقد جاءت هذه القاعدة على لسان أمير المؤمنين: خير من شاورت ذوو النهى والعلم وأولو التجارب والحزم[4]، وأفضل من شاورت ذوو التجارب[5]، ويقول فى مصاحبة أصحاب العلم والتجربة: خير من صاحبت ذوو العلم والحلم[6]، فهذه النصوص ماهى إلا قواعد غايتها إعداد الإنسان المسلم الناجح فى الحياة، ومن ثم بناء المجتمع المتصف بالتقدم والرقى المستمر[7].

(١) شرح نهج البلاغة، ص(٦١٥). (٢) الإدارة والنظام الإدارى، ص (٢٣١).

(٣) شرح نهج البلاغة، ص(٦١٥).

(٤)، (٥) الإدارة والنظام الإدارى ، ص (٢٣٤).

(٦)، (٧) المصدر نفسه، ص (٢٣٥).

١١- الإدارة الأبوية: الوالى هو أب قبل أن يكون صاحب سلطة، وهو يتعامل مع موظفيه على أنهم أبناؤه، فمثلما يتحمل الأب تربية أبنائه، كذلك يتحمل مسئولية إعداد كبار موظفى الدولة، وهذا ما أخذت به التجربة اليابانية، والذى نجد له مصداقًا فى قول أمير المؤمنين على إلى مالك بن الأشتر فيوصيه بموظفيه: ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما[١]، فيجب أن يتعامل المسئول مع أفراده معاملة الوالد لولده يرعاه، ويعفو عنه عندما يسىء ، وعندما يعاقبه فعقوبته هى تربية له.

هذه بعض المفاهيم الإدارية عند أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه.

****

(١) نهج البلاغة، ص (٦١٢) ، الإدارة والنظام الإدارى، ص(٢٣٥).

الفصل السادس

معركتا الجمل وصفين وقضية التحكيم

قال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ⑨ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠].

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قيل للنبى ﷺ: لو أتيت عبد الله بن أبى؟ قال: فانطلق إليه، وركب حمارًا، وانطلق المسلمون، وهى أرض سبخة(١)، فلما أتاه النبى ﷺ قال: إليك عنى، فوالله لقد آذانى نتن حمارك، قال: فقال رجل من الأنصار: والله لحمار رسول الله أطيب ريحًا منك، قال: فغضب لعبد الله رجل من قومه. قال: فغضب لكل واحد منهما أصحابه، قال: فكان بينهم ضرب بالجريد وبالأيدى وبالنعال. قال: فبلغنا أنها نزلت فيهم: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾(٢).

وعن الحسن عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس، قوله: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ فإن الله سبحانه أمر النبى ﷺ والمؤمنين إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين أن يدعوهم إلى حكم الله، وينصف بعضهم من بعض، فإن أجابوا حكم فيهم بكتاب الله، حتى ينصف المظلوم من الظالم، فمن أبى منهم أن يجتنب فهو باغ، فحق على إمام المؤمنين أن يجاهدهم ويقاتلهم، حتى يفيئوا إلى أمر الله، ويقروا بحكم الله(٣).

وفى قوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾، أى إذا تقاتل فريقان من المسلمين، فيجب على ولاة الأمور الإصلاح بالنصح والدعوة إلى حكم الله، والإرشاد وإزالة الشبهة وأسباب الخلاف، والتعبير بـ«إن» للإشارة إلى أنه لا ينبغى أن يقع القتال بين المسلمين، وأنه إن وقع فإنه نادر قليل، والخطاب فى الآية لولاة الأمور، والأمر

(١) أرض سبخة هى الأرض التى تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر.

(٢) البخارى، رقم ٢٦٩١، مسلم رقم ١٧٩٩.

(٣) التفسير الصحيح، حكمت البشير (٤/ ٣٦٩).

فيها للوجوب[١]، وقد استدل البخارى وغيره بهذا على أن المعصية وإن عظمت لا تُخرج من الإيمان، خلافًا للخوارج القائلين بأن مرتكب الكبيرة كافر وهو فى النار، وثبت فى صحيح البخارى عن أبى بكرة -رضى الله عنه- قال: إن رسول الله ﷺ خطب يومًا، ومعه على المنبر الحسن بن على -رضى الله عنهما-، فجعل ينظر إليه مرة، وإلى الناس أخرى، ويقول: **«إن ابنى هذا سيد، ولعل الله تعالى أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»**[٢]، فكان كما قال ﷺ أصلح الله تعالى به بين أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب التى وقعت بينهما[٣].

وفى قوله تعالى: ﴿**فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ**﴾، أى فإن اعتدت وتجاوزت الحد إحدى الفئتين على الأخرى، ولم تذعن لحكم الله وللنصيحة، فعلى المسلمين أن يقاتلوا هذه الطائفة الباغية، حتى ترجع إلى حكم الله، وما أمر به من عدم البغى، والقتال يكون بالسلاح وبغيره، ويفعل الوسيط ما يحقق المصلحة، وهى الفيئة، فإن تحقق المطلوب بما دون السلاح كان ذلك، وإن تعين السلاح وسيلة فعل حتى الفيئة.

وفى قوله تعالى: ﴿**فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ أى رجعت الفئة الباغية فى بغيها، بعد القتال، ورضيت بأمر الله وحكمه، فعلى المسلمين أن يعدلوا بين الطائفتين فى الحكم، ويتحروا الصواب المطابق لحكم الله، ويأخذوا على يد الطائفة الظالمة حتى تخرج من الظلم، وتؤدى ما يجب عليها للأخرى، حتى لا يتجدد القتال بينهما مرة أخرى، واعدلوا أيها الوسطاء فى الحكم بينهما. إن الله يحب العادلين، ويجازيهم أحسن الجزاء، وهذا أمر بالعدل فى كل الأمور[٤]. قال ﷺ: **«إن المقسطين عند الله، على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما وُلُّوا»**[٥] ثم أمر الله تعالى بالإصلاح فى غير حال القتال، ولو فى أدنى اختلاف، فقال: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ**﴾، فهذه الآية أصل من الأصول التى تنظم علاقة المسلم بأخيه المسلم[٦]. إن الله تعالى لم ينف صفة الإيمان عن إحدى الطائفتين أو كلتيهما مع وقوع القتال بينهما، وإن أولى الناس بالدخول تحت معنى هذه الآية هم سادات المؤمنين الصحابة الكرام، سواء ما وقع فى معركة الجمل أو صفين، وقد قام أمير المؤمنين علىّ -رضى الله عنه- بتطبيق هذه الآية من حرص على الإصلاح. وقد

(١) التفسير المنير للزحيلى (٢٦/٢٣٧).
(٢) البخارى، رقم (٧١٠).
(٣)، (٤) التفسير المنير (٢٦/٢٣٨).
(٥) مسلم: الإمارة -حديث رقم(١٨٢٧).
(٦) سورة الحجرات، د. ناصر العمرى (٣٠٥).

استجـاب طلحة والزبير لذلك، إلا أن أتباع عـبد الله بن سبأ أنشبـوا الحرب بين الطرفين، وسيأتي بيان ذلك في محله بإذن الله، وحرص أمير المؤمنين على الإصلاح مع أهل الشام، وبذل ما في وسـعه، من طرق سلمية، وجـرّد سيفه بعـد فشل كل المحاولات الإصلاحـية لكي يفيء معاوية -رضي الله عنه- إلى السمع والطاعة، ووحدة الخلافة الإسلامية، إلا أن معاوية اشـترط تسليم قتلة عثمـان -رضي الله عنه-، فاجتهد وأخطأ، وكـان الحق مع أمير المؤمنين علي ووقع القتال.

وقال تعـالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ فـأثبتت الأخـوة الإيمانية لجـميع المقـاتلين من المسلمين، ومن باب أولى ما وقع بين علي وطلحـة والزبير -رضي الله عنهم- في الجمل، ومـا وقع مع معـاوية في صـفين، ومن هنا يظهـر لنا أن المقاتلـين في الجمل وفي صـفين مؤمنون، ولا مجـال للطعن في الصحابة بسـبب هذه الحوادث التاريخيـة، أو محاولة نزع الإيمان عنهم، أو نشر العـبارات المنحرفـة في حقهم، ويكفي فـي الرد على تلك المقولات الباطلة أن هذه الآيات أثبتت لهم أخوة الإيمان، ويأتي بيان ما وقع بينهم -بإذن الله تعالى- بالتفصيل.

فقد ذكر تعالى أن المؤمنين إخوة في الدين، ويجمعهم أصل واحد، وهو الإيمان، فيجب الإصلاح بين كل أخـوين متنازعين، وزيادة في أمر العناية بالإصلاح بـين الأخوين أمر الله تعـالى بالتقـوى، والمعنى: فأصلحـوا بينهـما، وليكن رائدكم في هذا الإصـلاح وفي كل أموركم تقوى الله، وخشـيته والخوف منه، بأن تلتزموا الحق والعـدل، ولا تحيفوا ولا تميلوا لأحـد الأخوين، فـإنهم إخوانكم، والإسـلام سوّى بـين الجمـيع، فلا تفـاضل بينهم ولا فوارق، ولعلكم ترحمون بسبب التقوى وهي التزام الأوامر واجتناب النواهي[1].

وقد جـعلت الآية الكريمة الإصـلاح بين الإخوة وتقـوى الله سبب نزول رحـمة الله، تعظيمًا لأمـر الإصلاح بين المسلمين[2]. ويلاحظ أنه قال: اتقـوا الله عند تخاصم رجلين، ولم يقل ذلك عنـد إصلاح الطـائفـتين، لأنه في حـالة تخـاصم الرجلين يخـشى اتسـاع الخصومـة، وأما في حال تخاصم الطائفـتين فإن أثر الفتنة أو المفســدة عام شامل الكل[3]، وكلمة (إنما) للحصر تفيـد أنه لا أخوة إلا بين المؤمنين، ولا أخوة بين المؤمن والكافر، لأن

(1) التفسير المنير (٢٦/ ٢٣٩).
(2) منهج القرآن الكريم في إصلاح النفوس للحريري: ص(١٦).
(3) التفسير المنير (٢٦/ ٢٣٩).

الإسلام هو الرباط الجامع بين أتباعه، وتفيد أيضًا أن أمر الإصلاح ووجوبه إنما هو عند وجود الأخوة فى الإسلام، لا بين الكفار، فإن كان الكافر ذميًا أو مستأمنًا وجبت إعانته وحمايته ورفع الظلم عنه، كما تجب إعانة المسلم ونصرته مطلقًا إن كان خصمه حربيًا[1].

وقد قال ابن العربى: هذه الآية أصل فى قتال المسلمين، والعمدة فى حرب المتأولين، وعليها عوّل الصحابة، وإياها عنى النبى ﷺ: «تقتل عمارًا الفئة الباغية» [أى عمار بن ياسر] أى أن الأمر بقتال البغاة فرض على الكفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقين، ولذلك تخلف قوم من الصحابة -رضى الله عنهم- عن هذا الأمر، كسعد بن أبى وقاص، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة وغيرهم، اعتذر إليه كل واحد منهم بعذر قبله منهم[2] أمير المؤمنين علىٌّ. وهناك كثير من الأحكام سوف نراها من خلال سرد الوقائع التى حدثت بين الصحابة -بإذن الله تعالى-.

ويُعد نظام التحكيم وقتال الفئة الباغية حتى تفئ إلى أمر الله نظامًا له السبق من حيث الزمن على محاولات البشرية فى هذا الطريق، وله الكمال والبراءة من العيب والنقص الواضحين فى كل محاولات البشرية البائسة القاصرة التى حاولتها فى كل تجاربها الكسيحة، وله بعد هذا وذاك صفة النظافة والأمانة والعدل المطلق، لأن الاحتكام فيه إلى أمر الذى لا يشوبه غرض ولا هوى، ولا يتعلق به نقص أو قصور[3]. ولم تنته محاولات الإصلاح منذ اندلاع القتال حتى توج بالصلح العظيم الذى خطط له أمير المؤمنين الحسن بن على رضى الله عنه.

****

(1) التفسير المنير (٢٦/ ٢٤٠).
(2) المصدر نفسه (٢٦/ ٢٤٢)، أحكام القرآن (٤/ ١٥٠).
(3) فى ظلال القرآن (٦/ ٣٣٤٤).

المبحث الأول

الأحداث التى سبقت معركة الجمل

كانت فتنة مقتل عثمان -رضى الله عنه- سببًا فى حدوث كثير من الفتن الأخرى، وألقت بظلالها على أحداث الفتن التى تلتها، وقد ساهمت أسباب عديدة فى فتنة مقتل عثمان -رضى الله عنه-، منها: الرخاء وأثره فى المجتمع، طبيعة التحول الاجتماعى فى عهده، مجئ عثمان بعد عمر، خروج كبار الصحابة من المدينة، العصبية الجاهلية، توقف الفتوحات، الورع الجاهل، طموح الطامحين، تآمر الحاقدين، التدبير المحكم لإثارة المآخذ ضد عثمان، استخدام الأساليب والوسائل المهيجة للناس، دور عبد الله بن سبأ فى الفتنة، وقد تم تفصيل تلك الأسباب فى كتابى «تيسير الكريم المنّان فى سيرة عثمان بن عفان».[1] إن عثمان -رضى الله عنه- كان الناس يحبونه حبًا عظيمًا، لحسن سياسته ولمكانته من رسول الله ﷺ وأحاديثه فى الثناء عليه وزواجه من ابنتيه حتى سمى بذى النورين، فهو من الصحابة الكبار الذين بشروا بالجنة، ولقد تعرض للظلم فى حياته من بعض الغوغاء، وكان فى استطاعته أن يقضى عليهم ولكنه امتنع خوفًا من أن يكون أول من يسفك الدماء فى أمة محمد ﷺ، فقد كانت سياسته فى التعامل مع الفتنة قائمة على الحلم والتأنى والعدل، وقد منع الصحابة من قتال الغوغاء، وأحب أن يقى المسلمين بنفسه، ولذلك كان مقتله سببًا لحدوث كثير من الفتن الأخرى وألقت بظلالها على الأحداث المتتالية من الفتن، ولقد كان مقتله عظيمًا على المسلمين ولذلك تصدع المجتمع الإسلامى لهذا الحادث الجلل، وانقسم الناس، ومما يزيد من مكانته وبراءته مما نسب إليه مواقف الصحابة من قتله، فقد أجمع الجميع على براءته واتفقوا على الأخذ بدمه إلا أن المواقف اختلفت فى الكيفية، وهذا ما سيأتى بيانه، بإذن الله. ونحب أن نسلط الأضواء على دور عبد الله بن سبأ فى الفتنة عمومًا:

أولاً: أثر السبئية فى إحداث الفتنة:

(١) السبئية حقيقة أم خيال: حقيقة عبد الله بن سبأ: أجمع القدماء على وجوده بلا استثناء وخالف فى ذلك قلة من المعاصرين أكثرهم من الشيعة، وحجة من أنكره أنه من إبداع مخيلة سيف بن عمر التميمى وذلك لانتقاد بعض علماء الرجال له فى مجال رواية الحديث أن العلماء يعدونه حجة فى الأخبار، علمًا بأنه وردت روايات كثيرة عند ابن عساكر تذكر عبد الله بن سبأ ليس من بين رواتها سيف بن عمر، وقد حكم الألبانى على بعضها بأنها

(١) عثمان بن عفان للصّلابّى ص(٣١١-٣٤٠).

صحيحة من حيث السند[(١)]، وهذا غير الروايات الكثيرة عن ابن سبأ فى كتب الشيعة سواء فى كتب الفرق أو الرجال أو الحديث عندهم، وليس فيها عمر هذا، لا من قريب ولا من بعيد، وقد ابتدأ التشكيك فى شخصية عبد الله بن سبأ[(٢)] ووجوده فى محاولة منهم لنفى دور العنصر اليهودى الحاقد فى زرع الفتنة بين المسلمين من جهة، ومن جهة أخرى يوجه الاتهام للصحابة بأنهم سبب الفتنة بغرض هدم النموذج السامى والصور المشرقة لهم عند المسلمين، وتابعهم على نفى وجود عبد الله بن سبأ بعض المعاصرين كلهم من الشيعة الرافضة لغاية فى نفوسهم، وهى محاولتهم الفاشلة لتبرئة أصل مذهبهم من مؤسسه الحقيقى كما أجمع القدماء جميعهم بمن فيهم الشيعة. وتجدر الإشارة أن من أنكر عبد الله ابن سبأ من المحسوبين على أهل السنة هم ممن تأثروا وتتلمذوا على أيدى المستشرقين، فأين بلغ هؤلاء من قلة الحياء والجهل؟ وقد ملأت ترجمته كتب التاريخ والفرق، وتناقلت أفعاله الرواة وطبقت أخباره الآفاق، لقد اتفق المؤرخون والمحدثون وأصحاب كتب الفرق والملل والنحل والطبقات والأدب والأنساب الذين تعرضوا للسبئية على وجود شخصية عبد الله بن سبأ الذى ظهر فى أخبار الفتنة، ودور ابن سبأ فيها لم يكن قصرًا على تاريخ الإمام الطبرى، واستنادًا على روايات سيف بن عمر التميمى فيه، إنما هى أخبار منتشرة فى روايات المتقدمين، وفى ثنايا الكتب التى رصدت أحداث التاريخ الإسلامى وآراء الفرق والنحل فى تلك الفترة، إلا أن ميزة تاريخ الإمام الطبرى على غيره أنه أغزرها مادة وأكثر تفصيلاً لا أكثر، ولهذا فإن التشكيك فى هذه الأحداث بلا سند وبلا دليل بحجة عدم ذكر عبد الله بن سبأ إلا من طريق سيف بن عمر حتى بعد ثبوت ذكره من روايات صحيحة ليس فيها سيف بن عمر كما أسلفنا، إنما يعنى الهدم لكل تلك الأخبار، والتسفيه بأولئك المخبرين والعلماء وتزييف الحقائق التاريخية، فمتى كانت المنهجية ضربًا من ضروب الاستنتاج العقلى المحض فى مقابل النصوص والروايات المتضافرة؟ وهل تكون المنهجية فى الضرب صفحًا والإعراض عن المصادر الكثيرة المتقدمة والمتأخرة التى أثبتت لابن سبأ شخصية واقعية؟[(٣)]، وقد جاء ذكر ابن سبأ فى كتب أهل السنة كثيرًا منها:

جاء ذكر السبئية على لسان أعشى همدان[(٤)] المتوفى عام ٨٣هـ، وقد هجا المختار بن أبى عبيد الثقفى وأنصاره من أهل الكوفة بعدما فرّ مع أشراف قبائل الكوفة إلى البصرة بقوله:

(١) دعاوى الإنقاذ للتاريخ الإسلامى، للعودة ذكر فيها الطرق التى ذكرها الألبانى.

(٢) تحقيق موقف الصحابة (١/ ٢٨٤) ذكر تفصيلات مهمة، وكذلك عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة فى صدر الإسلام، للعودة.

(٣) دعاوى الإنقاذ للتاريخ الإسلامى للعودة، تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٧٠).

(٤) هو عبد الرحمن بن الحارث الهمدانى، المعروف بأعشى همدان.

شـــهـدت عليكـم أنكم سـبـــئـيـــة وأني بكم يا شـرطة الكفـر عــارف[1]

وهناك رواية عن الشعبى المتـوفى عام ١٠٣هـ (٧٢١م) تفيد كذب عبـد الله بن سبأ[2]، وتحدث ابن حبيب[3] المتوفى عام ٢٤٥ هـ (٨٦٠م) عن ابن سـبأ حينما اعتـبره أحد أبناء الحبشيات[4]، كما روى أبو عاصم خُشيش بن أصرم المتوفى سنة ٢٥٣ هـ خبر إحراق على -رضى الله عنه- لجماعة من أصحاب ابن سبـأ فى كتابه الاستقامة[5]، ويعتبر الجاحظ[6] المتوفى سنة (٢٥٥ هـ) من أوائل مـن أشار إلى عبد الله بن سـبأ[7]، ولكن روايته ليست أقدم رواية عن ابن سبأ كما يروى الدكتور جواد على[8]، وخبر إحراق على بن أبى طالب -رضى الله عنه- لطائفـة من الزنادقة تكشف عنه الروايات الصـحيحـة فى كتب الصـحاح والسنن والمسانيد[9]، ولفظ الزندقة ليس غريبًا عن عبد الله بن سبأ وطائفته.

ويقول ابن تيمية: إن مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق عبد الله بن سبأ[10].

ويقول الذهبى: عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة، ضال مضل[11].

ويقول ابن حـجر: عبـد الله بن سبأ من غـلاة الزنادقة.. وله أتباع يقـال لهم السبئـية، معتقدون الإلهية فى على بن أبى طالب، وقد أحرقهم على بالنار فى خلافته[12].

ويوجد لابن سبأ ذكر فى كتب الجرح والتعديل، يقول ابن حبان المتوفى ٣٥٤هـ: وكان الكلبى -محمـد بن السائب الإخبارى- سبـئيًا، من أصحاب عبـد الله بن سبأ، من أولئك الذين يقـولون: إن عليًا لم يمت، وأنـه راجع إلى الدنيا قـبل الساعـة.. وإن رأوا سحـابة قالوا: أمير المؤمنين فيها[13]، كما أن كتب الأنساب هى الأخرى تؤكد نسبة السبئية إلى عبد الله بن سـبأ، وهم الغـلاة من الرافضـة،وابن سبـأ أصله من اليمن، كـان يهوديًا وأظـهر الإسلام[14]، ولم يكن سيف بن عمر هو المصدر الوحيد لأخبار عبد الله بن سبأ، إذ أورد

(١) ديوان أعشى همدان: ص(١٤٨).
(٢) تاريخ دمشق، ابن عساكر (٩/ ٣٣١).
(٣) تاريخ بغداد (٢/ ٢٧٧).
(٤) عبد الله بن سبأ للعودة ص(٥٣)، المحبَر، ابن حبيب: ص(٣٠٨).
(٥) تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٥١)، شذرات الذهب (٢/ ١٢٩).
(٦) وفيات الأعيان (٣٠، ٤٧٠).
(٧) البيان والتبيين (٣/ ٨١).
(٨) تحقيق مواقف الصحابة (٨/ ٢٩٠).
(٩) عبد الله بن سبأ للعودة: ص(٥٣).
(١٠) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٨٣).
(١١) ميزان الاعتدال للذهبى (٢/ ٤٢٦).
(١٢) لسان الميزان لابن حجر (٣/ ٣٦٠).
(١٣) المجروحين من المحدثين، أبو حاتم (٢/ ٢٥٣).
(١٤) الأنساب (٧/ ٢٤).

ابن عساكر فى تاريخه روايات لم يكن سيف فيها، وهى تثبت ابن سبأ وتؤكد أخباره[1]، ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ أن أصل الرفض من المنافقين الزنادقة، فإنه ابتداع ابن سبأ الزنديق، وأظهر الغلو فى على وادعى الإمامة والنص عليه، وادعى العصمة له[2]، ويشير الشاطبى[3] والمتوفى عام ٧٩٠هـ إلى أن بدعة السبئية من البدع الاعتقادية المتعلقة بوجود إله مع الله -تعالى- وهى بدعة تختلف عن غيرها من المقالات[4]، وفى خطط المقريزى المتوفى عام ٨٤٥هـ، أن عبد الله بن سبأ قام من زمن على مُحدثًا القوم بالوصية والرجعة والتناسخ[5]، وأما المصادر الشيعية التى ذكرت ابن سبأ، فقد روى الكشى عن محمد بن قولوية، قال: حدثنى سعد بن عبد الله قال: حدثنى يعقوب بن يزيد، ومحمد بن عيسى، عن على بن مهزيار، عن فضالة بن أيوب الأزدى، عن أبان بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله يقول: لعن الله عبد الله بن سبأ، إنه ادّعى الربوبية فى أمير المؤمنين وكان والله أمير المؤمنين عبدًا طائعًا، الويل لمن كذب علينا، وإن قومًا يقولون فينا ما لا نقول فى أنفسنا نبرأ إلى الله منهم[6]، والرواية عند الشيعة من حيث السند صحيحة[7].

وفى كتاب الخصال أورد القمى الخبر نفسه، ولكن موصولاً بسند آخر، وأما صاحب روضات الجنات فقد ذكر ابن سبأ على لسان الصادق المصدوق الذى لعن ابن سبأ لاتهامه بالكذب والتزوير وإذاعة الأسرار والتأويل[8]، وقد ذكر الدكتور سليمان العودة فى كتابه مجموعة من النصوص التى تزخر بها كتب الشيعة ومروياتهم عن عبد الله بن سبأ، فهى أشبه ما تكون وثائق مسجلة تدين من حاول من متأخرى الشيعة إنكار عبد الله بن سبأ، أو التشكيك فى أخباره، بحجة قلة، أو ضعف المصادر التى حكت أخباره[9].

إن شخصية ابن سبأ حقيقة تاريخية لا لبس فيها فى المصادر السنية والشيعية المتقدمة والمتأخرة على السواء، وهى كذلك أيضًا عند غالبية المستشرقين أمثال:

(١) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٢٩٨)، عبد الله بن سبأ للعودة: ص(٥٤).

(٢) مجموعة الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٤٣٥).

(٣) إبراهيم بن موسى، محمد الغرناطى توفى عام ٧٩٠.

(٤) الاعتصام (٢/ ١٩٧).

(٥) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزى (٢/ ٢٥٦، ٢٥٧).

(٦) رجال الكشى (١/ ٣٢٤).

(٧) عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة للشيعة، لمحمد على المعلم: ص(٣٠).

(٨)، (٩) عبد الله بن سبأ، سليمان العودة: ص(٦٢).

يوليوس فلهاوزن[1]، وفان فولتن[2]، وليفى ديلافيد[3]، وجولد تسيهر[4]، ورينولد نكلسن[5]، وداويت رونلدس[6]. . على حين يبقى ابن سبأ محل شك أو مجرد خرافة عند فئة قليلة من المستشرقين أمثال: كيتانى وبرنارد لويس[7]، وفريد لندر المتأرجح[8]، علمًا بأننا لا نعتد بهم فى أحداث تاريخنا.

ومن يستقرأ المصادر، سواء القديمة والمتأخرة، عند السنة والشيعة، يتأكد له بأن وجود ابن سبأ كان وجودًا تؤكده الروايات التاريخية، وتفيض فيه كتب العقائد، وذكرته كتب الحديث، والرجال والأنساب، والأدب، واللغة، وسار على هذا النهج كثير من المحققين والباحثين والمحدثين، يبدو أن أول من شك فى وجود ابن سبأ المستشرقون، ثم دعّم هذا الطرح الغالبية من الشيعة المعاصرين بل وأنكر بعضهم وجوده ألبتة، وبرز من الباحثين العرب المعاصرين من أعجب بآراء المستشرقين، ومن تأثر بكتابات الشيعة المحدثين، ولكن هؤلاء جميعًا ليس لهم ما يدعمون به شكهم وإنكارهم إلا الشك ذاته، والاستناد إلى مجرد الهوى والظنون والفرضيات[9]، ومن أراد التوسع فى معرفة المراجع والمصادر السنية والشيعية والاستشراقية التى ذكرت ابن سبأ فليراجع تحقيق مواقف الصحابة فى الفتنة للدكتور محمد أمحزون، وعبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة فى صدر الإسلام، للدكتور سليمان بن حمد العودة.

(٢) دور عبد الله بن سبأ فى تحريك الفتنة: فى السنوات الأخيرة من خلافة عثمان -رضى الله عنه- بدت فى الأفق سمات الاضطراب فى المجتمع الإسلامى نتيجة عوامل التغيير التى ذكرناها، وأخذ بعض اليهود يتحينون فرصة الظهور مستغلين عوامل الفتنة ومتظاهرين بالإسلام واستعمال التقية، ومن هؤلاء عبد الله بن سبأ الملقب بابن السوداء، وإذا كان ابن سبأ لا يجوز التهويل من شأنه كما فعل بعض المغالين فى تضخيم دوره فى الفتنة[10]، فإنه كذلك لا يجوز التشكيك فيه أو الاستهانة بالدور الذى لعبه فى أحداث الفتنة، كعامل من

(١) الخوارج والشيعة، يوليوس فلهاوزن: ص(١٧٠).
(٢) السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات: ص(٨٠).
(٣) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٢١).
(٤) العقيدة والشريعة الإسلامية، جولد تسيهر: ص(٢٢٩).
(٥) تاريخ العرب الأدبى فى الجاهلية: ص(٢٣٥).
(٦) عقائد الشيعة: ص(٥٨).
(٧) أصول الإسماعيلية (٨٦).
(٨)، (٩) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣١٢).
(١٠) مثال سعيد الأفغانى فى كتابه (عائشة والسياسة).

عواملهـا، على أنه أبرزها وأخطرها، إذ إن هناك أجواءً للفـتنة مهدت له، وعـوامل أخرى ساعدته، وغاية ما جاء به ابن سبأ آراء ومعتقدات ادّعـاها واخترعها من قبل نفسه وافتعلها من يهوديته الحاقدة، وجعل يروجها لغاية ينشدها وغرض يستهدفه، وهو الدَّس فى المجتمع الإسلامى بغيـة النيل من وحدته، وإذكاء نار الفتنة وغرس بذور الشـقاق بين أفراده، فكان ذلك من جملة العـوامل التى أدّت إلى قتل أميـر المؤمنين عثمــان -رضى الله عنه- وتفرق الأمة شيـعًا وأحزابًا[1]، وخلاصة مـا جاء به أن أتى بمقدمات صـادقة وبنى عليهـا مبادئ فاسدة راجت لدى السذج الغلاة وأصحاب الأهواء من الناس، وقد سلك فى ذلك مسالك ملتوية لبّس فيهـا علي من حوله حتى اجتمعوا عليه، فطرق باب القـرآن بتأوّله على زعمه الفاسد حيث قال: لَعجَب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمدًا يرجع، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القـصص: ٨٥] فمـحمـد أحق بالرجوع من عيسى[2]، كما سلك طريق القـياس الفاسد من ادعاء إثبـات الوصية لعلى -رضى الله عنه- بقوله: إنه كـان ألف نبى، ولكل نبى وصى، وكان على وصى محـمد ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلى خاتم الأوصياء[3]، وحينما استقر الأمر فى نفوس اتباعه انتقل إلى هدفه المرسوم، وهو خروج الناس على الخليفة عثمان -رضى الله عنه-، فصادف ذلك هوى فى نفوس بعض القـوم حيث قال لهم: من أظلم ممن لم يجز وصـية رسول الله ﷺ ووثب على وصىّ رسول الله ﷺ وتناول أمر الأمـة؟ ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثـمان أخذها بغيـر حق، وهذا وصىّ رسول الله ﷺ فانهـضوا فى هذا الأمـر فحـركوه، وابدءوا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تستميلوا الناس وادعوه إلى هذا الأمر[4]، وبث دعاته، وكاتب من كـان فى الأمصار، وكاتبوه ودعـوا فى السر إلى ما عليـه رأيهم، وأظهروا الأمـر بالمعروف والنهى عن المنكر، وجـعلوا يكتـبون إلى الأمـصار بكتب يضعـونها فى عـيوب ولاتهم ويكاتبـهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مـصر منهم إلى مصر آخر بمـا يصنعون، فيقرؤه أولئك فى أمصارهم وهـؤلاء فى أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة، وأوسعوا الأرض إذاعة، وهم يريدون غير مـا يظهرون، ويسترون غير ما يبدون، فيقول أهل مصر: إنّا لفى عافية مما فيه الناس[5].

(١) تحقيق مواقف الصحابة (١/٣٢٧). (٢)، (٣) تاريخ الطبرى (٥/٣٤٧).
(٤)، (٥) المصدر نفسه (٥/٣٤٨).

ويظهر فى النص الأسلوب الذى اتبعه ابن سبأ، فهو أراد أن يوقع فى أعين الناس بين اثنين من كبار الصحابة، حيث جعل أحدهما مهضوم الحق وهو على، وجعل الثانى مغتصبًا وهو عثمان، ثم حاول بعد ذلك أن يحرك الناس -خاصة فى الكوفة- على أمرائهم باسم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فجعل هؤلاء يثورون لأصغر الحوادث على ولاتهم، علمًا بأنه ركز فى حملته هذه على الأعراب الذين وجد فيهم مادة ملائمة لتنفيذ خطته، فالقرَّاء منهم استهواهم عن طريق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأصحاب المطامع منهم هيّج أنفسهم بالإشاعات المغرضة المفتراة على عثمان؛ مثل تحيزه لأقاربه وإغداق الأموال من بيت مال المسلمين عليهم، وأنه حمى الحمى لنفسه إلى غير ذلك من التهم والمطاعن التى حرك بها نفوس الغوغاء ضد عثمان -رضى الله عنه- مع براءته، ثم إنه أخذ يحض أتباعه على إرسال الكتب بأخبار سيئة مفجعة عن مصرهم إلى بقية الأمصار، وهكذا يتخيل الناس فى جميع الأمصار أن الحال بلغ من السوء ما لا مزيد عليه، والمستفيد من هذه الحال هم السبئية، لأن تصديق ذلك من الناس يفيدهم فى إشعال شرارة الفتنة داخل المجتمع الإسلامى[1]، هذا وقد شعر عثمان -رضى الله عنه- بأن شيئًا ما يحاك فى الأمصار وأن الأمة تمخض بشر فقال: والله إن رحى الفتنة لدائرة، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها[2].

على أن المكان الذى رتع فيه ابن سبأ هو مصر، وهناك أخذ ينظم حملته ضد عثمان -رضى الله عنه-، ويحث الناس على التوجه إلى المدينة لإثارة الفتنة بدعوى أن عثمان أخذ الخلافة بغير حق، ووثب على وصى رسول الله ﷺ يقصد[3] عليًا، وقد غشهم بكتب ادّعى أنها وردت من كبار الصحابة حتى إذا أتى هؤلاء الأعراب المدينة المنورة واجتمعوا بالصحابة لم يجدوا منهم تشجيعًا، حيث تبرءوا مما نسب إليهم من رسائل تؤلب الناس على عثمان[4]، ووجدوا عثمان مقدرًا للحقوق، بل وناظرهم فيما نسبوا إليه، ورد عليهم افتراءهم وفسّر لهم صدق أعماله، حتى قال أحد زعمائهم وهو مالك ابن الأشتر النخعى: لعله مُكر به وبكم[5]. ويعتبر الذهبى أن عبد الله بن سبأ المهيّج

(١) الدولة الأموية، يوسف العشى: ص(١٦٨)، مواقف الصحابة (١/ ٣٣٠).

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٢٥٠).

(٣)، (٤) المصدر نفسه (٥/ ٣٤٨)، تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٠).

(٥) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣١).

للفتنة بمصر وباذر بذور الشقاق والنقمة على الولاة ثم على أمير المؤمنين عثمان فيها[1]، ولم يكن ابن سبأ وحده، وإنما كان عمله ضمن شبكة من المتآمرين وأخطبوط من أساليب الخداع والاحتيال والمكر وتجنيد الأعراب والقراء وغيرهم، ويروى ابن كثير أن أسباب تألب الأحزاب على عثمان ظهور ابن سبأ وذهابه إلى مصر وإذاعته بين الناس كلامًا اخترعه من عند نفسه، فافتتن به بشر كثير من أهل مصر[2].

إن المشاهير من المؤرخين والعلماء من سلف الأمة وخلفها يتفقون على أن ابن سبأ ظهر بين المسلمين بعقائد وأفكار وخطط سبئية، ليلفت المسلمين عن دينهم وطاعة إمامهم ويوقع بينهم الفرقة والخلاف، فاجتمع إليه من غوغاء الناس ما تكوّنت به الطائفة السبئية المعروفة التى كانت عاملاً من عوامل الفتنة المنتهية بمقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وما ترتب على قتله من فتن كمعركتى الجمل وصفين وغيرهما. والذى يظهر من خطط السبيئة أنها كانت أكثر تنظيمًا، إذ كانت بارعة فى توجيه دعايتها ونشر أفكارها لامتلاكها ناصية الدعاية والتأثير بين الغوغاء والرعاع من الناس، كما كانت نشيطة فى تكوين فروع لها سواء فى البصرة أم فى الكوفة أم فى مصر، مستغلة العصبية القبلية، ومتمكنة من إثارة مكامن التذمر عند الأعراب والعبيد والموالى، عارفة بالمواضع الحساسة فى حياتهم وبما يريدون[3].

ثانيًا: اختلاف الصحابة فى الطريقة التى يؤخذ بها القصاص من قتلة عثمان رضى الله عنه:

إن الخلاف الذى نشأ بين أمير المؤمنين على من جهة، وبين طلحة والزبير وعائشة من جهة أخرى، ثم بعد ذلك بين على ومعاوية لم يكن سببه ومنشؤه أن هؤلاء كانوا يقدحون فى خلافة أمير المؤمنين على وإمامته وأحقيته بالخلافة والولاية على المسلمين، فقد كان هذا محل إجماع بينهم.

قال ابن حزم: ولم ينكر معاوية قط فضل علىّ واستحقاقه الخلافة، ولكن اجتهاده أداه إلى أن رأى تقديم أخذ القود من قتلة عثمان -رضى الله عنه- على البيعة، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان[4].

وقال ابن تيمية: ومعاوية لم يدّع الخلافة، ولم يبايع له بها حين قاتل عليًا، ولم يقاتل على أنه خليفة، ولا أنه يستحق الخلافة، ويقرون له بذلك، وقد كان معاوية يقر بذلك لمن

(١) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٨).
(٢) البداية والنهاية (٧/ ١٦٧، ١٦٨).
(٣) تحقيق مواقف الصحابة فى الفتنة (١/ ٣٣٩).
(٤) الفصل فى الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٦٠).

سـأله عنه، ولا كان مـعـاوية وأصحـابه يرون أن يـبتدئـوا عليًا وأصـحـابه بالقتـال، ولا فعلوا[1]. . . وقال أيضًا: . . . وكل فرقة من المتشيعين مقرّة مع ذلك بأن معاوية ليس كفئًا لعلى بالخلافة، ولا يكون خليفة مع إمكان استخلاف على، فإن فضل على وسابقته وعلمه ودينه وشجاعته وسـائر فضائله كانت عندهم ظاهرة معلومة كفـضل إخوانه أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم[2].

إن منشـأ الخلاف لم يكن قـدحًا فى خـلافة أمـيـر المؤمنين علىّ -رضى الله عنه- وإنما اختلافهم فى قضـية الاقتصاص من قتلة عثمـان، ولم يكن خلافهم فى أصل المسألة، وإنما كان فى الطريقة التى تـعالج بها هذه القضيـة، إذ كان أمير المؤمنين على موافـقًا من حيث المبدأ على وجوب الاقـتصاص من قتلة عـثمان، وإنما كان رأيه أن يرجىء الاقـتصاص من هؤلاء إلى حين استقرار الأوضاع وهدوء الأمـور واجتماع الكلمة[3]، قال النووى: واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام: قـسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق فى هذا الطرف، وأن مخـالفه باغ، فوجب عليهم نصـرته، وقتال البـاغى فيما اعـتقدوه فـفعلوا ذلك، ولم يكن يحل لمن هذه صفـته التأخر عن مساعـدة إمام العدل فى قتال البغاة فى اعتـقاده، وقسم عكس هؤلاء: ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق فى الطرف الآخر، فوجب عليهم مـساعدتهم وقتال الباغى عليه، وقسم ثالث: اشتبهت عليهم القضية، وتحيروا فـيها، ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين، وكان هذا الاعـتزال هو الواجب فى حقهم لأنه لا يحل الإقدام على قـتال مسلم حتى يظهر أنه مـستحق لذلك، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحـد الطرفين، وأن الحق معه، لما جاز لهم التأخر عن نصرته فى قتال البغاة عليه[4].

ثالثًا: خروج الزبير وطلحة وعائشة ومن معهم إلى البصرة للإصلاح:

قدم طلحة والزبير إلى مكة ولقيا عائشة -رضى الله عنهـم جميعًا- وكان وصولهما إلى مكة بعد أربعة أشهر من مقتل عثمان تقريبًا، أى فى ربيع الآخر من عام ٣٦ هـ[5]، ثم بدأ التفاوض فى مكة مع عائشـة، رضى الله عنها، للخروج، وقد كانت هناك ضغـوط نفسية كبيرة على أعصاب الذين وجدوا أنفسهم لم يفعلوا شيئًا لإيقاف عملية قتل الخليفة المظلوم،

(١)، (٢) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٧٢).

(٣) أحداث وأحاديث فتنة الهرج ص١٥٨.

(٤) شرح النووى على صحيح مسلم (١٥/ ١٤٩).

(٥) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٦٩).

فقـد اتهموا أنفـسهم بأنهم خذلوا الخليـفة وأنه لا تكفـير لذنبهم هذا -حـسب قولهم- إلا الخروج للمطالبـة بدمه، علمًا بأن عثـمان هو الذى نهى عن كل من أراد أن يدافع عنه فى حياته تضحية فى سبيل الله، فعـائشة تقول: إن عثمان قُتل مظلومًا والله لأطالبن بدمه[(١)]، وطلحـة يقـول: إنه كان منى فى عـثـمـان شىء ليس توبتى إلا أن يسـفك دمى فى طلب دمه[(٢)]، والزبير يقـول: نُنهض الناس فيـدرك بهذا الدم لئلا يَبْطل، فـإن فى إبطاله توهين سلطان الله بيننا أبدًا، إذا لم يُفطم الناس عن أمثالهـا لم يبق إمام إلا قتله هذا الضرب[(٣)]. فهذا الإحساس الضاغط على الأعصاب والنفوس كان كفيلاً بأن يحرك الناس ويخرجهم من راحتـهم واستقرارهم، بل كـانوا يخرجون وهم يدركـون أنهم يخرجون إلى أهوال قـادمة مجهولة، فكل واحد منهم خرج من بيته وهو غيـر متوقع العودة مرة أخرى؛ فشيعه أولاده بالبكاء وسمى يوم خروجهم من مكة نحو البصرة بيـوم النحيب، فلم يُرَ يوم كان أكثر باكيًا على الإسلام، أو باكيًا له من ذلك اليوم[(٤)].

لقد توافرت مـجموعة من العوامل فى مكة جـعلتهم يفكرون فى طريقة جادة لتـحقيق مطلبهم، ومن هذه العوامل: أن بنى أمية قد هربوا من المدينة واستقروا فى مكة، ومنها: أن عبد الله بـن عامر -أميـر البصرة فى عهـد عثمان- كـان فى مكة وهو يحث على الخروج ويعرض المعونة المادية، ومنها: أن يعلى بن أمية الذى خرج من اليمن لإعانة الخليفة عثمان وصل إلى مكة، وقـد قتل الخـليفـة ومعـه من المال والسـلاح والدواب شىء لا بأس به، فعرض كل ذلك للمـساعدة فى قتل قـتلة عثمان، فكان هذا كفـيلاً لتشجـيع الباحثين عن طريقة لمطاردة قتلة عثمان، وما دامت العوامل قد توافرت لجمع قوة تطالب بدم عثمان فمن أين يبدءون؟ دار حوار بينهم حول الجـهة التى يتوجهون إليها فقـال بعضهم -وعلى رأسهم السيدة عائشة-: إن المدينة هى وجهتهم، وظهر رأى آخر يطلب التوجه إلى الشام ليتجمعوا معًا ضـد قتلة عثمـان، وبعد نظر طويل قرَّ رأيهم على البـصرة، لأن المدينة فيهـا كثرة ولا يقدرون على مواجهـتهم لقلتهم، ولأن الشام صار مضمـونًا لوجود معاوية، ومن ثم يكون دخولهم البصرة أولى فى هذه الخطة لأنها أقل البلدان قـوة وسلطة، ويستطيعون من خلالها تحقيق خطتهم[(٥)]، وكانت خطتهم ومهمتهم واضحة سواء قبل خروجهم، أو أثناء طريقهم،

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٨٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٤).

(٣) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٨٧).

(٤) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٨٧)، دراسات فى عهد النبوة والخلافة الراشدة للشجاع: ص(٤١٧).

(٥) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٧٦)، دراسات فى عهد النبوة: ص(٤١٨).

أو عند وصولهم إلى البصرة وهى: المطالبة بدم عـثمان، والإصلاح، وإعلام الناس بما فعل الغوغاء، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر[1]، وأن هذا المطلب هو لإقامة حد من حدود الله[2]، وأنه إذا لم يؤخذ على أيدى قتلة عثمان -رضى الله عنه- فسيكون كل إمام معرضًا للقـتل من أمثـال هؤلاء[3]، وأما الـطريقة التى تصـوروها فهى الدخـول إلى البصـرة ثم الكوفة، والاستـعانة بأهلها على قتلة عـثمان منهم أو من غيرهم ثم يدعـون أهل الأمصار الأخرى لذلك حتى يُضيقوا الخناق على قاتلى عـثمان الموجودين فى جيش علىّ فيأخذونهم بأقل قدر ممكن من الضحايا[4].

لم يكن الخروج إلى الـبصرة والغـضب الذى حرك الصحـابة من البســاطة التى ظهرت للناس كثأر لعـثمان، رضى الله عنه، وكأنه رجل من عوام الناس قُتل، فـخرجت الجيوش فى الطلب له بثأره، رغم كـونه حدًا من حدود الله يسـتوجب الغضب ويستـدعى حدوث ذلك، ولكن مكانة عثمان وشـخصيته ومكانته المعنوية كخليـفة، وقتله بالصورة التى تمت، كان فوق ذلك، ومعه اغتـيال لصفة شرعية هى «الخلافة» التى يفهـمها المسلمون: نيابة عن صاحب الشرع فى حفظ الدين، وسياسة الدنيا به[5]، فالاعتداء عليها دون وجه حق اعتداء على صاحب الشرع وتوهين لسلطانه، وضياع لنظام المسلمين[6].

كانت السـيدة عائشة والزبيـر وطلحة ومن معـهم يسعون لإيجاد رأى إسـلامى عام فى مواجهة الطغمة السبئية التى قتلت عثمان، وأصبحت ذات شوكة لا يستهان بها، وذلك من خلال تعريف المـسلمين بما أتى هؤلاء السبئيـون والغوغاء من أهل الأمصار ونـزّاع القبائل، ومن ظاهرهم من الأعراب والعبـيد، فلقد بات واضحًا عند الصحـابة من الفريق الذى كان يرى رأى عائشة -رضى الله عنهـا- أن الغوغاء والسبئـيين لهم وجود فى جيش علىّ، وأنه لأجل ذلك فـإن عليًا -رضى الله عنه- يصـعب عليه مـواجهـتهم، خـشيـة منه على أهل المدينة، ومن ثم فـإنه ينبغى عليـهم أن يحاولوا السـعى لإفهـام المسلمين، وتقويـة الجانب المطالب بإقامة الحدود، لتتم إقامـتها بأقل الخسائر فى دماء الأبرياء، وهو هدف لا نشك أن عليًا كـان يسعى إليـه، ويحاوله، بل إن الروايات التى مـرت معنا فى المحـاورة بين الزبير وطلحـة وعلىّ تدل على ذلك، ثم إن هذا السلوك منهم، وهذه الـنية فى تعـريف الناس،

---

(1) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٨٩).
(2) دراسات فى عهد النبوة: ص(٤١٩).
(3) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٨٧).
(4) دراسات فى عهد النبوة: ص(٤١٩).
(5) مقدمة ابن خلدون: ص(١٩١).
(6) دور المرأة السياسى: ص(٣٩١).

وتوضيح الأمور لهم، دليل على وعى تام منهم بأساليب السبئية فى اللعب بأفكار العامة، وتوجيهها على النحو الذى ينخر فى الأمة حتى لا تستقر على حال، فكان لابد من مواجهتها فى ميدان الأفكار، لإبطال عملها، ولقد تبين هذا العمل واضحًا، وصريحًا فى الروايات الصحيحة(1)، التى تحدثت فيها السيدة عائشة -رضى الله عنها- عن أهداف هذا الخروج، فروى الطبرى أن عثمان بن حنيف -وهو والى البصرة من قبل أمير المؤمنين على ابن أبى طالب- أرسل إلى عائشة -رضى الله عنها- عند قدومها البصرة يسألها عن سبب قدومها، فقالت: والله ما مثلى يسير بالأمر المكتوم، ولا يغطى لبنيه الخبر، إن الغوغاء من أهل الأمصار، ونزاع القبائل، غزوا حرم رسول الله ﷺ وأحدثوا فيه الأحداث، وآووا فيه المحدثين، واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة ولا عذر؛ فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه، وانتهبوا المال الحرام، وأحلوا البلد الحرام، والشهر الحرام، ومزقوا الأعراض والجنود، وأقاموا فى دار قوم كانوا كارهين لمقامهم، ضارين مضرين غير نافعين ولا متقين، ولا يقدرون على امتناع ولا يأمنون، فخرجت فى المسلمين أُعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وراءنا، وما ينبغي لهم أن يأتوا فى إصلاح هذا، وقرأت ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]، فنهض فى الإصلاح ممن أمر الله عز وجل وأمر رسول الله ﷺ الصغير والكبير والذكر والأنثى، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به ونحضكم عليه، ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره(2). وروى ابن حبان أن عائشة -رضى الله عنها- كتبت إلى أبى موسى الأشعرى -والى علىّ على الكوفة-: فإنه قد كان من قتل عثمان ما قد علمت، وقد خرجت مصلحة بين الناس، فمر من قبلك بالقرار فى منازلهم، والرضا بالعافية حتى يأتيهم ما يحبون من صلاح أمر المسلمين(3). ولما أرسل علىٌّ القعقاع بن عمرو لعائشة ومن كان معها يسألها عن سبب قدومها، دخل عليها القعقاع فسلم عليها، وقال: أى أُمه، ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أى بنى، إصلاح بين الناس(4).

وبعد انتهاء الحرب يوم الجمل جاء علىٌّ إلى عائشة -رضى الله عنها- فقال لها: غفر الله لك. قالت: ولك، ما أردت إلا الإصلاح(5). فتقرر أنها ما خرجت إلا للإصلاح بين

(1) دور المرأة السياسى: ص(٣٩٤).
(2) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٨٩).
(3) الثقات لابن حبان (٢/ ٢٨٢).
(4) تاريخ الطبرى (٥/ ٥٢٠).
(5) شذرات الذهب (١/ ٤٢).

الناس، وفيه رد على من طعن فى عائشة -رضى الله عنها- من الشيعة الروافض فى قولهم: إنها خرجت من بيتها وقد أمرها الله بالاستقرار فيه فى قوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فإن سفر الطاعة لا ينافى القرار فى البيت وعدم الخروج منه إجماعًا، وهذا ما كانت تراه أم المؤمنين -عائشة- فى خروجها للإصلاح للمسلمين وكان معها محرمها ابن أختها عبد الله بن الزبير[1].

قال ابن تيمية فى الرد على الرافضة فى هذه المسألة: فهى -رضى الله عنها- لم تتبرج تبرج الجاهلية الأولى، والأمر بالاستقرار فى البيوت لا ينافى الخروج لمصلحة مأمور بها، كما لو خرجت للحج والعمرة، أو خرجت مع زوجها فى سفره، فإن هذه الآية قد نزلت فى حياة النبى ﷺ وقد سافر بهن رسول الله ﷺ بعد ذلك، كما سافر فى حجة الوداع بعائشة -رضى الله عنها- وغيرها، وأرسلها مع عبد الرحمن أخيها فأردفها خلفه، وأعمرها من التنعيم، وحجة الوداع كانت قبل وفاة النبى ﷺ بأقل من ثلاثة أشهر، بعد نزول هذه الآية، ولهذا كان أزواج النبى ﷺ يحججن بعده كما كن يحججن معه، فى خلافة عمر -رضى الله عنه- وغيره، وكان عمر يوكل بقطارهن عثمان، أو عبد الرحمن بن عوف، وإذا كان سفرهن لمصلحة جائزًا، فعائشة اعتقدت أن ذلك السفر مصلحة للمسلمين فتأولت فى ذلك[2].
ويقول ابن العربى: وأما خروجها إلى حرب الجمل فما خرجت لحرب ولكن تعلق الناس بها وشكوا إليها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة وتهارج الناس، ورجوا بركتها فى الإصلاح، وطمعوا فى الاستحياء منها إذا وقفت للخلق، وظنت هى ذلك، فخرجت مقتدية بالله فى قوله: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]. والأمر بالإصلاح، مخاطب به جميع الناس من ذكر أو أنثى حر أو عبد[3].

وهذه بعض الأمور المهمة فى خروجها:

١- **هل أُكرهت السيدة عائشة على الخروج؟** زعم اليعقوبى أن الزبير بن العوام أكره السيدة عائشة على الخروج[4]، وقال بهذا القول صاحب الإمامة والسياسة[5]، وابن أبى الحديد[6]، وكذلك فعل الدينورى[7]، وألمحت الرواية التى ذكرها الذهبى بأن المتسلط عليها

(١) الانتصار للصحب والآل: ص(٤٤٤).
(٢) منهاج السنة (٤/٣١٧-٥٧٠).
(٣) أحكام القران (٣/٥٦٩، ٥٧٠).
(٤) تاريخ اليعقوبى (٢/ ١٨٠، ٢٠٩).
(٥) الإمامة والسياسة (١/٥٨، ٦٩).
(٦) شرح نهج البلاغة (٩/١٨).
(٧) الأخبار الطوال: ص(١٤٥).

هو عبد الله بن الزبير[1] -ابن أختها أسماء- وسار على هذه الروايات كثير من الباحثين، كمحمد سيد الوكيل[2]؛ فقد زعم أن الزبير وطلحة شجعا عائشة على الخروج، وزاهية قدورة[3] وغيرهما، وهذا غير صحيح، فقد قامت السيدة عائشة بالمطالبة بثأر عثمان منذ اللحظة التي علمت فيها بمقتله -رضي الله عنه- وقبل أن يصل الزبير وطلحة وغيرهما من كبار الصحابة إلى مكة؛ ذلك أنه قد روى أنها لما انصرفت راجعة إلى مكة أتاها عبد الله بن عامر الحضرمي فقال: ما ردك يا أم المؤمنين؟ قالت: ردني أن عثمان قُتل مظلومًا، وأن الأمر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمر، فاطلبوا دم عثمان تعزُّوا الإسلام. فكان عبد الله أول من أجابها[4]، ولم يكن طلحة والزبير قد خرجا من المدينة، وإنما خرجا منها بعدما مر على مقتل عثمان أربعة أشهر[5].

٢- هل كانت متسلطة على من معها؟: كان فيمن خرج معها -رضي الله عنها- جمع من الصحابة[6]، ولم تكن السيدة عائشة المرأة المتسلطة التي تحرك الناس حيث شاءت -كما زعم بروكلمان-[7]، ولقد أكدت روايات الطبرى تأييد أمهات المؤمنين لها، ولمن معها في السعي للإصلاح، بل وتأييد عدد غير قليل من أهل البصرة لها[8]، وكان هذا العدد غير القليل ممن لا يستهان بهم، فلقد وصفهم طلحة والزبير بأنهم خيار أهل البصرة ونجباؤهم[9]، ووصفتهم السيدة عائشة بأنهم الصالحون[10]، وما كان خروج هذا العدد من الصالحين إلا عن اعتقاد راسخ بجدوى هذا الخروج وصواب مقصده، وكان أمير المؤمنين يعلم هذا، ويرد الزعم الذي زعمه البعض من أن الخارجين مع السيدة عائشة كانوا جموعًا من السفهاء والغوغاء والأوباش[11]، فلقد وقف أمير المؤمنين بعد معركة الجمل بين القتلى من فريق عائشة، يترحم عليهم ويذكر فضلهم[12]. وسيأتي بيان ذلك أنه لم يكن خروجًا غوغائيًا، تحكمت فيه السيدة عائشة في أناس غير راشدين، بل كان خروجًا واعيًا شارك فيه بعض الصحابة الكبار[13].

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٩٣).
(٢) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين: ص(٥٢٦).
(٣) عائشة أم المؤمنين: ص(١٨٤).
(٤) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٧٥).
(٥) دور المرأة السياسي: ص(٣٨٣)، تاريخ الطبرى (٥/ ٤٦٩).
(٦) المصدر نفسه: ص(٣٨٤).
(٧) تاريخ الشعوب الإسلامية: ص(١١١، ١١٤، ١١٧).
(٨) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٧٥).
(٩)، (١٠) تاريخ الطبرى نقلاً عن دور المرأة السياسي: ص(٣٨٥).
(١١) انظر ما قاله صاحب الإمامة والسياسة (١/ ٥٧).
(١٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٥٧٤).
(١٣) دور المرأة السياسي: ص(٣٨٥).

٣- موقف أزواج النبى ﷺ من الخروج للطلب بدم عثمان: كانت أزواج النبى ﷺ قد خرجن إلى الحج فى هذا العام فرارًا من الفتنة، فلما بلغ الناس بمكة أن عثمان قد قُتل أقمن بمكة، وكن قد خرجن منها فرجعن إليها، وجعلن ينتظرن ما يصنع الناس ويتحسسن الأخبار، فلما بويع علىّ خرج عدد من الصحابة من المدينة كارهين المقام بها بسبب الغوغاء من أهل الأمصار، فاجتمع بمكة منهم خلق كثير من الصحابة وأمهات المؤمنين[١]، وكانت بقية أمهات المؤمنين قد وافقن عائشة على السير إلى المدينة، فلما اتفق رأى عائشة ومن معها من الصحابة على السير إلى البصرة، رجعن عن ذلك وقلن: لا نسير إلى غير المدينة[٢]. كان الخروج فى أمر عثمان إذن غير مختلف عليه بين أمهات المؤمنين، لكنهن اختلفن حين تغيرت الوجهة من المدينة إلى البصرة، غير أن أم المؤمنين حفصة بنت عمر -رضى الله عنها- وافقت عائشة على السير إلى البصرة، وإنما عزم[٣] عليها أخوها عبد الله كى لا تخرج، فلم يكن عدم خروجها ناتجًا عن اقتناع منها[٤]، وقالت لعائشة: إن عبد الله حال بينى وبين الخروج، وأرسلت إلى عائشة بعذرها[٥]. وتكاد الروايات الشائعة تبدى أن أم سلمة -رضى الله عنها- لم تكن ترى رأى عائشة ومن معها فى الخروج إلى البصرة، وأنها كانت ترى ما يراه على[٦]، غير أن أقرب الروايات إلى الصحة هى إنها أرسلت إلى علىٍّ ابنها عمر بن أبى سلمة قائلة: والله لهو أعز على من نفسى، يخرج معك فيشهد مشاهدك. فخرج فلم يزل معه[٧]. وهى رواية عند التحقيق لا يتبين لنا منها أن هذا الإرسال لابنها يعنى أنها كانت تخالف أمهات المؤمنين فى القول بالإصلاح بين المسلمين، فعائشة نفسها ومن معها لم يكونوا يرون أنهم بهذا الخروج يخالفون عليًا -رضى الله عنه- أو يخرجون على خلافته كما رأينا، وكما سوف تؤكد لنا الأحداث، كما أننا لم نجد فى الروايات الصحيحة ما يدل على خروجها على إجماع أمهات المؤمنين فى أهمية السعى للإصلاح[٨]، وكانت أمهات المؤمنين يعلمن أن هذا الخروج فى الإصلاح بين المسلمين مما يدخل فى معنى الفرض الكفائى، والضابط فيه أن الطلب فيه ليس متوجهًا إلى جميع

---

(١)، (٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٤١).

(٣) عزم عليها: أقسم عليها.

(٤) دور المرأة السياسى: ص(٣٨٦).

(٥) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٨٧).

(٦) أنساب الأشراف (٤/ ٢٢٤).

(٧) أسد الغابة (٤/ ١٦٩)، الإصابة (٤/ ٤٨٧)، دور المرأة السياسى ص (٣٨٧)، المستدرك مرويات أبى مخنف: ص(٢٥٧).

(٨) دور المرأة السياسى: ص(٣٨٧).

المكلفين، بل هو إلى ما فيه أهلية القيام به، لا على الجميع عمومًا، ولقد كانت أهلية القيام بهذا الإصلاح بين المسلمين متوافرة تمامًا فى السيدة عائشة: مكانة وسنًا وعلمًا وقدرة، وكانت عائشة أكثرهن فقهًا بإجماع جمهور المسلمين(1)، كما أنها كانت تهتم بالأمور العامة، فكانت صاحبة شخصية ثقافية واسعة، تكونت منذ نشأتها فى بيت أبى بكر العالم بأيام العرب وأنسابهم، ومن عيشها فى بيت رسول الله ﷺ الذى خرجت منه أسس سياسة الدولة الإسلامية، ثم هى بنت الخليفة الأول للمسلمين، وقد أكد العلماء هذه المكانة للسيدة عائشة، فقد قال عروة بن الزبير: لقد صحبت عائشة، فما رأيت أحدًا قط كان أعلم بآية أنزلت، ولا بفريضة ولا بسنة، ولا بشعر، ولا أروى له، ولا بيوم من أيام العرب، ولا بنسب، ولا بكذا، ولا بكذا.. ولا بقضاء، ولا بطب منها(2). وكان الشعبى يذكرها فيتعجب من فقهها وعلمها، ثم يقول: ما ظنكم بأدب النبوة؟! وكان عطاء يقول: كانت عائشة أفقه الناس، وأحسن الناس رأيًا فى العامة(3). وكان الأحنف بن قيس سيد بنى تميم، وأحد بلغاء العرب يقول: سمعت خطبة أبى بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، والخلفاء بعدهم.. فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم، ولا أحسن منه فى عائشة. وكان معاوية يقول مثل هذا(4). هذا وقد خرجت أمهات المؤمنين مودعات للسيدة عائشة حين خرجت للبصرة، وفى ذلك معنى من معانى المعاونة والتشجيع لها على أمرها(5).

٤- مرور السيدة عائشة على ماء الحوأب: ثبت مرور السيدة عائشة على ماء الحوأب من طرق صحيحة؛ فعن يحيى بن سعيد بن القطان، عن إسماعيل بن أبى خالد، عن قيس بن حازم أن رسول الله ﷺ قال لأزواجه: «كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب»(6). ومن طريق شعبة عن إسماعيل ولفظ شعبة: أن عائشة لما أتت على الحوأب سمعت نباح الكلام، فقالت: ما أظننى إلا راجعة، إن رسول الله ﷺ قال لنا: أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب. فقال لها الزبير: أترجعين؟ عسى الله عز وجل أن يُصلح بك بين الناس(7). وبهذا اللفظ أخرجه يعلى بن عبيد عن إسماعيل، وهو عند الحاكم(8)، وقال الألبانى: إسناده صحيح جدًا وقال: صححه من كبار أئمة الحديث: ابن حبان، والذهبى، وابن كثير، وابن حجر(9). فهذه الروايات الصحيحة، ليس فيها شيء من شهادة الزور أو التدليس الذى

(1)، (2) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٨٣).
(3) المصدر نفسه (٢/ ١٨٥).
(4) المصدر نفسه (٢/ ١٨٣).
(5) دور المرأة السياسى: ص(٣٨٩).
(6)، (7) مسند أحمد (٦/ ٩٧).
(8) المستدرك (٣/ ١٢٠).
(9) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٧٦٧) رقم ٤٧٤.

يتنزه عنه مقام الصحابة والذى زعمته الروايات الضعيفة[1] التى سيأتى بيانها. إن المتأمل لهذه الروايات التى صححها العلماء لا يجد فى أى منها ما يدل على نهى عن شىء، أو أمر بشىء لتفعله السيدة عائشة، بل إن ما يفهم منها هو تساؤله عن أيتهن التى يحدث أن تمر على ماء الحوأب؟ والروايات الدالة على النهى، والتى بها لفظة إياك فى الأثر الوارد: «إياك أن تكونى يا حميراء»[2] لم يصححها العلماء، وإنما ضعفت، ومن هنا فإن الصحيح الذى نذهب إليه هو أن مرور السيدة عائشة على ماء الحوأب لم يكن له الأثر السلبى الذى افتعلته الروايات الموضوعة، ولم يكن له الأثر البعيد على السيدة عائشة نفسها بحيث تفكر جديًا فى الرجوع عما خرجت له من إصلاح بين المسلمين، وسعى لتسديد خطاهم، ولم يعد الأمر أن يكون «ظنًا» منها فى احتمال الرجوع، وهذا هو ما عبرت عنه حين قالت: ما أظننى إلا راجعة. وهو ظن لم يتلبث إلا يسيرًا ثم عاد هدفها واضحًا بعدما ذكرها الزبير بما عسى الله أن يجريه على يديها من إصلاح بين المسلمين[3]، لقد كانت وما زالت مسألة ماء الحوأب[4] والأحاديث المذكورة فيها مجالاً خصبًا للشيعة وغيرهم يطعنون بها على أم المؤمنين عائشة -رضى الله عنها- ويدينون بها خروجها فى شأن الطلب بدم عثمان، حتى انتهى بهم الأمر إلى نفى صفة الاجتهاد عنها، بدعوى مخالفتها -فى زعمهم- لنهى الرسول ﷺ لها عن أن ترد ماء الحوأب، وقد ذكرت المصادر التاريخية هذه القصة، فقد جاءت عند الطبرى فى رواية طويلة، يرويها إسماعيل بن موسى الفزارى قال عنه ابن عدى: أنكروا منه الغلو والتشيع[5]. ويروى الفزارى هذا الخبر عن على بن عابس الأزرق، وهو ضعيف قاله ابن حجر والنسائى[6]، وهو يروى هذا الخبر عن أبى الخطاب الهجرى وهو مجهول[7]، وهذا الهجرى المجهول، يرويه عن مجهول آخر هو صفوان بن قبيعة الأحمسى[8]، ثم أخيرًا عن شخصية أشد جهالة هى شخصية العزنى صاحب الجمل، وما هو بصاحب الجمل، وإنما صاحبه هو يعلى بن أمية[9].

(١) دور المرأة السياسى: ص(٤٠٥).

(٢) قال الذهبى: كل حديث فيه يا حميراء لا يصح، سير أعلام النبلاء (٢/ ١٦٧، ١٦٨).

(٣) دور المرأة السياسى: ص(٤٠٦).

(٤) الحوأب: من مياه العرب على طريق البصرة قريب منها على طريق مكة إليها.

(٥) الكامل فى ضعفاء الرجال (١/ ٥٢٨)، ميزان الاعتدال (١/ ٤١٣).

(٦) تقريب التهذيب (١/ ٦٩٧).

(٧) تقريب التهذيب (٢/ ٣٩٢)، دور المرأة السياسى: ص(٤٠٠).

(٨) ميزان الاعتدال (٣/ ٤٣٤)، لسان الميزان (٣/ ٢٢٥).

(٩) أسد الغابة (٥/ ٤٨٦)، دور المرأة السياسى: ص(٤٠٠).

وفى متن هذه الرواية مـا يجد القـارئ من رائحة التـشيع والرفض الـواضحة فـى آخر الرواية، حيث تزعم على لسـان علىٍّ أنه كان -رضى الله عنه- يرى أحـقيته بالخـلافة على أبى بكر وعمر وعثمان -رضى الله عنهم- والصحيح الثابت من الروايات المحققة يدل على خلاف ذلك تمامًا(1). وعلى أساس كل ما سبق يتضح لنا أن هذه الرواية غير صحيحة(2)، وهناك روايات أخـرى وردت فى هذا الموضـوع، كلهـا باطلة سندًا ومـتنًا، ومـغـزى هذه الروايات وهدفـها هو الطعن على كـبـار الصحـابة وفضـلائهم، وبيان أن مـقصـدهم من خروجهم هذا، هو تحقيق مطامع دنيوية شخصـية من مال ورئاسة وغيرها، وأن الغاية تبرر الوسيلة، وأنهم لا يتورعون فى سبيل ذلك عـن إشعال الحرب والفتنة بين المسلمين، وتركز الروايات على الصحابيين الجليلين طلحـة والزبير -رضى الله عنهما-(3)، كما يريد مفترى هذه الروايات أن يبين ويؤكد أن هذين الصحـابيين ومن معهما من أفراد المعـسكر يتجرءون على انتهاك حرمات الله؛ فهم يقسمون ويحلفون لأم المؤمنين بأيمان مغلظة أن هذا ليس ماء الحوأب، وزيادة على ذلك أتوا بـسبعين نفـسًا- وفى رواية بخمـسين نفسًا -يشـهدون على صدق قولهم، فكان هذا العمل- كـما افترى المسعودى الشيـعى الرافضى -أول شهادة زور فى الإسلام(4). وتحاول هذه الروايات أن تـظهر أن طلحة والزبيـر وأم المؤمنين -رضى الله عنهم- ليسوا على شىء من صـفاء القلوب والاجتماع على هدف واحـد، وتحاول أن تظهر أن عائشة -رضى الله عنها- بجانب طلحة -رضى الله عنه- وفى قرارة نفسها أن يتولى هو الخلافة، وذلك لأنه تيمى مثلها، كمـا تظهر هذه الروايات أن هناك تنافسًا داخليًا بين طلحة والزبير، وحرصًا من كل واحد منهما أن يتولى الإمارة، وهذه الروايات لا تخلو من ضعف قوى، فبعضها منقطع السند أو فيها مجـاهيل لا يعرفون، أو فيها كلا العيبين القادحين(5). ولقد تأثر كثيـر من الكتاب والمؤرخين بهذه الروايات واعتمدوا عليها وأسـهموا فى نشرها، وهى لا أساس لها، كالعقاد فى عبقرية على، وطه حسين فى على وبنوه(6)، وغيرهما من الكتاب المعاصرين.

---

(1) دور المرأة السياسى: ص(402). (2) تاريخ الطبرى (5/483).

(3) مصنف ابن أبى شيبة (15/283) ضعيـفة السند منقطعة، وأنساب الأشراف من (2/47) نفس الطريق وهذه الروايات تخالف الصحيح الثابت.

(4) مروج الذهب (2/367).

(5) تاريخ الطبرى وفى إسنادها مجهولان، خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد: ص(133).

(6) خلافة على بن أبى طالب: ص(132).

٥- أعمالهم في البصرة: عندما وصل طلحة والزبير وعائشة -رضى الله عنهم- ومن معهم إلى البصرة نزلوا جانب الخريبة[(١)]، ومن هناك أرسلوا إلى أعيان وأشراف القبائل يستعينون بهم على قتلة عثمان، كان كثير من المسلمين فى البصرة وغيرها، يودون ويرغبون فى القود من قتلة عثمان -رضى الله عنه- إلا أن بعض هؤلاء يرون أن هذا من اختصاص الخليفة وحده، وأن الخروج فى هذا الأمر بدون أمره وطاعته معصية، ولكن خروج هؤلاء الصحابة المشهود لهم بالجنة، وأعضاء الشورى ومعهم أم المؤمنين عائشة حبيبة رسول الله ﷺ وأفقه النساء مطلقًا، ومطلبهم الشرعى لا غبار عليه ولا ينكره صحابى واحد، جعل الكثير من البصريين على اختلاف قبائلهم ينضمون إليهم، وأرسل الزبير إلى الأحنف بن قيس السعدى التميمى يستنصره على الطلب بدم عثمان، والأحنف من رؤساء تميم وكلمته مسموعة، يقول الأحنف واصفًا هول الموقف: .. فأتانى أفظع أمر أتانى قط فقلت: إن خذلانى هؤلاء ومعهم أم المؤمنين وحوارى رسول الله ﷺ لشديد[(٢)] إلا أنه اختار الاعتزال، فاعتزل معه ستة آلاف ممن أطاعه من قومه، وعصاه فى هذا الأمر كثير منهم، ودخلوا فى طاعة طلحة والزبير وأم المؤمنين[(٣)]. ويذكر الزهرى أن عامة أهل البصرة تبعوهم[(٤)]، وهكذا انضم إلى طلحة والزبير وعائشة ومن معهم أنصار جدد لقضيتهم التى خرجوا من أجلها. وقد حاول ابن حنيف تهدئة الأمور والإصلاح قدر المستطاع إلا أن الأمور خرجت من يده حتى قال أحدهم عن البصرة: قطعة من أهل الشام نزلت بين أظهرنا[(٥)]. وحتى إن معاوية فيما بعد حاول الاستيلاء عليها بمساعدة أهلها[(٦)].

وتذكر بعض المصادر غير الموثقة أن عثمان بن حنيف رخص لحكيم بن جبلة فى القتال، وهذا لا يثبت، والمصادر الصحيحة لم تثبت ذلك[(٧)].

٦- مقتل حُكَيم بن جبلة ومن معه من الغوغاء: أقبل حُكَيم بن جبلة بعدما خطبت عائشة -رضى الله عنها- فى أهل البصرة، فأنشب القتال وأشرع أصحاب عائشة وطلحة والزبير -رضى الله عنهم- رماحهم وأمسكوا ليمسكوا، فلم ينته حكيم ومن معه، ولم يثن، وظل

(١) موقع جانب البصرة، انظر: خطط البصرة ومنطقها ١١٤-١٢٢ العلمى.
(٢) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد: ص(١٣٣).
(٣) طبقات ابن سعد (٥/ ٤٥٦) له شواهد تقويه.
(٤) مصنف عبد الرزاق (٥/ ٤٥٦) بسند صحيح إلى الزهرى مرسلاً.
(٥) الطبقات (٦/ ٣٣٣).
(٦) فتح البارى (١٣/ ٢٦)، خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد: ص(١٣٧).
(٧) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد: ص(١٣٧، ١٣٨).

يقاتلهم، طلحة والزبير وعائشة كافُّون إلا ما دافعوا عن أنفسهم، وحكيم يذمر[1] خيله ويركبهم بها[2]، وعلى الرغم من ذلك، فإن عائشة -رضي الله عنها- ظلت حريصة على عدم إنشاب القتال، فأمرت أصحابها أن يتيامنوا بعيدًا عن المقاتلين، وظلوا على ذلك حتى حجز الليل بينهم[3]، حتى إذا كان الصباح جاء حكيم بن جبلة وهو يبربر، وفي يده الرمح، وفي طريقه إلى حيث عائشة -رضي الله عنها- ومن معها، جعل حكيم لا يمر برجل أو امرأة ينكر عليه أن يسب عائشة إلا قتله[4]، وعندئذ غضبت عبد القيس إلا من كان اغتُمر[5] منهم، فقالوا لحكيم: فعلت بالأمس وعدت لمثل ذلك اليوم، والله لا نَدَعُك حتى يقيدك الله[6]، فرجعوا وتركوه، ومضى حكيم بن جبلة فيمن غزا معه عثمان بن عفان -رضي الله عنه- وحصره من نزاع القبائل كلها، فلقد كانوا قد عرفوا أن لا مقام لهم بالبصرة، فاجتمعوا إليه، ووافقوا أصحاب عائشة، فاقتتلوا قتالاً شديدًا[7]، وظل منادى عائشة -رضي الله عنها- يناديهم ويدعوهم إلى الكفّ فيأبون[8]، وجعلت -رضي الله عنها- تقول: لا تقتلوا إلا من قاتلكم. لكن حكيمًا لم يُرَع[9] للمنادى، وظل يُسَعِّر القتال، عندئذ وبعد ما تبينت للزبير وطلحة -رضي الله عنهما- طبيعة هؤلاء الذين يقاتلون، وأنهم لا يتورعون ولا ينتهون عن حرمة، وأن لهم هدفًا في إنشاب القتال، قالا: الحمد لله الذي جمع لنا ثأرنا من أهل البصرة، اللهم لا تبق منهم أحدًا، وأقد منهم اليوم، فاقتلهم، فجادُّوهم القتال، ونادوا: من لم يكن من قتلة عثمان -رضي الله عنه- فليكفف عنا، فإننا لا نريد إلا قتلة عثمان، ولا نبدأ أحدًا، فاقتتلوا أشد القتال[10]، فلم يفلت من قتلة عثمان من أهل البصرة إلا واحد، وكان منادى الزبير وطلحة قد نادى: ألا من كان فيكم من قبائلكم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم[11]. وكان فريق من هؤلاء الجهال والغوغاء -كما قالت عائشة- قد غادوها في بيتها في الغَلَس ليقتلوها، وكانوا قد ذهبوا حتى سُدَّة بيتها، ومعهم الدليل، إلا أن الله دفع عنها بنفر من المسلمين كانوا قد أحاطوا بيتها -رضي الله عنها- فدارت عليهم الرحى وأطاف بهم المسلمون فقتلوهم[12]، واستطاع الزبير وطلحة ومن معهم أن يسيطروا على البصرة وكانوا بحاجة إلى طعام ومؤنة غذائية،

(1) يذمر الخيل: يحضها ويشجعها.

(2)، (3) تاريخ الطبري (5/ 494).

(4) المصدر نفسه (5/ 495).

(5) اغتمر: اغتمس.

(6) يقيدك الله: القَوَد: القصاص، وقتل القاتل بالقتيل.

(7)، (8) تاريخ الطبري (5/ 499).

(9) لم يرع: لم يبال.

(10) تاريخ الطبري (5/ 499).

(11) المصدر نفسه (5/ 501).

(12) المصدر نفسه (5/ 503).

وقد مرت عليهم أسابيع، وهم ليسوا فى ضيافة أحد، فتوجه جيش الزبير إلى دار الإمارة ومن ثم إلى بيت المال ليرزقوا أصحابهم، وأخلى سبيل عثمان بن حنيف واتجه إلى على[1]، وبذلك تمت سيطرة طلحة والزبير وأم المؤمنين -رضى الله عنهم- على البصرة وقتلوا عددًا كبيرًا ممن شارك فى الهجوم على المدينة، قدر بسبعين رجلاً من أبرزهم زعيم ثوار البصرة حكيم بن جبلة، والذى كان حريصًا على القتال وإشعال الحرب، وكان الزبير أمير القتال؛ فقد بويع على ذلك[2].

٧- رسائل السيدة عائشة إلى الأمصار الأخرى: كانت السيدة عائشة -رضى الله عنها- حريصة على إيضاح وجه الحق فيما حدث من قتال مع أهل البصرة، فكتبت إلى أهل الشام والكوفة واليمامة، وكتبت إلى أهل المدينة أيضًا تخبرهم بما صنعوا وصاروا إليه، وكان فيما كتبت به لأهل الشام: إنا خرجنا لوضع الحرب وإقامة كتاب الله عز وجل بإقامة حدوده فى الشريف والوضيع، والكثير والقليل، حتى يكون الله عز وجل هو الذى يردُّنا عن ذلك. فبايعنا خيار أهل البصرة ونجباؤهم، وخالفنا شرارهم ونُزّاعهم، فردُّونا بالسلاح، وقالوا فيما قالوا: نأخذ أم المؤمنين رهينة أن أمرتْهم بالحق وحثتهم عليه، فأعطاهم الله عز وجل سنة المسلمين مرة بعد مرة، حتى إذا لم يبق حجة ولا عذر استبسل قتلة عثمان أمير المؤمنين، فلم يفلت منهم إلا حُرْقُوص بن زهير والله مقيده. وإنّا نناشدكم الله -سبحانه- فى أنفسكم إلا ما نهضتم بمثل ما نهضنا به، فنلقى الله عز وجل وتلقونه، وقد أعذرنا وقضينا الذى علينا[3].

٨- الخلاف بين عثمان بن حنيف وجيش عائشة والزبير وطلحة: روى الطبرى عن أبى مخنف عن يوسف بن يزيد، عن سهل بن سعد قال: لما أخذوا عثمان بن حنيف أرسلوا أبان بن عثمان بن عفان إلى عائشة يستشيرونها فى أمره، قالت: اقتلوه، فقالت لها امرأة: نشدتك الله يا أم المؤمنين فى عثمان وصحبته لرسول الله ﷺ، قالت: ردوا أبانًا، فردُّوه، فقالت: احبسوه ولا تقتلوه. قال: لو علمت أنك تدعيننى لهذا لم أرجع. فقال لهم مجاشع بن مسعود: اضربوه وانتفوا شعر لحيته، فضربوه أربعين سوطًا، ونتفوا شعر لحيته ورأسه وحاجبيه وأشفار عينيه وحبسوه[4]، وفى سند هذه الرواية أبو مخنف وهو شيعى

(١) تاريخ الطبرى (٥/٤٣)، خلافة على، عبد الحميد: ص(١٣٨).
(٢) أنساب الأشراف (٢/٩٣) بسند حسن، خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد: ص(١٣٩).
(٣) تاريخ الطبرى (٥/٥٠١). (٤) تاريخ الطبرى (٥/٤٩٧).

رافضى محترق، وهذه الرواية لم تثبت من طريق صحيح يمكن أن يعول عليه، والصحابة الكرام ينزهون عن مثل هذه المثلة القبيحة. والذى يفهم من رواية سيف أن الغوغاء هم الذين فعلوا ذلك، وأن طلحة والزبير -رضى الله عنهما- استشنعاه، واستعظماه وبعثا بالخبر إلى عائشة فقالت: خلوا سبيله وليذهب حيث شاء[(١)]، وهذه الرواية عارضت تفصيلات أبى مخنف فهى لم تذكر الأمر بقتله أو حبسه أو الأمر بنتف شعر وجهه، وقد اختار هذه الرواية النويرى وابن كثير[(٢)]، وذكر الذهبى أن مجاشع بن مسعود قد قتل قبل دخول دار عثمان بن حنيف[(٣)]، وحتى لو فرض عدم قتل مجاشع بن مسعود فليست إليه القيادة حتى يصدر هذه الأوامر[(٤)].

رابعًا: خروج أمير المؤمنين على بن أبى طالب إلى الكوفة:

لم يكن الصحابة -رضى الله عنهم- فى المدينة يؤيدون خروج أمير المؤمنين على بن أبى طالب من المدينة، فقد تبين ذلك حينما همّ علىّ بالنهوض إلى الشام، ليزور أهلها وينظر ما هو رأى معاوية وما هو صانع[(٥)]، فقد كان يرى أن المدينة لم تعُد تمتلك المقومات التى تملكها بعض الأمصار فى تلك المرحلة فقال: إن الرجال والأموال بالعراق[(٦)]، فلما علم أبو أيوب الأنصارى -رضى الله عنه- بهذا الميل قال للخليفة: يا أمير المؤمنين، لو أقمت بهذه البلاد لأنها الدرع الحصينة، ومهاجرة رسول الله ﷺ، وبها قبره ومنبره ومادة الإسلام، فإن استقامت لك العرب كنت كمن كان، وإن تشعب عليك قوم رميتهم بأعدائهم، وإن ألجئت حينئذ إلى السير سرت وقد أعذرت. . ، فأخذ الخليفة بما أشار به أبو أيوب وعزم المقامة بالمدينة وبعث العمال على الأمصار[(٧)]. ولكن حدث كثير من المستجدات السياسية التى أرغمت الخليفة على مغادرة المدينة، وقرر الخروج للتوجه إلى الكوفة ليكون قريبًا. من أهل الشام[(٨)]، وأثناء استعداده للخروج، بلغه خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة[(٩)]، فاستنفر أهل المدينة ودعاهم إلى نصرته، وحدث تثاقل من بعض أهل المدينة بسبب وجود

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٩٧).

(٢) نهاية الأرب (٢٠/ ٣٨)، البداية والنهاية (٧/ ٢٣٣).

(٣) تاريخ الإسلام للذهبى، مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى: ص(٣٥٩).

(٤) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى: ص(٢٥٩).

(٥)، (٦)، (٧) الثقات لابن حبان (٢/ ٢٨٣)، الأنصار فى العصر الراشدى: ص(١٦١).

(٨) استشهاد عثمان ووقعة الجمل: ص(١٨٣). (٩) تاريخ الطبرى (٥/ ٥٠٧).

الغوغاء فى جيش على، وطريقة التعامل معهم، فكان كثير من أهل المدينة يرون أن الفتنة ما زالت مستمرة، فلابد من التروى حتى تنجلى الأمور أكثر، وهم يقولون: لا والله ما ندرى كيف نصنع، فإن هذا الأمر لمشتبه علينا ونحن مقيمون حتى يضىء لنا ويسفر. وروى الطبرى أن عليًا -رضى الله عنه- خرج فى تعبئته التى كان تعبى بها إلى الشام وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخففين فى سبعمائة رجل(١)، والأدلة على تثاقل كثير من أهل المدينة عن إجابة دعوة أمير المؤمنين للخروج كثيرة، منها: خطب الخليفة التى شكا فيها من هذا التثاقل(٢)، وظاهرة اعتزال كثير من الصحابة بعد مقتل عثمان كما اتضح ذلك، كما أن رجالاً من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد مقتل عثمان فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم(٣). وقد عبر أبو حميد الساعدى الأنصارى -وهو بدرى- عن ألمه لمقتل الخليفة عثمان فقال: اللهم إن لك علىّ أن لا أضحك حتى ألقاك(٤). فقد كانوا يعدون الخروج من المدينة فى تلك المرحلة يقود إلى الانزلاق فى الفتنة التى يخشون عواقبها(٥)، على سلامة ما مضى لهم من جهاد مع رسول الله ﷺ(٦)، وما سبق ذكره لا يعنى أنه لم يشارك أحد من الصحابة فى مسيرة الخليفة، بل شارك البعض، لكنهم كانوا قليلاً، قال الشعبى: لم يشهد موقعة الجمل من أصحاب رسول الله غير على وعمار وطلحة والزبير، فإن جاءوا بخامس فأنا كذاب(٧)، وفى رواية: من حدثك أنه شهد الجمل ممن شهد بدراً أكثر من أربعة نفر فكذبه؛ كان على وعمار فى ناحية وطلحة والزبير فى ناحية(٨)، وفى رواية: لم ينهض مع على إلى البصرة غير ستة نفر من البدريين ليس لهم سابع(٩).

وبهذا يكون المقصود فى الرواية السابقة من الصحابة أهل بدر، وعلى كل حال فإن من شارك فى الفتنة من الأنصار قليل. قال ابن سيرين والشعبى: وقعت الفتنة بالمدينة وأصحاب النبى ﷺ أكثر من عشرة آلاف، فما يعدون من خف فيها عشرين رجلاً؛ فسميت حرب على وطلحة والزبير وصفين فتنة(١٠)، فيتضح مما سبق أن عدد الصحابة الذين

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٨١).

(٢) الطبقات (٣/ ٢٣٧)، الأنصار فى العصر الراشدى: ص(١٦٣).

(٣) البداية والنهاية نقلاً عن الأنصار فى العصر الراشدى: ص(١٦٤).

(٤) تاريخ الإسلام فى عهد الخلفاء الراشدين.

(٥)، (٦) الأنصار فى العصر الراشدى: ص(١٦٤).

(٧) تاريخ ابن خياط: ص(١٦)، مصنف ابن أبى شيبة (٨/ ٧١٠).

(٨) العثمانية للجاحظ: ص(١٧٥)، الأنصار فى العصر الراشدى: ص(١٦٥).

(٩)، (١٠) الخلافة الراشدة من تاريخ ابن كثير، كنعان: ص(٣٥٦).

خرجوا مع الخليفة على إلى البصرة كان قليلاً، ولا يمكن الجزم بمشاركتهم فى حرب الجمل، فمع شدة تلك الموقعة وكثرة أحداثها لم تذكر المصادر مشاركات الصحابة فيها أو شهداء أو جرحى[(١)]. إن إحدى الروايات تقول: خرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخففين في سبعمائة رجل[(٢)]. والذى يظهر من هذه الرواية أنها أقرب إلى واقع تلك المرحلة، وأكثر انسجامًا مع سير الأحداث، ومع موقف أهل المدينة الذى كان يتراوح بين الميل للعزلة والتثاقل عن المشاركة فى الأحداث[(٣)].

١- نصيحة عبد الله بن سلام لأمير المؤمنين على: حاول عبد الله بن سلام صاحب رسول الله ﷺ أن يثنى عزم أمير المؤمنين علىّ عن الخروج، فأتاه وقد استعد للمسير، وأظهر له خوفه عليه ونهاه أن يقدم على العراق قائلاً: أخشى أن يصيبك ذباب السيف، كما أخبره بأنه لو ترك منبر رسول الله ﷺ، فلن يراه أبدًا، كان علىّ يعلم هذه الأشياء من رسول الله ﷺ فقال: وايم الله لقد أخبرنى به رسول الله ﷺ، ولكن من مع علىٍّ من البصريين والكوفيين بلغت بهم الجرأة أن قالوا لعلى: دعنا فلنقتله، فقد أصبح قتل المسلمين ممن يقف فى طريقهم، أو يحسون بخطره على حياتهم بالقول أو العمل أمرًا هينًا لا يرون به بأسًا، وفى قولهم وتهجمهم هذا ما يدل على قلة الورع وعدم إنزال الصحابة الكرام منازلهم التى أمر رسول الله ﷺ الناس بعده بها، ولكن عليًا -رضى الله عنه- نهاهم قائلاً: إن عبد الله بن سلام رجل صالح[(٤)].

٢- نصيحة الحسن بن على لوالده: خرج أمير المؤمنين من المدينة وعندما بلغ الربذة[(٥)] عسكر فيها بمن معه، ووفد عليه عدد من المسلمين بلغوا المائتين[(٦)]، وفى الربذة قام إليه ابنه الحسن -رضى الله عنهما- وهو باك لا يخفى حزنه وتأثره على ما أصاب المسلمين من تفرق واختلاف، وقال الحسن لوالده: قد أمرتك فعصيتنى، فتُقتل غدًا بمضيعة لا ناصر لك، فقال على: إنك لا تزال تخن[(٧)] خنين الجارية، وما الذى أمرتنى فعصيتك؟ قال: أمرتك يوم أحيط بعثمان -رضى الله عنه- أن تخرج من المدينة فيُقتل ولست بها، ثم أمرتك يوم قُتل ألا تبايع حتى يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر، ثم

(١) الأنصار فى العصر الراشدى: ص(١٦٥).
(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٨١).
(٣) الإنصاف فيما وقع فى تاريخ العصر الراشدى من الخلاف: ص(٣٨٨).
(٤) مسند أبى يعلى (١/ ٣٨١) قال محققه: إسناده صحيح.
(٥) شرق المدينة المنورة تبعد ٢٠٤ كيلو مترات.
(٦) أنساب الأشراف (٢/ ٤٥)، خلافة على بن أبى طالب: ص(١٤٣).
(٧) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٨٢) خن: أخرج الصوت من خياشيمه.

أمرتك حين فعل هذان الرجلان ما فعلا أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا، فإن كان الفساد كان على يدى غيرك، فعصيتنى فى ذلك كله. قال: أى بنى، أما قولك: لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان، فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به، وأما قولك: لا تبايع حتى تأتى بيعة الأمصار، فإن الأمر أمر أهل المدينة، وكرهنا أن يضيع هذا الأمر، وأما قولك حين خرج طلحة والزبير، فإن ذلك كان وهنًا على أهل الإسلام، والله ما زلت مقهورًا مذ وليت، منقوصًا لا أصل إلى شيء مما ينبغى، وأما قولك: اجلس فى بيتك، فكيف لى بما قد لزمنى، أو من تريدنى؟ أتريدنى أن أكون مثل الضبع التى يحاط بها، ويقال: دباب دباب[1]، ليست ههنا حتى يحل عرقوباها ثم تُخرج، وإذا لم أنظر فيما لزمنى من هذا الأمر ويعنينى، فمن ينظر فيه؟ فكف عنك أى بنى[2]. كان موقف أمير المؤمنين على حازمًا فى هذه المشكلة وواضحًا ولم يستطع أحد أن يثنيه عن عزمه. وأرسل على رضى الله عنه من الربذة يستنفر أهل الكوفة ويدعوهم إلى نصرته، وكان الرسولان محمد بن أبى بكر الصديق، ومحمد بن جعفر ولكنهما لم ينجحا فى مهمتهما، إذ إن أبا موسى الأشعرى والى الكوفة من قبل على، ثبط الناس ونهاهم عن الخروج والقتال فى الفتنة وأسمعهم ما سمعه من رسول الله ﷺ من التحذير من الاشتراك فى الفتنة[3]، فأرسل على بعد ذلك هاشم بن عتبة بن أبى وقاص، ففشل فى مهمته، لتأثير أبى موسى عليهم[4].

٣- استنفار أمير المؤمنين على لأهل الكوفة من ذى قار[5]: تحرك على بجيشه إلى ذى قار فعسكر بها بعد ثمانى ليال من خروجه من المدينة، وهو فى تسعمائة رجل تقريبًا[6]، فبعث للكوفة فى هذه المرة عبد الله بن عباس فأبطأوا عليه، فأتبعه بعمار بن ياسر والحسن بن على، وعزل أبا موسى الأشعرى واستعمل قرظة بن كعب بدلاً منه[7]. وكان للقعقاع دور عظيم فى إقناع أهل الكوفة، فقد قام فيهم وقال: إنى لكم ناصح وعليكم شفيق، وأحب أن ترشدوا، ولأقولن لكم قولاً هو الحق، . . . والقول الذى هو القول إنه لابد من إمارة تنظم الناس وتنزع الظالم، وتعز المظلوم، وهذا علىٌّ يلى ما ولى، وقد أنصف فى الدعاء،

(١) دباب كقطام: دعاء الضبع للضبع. (٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٨٢).

(٣) تاريخ الطبرى (٥/ ٥١٤)، مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ١٢) إسناده حسن.

(٤) خلافة على بن أبى طالب: ص(١٤٤)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٨٦).

(٥) ذو قار، ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة، معجم البلدان (٤/ ٣٩٣).

(٦) تاريخ الطبرى (٥/ ٥١٩-٥٢١).

(٧) فتح البارى (١٣/ ٥٣)، التاريخ الصغير (١/ ١٠٩).

وإنما يدعو إلى الإصلاح، فانفروا وكونوا فى هذا الأمر بمرأى ومسمع(١). وكان للحسن بن على أثر واضح، فقد قام خطيبًا فى الناس وقال: أيها الناس، أجيبوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنه سيوجد لهـذا الأمر من ينفر إليه، والله لأن يليه أولو النهى(٢) أمثل فى العاجلة وخير فى العاقبة، فأجـيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم(٣). ولبى كثير من أهل الكوفة وخرجوا مع عمار والحسن إلـى على ما بين ستة إلى سبعة آلاف رجل، ثم انضم إليهم من أهل الـبصرة ألفان مـن عبد القيس، ثـم توافدت عليه القـبائل إلى أن بلغ جيشه عند حدوث المعركـة اثنى عشر ألف رجل تقريبًا(٤). وعندما التقى أهل الكوفة بأمير المؤمنين على بذى قـار قـال لهم: يا أهل الكوفـة، أنتم وليـتم شـوكة العـجم وملوكـهم وفضضتم جـموعهم، حتى صارت إليكم مواريثهم، فـأعنتم حوزتكم، واغتنم الناس على عدوهم، وقد دعـوتكم لتشهدوا معنا إخـواننا من أهل البصرة، فإن يرجـوا فذاك ما نريد، وإن يلجـوا داويناهم بالرفق، وبايناهم حتى يـبدءونا بظلم، ولن ندع أمـرًا فيـه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله(٥).

٤- اختـلاف الرأى لا يفسـد للود قضـية: وهذا القول ينطبق على حـال الصحابة فى هذه الفـتنة، فمع اخـتلافهـم فى الرأى، لم يدخل قلب أحد الضـِّغن على أخيـه، وإليك هذه القـصة التى حـدثت بالكوفة، فـقـد روى البخـارى عن أبى وائل قال: دخل أبو مـوسى الأشعرى، وأبـو مسعود وعـقبة بن عمـرو الأنصارى على عمّار حين بعـثه علىٌّ إلى أهل الكوفة يستنفـرهم، فقالا: ما رأيناك أتيت أمرًا أكـره عندنا من إسراعك فى هذا الأمر منذ أسلمت. فقال عمـار: ما رأيت منكما منذ أسلمتما أمـرًا أكره عندى من إبطائكما فى هذا الأمر. وفى رواية: فقال أبو مسعود -وكـان موسرًا-: يا غلام هات حلتين فأعط إحداهما أبا موسى، والأخرى عمّارًا، وقال: روحا فيه إلى الجمعة(٦). فأنت ترى أبا مسعود وعمارًا وكلاهما يرى الآخر مخطئًا ومع ذلك فأبو مسعود يكســو عمارًا حلة ليشهد بها الجمعة لأنه كان بثياب السفـر وهيئة الحرب، فكره أبو مسعود أن يشهد الجـمعة فى تلك الثياب، وهذا تصرف يدل على غاية الود مع أن كليهما جعل تصرف صاحبه نحو الفتنة عيبًا، فعمار يرى

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٥١٦).

(٢) أولو النهى: أصحاب العقول.

(٣) تاريخ الطبرى (٥/ ٥١٦).

(٤) مـصنف عبـد الرزاق (٥/ ٤٥٦، ٤٥٧) بسند صـحـيح إلى الزهرى مـرسلاً، خـلافـة على بن أبى طالب: ص(١٤٦)، والإسناد حسن لغيره، قاله عبد الحميد على.

(٥) تاريخ الطبرى (٥/ ٥١٩).

(٦) البخارى، ك الفتن.

إبطاء أبي موسى وأبي مسعود عن تأييد على عيبًا، وأبو موسى وأبو مسعود رأيا إسراع عمار فى تأييد أمير المؤمنين على عيبًا، وكلاهما له حجته التى اقتنع بها؛ فمن أبطأ فذلك لما ظهر لهم من ترك مباشرة القتال فى الفتنة، تمسكًا بالأحاديث الواردة فى ذلك وما فى حمل السلاح على المسلم من الوعيد، وكان عمّار على رأى علىٍّ فى قتال الباغين والناكثين، والتمسك بقوله: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾ [الحجرات: ٩] وحمل الوعيد الوارد فى القتال على من كان متعديًا على صاحبه، وكلا الفريقين لم يكن حريصًا على قتل صاحبه، ويتعلق الطرفان بأدنى سبب لمنع الاشتجار قبل أن يقع، ومضى الالتحام إن وقع، لأن الطرفين كانا كارهين الاقتتال(١).

٥- تساؤلات على الطريق:

أ- ما سأله أبو رفاعة بن رافع بن مالك العجلان الأنصارى لما أراد الخروج من الربّذة، فقال: يا أمير المؤمنين، أى شىء تريد؟ وإلى أين تذهب بنا؟ فقال: أما الذى نريد وننوى فالإصلاح، إن قبلوا منا وأجابونا إليه، قال: فإن لم يجيبونا إليه؟ قال: ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر، قال: فإن لم يرضوا؟ قال: ندعهم ما تركونا، قال: فإن لم يتركونا؟ قال: امتنعنا منهم، قال: فنعم إذًا. فسمع تلك السلسلة من الأسئلة والإجابات فاطمأن إليها وارتاح لها، وقال: لأرضينك بالفعل كما أرضيتنى بالقول، وقال:

دراكها دراكها قبل الفوت   وانفر بنا واسْمُ بنا نحو الصوت

لا وألَتْ نفسى إن هبت الموت(٢)

ب- أهل الكوفة يسألون عليًا بمن فيهم الأعور بن بنان المنقرى: لما قدم أهل الكوفة إلى أمير المؤمنين رضى الله عنه فى ذى قار، قام إليه أقوام من أهل الكوفة يسألونه عن سبب قدومهم، فقام إليه فيمن قام الأعور بن بُنان المِنْقرىّ، فقال له على رضى الله عنه: علىَّ الإصلاح وإطفاء النائرة(٣)، لعل الله يجمع شمل هذه الأمة بنا ويضع حربهم، وقد أجابونى، قال: فإن لم يجيبونا؟ قال: تركناهم ما تركونا. قال: فإن لم يتركونا؟ قال: دفعناهم عن أنفسنا، قال: فهل لهم مثل ما عليهم من هذا؟ قال: نعم(٤).

(١) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدى(٢/ ٣٠٤).
(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٥١٠).   (٣) النائرة: العداوة.
(٤) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٠)، تاريخ الطبرى (٥/ ٥٢٩).

جـ- أبو سلامة الدألانى، ممن سأل أمير المؤمنين رضى الله عنه فقال: أترى لهؤلاء القوم حجّة فيما طلبوا من هذا الدم، إن كانوا أرادوا الله عز وجل بذلك؟ قال: نعم. قال: فترى لك حجة بتأخيرك ذلك؟ قال: نعم، إنّ الشيء إذا كـان لا يدرك فالحكم فيه أحوطه وأعمّه نفعًا، قال: فـما حالنا وحالهم إن ابتلينا غدًا؟ قال: إنى لأرجـو ألاّ يقتل أحد نقّى قلبه لله منّا ومنهم إلا أدخله الله الجنة[1].

د- وسأل مالك حبيب أمير المؤمنين على بن أبى طالب، فقال: ما أنت صانع إذا لقيت هؤلاء القـوم؟ قـال: قد بان لنا ولـهم أن الإصلاح، الكفّ عـن هذا الأمر، فـإن بايعـونا فذلك، فإن أبوا وأبينا إلا القتال فصدع لا يلتئـم، قال: فإن ابتلينا فما بال قتلانا؟ قال: من أراد الله عز وجل نفعه ذلك وكان نجاءه[2].

إن هدف أمير المؤمنـين الإصلاح وإطفاء الفتنة، وإن القتـال ليس واردًا فى تدابيره، لأنه إن حصل، فهـو داء لا يُرجى شفاؤه، أما من يقـتل بين الطرفين فهو مرهون بنيّـته، سواء قاتل مع أميـر المؤمنين أو قاتل ضده، وبذلك يقرر أميـر المؤمنين أن المسلمين الذين خرجوا فى هذا الأمر، بعد استشهاد عثمـان -رضى الله عنه- يبتغون الإصلاح والقضاء على الفتنة مجتهدون وأجرهم على قدر إخلاص نواياهم ونقاء قلوبهم[3].

خامسًا: محاولات الصلح:

قبل أن يتـحرك على رضى الله عنه بجيـشه نحو البـصرة أقام فى ذى قار أيامًـا، وكان غرضـه -رضى الله عنه- القـضاء على هذه الفـرقة والفـتنة بالوسـائل السلميـة، وتجنيب المسلمين شر القـتال والصدام المسلح بكل مـا أُوتى من قوة وجهـد، وكذلك الحال بالنسـبة لطلحة والزبيـر، وقد اشتـرك فى محاولات الصلح عدد من الصـحابة وكبـار التابعين ممن اعتزلوا الأمر، منهم:

١- عمـران بن حصين رضى الله عنه: فقـد أرسل فى الناس يخذل الفـريقين جميـعًا، ثم أرسل إلى بنى عـدى -وهم جمـع كبـير انضـمـوا للزبير- فـجـاء رسوله وقـال لهم فى مسجدهم: أرسلنى إليكم عمران بن حصين صاحب رسول الله ﷺ ينصحكم ويحلف بالله الذى لا إله إلا هو لأن يكون عبـدًا حبشيًا مـجدعًا يرعى أعنزًا فى رأس جبـل حتى يدركه

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٠).

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٥٢)، الإنصاف فيما وقع فى تاريخ العصر الراشدى: ص(٤٠٦).

(٣) الإنصاف، د. حامد: ص(٤٠٦).

الموت، أحب إليه من أن يرمى فى أحد من الفريقين بسـهم أخطأ أو أصاب، فأمسكوا فدى لكم أبى وأمى. فـقـال القوم: دعنا منك، فـإنا والله لا ندع ثقل رسـول الله ﷺ لشىء[1] أبدًا.

٢- كعب بن سور: أحد كبار التـابعين، فقد بذل كل جهد، وكلف نفسه فـوق طاقتها، وقام بدور يعجز عنه كثير من الرجال، فقد استمر فى محاولة الصلح إلى أن وقع المحذور، وذهب ضحية جهوده؛ إذ قتُل وهو بين الصفين يدعو هؤلاء ويدعو هؤلاء إلى تحكيم كتاب الله وكف السلاح[2].

٣- القعقاع بن عمـرو التميمى: أرسل أمير المؤمنين علىٌّ القعقاع بن عمرو التميمى رضى الله عنهما فى مـهمة الصلح إلى طلحة والـزبير، وقال: القَ هذين الرجلين، فادعـهما إلى الألفة والجماعة، وعظّم عليهما الاختلاف والفرقة. ذهب القعقاع إلى البصرة، فبدأ بعائشة -رضى الله عنها- وقـال لها: مـا أقدمك يا أمـاه إلى البصرة؟ قـالت له: يا بنى من أجل الإصلاح بين الناس. فطلب القعقاع منها أن تبعث إلى طلحـة والزبير ليحضرا، ويكلمهما فى حضرتها وعلى مسمع منها.

* محاورة القعـقاع لطلحة والزبير: ولما حضرا سألهما عن سبب حـضورهما، فقالا كما قالت عائشة: من أجل الإصـلاح بين الناس. فقال لهما: أخبـرانى ما وجه هذا الإصلاح؟ فوالله لئن عَرفناه لنصلحنَّ معكم، ولئن أنكرناه لا نصلح، قالا له: قتلة عثمان، رضى الله عنه، ولابد أن يُقتلوا، فإن تُركـوا دون قصاص كان هذا تركًا للقـرآن، وتعطيلاً لأحكامه، وإن اقتُصَّ منهم كان هذا إحياء للقرآن. قال القعقـاع: لقد كان فى البصرة ستُّمائة من قتلة عثمان وأنتم قتلتموهم إلا رجلاً واحدًا، وهو حرقوص بن زهير السعدى، فلما هرب منكم احتمى بقومه من بنى سعد، ولما أردتم أخذه منهم وقَتْله منعكم قومه من ذلك، وغضب له ستـة آلاف رجل اعتزلوكم، ووقفـوا أمامكم وقفة رجل واحـد، فإن تركتم حرقـوصًا ولم تقتلوه، كنتم تاركين لما تقولون وتنادون به وتطالبون عليًا به، وإن قاتلتم بنى سعد من أجل حرقـوص، وغلبوكم وهزمـوكم وأديلوا عليكم، فقـد وقعتم فى المحـذور، وقويّتـموهم، وأصابكم ما تكرهون، وأنتم بمطالبـتكم بحرقوص أغضبتم ربيعـة ومضر، من هذه البلاد،

(١) الطبقات لابن سعد (٤/ ٨٧)، خلافة على، عبد الحميد: ص(١٤٨).

(٢) الطبقـات لابن سعـد (٧/ ٩٢) من طريقين صحيـحة الإسناد، وخـلافة على بن أبى طالب، عـبد الحمـيد: ص(١٤٩).

حيث اجتمعوا على حربكم وخذلانكم، نصرة لبنى سعد، وهذا ما حصل مع على، ووجود قتلة عثمان فى جيشه.

* **الحل عند القعقاع: التأنى والتسكين ثم القصاص:** تأثرت أمُّ المؤمنين ومن معها بمنطق القعقاع وحجته المقبولة؛ فقالت له: فماذا تقول أنت يا قعقاع؟ قال: أقول: «هذا أمر دواؤه التسكين، ولابد من التأنى فى الاقتصاص من قتلة عثمان، فإذا انتهت الخلافات، واجتمعت كلمة الأمة على أمير المؤمنين تفرغ لقتلة عثمان، وإن أنتم بايعتم عليًا[1] واتفقتم معه، كان هذا علامة خير، وتباشير رحمة، وقدرة على الأخذ بثأر عثمان، وإن أنتم أبيتم ذلك، وأصررتم على المكابرة والقتال كان هذا علامة شر، وذهابًا لهذا الملك، فآثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولاً، ولا تُعرِّضونا للبلاء، فتتعرضوا له، فيصرعنا الله وإياكم، وايم الله إنى لأقول هذا وأدعوكم إليه، وإنى لخائف أن لا يتم، حتي يأخذ الله حجته من هذه الأمة التى قلَّ متاعها، ونزل بها ما نزل، فإنّ ما نزل بها أمر عظيم، وليس كقتل الرجل الرجل، ولا قتل النفر الرجل، ولا قتل القبيلة القبيلة». اقتنعوا بكلام القعقاع المقنع الصادق المخلص، ووافقوا على دعوته إلى الصلح، وقالوا له: قد أحسنت وأصبت المقالة، فارجع، فإن قدم على، وهو على مثل رأيك، صلح هذا الأمر إن شاء الله. عاد القعقاع إلى على فى «ذى قار» وقد نجح فى مهمته، وأخبر عليًا بما جرى معه، فأُعجب على بذلك، وأوشك القوم على الصلح، كرهه من كرهه، ورضيه من رضيه[2].

* **بشائر الاتفاق بين الفريقين:** لما عاد القعقاع وأخبره بما فعل، أرسل علىّ رضى الله عنه رسولين[3] إلى عائشة والزبير ومن معهما يستوثق مما جاء به القعقاع بن عمرو، فجاءا عليًا، بأنه على ما فارقنا عليه القعقاع فأقدم، فارتحل علىّ حتى نزل بحيالهم، فنزلت القبائل إلى قبائلهم، مضر إلى مضر، وربيعة إلى ربيعة، واليمن إلى اليمن، وهم لا يشكون فى الصلح، فكان بعضهم بحيال بعض، وبعضهم يخرج إلى بعض، ولا يذكرون ولا ينوون إلا الصلح[4]، وكان أمير المؤمنين على رضى الله عنه لما نوى الرحيل قد أعلن قراره الخطير: ألا وإنى راحل غداً فارتحلوا -يقصد إلى البصرة- ألا ولا يرتحلن غداً أحد أعان على عثمان بشىء فى شىء من أمور الناس[5].

(١) الانقياد التام لسياسة أمير المؤمنين على فى التعامل مع قتلة عثمان.
(٢) البداية والنهاية (٧/ ٧٣٩)، تاريخ الطبرى (٥/ ٥٢١).
(٣) تاريخ الطبرى (٥/ ٥٢٥). (٤) المصدر نفسه (٥/ ٥٣٩).
(٥) المصدر نفسه (٥/ ٥٢٥).

سادسًا: نشوب القتال:

١- دور السبئية في نشوب الحرب: كان في عسكر علي رضي الله عنه من أولئك الطغاة الخوارج الذين قتلوا عثمان من لم يعرف بعينه، ومن تنتصر له قبيلته، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره[1]، وحرص أتباع ابن سبأ على إشعال الفتنة وتأجيج نيرانها حتى يفلتوا من القصاص[2]. فلما نزل الناس منازلهم واطمأنوا، خرج علي وخرج طلحة والزبير، فتوافقوا وتكلموا فيما اختلفوا فيه فلم يجدوا أمرًا هو أمثل من الصلح وترك الحرب حين رأوا أن الأمر أخذ في الانقشاع، فافترقوا على ذلك، ورجع عليّ إلى عسكره، ورجع طلحة والزبير إلى عسكرهما، وأرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما، وأرسل علي إلى رؤساء أصحابه، ما عدا أولئك الذين حاصروا عثمان -رضي الله عنه- فبات الناس على نية الصلح والعافية وهم لا يشكون في الصلح، فكان بعضهم بحيال بعض، وبعضهم يخرج إلى بعض، لا يذكرون ولا ينوون إلاّ الصّلح. وبات الذين أثاروا الفتنة بشر ليلة باتوها قط؛ إذ أشرفوا على الهلاك وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها، وقال قائلهم: أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما، وأما علي فلم نعرف أمره حتى كان اليوم؛ وذلك حين طلب من الناس أن يرتحلوا في الغد ولا يرتحل معه أحد أعان على عثمان بشيء، ورأى الناس فينا -والله- واحد، وإن يصطلحوا مع علي فعلى دمائنا[3]. وتكلم ابن السوداء عبد الله بن سبأ -وهو المشير فيهم- فقال: يا قوم إن عزّكم في خلطة الناس فصانعوهم، وإذا التقى الناس غدًا فانشبوا القتال، ولا تفرغوهم للنظر، فإذا من أنتم معه لا يجد بدًا من أن يمتنع، ويشغل الله عليًا وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون، فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون[4]. فاجتمعوا على هذا الرأي بإنشاب الحرب في السّر، فغدوا في الغلس وعليهم ظلمة، وما يشعر بهم جيرانهم، فخرج مضريّهم إلى مضريّهم، وربيعيهم إلى ربيعيّهم، ويمانيهم إلى يمانيّهم، فوضعوا فيهم السيوف، فثار أهل البصرة، وثار كل قوم في وجوه الذين باغتوهم، وخرج الزبير وطلحة في وجوه الناس من مصر، فبعثا إلى الميمنة، وهم ربيعة يرأسها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، والميسرة، يرأسها عبد الرحمن بن عتّاب بن أسيد وثبتا في القلب، فقالا: ما هذا؟ قالوا: طرقنا أهل الكوفة ليلاً، فقالا: ما علمنا أن عليًا غير منته حتى يسفك الدّماء ويستحل الحرمة، وإنه لن يطاوعنا، ثم رجعا بأهل البصرة، وقصف أهل البصرة أولئك

(١) تاريخ الطبري (٥/٥٢٦).

(٢) المصدر نفسه (٥/٥٢٧)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٢٠).

(٣) تاريخ الطبري (٥/٥٢٦).

(٤) المصدر نفسه (٥/٥٢٧).

حتى ردّوهم إلى عسكرهم[1]، فسمع على وأهل الكوفة الصوت، وقد وضع السبئية رجلاً قريبًا من على ليخبره بما يريدون، فلما قال: ما هذا؟ قال ذلك الرجل: ما فجئنا إلا وقوم منهم بيتونا فرددناهم، وقال علىّ لصاحب ميمنته: ائت الميمنة، وقال لصاحب ميسرته: ائت الميسرة، والسبئية لا تفتر إنشابًا[2]. وعلى الرغم من تلك البداية للمعركة فإن الطرفين ما لبثا يملكان الرويّة حتى تتضح الحقيقة، فعلى ومن معه يتفقون على ألا يبدءوا بالقتال حتى يبدءوا طلبًا للحجة واستحقاقًا على الآخرين بها، وهم مع ذلك لا يقتلون مدبرًا، ولا يجهزون على جريح، ولكن السبئية لا تفتر إنشابًا[3]، وفى الجانب الآخر ينادى طلحة وهو على دابته وقد غشيه الناس فيقول: يا أيها الناس أتنصتون؟ فجعلوا يركبونه ولا ينصتون، فما زاد أن قال: أف أف فراش نار وذبان طمع[4]، وهل يكون فراش النار وذبان الطمع غير أولئك السبئية؟ بل إن محاولات الصلح لتجرى حتى آخر لحظة من لحظات المعركة.

ومن خلال هذا العرض يتبين أثر ابن سبأ وأعوانه «السبئية» فى المعركة ويتضح -بما لا يدع مجالاً للشك- حرص الصحابة -رضى الله عنهم- على الإصلاح وجمع الكلمة؛ وهذا هو الحق الذى تثبته النصوص وتطمئن إليه النفوس[5]. وقبل الحديث عن جولات المعركة نشير إلى أن أثر السبئية فى معركة الجمل مما يكاد يجمع عليه العلماء سواء أسموهم بالمفسدين، أو بأوباش الطائفتين، أو أسماهم البعض بقتلة عثمان، أو نبزوهم بالسفهاء، أو بالغوغاء، أو أطلقوا عليهم صراحة السبئية[6]. . وإليك بعض النصوص التى تؤكد ذلك:

أ-جاء فى أخبار البصرة لعمر بن شبَّة أن الذين نسب إليهم قتل عثمان خشوا أن يصطلح الفريقان على قتلهم، فأنشبوا الحرب بينهم حتى كان ما كان[7].

ب- قال الإمام الطحاوى:فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من على ولا من طلحة، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين[8].

جـ- وقال الباقلانى:. . وتم الصلح والتفرق على الرضا، فخاف قتلة عثمان من التمكن منهم، والإحاطة بهم، فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا، ثم اتفقت آراؤهم على أن يفترقوا

---

(١)، (٢)، (٣) تاريخ الطبرى (٥/ ٥٤١). (٤) تاريخ خليفة بن خياط: ص(١٨٢).

(٥) عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة فى صدر الإسلام: ص(١٩٢، ١٩٣).

(٦) المصدر نفسه: ص(١٩٤). (٧) فتح البارى (١٣/ ٥٦).

(٨) شرح العقيدة الطحاوية: ص(٥٤٦).

فرقتين، ويبدءوا بالحرب سحرة في المعسكرين ويختلطوا، ويصيح الفريق الذي في عسكر علي: غدر طلحة والزبير، ويصيح الفريق الذي في عسكر طلحة والزبير: غدر علي، فتم لهم ذلك على ما دبروه ونشبت الحرب، فكان كل فريق منهم دافعًا لمكروه عن نفسه ومانعًا من الإشاطة بدمه، وهذا صواب من الفريقين وطاعة لله تعالى إذ وقع، والامتناع منهم على هذا السبيل، فهذا هو الصحيح المشهور، وإليه نميل، وبه نقول[1].

د- ونقل القاضي عبد الجبار أقوال العلماء، باتفاق رأي علي وطلحة والزبير وعائشة -رضوان الله عليهم- على الصلح، وترك الحرب، واستقبال النظر في الأمر، وأنّ من كان في المعسكر من أعداء عثمان كرهوا ذلك، وخافوا أن تتفرغ الجماعة لهم، فدبّروا في إلقاء ما هو معروف، وتمّ ذلك[2].

هـ- ويقول القاضي أبو بكر بن العربي: وقدم عليّ على البصرة، وتدانوا ليتراءوا، فلم يتركهم أصحاب الأهواء، وبادروا بإراقة الدماء، واشتجرت الحرب، وكثرت الغوغاء على البوغاء، كل ذلك حتى لا يقع برهان، ولا يقف الحال على بيان، ويخفى قتلة عثمان، وإنّ واحدًا في الجيش يفسد تدبيره، فكيف بألف[3].

و- ويقول ابن حزم: .. وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإراغة والتدبير عليهم، فبيتوا عسكر طلحة والزبير وبذلوا السيف فيهم، فدفع القوم عن أنفسهم حتى خالطوا عسكر عليّ، فدفع أهله عن أنفسهم، كل طائفة تظن -ولا شك- أن الأخرى بدأتها القتال، واختلط الأمر اختلاطًا، ولم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه، والفسقة من قتلة عثمان لا يفترون من شن الحرب وإضرابها، فكلتا الطائفتين مصيبة في غرضها ومقصدها، مدافعة عن نفسها، ورجع الزبير وترك الحرب بحالها، وأتى طلحة سهم غارب، وهو قائم لا يدري حقيقة ذلك الاختلاط، فصادف جرحًا في ساقه كان أصابه يوم أحد بين يدي رسول الله ﷺ، فانصرف ومات من وقته -رضي الله عنه-، وقتل الزبير بوادي السباع- بعد انسحابه من المعركة- على أقل من يوم البصرة، فهكذا كان الأمر[4]. ويقول الذهبي: كانت وقعة الجمل أثارها سفهاء الفريقين[5]. ويقول: إن الفريقين اصطلحا وليس لعلي ولا لطلحة قصد القتال، بل

(1) التمهيد: ص(٢٣٣).
(2) تثبيت دلائل النبوة للهمداني: ص(٢٩٩).
(3) العواصم من القواصم: ص(١٥٦، ١٥٧).
(4) الفصل في الملل والنحل (٤/١٥٧، ١٥٨).
(5) العبر (١/٣٧)، عبد الله بن سبأ للعودة: ص(١٩٥).

ليتكلموا فى اجتماع الكلمة، فترامى أوباش الطائفتين بالنبل، وشبت نار الحرب، وثارت النفوس[1]. وفى كتاب «دول الإسلام»: والتحم القتال من «الغوغاء» وخرج الأمر عن على وطلحة والزبير[2]. يقول الدكتور سليمان بن حمد العودة: ولنا بعد ذلك أن نقول: وما المانع أن تكون رواية الطبرى المصرِّحة بدور «السبئية» فى الجمل، تفسِّر هذا التعميم، وتحدد تلك المسميات التى وردت فى نقولات هؤلاء العلماء؟ وحتى لو لم تكن هذه الطوائف الغوغائية ذات صلة مباشرة بالسبئية ولم تكن لها أهداف كأهدافهم، فأى مانع يمنع القول إن هذه شكلت أرضية استغلها ابن سبأ وأعوانه «السبئية»، كما هى العادة فى بعض الحركات الغوغائية التى تستغل من قبل المفسدين؟![3].

ولا ننسى أن للفتنة وأجوائها دورًا فى الإسهام بتلك الأحداث، فمما لا شك فيه أن الناس فى الفتن قد تحجب عنهم أشياء يراها غيرهم رأى العين، وقد يتأولون فيها صانعين أشياء يرى من سواهم حقيقته ناصعة لا تحتاج إلى عناء، وكفى بسواد الفتنة حاجبًا عن التروى والإبصار[4]، ولا نبعد كثيرًا؛ فهذا الأحنف بن قيس -وهو أحد الذين عايشوا أحداث الجمل- يخرج وهو يريد نصرة على بن أبى طالب، حتى لقيه أبو بكرة[5]، فقال: يا أحنف ارجع فإنى سمعته ﷺ يقول: **إذا تَوَاجَه المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول فى النار، فقلت أو قيل: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان قد أراد قتل صاحبه**[6]. إن القتال مع علىّ كان حقًا وصوابًا ومن قتل معه فهو شهيد وله أجران، ولكن أبا بكرة -رضى الله عنه- حمل حديثًا ورد فى غير الحالة التى قاتل فيها علىٌّ على حالة قتال الباغين، وهو فهم منه رضى الله عنه ولكنه فهم فى غير محله. ومن هذه الرواية ندرك أن عقبات متعددة واجهت عليًا رضى الله عنه فى معركته مع الآخرين، منها أمثال هذه الفتاوى التى هى أثر عن ورع أكثر منها أثرًا عن فتوى تصيب

(١)، (٢) تاريخ الإسلام (١/ ١٥)، عبد الله بن سبأ للعودة: ص(١٩٥).

(٣) عبد الله بن سبأ للعودة: ص(١٩٥). (٤) المصدر نفسه: ص(١٩٦).

(٥) هو نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفى، كما قال الإمام أحمد وعزا هذا القول إلى الأكثرين، وقيل إنه نفيع ابن مسروح وبه جزم ابن سعد، وقيل اسمه مسروح وبه جزم ابن إسحاق. وعلى كل فهو مشهور بكنيته أبى بكرة، من فضلاء الصحابة، ومن أهل الطائف، وممن اعتزل الفتنة يوم الجمل وأيام صفين، قيل فى سبب كنيته أنه تدلى من حصن الطائف ببكرة فاشتهر بها. توفى بالبصرة ٥٢هـ.

(٦) مسلم (٤/ ٢٢١٣)، ك الفتن.

محلها[١]. هذا وقد امتنع الأحنف من الدخول مع على -رضى الله عنهما-، فلم يشهد الجمل مع أحد من الفريقين[٢]، ونقترب أكثر فإذا الزبيرَ رضى الله عنه -وهو طرف أساسى فى المعركة- يكشف لنا عن حقيقة الأمر: إن هذه لهى الفتنة التى كنا نحدّث عنها، فقال له مولاه: أتسميها فتنة وتقاتل فيها؟ قال: ويحك؛ إنا نبصر ولا نبصر، ما كان أمر قط إلا علمت موضع قدمى فيه، غير هذا الأمر، فإنى لا أدرى أمقبل أنا فيه أم مدبر[٣]. ويشير إلى ذلك طلحة فيقول: بينما نحن يد واحدة على من سوانا، إذ صرنا جبلين من حديد يطلب بعضنا بعضًا[٤]. وفى الطرف الآخر يؤكد أصحاب على رضى الله عنه على الفتنة فيقول عمار -رضى الله عنه- فى الكوفة عن خروج عائشة: إنها زوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة، ولكنها مما ابتليتم[٥].

٢- الجولة الأولى فى معركة الجمل:زاد السبئيّون فى الجيشين من جهودهم فى إنشاب القتال، ومهاجمة الفريق الآخر، وإغراء كل فريق بخصمه، وتهييجه على قتاله، ونشبت المعركة عنيفة قاسية حامية شرسة، وهى معركة الجمل، وسميت بذلك لأنَّ أم المؤمنين عائشة، رضى الله عنها، كانت فى المعركة فى الجولة الثانية وسط جيش البصرة. تركب الجمل الذى قدمه لها يعلى بن أمية فى مكة، حيث اشتراه من اليمن، وخرجت على هذا الجمل من مكة إلى البصرة، ثم ركبته أثناء المعركة، وكانت المعركة يوم الجمعة فى السادس عشر من جمادى الثانية، سنة ست وثلاثين، فى منطقة «الزابوقة» قرب البصرة، حزن علىّ لما جرى، ونادى مناديه: كفوا عن القتال أيها الناس. ولم يسمع نداءه أحد، فالكل كان مشغولاً بقتال خصمه[٦]، كانت معركة الجمل على جولتين: الجولة الأولى كان قائدا جيش البصرة فيها طلحة والزبير، واستمرت من الفجر حتى قبيل الظهيرة[٧]، ونادى على فى جيشه، كما نادى طلحة والزبير فى جيشهما: لا تقتلوا مدبرًا، ولا تُجهزوا على جريح، ولا تلحقوا خارجًا من المعركة تاركًا لها[٨]. وقد كان الزبير، رضى الله عنه، وصى ابنه عبد الله بقضاء دينه فقال: إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإنى لا أرانى إلا سأقتل مظلومًا، وإن أكبر همى دَيْنى[٩]. وأثناء ذلك جاء رجل إلى الزبير، وعرض عليه أن يقتل

(١) الأساس فى السنة وفقهها، السيرة النبوية (١٧١١/٤).
(٢) صحيح مسلم على شرح النووى (١٨/ ١٠).
(٣)، (٤) تاريخ الطبرى (٥/ ٥٠٦).
(٥) المصدر نفسه (٥/ ٥١٦).
(٦) المصدر نفسه (٥/ ٥٤١).
(٧) المصدر نفسه (٥/ ٥٤١، ٥٤٣)، الخلفاء الراشدون للخالدى: ص(٢٤٥).
(٨) تاريخ الطبرى (٥/ ٥٤١).
(٩) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٢٧٩)، الطبقات (٣/ ١٠٨) صحيح الإسناد.

عليًا، وذلك بأن يندس مع جيشه، ثم يفتك به، فأنكر عليه بشدة، وقال: لا؛ لا يفتك مؤمن بمؤمن، أو أن الإيمان قيَّد الفتك[1]، فالزبير، رضى الله عنه، ليس له غرض فى قتل على أو أى شخص آخر برىء من دم عثمان، وقد دعا أمير المؤمنين علىٌّ الزبير، فكلمه بألطف العبارة، وأجمل الحديث، وقيل ذكره بحديث سمعه من رسول الله ﷺ يقول له - أى الزبير- «لتقاتلنه وأنت له ظالم[2]»- وهذا الحديث ليس له إسناد صحيح[3]. وبعض الروايات ترجع السبب فى انصراف الزبير -رضى الله عنه- قبيل المعركة لما علم بوجود عمار بن ياسر فى الصف الآخر وهو وإن لم يرو عن رسول الله ﷺ: «تقتل عمار الفئة الباغية»[4]، فلعله سمعه من بعض إخوانه من الصحابة لشهرته[5]، وبعضها يرجع السبب فى انصرافه إلى شكه فى صحة موقفه[6] من هذه الفتنة -كما يسميها-، وفى رواية ترجع السبب فى انصرافه إلى أن ابن عباس، رضى الله عنهما، ذكره بالقرابة القوية من على؛ إذ قال له: أين صفية بنت عبد المطلب حيث تقاتل بسيفك على بن أبى طالب بن عبد المطلب[7]. فخرج الزبير من المعركة، فلقيه ابن جرموز فقتله[8] كما سيأتى تفصيله بإذن الله. فالزبير، رضى الله عنه، كان على وعى لهدفه -وهو الإصلاح- ولكنه لما رأى حلول السلاح مكان الإصلاح رجع، ولم يقاتل، وقول ابن عباس: تقاتل بسيفك على بن أبى طالب؟ فيه حذف مفهومه: أم جئت للإصلاح وجمع الشمل؟[9] وعلى إثر هذا الحديث انصرف الزبير وترك الساحة، وربما كانت عوامل متعددة ومتداخلة أسهمت فى خروج الزبير من ساحة المعركة، وأما طلحة بن عبيد الله القائد الثانى لجيش البصرة، فقد أصيب فى بداية المعركة، إذ جاءه سهم غرب لا يعرف من رماه، فأصابه إصابة مباشرة، ونزف دمه بغزارة فقالوا له: يا أبا محمد، إنك لجريح، فاذهب وادخل البيوت لتعالج فيها، فقال طلحة لغلامه: احملنى، وابحث لى عن مكان مناسب، فأدخل البصرة، ووضع فى دار فيها ليعالج، ولكن جرحه ما زال ينزف حتى توفى فى البيت، ثم دفن فى البصرة، رضى

(١) مسند أحمد (٣/ ١٩) قال محققه أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) استشهاد عثمان ووقعة الجمل: ص(٢٠١) خرج طرق الحديث وحكم عليها بالضعف.

(٣) المدينة النبوية فجر الإسلام (٢/ ٣٢٤)، المطالب العلية رقم (٤٤٦٨).

(٤) مسند أحمد (١/ ٤٧-٤٩)، (١١/ ٣٨) إسناده صحيح، تحقيق أحمد شاكر.

(٥) خلافة على بن أبى طالب: ص(١٥٤).

(٦) المصدر نفسه ص(١٥٤)، تاريخ الطبرى (٥/ ٥٠٦).

(٧) الطبقات(٣/ ١١٠) إسناده صحيح، خلافة على: ص(١٥٥).

(٨) الطبقات (٣/ ١٠)، تاريخ خليفة: ص (١٨٦).

(٩) المدينة النبوية فجر الإسلام (٢/ ٢٤٨).

الله عنه[1]، وأما الرواية التى تشير إلى تحريض الزبير وطلحة على القتال وأن الزبير لما رأى الهزيمة على أهل البصرة ترك المعركة ومضى، فهذه الرواية لا تصح[2]، وهذا الخبر يعارضه ما ثبت من عدالة الصحابة، رضوان الله عليهم، كما أنه يخالف الروايات الصحيحة التى تنص على أن أصحاب الجمل ما خرجوا إلا للإصلاح، فكيف ينسجم هذا الفعل من الزبير، رضى الله عنه، مع الهدف الذى خرج من مكة إلى البصرة من أجله ألا وهو الإصلاح بين الناس؟! وبالفعل فإن موقف الزبير، رضى الله عنه، كان السعى فى الإصلاح حتى آخر لحظة، وهذا ما أخرجه الحاكم من طريق أبى حرب بن أبى الأسود الدؤلى، وفيه أن الزبير، رضى الله عنه، سعى فى الصلح بين الناس ولكن قامت المعركة واختلف أمر الناس ومضى الزبير وترك القتال[3]، وكذلك طلحة؛ فقد جاء من أجل الإصلاح وليس من أجل إراقة الدماء، وأما عن مقتل طلحة -رضى الله عنه- فقد كان عند بدء القتال كما صرح بذلك الأحنف بن قيس[4].

ويخرج الزبير من ميدان المعركة، ويموت طلحة، رضى الله عنهما، وبسقوط القتلى والجرحى من الجانبين تكون قد انتهت الجولة الأولى من معركة الجمل، وكانت الغلبة فيها لجيش على، وكان على رضى الله عنه يراقب سير المعركة ويرى القتلى والجرحى فى الجانبين، فيتألم ويحزن، وأقبل علىٌّ على ابنه الحسن، وضمّه إلى صدره، وصار يبكى ويقول له: يا بُنى، ليت أباك مات قبل هذا اليوم بعشرين عامًا. فقال الحسن: يا أبت، لقد كنت نهيتك عن هذا، فقال على: ما كنت أظن أن الأمر سيصل إلى هذا الحد، وما طعمُ الحياة بعد هذا؟ وأىُّ خير يُرجى بعد هذا؟[5].

٣- **الجولة الثانية:** وصل الخبر إلى أم المؤمنين بما حدث من القتال، فخرجت على جملها تحيط بها القبائل الأزدية، ومعها كعب الذى دفعت إليه مصحفًا يدعو الناس إلى وقف الحرب، تقدمت أم المؤمنين وكلها أمل أن يسمع الناس كلامها لمكانتها فى قلوب الناس؛ فتحجز بينهم وتطفئ هذه الفتنة التى بدأت تشتعل[6]، وحمل كعب بن سور المصحف، وتقدم أمام جيش البصرة، ونادى جيش على قائلاً: يا قوم، أنا كعب بن سور، قاضى البصرة، أدعوكم إلى كتاب الله، والعمل بما فيه، والصلح على أساسه. وخشى السبئيون

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٣)

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٥٤٠).

(٣) المستدرك (٣/ ٣٦٦)، استشهاد عثمان: ص(٢٠٠).

(٤) تاريخ خليفة ص١٨٥، استشهاد عثمان: ص(٢٠٢).

(٥) البداية والنهاية (٧/ ٥٢١).

(٦) مصنف عبد الرزاق (٥/ ٤٥٦)، بسند صحيح إلى الزهرى.

فى مقدمة جيش على أن تنجح محاولة كعب فرشقوه بنبالهم رشقة رجل واحد، فلقى وجه الله، ومات والمصحف فى يده[1]، وأصابت سهام السبئيين ونبالهم جمل عائشة وهودجها، فصارت تنادى، وتقول: يا بنى، الله، الله، اذكروا الله ويوم الحساب، وكفوا عن القتال. والسبئيون لا يستجيبون لها، وهم مستمرون فى ضرب جيش البصرة، وكان على من الخلف يأمر بالكف عن القتال، وعدم الهجوم على البصريين، لكن السبئيين فى مقدمة جيشه لا يستجيبون له، ويأبون إلا إقدامًا وهجومًا وقتالاً، ولما رأت عائشة عدم استجابتهم لدعوتها، ومقتل كعب بن سور أمامها، قالت: أيها الناس، العنوا قتلة عثمان وأشياعهم. وصارت عائشة تدعو على قتلة عثمان وتلعنهم، وضج أهل البصرة بالدعاء على قتلة عثمان وأشياعهم، ولعنهم، وسمع علىٌّ الدعاء عاليًا فى جيش البصرة فقال: ما هذا؟ قالوا: عائشة تدعو على قتلة عثمان، والناس يدعون معها. قال على: ادعوا معى على قتلة عثمان وأشياعهم والعنوهم. وضجّ جيش على بلعن قتلة عثمان والدعاء عليهم[2]، وقال على: اللهم العن قتلة عثمان فى السهل والجبل[3]. اشتدت الحرب واشتعلت وتشابك القوم وتشاجروا بالرماح، وبعد تقصف الرماح، استلوا السيوف فتضاربوا بها حتى تقصفت[4]، ودنا الناس بعضهم من بعض[5]، ووجّه السبئيون جهودهم لعقر الجمل وقتل عائشة أم المؤمنين، فسارع جيش البصرة لحماية عائشة وجملها، وقاتلوا أمام الجمل، وكان لا يأخذ أحد بخطام الجمل إلا قُتل، حيث كانت المعركة أمام الجمل فى غاية الشدة والقوة والعنف والسخونة، حتى أصبح الهودج كأنه قنفذ مما رمى فيه من النبل[6]، وقتل حول الجمل كثير من المسلمين من الأزد وبنى ضبة وأبناء وفتيان قريش بعد أن أظهروا شجاعة منقطعة النظير[7]، وقد أصيبت عائشة بحيرة شديدة وحرج فهى لا تريد القتال ولكنه وقع رغمًا عنها، وأصبحت فى وسط المعمعة، وصارت تنادى بالكف، فلا مجيب، وكان كل من أخذ بخطام الجمل قتل، فجاء محمد بن طلحة (السجاد) وأخذ بخطامه وقال لأمه أم المؤمنين: يا أماه ما تأمرين؟ فقالت: كن كخيرى ابنى آدم -أى كف يدك- فأغمد سيفه بعد أن سله فقُتل رحمه الله[8]، كما قتل عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، الذى حاول أن يقتل

---

(١)، (٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٣).

(٣) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٢٦٨) بسند صحيح، سنن سعيد بن منصور (٢/ ٢٣٦) بسند صحيح.

(٤) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٢٥٨) رجاله رجال الصحيح. (٥) الطبقات (٥/ ٢) بسند حسن.

(٦) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٣)، تاريخ خليفة: ص(١٩٠) بسند حسن.

(٧) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٤).

(٨) نسب قريش: ص(٢٨١)، التاريخ الصغير للبخارى (١/ ١١٠) بسند صحيح.

الأشتر حتى لو قتل معه؛ وذلك أنه صارعه فسقطا على الأرض جميعًا، فقال ابن عتاب لمن حوله: اقتلونى[1] ومالكًا، لحنقه عليه لما كان له من دور بارز فى تحريض الناس على عثمان، رضى الله عنه، ولكن الأشتر لم يكن معروفًا بمالك، ولم يك قد حان أجله ولو قال الأشتر لابتدرته سيوف كثيرة[2]، وأما عبد الله بن الزبير، فقد قاتل قتالاً منقطع النظير، ورمى بنفسه بين السيوف، فقد استخرج من بين القتلى وبه بضع وأربعون ضربة وطعنة، كان أشدها وآخرها ضربة الأشتر؛ إذ من حنقه على ابن الزبير لم يرض أن يضربه وهو جالس على فرسه بل وقف فى الركابين فضربه على رأسه ظانًا أنه قتله[3]، واستحر القتل أيضًا فى بنى عدى وبنى ضبة والأزد، وقد أبدى بنو ضبة حماسة وشجاعة وفداء لأم المؤمنين، وقد عبر أحد رؤسائهم وهو عمر بن يثربى الضبى برجزه.

نحن بنى ضبة أصحاب الجمل ننازل الموت إذا الموت نزل

الموت عندنا أحلى من العسل ننعى ابن عفان بأطراف الأسل[4]

أدرك أمير المؤمنين على -رضى الله عنه- بما أوتى من حنكة وقوة ومهارة عسكرية فذة - أن فى بقاء الجمل استمرارًا للحرب، وهلاكًا للناس، وأن أصحاب الجمل لن ينهزموا أو يكفوا عن الحرب ما بقيت أم المؤمنين فى الميدان، كما أن فى بقائها خطرًا على حياتها؛ فالهودج الذى هى فيه أصبح كالقنفذ من السهام[5]، فأمر على نفرًا من جنده منهم محمد ابن أبى بكر «أخو أم المؤمنين» وعبد الله بن بديل أن يعرقبا الجمل ويخرجا عائشة من هودجها إلى الساحة-، أى يضربا قوائم الجمل بالسيف -فعقروا الجمل[6]، واحتمل أخوها محمد وعبد الله بن بديل الهودج حتى وضعاه أمام على، فأمر به على، فأدخل فى منزل عبد الله بن بديل[7]، وصدق حدس على -رضى الله عنه- العسكرى، فما إن زال السبب أو الدافع الذى دفع البصريين إلى الإقبال على الموت بشغف، وأخرجت أم المؤمنين من الميدان، حتى ولوا الأدبار منهزمين. ولو لم يتخذ هذا الإجراء لاستمرت الحرب إلى أن

(١) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/٢٢٨)، مرويات أبى مخنف ص٢٦٨ إسناده صحيح.
(٢) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد: ص(١٥٩).
(٣) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/٢٢٨) بسند صححه ابن حجر فى الفتح (١٣/٥٧، ٥٨).
(٤) تاريخ خليفة: ص(١٩٠) بسند حسن، خلافة على، عبد الحميد: ص(١٥٩).
(٥) أنساب الأشراف للبلاذرى (٢/٤٣) بسند متصل.
(٦) أعلام الحديث للخطابى (٣/ ١٦١١).
(٧) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/٢٨٦، ٢٨٧) بسند جيد، الفتح (١٣/٥٧).

يفنى جيش البصرة أصحاب الجمل، أو ينهزم جيش على، وعندما بدأت الهزيمة نادى على أو مناديه فى جيشه أن لا يتبعوا مدبرًا ولا يجهزوا على جريح، ولا يغنموا إلا ما حمل إلى الميدان أو المعسكر من عتاد أو سلاح فقط، وليس لهم ما وراء ذلك من شىء، ونهاهم أن يدخلوا الدور، ليس هذا فحسب، بل قال لمن حاربه من أهل البصرة: من وجد له شيئًا من متاع عند أحد من أصحابه، فله أن يسترده، فجاء رجل إلى جماعة من جيش على وهم يطبخون لحمًا فى قدر له فأخذ منهم القدر وكفأ ما فيها حنقًا عليهم(١).

٤- **عدد القتلى:** أسفرت هذه الحرب الضروس عن عدد من القتلى اختلفت فى تقديره الروايات، وذكر المسعودى أن هذا الاختلاف فى تقدير عدد القتلى مرجعه إلى أهواء الرواة(٢).

فيذكر قتادة أن قتلى يوم الجمل عشرون ألفًا(٣)، ويظهر أن فيها مبالغة كبيرة، لأن عدد الجيشين حول هذا العدد أو أقل، أما أبو مخنف الرافضى الشيعى، فقد بالغ كثيرًا -بحكم ميوله- وقد أساء من حيث يظن أنه أحسن؛ إذ ذكر أن العشرين ألفًا هم من أهل البصرة(٤)، وأما سيف فيذكر أنهم عشرة آلاف نصفهم من أصحاب على رضى الله عنه ونصفهم من أصحاب عائشة، رضى الله عنها، وفى رواية أخرى قال: وقيل خمسة عشر ألفًا، خمسة آلاف من أهل الكوفة، وعشرة آلاف من أهل البصرة، نصفهم قتل فى المعركة الأولى ونصفهم فى الجولة الثانية(٥)، والروايتان ضعيفتان للانقطاع وغيره، وفيهما مبالغة أيضًا، ويذكر عمر بن شبة بسنده أن القتلى يزيدون على ستة آلاف، إلا أن الرواية ضعيفة سندًا(٦)، أما اليعقوبى، فقد جاوز هؤلاء جميعًا؛ إذ وضع عدد القتلى اثنين وثلاثين ألفًا(٧)، وهذه الأرقام مبالغ فيها جدًا، وكان من أسباب المبالغة:

أ- رغبة أعداء الصحابة من السبئية وأتباعهم، فى توسيع دائرة الخلاف بين أبناء الأمة التى يجمعها حب الصحابة والاقتداء بهم بعد رسول الله ﷺ.

---

(١) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٢٨٦، ٢٨٧) بسند جيد، الفتح (١٣/ ٥٧).
(٢) مروج الذهب (٢/ ٣٦٧).
(٣) المصدر نفسه (٢/ ٣٦٧).
(٤) تاريخ خليفة بن خياط (١٨٦) بسند مرسل.
(٥) تاريخ الطبرى (٥/ ٥٤٢-٥٥٥).
(٦) تاريخ خليفة بن خياط (١٨٦) إسناده منقطع وهو حسن إلى قتادة.
(٧) مصنف ابن أبى شيبة (٧/ ٥٤٦)، فتح البارى (١٣/ ٦٢).

ب- إسهام بعض الشعراء والجهلة من أبناء القبائل، فى تضخيم ما جرى وتكبيره، ليتناسب مع ما يصنعونه من أشعار ينسبونها إلى بعض زعمائهم وفرسانهم، فضلاً عن وجود قصاص السمر، ورواة الأخبار الذين يجلبون اهتمام الناس بهم، من خلال الأحداث المثيرة التى يتحدثون عنها.

جـ- إيجاد الثقة فى نفوس أتباع الغوغاء والسبئية لإثبات نجاح خططهم وتدابيرهم(1).

أما عن العدد الحقيقى لقتلى معركة الجمل فقد كان ضئيلاً جدًا للأسباب التالية:

* قصر مدة القتال، حيث أخرج ابن أبى شيبة بإسناد صحيح(2)، أن القتال نشب بعد الظهر فما غربت الشمس وحول الجمل أحد ممن كان يذب عنه.

* الطبيعة الدفاعية للقتال حيث كان كل فريق يدافع عن نفسه ليس إلا.

* تحرج كل فريق من القتال لما يعلمون من عظم حرمة دم المسلم.

* قياسًا بعدد شهداء المسلمين فى معركة اليرموك «ثلاثة آلاف شهيد»، ومعركة القادسية «ثمانية آلاف وخمسمائة شهيد»، وهى التى استمرت عدة أيام، فإن العدد الحقيقى لقتلى معركة الجمل يعد ضئيلاً جدًا، هذا مع الأخذ بالاعتبار شراسة تلك المعارك وحدّتها لكونها من المعارك الفاصلة فى تاريخ الأمم.

* أورد خليفة بن خياط بيانًا بأسماء من حفظ من قتلى يوم الجمل فكانوا قريبًا من المائة(3)، فلو فرضنا أن عددهم كان مائتين وليس مائة، فإن هذا يعنى أن قتلى معركة الجمل لا يتجاوز المائتين. وهذا هو الرقم الذى ترجّح لدى الدكتور خالد بن محمد الغيث فى رسالته «استشهاد عثمان ووقعة الجمل فى مرويات سيف بن عمر فى تاريخ الطبرى - دراسة نقدية»(4).

5- هل يصح قتل مروان بن الحكم لطلحة بن عبيد الله؟ أشار كثير من الروايات إلى أن قاتل طلحة بن عبيد الله، رضى الله عنه، هو مروان بن الحكم(5)، ولكن بعد دراسة تلك الروايات اتضح براءة مروان بن الحكم من تلك التهمة وذلك للأسباب التالية:

(1) الإنصاف: ص(455).

(2) مصنف ابن أبى شيبة (7/546)، فتح البارى (13/62).

(3) تاريخ خليفة: ص(187، 190).

(4) استشهاد عثمان ووقعة الجمل: ص(215).

(5) الطبقات (3/223)، تاريخ المدينة (4/ 1170)، تاريخ خليفة: ص(185).

أ- **قال ابن كثير**: ويقال إن الذى رماه بهذا السهم مروان بن الحكم، وقد قيل: إن الذى رماه بهذا السهم غيره، وهذا عندى أقرب وإن كان الأول مشهورًا، والله أعلم[(١)].

ب- **قال ابن العربى**: قالوا إن مروان قتل طلحة بن عبيد الله، ومن يعلم هذا إلا علام الغيوب، ولم ينقله ثبت[(٢)].

جـ- **قال محب الدين الخطيب**: وهذا الخبر عن طلحة ومروان لقيط لا يُعرف أبوه ولا صاحبه[(٣)].

د- بطلان السبب الذى قيل إن مروان قتل طلحة، رضى الله عنه، من أجله، وهو اتهام مروان لطلحة بأنه أعان على قتل عثمان، رضى الله عنه، وهذا السبب المزعوم غير صحيح حيث إنه لم يثبت من طريق صحيح أن أحدًا من الصحابة قد أعان على قتل عثمان رضى الله عنه.

هـ- كون مروان وطلحة، رضى الله عنهما، من صف واحد يوم الجمل وهو صف المنادين بالإصلاح بين الناس[(٤)].

و- أن معاوية، رضى الله عنه، قد ولى مروان على المدينة ومكة، فلو صح ما بدر من مروان لما ولاه معاوية، رضى الله عنه، على رقاب المسلمين، وفى أقدس البقاع عند الله.

ز- وجود رواية لمروان بن الحكم فى صحيح البخارى[(٥)] -مع ما عرف عن البخارى رحمه الله من الدقة وشدة التحرى فى أمر من تقبل روايته -فلو صح قيام مروان بقتل طلحة، رضى الله عنه، لكان هذا سببًا كافيًا لرد روايته والقدح فى عدالته[(٦)].

٦- **نداء أمير المؤمنين بعد الحرب**: ما إن بدأت الحرب تضع أوزارها، حتى نادى منادى على: أن لا يجهزوا على جريح، ولا يتبعوا مدبرًا، ولا يدخلوا دارًا، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، وليس لجيشه من غنيمة إلا ما حمل إلى ميدان المعركة من سلاح وكراع، وليس لهم ما وراء ذلك من شيء، ونادى منادى أمير المؤمنين فيمن حاربه من أهل البصرة من وجد شيئًا من متاعه عند أحد من جنده، فله أن يأخذه[(٧)]، وقد

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٤٨).
(٢)، (٣) العواصم من القواصم: ص(١٥٧-١٦٠).
(٤) استشهاد عثمان ووقعة الجمل: ص(٢٠٢).
(٥) فتح البارى (٢/ ٥٢٠)، استشهاد عثمان: ص(٢٠٣).
(٦) استشهاد عثمان ووقعة الجمل: ص(٢٠٢).
(٧) خلافة على بن أبى طالب: ص(١٦٨) عبد الحميد، مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٢٨٦) بسند صحيح.

ظن بعض الناس فى جيش على أن عليًا سيقسم بينهم السبى، فتكلموا به ونشروه بين الناس، ولكن سرعان ما فاجأهم على رضى الله عنه، حين أعلن فى ندائه: وليس لكم أم ولد، والمواريث على فرائض الله، وأى امرأة قُتل زوجها فلتعتد أربعة أشهر وعشرًا، فقالوا مستنكرين متأولين: يا أمير المؤمنين تحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا نساؤهم؟ فقال على: كذلك السيرة فى أهل القبلة، ثم قال: فهاتوا سهامكم وأقرعوها على عائشة فهى رأس الأمر وقائدهم، فتفرقوا وقالوا: نستغفر الله، وتبين لهم أن قولهم وظنهم خطأ فاحش، ولكن ليرضيهم قسم عليهم رضى الله عنه من بيت المال خمسمائة خمسمائة[(1)].

٧- **تفقده للقتلى وترحمه عليهم:** بعد انتهاء المعركة خرج على يتفقد القتلى مع نفر من أصحابه، فأبصر محمد بن طلحة (السجاد) فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أما والله لقد كان شابًا صالحًا، ثم قعد كئيبًا حزينًا.. ودعا للقتلى بالمغفرة، وترحم عليهم وأثنى على عدد منهم بالخير والصلاح[(2)]، وعاد إلى منزله فإذا امرأته وابنتاه يبكين على عثمان وقرابته والزبير وطلحة وغيرهم من أقاربهم القرشيين. فقال لهن: إنى لأرجو أن نكون من الذين قال الله فيهم: ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ**﴾ [الحجر: ٤٧]. ثم قال: ومن هم إن لم نكن؟! ومن هم إن لم نكن؟! فما زال يردد ذلك حتى وددت أنه سكت[(3)].

٨- **مبايعة أهل البصرة:** كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه حريصًا على وحدة الصف، واحترام رعايا الدولة، ومعاملتهم المعاملة الكريمة، وكان لهذه المعاملة أثر بالغ فى مبايعة أهل البصرة لأمير المؤمنين على، وكان أمير المؤمنين قد وضع الأسرى فى مساء يوم الجمل فى موضع خاص، فلما صلى الغداة طلب موسى بن طلحة بن عبيد الله، فقربه ورحب به وأجلسه بجواره وسأله عن أحواله وأحوال إخوته، ثم قال له: إنا لم نقبض أرضكم هذه ونحن نريد أن نأخذها، إنما أخذناها مخافة أن ينتهبها الناس، ودفع له غلتها وقال: يا ابن أخى وأتنا فى الحاجة إذا كانت لك، وكذلك فعل مع أخيه عمران بن طلحة فبايعاه، فلما رأى الأسارى ذلك دخلوا على علىٍّ رضى الله عنه يبايعونه، فبايعهم وبايع الآخرين على

(١) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/٢٨٦) بسند صححه ابن حجر (١٣/٥٧).

(٢) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/٢٦١)، المستدرك (٣/١٠٣، ١٠٤، ٣٧٥) والإسناد حسن لغيره، خلافة على بن أبى طالب، ص(١٦٩).

(٣) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/٢٦٨-٢٦٩) خلافة على،ص: (١٦٩) عبد الحميد.

راياتهم قبيلة قبيلة[1]، كما سأل عن مروان بن الحكم وقال: يعطفني عليه رحم ماسة، وهو مع ذلك سيد من شباب قريش، وقد أرسل مروان إلى الحسن والحسين وابن عباس رضي الله عنهم ليكلموا عليًا فقال علي: هو آمن فليتوجه حيث شاء، ولكن مروان إزاء هذا الكرم والنبل، لم تطاوعه نفسه أن يذهب حتى بايعه[2]، كما أن مروان -رضي الله عنه- أثنى على فعال أمير المؤمنين علي فقال لابنه الحسن: ما رأيت أكرم غلبة من أبيك، ما كان إلا أن ولّينا يوم الجمل حتى نادى مناديه: ألا لا يتبع مدبر، ولا يذفف على جريح[3].

وبذلك تمت بيعة أهل البصرة لأمير المؤمنين علي، وولى عليهم ابن عمه عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، وولى علي خراجها زياد بن أبيه، وأراد علي رضي الله عنه أن يمكث فيها مدة أطول، لولا أن مالكًا (الأشتر) أعجله من ذلك؛ وذلك أن الأشتر كان يطمع في أن يلي ولاية، فلما علم بأن ابن عباس ولي إمارة البصرة غضب وسار في قومه، فخشي علي رضي الله عنه منه شرًا وفتنة، فاستعجل ببقية جيشه، وأدركه، وعاتبه على سيره وأظهر أنه لم يسمع عنه شيئًا[4].

٩- حديث أبي بكرة عن رسول الله ﷺ: «إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»[5]. قال القرطبي: قال علماؤنا: ليس هذا الحديث حديث أبي بكرة -في أصحاب النبي ﷺ- بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[الحجرات: ٩، ١٠]. فأمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية، ولو أمسك المسلمون عن قتال أهل البغي لتعطلت فريضة من فرائض الله. وهذا يدل على أن قوله: **«القاتل والمقتول في النار»** ليس في أصحاب النبي ﷺ لأنهم إنما قاتلوا على التأويل. قال الطبري: لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين الفريقين من المسلمين الهرب منه ولزوم المنازل وكسر السيوف، لما أقيم حد ولا أبطل باطل، ولوجد أهل النفاق والفجور سبيلاً إلى

(١) الطبقات (٣/ ٢٢٤) بسند حسن، المستدرك (٣/ ٣٧٦، ٣٧٧).

(٢) سنن سعيد بن منصور (٢/ ٣٣٧) بسند حسن.

(٣) كتاب أهل البغي من الحاوي الكبير للماوردي: ص(١١١)، فتح الباري (١٣/ ٦٢).

(٤) فتح الباري (١٣/ ٥٧)، خلافة علي، عبد الحميد: ص(١٧٤).

(٥) مسلم، ك الفتن (٤/ ٢٣٣).

استحلال كل ما حرم الله عليهم من أموال المسلمين، وسبى نسائهم، وسفك دمائهم، بأن يتحزبوا عليهم، ويكف المسلمون أيديهم عنهم بأن يقولوا: هذه فتنة قد نهينا عن القتال فيها، وأمرنا بكف الأيدى والهرب منها[1]. وقال النووى: وأما كون القاتل والمقتول فمحمولة على من لا تأويل له ويكون قتالهما عصبية ونحوها، ثم كونه فى النار معناه مستحق لها وقد يجازى بذلك، وقد يعفو الله تعالى عنه، هذا مذهب أهل الحق.. وعلى هذا يتأول كل ما جاء من نظائره. واعلم أن الدماء التى جرت بين الصحابة، رضى الله عنهم، ليست بداخلة فى هذا الوعيد، ومذهب أهل السنة والحق إحسان الظن بهم والإمساك عما شجر بينهم، وتأويل قتالهم وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا، بل اعتقد كل فريق أنه المحق ومخالفه باغ، فوجب عليه قتاله ليرجع إلى أمر الله، وكان بعضهم مصيبًا وبعضهم مخطئًا معذورًا فى الخطأ فى الاجتهاد، والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه، وكان على رضى الله عنه هو المحق المصيب فى تلك الحروب، هذا هو مذهب أهل السنة، وكانت القضايا مشتبهة حتى إن جماعة من الصحابة تحيروا فاعتزلوا الطائفتين ولم يقاتلوا ولم يتيقنوا الصواب ثم تأخروا عن مساعدتهم[2].

١٠- تاريخ معركة الجمل: اختلف المؤرخون فى تاريخ وقعة الجمل إلى أقوال كثيرة منها:

أ- أخرج خليفة بن خياط من طريق قتادة أن الفريقين التقيا يوم الخميس فى النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، وكانت الوقعة يوم الجمعة[3].

ب- أخرج عمر بن شبَّة أن الوقعة كانت فى النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين[4].

جـ- أخرج الطبرى من طريق الواقدى أن الواقعة كانت يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين[5].

د- ذكر المسعودى أن الوقعة كانت يوم الخميس فى العاشر من جمادى الأولى[6]، غير أن أرجح الأقول هو ما أخرجه خليفة بن خياط من طريق قتادة حيث إن إسناد روايته يعد أصح ما فى الباب.

---

(١) التذكرة (٢/ ٢٣٢، ٢٣٣).
(٢) شرح صحيح مسلم (٨/ ٢٢٧، ٢٢٨).
(٣) تاريخ خليفة بن خياط: ص(١٨٤، ١٨٥).
(٤) فتح البارى (١٣/ ٦١).
(٥) استشهاد عثمان: ص(٢٠٦) نقلاً عن تاريخ الطبرى.
(٦) مروج الذهب (٢/ ٣٦٠).

١١- أفلا نكف عنهن وهن مسلمات؟: جاء أمير المؤمنين إلى الدار التى فيها أم المؤمنين عائشة، فاستأذن وسلم عليها ورحبت به، وإذا النساء فى دار بنى خلف يبكين على من قُتل، منهم عبد الله وعثمان ابنا خلف، فعبد الله قتل مع عائشة، وعثمان قتل مع على، فلما دخل على قالت له صفية امرأة عبد الله، أم طلحة الطلحات: أيتم الله منك أولادك كما أيتمت أولادى. فلم يرد عليها على شيئًا، فلما خرج أعادت عليه المقالة أيضًا فسكت، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين أتسكت عن هذه المرأة وهى تقول ما تسمع؟ فقال: ويحك إنا أمرنا أن نكف عن النساء وهن مشركات، أفلا نكف عنهن وهن مسلمات؟![1]

١٢- اعتذار أبى بكرة الثقفى عن إمارة البصرة: جاء عبد الرحمن بن أبى بكرة الثقفى إلى أمير المؤمنين فبايعه فقال له على: أين المريض؟ -يعنى أباه- فقال: إنه والله مريض يا أمير المؤمنين، وإنه على مسرتك لحريص. فقال: امش أمامى، فمضى إليه فعاده، واعتذر إليه أبو بكرة فعذره، وعرض عليه البصرة فامتنع وقال: رجل من أهلك يسكن إليه الناس، وأشار عليه بابن عباس فولاه على البصرة، وجعل معه زياد بن أبيه على الخراج وبيت المال، وأمر ابن عباس أن يسمع من زياد[2].

١٣- موقف أمير المؤمنين على ممن ينال من عائشة: قال رجل: يا أمير المؤمنين، إن على الباب رجلين ينالان من عائشة، فأمر علىٌّ القعقاع بن عمرو أن يجلد كل واحد منهما مائة، وأن يخرجهما من ثيابهما[3]، وقد قام القعقاع بذلك.

١٤- دفاع عمار بن ياسر عن أم المؤمنين عائشة: عن محمد بن عريب قال: قام رجل فذكر عائشة عند على، فجاء عمار فقال: من هذا الذى يتناول زوجة نبينا؟ اسكت مقبوحًا منبوذًا مذمومًا مدحورًا[4]. وجاء فى رواية: اغرب مقبوحًا، أتؤذى حبيبة رسول الله ﷺ؟![5] وجاء فى رواية: ذكرت عائشة عند على رضى الله عنهما فقال: حليلة رسول الله ﷺ[6].

سابعًا: بين عائشة أم المؤمنين وأمير المؤمنين على بن أبى طالب:

عائشة أم المؤمنين هى الصديقة بنت الصديق أبى بكر عبد الله بن عثمان، وأمها أم رومان بنت عويمر الكنانية، ولدت بعد المبعث بأربع سنوات أو خمس، تزوجها النبى ﷺ

(١)، (٢) البداية والنهاية (٧/ ٣٥٧). (٣) المصدر نفسه (٧/ ٢٥٨).

(٤) فضائل الصحابة (٢/ ١١٠) إسناده ضعيف، ضعيف سنن الترمذى رقم (٨١٥) للألبانى.

(٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٧٩) حديث حسن قاله الذهبى.

(٦) المصدر نفسه (٢/ ١٧٦) حديث حسن.

وهي بنت ست ودخل بها وهي بنت تسع سنين، وكان دخوله بها في شوال في السنة الأولى، وقيل في السنة الثانية من الهجرة، وهي المبرأة من فوق سبع سماوات، وكانت أحب أزواج النبي ﷺ إليه، ولم يتزوج بكرًا غيرها، وكانت أفقه نساء الأمة على الإطلاق، فكان الأكابر من الصحابة، رضي الله عنهم أجمعين، إذا أشكل عليهم الأمر في الدين استفتوها، وقد توفي عنها النبي ﷺ وهي في الثامنة عشرة من عمرها، وكانت وفاتها رضي الله عنها في سنة ثمان وخمسين ليلة السابع عشر من رمضان، وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه، ودفنت في البقيع رضي الله عنها وأرضاها[1]، ومناقبها، رضي الله عنها، كثيرة مشهورة فقد وردت أحاديث صحيحة بخصائص انفردت بها عن سواها من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وأرضاهن منها:

١- **مجيء الملك بصورتها إلى النبي ﷺ في سرقة[2] من حرير قبل زواجها به ﷺ:** فقد روى الشيخان من حديث عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: **أريتك في المنام ثلاث ليال جاءني بك الملك في سرقة من حرير فيقول: هذه امرأتك فاكشف عن وجهك، فإذا أنت هي فأقول: إن يك هذا من الله يمضه**[3].

٢- **أحب أزواج النبي ﷺ:** وقد صرح بمحبتها لما سئل ﷺ عن أحب الناس إليه، فقد روى البخاري بإسناده إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل[4]، قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: **عائشة**، قلت: فمن الرجال؟ قال: **أبوها**[5]. قال الحافظ الذهبي: وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض، وما كان عليه الصلاة والسلام ليحب إلا طيبًا، وقد قال: **«لو كنت متخذًا خليلاً من هذه الأمة لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام أفضل»** فأحب أفضل رجل في أمته، وأفضل امرأة في أمته، فمن أبغض حبيبي رسول الله ﷺ فهو حري أن يكون بغيضًا إلى الله ورسوله، وحبه عليه الصلاة والسلام لعائشة كان أمرًا مستفيضًا[6].

٣- **نزول الوحي على النبي ﷺ وهو في لحافها دون غيرها من نسائه عليه الصلاة والسلام:** فقد روى البخاري بإسناده إلى هشام بن عروة عن أبيه قال: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٣٥-٢٠١) طبقات ابن سعد (٨/ ٥٨)، البداية والنهاية (٨/ ٩٥).

(٢) أي في قطعة من جيد الحرير، انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ٣٦٢). (٣) مسلم رقم (٢٤٣٨).

(٤) مأخوذ من السلسل وهو العذب الصافي من الماء، النهاية لابن الأثير (٢/ ٣٨٩).

(٥) البخاري رقم (٤٣٥٨). (٦) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٤٣).

عائشة، قالت عائشة: فاجتمع صواحبى إلى أم سلمة فقلن: يا أم سلمة والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة، فمرى رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث كان أو حيث ما دار، قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبى ﷺ قالت: فأعرض عنى، فلما عاد إليَّ ذكرت له ذلك فأعرض عني، فلما كان فى الثالثة ذكرت له فقال: «**يا أم سلمة لا تؤذينى فى عائشة فإنه والله ما نزل عليَّ الوحى فى لحاف امرأة منكن غيرها**»(١). وقال الذهبى: وهذا الجواب منه دال على أن فضل عائشة على سائر أمهات المؤمنين بأمر إلهى وراء حبه لها، وأن ذلك الأمر من أسباب حبه لها(٢).

٤- **أن جبريل عليه السلام أرسل إليها سلامه مع النبى ﷺ**: فقد روى البخارى بإسناده إلى عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ يومًا: «**يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام**»، فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى -تريد رسول الله ﷺ-(٣).

٥- **بدأ النبى ﷺ بتخييرها عند نزول آية التخيير**، وقرن ذلك بإرشادها إلى استشارة أبويها فى ذلك الشأن لعلمه أن أبويها لا يأمرانها بفراقه، فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة؛ فاستن بها بقية أزواجه ﷺ، فقد روى الشيخان بإسنادهما إلى عائشة، رضى الله عنها، قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بى فقال: **إنى ذاكر لك أمرًا فلا عليك أن لا تعجلى حتى تستأمرى أبويك**. قالت: وقد علم أن أبوى لم يكونا يأمرانى بفراقه قالت: ثم قال: **إن الله -جل ثناؤه- قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾** [الأحزاب: ٢٨، ٢٩] قالت: فقلت: ففى هذا أستأمر أبوى؟ فإنى أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج رسول الله ﷺ مثل ما فعلت(٤).

٦- **نزول آيات من كتاب الله بسببها، فمنها ما هو فى شأنها خاصة ومنها ما هو للأمة عامة:**

فأما الآيات الخاصة بها والتى تدل على عظم شأنها ورفعة مكانتها شهادة البارى جل وعلا لها بالبراءة مما رميت به من الإفك والبهتان، وهو قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** [النور: ١١] إلى قوله تعالى: **﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ**

(١) البخارى رقم ٣٧٧٥، ك فضائل الصحابة.

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٤٣).

(٣) البخارى، ك فضائل الصحابة رقم ٣٧٦٨.

(٤) البخارى، ك التفسير رقم (٤٧٨٩).

لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور:٢٦]. قال ابن القيم: ومن خصائصها أن الله سبحانه وتعالى برأها عما رماها به أهل الإفك، وأنزل فى عذرها وبراءتها وحيًا يتلى فى محاريب المسلمين وصلواتهم إلى يوم القيامة، وشهد لها بأنها من الطيبات، ووعدها المغفرة والرزق الكريم. وأخبر سبحانه وتعالى أن ما قيل فيها من الإفك كان خيراً لها، ولم يكن ذلك الذى قيل فيها شراً لها ولا خافضًا من شأنها، بل رفعها الله بذلك وأعلى قدرها وأعظم شأنها، وصار لها ذكراً بالطيب والبراءة بين أهل الأرض والسماء، فيا لها من منقبة ما أجلها! وتأمل هذا التشريف والإكرام الناشىء عن فرط تواضوعها واستصغار لنفسها حيث قالت: لشأنى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله فىّ بوحى يُتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ رؤيا يبرئنى الله بها(١). فهذه صديقة الأمة وأم المؤمنين وحب رسول الله ﷺ، وهى تعلم أنها بريئة منه مظلومة، وأن قاذفيها ظالمون مفترون عليها، وقد بلغ أذاهم إلى أبويها وإلى رسول الله ﷺ(٢). قال ابن كثير: ولما تكلم فيها أهل الإفك بالزور والبهتان غار الله فأنزل براءتها فى عشر آيات من القران تُتلى على الزمان.. وقد أجمع العلماء على تكفير من قذفها بعد براءتها(٣). وأما ما نزل بسببها من الآيات وهى للأمة عامة فآية التيمم وكانت رحمة وتسهيلاً لسائر الأمة، فقد روى البخارى بإسناده إلى عائشة، رضى الله عنها، أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت، فأرسل رسول الله ﷺ ناسًا من أصحابه فى طلبها فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء، فلما أتوا النبى ﷺ شكوا ذلك إليه، فنزلت آية التيمم فقال أسيد بن حضير: جزاك الله خيراً، فوالله ما نزل بك أمر تكرهينه إلا جعل الله لك وللمسلمين فيه خيراً(٤).

٧- كان رسول الله ﷺ يحرص على أن يمرض فى بيتها: فقد كانت وفاته ﷺ بين سحرها ونحرها وفى يومها، وجمع الله بين ريقه وريقها فى آخر ساعة من ساعاته فى الدنيا، وأول ساعة من الآخرة، ودفن فى بيتها(٥)، فقد روى البخارى بإسناده إلى عائشة، رضى الله عنها، أن رسول الله ﷺ لما كان فى مرضه جعل يدور فى نسائه ويقول: أين أنا غدًا؟ حرصًا على بيت عائشة، قالت: فلما كان يومى سكن(٦)، وعند مسلم عنها أيضًا قالت: إن كان رسول الله ﷺ ليتفقد يقول: «أين أنا اليوم، أين أنا غدًا؟» استبطاء ليوم عائشة، قالت: فلما

(١) البخارى رقم (٤١٤١).
(٢) جلاء الأفهام: ص(١٢٤، ١٢٥).
(٣) البداية والنهاية (٨/ ٩٥)، تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٦٨).
(٤) البخارى، رقم (٣٣٦).
(٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٨٩)، البداية والنهاية (٨/ ٩٥).
(٦) البخارى، ك فضائل الصحابة رقم (٣٧٧٤).

كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري(١)، وروى البخاري أيضًا بإسناده عنها: أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول: «أين أنا غدًا، أين أنا غدًا؟» يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه بأن يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها. قالت عائشة: فمات في اليوم الذي كان يدور عليٌّ فيه في بيتي، فقبضه الله وإن رأسه لبين نحري وسحري، وخالط ريقه ريقي، ثم قالت: دخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه مسواك يستن به، فنظر إليه رسول الله، فقلت له: أعطني هذا السواك يا عبد الرحمن، فأعطانيه فقصمته، ثم مضغته، فأعطيته رسول الله ﷺ فاستن به، وهو مستند إلى صدري. وفي رواية أخرى بزيادة: فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة(٢).

٨- إخباره ﷺ بأنها من أصحاب الجنة: فقد روى الحاكم بإسناده إلى عائشة، رضي الله عنها، قالت: قلت: يا رسول الله، من أزواجك في الجنة؟ قال: أما إنك منهن؟ قالت: فخيل إليّ أن ذاك أنه لم يتزوج بكرًا غيري(٣). وروى البخاري بإسناده إلى القاسم بن محمد أن عائشة اشتكت فجاء ابن عباس فقال: يا أم المؤمنين تقدمين على فرط صدق على رسول الله ﷺ، وعلى أبي بكر(٤). وفي هذا فضيلة عظيمة لعائشة، رضي الله عنها، حيث قطع لها بدخول الجنة إذ لا يقول ذلك إلا بتوقيف(٥).

٩- فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام: ما رواه الشيخان بإسنادهما إلى عبد الله بن عبد الرحمن أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»(٦). قال النووي: قال العلماء: معناه: أن الثريد من كل طعام أفضل من المرق، فثريد اللحم أفضل من مرقه بلا ثريد، وثريد ما لا لحم فيه أفضل من مرقه، والمراد بالفضيلة نفعه والتشبع منه وسهولة مساغه، والالتذاذ به وتيسر تناوله، وتمكن الإنسان من أخذ كفايته منه بسرعة وغير ذلك، فهو أفضل من المرق كله ومن سائر الأطعمة، وفضل عائشة على النساء زائد كزيادة فضل الثريد على غيره من الأطعمة. وليس في هذا تصريح بتفضيلها على مريم وآسية لاحتمال أن المراد تفضيلها على نساء هذه الأمة(٧).

(١) مسلم، ك الصحابة رقم (٢٤٤٣).
(٢) البخاري، رقم (٤٤٥٠، ٤٤٥١).
(٣) المستدرك (٤/ ١٣) صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي
(٤) البخاري، رقم (٣٧٧١).
(٥) فتح الباري، (٧/ ١٠٨)، العقيدة في أهل البيت: ص(٩٥).
(٦) البخاري، رقم ٣٧٧٠.
(٧) شرح صحيح مسلم (١٥/ ٢٠٨، ٢٠٩).

هذه بعض الأحاديث التى أشارت إلى فضل السيدة عائشة ومكانتها وسبقها؛ وعلو شأنها فى الدين، وعظيم مكانتها، ومع هذا فقد تعرضت السيدة عائشة أم المؤمنين للطعن والتجريح والكذب والافتراء من قبل الشيعة الرافضة ومن تأثر برواياتهم المختلقة، وآثارهم الموضوعة، وجاءوا لآثار صحاح، وأحاديث مسندة صحيحة وأوّلوها على غير حقيقتها ومرادها، كما فعل ذلك صاحب كتاب «ثم اهتديت» وهو لم يأت بجديد وإنما سار على منهج أسلافه ممن سبقوه من الشيعة الروافض، وطعن فى أم المؤمنين عائشة بقول عمار: والله إنها لزوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم بها ليعلم إياه تطيعون أم هى(١). وليس فى قول عمار هذا ما يطعن به على عائشة -رضى الله عنها- بل فيه أعظم فضيلة لها، وهى أنها زوجة نبينا ﷺ فى الدنيا والآخرة، فأى فضل أعظم من هذا؟! وأى شرف أسمى من هذا؟! فإن غاية كل مؤمن رضا الله والجنة، وعائشة -رضى الله عنها- قد تحقق لها ذلك بشهادة عمار -رضى الله عنه- الذى كان مُخالفًا لها فى الرأى فى تلك الفتنة، وأنها ستكون فى أعلى الدرجات فى الجنة بصحبة رسول الله ﷺ(٢)، وبهذا قد جاء الحديث الصحيح المرفوع للنبى ﷺ، على ما روى الحاكم فى المستدرك من حديث عائشة -رضى الله عنها- أن النبى ﷺ قال لها: أما ترضين أن تكونى زوجتى فى الدنيا والآخرة؟ قالت: بلى والله، قال: فأنت زوجتى فى الدنيا والآخرة(٣). فيكون هذا الحديث من أعظم فضائل عائشة -رضى الله عنها- ولذا أورد البخارى الأثر السابق عن عمار فى مناقب عائشة رضى الله عنها(٤)، وأما قوله فى الجزء الأخير من الأثر: ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها(٥). فليس بمطعن على أم المؤمنين عائشة -رضى الله عنها- وبيان ذلك من وجوه:

أ- أن قول عمار هذا يمثل رأيه، وعائشة -رضى الله عنها- ترى خلاف ذلك، وأن ما هى عليه هو الحق، وكل منهما صحابى جليل، عظيم القدر فى الدين والعلم، فليس قول أحدهما حجة على الآخر(٦).

ب- أن غاية ما فى قول عمار هو مخالفتها أمر الله فى تلك الحالة الخاصة، وليس كل مخالف مذمومًا حتى تقوم عليه الحجة بالمخالفة ويعلم أنه مخالف، وإلا فهو معذور إن لم يتعمد المخالفة، فقد يكون ناسيًا أو متأولاً فلا يؤخذ بذلك.

(١) البخارى، ك فضائل الصحابة رقم (٣٧٧٢).
(٢) الانتصار للصحب والال ص: (٤٤٨).
(٣) المستدرك (٤/ ١٠)، الصحيح المسند لمصطفى العدوى: ص(٣٥٦).
(٤)، (٥) البخارى رقم (٣٧٧٢).
(٦) الانتصار للصحب والآل: ص(٤٤٨).

جـ- أن عمارًا -رضى الله عنه- ما قصد بذلك ذم عائشة ولا انتقاصها، وإنما أراد أن يبين خطأها فى الاجتهاد نصحًا للأمة، وهو مع هذا يعرف لأم المؤمنين قدرها وفضلها[(١)]، وقد جاء فى بعض روايات هذا الأثر عن عمار أن عمارًا سمع رجلاً يسب عائشة، فقال: اسكت مقبوحًا منبوذًا، والله إنها لزوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم أتطيعوه أو إياها[(٢)]. وأما قول الشيعة الروافض؛ أن النبى ﷺ قام خطيبًا، فأشار نحو مساكن عائشة فقال: ههنا الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان، وطعنهم على عائشة -رضى الله عنها- بذلك وزعمهم أن الرسول ﷺ أراد أن الفتنة تخرج من بيتها. فهذا الكلام فيه تضليل وقلب للحقائق، وتدليس على من لا علم عنده من العامة، وذلك بتفسيره قول الراوى: فأشار (نحو مسكن عائشة) على أن الإشارة كانت لبيت عائشة وأنها سبب الفتنة، والحديث لا يدل على هذا بأى وجه من الوجوه، وهذه العبارة لا تحتمل هذا الفهم عند من له أدنى معرفة بمقاصد الكلام، فإن الراوى قال: أشار نحو مساكن عائشة، ولم يقل: إلى جهة مساكن عائشة، والفرق بين التعبيرين واضح وجلى، وهذه الرواية التى ذكرها أخرجها البخارى فى كتاب فرض الخمس[(٣)]، وهذا الحديث قد جاء مخرجًا فى كتب السنة من الصحيحين وغيرهما من عدة طرق وبأكثر من لفظ، وجاء النص فيها على البلاد المشار إليها بما يدحض دعوى الشيعة الروافض، ويغنى عن التكلف فى الرد عليهم بأى شىء آخر، وها هى ذى بعض روايات الحديث من عدة طرق عن ابن عمر -رضى الله عنهما-، فعن ليث عن نافع عن ابن عمر -رضى الله عنهما- أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول: «ألا إن الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان»[(٤)]، وعن عبيد ابن عمر قال: حدثنى نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قام عند باب حفصة فقال بيده نحو المشرق: «الفتنة من حيث يطلع قرن[(٥)] الشيطان» قالها مرتين أو ثلاثًا، وعن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال وهو مستقبل المشرق: «ها إن الفتنة ههنا، ها إن الفتنة ههنا، ها إن الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان»[(٦)]. وفى هذا الروايات تحديد صريح للجهة المشار إليها وهى جهة المشرق، وفيها تفسير للمقصود بالإشارة فى الرواية التى ذكرها الشيعة الروافض[(٧)]، كما جاء فى بعض الروايات الأخرى للحديث تحديد البلاد المشار إليها، فعن نافع عن ابن عمر قال: ذكر النبى ﷺ فقال: «اللهم بارك لنا فى شامنا،

---

(١) الانتصار للصحب والآل: ص(٤٥٠، ٤٥١).
(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٤٨).
(٣) البخارى رقم (٣١٠٤).
(٤) البخارى رقم (٧٠٩٣)، مسلم رقم (٢٩٠٥).
(٥)، (٦) مسلم، ك الفتن (٤/ ٢٢٢٩).
(٧) الانتصار للصحب والآل: ص(٤٥٣).

اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا[1]، فأظنه قال في الثالثة: هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان[2].

وعن سالم بن عبد الله بن عمر أنه قال: يا أهل العراق، ما أسألكم عن الصغيرة وأرْكَبكم للكبيرة، سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله يقول: إن الفتنة تجيء من ههنا وأومأ بيده نحو المشرق، من حيث يطلع قرنا الشيطان[3]. وفي بعض الروايات جاء ذكر بعض من يقطن تلك البلاد من القبائل ووصف حال أهلها، فعن أبي مسعود قال: أشار رسول الله ﷺ بيده نحو اليمن فقال: «ألا إن الإيمان ههنا، وإن القسوة وغلظ القلب في الفدادين[4]، وعند أصول أذناب الإبل، حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر»[5]. فدلت هذه الروايات دلالة قطعية على بيان مراد النبي ﷺ من قوله: الفتنة (ههنا) وأن المقصود بذلك بلاد المشرق، حيث جاءت الروايات مصرحة بهذا، كما جاء في بعضها وصف أهل تلك البلاد وتعيين بعض قبائلها، مما يظهر به بطلان ما ادعى الشيعة الروافض من أن الإشارة كانت إلى بيت عائشة، فإن هذا قول باطل، ورأي ساقط، لم يفهمه أحد وما قال به سوى الشيعة الروافض[6].

١٠- المفاضلة بين عائشة وخديجة وفاطمة رضي الله عنهن: قال ابن تيمية: وأفضل نساء هذه الأمة خديجة وعائشة وفاطمة، وفي تفضيل بعضهن على بعض نزاع[7].. وسئل ابن تيمية عن خديجة وعائشة أمي المؤمنين أيهما أفضل؟ فأجاب: بأن سبق خديجة وتأثيرها في أول الإسلام ونصرها وقيامها في الدين لم تشاركها فيه عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين، وتأثير عائشة في آخر الإسلام وحمل الدين وتبليغه إلى الأمة وإدراكها من العلم ما لم تشاركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميزت به عن غيرها[8]، وقال ابن حجر: وقيل انعقد الإجماع على أفضلية فاطمة وبقي الخلاف بين عائشة وخديجة[9]، وقال في شرح حديث أبي هريرة أن جبريل أتى النبي ﷺ وأمره أن يقرئ خديجة السلام من ربها وفيه قال السهيلي: استدل بهذه القصة أبو بكر بن داود على أن خديجة أفضل من عائشة لأن عائشة سلم عليها جبريل من قبل نفسه، وخديجة أبلغها السلام من ربها، وزعم ابن العربي أنه

(١) نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق.
(٢) البخاري رقم (٧٠٩٥). (٣) مسلم، ك الفتنة من المشرق (٤/ ٢٢٢٩).
(٤) الفدادون: الذين تعلو أصواتهم في حروثهم ومواشيهم.
(٥) البخاري رقم (٣٣٠٢)، الانتصار للصحب والآل ص (٤٥٥).
(٦) الانتصار للصحب والآل: ص(٤٥٥). (٧) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٩٤).
(٨) المصدر نفسه (٤/ ٣٩٣). (٩) فتح الباري (٧/ ١٠٩).

لاخلاف في أن خديجة أفضل من عائشة، ورد بأن الخلاف ثابت قديمًا، وإن كان الراجح أفضلية خديجة بهذا وبما تقدم[1]. وعند التحقيق والنظر في النصوص الواردة في تفضيل كل واحدة منهن -رضي الله عنهن- نجد أنها تدل على أفضلية خديجة وفاطمة ثم عائشة رضي الله عنهن، وذلك لقوله ﷺ «لقد فضلت خديجة على نساء أمتي»[2]، وقال ﷺ «أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسية»[3]، قال ابن حجر: وهذا نص صريح لا يحتمل التأويل[4]، وقال ﷺ «حسبك من نساء العالمين: مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون»[5]. وهذا نص في أن خديجة رضي الله عنها أفضل نساء الأمة، ثم إن اللفظ الوارد في تفضيل فاطمة رضي الله عنها وهو قوله ﷺ «يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة؟»[6]. وفي لفظ: «سيدة نساء أهل الجنة»[7]، فهو صريح لا لبس فيه ولا يحتمل التأويل، وهو نص في أنها أفضل نساء الأمة وسيدة نساء أهل الجنة، وقد شاركت أمها في هذا التفضيل فهي وأمها أفضل نساء أهل الجنة، وهي وأمها أفضل نساء الأمة، بهذا وردت النصوص[8]، وأما ما ورد في تفضيل عائشة، رضي الله عنها، في قوله ﷺ «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد علي سائر الطعام»فهو لفظ لا يستلزم الأفضلية المطلقة كما قال ابن حجر[9]: وليس فيه تصريح بأفضلية عائشة، رضي الله عنها، على غيرها، لأن فضل الثريد على غيره من الطعام إنما هو لما فيه من تيسير المئونة وسهولة الإساغة، وكان أجلَّ طعمتهم يومئذ، وكل هذه الخصال لا تستلزم ثبوت الأفضلية له من كل وجهة، فقد يكون مفضولاً بالنسبة لغيره من جهات أخرى[10]. فالحديث إذًا دال على أفضلية عائشة، رضي الله عنها، على سائر نساء هذه الأمة ما عدا خديجة وفاطمة، رضي الله عنهما، لورود الدليل على ذلك مما قيد تلك الأفضلية لعائشة، رضي الله عنها[11]، وأما ما ورد من حديث عمرو بن العاص لما سأل النبي ﷺ أي النساء أحب إليك؟ فقال ﷺ عائشة[12]. فقد أشار ابن حبان إلى أنه

(1) فتح الباري (٧/ ١٣٩).
(2) فتح الباري (٧/ ١٣٥)، مجمع الزوائد (٩/ ٢٢٣).
(3) الإحسان لابن حبان (٩/ ٧٣)، صحيح الجامع للألباني (١/ ٣٧١).
(4) فتح الباري (٧/ ١٣٥).
(5) فضائل الصحابة (٢/ ٧٥٥) رقم (١٣٢٥) وصححه الألباني في تخريج المشكاة (٣/ ١٧٤٥).
(6) البخاري رقم (٦٢٨٥).
(7) فتح الباري (٧/ ١٠٥).
(8) العقيدة في أهل البيت: ص(٩٧).
(9) فتح الباري (٧/ ١٠٧).
(10) المصدر نفسه (٦/ ٤٤٧).
(11) العقيدة في أهل البيت: ص(٩٧).
(12) البخاري رقم (٤٣٥٨).

مقيد فى نسائه ﷺ إذ عقد عنوانًا فى صحيحه فقال: ذكر خبر وهم فى تأويله من لم يحكم صناعة الحديث، وساق تحته حديث عمرو بلفظ: قلت: يا رسول الله أى الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، فقلت: إنى لست أعنى النساء وإنما أعنى الرجال، فقال: أبو بكر أو قال: أبوها. ثم قال ابن حبان: أذكر الخبر الدال على أن مخرج السؤال كان عن أهله دون سائر النساء من فاطمة وغيرها، وأخرج بسنده عن أنس قال: سئل رسول الله ﷺ: من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة قيل له: ليس عن أهلك نسألك، قال: فأبوها[(١)]. وبهذا يتبين أن عائشة، تلى خديجة وفاطمة فى الفضل، رضى الله عنها. إذًا فكل ما ورد من دليل على عموم تفضيلها رضى الله عنها مقيد بالنص الوارد فى خديجة وفاطمة، رضى الله عنهما، ولا ينكر أن لعائشة، رضى الله عنها، من الفضائل كالعلم مثلاً ما تختص به عن خديجة وفاطمة رضى الله عنهن، إلا أنه لا يلزم من ثبوت خصوصية شىء من الفضائل ثبوت الفضل المطلق[(٢)]، وعلى كل حال فليس فضل إحداهن على الأخرى بمطعن على المفضولة، بل فى هذا أكبر دليل على علو مكانة هؤلاء النساء الثلاث فاطمة وخديجة وعائشة رضى الله عنهن؛ حيث إن الخلاف لم يخرج عنهن فى أنهن أفضل نساء الأمة، فما الذى يضر أم المؤمنين عائشة لو كانت ثالثة نساء الأمة فى الفضل؟! وهل هذا مدعاة لاحترامها وتقديرها أم للنيل منها والطعن فيها، كما يفعل الشيعة الروافض؟![(٣)].

* هل استباحت السيدة عائشة أم المؤمنين قتال المسلمين فى معركة الجمل؟: قد تقدم أنها ما خرجت لذلك وما أرادت القتال، وقد نقل الزهرى عنها أنها قالت بعد موقعة الجمل: إنما أريد أن يحجز بين الناس مكانى، ولم أحسب أن يكون بين الناس قتال، ولو علمت ذلك لم أقف ذلك الموقف أبدًا[(٤)]. وهذا القول بأن السيدة عائشة استباحت قتال المسلمين باطل لا يثبت أمام الروايات الصحيحة التى بينت أن عائشة ما خرجت إلا للإصلاح كما مر معنا، وإنما هذه الأقوال من الروايات التى وضعتها الشيعة الروافض، والتى شوهت تاريخ صدر الإسلام، وجعلت مما حدث بين على وطلحة والزبير وعائشة رضى الله عنهم حربًا أهلية، وتأثر بعض الباحثين بتلك الروايات حتى قال بعضهم: وأسرت عائشة، ويصورون المسألة

(١) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٩/ ١١).

(٢) فتح البارى (٧/ ١٠٨)، العقيدة فى أهل البيت: ص (٩٨).

(٣) الانتصار للصحب والآل: ص (٤٦١).

(٤) المغازى للزهرى: ص (١٥٤).

كحرب أهلية مخطط لها، وهو قول طبيعى من باحثين لا يستقون معلوماتهم فى هذا الشأن إلا من الروايات المقدوحة، ومن المصادر غير الموثوق بها مثل الإمامة والسياسة، والأغانى، ومروج الذهب، وتاريخ اليعقوبى، بل وتاريخ التمدن الإسلامى لجورجى زيدان(١).

* **هل يصح هذا الحديث: تقاتلين عليًا وأنت له ظالمة؟** إنه لا يعرف فى شىء من كتب العلم المعتمدة، ولا له إسناد معروف، وهو بالموضوعات المكذوبة أشبه منه بالأحاديث الصحيحة، بل هو كذب قطعًا، فإن عائشة لم تقاتل، ولم تخرج لقتال، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين الناس.. لا قاتلت ولا أمرت بقتال، هكذا ذكر غير واحد من أهل المعرفة بالأخبار(٢).

* **أمير المؤمنين على رضى الله عنه يرد عائشة إلى مأمنها معززة مكرمة:** جهز أمير المؤمنين على عائشة بكل شىء ينبغى لها من مركب وزاد ومتاع، وأخرج معها من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات وقال: تجهز يا محمد «ابن الحنفية»، فبلغها، فلما كان اليوم الذى ترتحل فيه جاءها حتى وقف لها، وحضر الناس، فخرجت على الناس، وودعوها وودعتهم وقالت: يا بنى، تعتب بعضنا على بعض استبطاء واستزادة، فلا يعتدين أحد منكم على أحد بشىء بلغه من ذلك، إنه والله ما كان بينى وبين على فى القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه عندى على معتبتى من الأخيار.. وقال على: يا أيها الناس، صدقت والله وبرت، ما كان بينى وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجة نبيكم ﷺ فى الدنيا والآخرة. وخرجت يوم السبت لغرة رجب سنة ست وثلاثين، وشيعها علىٌّ أميالاً وسرح بنيه معها(٣) يومًا. وبتلك المعاملة الكريمة من أمير المؤمنين على رضى الله عنه نراه قد اتبع ما أوصاه به نبى الأمة ﷺ عندما قال له: «**إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر**. قال: أنا يا رسول الله؟ قال: نعم. قال: أنا؟ قال: نعم. قلت: فأنا أشقاهم يا رسول الله. قال: **لا، ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها**»(٤). وقد خالف الصواب من ظن أن خروج أم المؤمنين إلى البصرة كان لشىء فى نفسها من على رضى الله عنه لموقفه منها فى حديث الإفك حين رماها المنافقون بالفاحشة فاستشاره النبى ﷺ فى فراقها. فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل

(١) انظر: دراسة وتحليل للعهد النبوى الأصيل، محمد جميل، الحزبية السياسية، رياض عيسى، الحريم السياسى، النبى والنساء، الدولة العربية فلهاوزن، نقلا عن دور المرأة السياسى، ص (٤٤٢).

(٢) منهاج السنة (٢/ ١٨٥).

(٣) تاريخ الطبرى (٥/ ٥٨١).

(٤) مسند أحمد (٦/ ٣٩٣) إسناده حسن.

الجارية تصدقك[1]. وهذا الكلام الذى قاله على إنما حمله عليه ترجيح جانب النبىﷺ، لما رأي عنده من القلق والغم بسبب القول الذى قيل، وكان شديد الغيرة، فرأى على أنه إذا فارقها سكن ما عنده من القلق بسببها إلى أن يتحقق براءتها، فيمكن رجعتها، ويستفاد منه ارتكاب أخف الضررين لذهاب أشدهما[2]. قال النووى: رأى على أن ذلك هو المصلحة فى حق النبىﷺ، واعتقد ذلك لما رأى من انزعاجه، فبذل جهده فى النصيحة، لإرادة راحة خاطرهﷺ[3]. وعلى رضى الله عنه لم ينل عائشة رضى الله عنها بأدنى كلمة يفهم منها أنه قد عرض بأخلاقها أو تناولها بسوء، فإنه على الرغم من قوله للنبىﷺ: لم يضيق الله عليك[4]، إلا أنه عاد فقال لرسول اللهﷺ ناصحًا: وسل الجارية تصدقك[5]. فهو قد دعاه إلى التحرى أولاً قبل أن يفارقها، أي أنه قد رجع عن نصيحته الأولى بالمفارقة إلى نصيحة أخرى بسؤال الجارية، وتحرى الحقيقة[6]، وقد سأل رسول اللهﷺ الجارية التى كانت أكثر التصاقًا بعائشة، فأكدت أنها ما علمت من أمر عائشة إلا خيرًا، وقد خرج رسول اللهﷺ من يومه الذى سأل فيه الجارية، واستعذر من عبد الله بن أبيٍّ قائلاً: يا معشر المسلمين من يعذرنى من رجل بلغنى أذاه فى أهل بيتى، فوالله ما علمت على أهلى إلا خيرًا[7]. لقد كانت نصيحة على فى صالح عائشة، فقد ازدادﷺ قناعة بما علم من خير فى أهله[8]. ولم يكن موقف على فى حادثة الإفك هو الذى جعل عائشة تغضب منه رضى الله عنه لأجله، أو تحقد الحقد الذى يجعلها تتهمه زوراً بقتل عثمان، وتخرج عليه مؤلبة الأعداد الهائلة من المسلمين، كما زعم كثير من الباحثين ممن تورط فى روايات الشيعة الرافضة التى لفقوها ووضعوها.

* ندمهم على ما حصل منهم: قال ابن تيمية: .. وهكذا عامة السابقين، ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزّبير وعليٌّ وغيرهم، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد فى القتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم[9].

أ- فأمير المؤمنين على ورد عنه عندما نظر وقد أخذت السيوف مأخذها من الرجال، أنه قال: لوددت أنى مت قبل هذا بعشرين سنة[10].

---

(١) البخارى رقم (٤٧٨٦).
(٢) دور المرأة السياسى: ص(٤٦٢).
(٣) شرح النووى على صحيح مسلم (٥/ ٦٣٤).
(٤)، (٥) البخارى رقم (٤٧٨٦).
(٦) دور المرأة السياسى: ص(٤٦٢).
(٧) البخارى رقم (٤٧٨٦).
(٨) دور المرأة السياسى: ص(٤٦٢).
(٩) المنتقى من منهاج الاعتدال فى نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، ص(٢٢٢).
(١٠) الفتن لنعيم بن حماد (١/ ٨٠).

ب- وروى نعيم بن حماد، بسنده إلى الحسن بن علي، أنه قال لسليمان بن صرد: لقد رأيت عليًا حين اشتد القتال وهو يلوذ بي، ويقول: يا حسن، لوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة[1].

جـ-وعن الحسن بن علي قال: أراد أمير المؤمنين علي أمرًا، فتتابعت الأمور، فلم يجد منزعًا[2].

د-وعن سليمان بن صرد، عن الحسن بن علي أنه سمع عليًا يقول -حين نظر إلى السيوف قد أخذت القوم-: يا حسن أكل هذا فينا؟ ليتني مت قبل هذا بعشرين أو أربعين سنة[3].

هـ- وأما عائشة: فقد ورد عنها أنها كانت تقول حين تذكر وقعة الجمل: وددت أني كنت جلست كما جلس أصحابي، وكان أحب إليّ أن أكون ولدت من رسول الله ﷺ بضعة عشر، كلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، ومثل عبد الله بن الزبير[4].

و-وكانت إذا قرأت قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾[الأحزاب: ٣٣] تبكي حتى تبل خمارها[5].

ز- قالت عائشة: وددت أن لو كان لي عشرون ولدًا من رسول الله ﷺ وكلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وأني ثكلتهم، ولم يكن ما كان مني يوم الجمل[6].

حـ- قال ابن تيمية: فإن عائشة لم تقاتل، ولم تخرج لقتال، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين المسلمين، وظنّت أنّ خروجها مصلحة للمسلمين، ثم تبين لها فيما بعد أنّ ترك الخروج كان أولى، فكانت إذا ذكرت خروجها تبكي حتى تبلّ خمارها، وهكذا عامّة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير وعليّ وغيرهم، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم[7].

---

(١) الفتن لنعيم بن حماد (١/ ٨٠).

(٢) المصدر نفسه (١/ ٨١).

(٣) أحداث وأحاديث فتنة الهرج. ص(٢١٧).

(٤) الفتن، نعيم بن حمّاد (١/ ٨١).

(٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٧٧)، الطبقات (٨/ ٨١).

(٦) التمهيد للباقلاني: ص(٢٣٢)، عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي كان من نبلاء الرجال وهو من أشرف بني مخزوم، توفي قبل معاوية.

(٧) المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض: ص(٢٢٢، ٢٢٣).

ط- قال الذهبي: ولا ريب أن عائشة ندمت ندمة كلية على مسيرها إلى البصرة، وحضورها يوم الجمل، وما ظنّت أن الأمر يبلغ ما بلغ[١].

ثامنًا: سيرة الزبير بن العوام واستشهاده:

هو أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي[٢]، ويجتمع مع النبي ﷺ في قصي، وهو حواريّ رسول الله وابن عمته، أمه صفية بنت عبد المطلب، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد أصحاب الشورى[٣]، أسلم وهو حدث وله ست عشرة سنة[٤]، ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله[٥]، وقد تعرض بعد إسلامه للتعذيب، فقد روى أن عم الزبير كان يعلقه في حصير ويدخن عليه النار وهو يقول: ارجع إلى الكفر، فيقول الزبير: لا أكفر أبدًا[٦].

١- أول من سلّ سيفه في سبيل الله: عن سعيد بن المسيب، قال: أول من سلّ سيفه في ذات الله الزبير بن العوام، وبينما الزبير بن العوام قائل إذ سمع نغمة: أن رسول الله قُتِل، فخرج من البيت متجردًا السيف صَلْتا، فلقيه رسول الله ﷺ كَفَّةَ كَفَّةَ[٧]، فقال: «ما شأنك يا زبير؟» قال: سمعت أنك قُتلْت، قال: «فما كنت صانعًا؟» قال: أردت والله أن أستعرض أهل مكة، قال: فدعا له النبي ﷺ بخير». قال سعيد: أرجو أن لا تضيع له عند الله عز وجل دعوة النبي ﷺ[٨].

٢- هجرته للحبشة: ولما اشتد إيذاء قريش لرسول الله ﷺ ولأصحابه وأشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة ليكونوا في جوار «النجاشي» ذلك الملك العادل، فكانوا عنده بخير دار مع خير جار، وظلوا على تلك الحال من الأمن والاستقرار إلى أن نزل رجل من الحبشة لينازع النجاشي في الملك، فحزن المسلمون لذلك حزنًا شديدًا وخافوا أن يظهر ذلك الرجل، وهو لا يعرف حق الصحابة الأطهار ولا يعرف قدرهم، وهنا أراد الصحابة -رضي الله عنهم- أن يعرفوا أخبار الصراع الدائر بين النجاشي وبين هذا الرجل على الجانب الآخر

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٧٧).
(٢) الإصابة (١/ ٥٢٦-٥٢٨).
(٣) الطبقات الكبرى (٣/ ١٠٠)، الإصابة (١/ ٥٢٦-٥٢٨).
(٤) سير أعلام النبلاء (١/ ٤١).
(٥) سير السلف (١/ ٢٢٦) الرواية مرسلة.
(٦) الطبراني في الكبير (١/ ١٢٢).
(٧) كفة كفة: أي مواجهة كأن كل واحد منهما قد كف صاحبه عن مجاوزته إلى غيره.
(٨) فضائل الصحابة (٢/ ٩١٤) رقم ١٢٦٠ إسناده ضعيف حسن لغيره.

من النيل[1]، قالت أم سلمة -رضى الله عنها-: فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت: فقال الزبير بن العوام: أنا. قالوا: فأنت؟ وكان من أحدث القوم سنًا. قالت: فنفخوا له قربة فجعلها فى صدره، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التى بها مُلتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم. قالت: فَدَعَوْنَا الله تعالى للنجاشى بالظهور على عدوه، والتمكين له فى بلاده، قالت: فوالله إنا لَعلى ذلك متوقعون لما هو كائن، إذ طلع الزبير وهو يسعى، فلمع ثوبه وهو يقول: ألا أبشرُوا، فقد ظفر النجاشى، وأهلك الله عدوه ومكن له فى بلاده.[2] وبعد رجوع الزبير من الحبشة إلى مكة قام فى كنف الحبيب المصطفى رسول الله ﷺ، يتلقى منه مبادىء الإسلام وأوامره ونواهيه، وعندما هاجر رسول الله للمدينة كان الزبير ضمن المهاجرين إليها.

٣- فى غزوة بدر: كان الزبير رضى الله عنه فارسًا مقدامًا، وبطلاً مغوارًا، لم يتخلف عن مشهد واحد من المشاهد، تراه فى كل غزوة وفى كل معركة، فقد اتصف بالشجاعة الخارقة، والبطولة النادرة، والإخلاص الكامل، والتفانى لإعلاء كلمة الحق[3]، ولقد بذل الزبير، رضى الله عنه، الكثير فى سبيل الله، وجعل نفسه وماله وقفًا لله -عز وجل- فأكرمه الله ورفعه فى الدنيا والآخرة، فقد كانت عليه عمامة صفراء معتجرًا بها يوم بدر، فعن عروة أنه قال: كانت على الزبير يوم بدر عمامة صفراء فنزل جبريل على سيماء الزبير[4]. فيالها من منقبة لا توازيها الدنيا بما فيها، وفيه يقول عامر بن صالح بن عبد الله بن الزبير:

جدّى ابن عمَّةِ أحمد ووزيره ... عند البلاء وفارسُ الشقراءِ
وغداة بدر كان أول فارس ... شهد الوغى فى اللأمة الصفراء
نزلت بسيماه الملائك نُصرة ... بالحوض يوم تألب الأعداء[5]

وعن الزبير قال: لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص وهو ومدجج لا يُرى منه إلا عيناه، وهو يكنى أبا ذات الكرش، فقال: أنا أبو ذات الكرش، فحملت عليه فطعنته فى

(١) السيرة لابن هشام (١/ ٢٧٩)، أصحاب الرسول (١/ ٢٧٤).
(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٧٩).
(٣) أهل الشورى الستة، رياض العبد الله: ص(٦٧).
(٤) الطبرانى فى الكبير رقم ٢٣٠ مرسل صحيح الإسناد، سير أعلام النبلاء (١/ ٤٦).
(٥) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين: ص(٥٠١).

عينيه فمات، قال الزبير: لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطأت فكان الجهد أن نزعتها وقد انثنى طرفاها. فسأله إياها رسول الله فأعطاه، فلما قبض رسول الله ﷺ أخذها ثم طلبها أبو بكر فأعطاه إياها، فلما قبض أبو بكر سأله إياها عمر فأعطاه إياها، فلما قُتل عثمان وقعت عند آل علي، فطلبها عبد الله بن الزبير، فكانت عنده حتى قتل[1].

هذا الخبر يصور لنا دقة الزبير بن العوام في إصابة الهدف، حيث استطاع أن يضع الحربة في عين ذلك الرجل مع ضيق ذلك المكان، وكونه قد وزع طاقته بين الهجوم والدفاع، فلقد كانت إصابة ذلك الرجل بعيدة جدًا لكونه حمى جسمه بالحديد الواقي، لكن الزبير استطاع إصابة إحدى عينيه، فكانت بها نهايته، ولقد كانت الإصابة شديدة العمق مما يدل على قوة الزبير الجسدية، إضافة إلى دقته ومهارته في إصابة الهدف[2]. وقد كان يوم بدر مع رسول الله ﷺ فارسان: الزبير على فرس على الميمنة والمقداد بن الأسود على فرس على الميسرة[3].

٤- في غزوة أحد: قال الزبير رضي الله عنه: جمع لي النبي ﷺ أبويه يوم أحد[4]، وهذا دليل على قتاله وبأسه في تلك المعركة، فقد اتصف رضي الله عنه بالثبات والعزيمة وحب الشهادة في سبيل الله تعالى، وقد وصف لنا رضي الله عنه ما فعله أبو دجانة الأنصاري في تلك الغزوة، فعندما التحم الجيشان واشتد القتال، وشرع رسول الله ﷺ يشحذ همم أصحابه، ويعمل على رفع معنوياته وأخذ سيفًا وقال: من يأخذ مني هذا؟ فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا أنا -وكان من ضمنهم الزبير -قال: فمن يأخذه بحقه؟ فأحجم القوم، فقال سماك بن خرشة أبو دجانة: وما حقه يا رسول الله؟ قال: أن تضرب به العدو حتى ينحني. قال: أنا آخذه بحقه. فدفعه إليه وكان رجلاً شجاعًا يختال عند الحرب -أي يمشي مشية المتكبر -وحين رآه رسول الله ﷺ يتبختر بين الصفين قال: إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن[5]. ووصف الزبير بن العوام ما فعله أبو دجانة يوم أحد فقال: وجدت في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة وتركني، والله لأنظرن ما يصنع، فاتبعته فأخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج أبو دجانة عصابة الموت -وهكذا كانت تقول له إذا تعصب- فخرج وهو يقول:

(١) صحيح البخاري، ك المغازي رقم (٣٩٩٨).
(٢) التاريخ الإسلامي (٤/١٦٣).
(٣) سير أعلام النبلاء (١/٤٦) والرواية مرسلة.
(٤) فضائل الصحابة (٢/٩١٨) رقم (١٢٦٧) إسناده صحيح.
(٥) مسلم، ك فضائل الصحابة رقم ٢٤٧٠.

أنـا الذى عـاهـدنى خـليلـى ونحـن بالسـفـح لدى النـخـيل

أن لا أقــوم الـدهر فى الكـيـول[1] أضـرب بسـيف الله والرســول[2]

فجـعل لا يلقى أحدًا إلا قـتله، وكان من المشـركين رجل لا يدع جريـحًا إلا ذفف[3] عليه، فـجعل كل منهما يدنو من صـاحبه، فدعـوت الله أن يجمع بينهما فـالتقيا فاخـتلفا ضربتين، فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته فـعضت بسيفه وضربه أبو دجانة فقتله، ثم رأيته قـد حمل السيف على مـفرق رأس هند بنت عتبـة ثم عدل السيف عنهـا فقلت: الله ورسوله أعلم[4].

قال ابن إسحاق: قال أبو دجانة: رأيت إنسـانًا يحمس الناس حماسًا شديدًا فصمدت له فلمـا حملت عليـه السيف ولول، فـإذا امرأة، فـأكرمت سـيف رسول الله أن أضـرب به امرأة[5]، وعن هشامٍ عن أبيـه، قالت عائشـة: يا ابنٍ أختي كان أبواك -يـعنى الزبير وأبا بكر- من ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ [آل عمران: ١٧٢].

لما انصـرف المشركـون من أحد، وأصـاب النبى ﷺ وأصـحابه مـا أصابهم، خـاف أن يرجعوا، فـقال: من ينتدب لهـؤلاء فى آثارهم، حتى يعلموا أنّ بنا قوة، فـانتدب أبو بكر والزبير فى سـبعين، فـخرجوا في آثار المشـركين، فسمـعوا بهم فـانصرفوا، قـال تعالى: ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤] لم يلقوا عدوًا[6]، ولما استشهد حـمزة بن عبد المطلب، رضى الله عنه، فى أُحُد جاءت أم الزبير صـفية بنت عبد المطلب لتنظر إلى أخيـها، وقد مثل به المشركـون فجدعوا أنفه وبقـروا بطنه، وقطعوا أذنيه ومذاكيره، فقال رسول الله لابنها الزبير بن العوام: «القها فأرجعها، لا ترى ما بأخيها»، فقال لها: يا أمـه، إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تـرجعى، قالت: ولم؟ وقـد بلغنى أنه قـد مثل بأخى، وذلك فى الله، فمـا أرضانا بما كان من ذلك، لأحـتسبن ولأصبـرن، إن شاء الله، فلمـا جاء الزبيـر بن العوام، رضى الله عنه، إلى رسـول الله فأخـبره بذلـك، قال: «خلِّ سبيلها»، فأتته فنظرت إليه فصلت عليه واسترجعت[7]، واستغفرت له[8]، وجاء فى رواية عن عروة قال: أخبـرنى أبى الزبير أنه لما كان أحد أقبلت امرأة تـسعى، حتى إذا كادت أن

(١) الكيول: مؤخرة الصفوف.

(٢) البداية والنهاية (٤/١٧).

(٣) ذفف: أجهز عليه.

(٤)، (٥) البداية والنهاية (٤/١٨).

(٦) البخارى رقم (٤٠٧٧).

(٧) استرجعت: قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٨) السيرة النبوية لابن هشام (٣/١٠٨).

تشـرف على القتلى، قـال: فكره النبى ﷺ أن تراهم، فـقال: «المرأة المرأة». قال الزبـير: فتوسمت أنها أمى صفية، قال: فخرجت أسـعى إليها، فأدركتها قبل أن تنتهى إلى القتلى، قال: فَلَدمَتْ فى صدرى، وكانت امرأة جلدة، قالت: إليك، لا أرض لك. قال: فقلت: إن رسول الله ﷺ عزم عليك. قال: فوقفت، وأخرجت ثـوبين معها، فقالت: هذان ثوبان جئت بهـما لأخى حمزة، فإذا إلى جـانبه رجل من الأنصار قـتيل، وقد فعل به كـما فعل بحمزة، قـال: فوجدنا غضاضـة وحياء أن نكفن حمزة فـى ثوبين، والأنصارى لاكفن له، فقلنا: لحمزة ثوب، والأنصـارى ثوب، فقدرناهما فكان أحدهما أكبـر من الآخر، فأقرعنا بينهما، فكفنَّا كل واحد منهما فى الثوب الذى طار له(١).

٥- فى غـزوة الخندق: (لكل نـبى حـوارىّ وحـوارِيّى الزبيـر)(٢): قال رسـول الله ﷺ يوم الخندق: من يأتينا بخبر بنى قريظة؟ فقال الزبير: أنا، فذهب على فرس، فجاء بخبرهم. ثم قال الثـانية، فـقال الزبيـر: أنا، فذهب، ثم الثـالثة، فقـال النبى ﷺ: «لكُلِّ نبى حوارىّ، وحوارِيَّ الـزبير»(٣)، ومعنى قـولـه ﷺ: وحـوارِيى الزبير: أى: خاصتى مـن أصحابى وناصرى، ومنه الحـواريون أصحاب عيـسى عليه الصلاة والسلام، أى خلصـاؤه وأنصاره، فالحـوارى هو الناصر المخلص، فـالحديث اشتـمل على هذه المنقبة العظـيمة التى تميـز بها الزبير، رضى الله عنه، ولذلك سمع عبد الله بن عمر، رضى الله عنهما، رجلاً يقول: أنا ابن الحوارى، فـقال: إن كنت من ولد الزبيـر وإلا فلا(٤). وجاء فى عمـدة القارى شرح صحيح البخارى للعينى: فإن قلت: الصـحابة كلهم أنصار رسول الله عليه الصلاة والسلام خلصاء فـما وجه التخـصيص به؟ قلنا: هذا قاله حين قـال يوم الأحزاب: من يأتينى بخـبر القوم؟ قال الزبير: أنا، قال: من يأتينى بخبـر القوم؟ فقال: أنا، وهكذا مرة ثالثة ولا شك أنه فى ذلك الوقت نصر نصـرة زائدة على غيره(٥). وقد فداه رسول الله ﷺ يوم الأحزاب بأبيه وأمه؛ فعن عبد الله بن الزبير قـال: كنت يوم الأحزاب جعلت أنا وعمر بن أبى سلمة فى النساء فنـظرت فإذا أنا بالزبير على فـرسه يخـتلف إلى بنى قريظة مرتـين أو ثلاثًا فلما رجعت قـلت: يا أبت رأيتك تختلف، قـال: وهل رأيتنى يا بنى؟ قلت: نعم، قـال: كان رسول الله ﷺ قال: من يأتى بنى قريـظة فيأتينى بخـبرهم؟ فانطلقت فلمـا رجعت جمع لى رسول الله ﷺ أبويه فقال: فداك أبى وأمى(٦). وهذا الحديث فيه منقبة ظاهرة للزبير، رضى

(١) مسند أحمد (٣/ ٣٤) الموسوعة الحديثية إسناده حسن.
(٢)،(٣) مسلم رقم (٢٤١٤)
(٤) مصنف ابن أبى شيبة رقم (١٢٢١٩)، صحيح..
(٥) عمدة القارى (١٩/ ٢٢٣٩).
(٦) البخارى رقم (٣٧٢٠).

الله عنه، حيث فداه رسول الله ﷺ بأبويه، وفى هذه التفدية تعظيم لقـدره واعتداد بعمله، واعتبار بأمره، وذلك لأن الإنسان لا يفدى إلا من يعظمه، فيبذل نفسه أو أعز أهله له[1].

لقـد نال الزبير فى غـزوة الخندق وسـامًا خـالدًا باقـيًا على مـر السنين (لكل نبى حـوارى وحواريى الزبير)[2]. لقد وصف النبى ﷺ الزبير بالحوارى، وهو وصف عميق الدلالة واسع المفاهيم، والدارس لهذه المعـانى يدرك أبعاد كلمة الحوارى، ويتبين معـالمها ويعرف أسرارها وأغوارها، وأكـثر من يحـتاج إلى العناية بهـذه المفاهيم هم العلمـاء والدعاة والمربون، لأن الدعوة الإسلامـية تحتاج إلى إعداد الحـواريين ليقدموا نماذج حيـة فى الأسوة والقدوة، لأن القدوة العملية أقوى وأشد تأثيرًا فى نشر المبادئ والأفكار، لأنها تجسيد وتطبيق عملى لها، يسهل مشـاهدتها والتأثر والاقتداء بها، ولأن الحـواريين يأخذون بسنة الرسول ﷺ ويقتدون بأمره[3]، كما جاء فى الحديث: «ما من نبى بعثه الله فى أمة قـبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصـحاب يأخـذون بسنته ويقـتدون بأمـره»[4]. ومن سنن الدعوات أن مـسيرتـها تمر بالفتن والمحن وتبتلى من أصدقائهـا وأعدائها، وحرص الرسول ﷺ على إرشاد المسلمين إلى هذه المتغيرات والحوادث فقال: «ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مـا لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون»[5]. فما مهمة الحوارى؟ القدوة الحسنة والإيمان التطبيقى والإخلاص والفداء التى هى أبرز صفات الحواريين، فـيكون مثالاً حقيقـيًا لورثة الأنبياء، فيسعـى لنشر الحق والخير وهداية الأمة والنهـوض بها من كبـوتها، ويضحى فى سبـيل الله بكل غالٍ ونفيس ليـجدد للإسلام شـبابه ونضارته، فى الوقت الذى يكون سـاقطو الهمة لا هم لهم إلا مصلحـتهم الشخصية[6]. والزبير بن العوام، رضى الله عـنه، نموذج فذ فى تجسيد هذه المعـانى، فقد تربى فى أحضان الدعوة على يدى النبى ﷺ، وتلقى الجرعات المطلوبة لتحـمل أعبائها منذ شبـابه الباكر، ومـوقف الزبير فى غزوة الأحزاب يـصور لنا شخصـيته ونشـأته على الجرأة والنصرة ومحبته للرسول ﷺ، وأثبتت الأيام أنه كان رضى الله عنه رجل المهمات الصعبة، فقد اتصف بالجـرأة والإقدام فكُلف بمهمة كـشف أسرار العدو، وما حدث مع الزبيـر يشير إلى مشـروعية تقـسيم الأعمال وتصـنيف الدعاة كل حسب إخـلاصه وفدائيتـه وتضحيـته

(1) تحفة الأحوذى (١٠/٢٤٦).
(2) مسلم رقم (٢٤١٤)
(3) صحيح مسلم بشرح النووى (٢/٢٦، ٢٧).
(4) دراسات تربوية للأعظمى: ص(٢٠٦).
(5) صحيح مسلم بشرح النووى (٢/٢٦، ٢٧).
(6) دراسات تربوية فى الأحاديث النبوية: ص(٢٠٧).

ومواهبه وطـاقته[1]. هذا وقد شـارك الزبير فى كل غـزوات الرسول ﷺ وكان له مواقف مشرفة، وكان فى عهد الراشدين من أعمدة الدولة فى فتوحاتها الكبيرة رضى الله عنه.

٦- فى غزوة اليرموك: عن عروة أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للزبير يوم اليرموك: ألا تشدُّ فنشد معك؟ فقال: إنى إن شددت كذبتم. فـقالوا: لا نفعل، فحمل عليهم حتى شق صفوفهم، فـجاوزهم وما معه أحد، ثم رجع مُـقبلاً فأخذوا بلجامه فـضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضربها يوم بدر. قال عروة: أدخل أصابعى فى تلك الضربات ألعب وأنا صغير. قال عـروة: وكان معه عبد الله بن الزبير يومئذ، وهو ابن عـشر سنين فحمله على فرس ووكَّل به رجلاً[2]، قال الذهبى فى السِّير معلقًا: هذه الوقـعة هى يوم اليمامة إن شاء الله، فإن عبد الله كان إذ ذاك ابن عشر سنين[3]، وذكر ابن كثير أن الموقـعة هى «اليرموك» ولا مانع من وقوع ذلك فى الموقعتين. فـقد قال ابن كثير: وقد كان فيـمن شهد «اليرموك» الزبير بن العوام، وهو أفضل من هناك من الصحابة، وكـان من فرسان الناس وشجعانهم، فاجتـمع إليه جماعة من الأبطال يومئـذ، فقالوا: ألا تحمل فنحمل مـعك؟ فقال: إنكم لا تثبتـون. فقالوا: بلى. فحمل وحملوا، فلمـا واجهوا صفوف الروم أحجـموا وأقدم هو، فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر، وعاد إلى أصحابه. ثم جاءوا إليه مرة ثانية ففعل كـما فعل فى الأولى، وجُرح يومئذ جُرحين بين كتـفيه، وفى رواية: جُرح[4]. ويقول ابن كثير مـرة أخرى: خرج مع الناس إلى الشام مجاهدًا، فشهد اليرمـوك، فتشرَّفوا بحضـوره، وكانت له بها اليد البـيضاء والهـمة العلياء، اختـرق جيوش الروم وصفـوفهم مرتين، من أولهم إلى آخرهم[5].

٧- فى فتح مصر: ولما قصد عمرو بن العاص مصر لفتحها كان معه قوات لم تكن كافية لفتحها، فكتب إلى عمر بن الخطاب يستمده ويطلب المدد من الرجال، فأشفق عمر من قلة عدد قوات عـمرو، فأرسل الزبير بن العوام فى اثـنى عشر ألفًا، وقيل: أرسل عـمر أربعة آلاف رجل، عليهم من الصحابة الكبار: الزبير، والمقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد، وقال آخرون: خارجـة بن حذافة هو الرابع، وكتب إليه: إنى أمددتك بأربعـة آلاف، عـلى كل ألف منهم رجل مـقـام ألف. وكـان الزبيـر على رأس هؤلاء

(١) دراسات تربوية: ص(٢٠٨).
(٢) البخارى رقم (٣٩٧٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (١/ ٦٣).
(٤) البداية والنهاية (١/ ٦٣).
(٥) المصدر نفسه (٧/ ٢٦٠).

الرجال[1]، وحين قدم الزبير على عمرو، وجده محاصراً حصن بابليون فلم يلبث الزبير أن ركب حصانه وطاف بالخندق المحيط بالحصن، ثم فرّق الرجال حول الخندق، وطال الحصار حتى بلغت مدته سبعة أشهر، فقيل للزبير: إن بها الطاعون. فقال: إنا جئنا للطعن والطاعون[2]. وأبطأ الفتح على عمرو بن العاص، فقال الزبير: إنى أهب نفسى لله، أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين، فوضع سُلمًا وأسنده إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد، وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعًا، فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبِّر ومعه السيف، فتحامل الناس على السُّلم حتى نهاهم عمرو؛ خوفًا من أن ينكسر، فلما رأى الروم أن العرب قد ظفروا بالحصن انسحبوا، وبذلك فتح حصن بابليون أبوابه للمسلمين، فانتهت بفتحه المعركة الحاسمة لفتح مصر، وكانت شجاعة الزبير النادرة السبب المباشر لانتصار المسلمين على المقوقس[3].

٨- غيرة الزبير بن العوام رضى الله عنه: عن أسماء بنت أبى بكر الصديق -رضى الله عنها- قالت: تزوجنى الزبير -رضى الله عنه- وما له فى الأرض مال ولا مملوك ولا شىء غير فرسه. قالت: فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأسُوسُه، وأدق النوى للناضحة، وأعلفه وأسقيه الماء، وأخرز غربه، وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز فكان يخبز لى جارات من الأنصار وكن نسوة صدق. قالت: وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التى أقطعه رسول الله ﷺ على رأسى، وهى على ثُلثى فرسخ، قالت: فجئت يومًا والنوى على رأسى، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه فدعا لى، ثم قال: «إخ إخ»، ليحملنى خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته، قالت: وكان من أغير الناس. قالت: فعرف رسول الله ﷺ أنى قد استحييت فمضى، فجئت الزبير فقلت: لقينى رسول الله ﷺ وعلى رأسى النوى، ومعه نفر من أصحابه، فأناخ لأركب معه، فاستحييت وعرفت غيرتك، فقال: والله لحملك النوى كان أشد علىَّ من ركوبك معه، قالت: حتى أرسل إلىَّ أبو بكر بعد ذلك بخادم، فكفتنى سياسة الفرس، فكأنما أعتقنى[4].

٩- تسمية الزبير أولاده بأسماء الصحابة الشهداء: من شدة حب الزبير، رضى الله عنه، للشهادة، كان أن سمى أولاده بأسماء الصحابة الشهداء، فقد روى هشام بن عروة عن أبيه

(١) فتوح مصر والمغرب: ص(٦١)، قادة فتح الشام ومصر: ص(٢٠٨-٢٢٦).
(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٥٥).
(٣) قادة فتح الشام ومصر، ص(٢٠٩-٢٢٧).
(٤) حياة الصحابة (٢/ ٦٩١)، أصحاب الرسول (١/ ٢٨١).

قال: قال الزبير: إنَّ طلحة يسمى بنيه بأسماء الأنبياء، وقد علم أنه لا نبيّ بعد محمد ﷺ، وإنّى أسمى بأسماء الشُّهداء لعلهم يستشهدون: عبد الله بعبد الله بن جحش، والمنذر بالمنذر ابن عمرو، وعروة بعروة بن مسعود، وحمزة بحمزة، وجعفر بجعفر بن أبى طالب، ومصعب بمصعب بن عمير، وعبيدة بعبيدة بن الحارث، وخالد بخالد بن سعيد، وعمرو بعمرو بن سعيد بن العاص قتل باليرموك(١).

١٠- إخفاء الطاعات عند الزبير: قال الزبير بن العوام -رضى الله عنه-: أيكم استطاع أن يكون له خبيئة من عمل صالح فليعمل(٢).

١١- ما قاله حسان بن ثابت من شعر فى مدح الزبير: مرّ الزبير بمجلس من أصحاب رسول الله ﷺ، وحسان ينشدهم من شعره، وهم غير نشاط لما يسمعون منه، فجلس معهم الزبير، ثم قال: مالى أراكم غير أذنين لما تسمعون من شعر ابن الفريعة؟ فلقد كان يعرض به رسول الله ﷺ، فيحسن استماعه، ويجزل عليه ثوابه، ولا يشتغل عنه، فقال حسان يمدح الزبير:

أقام على عهد النبى وهديه ... حواريه والقول بالفعل يُعدل
أقام على منهاجه وطريقه ... يوالى ولىَّ الحقّ والحقُّ أعدلُ
هو الفارس المشهور والبطل الذى ... يصول إذا ما كان يوم محجّلُ
إذا كشفت عن ساقها الحرب حَشّها ... بأبيض سباق إلى الموت يُرْقِل(٣)
وإن امرؤ كانت صفية أمَّهُ ... ومن أسد فى بيتها لَمُؤثَّل(٤)
له من رسول الله قُربى قريبة ... ومن نصرة الإسلام مجد مؤثَّل(٥)
فكم كربة ذب الزبير بسيفه ... عن المصطفى والله يعطى فيُجزل
ثناؤك خير من فعال معاشر ... وفعلك يا ابن الهاشمية أفضل(٦)

---

(١) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص(٥٠٥)، الطبقات (٣/١٠١).
(٢) الزهد لابن المبارك: ص(٣٩٢).
(٣) يرقل: يسرع: وهى سرعة سير الإبل.
(٤) فى الديوان، وعند الحاكم لمرفل: وهو العظيم المبجل.
(٥) سير أعلام النبلاء (١/٥٦).
(٦) المصدر نفسه (١/٥٧).

١٢- كـرم الزبير بن العـوام رضى الله عنه: روى عن عروة بن الزبيـر أنه قال: أوصى إلى الزبير سبعة مـن الصحابة منهم عثمان وابن مسعـود وعبد الرحمن، فكان ينفق على الورثة من ماله ويحفظ أموالهم(١).

وهذا مثل رفـيع من أمثلة الكرم والوفـاء، وهو يجسِّم المعانى السـامية فـى النفس حتى تبقى هى الماثلة فى الضـمير الحى، وتبعًا لـذلك يُسخِّر هذا الضميـر الحى كل ما يملك من أجل سيادة هذه المعانى، وقـد تجود النفس مرة ومرة ثم يعترضها شىء من الـفتور، فأما أن يتكفَّل مثل هذا الشهم السـخى بالنفقة على ورثة عدد من الصحـابة، ويحفظ لهم أموالهم فهو نموذج فريد فى عالم الواقع، ومؤشر مـهم من مؤشرات الرقى الأخلاقى لدى الصحابة رضى الله عنهم(٢).

١٣- وحـان وقت الرحيل.. وشـهـادة رسول الله له بدخـول الجنة: خرج الزبيـر بن العوام، رضى الله عنه، من مـعركة الجـمل فى الجولة الأولى وقـد بينّا الأسبـاب فى تركه لسـاحة المعركة، وعند خروجه من ساحة القتال كان يتمثل قول الشاعر:

تَرْكُ الأمـور التى أخـشى عـواقـبـهـا   فى الله أحـسن فى الدنـيـا وفى الدين

وقيل إنه أنشد:

ولقـــد علمتُ لو أن عــلمى نافــعى   أن الحـيـــاة من الممـــات قـــريب(٣)

وبعد خروجـه تبعه عمرو بن جـرموز وفضالة بن حابس ونفـيع فى طائفة من غواة بنى تميم فيقال: إنهم لما أدركوه تعاونوا عليه حتى قتلوه، ويقال بل أدركه عمرو بن جرموز فقال له عمـرو: إن لى إليك حاجة، فقـال: ادن، فقال مولى الزبيـر -واسمه عيطة-: إن مـعه سلاحًا. فقال: وإن، فتقدم إليه فجعل يحدثه وكان وقت الصلاة. فقال له الزبير: الصلاة. فقال: الصلاة، فتـقدم الزبير ليصلى بهما فطعنه عمرو بن جرمـوز فقتله. ويقال بل أدركه عمرو بوادٍ يقال له وادى السباع وهو نائم فى القائلة(٤)، فهجم عليه فقتله، وهذا هو القول الأشهر، ويشهد له شعر امرأته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكانت آخر من تزوجها، وكانت قـبله تحت عمـر بن الخطاب فقـتل عنها، وكـانت قبله تحت عبـد الله بن أبى بكر الصديق فقتل عنها، فلما قُتل الزبير رثته بقصيدة محكمة المعنى فقالت:

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ١٣١).
(٢) التاريخ الإسلامى (١٧/ ١٣١).
(٣) سير أعلام النبلاء (١/ ٦٠).
(٤) القائلة: وقت اشتداد حرّ الظهيرة.

غدرَ ابنُ جرموز بفارس بهمة ... يومَ اللقاء وكان غرّ معرد[1]

يا عمرو لو نبهته لوجدته ... لا طائشًا رعشَ الجنان[2] ولا اليد

ثكلتك أمُّكَ أن ظفرتَ بمثله ... ممن بقى ممن يروح ويغتدى

كمْ عمرة قد خاضها لم يثنه ... عنها طرادك يا ابن فقع العردد[3]

والله ربى إن قتلت لمسلمًا ... حلت عليك عقوبة المتعمد[4]

ولما قتله عمرو بن جرموز فاحتز رأسه وذهب به إلى عليّ، ورأى أن ذلك يحصل له به حظوة عنده فاستأذن فقال علي: بشّر قاتل ابن صفية بالنار، ثم قال علي: سمعت رسول الله يقول: «لكل نبي حواري وحواريّ الزبير»[5]، ولما رأى عليّ سيف الزبير قال: إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن وجه رسول الله[6]، وفي رواية: منع أمير المؤمنين على ابن جرموز من الدخول عليه، وقال: بشر قاتل ابن صفية بالنار[7]، ويقال: إن عمرو بن جرموز قتل نفسه في عهد علي، وقيل: بل عاش إلى أن تآمر مصعب بن الزبير على العراق فاختفى منه، فقيل لمصعب: إن عمرو بن جرموز ههنا وهو مختف، فهل لك فيه؟ فقال: مروه فليظهر فهو آمن، والله ما كنت لأقيد[8] للزبير منه، فهو أحقر من أن أجعله عدلاً للزبير[9].

هذا وقد أخبر الحبيب المصطفى أن الزبير سيموت شهيدًا، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء، فتحرك فقال رسول الله ﷺ: «اسكن حراء؛ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد» وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير رضى الله عنهم[10]، قال النووي: وفي هذا الحديث معجزات لرسول الله ﷺ، منها إخباره أن هؤلاء شهداء، وماتوا كلهم -غير النبي ﷺ وأبي بكر- شهداء، فإن عمر وعثمان وعليًا وطلحة والزبير -رضي الله عنهم- قُتلوا ظلمًا شهداء، فقتل الثلاثة مشهور، وقُتل الزبير بوادي السباع بقرب البصرة منصرفًا تاركًا للقتال، وكذلك طلحة اعتزل الناس تاركًا للقتال، فأصابه سهم فقتله، وقد ثبت أن من قُتل مظلومًا فهو شهيد[11]. قال الشعبي: أدركت

(١) معرد: المعرد: الصلب والشجاع.
(٢) الجنان: القلب.
(٣) البداية والنهاية (٧/ ٢٦١)، العردد: الصلب الشديد.
(٤) البداية والنهاية (٧/ ٢٦١).
(٥) فضائل الصحابة (٢/ ٩٢٠).
(٦) البداية والنهاية (٧/ ٢٦١).
(٧) الطبقات (٣/ ١٠٥) إسناده حسن، خلافة علي: ص(١٦٤) عبد الحميد.
(٨) أقيد: قود: القتل بالقاتل.
(٩) البداية والنهاية (٧/ ٢٦١).
(١٠) مسلم رقم (٢٤١٧)
(١١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ٢٧١).

خمسمائة أو أكثر من الصحابة يقولون: علىٌّ وعثمان وطلحة والزبير فى الجنة، قال الذهبى: قلت: لأنهم من العشرة المشهود لهم بالجنة، ومن البدريين ومن أهل بيعة الرضوان، ومن السابقين الأولين الذين أخبر الله تعالى أنه رضى عنهم ورضوا عنه، ولأن الأربعة قُتلوا، ورُزقوا الشهادة، فنحن محبون لهم باغضون للأربعة الذين قَتلوا الأربعة[1].

١٤- حرصه على أداء دَيْنه عند الموت: عن عبد الله بن الزبير قال: جعل الزبير يوم الجمل يوصينى بدَيْنه، ويقول: إن عجزت عن شىء منه فاستعن عليه بمولاى. قال: فوالله ما دريت ما أراد، حتى قلت: يا أبت من مولاك؟ قال: ما وقعت فى كربة من دين إلا قلت: يا مولى الزبير اقض عنه، فيقضيه، وإنما دينه الذى كان عليه: أن الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه إياه فيقول الزبير: لا ولكنه سلف فإنى أخشى عليه الضيعة. قال: فقتل ولم يدع ديناراً ولا درهمًا إلا أرضين، فبعتها -يعني وقضيت دينه- فقال بنو الزبير: اقسم بيننا ميراثنا. فقلت: والله لا أقسم بينكم حتى أنادى بالموسم أربع سنين: ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه، فجعل كل سنة ينادى بالموسم، فلما مضى أربع سنين قسم بينهم، وكان للزبير أربع نسوة، فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف. فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف[2]، وقول البخارى، رحمه الله، محمول على أن جملة المال حين الموت كانت ذلك دون الزائد فى أربع سنين دون القسمة[3]، وقد وقع فى تركته من البركة الشىء الكثير[4]، وبارك الله له فى أراضيه بعد موته، فوفى دينه وزاد عليه الشىء الكثير، وفى هذه القصة درس وعبر وفوائد:

أ- قول الزبير لابنه: يا بنى إن عجزت عن شىء منه فاستعن بمولاى؛ وهذا مثل من أمثلة اليقين الراسخ والإيمان القوى الذى ترتب عليه صدق التوكل على الله عز وجل، واللجوء إليه فى قضاء الحوائج وكشف الكربات، فالمؤمن الحق يعتقد جازمًا بأن كل شىء بيد الله جل وعلا، فإذا وقع فى ضائقة وكرب فإن أول ما يتبادر إلى ذهنه تصور وجود الله تعالى وهيمنته على كل شىء، وأن المخلوقين الذين يُشكلون طرفًا آخر فى قضيته إنما هم فى قبضة البارىء جل وعلا، وأن قلوبهم بيده سبحانه يصرفها كيف يشاء، فليلجأ إليه قبل كل شىء ويسأله قضاء حاجته وتفريج كربته، ثم يقوم بعمل الأسباب التى خلقها الله تعالى وجعلها موصلة إلى النتائج المطلوبة، مع الاعتقاد بأنها مجرد أسباب وأن الفاعل والمقدّر هو

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٦٢).
(٢) البخارى رقم (٣١٢٩).
(٣) شذرات الذهب (١/ ٢٠٩).
(٤) الإصابة لابن حجر (٢/ ٤٦١).

الله تعـالى، وأنه قادر على أن ينزع من الأسـباب قـوة التأثيـر فلا تؤدى إلى نتـائجـها[(١)] المعروفة.

ب- هل كان الزبيـر رضى الله عنه من الأثرياء؟ نرى النصَّ السابق ينطق بأن الزبير، رضى الله عنه، ما كـان من الأثرياء أصحاب الأموال المعـروفين المشهورين بذلك، بل كان يـشعر بالضائقة ويهمـه أمر ما فى ذمته من أموال وديون، وكان يخـشى ألا تفى أرضه وعقاره بما عليه من أموال، كـما ينطق هذا النص أيضًا بأن عبد الله بن الزبير مـا كان يخالف أباه فى توقعـه، بل كان يتوقع مـثله أن الديون تزيد على الأموال والأرض، يقول له أبوه: أفـترى يُبقى ديننًا من مالنا شيئًا؟ فلا يجد عـبد الله جوابًا لأبيه، ولو كان يتوقع غير ما توقع أبوه، لأجابه مطـمئنًا إياه فى هذا الوقت العـصيب، بأن الأمر غـير مـا يقدِّر ويتـوقَّع، بل تجده يجارى أباه صراحة فى توقعه، فيسـأله -عندما أشار عليه أن يستعين بمولاه-: من مولاك؟ فهو يتوقع أنه سيستعين به، ولا يزعمن زاعم بأن عبد الله لم يكن محيطًا بثروة أبيه، عارفًا بأملاكه، فإن عـبد الله كان فى ذلك الوقت فى سن الخامسـة والثلاثين، ومن يكن فى مثل هذه السن من شأنه أن يكون ظهـيرًا لأبيه عـالمًا بكل أحواله وأمواله، وبخاصـة إذا كان هو الابن الأكبر، وإن سؤال الزبير له: أفتُرى يُبقى ديننا من مـالنا شيئًا؟ يشهد بأن عبد الله كان على علم بأحوال أبيه وأمواله، بل إن عبد الله صرح بأن أمر قضاء الدين ما كان سهلاً ولا هينًا، فيقـول: فوالله ما وقعت فى كربة من دينه إلا قلت: يا مـولى الزبير، اقض عنه دينه فيقضيَه[(٢)]. ومما يشهد أيضًا بأن الزبير لم يكن مـعدودًا من الأغنياء وأصحاب الثروات وأن توقعه عن ديونه ونسبتها إلى أملاكـه كان فى موضعه ومحله، أن حكيم بن حزام رضى الله عنه -وهو ابن عم الزبير- تلقى عـبد الله بن الزبير فيقول له: مـا أراكم تطيقون هذا الذى عليكم من الديون فإن عجزتم عن شىء منه، فاستعينوا بى[(٣)]. ودليل رابع: يأتى عبد الله ابن جعفر رضى الله عنه لعبد الله بن الزبير- وكان له عند الزبير أربعمائة ألف -فيقول لابن الزبير: إن شئـتم تركتها لكم، قـال عبد الله بن الزبير: لا. قـال عبد الله بن جعـفر: فإن شئتم جعلتمـوها فيما تؤخرون إن أخرتم[(٤)]، فهذه شهادة اثنين من كبـار الصحابة يتوقعان عدم وفاء أمـلاك الزبير بما عليه من ديون ويعدانه ممن يحـتاج إلى عون ومسـاعدة، ثم هما ممن يعرف الزبير ويخالطه، ويطلع على أحواله، فـأحدهما حكيم بن حزام ابن عم الزبير، والآخر ابن خاله، فأم الزبير صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول ﷺ وهو يتعامل معه أخذًا

(١) التاريخ الإسلامى (٣٠٩/٢٠).

(٢)، (٣)، (٤) البخارى رقم (٣١٢٩).

وعطاء واقتراضًا وائتمانًا، فهـذه أدلة أربعة لا يرقى إليها الشك تنطق بأن الزبير، رضى الله عنه، ما كان من أصحاب الثروات[1]. وقد فشا فيما فشا عن ثروة الزبير وغناه الحديث عن عبيـده وخيوله؛ ففى بعض المصادر أنه كـان له ألف مملوك، وأن الألف مملوك كانوا يؤدون إليه الخراج كل يوم، فما يدخل إلى بيته منها درهم واحد، يتصدق بذلك جميعه[2]. لكن المستشرق الذائع الصيت «ول ديورانت» جعل الألف عـشرة آلاف، فقال: كان الزبير يمتلك عشرة آلاف عبد. ثم أضـاف إليها ألف جواد[3]، وبالطبع حذف المستـشرق (الذكى) خبر تصدق الزبير بخراج مماليكه[4]، وهذا الخبر لا يقف أمام رواية البخارى، إذ جاء فيها «فقتل الزبير ولـم يترك دينارًا ولا درهمًـا، إلا أرضين منها الغـابة، وإحدى عشـرة دارًا بالمدينة، ودارين بالبصرة، ودارًا بالكوفة، ودارًا بمصر[5]، فالرواية واضحة، وهى بأسلوب الحصر، وفى مقام الحديث عن هم الدين، والكُرب التى كانت فى سبيل سداده، فلو كان هناك ألف مملوك، لكان لها ذكر، ولثمنها قيـمة وقدر، ألا يساوى المملوك الواحد فى أقل تقدير ألفى درهم[6]، فيكون ثمن الممـاليك هو قيمـة الدين كله إلا قليلاً؟! هذا كله على فـرض أنها كانت ألفًا فقط، أما إذا أخذنا بشطحة ول ديورانت، وأنها عشرة آلاف مملوك، فمعنى ذلك نسف رواية البخارى من أساسـها، فإن عشرة آلاف مملوك وألف جواد يكفى ثمنهـا -مهما كان بخسًـا- أن يسدد ديونه، ويغرق ورثته فـى لجج الثراء، وما كان الزبيـر بحاجة إلى أن يقول لابنه: إن من أكبـر همى لَدَيْنِى. ولا أن يسأله: أفترى يُبقى ديننا من مـالنا شيئًا؟ ولا أن يوصيه: إذا أعجزك شىء من دينى، فاستعن عليه بمولاى[7].

إن الحديث عن سيرة الزبير وطلحة وعمرو بن العاص وأبى موسى الأشعرى وأم المؤمنين عائشة ينسجم مع أهداف الكتاب، من حيث الحديث عن سيرة أمير المؤمنين على وعصره، فهذه الشخصيـات تعتبر محورية فى الحديث عن عصر أميـر المؤمنين على، كما أن التشويه الذى لحق بهـا فى كتـب التاريخ والأدب يكون عنـد الحديث فى الفتن الداخلـية، فـبيـان سيـرتهم، وأخلاقهم وصفـاتهم واجب علينا، وحتى يخرج الـقارئ بمعرفة حـقيقيـة لهذه الشخصيـات، فلا يتأثر بالروايات الضعيـفة، ولا القصص الموضوعة التى وضعـها مورخو الشيعـة الرافضة والتى شوهت ثقـافة الناس عن هذه الشخـصيات العظيمة، فـالحديث عن

(١) الزبير بن العوام، الثورة والثروة، عبد العظيم الديب ص (٩).
(٢) سير السلف الصالحين (١/ ٢٢٧) فى إسناده ضعف.
(٣) الزبير بن العوام، الثروة والثورة ص(١١).
(٤) المصدر نفسه ص(١٣).
(٥) البخارى (٣١٢٩).
(٦) الزبير بن العوام، الثروة والثورة: ص(١٤).
(٧) البخارى رقم (٣١٢٩).

سيرة الزبير أو غيره من كبار الصحابة التى أسهمت فى الأحداث فى عهد أمير المؤمنين على رضى الله عنه ينسجم مع أهداف المؤلف التى أراد إيصالها للقـارىء من خلال دراسته لعهد الخلفاء الراشدين.

تاسعًا: سيرة طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه واستشهاده:

هو أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثـمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤى بن غالب القـرشى التيمى(١)، يجتمع مع النبى ﷺ فى مرة بن كعب، ومع أبى بكر الصديق فى تيم بن مرة، وعدد ما بينهم من الآباء سواء(٢)، وأمه -رضى الله عنه- الصـعبة بنـت الحضرمى امـرأة من أهل اليمن وهـى أخت العلاء بن الحـضرمى(٣)، أسلمت ولها صـحبة وظفرت بشـرف الهجرة(٤)، وطلحة -رضى الله عنه- أحـد العشرة الذين بشروا بالجنة، وأحـد الثمانية الذين سبـقوا إلى الإسلام وأحد الخمـسة الذين أسلموا على يد أبى بكر الصديق، رضى الله عنه، وأحد الستة أصحاب الشورى(٥).

١- إسلامه وابتلاؤه وهجرته: قال طلحة بن عبيد الله: حضرت سوق بصرى، فإذا راهب فى صومعتـه يقول: سلُوا أهل هذا الموسم، أفيهم أحد منْ أهل الحـرم؟ قال طلحة: نعم، أنا. فقال: هل ظهـر أحمد بعد؟ قلت: ومن أحـمد؟ قال: ابن عبد الله بـن عبد المطلب، هذا شهـره الذى يخرج فيه، وهو آخـر الأنبياء، ومخـرجه من الحرم ومهـاجره إلى نَخْل، وحرّة(٦) وسباخ(٧)، فإياك أن تُسبق إليـه. قال طلحة: فوقع ما قـال فى قلبى، فخرجت سريعًـا حتى قدمتُ مكة، فـقلت: هل كان من حدث؟ قالـوا: نعم، محمد بن عـبد الله الأمين تنبأ، وقد تبعـه ابن أبى قحافة. قال طلحة: فـخرجت حتى دخلت على أبى بكر، وقلت: أتبعت هذا الرجل؟ قال: نعم، فانطلق إليه، فادخل علـيه، فاتّبعه، فإنه يدعو إلى الحق وإلى الخير. وأخـبر طلحة أبا بكر بما قال الراهب، فخـرج أبو بكر بطلحة، فدخل به على رسول الله ﷺ فأسلم طلحة، وأخبر رسول الله ﷺ بما قال الراهب؛ فسـر رسول الله ﷺ فلمـا أسلم أبو بكر وطلحة بن عـبيـد الله، أخذهمـا نوفل بن خويلد بن العـدوية،

(١) الإصابة (٢/ ٢٢٠)، الاستيعاب لابن عبد البر على حاشية الإصابة (٢/ ٢١٠).

(٢) فتح البارى (٧/ ٨٢). (٣) الإصابة (٢/ ٢٢٠).

(٤) المصدر السابق (٤/ ٣٣٧)، فتح البارى (٧/ ٨٢).

(٥) المستدرك للحاكم (٣/ ٣٦٩)، عقيدة أهل السنة فى الصحابة (١/ ٢٢٨).

(٦) حرة: هى الأرض الغليظة ذات الحجارة السود النخرات.

(٧) سباخ: جمع سبخة، وهى أرض ذات نزّ وملح.

فشدّهما فى حبل واحد، ولم يمنعهما بنو تيم، وكان نوفل يُدعى أسد قريش ولذلك سُمّى أبو بكر وطلحة القرينين[1]، هذا وقد أوذى طلحة فى الله ولقى أذى كبيرًا من المشركين، ومن عشيرته الأقربين، وبقى طلحة -رضى الله عنه- صابرًا على الأذى والعذاب حتى أذن الله عز وجل بالهجرة، ولما ارتحل رسول الله ﷺ مهاجرًا إلى المدينة لقيه طلحة قادمًا من الشام فى عير، فكسا رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب الشام، ثم مضى طلحة إلى مكة حتى فرغ من تجارته، ثم خرج بعد ذلك بآل أبى بكر؛ فهو الذى قدم بهم المدينة، فطلحة من المهاجرين الأولين -رضى الله عنهم-[2]، ولما قدم المدينة آخى رسول الله بينه وبين أبى أيوب الأنصارى[3]، وقيل كعب بن مالك الأنصارى، حين آخى بين المهاجرين والأنصار[4].

٢- فى غزوة بدر: كان طلحة بن عبيد الله، رضى الله عنه، قد كُلف بتحسس عير قريش، وذلك لما تحيّن رسول الله ﷺ وصول عير من الشام لقريش، فقد بعث ﷺ طلحة وسعيد بن زيد، رضى الله عنهما، يأتيانه بالأخبار، فخرجا وبلغا الحوراء، فلم يزالا مقيمين هناك حتى مرت العير، فتساحلت، فعادا إلى المدينة بالأخبار، وكان رسول الله ﷺ قد خرج بالمسلمين فى غزوة بدر فأسرعا لينضما إلى الجيش، إلا أنهما لم يدركا المعركة، وضرب لهما رسول الله ﷺ بسهمهما وأجورهما، سهمًا كالمقاتلين، وأجرًا كالمجاهدين[5].

٣- فى غزوة أحد، أوجب طلحة رضى الله عنه: عن جابر قال: لما كان يوم أحد وولى الناس كان رسول الله ﷺ فى ناحية فى اثنى عشر رجلاً منهم طلحة، فأدركه المشركون، فقال النبى ﷺ: مَن للقوم؟ قال طلحة: أنا. قال: كما أنت، فقال رجل من الأنصار: أنا، فقاتل حتى قُتل. ثم التفت ﷺ، فإذا المشركون، فقال: مَن لهم؟ قال طلحة: أنا. قال: كما أنت، فقال رجل من الأنصار: أنا. قال: أنت، فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى بقى مع نبى الله (طلحة) فقال: من للقوم؟ قال طلحة: أنا. فقاتل طلحة قتال الأحد عشر، حتى قطعت أصابعه فقال: حسبى. فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة

(١) البداية والنهاية (٧/٢٥٨).
(٢) المصدر نفسه (٧/٢٥٨)، فرسان من عصر النبوة: ص(٢٢٥).
(٣) البداية والنهاية (٧/٢٥٨).
(٤) فرسان من عصر النبوة: ص(٢٢٥)، الاستيعاب لابن عبد البر.
(٥) الحاكم فى المستدرك (٣/٣٦٩)، الاستيعاب (٤١٨٨).

والناس ينظرون». ثم رد الله المشركين[1]، وعند أحمد: فقال له النبي ﷺ: «لو قلت بسم الله لرأيت يُبنى لك بها بيت في الجنة وأنت حيّ في الدنيا»[2]، وعن قيس بن حازم قال: رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي ﷺ يوم أحد[3]، وجُرح في تلك الغزوة تسعًا وثلاثين، أو خمسًا وثلاثين وشُلّت أصبعه -أي السبابة والتي تليها-[4]، وروى أبو داود الطيالسي عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أُحْد قال: ذلك اليوم كله لطلحة[5]، وعن عائشة وأم إسحاق بنتي طلحة قالتا: جُرح أبونا يوم أُحُد أربعًا وعشرين جراحة، وقع منها في رأسه شجةٌ مربعة، وقُطع نساه -يعني العرق- وشُلَّت أصبعه، وكان سائر الجراح في جسده وغلبه الغَشيُ -الإغماء- ورسول الله ﷺ يرجع به القهقرى؛ كلما أدركه أحد من المشركين، قاتل دونه حتى أسنده إلى الشعب[6]، حتى قال عنه ﷺ: «أوجب طلحة حين صنع برسول الله ما صنع»[7].

٤- شهيد يمشي على الأرض: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء، فتحرك. فقال رسول الله: «اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»، وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص -رضي الله عنهم[8] - فلما علم طلحة بأنه سيموت شهيدًا وذلك بعد أن سمع تلك البشرى من الحبيب المصطفى ﷺ ظل يبحث عن شهادته في مظانها، فشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ عدا غزوة بدر[9]، فقد كان في مهمة كلفه بها رسول الله ﷺ كما مرّ معنا، وقال عنه النبي ﷺ: «من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله»[10].

٥- من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه: عن موسى وعيسى ابني طلحة عن أبيهما أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابي جاء يسأل رسول الله عمن قضى نحبه من هو؟ فكانوا لا يجترئون على مسألته، يوقرونه ويهابونه، قال: فسأله الأعرابي فأعرض عنه، ثم

(١) السلسلة الصحيحة رقم (٢١٧١)، الحديث حسن بمجموع طرقه.
(٢) فضائل الصحابة رقم (١٢٩٤) إسناده صحيح.
(٣) البخاري رقم (٤٠٦٣).
(٤) البخاري (٧/ ٣٦١)، أصحاب الرسول (١/ ٢٦٤).
(٥) فتح الباري (٧/ ٣٦١).
(٦) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٢).
(٧) صحيح الجامع للألباني رقم (٢٥٤٠).
(٨) مسلم رقم (٢٤١٧).
(٩) أصحاب الرسول (١/ ٢٦٠).
(١٠) رواه الترمذي والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٦٢).

سأله فأعرض عنه، ثم إنى اطلعت من باب المسجد -يعنى طلحة- وعلىَّ ثياب خضر فلما رآنى رسول الله ﷺ قال: «أين السائل عمن قضى نحبه؟» قال الأعرابى: أنا يا رسول الله. قال: «هذا ممن قضى نحبه»[1].

٦- دفاعه عن إخوانه وإحسان الظن بهم: عن مالك بن أبى عامر، قال: جاء رجل إلى طلحة فقال: أرأيتك هذا اليمانى، هو أعلم لحديث رسول الله منكم -يعنى أبا هريرة- نسمع منه أشياء لا نسمعها منكم، قال: أما أن قد سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع، فلا أشك، وسأخبرك؛ إنّا كنا أهل بيوت، وكنا إنما نأتى رسول الله غُدوة وعشية، وكان مسكينًا لا مال له -أبو هريرة- إنما هو على باب رسول الله، فلا أشك أنه قد سمع ما لم نسمع، وهل تجد أحدًا فيه خير يقول على رسول الله ما لم يَقُلْ[2].

وفى هذه القصة درس مفيد فى الدفاع عن العلماء والفقهاء الصالحين.

٧- إنفاقه فى سبيل الله: عن قبيصة بن جابر قال: صحبت طلحة، فما رأيت أعطى لجزيل مالٍ من غير مسألة منه[3]، وعن موسى عن أبيه طلحة أنه أتاه مال من حضرموت سبعمائة ألف، فبات ليلته يتململ. فقال: ما ظنّ رجل بربه يبيت وهذا المال فى بيته؟ قالت: فأين أنت عن بعض أخلائك، فإذا أصبحت فادع بجفان وقصاع فقسمه. فقال لها: رحمك الله إنك موفقة بنت موفق، وهى أم كلثوم بنت الصديق، فلما أصبح دعا بجفان، فقسمها بين المهاجرين والأنصار، فبعث إلى علىّ منها بجفنة، فقالت له زوجته: أبا محمد، أما كان لنا فى هذا المال من نصيب؟ قال: فأين كنت منذ اليوم؟ فشأنك بما بقى. قالت: فكانت صرة فيها نحو ألف درهم[4]. وعن سُعدى بنت عوف المرية، قالت: دخلت على طلحة يومًا وهو خاثر[5]، فقلت: ما لك؟ لعل رابك من أهلك شىء؟ قال: لا والله، نعم خليلة المسلم أنتِ، ولكن مالٌ عندى قد غمَّنى. فقلت: ما يغُمُّك؟ عليك بقومك، قال: يا غلام ادع لى قومى، فقسمه فيهم، فسألت الخازن: كم أعطى؟ قال: أربعمائة ألف[6]، وعن الحسن البصرى أن طلحة بن عُبيد الله باع أرضًا له بسبعمائة ألفٍ فبات أرقًا من مخافة ذلك

---

(١) رواه الترمذى بإسناد حسن رقم (٣٧٤٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٧) إسناده حسن.

(٣) الحلية (١/ ٨٨)، سير أعلام النبلاء (١/ ٣٠).

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبى (١/ ٣٠، ٣١).

(٥) خاثر النفس: غير نشيط.

(٦) مجمع الزوائد (٩/ ١٤٨) قال الهيثمى: رواه الطبرانى ورجاله ثقات.

المال، حتى أصبح ففرقه[1]، وعن عليّ بن زيد قال: جاء أعرابى إلى طلحة يسأله، فتقرب إليه برحم فقال: إن هذه لرحم ما سألنى بها أحد قبلك، إن لى أرضًا قد أعطانى بها عثمان ثلاثمائة ألف فاقبضـها، وإن شئت بعتها من عثمان، ودفـعت إليك، الثمن فقال: الثمن، فأعطـاه وكان رضى الله عنه لا يدع أحـدًا من بنى تيم عائلاً إلا كـفاه وقضى ديـنه، وكان يرسل لعـائشة أم المؤمنين كل سنة بعـشرة آلاف[2]، إنه طلحـة الخير، وطـلحة الفـياض، وطلحة الجود[3]، وقد سماه رسول الله بالفياض لسعة عطائه وكثرة إنفاقه فى وجوه الخير، فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى موسى بن طلحـة أن طلحة نحر جزورًا وحفر بئرًا يوم ذى قرد[4]، فأطعـمهم وسقاهم فـقال النبى ﷺ «يا طلحة الفـياض». فسـمى طلحة الفياض[5].

٨- من فـرائد أقواله ودُرَر جـواهر كلامـه:فمن أقـواله: إن أقلّ عيب الرجل جـلوسه فى بيـته[6]، ومما حـفظ عنه قـوله: الكسـوة تظهـر النّعـمة، والإحـسـان إلى الخـادم يكبت الأعداء[7]. ولطلحـة -رضى الله عنه- آراء ثاقبـة وصحيـحة فى الناس، فكـان لا يشاور بخيلاً فى صلة، ولا جبانًا فى حرب[8].

٩- شهادة طلحة بن عـبيد الله رضى الله عنه:لما حضر يوم الجمل واجـتمع به علىٌّ فوعظه تأخر فوقـف فى بعض الصفوف، فجـاءه سهم غرب فوقع على ركـبته، وقيل فى رقـبته، والأول أشهر، وانتظم السـهم مع ساقه خاصرة الفـرس فجمح به حتى كاد يلقـيه، وجعل يقول: إلىَّ عباد الله، فأدركه مولى له فركب وراءه وأدخله البصرة فمات بدار فيها، ويقال: إنه مات بالمعـركة، وإن عليًا لما دار بين القـتلى رآه فجعل يمسح عن وجهـه التراب[9]، ثم قال: عـزيز علىّ أبا محمـد أن أراك مُجندلاً فى الأودية، ثم قال: إلى الله أشكو عُـجرى وبُجرى[10]، وترحم عليه وقال: ليتنى مِتُّ قبل هذا بعشرين سنة[11]، ولا شك أن طلحة ابن عبيد الله، رضى الله عنه، من أهل الجنة، فقـد روى الترمذى بإسناده إلى عبد الرحمن

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٢). (٢) المصدر نفسه (١/ ٣١).

(٣) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين: ص(٥٢٧). (٤) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٨).

(٥) ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر، النهاية (٤/ ٣٧).

(٦) المستدرك (٣/ ٣٧٤)، حـديث صحيح الإسناد ولم يخرجـه، مختصر تاريخ دمـشق (١١/ ٢٠٣)، يقصد أن العزلة بعد عن الاهتمام.

(٧)، (٨) فرسان من عصر النبوة، ص(٢٣٧). (٩) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٨).

(١٠) سرائرى وأحزانى التى تموج فى جوفى. (١١) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين (٥٢٨).

ابن عوف قال: قال رسول الله ﷺ: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلى في الجنة، وطلحة وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة في الجنة، والزبير وعبد الرحمن بن عوف في الجنة». ثم قال: وقد روى هذا الحديث عن عبد الرحمن بن حميد عن أبيه عن سعيد بن زيد عن النبي ﷺ نحو هذا[1]، ففي هذا الحديث منقبة واضحة لطلحة، رضى الله عنه، حيث شهد له النبي ﷺ أنه من أهل الجنة وأكْرِمْ بها من شهادة فإنها تضمنت الإخبار بسعادته في الدنيا والآخرة[2].

١٠- حفظ الله له بعد موته: إن الله حفظ جسد طلحة بن عبيد الله، رضى الله عنه، بعد موته، فقد فتح قبره بعد أكثر من ثلاثين عامًا، ونقلوه إلى مكان آخر، فلم يتغير منه إلا شعيرات في أحد شِقّي لحيته، فعن المثنى بن سعيد قال: أتى رجلٌ عائشة بنت طلحة فقال: رأيت طلحة في المنام فقال: قل لعائشة تحولني من هذا المكان، فإن النَّزَّ -الرطوبة أو الماء- قد آذاني. فركبت في حشمها، فضربوا عليه بناء واستثاروه. قال: فلم يتغير منه إلا شعيرات في أحد شِقي لحيته، أو قال: رأسه، وكان بينهما بضع وثلاثون سنة[3]، فرضى الله عن طلحة وسائر الصحابة أجمعين.

١١- سعد بن أبي وقاص يدعو على من يقع في عثمان وعليّ وطلحة والزبير رضى الله عنهم: عن سعيد بن المسيب أن رجلاً كان يقع في طلحة والزبير وعثمان وعليّ رضى الله عنهم فجعل سعد ينهاه ويقول: لا تقع في إخواني، فأبى، فقام فصلى ركعتين ثم قال: اللهم إن كان سخطًا لك فيما يقول، فأرني فيه اليوم آية واجعله عبرة، فخرج الرجل فإذا ببختي يشق الناس، فأخذه بالبلاط فوضعه بين كركرته[4] والبلاط، فسحقه حتى قتله. قال سعيد ابن المسيب: فأنا رأيت الناس يتبعون سعدًا ويقولون: هنيئًا لك أبا إسحاق أجيبت دعوتك[5].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٤٩)، الترمذى (٣٧٥٧) حديث حسن.
(٢) عقيدة أهل السنة (١/ ٢٩٣).
(٣) أصحاب الرسول (١/ ٢٧٠).
(٤) الكركرة: الصدر.
(٥) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٩).

المبحث الثاني

معركة صفين (٣٧ هـ)

أولاً: تسلسل الأحداث التي قبل المعركة:

١ - أم حبيبة بنت أبي سفيان ترسل النعمان بن بشير بقميص عثمان إلى معاوية وأهل الشام: لما قُتل عثمان، رضي الله عنه، أرسلت أم المؤمنين، أم حبيبة بنت أبي سفيان إلى أهل عثمان؛ أرسلوا إليّ بثياب عثمان التي قُتل فيها، فبعثوا إليها بقميصه مضرّجًا بالدم، وبخصلة الشعر التي نتفت من لحيته، ثم دعت النعمان بن بشير، فبعثته إلى معاوية، فمضى بذلك وبكتابها[1]، وجاء في رواية: خرج النعمان بن بشير ومعه قميص عثمان مضمخ بالدماء، ومعه أصابع نائلة التي أصيبت حين دافعت عنه بيدها[2]، وكانت نائلة بنت الفرافصة الكلبية زوج عثمان كلبية شامية[3]، فورد النعمان على معاوية بالشام، فوضعه معاوية على المنبر ليراه الناس، وعلق الأصابع في كم القميص يرفع تارة ويوضع تارة، والناس يتباكون حوله، وحث بعضهم بعضًا على الأخذ بثأره[4]، وجاء شرحبيل بن السمط الكندي وقال لمعاوية: كان عثمان خليفتنا، فإن قويت على الطلب بدمه وإلا فاعتزلنا[5]. وآلى رجال الشام أن لا يمسوا النساء ولا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان ومن عرض دونهم بشيء أو تفنى أرواحهم[6]، وكان ذلك ما يريده معاوية، فقد كانت الصورة التي نقلها النعمان بن بشير إلى أهل الشام بشعة؛ مقتل الخليفة، سيوفًا مصلتة من الغوغاء على رقاب الناس، بيت المال منتهكًا مسلوبًا، وأصابع نائلة مقطوعة، فهاجت النفوس والعواطف، واهتزت المشاعر، وتأثرت بها القلوب، وذرفت منها العيون، ولا غرابة بعد هذا إطلاقًا أن نرى إصرار معاوية ومن معه من أهل الشام بالإصرار على المطالبة بدم عثمان، وتسليم القتلة للقصاص قبل البيعة، وهل نتصور أن يتم مقتل أمير المؤمنين وسيد المسلمين من حاقدين محتلين متآمرين، ولا يتماوج العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه للقصاص من أصحاب هذه الجريمة البشعة؟![7]

(١) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين: ص(٥٣٩).
(٢) البداية والنهاية (٧/ ٥٣٩).
(٣) تاريخ الدعوة الإسلامية، محمد جميل: ص(٣٩٨).
(٤) البداية والنهاية (٧/ ٥٣٩) سندها ضعيف.
(٥) الأنساب (٤/ ٤١٨)، تاريخ الدعوة الإسلامية: ص(٣٩٨).
(٦) تاريخ الطبري (٥/ ٦٠٠).
(٧) معاوية بن أبي سفيان للغضبان: ص(١٧٨-١٨٣).

٢- دوافع معاوية فى عدم البيعة: كان معاوية، رضى الله عنه، واليًا على الشام فى عهد عمر وعثمان، رضى الله عنهما، ولما تولى الخلافة علىٌّ أراد عزله وتولية عبد الله بن عمر، فاعتذر ابن عمر، فأرسل علىٌّ سهل بن حنيف بدلاً منه، إلا أنه ما كاد يصل مشارف الشام (وادى القرى) حتى عاد من حيث جاء، إذ لقيته خيل لمعاوية عليها حبيب بن مسلمة الفهرى، فقالوا له: إن كان بعثك عثمان فحيهلا بك وإن كان بعثك غيره فارجع[1]. لقد امتنع معاوية وأهل الشام عن البيعة ورأوا أن يقتص على -رضى الله عنه- من قتلة عثمان ثم يدخلون البيعة[2]، وقالوا: لا نبايع من يؤوى القتلة[3]، وتخوّفوا على أنفسهم من قتلة عثمان الذين كانوا فى جيش على، فرأوا أن البيعة لعلى لا تجب عليهم ، وأنهم إذا قوتلوا على ذلك كانوا مظلومين، قالوا: لأن عثمان قتل مظلومًا باتفاق المسلمين، وقتلته فى عسكر على، وهم غالبون لهم شوكة، فإذا بايعنا ظلمونا واعتدوا علينا وضاع دم عثمان. وكان معاوية -رضى الله عنه- يرى أن عليه مسئولية الانتصار لعثمان والقود من قاتليه، فهو ولى دمه، والله يقول: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣]، لذلك جمع معاوية الناس، وخطبهم بشأن عثمان وأنه قتل مظلومًا على يد سفهاء منافقين لم يقدروا الدم الحرام، إذ سفكوه فى الشهر الحرام فى البلد الحرام، فثار الناس، واستنكروا وعلت الأصوات -وكان منهم عدد من أصحاب رسول الله ﷺ، فقام أحدهم -واسمه مرة بن كعب- فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما تكلمت، وذكر الفتن فقربها، فمر رجل متقنع فى ثوب، فقال: هذا يومئذ على الهدى، فقمت إليه، فإذا هو عثمان بن عفان، فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال: نعم[4].

وهناك حديث آخر له تأثيره فى طلب معاوية القود من قتلة عثمان وكان منشطًا ودافعًا قويًا للتصميم على تحقيق الهدف، وهو: عن النعمان بن بشير عن عائشة، رضى الله عنها، قالت: أرسل رسول الله ﷺ. فكان من آخر كلمة أن ضرب منكبه، فقال: **«يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصًا، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى»** ثلاثًا، فقلت لها: يا أم المؤمنين فأين كان هذا عنك؟ قالت: نسيته والله ما ذكرته، قال: فأخبرته معاوية ابن أبى سفيان فلم يرض بالذى أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين أن اكتبى إلى به، فكتبت إليه به كتابًا[5].

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٦٦).
(٢) البداية والنهاية (٧/ ١٢٩).
(٣) العواصم من القواصم: ص(١٦٢).
(٤) صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٢٤).
(٥) مسند أحمد رقم (٢٤٠٤٥)، حديث صحيح.

لقد كان الحـرص الشديد على تنفيذ حكم الله فى القتلة الـسبب الرئيسى فى رفض أهل الشام بزعامة معاوية بن أبى سفيان بيعة على بن أبى طالب، ورأوا أن تقديم حكم القصاص مقدم على البيعة، وليس لأطماع معاوية فى ولاية الشام، أو طلبه ما ليس له بحق، إذ كان يدرك إدراكًا تامًا أن هذا الأمر فى بقية الـستة من أهل الشورى، وأن عليًا أفضل منه وأولى بالأمر منه[1]، وقد انعقدت البيعة له بإجماع الصحابة بالمدينة، وكان اجتهاد معاوية يخالف الصواب.

٣- معاوية يرد على أمير المؤمنين عليّ رضى الله عنهما: بعث على رضى الله عنه كتبًا كثيرة إلى معاوية فلم يرد عليه جوابها، وتكرر ذلك مرارًا إلى الشـهر الثالث من مقتل عثمان فى صفر، ثم بعث معاوية طُومارًا[2] مع رجل، فدخل به على عليّ فقال له على: ما وراءك؟ قال: جئتك من عند قوم لا يريدون إلا القَوَد[3]، كلهم موتور[4]، تركت ستين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان، وهـو على منبر دمشق، فقال على: اللهم إنىّ أبرأ إليك من دم عثمان. ثم خرج رسول معاوية من بين يدى على فهمٍّ به أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان يريدون قتله، فما أفلت إلا بعد جهد[5].

٤- تجهيز أمير المؤمنين على لـغزو الشام واعتراض الحسن على ذلك: بعد وصول رد معاوية لأميـر المؤمنين على، عزم الخليـفة على قتـال أهل الشام، كتب إلـى قيس بن سعـد بمصر يستنفـر الناس لقتـالهم، وإلى أبى موسى بالكوفـة، وبعث إلى عثمـان بن حُنيف بذلك، وخطب الناس فحثّهم على ذلك، وعزم على التجهز، وخرج من المدينة، واستخلف عليها قُثم بن العباس، وهـو عازم أن يقاتل بمن أطاعه من عصاه وخرج عن أمـره ولم يبايعه مع الناس، وجاء إليه ابنه الحـسن بن على فقال: يا أبه دَعْ هذا فإنّ فيـه سفك دماء المسلمين، ووقوع الاختلاف بينهم، فلم يقبل منه ذلك، بل صـمم على القتال، ورتّب الجيش، فدفع اللواء إلى محمـد ابن الحنفية، وجعل ابن العـباس على الميمنة، وعمـر بن أبى سلمة على الميسرة، وقيل: جعل على الميسرة عمرو بن سفـيان بن عبد الأسد، وجعل على مقدمته أبا ليلى ابن عمر بن الجراح ابن أخى أبى عبيـدة، واستخلف على المدينة قثم بن العباس، ولم يبق شىء إلا أن يخرج من المدينة قاصدًا الشـام، حتى جاءه ما شغله عن ذلك[6]، وقد تم تفصيل ذلك من خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة إلى معركة الجمل.

---

(١) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على: ص(١١٢).

(٢) الطومار: الصحيفة.

(٣) القود: القاتل بالقتيل.

(٤) الموتور: صاحب الثأر.

(٥) البداية والنهاية (٧/ ٢٤٠).

(٦) البداية والنهاية (٧/ ٢٤٠، ٢٤١).

٥- بعد معركة الجمل أرسل أمير المؤمنين عليٌّ جرير بن عبد الله إلى معاوية: ذُكر أن المدة بين خلافة أمير المؤمنين على إلى فتنة السبئية الثانية أو ما يُسمى البصرة أو معركة الجمل، خمسة أشهر وواحد وعشرون يومًا، وبين دخوله الكوفة شهر، وبين ذلك وخروجه إلى صفين ستة أشهر(١)، وروى شهران أو ثلاثة(٢) وقد كان دخول أمير المؤمنين الكوفة يوم الإثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين، فقيل له: انزل بالقصر الأبيض، فقال: لا، إن عمر الخطاب كان يكره نزوله، فأنا أكره لذلك، فنزل فى الرحبة وصلى بالجامع الأعظم ركعتين ثم خطب الناس فحثهم على الخير، ونهاهم عن الشر، ومدح أهل الكوفة فى خطبته هذه، ثم بعث إلى جرير بن عبد الله وكان على همذان من زمان عثمان، وإلى الأشعث بن قيس وهو على نيابة أذربيجان من أيام عثمان يأمرهما أن يأخذا البيعة له على من هُنالك ثم يُقبلان إليه، ففعلا ذلك، فلما أراد على أن يبعث إلى معاوية -رضى الله عنه- يدعوه إلى بيعته، قال جرير بن عبد الله البجلى: أنا أذهب إليه يا أمير المؤمنين، فإنّ بينى وبينه وُدًا، فآخذ لك البيعة منه، فقال الأشتر: لا تبعثه يا أمير المؤمنين، فإنى أخشى أن يكون هواه معه. فقال على: دعه. فبعثه وكتب معه كتابًا إلى معاوية يعلمه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته، ويخبره بما كان فى وقعة الجمل، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس، فلمّا انتهى إليه جرير بن عبد الله، أعطاه الكتاب وطلب معاوية عمرو بن العاص ورءوس أهل الشام فاستشارهم، فأبوا أن يبايعوا حتى يقتل قتلة عثمان، أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان، وإن لم يفعل قاتلوه ولم يبايعوه حتى يقتلهم عن آخرهم، فرجع جرير إلى على فأخبره بما قالوا، فقال الأشتر: ألم أنْهك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريرًا؟ فلو كنت بعثتنى لما فتح معاوية بابًا إلا أغلقته. فقال له جرير: لو كنت ثمّ لقتلوك بدم عثمان، فقال الأشتر: والله لو بعثتنى لم يُعْيِنِى جواب معاوية، ولأعجلنّه عن الفكرة، ولو أطاعنى فيك أمير المؤمنين لحبسك وأمثالك حتى يستقيم أمر هذه الأمَّة. فقام جرير مُغْضبًا فأقام بقرقيسياء، وكتب إلى معاوية يخبره بما قال وقيل له، فكتب إليه معاوية يأمره بالقدوم عليه(٣)، وهكذا كان الأشتر سببًا فى إبعاد الصحابى جرير بن عبد الله الذى كان واليًا على قرقيسياء وعلى غيرها ورأسًا فى قبيلته بجيلة، ويضطره إلى مفارقة أمير المؤمنين على. وهذا الصحابى جرير بن عبد الله البجلى قال: ما رآنى رسول الله ﷺ إلا

(١) مروج الذهب (٢/ ٣٦٠).
(٢) التاريخ الصغير للبخارى (١/ ١٠٢).
(٣) البداية والنهاية (٧/ ٢٦٥).

تبسم في وجهي، وقال ﷺ: «يطلع عليكم من هذا الباب رجل من خير ذي يمن، على وجهه مسحةُ مَلَك»[1].

٦- مسير أمير المؤمنين إلى الشام: استعد أمير المؤمنين على لغزو الشام، فبعث يستنفر الناس[2]، وجهز جيشًا ضخمًا اختلفت الروايات في تقديره، وكلها روايات ضعيفة[3] إلا رواية واحدة حسنة الإسناد ذكرت أنه سار في خمسين ألفًا[4].

وكان مكان تجمع جند أمير المؤمنين بالنخيلة[5]، وهو على ميلين من الكوفة آنذاك، فتوافدت عليه القبائل من شتى إقليم العراق[6]، واستعمل أمير المؤمنين عليٌّ أبا مسعود الأنصارى، وبعث من النخيلة زياد بن النضر الحارثى طليعة في ثمانية آلاف مقاتل، وبعث شريح بن هانئ في أربعة آلاف، ثم خرج على رضى الله عنه بجيشه إلى المدائن (بغداد) فانضم إليه فيها من المقاتلة وولى عليها سعد بن مسعود الثقفى، ووجه منها طليعة في ثلاثة آلاف إلى الموصل[7]،وسلك رضى الله عنه طريق الجزيرة الرئيسى على شط الفرات الشرقى حتى بلغ قرب قرقيسياء[8]، فأتته الأخبار بأن معاوية قد خرج لملاقاته وعسكر بصفين، فتقدم على إلى الرقة[9]، وعبر منها الفرات غربًا ونزل على صفين[10].

٧- خروج معاوية إلى صفين: كان معاوية جادًا في مطاردة قتلة عثمان، رضى الله عنه، فقد استطاع أن يترصد بجماعة ممن غزوا المدينة من المصريين أثناء عودتهم وقتلهم، ومنهم أبو عمرو بن بديل الخزاعى[11]، ثم كانت له أيد في مصر وشيعة في أهل «خربتا» تطالب بدم عثمان، رضى الله عنه، وقد استطاعت هذه الفرقة إيقاع الهزيمة بمحمد بن أبى حذيفة في عدة مواجهات عام ٣٦ هـ، كما استطاع أيضًا أن يوقع برءوس مدبرى ومخططى غزو

(١) مسلم رقم (٢٤٧٥).
(٢) الإصابة (١/ ١٢٣، ١٢٤) نقلاً عن الحاكم بسند حسن.
(٣) من قال: مائة وخمسون ألفًا أو يزيدون، البداية والنهاية (٧/ ٢٦٠)، مائة وعشرون ألفًا، المعرفة والتاريخ (٣/ ١٣) بسند منقطع، وقدر بتسعين ألفًا، تاريخ خليفة بن خياط: ص(١٩٣).
(٤) تاريخ خليفة: ص(١٩٣) بسند حسن.
(٥) موقع قرب الكوفة من جهة الشام، معجم البلدان (٥/ ٢٧٨).
(٦) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد: ص(١٨٨).
(٧) تاريخ الطبرى (٥/ ٦٠٣) بسند حسن إلى عوانة منقطعًا.
(٨) قرقيسياء: بلد يقع على نهر الخابور عند مصبه في الفرات -معجم البلدان (٤/ ٣٢٨).
(٩) الرقة: مدينة مشهورة -في سوريا اليوم- على نهر الفرات الشرقى، معجم البلدان (٣/ ١٥٣).
(١٠) تاريخ الطبرى (٥/ ٦٠٤).
(١١) المحن لأبى العرب التميمى: ص(١٢٤)، خلافة على، عبد الحميد: ص(١٩١).

المدينة من المصريين، مثل عبد الرحمن بن عديسى، وكنانة بن بشر، ومحمد بن حذيفة، فحبسهم فى فلسطين، وذلك فى الفترة التى سبقت خروجه إلى صفين، ثم قتلهم فى شهر ذى الحجة عام ٣٦ هـ[١]، وعندما علم معاوية بتحرك جيش العراق جمع مستشاريه من أعيان أهل الشام، وخطب فيهم وقال: إن عليًا نهد إليكم فى أهل العراق. . فقال ذو الكلاع الحميرى: عليك امرأى وعلينا امفعال[٢] [٣].

وكان أهل الشام قد بايعوا معاوية على الطلب بدم عثمان، رضى الله عنه، والقتال[٤]، وقد قام عمرو بن العاص، رضى الله عنه، بتجهيز الجيش وعقد الألوية، وقام فى الجيش خطيبًا يحرضهم، فقال: إن أهل العراق قد فرقوا جمعهم وأوهنوا شوكتهم، وفلوا حدهم، ثم إن أهل البصرة مخالفون لعلى قد وترهم وقتلهم، وقد تفانت صناديد أهل الكوفة يوم الجمل، وإنما سار فى شرذمة قليلة، ومنهم من قد قتل خليفتكم، فالله الله فى حقكم أن تضيعوه وفى دمكم أن تبطلوه[٥]، وسار معاوية فى جيش ضخم، اختلفت الروايات فى تقديره، وكلها روايات منقطعة أسانيدها، وهى عين الروايات التى قدرت جيش على رضى الله عنه، فقدر بمائة ألف وعشرين ألفًا[٦]، وقدر بسبعين ألف مقاتل، وقدر بأكثر من ذلك بكثير[٧]، إلا أن الأقرب للصواب أنهم ستون ألف مقاتل، فهى وإن كانت منقطعة الإسناد إلا أن راويها صفوان بن عمرو السكسى، حمصى من أهل الشام ولد عام (٧٢ هـ) وهو ثبت ثقة، وقد أدرك خلقًا ممن شهد صفين، كما يتبين من دراسة ترجمته[٨]، والإسناد إليه صحيح[٩]، وكان قادة جيش معاوية على النحو التالى: عمرو بن العاص على خيول أهل الشام كلها، والضحاك بن قيس على رجالة الناس كلهم، وذو الكلاع الحميرى على ميمنة الجيش، وحبيب بن مسلمة على ميسرة الجيش، وأبو الأعور السلمى على المقدمة. هؤلاء هم القادة الكبار وتحت كل قائد من هؤلاء قادة وزعوا حسب القبائل، وكان هذا الترتيب

(١) خلافة على، عبد الحميد: ص(١٩١).

(٢) لغة حمير فى إبدال لام (أل) التعريف ميمًا؛ أى: عليك الرأى وعلينا الفعال.

(٣) الإصابة (١/ ٤٨٠)، خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد: ص(١٩٢).

(٤) أنساب الأشراف (٢/ ٥٢) بسند منقطع، خلافة على: ص(١٩٢).

(٥) تاريخ الطبرى (٥/ ٦٠١) بسند منقطع.

(٦) خلافة على بن أبى طالب: ص(١٩٤)، المعرفة والتاريخ (٣/ ٣١٣).

(٧) خلافه على: ص(١٩٤)، تاريخ خليفة: ص(١٩٣). (٨) سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٨٠).

(٩) خلافة على بن أبى طالب: ص(١٩٤).

عند مسيرهم إلى صفين، ولكن أثناء الحرب تغير بعض القادة وظهر قادة آخرون مما اقتضته الظروف، ولعل هذا يكون السبب فى اختلاف أسماء القادة فى بعض المصادر(١).

وبعث معاوية أبا الأعور السلمى مقدمة للجيش، وكان خط سيرهم إلى الشمال الشرقى من دمشق، ولما بلغ صفين أسفل الفرات، عسكر فى سهل فسيح، إلى جانب شريعة فى الفرات، ليس فى ذلك المكان شريعة غيرها، وجعلها فى حيزه(٢).

٨- **القتال على الماء:** وصل جيش على رضى الله عنه إلى صفين، حيث عسكر معاوية، ولم يجد موضعًا فسيحًا سهلاً يكفى الجيش، فعسكر فى موضع وعر نوعًا ما؛ إذ أغلب الأرض صخور ذات كدى وأكمات(٣)، فوجىء جيش العراق بمنع معاوية عنهم الماء، فهرع البعض إلى على رضى الله عنه يشكون إليه هذا الأمر، فأرسل على إلى الأشعث بن قيس فخرج فى ألفين ودارت أول معركة بين الفريقين انتصر فيها الأشعث واستولى على الماء(٤)، إلا أنه قد وردت رواية تنفى وقوع القتال من أصله مفادها أن الأشعث بن قيس جاء إلى معاوية فقال: الله الله يا معاوية فى أمة محمد ﷺ! هبوا أنكم قتلتم أهل العراق، فمن للبعوث والذرارى؟ إن الله يقول: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩] قال معاوية: فما تريد؟ قالوا: خلوا بيننا وبين الماء. فقال لأبى الأعور: خلٍّ بين إخواننا وبين الماء(٥). وقد كان القتال على الماء فى أول يوم تواجها فيه فى بداية شهر ذى الحجة فاتحة شر على الطرفين المسلمين، إذ استمر القتال بينهما متواصلاً طوال هذا الشهر، وكان القتال على شكل كتائب صغيرة، فكان على رضى الله عنه يخرج من جيشه كتيبة صغيرة يؤمر عليها أميرًا، فتقتتلان مرة واحدة فى اليوم، فى الغداة أو العشى، وفى بعض الأحيان تقتتلان مرتين فى اليوم، وكان أغلب من يخرج من أمراء الكتائب فى جيش على، الأشتر، وحجر بن عدى، وشبث بن ربعى، وخالد بن المعتمر، ومعقل بن يسار الرياحى، ومن جيش معاوية أغلب من يخرج، حبيب بن مسلمة، وعبد الرحمن بن خالد ابن الوليد، وعبيد الله بن عمر بن الخطاب، وأبو الأعور السلمى، وشرحبيل بن السمط،

(١) امتداد العرب فى صدر الإسلام صالح العلى: ص(٧٣)، خلافة على: ص(١٩٤).
(٢) صفين، نصر بن مزاحم: ص(١٦٠، ١٦١).
(٣) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد: ص(١٩٦)، النصر المبين.
(٤) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٢٤) بسند حسن.
(٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤١)، مرويات أبى مخنف: ص(٢٩٦).

وقد تجنبوا القتال بكامل الجيش خشية الهلاك والاستئصال، وأملاً فى وقوع صلح بين الطرفَين، تصان به الأرواح والدماء(١).

٩- **الموادعة بينهما ومحاولات الصلح:** ما إن دخل شهر المحرم، حتى بادر الفريقان إلى الموادعة والهدنة طمعًا فى صلح يحفظ دماء المسلمين، فاستغلوا هذا الشهر فى المراسلات بينهم، ولكن المعلومات عن مراسلات هذه الفترة -شهر المحرم- وردت من طرق ضعيفة(٢)، مشهورة، إلا أن ضعفها لا ينفى وجودها، كان البادئ بالمراسلة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه، فأرسل بشير بن عمرو الأنصارى، وسعيد بن قيس الهمدانى، وشبث بن ربعى التميمى إلى معاوية، رضى الله عنه، يدعوه كما دعاه من قبل إلى الدخول فى الجماعة والمبايعة، فرد معاوية عليه برده السابق المعروف، بتسليم قتلة عثمان أو القود منهم أولاً، ثم يدخل فى البيعة، وقد تبين لنا موقف على من هذه القضية(٣)، كما أن قراء الفريقين، قد عسكروا فى ناحية من صفين، وهم عدد كبير، قد قاموا بمحاولات للصلح بينهما، فلم تنجح تلك المحاولات لالتزام كل فريق منهما برأيه وموقفه(٤)، وقد حاول اثنان من الصحابة، وهما أبو الدرداء، وأبو أمامة، رضى الله عنهما، الصلح بين الفريقين، فلم تنجح مهمتهما أيضًا لنفس الأسباب السابقة، فتركا الفريقين ولم يشهدا معهما أمرهما(٥)، وكذلك حضر مسروق بن الأجدع -أحد كبار التابعين- فوعظ، وخوف ولم يقاتل(٦).

وقد انتقد ابن كثير التفصيلات الطويلة التى جاءت فى روايات أبى مخنف ونصر بن مزاحم، بخصوص المراسلات بين الطرفين فقال: «. . . ثم ذكر أهل السير كلامًا طويلاً جرى بينهم وبين على، وفى صحة ذلك عنهم وعنه نظر، فإن فى مطاوى ذلك الكلام من على ما ينتقص فيه معاوية وأباه، وأنهما إنما دخلا فى الإسلام ولم يزالا فى تردد فيه، وغير ذلك، وأنه قال فى ذلك: لا أقول إن عثمان قُتل مظلومًا ولا ظالمًا؛ . . وهذا عندى لا يصح من على رضى الله عنه»(٧)، وموقف على رضى الله عنه من قتل عثمان واضح وقد بينته فى كتابى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه، وفى هذا الكتاب.

(١) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد ص١٩٧، ١٩٨، البداية والنهاية (٧/ ٢٦٦)، تاريخ الطبرى (٥/ ٦١٤).

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٦١٢، ٦١٣)، خلافة على بن أبى طالب: ص(١٩٩).

(٣) تاريخ الطبرى (٥/ ٦١٣)، خلافة على بن أبى طالب: ص(١٩).

(٤) المصدر نفسه (٥/ ٦١٤).

(٥) البداية والنهاية (٧/ ٢٧٠).

(٦) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٧) بدون إسناد.

(٧) البداية والنهاية (٧/ ٢٦٩).

ثانيًا: نشوب القتال:

عـادت الحرب على مـا كانت علـيه فى شـهر ذى الحـجة مـن قتـال الكتائب والفـرق والمبارزات الفـردية، خشيـة الالتحام الكلى إلى أن مـضى الأسبوع الأول منه، وكـان عدد الوقعات الحربية بين الـفريقين إلى هذا التاريخ أكثر من سبعين وقعـة، وذكر أنها تسعون[1] إلا أن عليًا أعلن فى جيشـه أن غدًا الأربعاء سيكون الالتحام الكلى لجـميع الجيش، ثم نبذ معاوية يخـبره بذلك[2]، فثار الناس فى تلـك الليلة إلى أسلحتهم يصلحونهـا ويحدونها، وقام عمرو بن العاص بإخراج الأسلحة من المخازن لمن يحتاج من الرجال ممن فل سلاحه، وهو يحرض الناس على الاسـتبسال فى القـتال[3]، وبات جمـيع الجيشين فى مـشاورات وتنظيم للقيادات والألوية.

١- اليوم الأول: أصبح الجـيشان فى يوم الأربعـاء قد نظمت صـفوفهم ووزعـوا حسب التوزيع المتـبع فى المعارك الكبرى: قلب وميـمنة وميسـرة، فكان جيش على رضى الله عنه على النحو التالى[4]: على بن أبى طالب على القلب، وعبد الله بن عـباس على الميسرة، وعمار بن ياسر على الرجالة، ومحمد ابن الحنفـية، حامل الراية، وهشام بن عتبة (المرقال) حامل اللواء، والأشعث بن قيس على الميمنة. وأما جيش الشام، فمعاوية فى كتيبة الشهباء أصحاب البيض والدروع على تل مرتفع، وهو أميـر الجيش، وعمرو بن العاص قائد خيل الشام كلها، وذو الكلاع الحميرى على الميمنة على أهل اليـمن، وحبيب بن مسلمة الفهرى على الميسرة على مضر، والمخـارق بن الصباح الكلاعى حامل اللواء[5]، وتقابلت الجيوش الإسلامـية، ومن كثـرتها قـد سدت الأفق. ويقول كـعب بن جعيل التـغلبى أحد شـعراء العرب[6] وذلك عندمـا رأى الناس فى ليلة الأربعـاء وقـد ثبتـوا إلى نبـالهم وسـيوفـهم يصلحونها استعْدادًا لهذا اليوم:

أصبـحت الأمـة فى أمـر عـجب ... والملك مـجمـوع غـدًا لمن غلب

فـقلت قـولاً صـادقًـا غـير كـذب ... إن غـدًا تهلـك أعـلام العـرب[7]

---

(١) الأنباء بتواريخ الخلفاء: ص(٥٩)، صفين: ص(٢٠٢)، شذرات الذهب (١/ ٤٥).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٧٣). (٣) سنن سعيد بن منصور (٢/ ٢٤٠) ضعيف.

(٤)، (٥) تاريخ خليفة بن خياط: ص(١٩٣) بسند حسن إلى شاهد عيان.

(٦) شاعر تغلب فى عصره، مـخضرم، شهد صفين مع معاوية، وهو شاعر معـاوية بن أبى سفيان وأهل الشام، الأعلام للزركلى (٦/ ١٨٠).

(٧) البداية والنهاية (٧/ ٢٧٣)، تاريخ الطبرى (٥/ ٦٢٦).

وتذكر بعض الروايات الضعيفة أن عليا خطب في جيشه، وحرضهم على الصبر والإقدام والإكثار من ذكر الله[1]، وتذكر أيضًا أن عمرو بن العاص قد استعرض جيشه، وأمرهم بتسوية الصفوف وإقامتها[2]، وهذه الروايات لا يوجد مانع من الأخذ بها، لأن كل قائد يحرض جيشه ويحمسه، ويهتم بكل ما يؤدى به إلى النصر. والتحم الجيشان فى قتال عنيف، استمر محتدمًا إلى غروب الشمس لا يتوقف إلا لأداء الصلاة، ويصلى كل فريق فى معسكره وبينهما جثث القتلى فى الميدان تفصل بينهما، وسأل أحد أفراد جيش علىٍّ رضى الله عنه حين انصرافه من الصلاة، فقال: ما تقول فى قتلانا وقتلاهم يا أمير المؤمنين؟ فقال: من قتل منا ومنهم يريد وجه الله والدار الآخرة دخل الجنة[3]. وقد صبر بعضهم على بعض فلم يغلب أحد أحدًا، ولم ير موليًا حتى انتهى ذلك اليوم. وفى المساء خرج على رضى الله عنه إلى ساحة القتال فنظر إلى أهل الشام، فدعا ربه قائلاً: اللهم اغفر لى ولهم[4].

٢- **اليوم الثانى:** فى يوم الخميس تذكر الروايات أن عليًا رضى الله عنه قد غلس بصلاة الفجر واستعد للهجوم، وغيَّر بعض القيادات، فوضع عبد الله بن بديل الخزاعى على الميمنة بدلاً من الأشعث بن قيس الكندى الذى تحول إلى الميسرة[5]، وزحف الفريقان نحو بعضهما واشتبكوا فى قتال عنيف أشد من سابقه، وبدأ أهل العراق فى التقدم وأظهروا تفوقًا على أهل الشام، واستطاع عبد الله بن بديل أن يكسر ميسرة معاوية، وعليها حبيب ابن مسلمة، ويتقدم باتجاه كتيبة معاوية (الشهباء)، وأظهر شجاعة وحماسًا منقطع النظير، وصاحب هذا التقدم الجزئى، تقدم عام لجيش العراق، حتى إن معاوية قد حدثته نفسه بترك ميدان القتال، إلا أنه صبر وتمثل بقول الشاعر:

أبت لى عفتى وأبى بلائى ... وأخذى الحمد بالثمن الربيح
وإكراهى على المكروه نفسى ... وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت: ... مكانكِ تحمدى أو تستريحى[6]

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٦٢٢) من طريق أبى مخنف. (٢) الطبقات (٤/ ٢٥٥) من طريق الواقدى.
(٣) سنن سعيد بن منصور (٢/ ٣٤٤، ٣٤٥) بسند ضعيف.
(٤) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٢٩٧) بسند ضعيف.
(٥) تاريخ الطبرى (٥/ ٦٣٠). (٦) المصدر نفسه (٥/ ٦٣٦).

واستحث كتيبته الشهباء، واستطاعوا قتل عبد الله بن بديل، فأخذ مكانه في قيادة الميمنة الأشتر، وتماسك أهل الشام وبايع بعضهم على الموت، وكروا مرة أخرى بشدة وعزيمة وقتل عدد من أبرزهم ذو الكلاع، وحوشب وعبيد الله بن الخطاب، رضي الله عنهم، وانقلب الأمر لجيش الشام، وأظهر تقدمًا، وبدأ جيش العراق في التراجع، واستحر القتل في أهل العراق وكثرت الجراحات، ولما رأى علي جيشه في تراجع، أخذ يناديهم ويحمسهم، وقاتل قتالاً شديدًا واتجه إلى القلب حيث ربيعة، فثارت فيهم الحمية وبايعوا أميرهم خالد بن المعتمر على الموت وكانوا أهل قتال[1].

وكان عمّار بن ياسر، رضي الله عنه، قد جاوز الرابعة والتسعين عامًا، وكان يحارب بحماس، يحرض الناس، ويستنهض الهمم، ولكنه بعيد كل البعد عن الغلو، فقد سمع رجلاً بجواره يقول: كفر أهل الشام. فنهاه عمار عن ذلك وقال: إنما بغوا علينا، فنحن نقاتلهم لبغيهم، فإلهنا واحد، ونبينا واحد، وقبلتنا واحدة[2].

ولما رأى عمار رضي الله عنه تقهقر أصحابه، وتقدم خصومه، أخذ يستحثهم ويبين لهم أنهم على الحق ولا يغرنهم ضربات الشاميين الشديدة، فيقول رضي الله عنه: من سره أن تكتنفه الحور العين فليقدم بين الصفين محتسبًا، فإني لأرى صفًا يضربكم ضربًا يرتاب منه المبطلون، والذي نفسي بيده، لو ضربونا حتى يبلغوا منا سعفات هجر، لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل، ولعلمنا أن مصلحينا على الحق وأنهم على الباطل[3]. ثم أخذ في التقدم، وفي يده الحربة ترعد -لكبر سنه- ويشتد على حامل الراية هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ويستحثه في التقدم ويرغبه ويطمعه فيما عند الله من النعيم، ويطمع أصحابه أيضًا فيقول: أزفت الجنة وزينت الحور العين، من سره أن تكتنفه الحور العين، فليتقدم بين الصفين محتسبًا. وكان منظرًا مؤثرًا فهو صحابي جليل مهاجري بدري جاوز الرابعة والتسعين يمتلك كل هذا الحماس وهذا العزم والروح المعنوية العالية واليقين الثابت، فكان عاملاً مهمًا من عوامل حماس جيش العراق ورفع روحهم المعنوية مما زادهم عنفًا وضراوة وتضحية في القتال، حتى استطاعوا أن يحولوا المعركة لصالحهم، وتقدم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وهو يرتجز بقوله:

(١) الإصابة (٤/ ٤٥٤)، أنساب الأشراف (٢/ ٥٦) بسند حسن إلى قتادة مرسلاً.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٩٠) الإسناد حسن لغيره.

(٣) مجمع الزوائد (٧/ ٢٤٣)، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد: ص(٢١٩) إسناده حسن.

أعـــور يبـــغى أهـله مَـــحَـــلاً قـــد عـــالج الحيـــاة حـــتى مـــلاً
لابد أن يَفلّ أو يُفلاً[1]

وعمار يقول: تقدم يا هشام، الجنة تحت ظلال السيوف، والموت فى أطراف الأسل[2]، وقد فتحت أبواب السماء وتزينت الحور العين:

اليـــــوم ألقـى الأحـــبـــة مـــحـــمّـــدًا وحـــزبه[3]

وعند غروب شمس ذلك اليوم الخميس، طـلب عمار شربة من لبن ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال لى: إن آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن[4]، ثم تقدم واستحث معه حامل الراية هاشم بن عتبة بن أبى وقـاص الزهرى فلم يرجعا وقتلا،[5] رحمهما الله ورضى الله عنهما.

٣- ليلة الهرير يوم الجمعة: عادت الحرب فى نفس الليلة بشدة واندفاع لم تشهدها الأيام السابقة، وكان اندفاع أهل العراق بحماس وروح عالية حتى أزالوا أهل الشام عن أماكنهم، وقاتل أمـير المؤمنين على قتـالاً شديدًا وبايع على الموت[6]، وذكر أن عليًا رضى الله عنه صلى بجيشـه المغرب صلاة الخوف[7]، وقال الشافـعى: وحفظ عن على أنه صلى صلاة الخوف ليلة الهرير[8]، يقول شاهد عيان: اقتتلنا ثلاثة أيام وثلاث ليال حتى تكسرت الرماح ونفدت السهام ثم صرنا إلى المسايفة فاجـتلدنا بها إلى نصف الليل حتى صرنا نعانق بعضنا بعضًا، ولما صارت السيوف كالمناجل تضاربنا بعمد الحـديد، فلا تسمع إلا غمغمة وهمهمة القوم، ثم ترامـينا بالحجـارة وتحاثينا بالتـراب وتعاضينا بالأسنان وتكـادمنا بالأفواه إلى أن أصبـحوا فى يوم الجمعـة وارتفعت الشمس وإن كـانت لا ترى من غبار المعركـة وسقطت الألوية والرايات، وأنهك الجيش التعب وكلت الأيدى وجفت الحلوق[9].

ويقول ابن كثيـر فى وصف ليلة الهرير ويوم الجمعة: وتعاضـوا بالأسنان يقتتل الرجلان حتى يثخنا ثم يجلسان يسـتريحان، وكل واحد منهما ليهمر علـى الآخر، ويهمر عليه، ثم

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٦٥٢). (٢) الأسل: الرماح.

(٣) تاريخ الطبرى (٥/ ٦٥٢).

(٤) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٣٠٢، ٣٠٣) بسند منقطع. (٥) تاريخ الطبرى (٥/ ٦٥٣).

(٦) المستدرك (٣/ ٤٠٢) قال الذهبى: ضعيف، خلافة على: ص(٢٢٦).

(٧) السنن الكبرى للبيهقى (٣/ ٢٥٢) قال الألبانى: رواه البيهقى بصيغة التمريض، إرواء الغليل (٣/ ٤٢).

(٨) تلخيص الحبير (٢/ ٧٨)، خلافة على بن أبي طالب: ص(٢٢٧).

(٩) شذرات الذهب (١/ ٤٥)، وقعة صفين: ص(٣٦٩).

يقومـان فيقتـتلان كمـا كانا، فإنا لله وإنا إليـه راجعون، ولم يزل ذلك دأبهم حـتى أصبح الناس من يوم الجمعة وهم كذلك، وصلى الناس الصبح إيماء وهم فى القتال حتى تضاحى النهار وتوجه النصر لأهل العراق على أهل الشام(١).

٤- الدعوة إلى التحكيم: إن ما وصل إليه حال الجيشـين بعد ليلة الهرير لم يكن يحتمل مزيد قتال، وجـاءت خطبة الأشعث بن قيس زعيم كندة فى أصحابه ليلة الهـرير فقال: قد رأيتم يا معـشر المسلمين ما قد كـان فى يومكم هذا الماضى، وما قد فنى فيـه من العرب، فوالله لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ؛ فـما رأيت مثل هذا قط، ألا فليبلغ الشاهد الغائب، إن نحن تواقـفنا غدًا إنه لفناء العرب، وضيـعة الحرمات، أمـا والله ما أقول هذه المقالة جزعًا من الحرب، ولكنى رجل مـسن، وأخاف على النساء والذرارى غدًا، إذا نحن فنينا، اللهم إنك تعلم أنى قد نظرت لقومى ولأهل دينى فلم آل(٢).

وجاء خبـر ذلك إلى معاوية فقال: أصـاب ورب الكعبة، لئن نحن التقينا غـدًا لتميلن الروم على ذرارينا ونسائنا، ولتميلن أهل فارس على أهل العراق وذراريهم، وإنما يبصر هذا ذوو الأحـلام والنهى، ثم قال لأصـحـابه: اربطوا المصـاحف على أطراف القنا(٣)، وهذه رواية عراقية لا ذكر فيها لعمرو بن العاص ولا لـلمخادعة والاحتيال، وإنما كانت رغبة كلا الفريقين، ولن يضير معاوية أو عمرًا شىء أن تأتى أحـدهم الشجاعة فيبادر بذلك وينقذ ما تبقى من قـوى الأمة المتصارعـة، إنما يزعج ذلك السبئـية الذين أشعلوا نيـران هذه الفتنة، وتركوا لنا ركامًـا من الروايات المضللة بشأنها، تحيل الحق باطلاً، وتجـعل الفضل -كالمناداة لتحكيم القرآن لصون الدماء المسلمة -جريمة ومؤامرة(٤) وحيلة، ونسبوا لأمير المؤمنين على أقوالاً مكذوبة تعـارض ما فى الصحـيح، على أنه قال: ما رفـعوها ثم لا يرفعـونها، ولا يعملون بما فيـها، وما رفعوها لكم إلا خـديعة ودهنًا ومكيدة(٥). ومن الشتائم قولهم عن رفع المصاحف: إنها مـشورة ابن العاهرة(٦)، ووسّعوا دائرة الدعاية المـضادة على عمرو بن العاص -رضى الله عنه- حتى لم تعد تجد كتابًا من كـتب التاريخ إلا فيه انتقاص لعمرو بن العاص وأنه مـخادع وماكر بسـبب الروايات الموضوعة التى لفـقها أعداء الصـحابة الكرام، ونقلها الطبرى، وابن الأثير وغـيرهما، فوقع فيها كثير مـن المؤرخين المعاصرين مثل حسن

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٨٣).
(٢) وقعة صفين: ص(٤٧٩).
(٣) المصدر نفسه: ص(٨٨١-٨٨٤).
(٤) الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين: ص(٣١٦).
(٥) الكامل (٢/ ٣٨٦).
(٦) تاريخ الطبرى (٥/ ٦٦٢).

إبراهيم حسن فى تاريخ الإسلام، ومحمد الخضرى بك فى تاريخ الدولة الأموية، وعبد الوهاب النجار فى تاريخ الخلفاء الراشدين وغيرهم كثير، مما ساهم فى تشويه الحقائق التاريخية الناصعة.

إن رواية أبى مخنف تفترض أن عليًا رفض تحكيم القرآن لما اقترحه أهل الشام، ثم استجاب بعد ذلك له تحت ضغط القراء الذين عرفوا بالخوارج فيما بعد[1]، وهذه الرواية تحمل سبًا من على لمعاوية وصحبه يتنزه عنه أهل ذاك الجيل المبارك، فكيف بساداتهم وعلى رأسهم أمير المؤمنين على؟! ويكفى للرواية سقوطًا أن فيها أبا مخنف الرافضى المحترق، فهى رواية لا تصمد للبحث النزيه، ولا تقف أمام روايات أخرى لا يتهم أصحابها بهوى مثل ما يرويه الإمام أحمد بن حنبل عن طريق حبيب بن أبى ثابت قال: أتيت أبا وائل أحد رجال على بن أبى طالب فقال: كنا بصفين، فلما استحر القتل بأهل الشام قال عمرو لمعاوية: أرسل إلى علىٍّ المصحف؛ فادعه إلى كتاب الله، فإنه لا يأبى عليك، فجاء به رجل فقال: بيننا وبينكم كتاب الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣]، فقال على: نعم، أنا أولى بذلك، فقام القُراء -الذين صاروا بعد ذلك خوارج -بأسيافهم على عواتقهم فقالوا: يا أمير المؤمنين ألا نمشى إلى هؤلاء حتى يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقام سهل بن حنيف الأنصارى رضى الله عنه فقال: أيها الناس اتهموا أنفسكم، لقد كنا مع رسول الله ﷺ، يوم الحديبية، ولو نرى قتالاً لقاتلنا، وذلك فى الصلح الذى بين رسول الله ﷺ وبين المشركين، ثم حدثهم عن معارضة عمر، رضى الله عنه، للصلح يوم الحديبية ونزول سورة الفتح على رسول الله ﷺ، فقال على: أيها الناس إن هذا فتح، فقبل القضية ورجع، ورجع الناس[2]. وأظهر سهل بن حنيف رضى الله عنه اشمئزازه ممن يدعون إلى استمرار الحرب بين الإخوة وقال: أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم[3]، وبين لهم أنه لا خيار عن الحوار والصلح لأن ما سواه فتنة لا تعرف عواقبها، فقد قال: ما وضعنا بسيوفنا على عواتقنا إلى أمر إلا أسهلن بنا إلى أمر نعرفه قبل هذا الأمر، ما نسد منها خصمًا إلا تفجر علينا خصم ما ندرى كيف نأتى له[4]. وفى هذه الروايات الصحيحة رد على دعاة الفتنة، ومبغضى

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٦٦٢، ٦٦٣).

(٢) مصنف ابن أبى شيبة (٨/ ٣٣٦)، مسند أحمد مع الفتح الربانى (٨/ ٤٨٣).

(٣)، (٤) البخارى رقم (٤١٨٩).

الصحابة الذين يضعـون الأخبار المكذوبة، ويضعون الأشعار وينسبونـها إلى أعلام الصحابة والتابعين الذين شاركوا فى صفين؛ ليظهروهم بمظهر المتحمس لتلك الحرب ليزرعوا البغضاء فى النفوس ويعملوا ما فى وسعهم على استمرار[1] الفتنة.

إن الدعوة إلى تحكيم كتاب الله دون التـأكيد على تسليم قتلة عثمان إلى مـعاوية وقبول التحكيم دون التأكـيد على دخول معاوية فى طاعـة على والبيعة له، تطور فرضـته أحداث حرب صفين، إذ إن الحـرب التى أودت بحياة الكثيـر من المسلمين، أبرزت اتجاها جمـاعيًا رأى أن وقف القتال وحقن الدمـاء ضرورة تقتضيهـا حماية شوكة الأمة وصيـانة قوتها أمام عدوها، وهو دليل على حيوية الأمة ووعيها وأثرها فى اتخاذ القرارات[2].

إن أمير المؤمنين عليًـا رضى الله عنه قَبِل وقف القتال فى صـفين، ورضى التحكيم وعدَّ ذلك فتـحًا ورجع[3] إلى الكوفـة، وعلق على التحكيم آمـالاً فىَ إزالة الخلاف، وجـمع الكلمـة، ووحدة الصف، وتقـوية الدولة، وإعادة حـركة الفـتوح من جـديد. إن وصول الطرفين إلى فكرة التحكيم والاستجابة له أسهمت فيها عدة عوامل منها:

أ- أنه كان آخر مـحاولة من المحاولات التى بذلت لإيقاف الصدام وحـقن الدماء سواء تلك المحاولات الجماعية أو المحاولات الفـردية التى بدأت بعد موقعة الجمل ولم تفلح، أما الرسائل التى تبـودلت بين الطرفين لتفـيد وجهات نـظر كل منهما، فلم تُجـد هى الأخرى شيئًـا، وكان آخر تلك المحاولات ما قام به مـعاوية فى أيام اشتداد القتـال حيث كتب إلى على رضى الله عنه يطالبه بوقف القتال فقال: فإنى أحسبك أن لو علمت وعلمنا أن الحرب تبلغ بك ما بلغت لم نجنهـا على أنفسنا، فإنا إن كنا قـد غُلبنا على عقولنا فقـد بقى منا ما ينبغى أن نندم على ما مضى ونصلح ما بقى[4].

ب- تساقط القـتلى وإراقة الدماء الغـزيرة ومخافـة الفناء، فصارت الدعـوة إلى إيقاف الحرب مطلبًا يرنو إليه الجميع.

جـ- الملل الذى أصاب الناس من طول القـتال، حتى وكأنهم على موعـد لهذا الصوت الذى نادى بالهدنة والصلح، وكانت أغلبيـة جيش على فى اتجاه الموادعة، وكانوا يرددون: قد أكلتنا الحرب، ولا نرى البقاء إلا عن الموادعة[5]. وهذا ينقض ذلك الرأى المتهافت الذى

(١) الإنصاف فيما وقع فى تاريخ العصر الراشدى من الخلاف: ص(٥٣٠).

(٢) دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين: ص(٣٨). (٣) دراسة فى تاريخ الخلفاء: ص(٣٨).

(٤) الأخبار الطوال للدينورى: ص(١٨٧)، دراسات فى عهد النبوة: ص(٤٣٢).

(٥) صفين: ص(٤٨٢-٤٨٥)، دراسات فى عهد النبوة: ص(٤٣٣).

روِّج بأن رفع المصاحف كان خدعة من عمرو بن العاص، والحق أن فكرة رفع المصاحف لم تكن جديدة وليست من ابتكار عمرو بن العاص، بل رُفع المصحف في الجمل ورشق حامله كعب بن سور قاضي البصرة بسهم وقُتل.

د- الاستجابة لصوت الوحي الداعي للإصلاح، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾[النساء: ٥٩] ويؤيد هذا ما قاله علي بن أبي طالب حينما عرض عليه الاحتكام إلى كتاب الله، قال: نعم أنا أولى بذلك، بيننا وبينكم كتاب الله[١].

٥- مقتل عمّار بن ياسر رضي الله عنه وأثره على المسلمين: يعد حديث رسول الله ﷺ لعمار، رضي الله عنه، «تقتلك الفئة الباغية»[٢] من الأحاديث الصحيحة والثابتة عن النبي ﷺ وقد كان لمقتل عمّار، رضي الله عنه- أثر في معركة صفين، فقد كان علمًا لأصحاب رسول الله يتبعونه حيث سار، وكان خزيمة بن ثابت حضر صفين وكان كافًا سلاحه، فلما رأى مقتل عمار سل سيفه وقاتل أهل الشام، وذلك لأنه سمع[٣] حديث رسول الله ﷺ عن عمار: «تقتله الفئة الباغية». واستمر في القتال حتى قُتل[٤]، وكان لمقتل عمّار أثر في معسكر معاوية، فهذا أبو عبد الرحمن السلمي دخل في معسكر أهل الشام، فرأى معاوية وعمرو بن العاص وابنه عبد الله بن عمرو، وأبا الأعور السلمي، عند شرعة الماء يسقون. وكانت هي شريعة الماء الوحيدة التي يستقي منها الفريقان، وكان حديثهم عن مقتل عمّار ابن ياسر، إذ قال عبد الله بن عمرو لوالده: لقد قتلنا هذا الرجل وقد قال فيه رسول الله ﷺ «تقتله الفئة الباغية». فقال عمرو لمعاوية: لقد قتلنا الرجل وقد قال فيه رسول الله ﷺ ما قال. فقال معاوية: اسكت فوالله ما تزال تدحض[٥] في بولك، أنحن قتلناه؟ إنما قتله من جاء به[٦]، فانتشر تأويل معاوية بين أهل الشام انتشار النار في الهشيم، وجاء في رواية صحيحة أن عمرو بن حزم دخل على عمرو بن العاص فقال: قتل عمار وقد قال فيه رسول الله ﷺ «تقتله الفئة الباغية». فقام عمرو بن العاص فزعًا يرجع حتى دخل على معاوية فقال له معاوية: ما شأنك؟ فقال: قُتل عمار. قال معاوية: فماذا؟ قال عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول له: «تقتلك الفئة الباغية». فقال له معاوية: دحضت في بولك، أو نحن قتلناه؟! إنما قتله علي وأصحابه، وجاءوا به حتى ألقوه بين رماحنا، أو قال: بين سيوفنا[٧].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٨/ ٣٣٦). (٢)، (٣) مسلم رقم (٢٩١٦).

(٤) خلافة علي: ص(٢١١)، مجمع الزوائد للهيثمي (٧/ ٢٤٢). وقال فيه: رواه الطبراني وفيه أبو معشر وهو لين.

(٥) الدحض: الزلق، والداحض: من لا ثبات له ولا عزيمة في الأمور.

(٦) مسند أحمد (٢/ ٢٠٦) إسناده حسن. (٧) مصنف عبد الرزاق (١١/ ٢٤٠) بسند صحيح.

وفى رواية صحيحة أيضًا: جاء رجلان عند معاوية يختصمان فى رأس عمّار، يقول كل واحد منهما: أنا قتلته؛ فقال عبد الله بن عمرو بن العاص: ليطب به أحدكم نفسًا لصاحبه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقتله الفئة الباغية». قال معاوية: فما بالك معنا؟ قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال: أطع أباك ما دام حيًا ولا تعصه. فأنا معكم ولست أقاتل[1]. من الروايات السابقة نلاحظ أن الصحابى الفقيه عبد الله بن عمرو -رضى الله عنهما- حريص على قول الحق، والنصح، فقد رأى أن معاوية وجنده، هم الفرقة الباغية لقتلهم عمارًا، فقد تكرر منه هذا الاستنكار فى مناسبات مختلفة؛ ولا شك أن مقتل عمّار -رضى الله عنه- قد أثر فى أهل الشام بسبب هذا الحديث، إلا أن معاوية -رضى الله عنه- أوّل الحديث تأويلاً غير مستساغ ولا يصح فى أن الذين قتلوا عمارًا هم الذين جاءوا به إلى القتال[2]. وقد أثر مقتل عمار كذلك على عمرو بن العاص، بل كان استشهاد عمار دافعًا لعمرو بن العاص للسعي لإنهاء الحرب[3]، وقد قال رضى الله عنه: وددت أنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة[4]، وقد جاء فى البخارى عن أبى سعيد الخدرى -رضى الله عنه- قال: كنا نحمل لبنة لبنة؛ وعمّار لبنتين لبنتين، فرآه النبى ﷺ، فينفض التراب عنه ويقول: «ويح عمّار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار». قال عمّار: أعوذ بالله من الفتن[5]، وقال ابن عبد البر: تواترت الآثار عن النبى ﷺ أنه قال: «تقتل عمارًا الفئة الباغية»، وهذا من إخباره بالغيب وإعلام نبوته ﷺ، وهو من أصح الأحاديث[6]، وقال الذهبى بعد ما ذكر الحديث: وفى الباب عن عدة من الصحابة، فهو متواتر[7].

٦- فهم العلماء للحديث:

أ- قال ابن حجر: وفى هذا الحديث علم من أعلام النبوة وفضيلة ظاهرة لعلى وعمار، ورد على النواصب الزاعمين أن عليًا لم يكن مصيبًا فى حروبه[8].

وقال أيضًا: دل الحديث: تقتل عمارًا الفئة الباغية، على أن عليًا كان المصيب فى تلك الحروب؛ لأن أصحاب معاوية قتلوه[9].

---

(١) مسند أحمد (١١/١٣٨، ١٣٩). (٢) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد: ص(٣٢٥).

(٣) معاوية بن أبى سفيان، الغضبان، ص(٢١٥).

(٤) أنساب الأشراف (١/ ١٧٠)، عمرو بن العاص للغضبان: ص(٦٠٣). (٥) البخارى رقم (٤٤٧).

(٦) الاستيعاب (٣/ ١١٤٠). (٧) سير أعلام النبلاء (١/ ٤٢١). (٨) فتح البارى (١/ ٦٤٦).

(٩) فتح البارى (١٣/ ٩٢).

ب- يقول النووي: وكانت الصحابة يوم صفين يتبعـونه حيث توجه لعلمهم بأنه مع الفئة العادلة لهذا الحديث[1].

جـ- قال ابن كـثير: كان على وأصحـابه أدنى الطائفتين إلى الحق من أصحـاب معاوية، وأصحاب معاوية كانوا باغين عليهم، كما ثبت فى صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبى سلمة عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى قال: حدثنى من هو خير منى -يعنى أبا قتادة- أن رسول الله ﷺ قال لعمار: «تقتلك الفئـة الباغية»[2]، وقال أيضًا: وهذا مقـتل عمار بن ياسر -رضى الله عنهما- مع أمير المؤمنين على بن أبى طالب، قتله أهل الشام، وبان وظهر بذلك سر ما أخبر به الرسول ﷺ من أنه تقتله الفئة الباغية، وبان بذلك أن عليًا محق، وأن معاوية باغ، وما فى ذلك من دلائل النبوة[3].

د- وقـال الذهبى: هم طائفـة من المؤمنين، بـغت على الإمـام على، وذلك بنص قـول المصطفى صلوات الله عليه لعمار: «تقتلك الفئة الباغية»[4].

هـ- قال القاضى أبو بكر بن العربى: فى قوله تعالى: ﴿وإن طائفتان﴾: هذه الآية أصل فى قتال المسلمين، والعمدة فى حرب المتأولين، وعليهـا عول الصحابة، وإليها لجأ الأعيان من هذه الملة، وإياها عنى النبى ﷺ بقوله: «تقتل عمارًا الفئة الباغية»[5].

و- وقال ابن تيـمية: وهذا يدل على صحة إمامـة على ووجوب طاعته، وأن الداعى إلى طاعته داع إلى الجنة، والداعى إلى مقاتلـته داع إلى النار -وإن كان متأولاً- وهو دليل على أنه لم يكن يجوز قـتال على، وعلى هذا فمـقاتله مخطىء -وإن كان مـتأولاً- أو باغ -بلا تأويل- وهو أصح القـولين لأصحابنـا، وهو الحكم بتخطئـة من قاتل عليًـا، وهو مذهب الأئمة الفقهاء الذين فرعوا على ذلك قتال البغاة المتأولين[6]، وقال أيضًا: مع أن عليًا أولى بالحق ممن فارقـه، ومع أن عمارًا قتلتـه الفئة الباغيـة -كما جاءت به النصـوص- فعلينا أن نؤمن بكل ما جاء من عند الله ونقر بالحق كله، ولا يكون لنا هوى، ولا نتكلم بغير علم، بل نسلك سبل العلم والعدل، وذلك هو اتباع الكتـاب والسنة، فأما من تمسك ببعض الحق دون بعض، فهذا منشأ الفرقة والاختلاف[7].

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٨).
(٢) البداية والنهاية (٦/ ٢٢٠).
(٣) المصدر نفسـه (٧/ ٢٧٧).
(٤) سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٠٩).
(٥) أحكام القرآن (٤/ ١٧١٧).
(٦) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٣٧).
(٧) المصدر نفسه (٤/ ٤٤٩، ٤٥٠).

ز- وقال عبد العزيز بن باز: وقال ﷺ في حديث عمار: «تقتل عماراً الفئة الباغية». فقتله معاوية وأصحابه في وقعة صفين، فمعاوية وأصحابه بغاة، لكن مجتهدون ظنوا أنهم مصيبون في المطالبة بدم عثمان[١].

حـ- وقال سعيد حوى: بعد أن قتل عمار الذى وردت النصوص مبينة أنه تقتله الفئة الباغية، تبين للمترددين أن عليًا كان على حق وأن القتال معه كان واجبًا، ولذا عبّر ابن عمر عن تخلفه بأنه يأسى بسبب هذا التخلف، وما ذلك إلا أنه ترك واجبًا وهو نصرة الإمام الحق على الخارجين عليه بغير حق كا أفتى بذلك الفقهاء[٢].

٧- الرد على قول معاوية رضى الله عنه: إنما قتله من جاء به [٣] إن جل الصحابة والتابعين قد فهموا من قول رسول الله ﷺ لعمار: «تقتلك الفئة الباغية» [٤] أن المقصود: جيش معاوية، رضى الله عنه، مع أنهم -أى معاوية وجيشه- معذورون فى اجتهادهم، فهم يقصدون الحق ويريدونه ولكنهم لم يصيبوه، وفئة على أولى بالحق منهم كما قال ﷺ [٥]، ومع أن الأئمة لم يعجبهم تأويل معاوية -كما سأنقل- إلا أنهم عذروه فى اجتهاده، فها هو ابن حجر يقول فى قوله ﷺ «يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار» [٦].

فإن قيل: كان قتله بصفين وهو مع على، والذين قتلوه مع معاوية، وكان معه جماعة من الصحابة، فكيف يجوز عليهم الدعاء إلى النار؟ فالجواب: أنهم كانوا ظانين أنهم يدعونه إلى الجنة، وهم مجتهدون لا لوم عليهم فى اتباع ظنونهم، فالمراد بالدعاء إلى الجنة الدعاء إلى سببها، وهو طاعة الإمام، وكذلك كان عمار يدعوهم إلى طاعة على، وهو الإمام الواجب الطاعة، إذ ذاك، وكانوا هم يدعون إلى خلاف ذلك، لكنهم معذورون للتأويل الذى ظهر لهم[٧].

وقال القرطبى: وقال الإمام أبو المعالى فى كتاب الإرشاد، فصل على رضى الله عنه، كان إمامًا حقًا فى توليته، ومقاتلوه بغاة، وحسن الظن بهم يقتضى أن يظن بهم قصد الخير وإن أخطأوه[٨]، وقال أيضًا: وقد أجاب على رضى الله عنه عن قول معاوية بأن قال: فرسول الله ﷺ إذن قتل حمزة حين أخرجه، وهذا من على رضى الله عنه إلزام، لا جواب عنه، وحجة لا اعتراض عليها، قاله الإمام الحافظ أبو الخطاب بن دحية[٩]، وقال ابن

(١) فتاوى ومقالات متنوعة (٦/ ٨٧).
(٢) الأساس فى السنة (٤/ ١٧١٠).
(٣) مسند أحمد (٢/ ٢٠٦) إسناده حسن.
(٤) مسلم رقم ٢٩١٦.
(٥) معاوية بن أبى سفيان: ص(٢١٠-٢١٤).
(٦) البخارى رقم ٤٤٧.
(٧) التذكرة (٢/ ٢٢٢).
(٨)، (٩) المصدر نفسه (٢/ ٢٢٣).

كثير: فقول معاوية: إنما قتله من قدمه إلى سيوفنا، تأويل بعيد جدًا، إذ لو كان كذلك لكان أمير الجيش هو القاتل للذين يقتلون فى سبيل الله، حيث قدمهم إلى سيوف الأعداء[1]، وقال ابن تيمية: وهذا القول لا أعلم له قائلاً من أصحاب الأئمة الأربعة ونحوهم من أهل السنة، ولكن هو قول كثير من المروانية ومن وافقهم[2]، وقال ابن القيم معلقًا على هذا التأويل: نعم، التأويل الباطل تأويل أهل الشام قوله ﷺ لعمار: «تقتلك الفئة الباغية»[3] فقالوا: نحن لم نقتله إنما قتله من جاء به حتى أوقعه بين رماحنا، فهذا هو التأويل الباطل المخالف لحقيقة اللفظ وظاهره، فإن الذى قتله هو الذى باشر قتله، لا من استنصر به[4].

٨- من هو قاتل عمّار بن ياسر؟: قال أبو الغادية الجهنى وهو يحدث عن قتله لعمار: فلما كان يوم صفين، أقبل يستن أول الكتيبة رجلاً، حتى إذا كان بين الصفين فأبصر رجلٌ عورة، فطعنه فى ركبته بالرمح فعثر، فانكشف المغفر عنه، فضربته فإذا هو رأس عمار. ثم قُتل عمار قال الراوى: واستسقى أبو الغادية، فأتى بماء فى زجاج، فأبى أن يشرب فيها، فأتى بماء فى قدح فشرب، فقال رجل: .. يتورع عن الشرب فى الزجاج ولم يتورع عن قتل عمار[5]، ويخبر عمرو بن العاص، رضى الله عنه، الخبر فيقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قاتل عمار وسالبه فى النار[6]، قال ابن كثير: ومعلوم أن عمارًا كان فى جيش على يوم صفين، وقتله أصحاب معاوية من أهل الشام، وكان الذى تولى قتله يقال له أبو الغادية، رجل من أفناد الناس، وقيل إنه صحابى[7]، وقال ابن حجر: والظن بالصحابة فى تلك الحروب أنهم كانوا متأولين، وللمجتهد المخطىء أجر، وإذا ثبت هذا فى حق آحاد الناس فثبوته للصحابة بالطريق الأولى[8]، وقال الذهبى: وابن ملجم عند الروافض أشقى الخلق فى الآخرة، وهو عندنا أهل السنة ممن نرجو له النار، ونجوز أن الله يتجاوز عنه، لا كما يقول الخوارج والروافض، وحكمه حكم قاتل عثمان، وقاتل الزبير، وقاتل طلحة، وقاتل سعيد بن جبير وقاتل عمار وقاتل خارجة، وقاتل الحسين، فكل هؤلاء نبرأ منهم ونبغضهم فى الله، ونكل أمورهم إلى الله عز وجل[9]. وقد وفق الألبانى فى تعليقه على

---

(١) البداية والنهاية (٦/ ٢٢١).
(٢) منهاج السنة (٤/ ٤٠٦).
(٣) مسلم رقم (٢٩١٦).
(٤) الصواعق المرسلة (١/ ١٨٤، ١٨٥).
(٥) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٦٠، ٢٦١) بسند صحيح.
(٦) السلسلة الصحيحة (٥/ ١٨، ١٩).
(٧) البداية والنهاية (٦/ ٢٢٠).
(٨) الإصابة (٧/ ٢٦٠).
(٩) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص(٦٥٤).

قول ابن حجر: هذا حق، ولكن تطبيقه على كل فرد من أفرادهم مشكل؛ لأنه يلزم تناقض القاعدة المذكورة بمثل حديث الترجمة [عنوان باب (قاتل عمار وسالبه في النار)][1]، إذ لا يمكن القول بأن أبا الغادية القاتل لعمار مأجور؛ لأنه قتله مجتهدًا، ورسول الله ﷺ يقول: قاتل عمار في النار[2]، فالصواب أن يقال: إن القاعدة صحيحة، إلا ما دل الدليل القاطع على خلافها، فيستثنى ذلك منها كما هو الشأن هنا، وهذا خير من ضرب الحديث الصحيح[3] بها، وقد ترجم لأبي الغادية الجهني ابن عبد البر فقال: اختلف في اسمه: فقيل: يسار بن سبُع وقيل: يسار بن أزهر، وقيل: اسمه مسلم. سكن الشام ونزل في واسط، يعد في الشاميين، أدرك النبي ﷺ وهو غلام، روُي عنه أنه قال: أدركت النبي ﷺ وأنا أيفع، أرد على أهلي الغنم، وله سماع من النبي ﷺ، قوله ﷺ «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[4]، وكان محبًا لعثمان، وهو قاتل عمار بن ياسر، وكان يصف قتله إذا سئل عنه لا يباليه، وفي قصته عجبٌ عند أهل العلم[5].

٩- المعاملة الكريمة أثناء الحرب والمواجهة: إن وقعة صفين كانت من أعجب الوقائع بين المسلمين.. كانت هذا الوقعات من الغرابة إلى حد أن القارئ لا يصدق ما يقرأ ويقف مشدوهًا أمام طبيعة النفوس عند الطرفين، فكل منهم كان يقف وسط المعركة شاهراً سيفه وهو يؤمن بقضيته إيمانًا كاملاً، فليست معركة مدفوعة من قبل القيادة، يدفعون الجنود إلى معركة غير مقتنعين بها، بل كانت معركة فريدة في بواعثها، وفي طريقة أدائها وفيما خلفتها من آثار؛ فبواعثها في نفوس المشاركين تعبر عنها بعض المواقف التي وصلت إلينا في المصادر التاريخية، فهم إخوة يذهبون معًا إلى مكان الماء فيستقون جميعًا ويزدحمون وهم يغرفون الماء وما يؤذي إنسان إنسانًا[6]، وهم إخوة يعيشون معًا عندما يتوقف القتال فهذا أحد المشاركين يقول: كنا إذا تواعدنا من القتال دخل هؤلاء في معسكر هؤلاء. وهؤلاء في معسكر هؤلاء.. وتحدثوا إلينا وتحدثنا إليهم[7]، وهم أبناء قبيلة واحدة ولكل منهما اجتهاده، فيقاتل أبناء القبيلة الواحدة كل في طرف[8] قتالاً مريرًا، وكل منهما يرى نفسه على الحق وعنده الاستعداد لأن يُقتَل من أجله، فكان الرجلان يقتتلان حتى يُثْخَنا (وهنًا

---

(١)، (٢) السلسلة الصحيحة (٥/١٨-١٩).
(٣) المصدر نفسه (٥/١٩).
(٤) مسند أحمد (٤/٧٦) وسنده حسن.
(٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، رقم (٣٠٨٩)
(٦) تاريخ الطبري (٥/ ٦١٠).
(٧) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤١)، مرويات أبي مخنف، ص(٢٩٦).
(٨) البداية والنهاية (٧/ ٢٧٠)، دراسات في عهد النبوة، ص(٤٢٤).

وضعفًا) ثم يجلسان يستريحان، ويدور بينهما الكلام الكثير، ثم يقومان فيقتتلان كما كانا[1]، وهما أبناء دين واحد يجمعهما، وهو أحب إليهما من أنفسهما، فإذا حان وقت الصلاة توقفوا لأدائها[2]، ويوم قتل عمار بن ياسر صلى عليه الطرفان[3]، ويقول شاهد عيان اشترك في صفين: تنازلنا بصفين، فاقتتلنا أيامًا فكثر القتلى بيننا حتى عقرت الخيل، فبعث علي إلى عمرو بن العاص أن القتلى قد كثروا فأمسك حتى يدفن الجميع قتلاهم، فأجابهم، فاختلط بعض القوم ببعض حتى كانوا هكذا -وشبك بين أصابعه- وكان الرجل من أصحاب علي يشد فيقتل في عسكر معاوية، فيستخرج منه، وقد مر أصحاب علي بقتيل لهم أمام عمرو، فلما رآه بكى وقال: لقد كان مجتهدًا أخشن في أمر الله[4]، وكانوا يسارعون إلى التناهي عن المنكر حتى في مثل هذه المواقع، فكانت هناك مجموعة عرفوا بالقراء، وكانوا من تلامذة عبد الله بن مسعود من أهل الشام معًا، فلم ينضموا إلى أمير المؤمنين علي، ولا إلى معاوية بن أبي سفيان وقالوا لأمير المؤمنين: إنا نخرج معكم ولا ننزل عسكركم، ونعسكر على حدة حتى ننظر في أمركم وأمر أهل الشام، فمن رأيناه أراد ما لا يحل له، أو بدا منه بغي كنا عليه، فقال علي: مرحبًا وأهلاً، هذا هو الفقه في الدين، والعلم بالسنة من لم يرض بهذا فهو جائر خائن[5].

والحقيقة أن هذه المواقف منبعثة من قناعات واجتهادات استوثقوا منها في قرارة أنفسهم وقاتلوا عليها[6].

١٠- معاملة الأسرى: إن المعاملة الحسنة للأسير وإكرامه في صفين من الأمور البدهية بعد ما استعرضنا المعاملة الكريمة أثناء القتال، وقد بيّن الإسلام معاملة الأسرى، فقد حث رسول الله ﷺ على إكرام الأسير، وإطعامه أفضل الأطعمة الموجودة، هذا مع غير المسلمين فكيف إذا كان الأسير مسلمًا؟! لا شك إن إكرامه والإحسان إليه أولى، ولكن الأسير في المعركة يعتبر فئة وقوة لفرقته[7]، ولذلك كان علي رضي الله عنه يأمر بحبسه، فإن بايع أخلى سبيله وإن أبى أخذ سلاحه ودابته أو يهبهما لمن أسره ويحلفه ألا يقاتل. وفي رواية

(١) تاريخ الطبري، نقلاً عن دراسات في عهد النبوة، ص(٤٢٤).

(٢) تاريخ دمشق (١٨/ ٢٢٣٩)، دراسات في عهد النبوة ص(٤٢٤).

(٣)، (٤) أنساب الأشراف (٦/ ٥٦) بسند حسن إلى عتبة، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد: ص(٢٤١).

(٥) صفين، ص(١١٥)، دراسات في عهد النبوة: ص(٤٢٤). (٦) دراسات في عهد النبوة، ص(٤٢٤).

(٧) كتاب قتال أهل البغي من الحاوي الكبير، ص(١٣٣، ١٣٤).

يعطيه أربعة دراهم[1]، وغرض الخليفة الراشد من ذلك واضح، وهو إضعاف جانب البغاة وقد أتى بأسير يوم صفين، فقال الأسير: لا تقتلنى صبرًا. فقال على رضى الله عنه: لا أقتلك صبرًا، إنى أخاف الله رب العالمين، فخلى سبيله ثم قال: أفيك خير تبايع[2]؟

ويبدو من هذه الروايات أن معاملته للأسرى كما يلى:

*إكرام الأسير والإحسان إليه.

*يعرض عليه البيعة والدخول فى الطاعة، فإن بايع خلى سبيله.

*إن أبى البيعة أخذ سلاحه ويحلفه أن لا يعود للقتال ويطلقه.

*إن أبى إلا القتال تحفظ عليه فى الأسر ولا يقتله صبرًا[3]، وقد أتى رضى الله عنه مرة بخمسة عشر أسيرًا -ويبدو أنهم جرحى- فكان من مات منهم غسله وكفنه وصلى عليه[4]، ويقول محب الدين الخطيب معلقًا على هذه الحرب: ومع ذلك، فإن هذه الحرب المثالية هى الحرب الإنسانية الأولى فى التاريخ التى جرى فيها المتحاربان معًا على مبادئ الفضائل التى يتمنى حكماء الغرب لو يعمل بها فى حروبهم، ولو فى القرن الحادى والعشرين، وإن كثيرًا من قواعد الحرب فى الإسلام لم تكن لتعلم وتدون لولا وقوع هذه الحرب، ولله فى كل أمر حكمة[5]، قال ابن العديم: قلت: وهذا كله حكم أهل البغى، ولهذا قال أبو حنيفة: لولا ما سار علىّ فيهم، ما علم أحد كيف السيرة فى المسلمين[6].

١١- عدد القتلى:تضاربت أقوال العلماء فى عدد القتلى، فذكر ابن أبى خيثمة أن القتلى فى صفين بلغ عددهم سبعين ألفًا، من أهل العراق خمسة وعشرون ألفًا، ومن أهل الشام خمسة وأربعون ألف مقاتل[7]، كما ذكر ابن القيم أن عدد القتلى فى صفين بلغ سبعين ألفًا أو أكثر[8]، ولا شك أن هذه الأرقام غير دقيقة، بل أرقام خيالية، فالقتال الحقيقى والصدام الجماعى استمر ثلاثة أيام مع وقف القتال بالليل إلا مساء الجمعة فيكون مجموع القتال

(١) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد، ص(٢٤٣). (٢) الأم للشافعى (٤/ ٢٢٤)، (٨/ ٢٥٦).

(٣) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد، ص(٢٤٣).

(٤) تاريخ دمشق، تحقيق المنجد (١/ ٣٣١)، خلافة على بن أبى طالب ص(٢٤٣).

(٥) العواصم من القواصم، ص (١٦٨، ١٦٩) من تعليق الخطيب فى الحاشية.

(٦) بغية الطلب فى تاريخ حلب (٣٠٩)، خلافة على ص (٢٤٥).

(٧) الأنباء للقضاعى ص٥٩ نقلاً عن خلافة على ص(٢٤٦).

(٨) الصواعق المرسلة (١/ ٣٧٧) بدون سند، تحقيق محمد دخيل الله.

حوالى ثلاثين ساعة[1]، ومهما كـان القتال عنيفًا، فلن يفوق شدة القادسـية التى كان عدد الشهداء فيها ثمانية آلاف وخمسمائة[2]، وبالتالى يصعب عقلاً أن نقبل تلك الروايات التى ذكرت الأرقام الكبيرة.

١٢- تفقد أمـير المؤمنين على القتلى وترحـمه عليهم: كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه بعد نهاية الجـولات الحربية يقوم بتـفقد القتلى، فـيقول شاهد عيـان: رأيت عليًا على بغلة النبى ﷺ الشهباء، يطوف بين القتلى[3]، وأثناء تفقده القتلى ومعه الأشتر، مر برجل مقتول -وهو أحد القـضاة والعباد المشـهورين بالشام -فـقال الأشتر- وفى رواية أخـرى عدى بن حاتم-: يا أمير المؤمنين أحابس[4] معهم؟ عـهدى والله به مؤمن، فقال على: فـهو اليوم مؤمن. ولعل هـذا الرجل المقتول هو القـاضى الذى أتى عمـر بن الخطاب وقال: يا أمـير المؤمنين، رأيت رؤيا أفزعتنى، قـال: ما هى؟ قال: رأيت الشمس والقمر يقـتتلان والنجوم معهـما نصفين. قال: فمـع أيهما كنت؟ قال: مع القمـر على الشمس، فقال عـمر: قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً..﴾ [الإسراء: ١٣]، فـانطلق فوالله لا تعـمل لى عمـلاً أبدًا، قال الـراوى: فبلغنى أنه قـتل مع معـاوية بصفين[5]، وقد وقف علىٌّ على قتلاه وقتلى معـاوية فقال: غفر الله لكم، غفر الله لكم، للفريقين جمـيعًا[6]، وعن يزيد بن الأصم قال: لما وقع الصلح بين على ومـعاوية، خرج على فمشى فى قـتلاه فقال: هؤلاء فى الجنة، ثم خرج إلى قتلى مـعاوية فقال: هؤلاء فى الجنة، ويصير الأمر إلىّ وإلى معاوية[7]، وكان يقول عنهم هم: المؤمنون[8]، وقوله رضى الله عنه فى أهل صفين لا يكاد يختلف عن قوله فى أهل الجمل[9].

١٣- موقف لمعاوية مع ملك الروم: استغل ملك الروم الخلاف الذى وقع بين أمير المؤمنين على ومعاويـة -رضى الله عنهما- وطمع فى ضم بعض الأراضى التى تحت هيمـنة معاوية إليه، قـال ابن كثير: .. وطـمع فى معاوية ملك الروم بعـد أن كان أخشاه وأذله، وقـهر

(١) الدولة الأموية، ص(٣٦٠-٣٦٢).
(٢) تاريخ الطبرى (٤/٣٨٨).
(٣) مصنف ابن أبى شيبة.
(٤) حابس بن سعد الطائى، مخضرم، قتل بصفين.
(٥) مصنف ابن أبى شيبة (١١/٧٤) بسند منقطع.
(٦) خلافة علي بن أبى طالب، عبد الحميد، ص(٢٥٠).
(٧) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/٣٠٣) بسند حسن.
(٨) تاريخ دمشق (١/٣٢٩، ٣٣١)، خلافة على، ص٢٥١.
(٩) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد، ص٢٥١.

جندهم ودحرهم، فلما رأى ملك الروم اشتغـال معاوية بحرب على تدانى إلى بعض البلاد فى جنود عظيمة وطمع فيه، فكتب معاوية إليه: والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين لأصطلحن أنا وابن عمى عليك، ولأخرجنك من جميع بلادك ولأضيقن عليك الأرض بما رحـبت، فعند ذلك خـاف ملك الروم وانكف، وبعث يطلب الهـدنة[1]، وهذا يدل على عظمة نفس معاوية وحميته للدين.

١٤- قصة باطلة فى حق عـمرو بن العاص بصفين: قال نصر بن مزاحم الكوفى: وحمل أهل العراق وتلقَّاهم أهل الشام فاجتلدوا وحمل عمرو بن العاص.. فاعترضه على وهو يقول:

قـــد عـلمت ذات الـقـــرون المـيل والخـــصـــر والأنامل الطـفـــول[2]

إلى أن يقول: ثم طعنه فصرعه واتقاه عمـرو برجله، فبدت عورته، فصرف على وجهه عنه وارتُثَ. فقـال القوم: أفلت الرجل يا أمير المؤمنين. قـال: وهل تدرون من هو؟ قالوا: لا. قال: فإنه عمرو بن العاص تلقانى بعورته فصرفت وجهى[3]. وذكر القصة -أيضًا- ابن الكلبى كما ذكـر ذلك السهيلى فى الروض الأنف. وقول على: إنه اتقانى بعـورته فأذكرنى الرحمَ إلى أن قال: ... ويروى مثل ذلك عن عـمرو بن العاص مع على -رضى الله عنه- يوم صفين، وفى ذلك يقول الحارث بن النضر السهمى كما رواه ابن الكلبى وغيره:

أفى كل يـوم فـــارس غـيـــر منتـــه وعـــورته وسط العـــجـــاجـــة بادية

يـكف لـهـــــا عـنه عـلىّ سـنانـه ويضـحك منه فى الخـلاء مـعـاوية[4]

والرد على هذا الافـتراء والإفك المبين كالآتـى: فراوى الرواية الأولى نصـر بن مزاحم الكوفى صاحب وقعة صفين شيعى جلد لا يستغرب عنه كذبه وافتراؤه على الصحابة، قال عنه الذهبى فى الميزان: نصـر بن مزاحم الكوفى رافضى جلد، تركوه، قـال عنه العقيلى: شيـعى فى حديثه اضطراب وخطأ كـثير، وقال أبو خـيثمة: كـان كذابًا[5]، وقال عنه ابن حجر: قال العجلى: كان رافضيًا غاليًا.. ليس بثقة ولا مأمون[6]. وأما الكلبى؛ هشام بن محمـد بن السائب الكلبى؛ فاتفقوا عـلى غلوه فى التشيع، قال الإمام أحـمد: من يحدث عنه؟ مـا ظننت أن أحـدًا يحدث عـنه. وقال الدارقطـنى: متـروك[7]، وعن طريق هذين

(١) البداية والنهاية (٨/ ١٢٢). (٢) الطفول جمع طفل، بالفتح، وهو الرخص الناعم.

(٣) وقعة صفين، ص(٤٠٦- ٤٠٨)، قصص لا تثبت، سليمان الخراشى (٦/ ١٩).

(٤) الروض الأنف (٥/ ٤٦٢)، قصص لا تثبت (٦/ ١٩).

(٥) ميزان الاعتدال (٤/ ٢٥٣-٢٥٤). (٦) لسان الميزان (٦/ ١٥٧).

(٧) المجروحـون لابن حبان (٣/ ٩١)، تذكرة الحـفاظ (١/ ٣٤٣)، معجم الأدباء (١٩/ ٢٨٧)، قـصص لا تثبت (١/ ١٨).

الرافضـيين سارت هذه القصـة فى الآفاق وتلقفـها من جاء بعـدهم من مؤرخى الشيـعة، وبعض أهل السنة ممن راجت عليهم أكاذيب الرافضة(١)، وتعد هذه القصة أنموذجًا لأكاذيب الشيـعة الروافض وافـتراءاتهم على صـحابة رسول الله، فـقد اخـتلق أعداء الصـحابة من مؤرخى الرافضة مثالب لأصحاب رسول الله ﷺ وصاغوها على هيئة حكايات وأشعار لكى يسهـل انتشارها بين المـسلمين، هادفين إلى الغض من جناب الصحـابة الأبرار -رضى الله عنهم- فى غـفلة من أهل السنة الذين وصلوا مـتأخريـن إلى ساحة الـتحقـيق فى روايات التاريخ الإسلامى، بعد أن طارت تلكم الأشعار والحكايات بين القصّاص وأصبح كثير منها من المسلمات، حتى عند مؤرخى أهل السنة للأسف(٢).

١٥- مرور أميـر المؤمنين على بالمقابر بعد رجـوعه من صفين: لما انصرف على أمير المؤمنين رضى الله عنه من صفين مـرّ بمقابر، فقـال: «السلام عليكم أهل الديار الموحشـة، والمحال المقـفرة من المؤمنـين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمـات، أنتم لنا سلف فـارط، ونحن لكن تبعٌ، وبكم عمّا قليل لاحقون، اللهم اغفر لنا ولهم، وتجاوز بعفوك عنا وعنهم، الحمد الله الذى جعل الأرض كفاتًا، أحياءً وأمواتًا، الحـمد الله الذى خلقكم وعليها يحشركم، ومنها يبعثكم، وطوبى لمن ذكر المعاد وأعدّ للحساب، وقنع بالكفاء»(٣).

١٦- إصرار قـتلة عثـمان -رضى الله عنـه- على أن تستـمر المعـركة: إن قتلة عثـمان كانوا حريصين على أن تستمر المعركـة بين الطرفين، حتى يتفانى الناس، وتضعف قوة الطرفين، فيكونوا بمنأى عن القصـاص والعقاب، ولذلك فإنهم فزعوا وهم يرون أهل الـشام يرفعون المصاحف، وعلى رضى الله عنه يـجيبهم إلى طلـبهم فيأمـر بوقف القتال وحـقن الدماء، فسعوا إلى ثنى أمير المؤمنين عن عزمـه، لكن القتال توقف، فسقط فى أيديهم، فلم يجدوا بدًا من الخروج على علىّ رضى الله عنه، فاختـرعوا مقولة (الحكم لله) وتحـصنوا بعيدًا عن الطرفين، والغريب أن المؤرخين لم يركزوا على ما فـعله هؤلاء فى هذه المرحلة، كما فعلوا فى مـعركة الجـمل، رغم أنهم كـانوا موجـودين فى جيش على، وعن سـر إخفـاق تلك المفاوضات التى دامت أشهرًا عديدة، وعن الدور الذى يمكن أن يكون قـتلة عثمان قد قاموا به فى معركة صفين لإفشـال كل محاولة صلح بين الطرفين، لأن اصطلاح على مع معاوية

(١) قصص لا تثبت (١/ ٢٠). (٢) المصدر نفسه (١/ ١٠).

(٣) البيان والتبيين للجاحظ (٣/ ١٤٨)، فرائد الكلام للخلفاء الكرام، ص(٣٢٧).

هو أيضًا اصطلاح على دمائهم، فلا يعقل أن يجتهـدوا فى الفتنة فى وقعة الجمل، ويتركوا ذلك فى صفين[1].

١٧- نهى أمير المؤمنين على عن شتم معاوية ولعن أهل الشام: روى أن عليًا -رضى الله عنه- لما بلغه أن اثنين من أصحابه يظهران شتم معاوية ولعن أهل الشام أرسل إليهما أن كفّا عما يبلغنى عنكما، فأتيا فقالا: يا أمير المؤمنين، ألسنا على الحق وهم على الباطل؟. قال: بلى وربِّ الكعبة المسدنّة، قالا: فلم تمنعنا من شتمهم ولعنهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعّانين، ولكن قولوا: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، وأبعدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحقَّ مَن جهله ويرعوى عن الغىِّ من لجج به[2]. وأما ما قيل من أن عليًا كان يلعن فى قنوته معاوية وأصحابه، وأن معاوية إذا قنت لعن عليًا وابن عباس والحسن والحسين، فهو غير صحيح، لأنّ الصحابة -رضوان الله عليهم- كانوا أكثر حرصًا من غيرهم على التقيد بأوامر الشارع الذى نهى عن سباب المسلم ولعنه[3]. فقد روى عن رسول الله ﷺ قوله: «من لعن مؤمنًا فهو كقتله»[4]، وقوله ﷺ: «ليس المؤمن بطعّان ولا بلعّان»[5]، وقوله ﷺ: «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»[6]. كما أن الرواية التى جاء فيها لعن أمير المؤمنين فى قنوته لمعاوية وأصحابه ولعن معاوية لأمير المؤمنين وابن عباس والحسن والحسين لا تثبت من ناحية السند حيث فيها أبو مخنف لوط بن يحيى الرافضى المحترق الذى لا يوثق فى رواياته، كما أن فى أصح كتب الشيعة عندهم جاء النهى عن سبب الصحابة، فقد أنكر علىٌّ على من سب معاوية ومن معه فقال: إنى أكره لكم أن تكونوا سبابين ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب فى القول، وأبلغ فى العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم[7]. فهذا السب والتكفير لم يكن من هدى على باعتراف أصح كتاب فى نظر الشيعة[8].

---

(١) أحداث وأحاديث فتنة الهرج، ص(١٤٧).

(٢) الأخبار الطوال، ص(١٦٥) نقلاً عن تحقيق مواقف الصحابة فى الفتنة (٢/ ٢٣٢).

(٣) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٢٣٢). (٤) البخارى، ك الأدب (٧/ ٨٤).

(٥) السلسلة الصحيحة للألبانى، رقم (٣٢٠)، صحيح سنن الترمذى (٢/ ١٨٩)، رقم (١١١٠).

(٦) مسلم (٤/ ٢٠٠٦) رقم (٢٥٩٨). (٧) نهج البلاغة، ص(٣٢٣).

(٨) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣٤).

المبحث الثالث

التحكيم

تم الاتفاق بين الفريقين على التحكيم بعد انتهاء موقعة صفين؛ وهو أن يُحكِّم كل واحد منهما رجلاً من جهته ثم يتفق الحكمان على ما فيه مصلحة المسلمين، فوكّل معاوية عمرو ابن العاص ووكل عليّ أبا موسى الأشعرى، رضى الله عنهم جميعًا، وكُتبت بين الفريقين وثيقة فى ذلك، وكان مقر اجتماع الحكمين فى دومة الجندل فى شهر رمضان سنة ٣٧ هـ، وقد رأى قسم من جيش على رضى الله عنه أن عمله هذا ذنب يوجب الكفر، فعليه أن يتوب إلى الله تعالى، وخرجوا عليه فسموا الخوارج، فأرسل على رضى الله عنه إليهم ابن عباس، رضى الله عنهما، فناظرهم وجادلهم ثم ناظرهم على رضى الله عنه بنفسه فرجعت طائفة منهم وأبت طائفة أخرى، فجرت بينهم وبين عليّ رضى الله عنه حروب أضعفت من جيشه وأنهكت أصحابه، وما زالوا به حتى قتلوه غيلة، وسيأتى تفصيل ذلك فى محله بإذن الله تعالى.

تعد قضية التحكيم من أخطر الموضوعات فى تاريخ الخلافة الراشدة، وقد تاه فيها كثير من الكُتاب، وتخبط فيها آخرون وسطروها فى كتبهم ومؤلفاتهم، وقد اعتمدوا على الروايات الضعيفة والموضوعة التى شوهت الصحابة الكرام وخصوصًا أبا موسى الأشعرى الذى وصفوه بأنه كان أبله ضعيف الرأى مخدوعًا فى القول، وبأنه كان على جانب كبير من الغفلة، ولذلك خدعه عمرو بن العاص فى قضيّة التحكيم، ووصفوا عمرو بن العاص، رضى الله عنه، بأنه كان صاحب مكر وخداع، فكل هذه الصفات الذميمة حاول المغرضون والحاقدون على الإسلام إلصاقها بهذين الرجلين العظيمين اللذين اختارهما المسلمون ليفصلا فى خلاف كبير أدّى إلى قتل كثير من المسلمين، وقد تعامل الكثير من المؤرخين والأدباء والباحثين مع الروايات التى وضعها خصوم الصحابة الكرام على أنها حقائق تاريخية، وقد تلقاها الناس منهم بالقبول دون تمحيص لها وكأنها صحيحة لا مرية فيها؛ وقد يكون لصياغتها القصصية المثيرة وما زعم فيها من خداع ومكر أثر فى اهتمام الناس بها وعناية المؤرخين بتدوينها. وليعلم أن كلامنا هذا ينصب على التفصيلات لا على أصل التحكيم حيث إن أصله حق لا شك فيه[1].

(١) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى: ص(٣٧٨)، تنزيه خال أمير المؤمنين معاوية: ص(٣٨).

وقد رأيت أن يكون المدخل في هذا المبحث التعريف بسيرة الصحابيين أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما.

أولاً: سيرة أبي موسى الأشعري:

هو عبد الله بن قيس بن حضّار بن حرب، الإمام الكبير، صاحب رسول الله ﷺ، أبو موسى الأشعري التميمي الفقيه المُقرى[1] وقد أسلم أبو موسى بمكة قديمًا، قال ابن سعد: قدم مكة فحالف سعيد بن العاص، وأسلم قديمًا وهاجر إلى أرض الحبشة[2]، وتذكر بعض الروايات أنه رجع إلى قومه للدعوة إلى الله. وقد جمع ابن حجر بين الروايات في إسلامه فقال: وقد استشكل ذكر أبي موسى فيهم، لأن المذكور في الصحيح أن أبا موسى خرج من بلاده هو وجماعة قاصدًا النبي ﷺ بخيبر.. ويمكن الجمع بأن يكون أبو موسى هاجر أولاً إلى مكة فأسلم، فبعثه النبي ﷺ مع من بعث إلى الحبشة، فتوجه إلى بلاد قومه، وهم مقابل الحبشة من الجانب الشرقي، فلما تحقق استقرار النبي ﷺ وأصحابه بالمدينة هاجر هو ومن أسلم من قومه إلى المدينة فألقتهم السفينة لأجل هيجان الريح من الحبشة، فهذا محتمل وفيه جمع بين الأخبار فليعتمد[3].

١- أوسمة الشرف التي وضعها رسول الله ﷺ على صدر أبي موسى:

أ- لكم الهجرة مرتين، هاجرتم إلى النجاشي، وهاجرتم إليَّ: عن أبي موسى، قال: خرجنا من اليمن في بضع وخمسين من قومي ونحن ثلاثة إخوة: أنا، وأبو رُهْم، وأبو عامر، فأخرجتنا سفينتنا إلى النَّجاشي، وعند جعفر وأصحابه، فأقبلنا حين افتتحت خيبر، فقال رسول الله ﷺ: «**لكم الهجرة مرتين: هاجرتم إلى النجاشي وهاجرتم إليَّ**» [4]، وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقدم عليكم غداً قوم هم أرق قلوبًا للإسلام منكم**».

فقدم الأشعريون؛ فلما دنوا جعلوا يرتجزون:

غـدًا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه

فلما قدموا تصافحوا، فكانوا أول من أحدث المصافحة[5].

ب- هم قومك يا أبا موسى: عن عياض الأشعري قال: لما نزلت: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]. قال رسول الله ﷺ: «**هم قومك يا أبا موسى**»، وأومأ إليه[6].

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨١).
(٢) الطبقات (٤/ ١٠٧).
(٣) فتح الباري (٧/ ١٨٩).
(٤) مسلم رقم (٢٥٠٢).
(٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٤) إسناده صحيح.
(٦) المستدرك (٢/ ٣١٣) صححه الحاكم ووثقه الذهبي، سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٣٨).

جـ- **اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريمًا:** عن أبي موسى قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من حنين بعث أبا عامر الأشعري على جيش أوطاس، فلقى دريد بن الصمة فقتل دريد، وهزم الله أصحابه؛ فرمى رجل أبا عامر في ركبته بسهم فأثبته[1]. فقلت: يا عم، من رماك؟ فأشار إليه. فقصدت له، فلحقته، فلما رآني، ولى ذاهبًا، فجعلت أقول له: ألا تستحي؟ ألست عربيًا؟ ألا تثبت؟ قال: فكفَّ، فالتقيت أنا وهو فاختلفنا ضربتين، فقتلته، ثم رجعت إلى أبي عامر، فقلت: قد قتل الله صاحبك. قال: فانزع هذا السهم. فنزعته فنزا منه الماء. فقال: يا ابن أخي، انطلق إلى رسول الله ﷺ فأقرئه مني السلام، وقل له يستغفر لي. واستخلفني أبو عامر على الناس، فمكث يسيرًا، ثم مات. فلما قدمنا، وأخبرت النبي ﷺ، توضأ، ثم رفع يديه، ثم قال: **اللهم اغفر لعبيد ابن أبي عامر.** حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قال: **اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك.** فقلت: ولي يا رسول الله؟ فقال: **اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريمًا**[2].

د- **إن هذا قد ردَّ البشرى فاقبلا أنتما:** عن أبي موسى، قال: كنت عند رسول الله ﷺ بالجعرانة[3] فأتى أعرابي فقال: ألا تنجز لي ما وعدتني؟ قال: أبشر. قال: قد أكثرت من البشرى. فأقبل رسول الله على عليّ وعلى بلال. فقال: **إنّ هذا قد ردَّ البشرى فاقبلا أنتما.** فقالا: قبلنا يا رسول الله، فدعا بقدح، فغسل يديه ووجهه فيه، ومجّ فيه، ثم قال: **اشربا منه، وأفرغا على رءوسكما ونحوركما،** ففعلا، فنادت أم سلمة من وراء الستر: أن فضلا لأمكما، فأفضلا لها منه[4].

هـ- **لقد أُعطى مزمارًا من مزامير آل داود:** عن ابن بريدة عن أبيه قال: خرجت ليلة من المسجد، فإذا النبي ﷺ عند باب المسجد قائم، وإذا رجل يصلي، فقال لي: **يا بريدة، أتراه يُرائي؟** قلت: الله ورسوله أعلم. قال: **بل هو مؤمن منيب، لقد أعطى مزمارًا من مزامير آل داود.** فأتيته فإذا هو أبو موسى الأشعري؛ فأخبرته[5].

و- **يا عبد الله بن قيس، ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة؟:** عن أبي موسى الأشعري قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، وكان القوم يصعدون ثنية أو عقبة، فإذا أصعد الرجل قال: لا

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٥).
(٢) مسلم، رقم (٢٤٩٨).
(٣) الجعرانة: بين مكة والطائف وهي أقرب إلى مكة.
(٤) مسلم، رقم (٢٤٩٧).
(٥) مسلم، رقم (٧٩٣)، مجمع الزوائد (٩/ ٣٥٨).

إله إلا الله، والله أكبر -أحسبه قال: بأعلى صوته- ورسول الله ﷺ على بغلته يعترضها في الجبل، فقال: أيها الناس، إنكم لا تنادون أصمَّ ولا غائبًا، ثم قال: يا عبد الله بن قيس -أو يا أبا موسى- ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: قل: لا حول ولا قوة إلا بالله[(١)].

ز- يسِّرا ولا تعسِّرا وتطاوعا ولا تُنفرا: استعمل رسول الله ﷺ أبا موسى على زبيد وعدن[(٢)] وأرسله مع معاذ إلى اليمن، فعن أبي موسى أن النبي ﷺ لما بعثه ومعاذا إلى اليمن، قال لهما: يَسِّرا ولا تُعسِّرا وتطاوعا ولا تنفرا، فقال له أبو موسى: إن لنا بأرضنا شرابًا، يصنع مع العسل يقال له التبغ، ومن الشعير يقال له: المِزر، قال: كل مسكر حرام، فقال لي معاذ: كيف تقرأ القرآن؟ قلت: أقرأه في صلاتي، وعلى راحلتي، وقائمًا وقاعدًا، أتفوقه تفوقًا، يعني شيئًا بعد شيء، قال: فقال معاذ: لكني أنام ثم أقوم، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي، قال: وكأن معاذًا فُضِّل عليه[(٣)].

٢- مكانة أبي موسى عند عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: كان أبو موسى من ضمن أعمدة الدولة في عهد عمر، وكان قائدًا للجيوش في فتح قم وقاشان[(٤)]، وموقعة تستر[(٥)]، كما كان من مؤسسي المدرسة البصرية في عهد الفاروق وكان يعد من أعلم الصحابة، وقد قدم البصرة، وعلّم بها[(٦)]، وقد تأثر بعمر بن الخطاب، رضي الله عنهما، وكان بينهما مراسلات - سنأتي عليها عند حديثنا عن مؤسسة الولاة والقضاة- وكان أبو موسى، رضي الله عنه، قد اشتهر بالعلم والعبادة والورع والحياء، وعزة النفس وعفتها، والزهد في الدنيا والثبات على الإسلام، ويعد أبو موسى، رضي الله عنه، من كبار علماء الصحابة وفقهائهم ومفتيهم، فقد ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ في الطبقة الأولى من الصحابة، رضي الله عنهم، كان عالمًا عاملاً صالحًا تاليًا لكتاب الله، إليه المنتهى في حسن الصوت بالقرآن، روى علمًا طيبًا مباركًا، أقرأ أهل البصرة وأفقههم، وقد كان رضي الله عنه كثير الملازمة للنبي ﷺ، كما أنه تلقى من كبار الصحابة كعمر وعلي وأبيّ بن كعب وعبد الله بن مسعود، وتأثر أبو موسى على وجه الخصوص بعمر بن الخطاب كثيرًا، وكان عمر يتعهده بالوصايا والكتب في أثناء ولايته الطويلة على البصرة، كما أن أبا موسى كان يرجع إلى عمر في كل

(١) مسلم، رقم (٢٧٠٤).
(٢) تاريخ خليفة بن خياط: ص(٩٧)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٢٢٦).
(٣) مسلم، رقم (١٧٣٣)، البخاري (٤٣٤٤).
(٤) البداية والنهاية (٧/ ١١٤).
(٥) المصدر نفسه (٧/ ٨٨).
(٦) تفسير التابعين (١/ ٤٢٣).

ما يعرض له من القضايا، حتى عده الشعبى واحدًا من أربعة قضاة، هم أشهر قضاة الأمة، فقال: قضاة الأمة: عمر، وعلى، وزيد بن ثابت، وأبو موسى[1]، وكان أبو موسى عندما يأتى المدينة يحرص على مجالس عمر، رضى الله عنهما، وربما أمضى جزءًا كبيرًا معه، فعن أبى بكر بن أبى موسى أن أبا موسى رضى الله عنه أتى عمر بن الخطاب بعد العشاء فقال له عمر: ما جاء بك؟ قال: جئت أتحدث إليك، قال: هذه الساعة؟ قال: إنه فقه. فجلس عمر فتحدثا طويلاً، ثم إن أبا موسى قال: الصلاة يا أمير المؤمنين، قال: إنا فى صلاة[2]. وكما كان أبو موسى حريصًا على طلب العلم والتعلم كان حريصًا على نشر العلم وتعليم الناس وتفقيههم، وكان يحض الناس على التعلم والتعليم فى خطبه، فعن أبى المهلب قال: سمعت أبا موسى على منبره وهو يقول: من علمه الله علمًا فليعلمه، ولا يقولن ما ليس له به علم، فيكون من المتكلفين، ويمرق من الدين[3]، وقد جعل أبو موسى مسجد البصرة مركز نشاطه العلمى، وخصص جزءًا كبيرًا من وقته لمجالسه العلمية، ولم يكتف بذلك، بل كان لا يدع فرصة تمر دون أن يستفيد منها فى تعليم الناس وتفقيههم، فإذا ما سلّم من الصلاة استقبل، رضى الله عنه، الناس، وأخذ يعلمهم ويضبط لهم قراءتهم للقرآن الكريم، قال ابن شوذب: كان أبو موسى إذا صلى الصبح استقبل الصفوف رجلاً رجلاً يقرئهم[4]، واشتهر أبو موسى بين الصحابة بجمال صوته، وحسن قراءته، فكان الناس يجتمعون عليه حين يسمعونه يقرأ، وكان عمر، رضى الله عنه، إذا جلس عنده أبو موسى طلب منه أن يقرأ له ما يتيسر له من القرآن[5]، وقد وفقه الله لتعليم المسلمين، وبذل رضى الله عنه كل ما يستطيع من جهد فى تعليم القرآن ونشره بين الناس فى كل البلاد التى نزل فيها، واستعان بصوته الجميل وقراءته الندية فاجتمع الناس عليه، وازدحم حوله طلاب العلم فى مسجد البصرة، فقسمهم إلى مجموعات وحلق، فكان يطوف عليهم يسمعهم ويستمع منهم ويضبط لهم قراءتهم[6]، فكان القرآن الكريم شغله الشاغل، رضى الله عنه، صرف له معظم أوقاته فى حله وفى سفره، فعن أنس بن مالك قال: بعثنى الأشعرى إلى عمر، رضى الله عنه، فقال عمر: كيف تركت الأشعرى؟ فقلت له: تركته

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٩).

(٢) أبو موسى الأشعرى الصحابى العلم المجاهد، محمد طهماز، ص(١٢١).

(٣) الطبقات (٤/ ١٠٧).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٩٨).

(٥) أبو موسى الأشعرى الصحابى العالم، ص(١٢٥، ١٢٦)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٩١).

(٦) المصدر نفسه، ص(١٢٧)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٩).

يعلم الناس القرآن، فقال: أما إنه كيِّس[1]، ولا تُسمعها إياه[2]. حتى عندما كان يخرج إلى الجهاد كان يعلم ويفقِّه، فعن حطّاب بن عبد الله الرقاشي قال: كنا مع أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في جيش على ساحل دجلة، إذ حضرت الصلاة، فنادى مناديه للظهر، فقام الناس للوضوء، فتوضأ ثم صلى بهم، ثم جلسوا حلقًا، فلما حضرت العصر نادى منادي العصر، فهبَّ الناس للوضوء أيضًا فأمر مناديه: لا وضوء إلا على من أحدث.

وأثمرت جهوده العلمية، رضي الله عنه، وقرت عينه برؤية عدد كبير حوله من حفاظ القرآن الكريم وعلمائه، زاد عددهم في البصرة وحدها على ثلاثمائة، ولما طلب عمر بن الخطاب من عماله أن يرفعوا إليه أسماء حفاظ القرآن لكي يكرمهم ويزيد عطاءهم، فكتب إليه أبو موسى أنه بلغ من قبلي ممن حمل القرآن ثلاثمائة وبضعة رجال[3]، واهتم أبو موسى، رضي الله عنه، بتعليم السنة وروايتها، فروى عنه عدد من الصحابة وكبار التابعين. قال الذهبي -رحمه الله-: حدّث عنه بريدة بن الحصيب، وأبو أمامة الباهلي، وأبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وطارق بن شهاب، وسعيد بن المسيب، والأسود بن يزيد، وأبو وائل شقيق بن سلمة، وأبو عثمان النهدي وخلق سواهم[4]، وكان رضي الله عنه شديد التمسك بسنة النبي ﷺ، دلَّ على ذلك مسيرته في الحياة وما أوصى به أولاده عند موته، ومع حرصه الشديد على السنة لم يكثر، رضي الله عنه، من رواية الأحاديث الشريفة كما هو حال كبار الصحابة، رضي الله عنهم، فقد كانوا يتهيبون من الرواية عن النبي ﷺ، وكان من المقربين لأبي موسى في البصرة أنس بن مالك ويعتبر من خواصه، فعن ثابت عن أنس قال: كنا مع أبي موسى في مسير، والناس يتكلمون ويذكرون الدنيا، قال أبو موسى: يا أنس إن هؤلاء يكاد أحدهم يفري الأديم بلسانه فريًا، فتعال فلنذكر ربنا ساعة، ثم قال: ما ثبر الناس -ما بطأ بهم-؟ قلت: الدنيا والشيطان والشهوات، قال: لا، لكن عُجِّلت الدنيا وغُيِّبت الآخرة، أما والله لو عاينوها ما عدّلوا ولا بدّلوا[5]. ولثقة أبي موسى بأنس فقد كان يكلفه أن يكون رسوله إلى أمير المؤمنين عمر، قال أنس: بعثني أبو موسى الأشعري من البصرة إلى عمر فسألني عن أحوال الناس، وبعد موقعة تستر أرسله أبو موسى إلى عمر بالأسرى والغنائم فقدم على عمر بصاحبها الهرمزان[6].

(1) الطبقات (٤/١٠٨) رجاله ثقات، كيّس: عاقل فطن.
(2) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٩٠).
(3) أبو موسى الأشعري، ص(١٢٩).
(4) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨١).
(5) أنس بن مالك الخادم الأمين، عبد الحميد طهماز، ص(١٣٥).
(6) تاريخ الطبري (٥/٦٦).

٣- ولاية أبى موسى فى عهد عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم: يعتبر أبو موسى -بحق- أشهر ولاة البصـرة أيام عمر بن الخطاب، فقد فتحت فى أيـامه المواقع العديدة فى فارس، فكان يجاهد بنفسه، ويرسل القادة للجهات المختلفة من البصرة، ففى أيامه تمكن البصريون من فتح الأهواز وما حـولها وفتحوا العـديد من المواضع المهمة، وكانت فتـرة ولايته حافلة بالجهاد، وقد تعـاون أبو موسى مع الولاة المجاورين له فى كثير من الحـروب والفتوحات، وقد قام بجهود كبيرة لتنظيم المناطق المفتوحـة وتعيين العمال عليها وتأمينها وترتيب مختلف شئونهـا، وقد جرت العديد من المراسـلات بين أبى موسى وعمر بن الخطاب فـى مختلف القضايا؛ منهـا توجيهه لأبى مـوسى فى كيفية اسـتقباله للناس فى مـجلس الإمارة، ومنها نصيحته لأبى موسى بالورع ومـحاولة إسعاد الرعية، وهى قيِّمة قال فيـها عمر: «أما بعد، فإن أسعـد الناس من سعدت به رعيتـه، وإن أشقى الناس من شقيت به رعـيته، وإياك أن ترتع فيـرتع عمالك، فيكـون مثلك عند ذلك مثل البـهيمة نظرت إلى خـضرة من الأرض فرتعت تبغى السمن وإنما حتـفها فى سمنها»[(١)]. وهناك العديد من الرسائل بين عمر وأبى موسى تدل على نواحٍ إدارية وتنفـيذية مختلفة كان يقـوم بها أبو موسى بتوجيـه من عمر، وقد جمع معظم هذه المراسلات محمد حمـيد الله فى كتابه القيم عن الوثائق السياسية[(٢)].

وتعتبر فترة ولاية أبى موسى على البصرة من أفضل الفترات حتى لقد عبر عنها أحد أحفاد البصريين فيما بـعد، وهو الحسن البصرى -رحمه الله- فقال: ما قدمـها راكب خير لأهلها من أبى موسى[(٣)]، إذ إن أبا مـوسى -رحمه الله- كـان بالإضافـة إلى إمارتـه خير مـعلم لأهلها، حـيث علَّمهم القرآن وأمور الدين المخـتلفة[(٤)]، وفى عهد عـمر بن الخطاب كان العديد من المدن فى فـارس -والتى فتحت فى زمنه- تخضع للبـصرة، وتدار من قِبل والى البصرة الذى يعين عليـها العمال من قِبَله، ويـرتبطون به ارتباطًا مباشرًا، وهكذا اعـتبر أبو موسى من أعظم ولاة عمر. واعتبرت مراسلات عمر مع أبى موسى من أعظم المصادر التى كشفت سيرة عمر مع ولاته، وبينت ملامح أسلوبه فى التعامل معهم[(٥)]، وقد أوصى عمر -رضى الله عنه- فى وصـيتـه للخليـفة من بعـده ألا يقرَّ لـى عامل أكـثر من سنة، وأقـر الأشعرى أربع سنين[(٦)]، وقد تولى أبو مـوسى منصب القضاء فى عهـد عمر وكان كـتاب عـمر إليـه فى القـضاء أنموذجًـا ومـثالاً يفـيد كـل قاض، بل وكل إدارى، فى كل زمـان

(١) مناقب عمر لابن الجوزى، ص(١٣٠).
(٢) الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة.
(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٩).
(٤) الولاية على البلدان (١/ ١٢٠).
(٥) المصدر نفسـه (١/ ١٢٠).
(٦) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٩١).

ومكان[1]، وقال عنه ابن القيم: وهذا كتاب جليل تلقاه العلماء بالقبول، وبنوا عليه أصول الحكم، والشهادة، والمفتى أحوج شىء إليه وإلى تأمله والتفقه فيه[2]، كما تولى الولاية فى عهد عثمان واستقضاه ذو النورين على البصرة أيضًا، ولما قتل عثمان كان واليًا على الكوفة، ولما تولى على رضى الله عنه الخلافة، أخذ أبو موسى له البيعة من أهل الكوفة، إذ كان واليًا عليها لعثمان بن عفان رضى الله عنه، وحين استنفر الخليفة الكوفيين من ذى قار، رأى أبو موسى بوادر الفتنة والانشقاق بين المسلمين، فنصح لأهل الكوفة أن يلزموا بيوتهم ويعتزلوا هذا الأمر فإنما هى فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشى، ولكن لاختلاف وجهة نظره مع الخليفة عزل عن ولاية الكوفة[3].

إن حياة أبى موسى، رضى الله عنه، منذ إسلامه قضاها فى نشر الإسلام وتعليم الناس العلم، وخاصة القرآن الذى اشتهر بقراءته، والجهاد فى سبيل الله والحرص عليه، والفصل فى الخصومات، ونشر العدل وضبط الولايات عن طريق القضاء والإدارة، ولا شك أن هذه المهامّ صعبة وتحتاج إلى مهارات وصفات فريدة من العلم والفهم والفطنة والحذق والورع والزهد، وقد أخذ منها أبو موسى بنصيب وافر، فاعتمد عليه رسول الله ﷺ ثم الخلفاء الأربعة من بعده رضوان الله عليهم[4]، فهل يتصور أن يثق رسول الله ﷺ، ثم خلفاؤه بعده برجل يمكن أن تجوز عليه مثل الخدعة التى ترويها قصة التحكيم؟![5].

إن اختيار أبى موسى -رضى الله عنه- حكمًا عن أهل العراق من قبل علىّ -رضى الله عنه- وأصحابه ينسجم تمامًا مع الأحداث، فالمرحلة التالية هى مرحلة الصلح وجمع كلمة المسلمين، وأبو موسى الأشعرى كان من دعاة الصلح والسلام، كما كان فى الوقت نفسه محبوبًا، مؤتمنًا من قبائل العراق، وقد ذكرت المصادر المتقدمة أن عليًا هو الذى اختار أبا موسى الأشعرى، يقول خليفة فى تاريخه: وفيها -سنة ٣٧ هـ- اجتمع الحكمان: أبو موسى الأشعرى من قبل علىّ، وعمرو بن العاص من قبل معاوية[6]، ويقول ابن سعد: فكره الناس الحرب وتداعوا على الصلح، وحكّموا الحكمين، فحكَّم علىٌّ أبا موسى، وحكّم معاويةُ عمرو بن العاص[7]، ولهذا يمكن القول إن الدور المنسوب للقراء فى صفين من مسئولية وقف القتال والتحكيم، وفرض أبى موسى حكمًا ليست إلا فرية تاريخية

(١) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد، ص(٢٦٢).
(٢) أعلام الموقعين (١/ ١٨٦).
(٣) فتح البارى (١٣/ ٥٣)، التاريخ الصغير (١/ ١٠٩).
(٤) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد، ص(٢٦٢).
(٥) تحقيق مواقف الصحابة فى الفتنة (٢/ ٢٢٧).
(٦) تاريخ خليفة، ص(١٩١، ١٩٢).
(٧) الطبقات (٣/ ٣٢).

اخترعـها الإخباريون الشيـعة الذين ما انقطعوا عن تزوير وتشـويه تاريخ الإسلام بالروايات الباطلة، وكان يزعـجهم أن يظهر علىّ -رضى الله عنه- بمظهر المتعـاطف مع معاوية وأهل الشام، وأن يرغب فى الصلح مع أعدائهم التـقليديين، ومن جهة أخرى يحملـون المسئولية لأعدائهم الخوارج ويتخلـصون منها، ويجعلون دعوى الخوارج تناقض نفـسها، فهم الذين أجبروا عليًا على قبول التحكيم، وهم الذين ثاروا عليه بسبب قبول التحكيم[1]

إن هذه العجالة عن شخصية أبى موسى لها علاقة ببحثنا عن شخصية أمير المؤمنين على وعصره، وأبو موسى من الشخصيات المؤثرة فى عـصره، وقد تعرضت للتشويه، وغالبًا إذا تحدث أحـد عن صـفين والتحكيم تعـرضت شخـصيـة أبى موسى وعـمرو بن الـعاص، للتشـويه، والكذب والافتـراء بسبب الروايات الضـعيفـة والموضوعة، فكان لزامًـا علينا أن نتحـدث عن شىء من سيرتهـما العطرة الزكيـة، وهذا المقصد من أهـداف الكتابة فى هذا البحث.

ثانيًا: سيرة عمرو بن العاص رضى الله عنه:

هو عمـرو بن العاص بن وائل السـهمى، يكنى أبا مـحمـد وأبا عبد الله، ويـتفق ابن إسحاق[2] والزبير بن بكار[3] أن إسلامه كان عند النجاشى فـى الحبشة، وهاجر إلى المدينة فى صفر سنة ثـمان للهجرة، وذكر ابن حـجر أنه أسلم سنة ثمان قبل الفـتح، وقيل: بين الحديبية وخيبر[4]

١- **إسلامه:** نترك عمرو بن العاص، رضى الله عنه، يحـدثنا عن إسلامه، فقد قال: لما انصرفنا مع الأحـزاب عن الخندق جمعت رجـالاً من قريش، كانوا يرون رأيى ويسمـعون منى، فقـلت لهم: تعلمون والله إنى أرى أمـر محمـد يعلو الأمور علوًا منـكرًا، وإنى قد رأيت أمرًا، فـما ترون فيه؟ قـالوا: وماذا رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجـاشى، فإنا أن نكون تحت يديه أحب إلـينا أن نكون تحت يدى مـحمـد، وإن ظهـر قـومنا فنحن من قـد عرفوا، فلن يأتينا منهم إلا خـير، قالوا: إن هذا الرأى، قلت: فاجمعـوا لنا ما نهديه له، وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم[5]، فجمعنا له أدمًا كثـيرًا ثم خرجنا حتى قدمنا

(١) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٢١٥).

(٢) المعجم الكبير للطبرانى (٩/ ٥٣) أرسلها ابن إسحاق.

(٣) الإصابة (٣/ ٢) خلافة على، عبد الحميد، ص (٢٦٣).

(٤) تهذيب التهذيب (٨/ ٥٦).

(٥) الأدم: الجلد

عليه، فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمرى، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه فى شأن جعفر وأصحابه، قال: فدخل عليه، ثم خرج من عنده، قال: فقلت لأصحابى: هذا عمرو بن أمية الضمرى، لو دخلت على النجاشى، وسألته إياه فأعطانيه، فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أنى أجزأت عنها[1]، حيث قتلت رسول محمد، قال: فدخلت عليه، فسجدت له كما كنت أصنع، فقال: مرحبًا صديقى، أهديت إلىّ من بلادك شيئًا؟ قال: قلت: نعم، أيها الملك، قد أهديت إليك أدمًا كثيرًا، قال: ثم قربته إليه فأعجبه واشتهاه، ثم قلت له: أيها الملك إنى قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا، فأعطنيه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا، قال: فغضب، ثم مد يده، فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره، فلو انشقت لى الأرض لدخلت فيها فرقًا منه، ثم قلت له: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه، قال: أتسألنى أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى لقتله؟ قال: قلت: أيها الملك، أكذلك هو؟ قال: ويحك يا عمرو أطعنى واتبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده، قال: قلت: أفتبايعنى له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده فبايعته على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابى، وقد حال رأيى عما كان عليه، وكتمت على أصحابى إسلامى، ثم خرجت عامدًا إلى رسول الله لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد، وذلك قبيل الفتح، وهو مقبل من مكة، فقلت: أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المنسم[2]، وإن الرجل لنبى، أذهب والله فأسلم، فحتى متى؟ قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم. قال: فقدمنا المدينة على رسول الله ﷺ، فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوت، فقلت: يا رسول الله ﷺ، إنى أبايعك على أن يُغفر لى ما تقدم من ذنبى، ولا أذكر ما تأخر، قال: فقال رسول الله ﷺ: «يا عمرو بايع، فإن الإسلام يجُبُّ ما كان قبله، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها»، قال: فبايعته ثم انصرفت[3]. وفى رواية قال: .. فلما جعل الله الإسلام فى قلبى أتيت النبى ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدى، قال: مالك يا عمرو؟ قال: قلت: أردت أن أشترط. قال: تشترط بماذا؟ قلت: أن يغفر لى. قال: أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟[4].

(١) أجزأت عنها: كفيتها. (٢) استقام المنسم: تبين الطريق ووضح.

(٣) صحيح السيرة النبوية، ص(٤٩٤)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٦٠)، والسيرة لابن هشام (٢/ ٢٧٦).

(٤) مسلم، ك الإيمان، رقم (١٢١).

٢- عمرو بن العاص يقود سرية فى ذات السلاسل ٧ هـ: جهز النبى ﷺ جيشًا بقيادة عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل، وذلك لتأديب قضاعة التى غرها ما حدث فى مؤتة التى اشتركت فيها إلى جانب الروم، فتجمعت تريد الدنو من المدينة، فتقدم عمرو بن العاص فى ديارها ومعه ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار، ولما وصل إلى مكان تجمع الأعداء بلغه أن لهم جموعًا كثيرة، فأرسل إلى رسول الله ﷺ يطلب المدد فجاءه مدد بقيادة أبى عبيدة ابن الجراح[(١)]، وقاتل المسلمون الكفار، وتوغل عمرو فى ديار قضاعة التى هربت وتفرقت وانهزمت، ونجح عمرو فى إرجاع هيبة الإسلام لأطراف الشام، وإرجاع أحلاف المسلمين لصداقتهم الأولى، ودخول قبائل أخرى فى حلف المسلمين، وإسلام الكثيرين من بنى عبس، وبنى مرة، وبنى ذبيان، وكذلك فزارة وسيدها عيينة بن حصن فى حلف مع المسلمين، وتبعها بنو سليم، وعلى رأسهم العباس بن مرداس، وبنو أشجع، وأصبح المسلمون هم الأقوى فى شمال بلاد العرب، وإن لم يكن فى البلاد جميعها[(٢)]، وفى هذه الغزوة دروس وعبر وحكم تتعلق بعمرو بن العاص منها:

أ- إخلاص عمرو بن العاص: يقول عمرو: بعث إلىّ رسول الله ﷺ فقال: خذ عليك ثيابك، وسلاحك، ثم ائتنى. فأتيته وهو يتوضأ، فصعد فىّ النظر، ثم طأطأ، فقال: إنى أريد أن أبعثك على جيش[(٣)]، فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك فى المال رغبة صالحة. قال: قلت: يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال، ولكنى أسلمت رغبة فى الإسلام، وأن أكون مع رسول الله ﷺ. قال: يا عمرو نعم المال الصالح للمرء الصالح[(٤)]. فهذا الموقف يدل على قوة إيمان وصدق وإخلاص عمرو بن العاص للإسلام وحرصه على ملازمة رسول الله ﷺ وقد بين له رسول الله ﷺ أن المال الحلال نعمة إذا وقع بيد الرجل الصالح، لأنه يبتغى وجه الله ويصرفه فى وجوه الخير ككفالة الأيتام والأرامل والدعاة ودعم المجاهدين، والمشاريع الخيرية وغيرها من وجوه البر، ويعفّ به نفسه وأسرته[(٥)]، ويغنى به المسلمين، ونستنبط من الحديث أن سعى العبد للحصول على المال الصالح أمر محمود يحث عليه النبى ﷺ كما أن الرجل ذا المال إذا استطعنا إيصال الصلاح له ليجمع بين صلاح المال وصلاح نفسه كما فى الحديث، فهو أيضًا مطلوب ومحمود، وهذا خير له وللإسلام والمسلمين.

(١) السيرة النبوية الصحيحة (٢/ ٤٧١)، السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٢٨٠).
(٢) السيرة النبوية لأبى شهبة (٢/ ٤٣٣)، السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٢٨٠).
(٣) جيش: سرية ذات السلاسل.
(٤) رواه ابن حبان فى الموارد (٢٢٧٧)، صحيح السيرة، ص(٥٠٨) صححه الألبانى.
(٥) التاريخ الإسلامى للحميدى (٧/ ١٣٣).

ب- حرص عمرو على سلامة قواته: بعث رسول الله ﷺ عمرًا فى غزوة ذات السلاسل، فأصابهم برد، فقال لهم عمرو: لا يوقدن أحد نارًا، فلما قدم شكوه، قال: يا نبى الله، كان فيهم قلة، فخشيت أن يرى العدو قلتهم، ونهيتهم أن يتبعوا العدو مخافة أن يكون لهم كمين، فأعجب ذلك رسول الله(1).

جـ- من فقه عمرو بن العاص رضى الله عنه: قال عمرو بن العاص رضى الله عنه: احتلمت فى ليلة باردة فى غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيممت، ثم صليت بأصحابى الصبح، فذكروا ذلك للنبى ﷺ فقال: **يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟** فأخبرته بالذى منعنى من الاغتسال وقلت: إنى سمعت الله يقول: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**﴾ [النساء: ٢٩]، فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئًا(2). وهذا الاجتهاد من عمرو بن العاص يدل على فقهه ووفور عقله، ودقة استنباط الحكم من دليله(3)، ولئن وقف الفقهاء عند هذه الحادثة يفرعون عليها الأحكام، فإن الذى يستوقفنا(4) منها تلك السرعة فى أخذ عمرو للقرآن وصلته به حتى بات قادرًا على فقه الأمور من خلال الآيات وهو لم يمض على إسلامه أربعة أشهر، إنه الحرص على الفقه فى دين الله، وقد يكون عمرو -وهذا احتمال وارد- على صلة بالقرآن قبل إسلامه يتتبع ما يستطيع الوصول إليه، وحينئذ نكون أمام مثال آخر من عظمة هذا القرآن الذى لوى أعناق الكافرين وجعلهم وهم فى أشد حالات العداوة لهذا الدين يحاولون استماع هذا القرآن، كما رأينا ذلك فى العهد المكى، ويؤيد هذا ما رأيناه من معرفته بالقرآن حينما طلب من النجاشى أن يسأل مهاجرى الحبشة عن رأيهم فى عيسى عليه السلام(5).

٣- فضائله ومناقبه:

أ- شهادة رسول الله ﷺ له بالإيمان: قال رسول الله ﷺ: **أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص**(6)، وفى حديث آخر قال رسول الله ﷺ: **ابنا العاص مؤمنان عمرو وهشام**(7)، وقال

(١) سير أعلام النبلاء (٣/٦٦).

(٢) المصدر نفسه (٣/٦٧) إسناده صحيح، صححه ابن حبان، رقم (٢٠٢).

(٣) غزوة الحديبية لأبى فارس، ص(٢١٠).

(٤) معين السيرة، ص(٣٨١)، القائل هو صالح أحمد الشامى صاحب معين السيرة.

(٥) المصدر نفسه، ص(٣٨١)، مسند أحمد (١/٢٠٣) رجاله رجال الصحيح.

(٦) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/٢٣٨)، رقم (١٥٥) وحسنه.

(٧) الطبقات (٤/١٩١)، السلسلة الصحيحة (١/٢٤٠)، رقم (١٥٦).

عمرو بن العاص: فزع الناس بالمدينة مع النبى ﷺ فتفرقوا، فرأيت سالمًا احتبى سيفًا فجلس فى المسجد، فلما رأيت ذلك فعلت مثل الذى فعل، فخرج رسول الله ﷺ فرآنى وسالمًا، وأتى الناس فقال: **أيها الناس ألا مفزعكم إلى الله ورسوله، ألا فعلتم كما فعل هذان الرجلان؟**(1)

ب- تقديم رسول الله ﷺ له على غيره، وشهادته له بأنه من صالحى قريش: فقد جاء عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قوله: ما عدل بى رسول الله ﷺ وبخالد أحدًا منذ أسلمنا فى حرب(2). وشهد له رسول الله ﷺ بأنه من صالحى قريش، فعن أبى مليكة قال: قال طلحة بن عبيد الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **إن عمرو بن العاص من صالحى قريش**(3). وهنا درس نبوى في معرفة النبى ﷺ لمعادن الرجال والاستفادة منها.

جـ- دعاء رسول الله ﷺ له: عن زهير بن قيس البلوى عن عمه علقمة بن رمثة البلوى قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى البحرين، ثم نعس رسول الله ﷺ ثم استيقظ فقال: «**رحم الله عمرًا**». فتذاكرنا مَنْ اسمه عمرو ثم نعس ثانية فاستيقظ فقال: «**رحم الله عمرًا**». ثم نعس ثالثة فاستيقظ، فقال: «**يرحم الله عمرًا**». قلنا: من عمرو يا رسول الله؟ قال: «**عمرو بن العاص**» قلنا: وما باله؟ قال: **ذكرته إنى كنت إذا ندبت الناس للصدقة، جاء من الصدقة فأجزل، فأقول: من أين لك هذا يا عمرو؟ فيقول: من عند الله، وصدق عمرو، إن لعمرو عند الله خيرًا كثيرًا**. قال زهير: فلما كانت الفتنة قلت: أتبع هذا، قال فيه رسول الله ما قال، فلم أفارقه(4).

٤- أعماله فى عهد أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم: كان رسول الله ﷺ قد أرسل عمرًا إلى دعوة ابنى الجلندى «جيفر، وعباد» إلى الإسلام ودعاهما إلى الإسلام وصدقا بالنبى ﷺ وخليا بين عمرو وبين الصدقة والحكم فيما بين قومهم، وكانا له عونًا على من خالفه(5)، وبعد وفاة رسول الله ﷺ وجّه الصديق عمرو بن العاص بجيش إلى فلسطين، وكان الصديق خيَّره بين البقاء فى عمله الذى أسنده إليه رسول الله ﷺ وبين أن يختار له ما هو خير له فى الدنيا والآخرة، إلا أن الذى هو فيه أحب إليه، فكتب إليه عمرو بن

(1) مسند أحمد (٣/٢٠٣) بسند حسن. (2) سنن البيهقى باب إسلام عمرو بن العاص (٤/٤٣).
(3) سنن الترمذى ك المناقب، باب مناقب عمرو بن العاص، رقم (٣٨٤٤).
(4) المعجم الكبير (١٨/٥) المستدرك (٣/٤٥٥) صححه الحاكم وقال الذهبى: صحيح إسناده حسن.
(5) الطبقات (١/٢٦٢) جوامع السيرة لابن حزم، ص(٢٤، ٢٩).

العاص: إنى سهم من سـهام الإسلام وأنت بعد الله الرامى بها والجامع لهـا، فانظر أشدها وأخشاها وأفضلها فارم به[1]، فلما قدم المدينة أمره أبو بكر -رضى الله عنه- أن يخرج من المدينة وأن يعسكر حـتى يندب معه الناس. . ثم أرسله بجـيش إلى الشام[2]. وفى معركة اليرموك كـان عمرو على الميمنة، فكان لمشاركـته أثر كبير فى انتصـار المسلمين، وبعد وفاة الصديق استمر عمرو فى الشام وكانت له مشـاركة فعالة فى حركة الفتح الإسلامى بالشام، فقد قام بمشاركة شرحبـيل بن حسنة فى فتح بيسان، وطبرية، وأجنادين[3]، كما قام رضى الله عنه بفـتح غـزة، واللد، ويُبنى، وعـمـواس، وبيت جـبـرين، ويافـا، ورفح، وبيت المقدس، ولم يقتصر عمـرو -رضى الله عنه- على فتح بلاد الشام وحدها، بل شمل أيضًا بعض مشـاهير بلاد مصر، حـيث كان عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- أصـدر أمره إلى عمرو بن العاص- رضى الله عـنه- بعد الفراغ من فتوح الشام أن يسيـر بمن معه من الجند إلى مصر، فخرج رضى الله عنه حتى وصل إلى العريش ففتحها، كما شملت حركة الفتح أيضًـا: الفرمـا، والفسـطاط، وحصن بابليـون، وعين شـمس، والفيـوم، والاشمـونين، وأخمـيم، والبشرود، وتنيس، ودمـياط، وتونة، ودقهلة، ودمـياط، والإسكندرية، وبلادًا إفريقـية أخرى مثـل؛ برقة وزويلة وطرابلس[4]، وقد شـهد له الفاروق بـصفات الزعـامة والإمامة فقال: ما ينبـغى لأبى عبد الله أن يمشى على الأرض إلا أميرًا[5]. وكان فى عهد عثمان من المقربين إلى الخليفة ومن أهل مـشورته،ولما أحيط بعثمان، رضى الله عنه، خرج عمرو بن العاص من المدينة مـتوجهًا إلى الشام وقال: والله يا أهل المدينة مـا يقيم بها أحد فيدركه قتل هذا الرجل إلا ضربه الله عز وجل بذل، ومـن لم يستطع نصره فليهرب، فسار وسار معـه ابناه عبد الله ومـحمد، وخرج بعـده حسان بن ثابت وتتابع على ذلـك ما شاء الله[6]، وعندما جاء الخـبر عن مقتل عثمـان رضى الله عنه وبأن الناس بايعوا على بن أبى طالب، قال عمرو بن العاص: رحم الله عثمـان ورضى الله عنه وغفر له، فقال سلامة بن زنباع الجذامى: يا مـعشر العرب إنه قـد كان بينكم وبين العرب باب فاتخـذوا بابًا إذا كسر البـاب، فقـال عمـرو: وذاك الذى نريد ولا يصلح الباب إلا أشـاف[7]، تخرج الحق من حافرة البأس ويكون الناس فى العدل سواء، ثم تمثل عمرو بن العاص بهذه الأبيات:

(١) إتمام الوفاء بسيرة الخلفاء، ص(٥٥). (٢) فتوح الشام للأزدى، ص(٤٨-٥١).

(٣) تاريخ الطبرى (٣/ ٦٠٥)، الكامل لابن الأثير (٢/ ٤٩٨).

(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ٧٠)، القيادة العسكرية فى عهد الرسول، ص(٦٣٤-٩٤٢).

(٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ٧٠). (٦) تاريخ الطبرى نقلاً عن عمرو بن العاص للغضبان، ص(٤٦٤).

(٧) أشاف: جمع أشفى وهو المثقب.

فيا لهف نفسى على مالك ... وهل يصرف مالك حفظ القدر

أنزع من الحَر[1] أودى بهم ... فأعذرهم أم بقومى سكر

ثم ارتحل راجلاً يبكى ويقول: يا عثماناه؛ أنعى الحياء والدين، حتى قدم دمشق[2].

هذه هى الصورة الصادقة عن عمرو رضى الله عنه والمتالية مع شخصيته وخط حياته وقربه من عثمان، أما الصورة التى تمسخه إلى رجل مصالح وصاحب مطامع وراغب دنيا فهى الرواية المتروكة الضعيفة، رواية الواقدى عن موسى بن يعقوب[3]، وقد تأثر بالروايات الضعيفة والسقيمة مجموعة من الكتاب والمؤرخين، فأهووا بعمرو إلى الحضيض، كالذى كتبه محمود شيت خطاب[4]، وعبد الخالق سيد أبو رابية[5]، وعباس محمود العقاد الذى يتعالى عن النظر فى الإسناد ويستخف بقارئه، ويظهر له صورة معاوية وعمرو رضى الله عنهما بأنهما: . . . انتهازيان صاحبا مصالح. ولو أجمع الناقدون التاريخيون على بطلان الروايات التى استند إليها فى تحليله، فهذا لا يعنى للعقاد شيئًا، فقد قال بعد أن ذكر روايات ضعيفة واهية لا تقوم بها حجة: . . وليقل الناقدون التاريخيون ما بدا لهم أن يقولوا فى صدق هذا الحوار، وصحة هذه الكلمات، وما ثبت نقله ولم يثبت منه سنده، ولا نصه، فالذى لا ريب فيه ولو أجمعت التواريخ قاطبة على نقضه أن الاتفاق بين الرجلين، كان اتفاق مساومة ومعاونة على الملك والولاية، وأن المساومة بينهما كانت على النصيب الذى آل إلى كل منهما ولولاه لما كان بينهما اتفاق[6].

إن شخصية عمرو رضى الله عنه الحقيقية أنه رجل مبادئ، غادر المدينة حين عجز عن نصرة عثمان، وبكى عليه بكاءً مُرًّا حين قتل، فقد كان يدخل فى الشورى فى عهد عثمان من غير ولاية، ومضى إلى معاوية، رضى الله عنهما، يتعاونان معًا على حرب قتلة عثمان والثأر للخليفة الشهيد[7]، لقد كان مقتل عثمان كافيًا لأن يحرك كل غضبه على أولئك المجرمين السفاكين، وكان لابد من اختيار مكان غير المدينة للثأر من هؤلاء الذين تجرأوا على حرم رسول الله وقتلوا الخليفة على أعين الناس، وأى غرابة أن يغضب عمرو لعثمان؟

(١) الحر: جمع حرة وهى الظلمة الشديدة.

(٢) تاريخ الطبرى نقلاً عن عمرو بن العاص، ص(٤٦٤). (٣) عمرو بن العاص للغضبان، ص (٤٨١).

(٤) سفراء النبى ﷺ محمود شيت خطاب، ص(٥٠٨).

(٥) عمرو بن العاص، عبد الخالق سيد أبو رابية، ص(٣١٦).

(٦) عمرو بن العاص للعقاد، ص(٢٣١، ٢٣٢). (٧) عمرو بن العاص للغضبان، ص(٤٨٩، ٤٩٠).

وإن كان هناك من يشك فى هذا الموضوع فمداره على الروايات المكذوبة التى تصور عَمْرًا همه السلطة والحكم[1].

ثالثًا: نص وثيقة التحكيم:

بسم الله الرحمن الرحيم

١- هذا ما تقاضى عليه على بن أبى طالب، ومعاوية بن أبى سفيان وشيعتهما، فيما تراضيا فيه من الحكم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

٢- قضية علىّ على أهل العراق شاهدهم وغائبهم، وقضية معاوية على أهل الشام شاهدهم وغائبهم.

٣- إنّا تراضينا أن نقف عند حُكم القرآن فيما يحكم من فاتحته إلى خاتمته، نحيى ما أحيا ونميت ما أمات. على ذلك تقاضينا وبه تراضينا.

٤- وإن عليًا وشيعته رضوا بعبد الله بن قيس ناظرًا وحاكمًا، ورضى معاوية بعمرو بن العاص ناظرًا وحاكمًا.

٥- على أن عليًا ومعاوية أخذا على عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله، أن يتخذا القرآن إمامًا ولا يعدوا به إلى غيره فى الحكم بما وجداه فيه مسطورًا، وما لم يجدا فى الكتاب رداه إلى سنة رسول الله الجامعة، لا يعتمدان لها خلافًا، ولا يبغيان فيها بشبهة.

٦- وأخذ عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص على علىّ ومعاوية عهد الله وميثاقه بالرضا بما حكما به مما فى كتاب الله وسنة نبيه، وليس لهما أن ينقضا ذلك ولا يخالفاه إلى غيره.

٧- وهما آمنان فى حكومتهما على دمائهما وأموالهما وأشعارهما وأبشارهما وأهاليهما وأولادهما، لم يَعْدُوَا الحق، رضى به راض أو سخط ساخط، وإن الأمة أنصارهما على ما قضيا به من الحق مما فى كتاب الله.

٨- فإن توفى أحد الحكمين قبل انقضاء الحكومة، فلشيعته وأنصاره أن يختاروا مكانه رجلاً من أهل المعدلة والصلاح، على ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق.

---

(١) عمرو بن العاص للغضبان، ص(٤٩٢).

٩- وإن مات أحد الأميرين قبل انقضاء الأجل المحدود فى هذه القضية، فلشيعته أن يولوا مكانه رجلاً يرضون عدله.

١٠- وقد وقعت القضية بين الفريقين والمفاوضة ورفع السلاح.

١١- وقد وجبت القضية على ما سميناه فى هذا الكتاب، من موقع الشرط على الأميرين والحكمين والفريقين، والله أقرب شهيد وكفى به شهيدًا، فإن خالفا وتعديا، فالأمة بريئة من حكمهما، ولا عهد لهما ولا ذمة.

١٢- والناس آمنون على أنفسهم وأهاليهم وأولادهم وأموالهم إلى انقضاء الأجل، والسلاح موضوعة، والسبل آمنة، والغائب من الفريقين مثل الشاهد فى الأمر.

١٣- وللحكمين أن ينزلا منزلاً متوسطًا عدلاً بين أهل العراق والشام.

١٤- ولا يحضرهما فيه إلا من أحبًا عن تراض منهما.

١٥- والأجل إلى انقضاء شهر رمضان، فإن رأى الحكمان تعجيل الحكومة عجّلاها، وإن رأيا تأخيرها إلى آخر الأجل أخّراها.

١٦- فإن هما لم يحكما بما فى كتاب الله وسنة نبيه إلى انقضاء الأجل، فالفريقان على أمرهما الأول فى الحرب.

١٧- وعلى الأمة عهد الله وميثاقه فى هذا الأمر، وهم جميعًا يد واحدة على من أراد فى هذا الأمر إلحادًا أو ظلمًا أو خلافًا.

وشهد على ما فى هذا الكتاب الحسن والحسين، ابنا علىّ، وعبد الله بن عباس، وعبد الله ابن جعفر بن أبى طالب، والأشعث بن قيس الكندى، والأشتر بن الحارث، وسعيد بن القيس الهمدانى، والحصين والطفيل ابنا الحارث بن عبد المطلب، وأبو سعيد بن ربيعة الأنصارى، وعبد الله بن خباب بن الأرت، وسهل بن حنيف، وأبو بشر بن عمر الأنصارى، وعوف بن الحارث بن عبد المطلب، ويزيد بن عبد الله الأسلمى، وعقبة بن عامر الجهنى، ورافع بن خديج الأنصارى، وعمرو بن الحمق الخزاعى، والنعمان بن عجلان الأنصارى، وحجر بن عدى الكندى، ويزيد بن حجية الكندى، ومالك بن كعب الهمدانى، وربيعة بن شرحبيل، والحارث بن مالك، وحجر بن يزيد، وعلبة بن حجية. ومن أهل الشام، حبيب ابن مسلمة الفهرى، وأبو الأعور السلمى، وبسر بن أرطاة القرشى، ومعاوية بن خديج

الكندى، والمخارق بن الحارث الزبيدى، ومسلم بن عمرو السكسى، وعبد الله بن خالد بن الوليد، وحمزة بن مالك، وسبيع بن يزيد بن أبجر العبسى، ومسروق بن جبلة العكى، ويسر بن يزيد الحميرى، وعبد الله بن عامر القرشى، وعتبة بن أبى سفيان، ومحمد بن أبى سفيان، ومحمد بن عمرو بن العاص، وعمار بن الأحوص الكلبى، ومسعدة بن عمرو العتبى، والصباح بن جلهمة الحميرى، وعبد الرحمن ابن ذى الكلاع، وتمامة بن حوشب، وعلقمة بن حكم، كتب يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين(١).

رابعًا: قصة التحكيم المشهورة وبطلانها من وجوه:

لقد كثر الكلام حول قصة التحكيم، وتداولها المؤرخون والكتاب على أنها حقيقة ثابتة لا مرية فيها، فهم بين مطيل فى سياقها ومختصر وشارح ومستنبط للدروس وبانٍ للأحكام على مضامينها، وقلما تجد أحدًا وقف عندها فاحصًا محققًا، وقد أحسن ابن العربى فى ردها إجمالاً وإن كان غير مفصل، وفى هذا دلالة على قوة حاسته النقدية للنصوص، إذ إن جميع متون قصة التحكيم لا يمكن أن تقوم أمام معيار النقد العلمى، بل هى باطلة من عدة وجوه(٢).

١- إن جميع طرقها ضعيفة، وأقوى طريق وردت فيه هو ما أخرجه عبد الرزاق والطبرى بسند رجاله ثقات عن الزهرى مرسلاً قال: قال الزهرى: فأصبح أهل الشام قد نشروا مصاحفهم، ودعوا إلى ما فيها، فهاب أهل العراق، فعند ذلك حكموا الحكمين، فاختار أهل العراق أبا موسى الأشعرى، واختار أهل الشام عمرو بن العاص، فتفرق أهل صفين حين حكم الحكمان، فاشترطا أن يرفعا ما رفع القرآن ويخفضا ما خفض القرآن، وأن يختارا لأمة محمد ﷺ، وأنهما يجتمعان بدومة الجندل، فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بأذرح، فلما انصرف علىّ خالفت الحرورية وخرجت -وكان ذلك أول ما ظهرت- فآذنوه بالحرب، وردوا عليه: أن حكَّمَ بنى آدم فى حكم الله عز وجل، وقالوا: لا حكم إلا لله سبحانه، وقاتلوا، فلما اجتمع الحكمان بأذرح، وافاهم المغيرة بن شعبة فيمن حضر من الناس، فأرسل الحكمان إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير فى

(١) انظر: الوثائق السياسية، ص(٥٣٧، ٥٣٨)، الأخبار الطوال للدينورى، ص(١٩٦-١٩٩)، أنساب الأشراف (١/ ٣٨٢)، تاريخ الطبرى (٥/ ٦٦٥-٦٦٦)، البداية والنهاية (٧/ ٢٧٦، ٢٧٧).

(٢) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى، ص(٤٠٤).

إقبالهما في رجال كثير، ووافى معاوية بأهل الشام، وأبى علي وأهل العراق أن يوافوا، فقال المغيرة بن شعبة لرجال من ذوي الرأي من قريش: أترون أحدًا من الناس برأي يبتدعه يستطيع أن يعلم أيجتمع الحكمان أم يتفرقان؟ قالوا: لا نرى أحدًا يعلم ذلك، قال: فوالله إني لأظن أني سأعلمه منهما حين أخلو بهما وأراجعهما، فدخل عمرو بن العاص وبدأ به فقال: يا أبا عبد الله، أخبرني عما أسألك عنه، كيف ترانا معشر المعتزلة، فإنا قد شككنا في الأمر الذي تبين لكم من هذا القتال، ورأينا أن نستأني ونتثبت حتى تجتمع الأمة؛ قال: أراكم معشر المعتزلة خلف الأبرار، وأمام الفجار؛ فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك، حتى دخل على أبي موسى فقال له مثل ما قال لعمرو فقال أبو موسى: أراكم أثبت الناس رأيًا، فيكم بقية المسلمين، فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك، فلقي الذين قال لهم ما قال من ذوي الرأي من قريش، فقال: لا يجتمع هذان على أمر واحد، فلما اجتمع الحكمان وتكلما قال عمرو بن العاص: يا أبا موسى، رأيت أول ما تقضي به من الحق أن تقضي لأهل الوفاء بوفائهم، وعلى أهل الغدر بغدرهم، قال أبو موسى: وما ذاك؟ قال: ألست تعلم أن معاوية وأهل الشام قد وفوا، وقدموا للموعد الذي واعدناهم إياه؟ قال: بلى، قال عمرو: اكتبها فكتبها أبو موسى، قال عمرو: يا أبا موسى، أأنت على أن نسمي رجلاً يلي أمر هذه الأمة؟ فسمه لي، فإن أقدر على أن أتابعك فلك عليّ أن أتابعك وإلا فلي عليك أن تتابعني، قال أبو موسى: أسمي لك معاوية بن أبي سفيان فلم يبرحا مجلسهما حتى استبا، ثم خرجا إلى الناس، فقال أبو موسى: إني وجدت مثل عمرو ومثل الذين قال الله عز وجل: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾[الأعراف: ١٧٥]. فلما سكت أبو موسى تكلم عمرو فقال: أيها الناس وجدت مثل أبي موسى كمثل الذي قال الله عز وجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥]. وكتب كل واحد منهما مثله الذي ضرب لصاحبه إلى الأمصار(١) والزهري لم يدرك الحادثة فهي مرسلة، ومراسيله كأدراج الرياح لا تقوم بها حجة(٢)، كما قرّر العلماء. وهناك طريق أخرى أخرجها ابن عساكر بسنده إلى الزهري وهي مرسلة وفيها أبو بكر بن أبي سبرة قال عنه الإمام أحمد: كان يضع الحديث(٣)، وفي سنده أيضًا الواقدي،

(١) المصنف (٥/٤٦٣)، مرويات تاريخ الطبري، ص(٤٠٦).

(٢) المراسيل لأبي حاتم، ص(٣)، الجرح والتعديل (١/٢٤٦).

(٣) تهذيب التهذيب (١٢/٢٧)، مرويات تاريخ الطبري، ص(٤٠٦).

وهو متروك[١]، وهذا نصها: رفع أهل الشام المصاحف وقالوا: ندعوكم إلى كتاب الله والحكم بما فيه، وكان ذلك مكيدة من عمرو بن العاص، فاصطلحوا وكتبوا بينهم كتابًا على أن يوافوا رأس الحول أذرح، وحكموا حكمين ينظران فى أمور الناس فيرضون بحكمهما، فحكّم على أبا موسى الأشعرى، وحكم معاوية عمرو بن العاص، وتفرق الناس، فرجع على إلى الكوفة بالاختلاف والدغل، واختلف عليه أصحابه فخرج عليه الخوارج من أصحابه ممن كانوا معه، وأنكروا تحكيمه وقالوا: لا حكمَ إلا لله، ورجع معاوية إلى الشام بالألفة واجتماع الكلمة عليه. ووافى الحكمان بعد الحول بأذرح فى شعبان سنة ثمان وثلاثين، واجتمع الناس إليهما وكان بينهما كلام اجتمعا عليه فى السر خالفه عمرو بن العاص فى العلانية، فقدم أبا موسى فتكلم وخلع عليًّا ومعاوية، ثم تكلم عمرو بن العاص فخلع عليًّا وأقر معاوية، فتفرق الحكمان ومن كان اجتمع إليهما، وبايع أهل الشام معاوية فى ذى القعدة سنة ثمان وثلاثين[٢] وأما طرق أبي مخنف فهى معلولة به، فالأول: وهو أبو مخنف لوط بن يحيى، ضعيف ليس بثقة[٣]، وإخبارى تالف غالى فى الرفض، وأما الثانى قال فيه ابن سعد: كان[٤] ضعيفًا، وقال البخارى وأبو حاتم. كان يحيى القطان يضعفه[٥] وقال عثمان الدارمى: ضعيف[٦]، وقال النسائى: ضعيف[٧] هذه طرق قصة التحكيم المشهورة، والمناظرة بين أبى موسى وعمرو بن العاص المزعومة، أفمثل هذا تقوم به حجة؟ أو يعول على مثل ذلك فى تاريخ الصحابة الكرام وعهد الخلفاء الراشدين، عصر القدوة والأسوة؛ ولو لم يكن فى هذه الروايات إلا الاضطراب فى متونها لكفاها ضعفًا فكيف إذا أضيف إلى ذلك ضعف أسانيدها[٨]

٢- أهمية هذه القضية من جانب الاعتقاد والتشريع، ومع ذلك لم تنقل لنا بسند صحيح، ومن المحال أن يطبق العلماء على إهمالها مع أهميتها وشدة الحاجة إليها[٩]

(١) مرويات تاريخ الطبرى، ص(٤٠٦).
(٢) تاريخ دمشق (١٦/ ٥٣).
(٣) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٢٢٣)
(٤) مرويات أبى مخنف، ص(٤٠٧).
(٥) التاريخ الكبير (٤/ ٢/ ٢٦٧)، الجرح والتعديل (٩/ ١٣٨).
(٦) التاريخ للدارمى، ص(٢٣٨)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٢٢٣).
(٧) الضعفاء والمتروكون، ص(٢٥٣).
(٨)، (٩) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى، ص(٤٠٨).

٣- وردت رواية تنقض تلك الروايات تمامًا، وذلك فيما أخرجه البخاري في تاريخه مختصرًا بسند رجاله ثقات، وأخرجه ابن عساكر معلولاً، عن الحصين بن المنذر أن معاوية أرسله إلى عمرو بن العاص فقال له: إنه بلغني عن عمرو بعض ما أكره فأته فاسأله عن الأمر الذي اجتمع عمرو وأبو موسى فيه كيف صنعتما فيه؟ قال: قد قال الناس وقالوا، ولا والله ما كان ما قالوا، ولكن لما اجتمعت أنا وأبو موسى قلت له: ما ترى في هذا الأمر؟ قال: أرى أنه من النفر الذين توفي رسول الله ﷺ، وهو عنهم راض قال: فقلت: أين تجعلني من هذا الأمر أنا ومعاوية؟ قال: إن يستعن بكما ففيكما معونة، وإن يستغن عنكما فطال ما استغنى أمر الله عنكما(١). وقد روى أبو موسى عن تورع عمرو ومحاسبته لنفسه، وتذكره سيرة أبي بكر وعمر، وخوفه من الإحداث بعدهما، قال أبو موسى: قال لي عمرو ابن العاص: والله لئن كان أبو بكر وعمر تركا هذا المال وهو يحل لهما، لقد غُبنا وأخطآ أو نقص رأيهما، ووالله ما كانا مغبونين ولا مخطئين ولا ناقصي الرأي، ووالله ما جاءنا الوهم والضعف إلا من قبلنا(٢).

٤- إن معاوية كان يقر بفضل علي عليه وأنه أحق بالخلافة منه، فلم ينازعه الخلافة ولا طلبها لنفسه في حياة علي، فقد أخرج يحيى بن سليمان الجعفي بسند جيد(٣)، عن أبي مسلم الخولاني أنه قال لمعاوية: أنت تنازع عليًا في الخلافة، أو أنت مثله؟ قال: لا وإني لأعلم أنه أفضل مني وأحق بالأمر، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قُتل مظلومًا وأنا ابن عمه ووليه أطالب بدمه؟ فأتوا عليًا فقولوا له: يدفع لنا قتلة عثمان وأسلم له، فأتوا عليًا فكلموه فلم يدفعهم إليه(٤). فهذا هو أصل النزاع بين علي ومعاوية، رضي الله عنهما؛ فالتحكيم من أجل حل هذه القضية المتنازع عليها لا لاختيار خليفة أو عزله(٥)، ويقول ابن حزم في هذا الصدد بأن عليًا قاتل معاوية لامتناعه عن تنفيذ أوامره في جميع أرض الشام، وهو الإمام الواجب طاعته، ولم ينكر معاوية قط فضل عليّ واستحقاقه الخلافة، لكن اجتهاده أداه إلى أن رأى تقديم أخذ القود من قتلة عثمان على البيعة، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان والكلام فيه من أولاد عثمان وأولاد الحكم بن أبي العاص لسنه وقوته على الطلب بذلك، وأصاب في هذا وإنما أخطأ في تقديمه ذلك على البيعة فقط(٦)، وفهم الخلاف على

(١) التاريخ الكبير (٥/٣٩٨).
(٢) العواصم من القواصم، ص(١٧٨-١٨٠).
(٣) فتح الباري (١٣/٨٦).
(٤) سير أعلام النبلاء (٣/١٤٠).
(٥) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص(٤٠٩).
(٦) الفصل في الملل والنحل (٤/١٦٠).

هذه الصــورة -وهى صورته الحـقـيقـيـة- بيَّن إلى أى مدى تخطئ الـروايات السابقـة عن التحكيم فى تصوير قرار الحكمين، إن الحكمين كـانا مفوضين للحكم فى الخلاف بين على ومعاوية، ولم يكن الخلاف بينهما حول الخلافة ومن أحق بها منهما، وإنما كان حول توقيع القصــاص على قتلة عثمــان، وليس هذا من أمر الخلافة فى شىء، فـإذا ترك الحكمان هذه القضية الأساسية، وهى ما طلب إليهما الحكم فيه، واتخذا قراراً فى شأن الخلافة كما تزعم الرواية الشائعة، فمعنى ذلك أنهما لم يفـضا موضوع النزاع، ولم يحيطا بموضوع الدعوى، وهو أمر مستبعد جداً[(١)].

٥- إن الشـروط التى يجب توافـرها فى الخليفـة هى العـدالة والعلم، والرأى المفضى إلى سياسة الرعية وتدبيـر المصالح، وأن يكون قرشيًا[(٢)]، وقد توافرت هذه الشروط فى على رضى الله عنه، فهل بيـعته منعقـدة أم لا؟ فإن كانت منعقـدة -ولا شك فى ذلك- وقد بايعه المهاجرون والأنصار؛ أهل الحل والعقد، وخـصومه يقرون له بذلك، فقول معاوية السابق يـدل عليه بأن «الإمام إذا لـم يخل عن صفات الأئمـة، فرام العـاقدون له عـقد الإمامة أن يخلعوه، لم يجـدوا إلى ذلك سبيلاً باتفاق الأئمة، فـإن عقد الإمام لازم، لا اختيار فى حله من غير سبب يقتضيـه، ولا تنتظم الإمامة ولا تفيد الغرض المقصود منها إلا مع القطع بلزومها، ولو تخير الرعايا فى خلع إمام الخلق على حكم الإيثار والاختيار لما استتب للإمام طاعة ولما استمرت له قدرة واستطاعة ولما صح لمنصب الإمام معنى[(٣)]. وإذن فليس الأمر بهـذه الصورة التى تحكيهـا الروايات؛ كل من لم يرض بإمامـه خلعه، فعـقد الإمــامة لا يحله إلا مــن عقده، وهم أهـل الحل والعقـد،وبشرط إخـلال الإمام بشروط الإمامة، وهل على رضى الله عنه فـعل ذلك واتفق أهل الحل والعقد على عزله على الخلافة وهو الخليفة الراشد حتى يقال إن الحكمين اتفقا على ذلك، فما ظهر منه قط إلى أن مـات رضى الله عنه، شىء يوجب نقض بيعـته، ومـا ظهر منه قط إلا الـعدل، والجد، والبر والتقوى والخير[(٤)].

(١) تحقيق مواقف الصحابة فى الفتنة (٢/ ٢٢٥).

(٢) الأحكام السلطانيـة للمـاوردى، الأحكام السـلطانيـة لأبى يعلى، ص(٢٠)، غـيـاث الأمم، ص(٧٩)، ومـا بعدها.

(٣) غياث الأمم، ص(١٢٨)، مرويات أبى مخنف، ص(٤١٠).

(٤) الفصل فى الملل والأهواء والنحل (٤/ ٢٣٨).

٦- إن الزمان الذى قام فيـه التحكيم زمان فتنة،وحالة المسلمين مضطربة مع وجـود خليفة لهم، فكيف تنتظم حالتهم مع عزل الخليفـة، لا شك أن الأحوال ستزداد سوءًا، والصحابة الكرام أحذق وأعقل من أن يقدموا على هذا؟ ولهذا يتضح بطلان هذا الرأى عقلاً ونقلاً.

٧- إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حصر الخلافة فى أهل الشورى:وهم الستة وقد رضى المهاجرون والأنصار بذلك، فكان ذلك إذنًا فى أن الخلافة لا تعدو هؤلاء إلى غيرهم ما بقى منهم واحد ولم يـبق منهم فى زمان التحكيـم إلا سعد بن أبى وقـاص، وقد اعتـزل الأمر ورغب عن الولاية، والإمارة، وعلى بـن أبى طالب القائم بأمر الخـلافة وهو أفضل السـتة بعد عثمان فكيف يتخطى بالأمر إلى غيره[١].

٨- أوضحت الروايات أن أهل الشام بايعوا مـعاوية بعد التحكيم:والسؤال: ما المسوغ الذى جعل أهل الشام يبايعون معاوية؟ إن كـان من أجل التحكيم ، فالحكمان لم يتفقا ولم يكن ثمة مبرر آخر حتى ينسب عنهم ذلك، مع أن ابن عســاكر نقل بسند رجاله ثقات عن سعيد ابن عبـد العزيز التنوخى[٢]، أعلم الناس بأمر الشام[٣] أنه قال: كـان على بالعراق يدعى أمير المـؤمنين وكان معاوية بالشــام يدعى الأمير، فلما مـات علىّ دعى معاوية بالشـام أمير المؤمنين[٤]، فهذا النص يبين أن معاوية لم يبايع بالخلافة إلا بعد وفاة على، وإلى هذا ذهب الطبـرى، فقـد قال فى آخـر حـوادث سنة أربعين: وفى هذه السنة بويع لمعـاوية بالخلافـة بإيلياء[٥]، وعلق على هذا ابن كثير بقوله: يعنى لما مات على قام أهل الشام فبايعوا معاوية على إمرة المـؤمنين لأنه لم يبق له عندهم منازع[٦]، وكان أهل الشــام يعلمون بأن مـعاوية ليس كفئًـا لعلى بالخلافة ولا يجوز أن يكون خليفة مع إمكان اسـتخلاف على -رضى الله عنه-، فإن فضل على وسابقـته وعلمه، ودينه، وشجاعته، وسـائر فضائله: كانت عندهم ظاهرة معـروفة، كفضل إخـوانه، أبى بكر وعمر، وعـثمان وغـيرهم رضى الله عنهم[٧]، وإضافة إلى ذلك فإن النصـوص تمنع من مبايعة خليفة مع وجود الأول، فـقد أخرج مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»[٨]، والنصوص فى هذا المعنى كثيرة[٩]. ومن المحال أن يطبق الصحابة على مخالفة ذلك[١٠].

---

(١) مرويات أبى مخنف، ص(٤١١).
(٢) سعيد بن عبد العزيز التنوخى ثقة إمام التقريب.
(٣) تهذيب التهذيب (٤/ ٦٠).
(٤)، (٥) تاريخ الطبرى (٦/ ٧٦).
(٦) البداية والنهاية (٨/ ١٦).
(٧) الفتاوى (٣٥/ ٧٣).
(٨) صحيح مسلم (٣/ ١٤٨٠).
(٩) سنن البيهقى (٨/ ١٤٤).
(١٠) مرويات أبى مخنف، ص(٤١٢).

٩- **أخرج البخارى فى صحيحه عن ابن عمر قال:** دخلت على حفصة قلت: قد كان من أمر الناس ما ترين فلم يجعل لى من الأمر شىء فقالت: الْحَق فإنهم ينتظرونك وأخشى أن يكون احتباسك عنهم فرقة، فلم تدعه حتى ذهب، فلما تفرق الناس خطب معاوية قال: من كان يريد أن يتكلم فى هذا الأمر فليطلع لنا قرنه، فلنحن الْحَق به منه ومن أبيه، قال حبيب بن مسلمة: فهلا أجبته؟ قال عبد الله: فحللت حبوتى وهممت أن أقول أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم ويحمل عنى غير ذلك، فذكرت ما أعد الله فى الجنان. قال حبيب: حفظت وعصمت[1]، هذا الحديث قد يفهم منه مبايعة معاوية بالخلافة، وليس فيه تصريح بذلك، وقد قال بعض العلماء: إن هذا الحديث كان فى الاجتماع الذى صالح فيه الحسن بن على رضى الله عنه معاوية (رضى الله عنه).

وقال ابن الجوزى: إن هذه الخطبة كانت فى زمن معاوية لما أراد أن يجعل ابنه يزيد ولى عهده، ويرى ابن حجر فى التحكيم[2]: دلالة النص على القولين الأولين أقوى. فقوله: فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم.. دليل على اجتماع الكلمة على معاوية، وأيام التحكيم أيام فرقة واختلاف لا أيام جمع وائتلاف[3].

١٠- **حقيقة قرار التحكيم:** ليس من شك فى أن أمر الخلاف الذى رأى الحكمان رده إلى الأمة وإلى أهل الشورى ليس إلا أمر الخلاف بين علىّ ومعاوية حول قتلة عثمان، ولم يكن معاوية مدعيًا للخلافة، ولا منكرًا حق علىّ فيها كما تقرر سابقًا، وإنما كان ممتنعًا عن بيعته، وعن تنفيذ أوامره فى الشام حيث كان متغلبًا عليها بحكم الواقع لا بحكم القانون، مستفيدًا من طاعة الناس له بعد أن بقى واليًا فيها زهاء عشرين سنة[4]، وقد قال ابن دحية الكلبى فى كتابه «أعلام النصر المبين فى المفاضلة بين أهل صفين»: قال أبو بكر محمد بن الطيب الأشعرى- الباقلانى- فى مناقب الأئمة: فما اتفق الحكمان قط على خلعه -على بن أبى طالب- وعلى أنهما لو اتفقا على خلعه لم ينخلع حتى يكون الكتاب والسنة المجتمع عليهما يوجبان خلعه، أو أحد منهما على ما شرطا فى الموافقة بينهما، أو إلى أن يبينا ما يوجب خلعه من الكتاب والسنة، ونصّ كتاب علىّ -عليه السلام- اشترط على الحكمين أن يحكما بما فى كتاب الله عز وجل من فاتحته إلى خاتمته لا يجاوزان ذلك ولا يحيدان عنه،

(١) البخارى (٥/٤٨).
(٢) فتح البارى (٧/٤٦٦).
(٣) مرويات أبى مخنف.
(٤) تحقيق مواقف الصحابة فى الفتنة (٢/ ١٣٤).

ولا يميلان إلى هـوى ولا إدهان، وأخذ عليهمـا أغلظ العـهود والمواثيق، وإن همـا جاوزا بالحكم كتاب الله فلا حكم لهما . . والكتاب والسنة يثبـتان إمامته، ويعظمانه ويثنيان عليه، ويشهدان بصدقه وعـدالته، وإمامته وسابقته في الدين، وعظيم جـهاده في جهاد المشركين، وقرابته من سيد المرسلين، وما خص به من القدم في العلم والمعرفة بالحكم، ووفور الحلم، وأنه حقيق بالإمامة، وأهل لحمل أعباء الخلافة[1].

١١- **مكان انعقاد المؤتمر:** كان الموعد المحدد لاجتماع الحكمين -كما جاء في الوثيقة- في رمضـان في عام ٣٧ هـ، إذا لم تحدث عـوائق، في موضع وسط بين العـراق والشام وهذا الموضع المختار هو دومة الجندل[2]، وفي روايات موثقة، وأذرح[3] في روايات أخرى دونها في الإتقان، ولعل لقرب المكانين من بعـضهما أثرًا في اختلاف الروايات، إذ يقـول خليفة ابن خياط[4]: ويقال بأذرح وهي من دومـة الجندل قريب، وقـد تم الاجتمـاع في الموعد المحدد بدون عوائق[5].

إن المكان الذي اجتمع فـيه الحكمان هو دومة الجندل، وهذا بخلاف مـا جزم به ياقوت الحمـوي من أن التـحكيم حدث في أذرح، واسـتدل على ذلك ببـعض روايات لم يبينـها وبالأشعار، وبخاصة بشعر ذي الرمة[6] في مدح بلال بن أبي بردة[7] وهو قوله:

أبوك تلافـى الدين والناس بعـــدمـــا ... تشـــاءوا وبيت الدين مـنقلع الكســـر

فـــشـــد إصـــــار الديـــن أيام أذرح ... ورد حـروبًا قـد لقـحن إلى عـقـــر[8]

١٢- **هل حـضر سعـد بن أبي وقاص اجـتمـاع الحكمين؟** اجـتـمع الحكمان في موعـدهما المحدد، ومع كل واحد منهما بضع مئات يمثلون وفدين، وفد عن أهل العراق، والآخر يمثل أهل الشـام، وطلب الحكمان من عـدد من أعيـان قريش وفـضلائهم الحـضور لمشـاورتهم والاستئناس برأيهم، ولم يحـضر الاجتماع عدد من كـبار الصحابة كانوا قد اعـتزلوا القتال

(١) أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين، ص(١٧٧).

(٢) دومة الجندل: غرب مدينة الجوف في شمال الجزيرة العربية.

(٣) أذرح: اسم بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة من نواحي البلقاء.

(٤) تاريخ خليفة، ص(١٩١، ١٩٢).

(٥) خلافة على بن أبي طالب، عبد الحميد، ص(٢٦٧).

(٦) ذو الرمة، غيلان بن عقبة توفي ١١٧ هـ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٧).

(٧) بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري، تهذيب تاريخ دمشق (٣/ ٣٢١).

(٨) ديوان ذي الرمة، ص(٣٦١، ٣٦٢) نقلاً عن خلافة علي، ص(٢٧٢).

منذ بدايته وأفضل هؤلاء، سعد بن أبى وقاص، رضى الله عنه، فإنه لم يحضر التحكيم ولا أراد ذلك ولا همَّ به[1]. فعن عامر بن سعد أن أخاه عمر انطلق إلى سعد فى غنم له خارجًا من المدينة فلمّا أتاه قال: يا أبة، أرضيت أن تكون أعرابيًا فى غنمك والناس يتنازعون فى الملك بالمدينة؟. فضرب سعد صدر عمر وقال: اسكت فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يحب العبد التقى النقى الخفى»[2].

خامسًا: هل يمكن الاستفادة من حادثة التحكيم فى فض النزاعات بين الدول الإسلامية؟

يمكن الاستفادة من حادثة التحكيم فى فض النزاعات بين الدول الإسلامية وذلك بتحمل قادة البلاد الإسلامية جميعًا مسئولياتهم ومن ورائهم الأمة الإسلامية التى يحكمونها فى الضغط الجاد الصادق، على الطرفين المتنازعين، لكى يوقفا بينهما القتال، ويلجآ إلى التحكيم الشرعى فى الإسلام فيرسل هذا الطرف حكمًا من قبله، وذلك حكمًا آخر من قبله أيضًا، للفصل فى النزاع القائم وذلك على ضوء ما يلى:

١- تحديد صلاحيات الحكمين فى إصدار الأحكام التى لابد منها لحل المشكلات التى هى سبب النزاع.

٢- جعل مصادر التشريع الإسلامى هى المرجع الوحيد لإصدار تلك الأحكام والحلول، التى تفصل فى مسائل النزاع.

٣- أخذ العهد على كل طرف من طرفى النزاع، وأخذ العهد على جميع قادة البلاد الإسلامية بقبول ما يصدره الحكمان من أحكام، وحلول مشروعة لإنهاء النزاع الراهن على أنها واجبة التنفيذ بحكم الإسلام، وأن الخروج عليها، أو الرضا بذلك الخروج يترتب عليه الإثم شرعًا.

٤- إذا أصدر الحكمان ما اتفقا عليه من أحكام، وحلول، وانقاد لها الطرفان المتنازعان قضى الأمر، وكفى الله المؤمنين القتال.

٥- إذا رفض أحد الطرفين، أو كلاهما الانقياد لقضاء الحكمين، اعتبر الطرف الرافض هو الطرف الباغى، سواء صدر الرفض من أحدهما، أو من كليهما، ووجب شرعًا على

(١) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد، ص(٢٧٢).

(٢) المسند (١/١٦٨) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٣/٢٦)، خلافة على بن أبى طالب، للسلمى، ص(١٠٧).

القوات الإسلامية في الأقطار الأخرى أن تضع نفسها تحت تصرف ما يصدره الحكمان من قرارات عسكرية، من أجل التدخل لحسم النزاع بالقوة، على وجه لا تترتب عليه أضرار ومخاطر هى أكبر من ضرر النزاع القائم.

٦- ويكون من صلاحيات الحكمين بالاتفاق إصدار القرارات التى تخص كيفية تحريك القوات المسلحة فى الأقطار الإسلامية الأخرى، من أجل حل النزاع القائم على ضوء ما سلف بيانه[١] . ولعل اللجوء إلى مثل هذه الطريقة فى حل المنازعات بين الأقطار، كفيل بسد الطريق على أية قوة خارجية تتدخل فى نزاعات المسلمين بحجة أنَّ بعض أطراف النزاع دعاها إلى هذا التدخل.. ومن ثم تستغل هذه الفرصة، لكى تتآمر على المسلمين، فتعمل على تصعيد تلك النزاعات، وفرض الحل الذى يحلو لها، ويكون فيه مصلحتها فقط، وليعانى المسلمون، بعدئذ، من آثار ذلك الحلّ أسوأ مما كانوا يعانون من فتنة النزاع نفسها، فهذه المعاناة لا تهمها فى شيء، لا، بل إن هذه المعاناة هى من جملة الاهتمامات التى فرضت من أجل تفجيرها ذلك الحل المشئوم؛ قلنا: لعل اللجوء إلى التحكيم، على نحو ما سلف بيانه، يسد الطريق فى وجه تلك القوى الخارجية التى تبغى فى صفوف المسلمين الفساد، هذا، وإن الصفة الإلزمية شرعًا للحل عن طريق التحكيم- الذى عرضناه- تستند إلى إجماع الصحابة، فقد أجمع الصحابة كلهم فى عهد النزاع الذى نشب بين على ومعاوية على اللجوء إلى التحكيم، والقبول به.. سواء فى ذلك الصحابة الذين كانوا مع على، والصحابة الذين كانوا مع معاوية، والصحابة الذين اعتزلوا الفريقين، كسعد بن أبى وقاص، وابن عمر، وغيرهما -رضى الله عنهم أجمعين[٢] .

سادسًا: موقف أهل السنة من تلك الحروب:

إن موقف أهل السنة والجماعة من الحرب التى وقعت بين الصحابة الكرام رضى الله عنهم هو الإمساك عما شجر بينهم إلا فيما يليق بهم رضى الله عنهم لما يسببه الخوض فى ذلك من توليد العداوة والحقد والبغض لأحد الطرفين وقالوا: إنه يجب على كل مسلم أن يحب الجميع ويرضى عنهم ويترحم عليهم، ويحفظ لهم فضائلهم، ويعترف لهم بسوابقهم، وينشر مناقبهم، وأن الذى حصل بينهم إنما كان عن اجتهاد، والجميع مثابون فى حالتى الصواب والخطأ، غير أن ثواب المصيب ضعف ثواب المخطئ فى اجتهاده، وأن القاتل والمقتول من الصحابة فى الجنة، ولم يجوِّز أهل السنة والجماعة الخوض فيما شجر

(١)، (٢) الجهاد والقتال فى السياسة الشرعية (٣/ ١٦٦٥).

بينهم، وقبل أن أذكر طائفة من أقوال أهل السنة التى تبين موقفهم فيما شجر بين الصحابة أذكر بعض النصوص التى فيها الإشارة إلى ما وقع بين الصحابة من الاقتتال وبما وصفوا به فيها وتلك النصوص هى[1]:

١- قال تعالى: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩].

ففى هذه الآية أمر الله تعالى بالإصلاح بين المؤمنين إذا ما جرى بينهم قتال لأنهم إخوة، وهذا الاقتتال لا يخرجهم عن وصف الإيمان حيث سماهم الله -عز وجل- مؤمنين وأمر بالإصلاح بينهم وإذا كان حصل اقتتال بين عموم المؤمنين، ولم يخرجهم ذلك من الإيمان، فأصحاب رسول الله ﷺ الذين اقتتلوا فى موقعة الجمل وبعدها أول من يدخل فى اسم الإيمان الذي ذكر فى هذه الآية، فهم لا يزالون عند ربهم مؤمنين إيمانًا حقيقيًا ولم يؤثر ما حصل بينهم من شجار فى إيمانهم بحال لأنه كان عن اجتهاد[2].

٢- عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق»**[3]، والفرقة المشار إليها فى الحديث هى ما كان من الاختلاف بين على ومعاوية، رضى الله عنهما، وقد وصف ﷺ الطائفتين معًا بأنهما مسلمتان، وأنهما متعلقتان بالحق، والحديث علم من أعلام النبوة: إذ وقع الأمر طبق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام، وفيه الحكم بإسلام الطائفتين: أهل الشام وأهل العراق، لا كما يزعمه فرقة الرافضة والجهلة الطغام من تكفيرهم أهل الشام، وفيه أن أصحاب على أدنى الطائفتين إلى الحق، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة أن عليًا هو المصيب وإن كان معاوية مجتهدًا، وهو مأجور، إن شاء الله، ولكن عليًا هو الإمام فله أجران كما ثبت فى صحيح البخارى: **«إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر»**[4].

٣- وعن أبى بكرة قال: بينما النبى ﷺ يخطب جاء الحسن فقال النبى ﷺ: **«ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»**[5] ففى هذا الحديث شهادة النبى ﷺ بإسلام

---

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة فى الصحابة الكرام (٢/ ٧٢٧) تنزيه خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان من الظلم والفسق فى مطالبته بدم أمير المؤمنين عثمان، ص(٤١).

(٢) العواصم من القواصم، ص(١٦٩، ١٧٠)، أحكام القرآن (٤/ ١٧١٧).

(٣) مسلم (٧٤٥). (٤) البخارى مع شرحه فى فتح البارى (١٣/ ٣١٨).

(٥) البخارى، ك الفتن، رقم (٧١٠٩).

الطائفتين أهل العراق وأهل الشام، والحديث فـيه رد واضح على الخوارج الذين كفروا عليًا ومن معه، ومعـاوية ومن معه بما تضمنه الحديث من الشهادة للجـميع بالإسلام، ولذا كان يقول سفيان بن عيينة: قوله فئتين من المسلمين يعجبنا جدًا، قال البيهقى: وإنما أعجبهم لأن النبى ﷺ سماهم جميعًا مسـلمين وهذا خبر من رسول الله بما كان من الحسن بن على بعد وفاة على فى تسليمه الأمر إلى معاوية بن أبى سفيان(١).

فهذه الأحـاديث المتقدم ذكرها فـيها الإشارة إلى أهل العـراق الذين كانوا مع على وإلى أهل الشام الذين كانوا مع معاوية بن أبى سـفيان وقد وصفهم النبى ﷺ بأنهم من أمته(٢)، كما وصفهم بأنه جميعًا مـتعلقون بالحق لم يخرجوا عنه كما شهد لهم ﷺ بأنهم مستمرون على الإيمان، ولم يخرجـوا عنه بسبب القتـال الذى حصل بينهم، وقد دخلوا تحت عـموم قوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]. وقد قدمنا أن مدلول الآية ينتظمهم، رضى الله عنهم أجمعين، فلم يكفروا ولم يفسقوا بقتالهم بل هم مجتهدون متأولون، وقـد بين الحكم فى قتالهم ذلك على بن أبى طالب رضى الله عنه كما مر مـعنا. فالواجب على المسلم أن يسلك فى اعـتقاده فيـما حصل بين الصـحابة الكرام، رضى الله عنهم، مسلك أهل السنة والجماعة، وهو الإمـساك عما حصل بينهم، رضى الله عنهم، ولا يخوض فـيه إلا بما هو لائق بمقامـهم، وكتب أهل السنة مليئـة ببيان عقـيدتهم الصافيـة النقية فى حق أولئك الصفوة المخـتارة، وقد حددوا موقـفهم من تلك الحرب التى وقعت بينهم فى أقوالهم الحسنة التى منها(٣):

١- سئل عـمر بن عبـد العزيز، رحمه الله تعـالى، عن القتال الذى حصل بـين الصحابة فقال: تلك دماء طهر الله يدى منها أفلا أطهر بها لسانى، مثل أصحاب رسول الله ﷺ مثل العيون، ودواء العيـون ترك مسها(٤)، قال البيهـقى معلقًا على قول عمر بـن عبد العزيز، رحمه الله تعالى: هذا حسن جميل لأن سكوت الرجل عما لا يعنيه هو الصواب(٥).

(١) الاعتقاد للبيهقى، ص(١٩٨)، فتح البارى (١٣/ ٦٦).

(٢) فى صحيح مسلم (٢/ ٧٤٦) تكون فى أمتى فرقتان.

(٣) عقيدة أهل السنة فى الصحابة (٢/ ٧٤٦) تكون فى أمتى فرقتان.

(٤) الإنصاف للباقلانى، ص(٦٩)، الطبقات (٥/ ٣٩٤).

(٥) مناقب الشافعى، ص(١٣٦).

٢- سئل الحسن البصري رحمه الله تعالى عن قتال الصحابة فيما بينهم فقال: قتال شهده أصحاب محمد ﷺ وغبنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا[(١)]. ومعنى قول الحسن هذا: أن الصحابة كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا، وما علينا إلا أن نتبعهم فيما اجتمعوا عليه، ونقف عند ما اختلفوا فيه ولا نبتدع رأيًا منا، ونعلم أنهم اجتهدوا وأرادوا الله -عز وجل- إذ كانوا غير متهمين في الدين[(٢)].

٣- سئل جعفر بن محمد الصادق عما وقع بين الصحابة فأجاب بقوله: أقول ما قال الله: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾[(٣)] [طه: ٥٢].

قال الإمام أحمد، رحمه الله، بعد أن قيل له: ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية؟ قال: ما أقول فيهم إلا الحسنى[(٤)]، وعن إبراهيم بن آرز الفقيه قال: حضرت أحمد بن حنبل وسأله رجل عما جرى بين علي ومعاوية؟ فأعرض عنه فقيل له: يا أبا عبد الله هو رجل من بني هاشم فأقبل عليه فقال: اقرأ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[البقرة: ١٤١].

٤- وقال ابن أبي زيد القيرواني في صدد عرضه لما يجب أن يعتقده المسلم في أصحاب رسول الله ﷺ وما ينبغي أن يذكروا به فقال: وألا يذكر أحد من صحابة الرسول إلا بأحسن ذكر والإمساك عما شجر بينهم وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب[(٥)].

٥- وقال أبو عبد الله بن بطة أثناء عرضه لعقيدة أهل السنة والعقيدة: ومن بعد ذلك نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، فقد شهدوا المشاهد معه وسبقوا الناس بالفضل، فقد غفر الله لهم وأمرك بالاستغفار لهم والتقرب إليه بمحبتهم، وفرض ذلك على لسان نبيه وهو يعلم ما سيكون منهم، وأنهم سيقتتلون، وإنما فضلوا على سائر الخلق لأن الخطأ والعمد وضع عنهم، وكل ما شجر بينهم مغفور لهم[(٦)].

(١)، (٢) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٣٣٢).

(٣) الإنصاف للباقلاني، ص(٦).

(٤) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي، ص(١٦٤).

(٥) رسالته المشهورة مع شرحها الثمر الداني، ص(٢٣).

(٦) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، ص(٢٦٨).

٦- قال أبو بكر بن الطيب الباقلاني: ويجب أن يعلم أن ما جرى بين أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم، من المشاجرة نكف عنه ونترحم على الجميع ونثني عليهم ونسأل الله تعالى لهم الرضوان والأمان والفوز والجنان، ونعتقد أن عليًا عليه السلام أصاب فيما فعل وله أجران، وأن الصحابة -رضي الله عنهم- إن ما صدر منهم كان باجتهاد فلهم الأجر ولا يفسقون ولا يبدعون، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]، وقوله ﷺ: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر» فإذا كان الحاكم في وقتنا له أجران على اجتهاده فما ظنك باجتهاد من رضي الله عنهم ورضوا عنه؟! ويدل على صحة هذا القول: قوله ﷺ للحسن رضي الله عنه: «إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»(١)، فأثبت العظمة لكل واحدة من الطائفتين وحكم لهما بصحة الإسلام، وقد وعد الله هؤلاء القوم بنزع الغل من صدورهم بقوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]. إلى أن قال: ويجب الكف عما شجر بينهم والسكوت عنه(٢).

٧- وقال ابن تيمية: في صدد عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة فيما شجر بين الصحابة: ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو زيد فيه ونقص وغير عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون، إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون(٣).

٨- وقال ابن كثير: أما ما شجر بينهم بعده عليه الصلاة والسلام: فمنه ما وقع من غير قصد كيوم الجمل، ومنه ما كان عن اجتهاد كيوم صفين، والاجتهاد يخطيء ولكن صاحبه معذور وإن أخطأ ومأجور أيضًا: وأما المصيب فله أجران(٤).

٩- وقال ابن حجر: واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف المحق منهم لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجرًا واحدًا، وأن المصيب يؤجر أجرين(٥).

(١) البخاري، الفتن، رقم (٧١٠٩).

(٢)، (٣) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ص(٦٧-٦٩).

(٤) الباعث الحثيث، ص(١٨٢).

(٥) فتح الباري (١٣/ ٣٤).

فأهل السنة مجمعون على وجوب السكوت عن الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة، رضي الله عنهم، بعد قتل عثمان والترحم عليهم وحفظ فضائل الصحابة والاعتراف لهم بسوابقهم ونشر محاسنهم رضي الله عنهم وأرضاهم[1].

سابعًا: التحذير من بعض الكتب التي شوهت تاريخ الصحابة:

١- الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة: من الكتب التي شوهت تاريخ صدر الإسلام كتاب الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة، ولقد ساق الدكتور عبد الله عسيلان في كتابه «الإمامة والسياسة في ميزان التحقيق العلمي» مجموعة من الأدلة تبرهن على أن الكتاب المذكور منسوب إلى الإمام ابن قتيبة كذبًا وزورًا ومن هذه الأدلة:

- إن الذين ترجموا لابن قتيبة لم يذكر واحد منهم أنه ألف كتابًا في التاريخ يدعى «الإمامة والسياسة» ولا نعرف من مؤلفاته التاريخية إلا كتاب «المعارف».

- إن المتصفح للكتاب يشعر بأن ابن قتيبة أقام في دمشق والمغرب في حين أنه لم يخرج من بغداد إلا إلى الدينور.

- إن المنهج والأسلوب الذي سار عليه المؤلف «الإمامة والسياسة» يختلف تمامًا عن منهج وأسلوب ابن قتيبة في كتبه التي بين أيدينا، فابن قتيبة يقدم لمؤلفاته بمقدمات طويلة يبين فيها منهجه والغرض من مؤلفه، وعلي خلاف ذلك يسير صاحب «الإمامة والسياسة» فمقدمته قصيرة جدًا لا تزيد على ثلاثة أسطر، هذا إلى جانب الاختلاف في الأسلوب، ومثل هذا النهج لم نعهده في مؤلفات ابن قتيبة.

- يروي مؤلف الكتاب عن ابن أبي ليلى بشكل يشعر بالتلقي عنه، وابن أبي ليلى هذا هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه: قاضي الكوفة، توفي سنة ١٤٨هـ، والمعروف أن ابن قتيبة لم يولد إلا سنة ٢١٣ هـ، أي بعد وفاة ابن أبي ليلى بخمسة وستين عامًا.

- إن الرواة والشيوخ الذين يروي عنهم ابن قتيبة عادة في كتبه لم يرد لهم ذكر في أي موضع من مواضع الكتاب.

- إن قسمًا كبيرًا من رواياته جاءت بصيغة التمريض، فكثيرًا ما يجيء فيه: ذكروا عن بعض المصريين، وذكروا عن محمد بن سليمان عن مشايخ أهل مصر، وحدثنا بعض

---

(١) عقيدة أهل السنة (٢/ ٧٤٠).

مشـايخ أهل المغرب، وذكـروا عن بعض المشـيخة، وحـدثنا بعض المشـيخة، ومـثل هذه التراكيب بعيدة كل البعد عن أسلوب وعبارات ابن قتيبة ولم ترد فى كتاب من كتبه.

- إن مؤلف «الإمامـة والسياسة» يروى عن اثنين من كبـار علماء مصر، وابن قتـيبة لم يدخل مصر ولا أخذ عن هذين العالمين(١).

- ابن قتيبـة يحتل منزلة عالية لدى العلماء فهـو عندهم من أهل السنة، وثقة فى علمه ودينه، يقول السلفى: كان ابن قتيبة من الثقات وأهل السنة، ويقول عنه ابن حزم: كان ثقة فى دينه وعلمه، وتبعه فى ذلك الخطيب البغدادى، ويقول عنه ابن تيمية: وإن ابن قتيبة من المنتسبين إلى أحمد وإسحاق والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة(٢)، ورجل هذه منزلته لدى رجال العلم المحققين، هل من المعقول أن يكون مؤلف كتاب «الإمامة والسياسة» الذى شوه التاريخ وألصق بالصحابة الكرام ما ليس فيهم؟!(٣)

يقول الدكتـور على نفيع العليانى فى كتـابه، عقيدة الإمام ابن قـتيبة عن كتـاب الإمامة والسيـاسة: وبعد قـراءتى لكتاب الإمامة والـسياسة قـراءة فاحصـة ترجح عندى أن مؤلف الإمامة والسياســة رافضى خبيث، أراد إدماج هذا الكتاب فى كتب ابن قـتيبة نظرًا لكثرتها ونظرًا لكونه معروفًا عند الناس بانتصاره لأهل الحديث، وقد يكون من رافضة المغرب، فإن ابن قتـيبـة له سمـعة حسنة فـى المغرب(٤)، ومما يرجح أن مؤلف الإمـامة والسيـاسة من الروافض ما يلى:

* إن مؤلف الإمامة والسياسة ذكـر على لسان على رضى الله عنه أنه قال للمهاجرين: الله الله يا معـشر المهاجرين لا تخـرجوا سلطان محمـد فى العرب عن داره وقعر بيـته إلى دوركم وقعر بيـوتكم، ولا تدفعوا أهله مقامـه فى الناس وحقه، فوالله يا معشـر المهاجرين لنحن أحق الناس به لأنا أهل البـيت، ونحن أحق بهذا الأمـر منكم.. والله إنه لفيـنا فلا تتبعـوا الهوى فتضلوا عـن سبيل الله(٥). ولا أحد يرى أن الخلافـة وراثية لأهل البيت إلا الشيعة.

(١) عقيدة الإمام ابن قتيبة، على العليانى، ص(٩٠).

(٢) لسان الميزان (٣/٣٥٧)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٤٤).

(٣) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٤٤).

(٤) الفتاوى لابن تيمية (١٧/ ٣٩١).

(٥) الإمامة والسياسة (١/ ١٢).

* إن مؤلف الإمامة والسياسة قدح في صحابة رسول الله قدحًا عظيمًا فصور ابن عمر رضي الله عنه جبانًا، وسعد بن أبي وقاص حسودًا، وذكر محمد بن مسلمة غضب على علي بن أبي طالب لأنه قتل مرحبًا اليهودي بخيبر، وأن عائشة -رضي الله عنها- أمرت بقتل عثمان[1]، والقدح في الصحابة من أظهر خصائص الرافضة، وإن شاركهم الخوارج، إلا أن الخوارج لا يقدحون في عموم الصحابة[2].

* إن مؤلف الإمامة والسياسية يذكر أن المختار بن أبي عبيد قتل من قبل مصعب بن الزبير لكونه دعا إلى آل رسول الله ﷺ ولم يذكر خرافاته وادعاءه للوحي[3]، والرافضة هم الذين يحبون المختار بن أبي عبيد لكونه انتقم من قتلة الحسين، مع العلم أن ابن قتيبة -رحمه الله- ذكر المختار من الخارجين على السلطان وبين أنه كان يدعي أن جبريل يأتيه[4].

* إن مؤلف الإمامة والسياسة كتب عن خلافة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان خمسًا وعشرين صفحة فقط، وكتب عن الفتنة التي وقعت بين الصحابة مائتي صفحة، فقام المؤلف باختصار التاريخ الناصع المشرق وسوّد الصحائف بتاريخ زائف لم يثبت منه إلا القليل، وهذه من أخلاق الروافض المعهودة، نعوذ بالله من الضلال والخذلان.

* يقول السيد محمود شكري الألوسي في مختصره للتحفة الاثنا عشرية: ومن مكايدهم -يعني الرافضة- أنهم ينظرون في أسماء الرجال المعتبرين عند أهل السنة، فمن وجدوه موافقًا لأحد منهم في الاسم واللقب أسندوا رواية حديث ذلك الشيعي إليه، فمن لا وقوف له من أهل السنة يعتقد أنه إمام من أئمتهم فيعتبر بقوله ويعتد بروايته، كالسدي فإنهما رجلان أحدهما السدي الكبير والثاني السدي الصغير، فالكبير من ثقات أهل السنة، والصغير من الوضاعين الكذابين وهو رافضي غال، وعبد الله بن قتيبة رافضي غال وعبد الله بن مسلم بن قتيبة من ثقات أهل السنة، وقد صنف كتابًا سماه بالمعارف، فصنف ذلك الرافضي كتابًا سماه بالمعارف أيضًا قصدًا للإضلال[5]. وهذا مما يرجح أن كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة الرافضي وليس لابن قتيبة السني الثقة، وإنما خلط الناس بينهما لتشابه الأسماء[6] والله أعلم.

---

(1) الإمامة والسياسة (1/ 54، 55).
(2) عقيدة الإمام ابن قتيبة، ص(91) للعلياني.
(3) الإمامة والسياسة (2/ 20).
(4) المعارف، ص(401).
(5) مختصر التحفة الاثنا عشرية للألوسي ص(32).
(6) عقيدة الإمام ابن قتيبة، ص(93).

٢- نهج البلاغة: ومن الكتب التى ساهمت فى تشويه تاريخ الصحابة بالباطل كتاب نهج البلاغـة؛ فهذا الكتاب مطعـون فى سنده ومتنه، فقد جـمع بعد أمير المؤمنين بثـلاثة قرون ونصف قرن بلا سند، وقد نسبت الشيعـة تأليف نهج البلاغة إلى الشريف الرضى وهو غير مقبول عند المحدثين لو أسند خصوصًا فـيما يوافق بدعته، فكيف إذا لم يسند كما فعل فى النهج؟ وأما المتهم -عند المحدثين- فهو أخوه على[(١)]، فقد تحدث العلماء فيه فقالوا:

- قال ابن خلكان فى ترجـمة الشريف المرتضى: وقد اختلف الناس فى كـتاب نهج البلاغة المجمـوع من كلام الإمـام على بن أبى طالب رضى الله عنه هل جـمعـه؟ أم جمع أخـيه الرضى؟. وقد قيل: إنه ليس من كلام علىّ، وإنما الذى جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه، والله أعلم[(٢)].

- وقال الذهبى: من طالع نهج البلاغة جـزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين على رضى الله عنه، ففيه السب الصراح، والحط على السيدين أبى بكر وعمر، رضى الله عنهما، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التى من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأن أكثره باطل[(٣)].

- وقال ابن تيـمية: وأهل العلم يعلمون أن أكـثر خطب هذا الكتاب مفـتراة على علىّ، ولهذا لا يوجد غالبها فى كتاب متقدم ولا لها إسناد معروف[(٤)].

- وأما ابن حجر، فيتهم الشريف المرتضى بوضعه، ويقول: ومن طالعه جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علىّ. . وأكثره باطل[(٥)].

- واستنادًا إلى هذه الأخبار وغيرها تناول عدد مـن الباحثين هذا الموضوع، فقالوا بعدم صحة نسبة هذا الكتاب إلي الإمام على رضى الله عنه[(٦)].

ويمكن تلخيص أهم ما لاحظه القدامى والمحدثون على «نهج البـلاغة» للتشكيك بصحة نسبته للإمام على بما يلى:

* خلوه من الأسانيد التوثيقية التى تعزز نسبة الكلام إلى صاحبه؛ متنًا ورواية وسندًا.

(١) الأدب الإسلامى، نايف معروف، ص(٥٣).
(٢) الوفيات (٣/ ١٢٤).
(٣) ميزان الاعتدال (٣/ ١٢٤).
(٤) منهاج السنة (٤/ ٢٤).
(٥) لسان الميزان (٤/ ٢٢٣).
(٦) الأدب الإسلامى، نايف معروف، ص(٥٣).

* كثـرة الخطب وطولها، لأن هذه الكثرة وهذا التطويل مما يتـعذر حفظه وضـبطه قبل عصر التـدوين، مع أن خطب الرسول ﷺ لم تصل إلينا سالمة وكامـلة مع ما أتيح لها من العناية الشديدة والاهتمام.

* رصد العديد من الأقوال والخطب فى مصادر وثيقة منسوبة لغير علىّ رضى الله عنه، وصاحب النهج يثبتها له.

* اشتمال هذا الكتاب على أقـوال تتناول الخلفاء الراشدين قبله بما لا يليق به ولا بهم، وتنافى ما عرف عنه من توقيره لهم، ومن أمثلة ذلك ما جاء بخطبـته المعروفة بـ«الشقشقية» التى يظهر فيها حرصه الشديد على الخلافة، رغم ما شُهر عنه عن التقشف والزهد.

* شيـوع السجع فـيه، إذ رأى عـدد من الأدباء أن هذه الكثرة لا تتـفق مع البـعد عن التكلف الذى عرف به عصر الإمام على رضى الله عنه، مع أن السـجع العفوى الجميل لم يكن بعيدًا عن روحه ومبناه.

* الكلام المنمق الذى تظهـر فيـه الصناعة الأدبيـة التى هى من وشى العـصر العبـاسى وزخـرفه، مـا نجده فى وصف الطاووس والخـفاش، والـنحل والنمل، والزرع والسحـاب وأمثالها.

* الصيغ الفلسفية الكلامـية التى وردت فى ثناياه، والتي لم تُعرف عند المسلمين إلا فى القرن الثالث الهـجرى، حين ترجمت الكتب اليونانيـة والفارسية والهندية، وهى أشـبه ما تكون بكلام المناطقة والمتكلمين منه بكلام الصحابة والراشدين[1].

إن هذا الكتـاب يجب الحذر منه فى الحـديث عن الصـحابة ومـا وقع بينهم وبين أميـر المؤمنين على، وتعرض نصوصـه على الكتاب والسنة، فما وافق الكتـاب والسنة، فلا مانع من الاستئناس به وما خالف فلا يلتفت إليه.

٣- كتاب الأغانى لـلأصفهانى: يعتبر كـتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفـهانى كتاب أدب وسـمـر وغناء، وليس كـتـاب علم وتاريخ وفـقـه، وله طنين ورنين فى آذان أهل الأدب والتاريخ، فليس معنى ذلك أن يسكت عما ورد فيه من الشعوبية والدس، والكذب الفاضح والطعن والمعايب. وقـد قام الشاعر العراقى والأسـتاذ الكريم وليد الأعظمى بتألـيف كتابه القيم الذى سمّاه السيف اليمانى فى نحر الأصفهانى صاحب الأغانى، فقد شمّر -جزاه الله

(١) الأدب الإسلامى، ص(٥٤، ٥٥).

خيرًا- عن ساعد الجد، ليميز الهزل من الجد، والسّم من الشهد، ويكشف ما احتواه الكتاب من الأكاذيب ونيران الشعوبية والحقد، وهى تغلى فى الصدور، كغلى القدور، وأخذ يرد على ترهات الأصفهانى فيما جمعه من أخبار وحكايات مكذوبة وغير موثقة تسىء إلى آل البيت النبوى الشريف، وتجرح سيرتهم، وتشوه سلوكهم، كما تناول مزاعم الأصفهانى تجاه معاوية بن أبى سفيان والخلفاء الراشدين الأمويين بما هو مكذوب ومدسوس عليهم من الروايات؛ وتناول الأستاذ الكريم والشاعر الإسلامى القدير وليد الأعظمى فى كتابه القيم الحكايات المتفرقة التى تضمنها الكتاب والتى تطعن فى العقيدة الإسلامية والدين الإسلامى، وتفضل الجاهلية على الإسلام وغيرها من الأباطيل[١].

ولقد تحدث العلماء فيه قديمًا:

- قال الخطيب البغدادى: كان أبو الفرج الأصفهانى أكذب الناس، كان يشترى شيئًا كثيرًا من الصحف، ثم تكون كل روايته منها[٢].

- قال ابن الجوزى: ومثله لا يوثق بروايته، يصح فى كتبه بما يوجب عليه الفسق، ويهوّن شرب الخمر، وربما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمل كتاب الأغانى، رأى كل قبيح ومنكر[٣]. قال الذهبى: رأيت شيخنا تقى الدين ابن تيمية يضعفه، ويتهمه فى نقله، ويستهول ما يأتى به[٤].

٤- تاريخ اليعقوبى، ت ٢٩٠هـ: هو أحمد بن أبى يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح العباسى من أهل بغداد، مؤرخ شيعى إمامى كان يعمل فى كتابة الدواوين فى الدولة العباسية حتى لقب بالكاتب العباسى، وقد عرض اليعقوبى تاريخ الدولة الإسلامية من وجهة نظر الشيعة، الإمامية، فهو لا يعترف بالخلافة إلا لعلى بن أبى طالب وأبنائه حسب تسلسل الأئمة عند الشيعة، ويسمى عليًا بالوصى، وعندما أرَّخ لخلافة أبى بكر وعمر وعثمان لم يضف عليهم لقب الخلافة وإنما قال تولى الأمر فلان، ثم لم يترك واحدًا منهم دون أن يطعن فيه، وكذلك كبار الصحابة، فقد ذكر عن عائشة، رضى الله عنها، أخبارًا[٥] سيئة، وكذلك عن خالد بن الوليد[٦]، وعمرو بن العاص[٧]، ومعاوية بن أبى سفيان[٨]،

(١) السيف اليمانى فى نحر الأصفهانى للأعظمى، ص(٩-١٤).
(٢) تاريخ بغداد (١١/ ٣٩٨).
(٣) المنتظم (٧/ ٤١، ٤٠).
(٤) ميزان الاعتدال (٣/ ١٢٣).
(٥) تاريخ اليعقوبى (٢/ ١٨٠-١٨٣).
(٦) المصدر نفسه (٢/ ١٣١).
(٧) المصدر نفسه (٢/ ٢٢٢).
(٨) المصدر نفسه (٢/ ٢٣٢، ٢٣٨).

وعرض خبر السقيفة عرضًا مشينًا[1] ادعى فيه أنه قد حصلت مؤامرة على سلب الخلافة من على ابن أبى طالب الذى هو الوصى فى نظره، وطريقتـه فى سـياق الاتهامـات -الباطلة- هى طريقة قومه من أهل التشيع والرفض، وهى إما اختلاق الخبر بالكلية[2]، أو التزيد فى الخبر[3]، والإضافـة عليه، أو عرضــه فى غير سـياقه ومـحله حتى ينحـرف معناه، ومن الملاحظ أنه عندما ذكـر الخلفاء الأمويين وصفـهم بالملوك، وعندما ذكر خلفاء بنـى العباس وصفهم بالخلفاء، كما وصف دولتـهم فى كتابه البلدان باسم الدولة المباركة[4]، مما يعكس نفاقه وتسـتره وراء شعار التقيـة، وهذا الكتاب يمثل الانحراف والتشويه الحـاصل فى كتابة التاريخ الإسلامى، وهـو مرجع لكثير من المستـشرقين والمستغـربين الذين طعنوا فى التاريخ الإسلامى وسيرة رجاله، مع أنه لا قيمـة له من الناحية العلمية إذ يغلب على القسم الأول القصص والأساطير والخرافات، والقسم الثانى كـتب من زاوية نظر حزبية كما أنه يفتقد من الناحية المنهجية لأبسط قواعد التوثيق العلمى[5].

٥- المسعودى (ت: ٣٤٥ هـ): كتابه مروج الذهب ومـعادن الجوهر: هو أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى، من ولد عـبد الله بن مسعود، رضى الله عنه[6]، وقيل إنه كان رجلاً من أهل المغرب[7]، ولكن يرد عليه بأن المسعودى صـرح بنفسه أنه من أهل العراق، وأنه انتقل إلى ديار مصر للسكن فيها[8]، وإن قصد ببلاد المغرب عكـس المشرق فمصر من بلاد المغرب الإسلامى فلا إشكال[9]، والمسعودى رجل شيعى، فقد قال فيه ابن حجر: كتبه طافحة بأنه كان شيعـيًا معتزليًا[10]، وقد ذكر أن الوصية جـارية من عهد آدم تنقل من قرن إلى قرن حتى رسولنا ﷺ، ثم أشار إلى اختلاف الناس بعد ذلك فى النص والاخـتيار، فقد رأى الشيـعة الإماميـة الذين يقولون بالنص[11]، وقد أولى الأحداث المتـعلقة بعلى بن أبى طالب رضى الله عنه فى كتابه مروج الذهب اهتمامًا كبيرًا أكثر من اهتمامه بحياة الرسول ﷺ فى الكتاب المذكور[12]، وركز اهتمامه بالبيت العلوى وتتبع أخبارهم بشكل واضح فى كتابه مروج الذهب[13]، وعمل بدون حياء ولا خجل على تشويه تاريخ صدر الإسلام.

---

(١) تاريخ اليعقوبى (٢/ ١٢٣، ١٢٦).
(٢)، (٣) منهج كتابة التاريخ الإسلامى ص٤٣١.
(٤) كتاب البلدان لليعقوبى ص٤٣٢.
(٥) منهج كتابة التاريخ الإسلامى ص٤٣٢.
(٦) الفهرست لابن النديم، ص(١٧١) سير أعلام النبلاء.
(٧) الفهرست، ص(١١٧).
(٨) معجم الأدباء (١٣/ ٩١-٩٣).
(٩) منهج المسعودى فى كتابة التاريخ ص٤٤، أثر التشيع، ص(٢٤٣).
(١٠) لسان الميزان (٤/ ٢٢٥)، أثر التشيع، ص(٢٤٦).
(١١) مروج الذهب ومعادن الجوهر (١/ ٣٨).
(١٢)، (١٣) أثر التشيع على الروايات التاريخية، ص(٢٤٨).

هذه بعض الكتب القديمة التي نحذر منها، والتي كان لها أثر في كتابات بعض المعاصرين، كطه حسين (الفتنة الكبرى.. على وبنوه)، والعقاد في العبقريات فقد تورطا في الروايات الموضوعة والضعيفة وقامت تحليلاتهما عليها، وبالتالي لم يحالفهما الصواب، ووقعا في أخطاء شنيعة في حق الصحابة، رضى الله عنهم، وكذلك عبد الوهاب النجار في كتابه «الخلفاء الراشدون» حيث نقل نصوصًا من روايات الرافضة من كتاب «الإمامة والسياسة»، وحسن إبراهيم حسن في كتابه «عمرو بن العاص» حيث قرر من خلال الروايات الرافضية الموضوعة بأن عمرو بن العاص رجل مصالح ومطامع ولا يدخل في شيء من الأمور إلا إذا رأى أن فيه مصلحة ومنفعة له في الدنيا[1]، وغير ذلك من الباحثين الذين ساروا على نفس المنوال، فدخلوا في الأنفاق المظلمة بسبب بعدهم عن منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الركام الهائل من الروايات التاريخية.

ثامنًا: الاستشراق والتاريخ الإسلامي:

إن من أعظم الفرق أثرًا في تحريف التاريخ الإسلامي الشيعة الرافضة بمختلف طوائفها وفرقها، فهم من أقدم الفرق ظهورًا، ولهم تنظيم سياسي وتصور عقائدي، ومنهج فكري -منحرف- وهم أكثر الطوائف كذبًا على خصومهم، كما أنهم من أشد الناس خصومة للصحابة -كما سيأتي معنا- فسب الصحابة وتكفيرهم من أساسيات معتقدهم وأركانه، خاصة الشيخين أبا بكر وعمر ويسمونهما الجبت والطاغوت[2]، وقد كان للشيعة أكبر عدد من الرواة والإخباريين الذين تولوا نشر أكاذيبهم ومفترياتهم وتدوينها في كتب ورسائل عن أحداث التاريخ الإسلامي، خاصة الأحداث الداخلية، كما كان للشعوبية والعصبية أثر في وضع الأخبار التاريخية والحكايات والقصص الرامية إلى تشويه التاريخ الإسلامي، وإلى إعلاء طائفة على طائفة، أو أهل بلد على آخر، أو جنس على جنس، وإبعاد الميزان الشرعي في التفاضل وهو ميزان التقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

كما أن الفرق المنحرفة قد استغلت وضع القصاص وانتشارهم وجهل معظمهم وقلة علمهم بالسنة، وانحراف طائفة منهم تبتغي العيش والكسب، فنشروا بينهم أكاذيبهم وحكاياتهم وقصصهم الموضوعة، فتلقفها هؤلاء القصاص دون وعي وإدراك ونشروها بين العامة، لقد انتشر عن طريقهم مئات الأحاديث المكذوبة على الصحابة والتابعين وعلماء

(١) تاريخ عمرو بن العاص، حسن إبراهيم، ص(٢٠٦، ٢٠٧).

(٢) الشيعة والسنة، ص(٣٢) إحسان إلهي ظهير.

الإسلام، مما يسيء لهم ويشوه تاريخهم وسيرتهم، وقد كان من فضل الله وتوفيقه أن قيض مجموعة من العلماء النقاد الذين قاموا بجهد في نقد الرواة والمرويات فبينوا الزائف من الصحيح، ودافعوا عن عقيدة الأمة وتاريخها، وجهد علماء السنة في بيان الأحاديث المكذوبة بالنص عليها وبيان الرواة الضعاف والمتهمين وأصحاب الأهواء، وفي رسم المنهج في نقد الروايات وقبولها، جهد كبير وموفق، من أبرز من تصدى لإيضاح المغالط التاريخية ورد زيف الروايات المكذوبة القاضي ابن العربي في كتاب «العواصم من القواصم»، والإمام ابن تيمية في كثير من كتبه ورسائله، خاصة كتابه القيم «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية»، وكذا الحافظ الناقد الذهبي في كثير من مؤلفاته التاريخية مثل كتاب «سير أعلام النبلاء، وتاريخ الإسلام، وميزان الاعتدال في نقد الرجال»، وكذلك الحافظ ابن كثير المفسر المؤرخ في كتابه «البداية والنهاية»، وأيضًا الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه، «فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ولسان الميزان، وتهذيب التهذيب والإصابة في معرفة الصحابة».

أما الوسائل التي استخدمت لغرض تحريف الوقائع التاريخية وتشويه سير رجال الصدر الأول من الصحابة والتابعين فهي كثيرة ونذكر منها:

* الاختلاق والكذب.

* الإتيان بخبر أو حادثة صحيحة فيزيدون فيها وينقصون منها حتى تتشوه وتخرج عن أصلها.

* وضع الخبر في غير سياقه حتى ينحرف عن معناه ومقصده، والتأويل والتفسير الباطل للأحداث.

* إبراز المثالب والأخطاء وإخفاء الحقائق المستقيمة.

* صناعة الأشعار وانتحالها لتأييد حوادث تاريخية مدعاة لأن الشعر العربي ينظر له كوثيقة تاريخية ومستند يساعد في توثيق الخبر وتأييده.

وضع الكتب والرسائل المكذوبة ونحلها لعلماء وشخصيات مشهورة، كما وضعت الرافضة كتاب «الإمامة والسياسة» الذي نسبته إلى أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري لشهرته عند أهل السنة وثقتهم به -كما مرّ معنا.

وقد تلقف هذه الأكاذيب والتحريفات فى القرن الماضى علماء الغرب وكتابه من المستشرقين والمنصرين- إبان غزوهم واستعمارهم للبلدان الإسلامية- فوجدوا فيها ضالتهم، وأخذوا يعملون على إبرازها والتركيز عليها مع ما زادوه من عندهم- بدافع من عصبيتهم وكرههم للمسلمين- من الكذب مثل اختراع حوادث لا أصل لها، أو التفسير المغرض للحوادث التاريخية بقصد التشويه، أو التفسير الخاطئ تبعًا للتصور والاعتقاد الذى يدينون به، ثم شايع هؤلاء طائفة غير قليلة العدد من تلاميذ المستشرقين فى البلاد العربية والإسلامية، وأخذوا طرائقهم ومناهجهم فى البحث، وأفكارهم وتصوراتهم فى الفهم والتحليل وتفسير التاريخ، وحملوا الراية بعد رحيلهم عن بلاد المسلمين، كان ضررهم أشد وأنكى من ضرر أساتذتهم المستشرقين، ومن ضرر أسلافهم السابقين من فرق البدع والضلال، وذلك أنهم ادعوا -كأساتذتهم- اتباع الروح العلمية المتجردة والمنهج العلمى فى البحث، والحقيقة أن غالبهم لم يتجرد إلا من عقيدته، أما التجرد بمعنى الإخلاص للحق وسلوك المنهج العلمى السليم فى إثبات الوقائع التاريخية، كالمقارنة بين الروايات، ومعرفة قيمة المصادر التى يرجعون إليها، ومدى أمانة الناقلين، وضبطهم لما نقلوا، وقياس الأخبار واعتبارهم بأحوال العمران البشرى وطبائعه(١)، فلا أثر له عند القوم، فلم يتقنوا من المنهج العلمى إلا الأمور الشكلية مثل الحواشى وترتيب المراجع وما شابهها، وربما كان هذا هو مفهوم المنهج العلمى عندهم(٢)، يقول محب الدين الخطيب: إن الذين تثقفوا بثقافة أجنبية عنا قد غلب عليهم الوهم بأنهم غرباء عن هذا الماضى، وأن موقفهم من رجاله كموقف وكلاء نيابة من المتهمين، بل لقد أوغل بعضهم فى الحرص على الظهور أمام الأغيار بمظهر المتجرد عن كل آصرة بماضى العروبة والإسلام جريًا وراء المستشرقين فى ارتيابهم حيث تحس الطمأنينة وميلهم مع الهوى عندما يدعوهم الحق إلى التثبت وفى إنشائهم الحكم وارتياحهم إليه قبل أن تكون فى أيديهم الدلائل عليه(٣)

ومن أهم الوسائل التى اتبعها المستشرقون وتلاميذهم فى تشويه وتحريف حقائق التاريخ الإسلامى:

أ- التدخل بالتفسير الخاطئ للأحداث التاريخية على وفق مقتضيات أحوال عصرهم الذى يعيشون هم فيه وحسبما يجول بخواطرهم، دون أن يحققوا أولاً الواقعة التاريخية

(١)، (٢) منهج كتابة التاريخ الإسلامى، محمد صامل، ص(٥٠٢).

(٣) المصادر الأولى لتاريخنا، مجلة الأزهر سنة ١٣٧٤ هـ.

حـتى تثبت ودون أن يراعـوا ظروف العـصـر الذى وقعـت فيـه الحـادثة وأحـوال الناس وتوجهاتهم فى ذلك الوقت، والعـقيدة التى تحكمهم ويدينون بها، فإنه قبل تفـسير الحادثة لابد من ثبوت وقوعهـا وليس وجودها فى كتاب من الكتب كافيًـا لثبوتها[1]، لأن مرحلة الثبوت مرحلة سابقة على البحث فى تفسير الواقعـة التاريخية، كما ينبغى أن يكون التفسير متمـشيًا مع منطوق الخـبر التاريخى، وموضـوع البحث، ومع الطابع العام للمجـتمع، أو العصر والبـيئة التى حدثت فيهـا الواقعة، كما يشتـرط ألا يكون هذا التفسير متـعارضًا مع واقعة أو جملة وقائع أخرى ثابتة، كما أنه لا ينبغى أن ينظر فى التفسير إلى عامل واحد - كما هو ديدن كثير من المدارس التاريخيـة المعاصرة- وإنما ينظر فيه إلى جملة العوامل المؤثرة فى الحديث وخاصـة العوامل العقيدية والفكريـة. . ثم إن التفسير التـاريخى للحوادث بعد هذا كله لا يعدو كـونه اجتهـادًا بشريًا يحتـمل الصواب والخطأ، ولقـد أبرز البعض تاريخ الفرق الضالة وعمد إلى تضـخيم أدوارها وتصويرها بصورة المصلح المظلوم، وبأن المؤرخين المسلمين قد تحاملوا عليـها، فالقرامطة والإسماعـيلية، والرافضة الإمامية والـفاطمية والزنج وإخوان الصفا، والخوارج كلهم فى نظرهم واعتبارهم دعاة إصلاح وعدالة وحرية ومساواة، وثورتهم كـانت ثورات لإصـلاح الظلم والجور، فـهـذا الشغب والإرجـاف على التـاريخ الإسلامى ومزاحمة سـير رجاله ودعاته بسير قادة الفرق الضالة أمـر لا يستغرب من قوم لا يدينون بالإسلام، فهم من واقع عقيدتهم يكيدون له بكل جهد مستطاع، ليلاً ونهارًا، وسرًا وجهـارًا ولا يتوقع من مطمـوسى الإيمان وملل الكفـر إلا مناصرة إخوانهـم فى الضلال، ولكن الأمر الذى قد يحـدث استغرابًا عند البـعض أن يحمل راية التشويه والتـحريف بعد سقوط دولة الاستشـراق كتاب يحملون أسماء إسلاميـة ومن أبناء المسلمين، ويقومون بنشر مثل هذه السموم على بنى جلدتهم ليـصرفوا بها الأغرار عن الصراط المستقـيم، ولقد عمد هؤلاء إلى التشـبث بالروايات المشبوهة والضـعيفـة، والساقطة يلتقطونهـا من كتب الأدب وقصص السمر والحكايات الشـعبية والكتب المنحولة والضعيفة فـهذه الكتب هى مستنداتهم فى الغالب مع مـا يجدونه من الروايات المكذوبة فى الطبرى والمسعـودى، مع أنهم يعلمون أنها لا تعتبر مراجع علمية يعتمـد عليها، لقد وقع الاعتداء على التاريخ الإسلامى -خاصة تاريخ الصدر الأول- بالتشـويه عن طريق اختيار مواقف مخـتارة والتركيز عليهـا، كالمعارك والحروب مع تصويرها على غـير حقيقتهـا حتى تزول عنها صفة الجهـاد فى سبيل الله، أو

(١) منهج كتابة التاريخ الإسلامى، ص(٥٠٤).

التركيز على الأحداث والفتن الداخلية بقصد إظهار خلافات الصحابة، رضى الله عنهم، وعرضها وكأنها نموذج للصراعات والمكائد السياسية فى وقتنا الحاضر، وبالتجهيل وهو إهمال كل ما هو مدعاة للاقتداء والأسوة الحسنة، وبالتشكيك، وهو توجيه السهام إلى التاريخ ورجاله وإلى المؤرخين المسلمين أنفسهم والتشكيك فى معلوماتهم وصدقهم، وبالتجزئة وهى محاولة تجزئة التاريخ الإسلامى إلى أوصال وأشتات وكأنها لا رابط بينها كالتوزيع الإقليمى والعرقى ونحوه، فكل هذه الوسائل والحملات تسعى إلى تدمير تاريخنا الإسلامى ومحو معالمه النيرة وإبعاده عن مجال القدوة الحسنة والتربية الصحيحة.

لذا ينبغى على المؤرخ المسلم معرفة هذه الوسائل والتنبه لها، ومعرفة الذين تابعوا المستشرقين فى آرائهم ومناهجهم وعدم التلقي منهم إلا بحذر شديد، فإذا كان علماؤنا - رحمهم الله- قد نقدوا كثيراً من الرواة وضعفوا روايتهم بسبب أخذهم عن أهل الكتاب وروايتهم الإسرائيليات، فإنه ينبغى لنا التوقف فى قبول أقوال وتفسيرات من يتلقى من المستشرقين بل إسقاطها وعدم اعتبارها إلا بدليل وبرهان واضح[1].

---

(١) منهج كتابة التاريخ الإسلامى، ص(٥٠٧).

الفصل السابع

موقف أمير المؤمنين علي من الخوارج والشيعة

المبحث الأول

الخـــوارج

نشأة الخوارج والتعريف بهم:

عرَّف أهل العلم الخوارج بتعريفات منها ما بيَّنه أبو الحسن الأشعرى، أن اسم الخوارج يقع على تلك الطائفة التى خرجت على رابع الخلفاء الراشدين على بن أبى طالب رضى الله عنه، وبيَّن أن خروجهم على علىّ هو العلة فى تسميتهم بهذا الاسم، حيث قال رحمه الله تعالى: والسبب الذى سموا له خوارج خروجهم على علىّ لما حكم(١).

وأما ابن حزم: فقد بيَّن أن اسم الخارجى يتعدى إلى كل من أشبه أولئك النفر الذين خرجوا على علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، وشاركهم فى معتقدهم، فقد قال: ومن وافق الخوارج من إنكار التحكيم وتكفير أصحاب الكبائر والقول بالخروج على أئمة الجور، وأن أصحاب الكبائر مخلدون فى النار، وأن الإمامة جائزة فى غير قريش فهو خارجى وإن خالفهم، فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون وخالفهم فيما ذكرنا فليس خارجيًا(٢).

وأما الشهرستانى: فقد عرف الخوارج بتعريف عام اعتبر فيه الخروج على الإمام الذى اجتمعت عليه الكلمة وعلى إمامته الشرعية خروجًا فى أى زمان كان، حيث قال فى تعريفه للخوارج: كل من خرج على الإمام الحق الذى اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيًا سواءً كان الخروج فى أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أم كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة فى كل زمان(٣).

وقال ابن حجر معرفًا لهم: والخوارج هم الذين أنكروا على علىٍّ التحكيم وتبرؤوا منه ومن عثمان وذريته وقاتلوهم، فإن أطلقوا تكفيرهم فهم الغلاة(٤)، وقال فى تعريف آخر: أما الخوارج فهم جماعة خارجة، أى: طائفة، وهم قوم مبتدعون سموا بذلك لخروجهم على الدين وخروجهم على خيار المسلمين(٥).

(١) مقالات الإسلاميين (١/ ٢٠٧).

(٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل (٢/ ١١٣).

(٣) الملل والنحل.

(٤) هدى السارى فى مقدمة فتح البارى، ص ٤٥٩.

(٥) فتح البارى (٢/ ٢٨٣).

وأما أبو الحسن الملطى: فيرى أن أول الخوارج المحكمة، الذين ينادون لا حكم إلا لله ويقولون: عليٌّ كفر، يجعل الحكم إلى أبي موسى الأشعرى ولا حكم إلا لله. فرقة الخوارج، سميت خوارج لخروجهم على عليٍّ رضى الله عنه يوم الحكمين، حين كرهوا التحكيم، وقالوا: لا حكم إلا الله[(١)].

وأما الدكتور ناصر العقل فيقول: هم الذين يُكَفِّرون بالمعاصى، ويخرجون على أئمة الجور[(٢)].

فالخوارج هم أولئك النفر الذين خرجوا على عليٍّ رضى الله عنه بعد قبوله التحكيم فى موقعة صفين، ولهم ألقاب أخرى عرفوا بها غير لقب الخوارج، ومن تلك الألقاب الحرورية[(٣)]، والشراة[(٤)]، والمارقة، والمحكمة[(٥)]، وهم يرضون بهذه الألقاب كلها إلا بالمارقة، فإنهم ينكرون أن يكونوا مارقين من الدين كما يمرق السهم من الرمية[(٦)].

ومن أهل العلم من يرجع بداية نشأة الخوارج إلى زمن الرسول ﷺ، ويجعل أول الخوارج ذا الخويصرة الذى اعترض على الرسول ﷺ فى قسمة ذهب كان قد بعث به عليٌّ رضى الله عنه من اليمن فى جلد مقروظ، فقد جاء عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال: بعث على بن أبى طالب إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهبة فى أديم مقرظ[(٧)]، لم تحصل من ترابها[(٨)]، قال: فقسمها بين أربعة نفر، بين عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة بن علاثة، وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، قال: فبلغ ذلك النَّبىﷺ، فقال: «**ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء يأتينى خبر السماء صباحًا ومساء**»، قال: فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة[(٩)]، كث اللحية محلوق الرأس مشمر الإزار، فقال: يا رسول الله اتق الله، فقال: «**ويلك أو لست أحق أهل الأرض أن يتقى الله**» قال: ثم ولى الرجل، فقال خالد ابن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟، فقال: «**لا، لعله أن يكون يصلى**»، قال خالد:

---

(١) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ص ٤٧.
(٢) الخوارج، ناصر العقل، ص ٢٨.
(٣) سموا بهذا الاسم لنزولهم بحروراء فى أول أمرهم.
(٤) سموا شراة لقولهم: شرينا أنفسنا فى طاعة الله، أى: بعناها بالجنة.
(٥) سموا بهذا الاسم لإنكارهم الحكمين، وقولهم: لا حكم إلا الله.
(٦) مقالات الإسلاميين (١/ ٢٠٧).
(٧) أديم مقرظ: فى جلد مدبوغ بالقرظ.
(٨) أى: لم تميز ولم تصف من تراب معدنها.
(٩) ناشز الجبهة: مرتفع الجبهة.

وكم من مصلٍّ يقـول بلسانه ما ليس فى قلبه، فـقال رسول الله ﷺ: «إنى لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس(١)، ولا أشق بطونهم»، قال: ثم نظر إليه وهو مقفٍ(٢)، فقال: «إنه يخرج من ضئضئ(٣) هذا قوم يتلون كتاب الله رطبًا، لا يجاوز حناجـرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»، قال: أظنه قال: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود»(٤).

قال ابن الجوزى عند هذا الحديث: أول الخوارج وأقبحهم حالة ذو الخويصرة التميمى، وفى لفظ: أنه قال له: اعدل، فقال: «ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل»(٥)، فهذا أول خارجى خرج فى الإسلام، وآفته أنه رضى برأى نفسه ولو وقف لعلم أنه لا رأى فوق رأى رسول الله ﷺ، وأتباع هذا الرجل هم الذين قاتلوا على بن أبى طالب رضى الله عنه(٦).

وممن أشار بأن أول الخوارج ذو الخويصرة: أبو محمد ابن حزم(٧)، وكذا الشهرستانى فى كتابه الملل والنحل(٨)، ومن العلماء من يرى بأن نشأة الخوارج بدأت بالخـروج على عثمان رضى الله عنه بإحداثهـم الفتنة التى أدت إلى قتله رضى الله عـنه ظلمًا وعدوانًا، وسـميت تلك الفتنة التى أحدثوها بالفتنة الأولى(٩)، وقال شارح الطحاوية: الخوارج والشيعة حدثوا فى الفتنة الأولى(١٠)، وقد أطلق ابن كثيـر على الغوغاء الذين خرجوا على عـثمان وقتلوه اسم الخـوارج، حيث قـال فى صدد ذكـره لهم بعد قـتلهم عثـمان رضى الله عنـه: وجاء الخوارج فأخذوا مال بيت المال وكان فيه شيء كثير جدًا(١١).

الرأى الراجح فى بداية نـشأة الخـوارج: وبالرغم من الارتبـاط القـوى بين ذى الخويصـرة والغوغاء الذين خرجوا على عثمان وبين الخوارج الذين خرجوا على علىٍّ بسبب التحيكم، فـإن مصطلح الخـوارج بالمعنى الدقـيق لهـذه الكلمـة لا ينطبق إلا على الخـارجين بسـبب التحكيم، بحكم كـونهم جماعـة فى شكل طائفة لها اتجـاهها السياسى وآراؤها الخـاصة، أحدثت أثرًا فكريًا عَقَدِيًا واضحًا، بعكس ما سبقها من حالات(١٢).

(١) أى: أفتش وأكشف، ومعناه: أنى أمرت بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر.

(٢) مقف: أى مولٍّ.

(٣) ضئضئ: هو بضادين معجمتين مكسورتين وآخره مهموز وهو أصل الشيء.

(٤) أخرجه البخارى (٢/ ٢٣٢)، ومسلم (٢/ ٧٤٢).

(٥) أخرجه مسلم (٢/ ٧٤٠).

(٦) تلبيس إبليس، ص ٩٠.

(٧) الفصل فى الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٥٧).

(٨) الملل والنحل (١/ ١١٦).

(٩) عقيدة أهل السنة فى الصحابة (٣/ ١١٤١).

(١٠) شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٦٣.

(١١) البداية والنهاية (٧/ ٢٠٢).

(١٢) فرق معاصرة للعواجى (١/ ٦٧)، خلافة على، عبدالحميد ص ٢٩٧.

ثانيًا: ذكر الأحاديث التى تتضمن ذم الخوارج:

وردت أحاديث كثيرة عن النَّبى ﷺ فى ذم الخوارج المارقة، وصفوا فيها بأوصاف ذميمة شنيعة جعلتهم فى أخبث المنازل، فمن الأحاديث التى وردت الإشارة فيها إلى ذمهم، ما رواه الشيخان فى صحيحيهما من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسمًا، إذ أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من تميم، فقال: يا رسول الله، اعدل، فقال: **«ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل»**، فقال عمر: يا رسول الله ائذن لى فيه فأضرب عنقه، فقال: **«دعه فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم[(١)]، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية[(٢)] ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شىء، ثم ينظر إلى رصافه[(٣)]، فما يوجد فيه شىء، ثم ينظر إلى نفسه، وهو قدحه فلا يوجد فيه شىء، وقد سبق الفرث والدم[(٤)]، آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدى المرأة، أو مثل البضعة[(٥)] تدردر[(٦)] ويخرجون على حين فرقة من الناس»**، قال أبو سعيد: فأشهد أنى سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ، وأشهد أن على بن أبى طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتى به حتى نظر إليه على نعت النَّبى ﷺ الذى نعته[(٧)].

وروى الشيخان أيضًا من حديث أبى سلمة وعطاء بن يسار أنهما أتيا أبا سعيد الخدرى فسألاه عن الحرورية هل سمعت النَّبى ﷺ يقول: **«يخرج فى هذه الأمة** - ولم يقل منها - **قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، فيقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم** - أو حناجرهم - **يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، فينظر الرامى إلى سهمه إلى نصله، إلى رصافه فيتمارى فى الفوقة[(٨)] هل علقت بها من الدم شىء»**[(٩)]، وروى البخارى من حديث أُسيد بن عمرو قال: قلت لسهل بن حنيف: هل سمعت النَّبى ﷺ يقول فى الخوارج شيئًا؟ ، قال سمعته يقول:

---

(١) تراقيهم: جمع ترقوة، وهى العظم بين ثغرة النحر والعاتق، وهما ترقوتان من الجانبين.

(٢) الرمية: الصيد الذى ترميه فتقصده وينفذ فيه سهمك، وقيل: كل دابة مرمية.

(٣) رصافه: يقال: رصف السهم إذا شده بالرصاف، وهو عقب يلوى على مدخل النصل فيه.

(٤) يعنى: مر مرًا سريعًا فى الرمية، لم يعلق به شىء من الفرث والدم.

(٥) البضعة: القطعة من اللحم، النهاية فى غريب الحديث (١/ ١٣٣).

(٦) تدردر: أى: ترجرج تجىء وتذهب. النهاية فى غريب الحديث (٢/ ١١٢).

(٧) مسلم (٢/ ٧٤٣، ٧٤٤).

(٨) الفوقة: هى الحجر الذى يجعل فيه الوتر.

(٩) مسلم (٢/ ٧٤٣، ٧٤٤).

وأهوى بيده قبل العراق: «يخرج منه قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية». ففى هذه الأحاديث الثلاثة ذم واضح لفرقة الخوارج، فقد وصفهم ﷺ بأنهم طائفة مارقة، وأنهم يتشددون فى الدين فى غير موضع التشدد، بل يمرقون منه بحيث يدخلون فيه ثم يخرجون منه سريعًا لم يتمسكوا منه بشيء، كما اشتمل الحديث الأول فى هذه الأحاديث الثلاثة أنهم يقاتلون أهل الحق، وأن أهل الحق يقتلونهم، وأن فيهم رجلاً صفة يده كذا وكذا، وكل هذا وقع وحصل كما أخبر به ﷺ، وفى قوله ﷺ: «لا يجاوز تراقيهم» احتمالان:

١- يحتمل أنه لكونه لا تفقهه قلوبهم، ويحملونه على غير المراد به.

٢- يحتمل أن يكون المراد أن تلاوتهم لا ترتفع إلى الله[١].

ومن صفاتهم الذميمة التى ذمهم بها الرسول ﷺ: أنهم ليس لهم من الإيمان إلا مجرد النطق به، وأنهم أصحاب عقول رديئة وضعيفة، وأنهم عندما يقرؤون القرآن يظنون لشدة ما بلغوا إليه من سوء الفهم أنه لهم وهو عليهم، فقد روى البخارى رحمه الله من حديث على رضى الله عنه أنه قال: إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ حديثًا، فوالله لإن أخر من السماء أحب إلى من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بينى وبينكم فإن الحرب خدعة، وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيخرج قوم فى آخر الزمان[٢] أحداث الأسنان[٣]، سفهاء الأحلام[٤] يقولون من خير قول البرية[٥] لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»[٦].

وفى هذين الحديثين ذم الخوارج بأنهم ليس لهم من الإيمان إلا مجرد النطق، فقد دل الحديث الأول على أنهم يؤمنون بالنطق لا بالقلب[٧]. وأما هذا الحديث الذى هو حديث زيد بن وهب الجهنى عن على رضى الله عنه فقد أطلق الإيمان فيه على الصلاة، وكلا

(١) فتح البارى (٦/ ٦١٨) ما قاله القاضى عياض فى شرح النووى (٧/ ١٥٩).

(٢) قال الحافظ ابن حجر: المراد بآخر الزمان زمان خلافة النبوة، فإن فى حديث سفينة المُخَرَّج فى السنن، وصحيح ابن حبان وغيره مرفوعًا: «الخلافة بعدى ثلاثون سنة، ثم تصير ملكًا»، وكانت قصة الخوارج وقتلهم يوم النهروان فى أواخر خلافة على سنة ثمان وثلاثين للهجرة، فتح البارى (١٢/ ٢٨٧).

(٣) أحداث الأسنان: صغار السن، شرح النووى (٧/ ١٦٩).

(٤) سفهاء الأحلام: ضعفاء العقول، فتح البارى (٦/ ٦١٩).

(٥) أى من القرآن كما فى حديث أبى سعيد المتقدم يقرؤون القرآن.

(٦) البخارى (٢/ ٢٨١).

(٧) فتح البارى (٢/ ٢٨١).

الحديثين دل على أن إيمانهم محصور فى نطـقهم وأنه لا يتجاوز حناجرهم، ولا تراقيهم، وهذا أبشع الذم وأقبحه لمن وصف به(1).

ومن الصفـات القبيـحة التى ذمـهم بها ﷺ: أنهم يمرقون من الدين لا يوفـقون للعودة إليه، وأنهم شر الخلق والخليقة، فقد روى مسلم رحمه الله من حديث أبى ذر رضى الله عنه، قال: «إن بعدى من أمتى - أو سيكون بعدى من أمتى - قوم يقرؤون القـرآن لا يجاوز حلاقيهم، يخرجون من الدين كـما يخـرج السهم من الرمـية، ثم يعـودون فيه، هم شـر الخلق والخليـقة»(2). وروى من حديث أبى سعيد أن النَّبى ﷺ ذكر قومًا يكونون فى أمته يخرجون فى فرقة من الناس سيماهم التحالق قال: «هم شر الخلق - أو من شر الخلق- يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق».

ومن صفاتهم التى ذُمـوا بها على لسان رسول الله ﷺ: أنهم من أبغض الخلق إلى الله، فقد جاء فى صحيح مسلم من حديـث عبيد الله بن أبى رافع مولى رسول الله ﷺ أن الحرورية لما خـرجت وهو مع على بن أبى طالب رَضِى الله عنهُ قـالوا: لا حكم إلا لله، قـال على رَضِى الله عنهُ: كلمة حـق أريد بها باطل(3)، إن رسول الله ﷺ وصف ناسًـا إنى لأعرف صفتهم وهؤلاء يقولون الحق بألسنتـهم لا يجوز هذا منهم - وأشار إلى حلقه - من أبغض خلق الله إليه منهم أسود إحدى يديه ظبى شاه(4)، أو حلمة ثدى، فلما قتلهم على رَضِى الله عنهُ، قال: انظروا فلم يجدوا شيئًا، فقال: ارجعوا فوالله ما كَذبت ولا كُذبت مرتين أو ثلاثًا، ثم وجدوه فى خربة فأتوا به حتى وضعوه بين يديه، قال عبيد الله: وأنا حاضر ذلك من أمرهم وقول على فيهم(5).

ومن صفاتهم القـبيحة التى كانت ذمًـا لهم على لسان رسول الله ﷺ: أنهم حرموا من معرفة الحق والاهتداء إليه(6)، فقد روى مسلم فى صحيحـه من حديث أسيد ابن عمرو عن سهل بن حنيف عن النَّبى ﷺ قال: «يتيه قوم قبَل المشـرق محلقة رؤوسهم»(7)، قال النووى: قوله ﷺ: «يتيـه قوم قـبل المشرق»، أى: يذهبون عن الصـواب، وعن طريق الحق، يقال: تاه إذا ذهب ولم يهتد لطريق الحق والله أعلم(8).

---

(1) عقيدة أهل السنة والجماعة فى الصحابة الكرام (3/ 1183).

(2) مسلم (2/ 750).

(3) معناه: أن الكلمة أصلهـا صدق، قال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾ [يوسف: 40]، لكنهم أرادوا بها الإنكار على علىٍّ فى تحكيمه. شرح النووى (7/ 173، 174).

(4) المراد: ضرع الشاة.

(5) مسلم (2/ 749).

(6) عقيدة أهل السنَّة والجماعة فى الصحابة الكرام (3/ 1184).

(7) مسلم (2/ 750).

(8) شرح النووى (7/ 175).

ومن الصفات المذمومة التى تلبسوا بها وأخبر النبى ﷺ أنها واقعة فيهم: أنهم يتدينون بقتل أهل الإسلام وترك عبدة الأوثان والصلبان[1]، فقد روى الشيخان فى صحيحيهما من حديث أبى سعيد الخدرى قال: بعث على رَضِىَ الله عنهُ وهو باليمن بذهبة فى تربتها إلى رسول الله ﷺ، فقسمها رسول الله ﷺ بين أربعة نفر . . . . فجاء رجل كث اللحية مشرف الوجنتين[2]، ناتئ الجبين[3]، محلوق الرأس، فقال: اتق الله يا محمد، فقال رسول الله ﷺ: «فمن يطع الله إن عصيته،أيأمننى على أهل الأرض ولا تأمنونى»، قال: ثم أدبر الرجل ، فاستأذن رجل من القوم فى قتله يرون أنه خالد بن الوليد رَضِىَ الله عنهُ، فقال رسول الله ﷺ: «إن من ضئضئ هذا قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»[4].

وفى هذا معجزة باهرة للرسول ﷺ حيث وقع منهم ما أخبر به ﷺ، فإنهم كانوا يسلون سيوفهم على أهل الإسلام بالقتل، وكانوا يغمدونها عن الكفار من اليهود والنصارى[5]، كما سيأتى بيانه بإذن الله تعالى.

ومن الصفات القبيحة التى كانت ذمًا وعارًا مشينًا للخوارج: أن الرسول ﷺ حرض على قتلهم إن هم ظهروا، وأخبر ﷺ أنه لو أدركهم لأبادهم بالقتل إبادة عاد وثمود، وأخبر ﷺ بأن من قتلهم له أجر عند الله تعالى يوم القيامة، وقد شرف الله رابع الخلفاء الراشدين على بن أبى طالب بمقاتلتهم وقتلهم، إذ أن ظهورهم كان فى زمنه رَضِىَ الله عنهُ وأرضاه على وفق ما وصفهم به النَّبى ﷺ من العلامات الموجودة فيهم، فقد خرج رَضِىَ الله عنهُ إلى الخوارج بالجيش الذى كان هيأه للخروج إلى الشام، فأوقع بهم بالنهروان، ولم ينج منهم إلا دون العشرة، كما سيأتى بيانه، ولم يقاتلهم حتى سفكوا الدم الحرام، وأغاروا على أموال المسلمين فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم، ولما أظهروه من الشر من أعمالهم وأقوالهم. وحسبنا هنا من الأحاديث الواردة فى ذم الخوارج ما تقدم ذكره، إذ الأحاديث الواردة فى

(١) عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة فى الصحابة الكرام (٣/ ١١٨٤).
(٢) مشرف الوجنتين: أى غليظهما، والوجنة: ما ارتفع من لحم خده.
(٣) ناتئ الجبين: أى بارز الجبين من النتوء وهو الارتفاع.
(٤) البخارى (٢/ ٢٣٢)، ومسلم (٢/ ٧٤١، ٧٤٢).
(٥) عقيدة أهل السُّنَّة فى الصحابة الكرام (٣/ ١١٨٥).

ذمهم كثيرة قلما يخلو منها كتاب من كتب السُّنَّة المطهرة[1]. وسيأتى الحديث فى الصفحات القادمة بإذن الله تعالى عن بداية انحيازهم إلى حروراء، ومناظرة ابن عباس لهم، وحرص أمير المؤمنين علىٍّ على تبصيرهم وهدايتهم، وعن أسباب معركة النهروان والنتائج التى ترتبت عليها، وعن أصول الخوارج ومناقشة تلك الأصول، وهل الفكر الخارجى لا زالت أفكاره موجودة بين الناس؟، وما أسباب ذلك؟، وكيفية معالجتها؟.

ثالثًا: انحياز الخوارج إلى حروراء ومناظرة ابن عباس لهم

انفصل الخوارج فى جماعة كبيرة من جيش على رَضِيَ الله عنهُ أثناء عودته من صفين إلى الكوفة، قدر عددها فى رواية ببضعة عشر ألفًا، وحدد فى رواية باثنى عشر ألفًا[2]، وفى رواية بثمانية آلاف[3]، وفى رواية بأنهم أربعة عشر ألفًا[4]، كما ذكر أنهم عشرون ألفًا[5]، وهذه الرواية التى تذكر أنهم عشرون ألفًا، قد جاءت بدون إسناد[6]، وقد انفصل هؤلاء عن الجيش قبل أن يصلوا إلى الكوفة بمراحل، وقد أقلق هذا التفرق أصحاب علىّ وهالهم، وسار علىٌّ بمن بقى من جيشه على طاعته حتى دخل الكوفة، وانشغل أمير المؤمنين بأمر الخوارج خصوصًا بعد ما بلغه تنظيم جماعتهم من تعيين أمير للصلاة وآخر للقتال، وأن البيعة لله عز وجل، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، مما يعنى انفصالهم فعليًا عن جماعة المسلمين.

وكان أمير المؤمنين علىّ حريصًا على إرجاعهم إلى جماعة المسلمين، فأرسل ابن عباس إليهم لمناظرتهم، وهذا ابن عباس يروى لنا الحادثة، فيقول: .. فخرجت إليهم ولبست أحسن ما يكون من حلل اليمن، وترجلت، ودخلت عليهم فى دار فى نصف النهار، وكان ابن عباس رجلاً جميلاً جهيرًا، فقالوا: مرحبًا بك يا ابن عباس، ما هذه الحلة؟، قال ما تعيبون علىَّ؟، لقد رأيت على رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من الحلل، ونزلت: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢] قالوا: فما جاء بك؟، قال: قد أتيتكم من عند صحابة النَّبى ﷺ من المهاجرين والأنصار، من عند ابن عم النَّبى ﷺ وصهره وعليهم نزل القرآن، فهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحد

(١) عقيدة أهل السنة فى الصحابة الكرام (٣/ ١١٨).
(٢) تاريخ بغداد (١/ ١٦٠).
(٣) البداية والنهاية (٧/ ٢٨٠، ٢٨١) إسناده صحيح، مجمع الزوائد (٦/ ٢٣٥).
(٤) مصنف عبدالرزاق (١٠/ ١٥٧، ١٦٠) بسند حسن.
(٥) تاريخ خليفة، ص ١٩٢.
(٦) خلافة على بن أبى طالب، عبدالحميد، ص ٣٠٣.

لأبلغكم ما يقولون، وأبلغهم ما تقولون، فانتحى لى نفر منهم، قلت: هاتوا ما نقمتم على أصحاب رسول الله ﷺ وابن عمه، قالوا: ثلاث، قلت: ما هن؟ قالوا: أما إحداهن: فإنه حكم الرجال فى أمر الله، وقال الله: «إن الحكم إلا لله»ما شأن الرجال والحكم؟ ، قلت: هذه واحدة، وأما الثانية فإنه قاتل ولم يَسْبِ ولم يغنم، فإن كانوا كفارًا لقد حل سبيهم، ولئن كانوا مؤمنين ما حل سبيهم ولا قتلهم، قلت: هذه اثنتان فما الثالثة؟، قالوا: محا نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين، قلت: هل عندكم شئ غير هذا؟، قالوا: حسبنا هذا، قلت لهم: أرأيتكم إن قرأت عليكم من كتاب الله جل ثناؤه وسنَّة نبيه ﷺ ما يرد قولكم أترجعون؟، قالوا: نعم، قلت: أما قولكم : حكم الرجال فى أمر الله، فإنى أقرأ عليكم من كتاب الله أن قد صير الله حكمه إلى الرجال فى ثمن ربع درهم، فأمر الله تبارك وتعالى أن يحكموا فيه، أرأيتم قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥]، وكان من حكم الرجال، أنشدكم بالله أحكم الرجال فى صلاح ذات البين، وحقن دمائهم أفضل أو فى أرنب؟ قالوا: بلى، بل هذا أفضل، قلت: وفى المرأة وزوجها ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٣٥]، فنشدتكم بالله حكم الرجال فى صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل من حكمهم فى بضع امرأة، أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، قلت: وأما قولكم: قاتل ولم يَسْبِ ولم يغنم، أفتسبون أمكم عائشة، تستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهى أمكم؟، فإن قلتم: إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم، وإن قلتم ليست بأمنا فقد كفرتم ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، فأنتم بين ضلالتين فأتوا منها بمخرج، أفخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، فقال: وأما محا نفسه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بما تضرون، إن نبى الله ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين، فقال لعلى: «اكتب يا على هذا ما صالح عليه محمد رسول الله»، قالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، فقال رسول الله ﷺ: «امح يا على، اللهم إنك تعلم أنى رسول الله، امح يا على واكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله»، والله لرسول الله خير من على، وقد محا نفسه، ولم يكن محوه نفسه ذلك محاه من النبوة، أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم، فقاتلوا على ضلالتهم، فقتلهم المهاجرون والأنصار(١).

(١) خصائص أمير المؤمنين على بن أبى طالب، للنسائى، تحقيق أحمد البلوشى، ص ٢٠٠، إسناده حسن.

ويمكننا أن نستخرج من مناظرة ابن عباس للخوارج مجموعة من الدروس والعبر والحكم منها:

١- حسن الاختيار لمن سوف يقوم بالمناظرة مع الخصم: فقد اختار أمير المؤمنين على ابن عمه عبدالله بن عباس، وهو حبر الأمة وترجمان القرآن؛ لأن القوم كانوا يعرفون بالقراء ويعتمدون فى الاستدلال على معتقدهم بالقرآن، لذا كان أولى الناس بمناظرتهم من هو أدرى الناس بالقرآن وبتأويله، ويمكن القول بأن ابن عباس رضى الله عنه هو صاحب الاختصاص فى هذه المناظرة، لما يتحلى به من إخلاص النية لله، واجتناب الهوى، والتحلى بالحلم والصبر، والتريث والترفق بالخصم، وحسن الاستماع لكل الخصوم، وتجنب المماراة، ووضوح الحجة وقوة الدليل.

٢- الابتداء مع الخصم من نقاط الاتفاق: فقد كان أمير المؤمنين على بن أبى طالب وخصومه من الخوارج متفقين على الأخذ من كتاب الله وسُنَّة نبيه محمد ﷺ، وكذلك كان عبدالله بن عباس رضى الله عنهما حيث قال لهم: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سُنَّة نبيه ﷺ ما يرد قولكم أترجعون؟، ومع هذا فإن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما يستوثق منهم قبل بداية المناظرة.

٣- معرفة ما عند الخصم من الحجج واستقصاؤها: والاستعداد لها قبل بداية المناظرة، ونتوقع أن أمير المؤمنين على رضى الله عنه علم بحججهم قبل مناظرتهم، وقرر لأصحابه كيفية الرد عليها.

٤- تفنيد مزاعم الخصم واحدة تلو الأخرى: حتى لا يبقى لهم حجة كما يتضح من كلام ابن عباس رضى الله عنهما فى مناظرته لهم كلما فرغ من تفنيد حجة قال: أخرجت من هذه؟.

٥- التقديم للمناظرة بما يخدم نتيجتها لصالح الحق: فإن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما قال فى بداية الأمر وقبل المناظرة: أتيتكم من عند أصحاب النبى ﷺ وصهره وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم أحد منهم(١).

٦- إظهار احترام رأى الخصم أثناء المناظرة: ليكون أدعى لسماع كل ما عنده، وأن يحمله على احترام رأيه، وهذا ما ظهر من مناظرة ابن عباس للخوارج(٢).

٧- وقد وفق الله عز وجل الآلاف من هؤلاء: إذ بلغ عدد من شهد معركة النهروان منهم أقل من أربعة آلاف -كما سيأتى بيانه بإذن الله تعالى- وذلك عندما عرفوا الحق، وزالت

(١) خصائص أمير المؤمنين على بن أبى طالب، ص ١٩٧ إسناده حسن.

(٢) منهج على بن أبى طالب فى الدعوة إلى الله، ص ٣٣٩.

عنهم الشبهة بفضل الله، ثم بسبب ما أوتيه ابن عباس رضى الله عنهما من علم وقوة وحُجة وبيان، إذ وضح لهم بطلان ما احتجوا به، بتفسير الآيات التى تأولوها التفسير الصحيح، وبالسُّنَّة النبوية المشرفة والتى توضح معانى القرآن الكريم(١).

٨- قول ابن عباس رضى الله عنهما: وليس فيكم منهم أحد:(٢) هذا نص صريح من ابن عباس فى كون الخوارج لا يوجد فيهم أحد من أصحاب الرسول ﷺ، ولم يعترض عليه أحد من الخوارج، والرواية صحيحة وثابتة، كما أنه لا يوجد أحد من علماء أهل السُّنَّة - على حد علمى- قال: إن الخوارج كان فيهم بعض أصحاب رسول الله ﷺ، وأما الزعم أن الخوارج كان فيهم بعض الصحابة فذلك عند المذهب الخارجى، وليس لهم دليل علمى موثوق به على قولهم.

٩- تحديد المرجعية: فى قول ابن عباس رضى الله عنهما: أرأيتكم إن قرأت عليكم من كتاب الله جل ثناؤه وسُنَّة نبيه ﷺ ما يرد قولكم أترجعون؟، قالوا: نعم.

ففى كلام ابن عباس هذا درس مهم، ألا وهو تحديد المرجعية للمتناظرين حتى يمكن الوصول إلى نتيجة صحيحة من خلال المناظرة.

رابعًا: خروج أمير المؤمنين رضى الله عنه لمناظرة بقية الخوارج وسياسته فى التعامل معهم بعد رجوعهم للكوفة ثم خروجهم من جديد

بعد مناظرة ابن عباس للخوارج واستجابة ألفين منهم له، خرج أمير المؤمنين على بنفسه إليهم فكلمهم فرجعوا ودخلوا الكوفة، إلا أن هذا الوفاق لم يستمر طويلاً، بسبب أن الخوارج فهموا من على رضى الله عنه أنه رجع عن التحكيم وتاب من خطيئته -حسب زعمهم- وصاروا يذيعون هذا الزعم بين الناس، فجاء الأشعث بن قيس الكندى إلى أمير المؤمنين، وقال له: إن الناس يتحدثون أنك رجعت لهم عن الكفر، فخطب على رضى الله عنه يوم الجمعة، وبعد أن حمد الله وأثنى عليه ذكرهم ومباينتهم الناس وأمرهم الذى فارقوه فيه(٣)، وفى رواية: جاء رجل فقال: لا حكم إلا لله، ثم قام آخر فقال: لا حكم إلا لله، ثم قاموا نواحى المسجد يحكمون الله، فأشار عليهم بيده، اجلسوا، نعم لا حكم إلا لله، كلمة حق يبتغى بها باطل، حكم الله أنتظر فيكم(٤)، وأخذ يسكتهم بالإشارة وهو على

(١) خلافة على بن أبى طالب، عبدالحميد ص ٣٠٧.

(٢) خصائص على بن أبى طالب، للنسائى، ص ٢٠٠، إسناده حسن، للبلوشى.

(٣) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٣١٢، ٣١٣)، صححه الألبانى فى إرواء الغليل (٨/ ١١٨، ١١٩).

(٤) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى، ص ٤٥٢.

المنبر، فقام رجل منهم واضعًا إصبعيه في أذنيه ويقول: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، فرد أمير المؤمنين على بقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠].

وأعلن أمير المؤمنين على سياسته الراشدة العادلة تجاه هذه الجماعة المتطرفة، فقال لهم: إن لكم عندنا ثلاثًا:

١- لا نمنعكم صلاة في هذا المسجد.

٢- ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفيء ما كانت أيديكم مع أيدينا.

٣- ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا[1].

فقد سلم لهم أمير المؤمنين على بهذه الحقوق ما داموا لم يقاتلوا الخليفة، أو يخرجوا على جماعة المسلمين، مع احتفاظهم بتصوراتهم الخاصة في إطار العقيدة الإسلامية، فهو لا يخرجهم بداية من الإسلام، وإنما يسلم لهم بحق الاختلاف دون أن يؤدى إلى الفرقة وحمل السلاح[2]. ولم يزج أمير المؤمنين بالخوارج في السجون أو يسلط عليهم الجواسيس، ولم يحجر على حرياتهم، ولكنه رضى الله عنه حرص على إيضاح الحجة وإظهار الحق لهم ولغيرهم ممن قد ينخدع بآرائهم ومظهرهم، فقد أمر مؤذنه بأن يدخل عليه القراء ولا يدخل أحد إلا قد حفظ القرآن، فامتلأ الدار من قراء الناس، فدعا بمصحف إمام عظيم، فطفق يصكه بيديه ويقول: أيها المصحف حدث الناس، فناداه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين ما تسأله عنه، إنما هو مداد في ورق، ونحن نتكلم بما وعينا منه، فماذا تريد؟ قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله، يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥]. فأمة محمد أعظم دمًا وحرمة من امرأة ورجل، ونقموا عليَّ أن كاتبت معاوية، فكتبت على بن أبى طالب، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله ﷺ بالحديبية حين صالح قومه قريشًا، فكتب رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم»، فقال سهيل: لا أكتب بسم الله الرحمن الرحيم، قال: «كيف تكتب؟» قال:

(١) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٣٢٧، ٣٢٨)، والشافعى فى الأم (٤/ ١٣٦)، وتاريخ الطبرى (٥/ ٦٨٨) بسند ضعيف للانقطاع على أن للسند شواهد وقد توبع، قاله الألبانى فى إرواء الغليل (٨/ ١١٧، ١١٨).

(٢) الوظيفة العقيدية للدولة الإسلامية، حامد عبدالماجد، ص ٤٧.

اكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله ﷺ: «اكتب»، فكتبت، فقال: «اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله»، فقال: لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك، فكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشًا، يقول الله فى كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾(1) [الأحزاب: ٢١].

ولما أيقن الخوارج أن أمير المؤمنين عازم على إنفاذ أبى موسى الأشعرى حكمًا، طلبوا منه الامتناع عن ذلك، فأبى على عليهم ذلك وبين لهم أن هذا يعد غدرًا ونقضًا للأيمان والعهود، وقد كتبنا بيننا وبين القوم عهودًا، وقد قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً﴾ [النحل: ٩١].

فقرر الخوارج الانفصال عن أمير المؤمنين علىّ وتعيين أمير عليهم، فاجتمعوا فى منزل عبدالله بن وهب الراسبى، فخطبهم خطبة بليغة زهدهم فى الدنيا ورغبهم فى الآخرة والجنة، وحثهم على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ثم قال: فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى جانب هذا السواد، إلى بعض كور الجبال أو بعض هذه المدائن منكرين لهذه الأحكام الجائرة، ثم قام حرقوص بن زهير فقال بعد حمد الله والثناء عليه: إن المتاع بهذه الدنيا قليل، وإن الفراق لها وشيك، فلا تدعونكم زينتها أو بهجتها إلى المقام بها، ولا تلتفت بكم عن طلب الحق وإنكار الظلم ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]. فقال حمزة بن سنان الأسدى: يا قوم، إن الرأى ما رأيتم وإن الحق ما ذكرتم، فولوا أمركم رجلاً منكم، فإنه لا بد لكم من عماد وسنان، ومن راية تحفون بها، وترجعون إليها. فبعثوا إلى زيد بن حصن الطائى -وكان من رؤوسهم- فعرضوا عليه الإمارة فأبى، ثم عرضوها على حرقوص بن زهير فأبى، وعرضوها على حمزة بن سنان فأبى، وعرضوها على شريح بن أبى أوفى العبسى فأبى، وعرضوها على عبدالله بن وهب الراسبى فقبلها، وقال: أما والله لا أقبلها رغبةً فى الدنيا، ولا أدعها فرقًا من الموت(2).

واجتمعوا أيضًا فى بيت زيد بن حصن الطائى السنبيسى فخطبهم وحثهم على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وتلا عليهم آيات من القرآن منها قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦]، وقوله تعالى:

(١) مسند أحمد (٢/ ٦٥٦)، قال أحمد شاكر: صحيح الإسناد.

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٣١٢)، تاريخ الطبرى (٥/ ٦٨٩).

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤]، والآية التي بعدها: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥]، والآية التي بعدها: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٧].

ثم قال: فأشهد على أهل دعوتنا من أهل قبلتنا، أنهم قد اتبعوا الهوى ونبذوا حكم الكتاب، وجاروا في القول والأعمال، وأن جهادهم حق على المؤمنين، بكى رجل منهم يقال له: عبدالله بن شجرة السلمي، ثم حرض أولئك على الخروج على الناس وقال في كلامه: اضربوا وجوههم وجباههم بالسيوف حتى يطاع الرحمن الرحيم، فإن أنتم ظفرتم وأطيع الله كما أردتم أثابكم ثواب المطيعين له العاملين بأمره، وإن فشلتم فأي شيء أفضل من المصير إلى رضوان الله وجنته(١).

قال ابن كثير بعد أن ذكر ما أملاه الشيطان لهم مما تقدم ذكره: وهذا ضرب من الناس من أغرب أشكال بني آدم، فسبحان من نوَّع خلقه كما أراد وسبق في قدره العظيم، وما أحسن ما قال بعض السلف في الخوارج: إنهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٥] والمقصود أن هؤلاء الجهلة الضلال، والأشقياء في الأقوال والأفعال اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين، وتواطؤوا على المسير إلى المدائن ليملكوها على الناس ويتحصنوا بها، ويبعثوا إلى إخوانهم وأضرابهم ممن هم على رأيهم ومذهبهم من أهل البصرة وغيرها فيوافوهم إليها، ويكون اجتماعهم عليها، فقال لهم زيد بن حصن الطائي: إن المدائن لا تقدرون عليها، فإن بها جيشًا لا تطيقونه وسيمنعونها منكم، ولكن واعدوا إخوانكم إلى جسر نهر جوخى ولا تخرجوا من الكوفة جماعات، ولكن اخرجوا وحدانًا لئلا يفطن بكم. فكتبوا كتابًا عامًا إلى من هو على مذهبهم، ومسلكهم من أهل البصرة وغيرها، وبعثوا به إليهم ليوافوهم إلى النهر ليكونوا يدًا واحدة علي الناس، ثم خرجوا يتسللون وحدانًا لئلا يعلم أحد بهم فيمنعوهم من الخروج، فخرجوا من بين الآباء والأمهات، والأخوال والخالات، وفارقوا سائر القرابات يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم أن هذا الأمر يرضي رب الأرض والسماوات، ولم يعلموا أنه من أكبر الكبائر الموبقات والعظائم والخطيئات، وأنه مما زينه لهم إبليس الشيطان الرجيم المطرود عن

(١) البداية والنهاية (٧/ ٣١٢).

السمـاوات، الذى نصب العداوة لأبـينا آدم، ثم لذريته مـا دامت أرواحهم فى أجـسادهم مـترددات؛ وقـد تدارك جمـاعـة من الناس بعض أولادهم وإخـوانهم، فردوهم وأنَّبـوهم ووبخوهم، فمنهم من استمر على الاستقامة ومنهم من فر بعد ذلك فلحق بالخوارج فخسر إلى يوم القيـامة، وذهب الباقون إلى ذلك الموضع ووافـى إليهم من كانوا يكتبـون إليه من أهل البصرة وغيرها، واجتمع الجميع بالنهروان وصارت لهم شوكة ومنعة[١].

ولما تفرق الحكمان على غير رضا، كتب أميـر المؤمنين على إلى الخوارج وهم مجتمعون بالنهروان أن الحكمين تفرقا على غير رضا، فارجـعوا إلى ما كنتم عليه وسيروا بنا إلى قتال أهل الشام، فـأبوا ذلك، وقالوا: حتى تشهـد على نفسك بالكفر وتتـوب، فأبى[٢]. وفى رواية كتبـوا إليه: أما بعد: فإنك لم تغـضب لربك، إنما غضبت لنفسك فـإن شهدت على نفسك بالكفر، واستـقبلت التوبة، نظرنا فيما بيننا وبينـك وإلا فقد نابذناك على سواء، إن الله لا يحب الخائنين، فلـما قرأ كتـابهم أيس منهم، فرأى أن يدعهـم ويمضى بالناس إلى أهل الشام حتى يلقاهم فيناجزهم[٣].

إن قضيـة إعلان الخوارج كُفـر علىٍّ وطلبهم منه التوبة لا تثبت بهـذه الروايات، ولكنها تتفق مع رأى الخوارج فى تكفير على وعثمان وامتحان الناس بذلك[٤].

خامسًا: معركة النهروان (٣٨ هـ)

١- سـبب المعركـة: كانت الشـروط التى أخذها أمـير المؤمنين علـى على الخوارج أن لا يسفكوا دمًا، ولا يروعوا آمنًا، ولا يقطعوا سبيلاً، وإذا ارتكبوا هذه المخالفات فقد نبذ إليهم الحرب، ونظرًا لأن الخوارج يكفِّرون من خالفهم ويستبـيحون دمه وماله، فقد بدؤوا بسفك الدماء المحرمة فى الإسـلام، وقد تعددت الروايات فى ارتكابهم المحظورات، ومما صح من هذه الروايات ما حـدث به شاهد عيـان كان من الخوارج ثم تركـهم حيث قال: صـحبت أصحاب النهر، ثم كرهت أمرهم، فكتمته خشية أن يقتلونى، فبينما أنا مع طائفة منهم، إذ أتينا على قرية وبيننا وبين القرية نهر، إذ خرج رجل من القـرية مذعورًا يجر رداءه، فقالوا له: كأننا روعناك؟، قـال: أجل، قالوا: لا روع لك، فـقلت: والله يعرفونه ولم أعـرفه، فقالوا: أنت ابن خباب صاحب رسول الله ﷺ؟. قال: نعم، قالوا: عندك حديث تحدثناه

(١) البداية والنهاية (٧/ ٣١٢، ٣١٣).
(٢) أنساب الأشراف (٢/ ٦٣) بسند فيه ضعف وله شواهد.
(٣) خلافة على بن أبى طالب، عبدالحميد، ص ٣١٩.
(٤) المصدر نفسه، ص٣١٨.

عن أبيك عن النَّبى ﷺ ؟، قال: سمعته يقول: إنه سمع النَّبى ﷺ ذكر فتنة فقال: «القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشى فيها خير من الساعى، فإن أدركتك فكن عبد الله المقتول»، فأخذوه وسُرِيَّة له معهم، فمر بعضهم على ثمرة ساقطة من نخلة، فأخذها فألقاها فى فيه، فقال بعضهم: ثمرة معاهد فبم استحللتها؟ فألقاها من فيه ثم مروا على خنزير فنفحه بعضهم بسيفه فقال بعضهم: خنزير معاهد فبم استحللته؟، فقال عبد الله ابن خباب: ألا أدلكم على ما هو أعظم عليكم حرمة من هذا؟ قالوا: نعم، قال: أنا، ولكنهم قدموه إلى النهر فضربوا عنقه، يقول الراوى: فرأيت دمه يسيل على الماء، كأنه شراك نعل اندفر بالماء حتى توارى عنهم[1]، ثم دعوا بالسرية وهى حبلى، فبقروا عما فى بطنها، يقول الراوى: لم أصحب قومًا هم أبغض إلىَّ صحبة منهم، حتى وجدت خلوة فانفلت[2]. أثار هذا العمل الرعب بين الناس، وأظهر مدى إرهابهم ببقر بطن هذه المرأة وذبحهم عبد الله كما تُذبح الشاة، ولم يكتفوا بهذا بل صاروا يهددون الناس قتلاً، حتى أن بعضهم استنكر عليهم هذا العمل قائلين: ويلكم ما على هذا فارقنا عليًا[3].

بالرغم من فظاعة ما ارتكبه الخوارج من منكرات بشعة، لم يبادر أمير المؤمنين على إلى قتالهم، بل أرسل إليهم أن يسلموا القتلة لإقامة الحد عليهم، فأجابوه بعناد واستكبار: كلنا قتلة[4]، فسار إليهم بجيشه الذى قد أعده لقتال أهل الشام فى شهر محرم من عام ٣٨هـ[5]، وعسكر على الضفة الغربية لنهر النهروان، والخوارج على الضفة الشرقية بحذاء مدينة النهروان[6].

٢- **تحريض أمير المؤمنين على جيشه على القتال:** كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يدرك أن هؤلاء القوم هم الخوارج الذين عناهم رسول الله ﷺ بالمروق من الدين، لذلك أخذ يحث أصحابه أثناء مسيرهم إليهم ويحرضهم على قتالهم، وكان لأحاديث رسول الله ﷺ فى الخوارج أثرها لدى الصحابة وأتباع أمير المؤمنين على رضى الله عنه، فقد كان رضى الله عنه يحث جيشه على البدء بهؤلاء الخوارج، فقال: أيها الناس إنى سمعت رسول

(١) أى لم يختلط بالماء، تاريخ بغداد (١/ ٢٠٥، ٢٠٦).
(٢) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٣١٠، ٣١١) بسند صحيح.
(٣) مجمع الزوائد (٦/ ٢٣٧، ٢٣٨) إسناده صحيح.
(٤) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٣٠٨، ٣٠٩) بسند صحيح.
(٥) أنساب الأشراف (٢/ ٦٣) بسند فيه مجهول، خلافة على بن أبى طالب، عبدالحميد ص ٣٢٢.
(٦) تاريخ بغداد (١/ ٢٠٥، ٢٠٦).

الله ﷺ يقول: «يخرج قوم من أمتى يقرؤون القرآن، ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلا صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلا صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن، يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية»، لو يعلم الجيش الذى يصيبونه ما قضى لهم على لسان نبيهم ﷺ ولا تكلوا عن العمل، وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد وليس له ذراع، على رأس عضده مثل حلمة الثدى عليه شعيرات بيض، فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام، وتتركون هؤلاء يخلفونكم فى ذراريكم وأموالكم، والله إنى لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا فى سرح الناس، فسيروا على اسم الله[1].

وقال رضى الله عنه فى يوم النهروان: أمرت بقتال المارقين . . وهؤلاء المارقون[2].

وعسكر الجيش فى مقابلة الخوارج يفصل بينهما نهر النهروان، وأمر جيشه أن لا يبدؤوا بالقتال، حتى يجتاز الخوارج النهر غربًا، وأرسل على رضى الله عنه رسله يناشدهم الله ويأمرهم أن يرجعوا، وأرسل إليهم البراء بن عازب رضى الله عنه يدعوهم ثلاثة أيام فأبوا[3]، ولم تزل رسله تختلف إليهم حتى قتلوا رسله، واجتازوا النهر[4]، وعندما بلغ الخوارج هذا الحد وقطعوا الأمل فى كل محاولات الصلح وحفظ الدماء، ورفضوا عنادًا واستكبارًا العودة إلى الحق وأصروا على القتال، قام أمير المؤمنين بترتيب الجيش، وتهيئته للقتال[5]، فجعل على ميمنته حجر بن عدى، وعلى الميسرة شبث بن ربعى، ومعقل بن قيس الرياحى، وعلى الخيل أبا أيوب الأنصارى، وعلى الرجالة أبا قتادة الأنصارى، وعلى أهل المدينة -وكانوا سبعمائة- قيس بن سعد بن عبادة، وأمر علىٌّ أبا أيوب الأنصارى أن يرفع راية أمان للخوارج ويقول لهم: من جاء إلى هذه الراية فهو آمن، ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن، إنه لا حاجة لنا فيكم إلا فيمن قتل إخواننا، فانصرف منهم طوائف كثيرون، وكانوا أربعة آلاف، فلم يبق منهم إلا ألف أو أقل مع عبدالله بن وهب الراسبى، فرجعوا على علىّ وكان على ميمنتهم زيد بن حصن الطائى السنبسى، وعلى الميسرة شريح بن أوفى، وعلى خيالتهم حمزة بن سنان، وعلى الرجالة حرقوص بن زهير السعدى، فوقفوا مقاتلين لعلى وأصحابه[6].

(١) مسلم (٧٤٨، ٧٤٩).
(٢) السنة لابن أبى عاصم، تحقيق الألبانى -رحمه الله-.
(٣) السنن الكبرى للبيهقى ٨/ ١٩٧، خلافة على، عبدالحميد ص ٣٢٤.
(٤) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٣٢٥، ٣٢٧).
(٥) خلافة على بن أبى طالب، عبدالحميد ص ٣٢٤.
(٦) تاريخ الخلافة الراشدة، محمد كنعان، ص ٤٢٥، مختصر من البداية والنهاية.

٣- نشوب القتال: وزحف الخوارج إلى على، وقدم على بين يديه الخيل، وقدم منهم الرماة وصف الرجالة وراء الخيالة، وقال لأصحابه: كفوا عنهم حتى يبدأوكم، وأقبلت الخوارج يقولون: لا حكم إلا لله، الرواح الرواح إلى الجنة، فحملوا على الخيالة الذين قدمهم على، ففرقوهم حتى أخذت طائفة من الخيالة إلى الميمنة، وأخرى إلى الميسرة فاستقبلتهم الرماة بالنبل، فرموا وجوههم، وعطفت عليهم الخيالة من الميمنة والميسرة، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف، فأناموا الخوارج فصاروا صرعى تحت سنابك الخيول، وقُتل أمراؤهم: عبدالله بن وهب، وحرقوص بن زهير، وشريح ابن أوفى، وعبدالله بن سخبرة السلمى[1]، وقال أبو أيوب: وطعنت رجلاً من الخوارج بالرمح، فأنفذته من ظهره وقلت له: أبشر يا عدو الله بالنار، فقال: ستعلم أينا أولى بها صليًا[2].

وقد اعتزل كثير من الخوارج القتال لكلمة سمعوها من عبدالله بن وهب الراسبى، كانت تدل عندهم على ضعف الاستبصار والوهن فى اليقين، وهذه الكلمة قالها عندما ضرب على رضى الله عنه رجلاً من الخوارج بسيفه، فقال الخارجى: حبذا الروحة إلى الجنة، فقال عبدالله بن وهب: ما أدرى إلى الجنة أم إلى النار[3]، فقال رجل من بنى سعد وهو فروة ابن نوفل الأشجعى: إنما حضرت اغترارًا بهذا وأراه قد شك؟، فانعزل بجماعة من أصحابه، ومال ألف إلى أبى أيوب الأنصارى، وجعل الناس يتسللون[4]. وقد كانت معركة حاسمة وقصيرة أخذت وقتًا من اليوم التاسع من شهر صفر من عام ثمان وثلاثين للهجرة ٩/ ٢/ ٣٨هـ[5]، وأسفرت هذه المعركة الخاطفة عن عدد كبير من القتلى فى صفوف الخوارج، وكان الحال على عكس ذلك تمامًا فى جيش أمير المؤمنين على رضى الله عنه، فقتلى أصحاب على فيما رواه مسلم فى صحيحه، وعن زيد بن وهب: رجلان فقط[6]. وفى رواية بسند حسن قال: وقتل من أصحاب على اثنا عشر أو ثلاثة عشر[7]. وجاء فى رواية صحيحة أن أبا مجلز[8] قال: ولم يقتل من المسلمين يقصد جيش على إلا تسعة رهط، فإن شئت فاذهب إلى أبى برزة[9]، فاسأله فإنه قد شهد ذلك[10]، وأما قتلى

(١)، (٢) تاريخ الخلافة الراشدة، ص٤٢٥.
(٣) أخبار الخوارج من الكامل للمبرد، ص ٢١، خلافة على، ص ٣٢٥.
(٤) المصدر نفسه، ص ٢١، خلافة على بن أبى طالب، عبدالحميد، ص ٣٢٥.
(٥) أنساب الأشراف (٢/ ٦٣) بسند فيه مجهول.
(٦) مسلم (٢/ ٧٤٨).
(٧) مصنف ابن أبى شيبة (٥/ ٣١١)، تاريخ خليفة ص ١٩٧ بسند حسن.
(٨) لاحق بن حميد السدوسى البصرى ثقة من الطبقة الثالثة.
(٩) نضلة بن عبيد الأسلمى صحابى مشهور بكنيته، مات سنة ٦٥هـ.
(١٠) المعرفة والتاريخ (٣/ ٣١٥)، تاريخ بغداد (١/ ١٨٢).

الخوارج، فتذكر الروايات أنهم أصيبوا جميعًا[١]، ويذكر المسعودى أن عددًا يسيرًا لا يتجاوز العشرة، فروا بعد الهزيمة الساحقة[٢].

٤- ذو الثدية أو المخدج وأثر مقتله على جيش على رضى الله عنه: ظهرت روايات مختلفة فى تحديد شخصية ذى الثدية، وهذه الرواية منها ما هو ضعيف الإسناد ومنها ما هو قوى، وقد جاء فى الأحاديث النبوية أوصاف ذو الثدية، فمن ذلك أنه أسود البشرة[٣]، وفى رواية حبشى، وأنه مخدج اليد، أى ناقص اليد، ويده صغيرة مجتمعة، فهى من المنكب إلى العضد فقط، أى بدون ذراع، وفى نهاية عضده مثل حلمة الثدى وعليها شعيرات بيض، وعضده ليست ثابتة، كأنها بلا عظم إذ إنها تدردر أى تتحرك تذهب وتجىء، أما مخدج اليد، أو مودون اليد أو مثدون اليد، فكلها بمعنى واحد وهو ناقص اليد[٤]، وأما اسمه فقد أخطأ من قال أن ذا الثدية هو حرقوص بن زهير السعدى[٥]، فحرقوص رجل مشهور كان له دور فى الفتوح الإسلامية، ثم خرج على عثمان رضى الله عنه، وقد فر إثر معركة الجمل الصغرى التى قَتَلَ فيها الزبير وطلحة رضى الله عنهما قتلة عثمان بالبصرة، وقد صار حرقوص من زعماء الخوارج المميزين[٦]، إلا أنه قد ورد فى رواية أن اسمه (حرقوس) أما أبوه فلا يعرفه أحد، وجاء فى رواية أن اسمه مالك، وذلك أنهم بحثوا عنه فلما وجدوه قال على: الله أكبر، لا يأتيكم أحد يخبركم من أبوه؟، فجعل الناس يقولون: هذا مالك هذا مالك، فقال على: ابن من[٧]؟ فلم يعرف أحدٌ أباه.

وقد ورد فى رواية صححها الطبرى أن اسمه نافعٌ ذو الثدية كما جاء عند ابن أبى شيبة وأبى داوُد، إلا أن طريقهما واحد، فيُعد ما جاء فى المصادر الثلاثة رواية واحدة ذات طريق واحد[٨]، كان على رضى الله عنه يتحدث عن الخوارج منذ ابتداء بدعتهم، وكثيرًا ما كان يتعرض إلى ذكر ذى الثدية، وأنه علامة هؤلاء، ويسرد أوصافه، وبعد نهاية المعركة الحاسمة أمر على رضى الله عنه أصحابه بالبحث عن جثة المخدج، لأن وجودها من الأدلة

(١) أخبار الخوارج من الكامل ص ٣٣٨.

(٢) خلافة على بن أبى طالب ص ٣٢٩، تاريخ خليفة ص ١٩٧.

(٣) مصنف عبدالرزاق (١٠/ ١٤٦).

(٤) النهاية فى غريب الحديث (١/ ١٢، ١٣) فتح البارى (١٢/ ٢٩٤، ٢٩٥).

(٥) الملل والنحل (١/ ١١٥).

(٦) فتح البارى (١٢/ ٢٩٢)، الإصابة (١/ ١٣٩).

(٧) الفتح الربانى على مسند الإمام أحمد (٢٣/ ١٥٥) بإسناد حسن، والبداية والنهاية (٧/ ٢٩٤، ٢٩٥).

(٨) خلافة على بن أبى طالب، عبدالحميد، ص ٣٣٤.

على أن عليًا رضى الله عنه على حق وصواب، وبعد مدة من البحث مرت على علىّ وأصحابه وجد أمير المؤمنين على جماعة مكومة بعضها على بعض عند شفير النهر قال: أخرجوهم، فإذا المخدج تحتهم جميعًا مما يلى الأرض، فكبر علىٌّ ثم قال: صدق الله، وبلغ رسوله وسجد سجود الشكر، وكبر الناس حين رأوه واستبشروا(١).

٥- معاملة أمير المؤمنين على للخوارج: عامل أمير المؤمنين على رضى الله عنه الخوارج قبل الحرب وبعدها معاملة المسلمين، فما أن انتهت المعركة حتى أصدر أمره فى جنده أن لا يتبعوا مُدبرًا، أو يذففوا على جريح، أو يُمثلوا بقتيل. يقول شقيق بن سلمة المعروف بأبى وائل - أحد فقهاء التابعين وممن شهد مع على حروبه- لم يسب على يوم الجمل ولا يوم النهروان،(٢) وقد حمل رثة أهل النهر إلى الكوفة وقال: من عرف شيئًا فليأخذه فجعل الناس يأخذون حتى بقيت قدر فجاء رجل وأخذها. وهذه الرواية لها طرق عدة(٣)، ولم يقسم بين جنده إلا ما حمل عليه الخوارج فى الحرب من السلاح والكراع فقط، وأمير المؤمنين على رضى الله عنه لم يكفر الخوارج، إذ قبل الحرب حاول إرجاعهم إلى الجماعة، وقد رجع كثير منهم، ووعظهم وخوفهم القتال، يقول ابن قدامة: وإنما كان كذلك لأن المقصود كفهم ودفع شرهم لا قتلهم، فإن أمكن لمجرد القول كان أولى من القتال، لما فيه من الضرر بالفريقين، وهذا يدل على أن الخوارج فرقة من المسلمين، كما قال بذلك كثير من العلماء(٤).

وكان سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه يسميهم الفاسقين، فعن مصعب بن سعد قال: سألت أبى عن هذه الآية ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤] أهم الحرورية؟، قال: لا، هم أهل الكتاب اليهود والنصارى، أما اليهود فكذبوا بمحمد ﷺ وأما النصارى فكفروا بالجنة، وقالو: ليس فيها طعام ولا شراب، ولكن الحرورية ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ (٢٦) الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦، ٢٧] وكان سعد يسميهم الفاسقين(٥)، وفى رواية عن سعد رضى الله عنه أنه قال لما سئل عنهم: «هم قوم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم»(٦).

(١) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٣١٧، ٣١٩) بسند صحيح.
(٢) السُنن الكبرى للبيهقى (٨/ ١٨٢) بسند صحيح.
(٣) التلخيص الحبير (٤/ ٤٧).
(٤) فتح البارى (١٢/ ٣٠٠، ٣٠١)، نيل الأوطار (٨/ ١٨٢).
(٥) صحيح البخارى، فتح البارى (٥/ ٨٤٢).
(٦) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٣٢٤، ٣٢٥)، الاعتصام للشاطبى (١/ ٦٢).

وقد سُئل على رضى الله عنه أكفارٌ هم؟ قال: من الكفر فروا، فقيل: منافقون؟، قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً، قيل: فما هم؟، قال: قوم بغوا علينا فقاتلناهم، وفى رواية: قوم بغوا علينا فنصرنا عليهم، وفى رواية: قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا(١)، كما أنه رضى الله عنه وجه نصيحة لجيشه وللأمة الإسلامية من بعده فقال: إن خالفوا إمامًا عادلاً فقاتلوهم، وإن خالفوا إمامًا جائرًا فلا تقاتلوهم فإن لهم مقالاً(٢).

والملاحظ فى قتال أمير المؤمنين على رضى الله عنه للخوارج وقتاله فى الجمل وصفين، أن عليًا رضى الله عنه ندم وحزن على قتاله فى وقعة الجمل وصفين، أما فى قتاله مع الخوارج فكان يظهر الفرح والسرور لقتالهم، قال ابن تيمية: فإن النص والإجماع فرق بين هذا وهذا، فإنه قاتل الخوارج بنص رسول الله ﷺ، وفرح بذلك، ولم ينازعه فيه أحد من الصحابة، وأما القتال يوم صفين فقد ظهر منه من كراهته والندم عليه ما ظهر(٣).

سادسًا: من الآثار الفقهية من معارك أمير المؤمنين على رضى الله عنه:

تمكن أمير المؤمنين على رضى الله عنه بغزير علمه وسعة فقهه أن يضع قواعد وأحكامًا، وهى ضوابط شرعية فى قتال أهل البغى، ثم سار أهل السُّنَّة من أئمة العلم والفقهاء على سيرته فى البغاة، واستنبطوا من هديه الراشدى الأحكام والقواعد الفقهية فى هذا الشأن، حتى قال جلة أهل العلم: لولا حرب على لمن خالفه لما عرفت السُّنَّة فى قتال أهل القبلة(٤)، وروى هذا عن على نفسه فى قوله: أرأيتم لو أنى غبت عن الناس، من كان يسير فيهم هذه السيرة(٥)؟، وقال الأحنف لعلى: يا على إن قومنا بالبصرة يزعمون أنك إن ظهرت عليهم غدًا أنك تقتل رجالهم وتسبى نساءهم، فقال: ما مثلى يخاف هذا منه، وهل يحل هذا إلا ممن تولى وكفر؟.

وبناء على ذلك فإن قتال أهل القبلة يخالف قتال الكفار والمرتدين من أوجه متعددة:

١- أن يقصد بالقتال ردعهم ولا يُتعمد به قتلهم؛ لأن المقصود ردهم إلى الطاعة ودفع شرهم لا القتل، بينما يجوز أن يُتعمد قتل المشركين والمرتدين(٦).

(١) مصنف عبدالرزاق (١٠/ ١٥٠)، مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٣٣٢) بسند صحيح.

(٢) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٣٢٠)، فتح البارى (١٢/ ٣٠١) له سند صحيح عند الطبرى.

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥١٦).

(٤) التمهيد للباقلانى، ص ٢٢٩، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٢٩٥).

(٥) مصنف عبدالرزاق (١٠/ ١٢٤).

(٦) المغنى (٨/ ١٠٨، ١٢٦).

٢- إذا قاتل مع البغاة عبيد ونساء وصبيــان، فحكمهم جميعًا حكم الرجل البالغ الحر، يُقاتلون مُقبلين ويتركون مُدبرين؛ لأن قتالهم لدفع أذاهم بينما يجوز قتل أهل الردة والكفر مقبلين ومدبرين[١].

٣- إذا ترك أهل البـغي القتــال إما بالرجــوع إلى الطاعــة، وإما بإلقــاء السلاح، وإمــا بالهزيمة، وإما بالعجز لجراح أو مرض أو أسر، فإنه لا يجوز الإجهاز على جريحهم وقتل أسيرهم، وإن جاز الإجـهاز على جرحى المشركين والمرتدين وقتــل أسراهم. فقد روى ابن أبى شيـبة فى مـصنفه عن على رضى الله عنه أنه قــال يوم الجمل: لا تـتـبعـوا مُدبراً، ولا تجهـزوا على جريح، ومن ألقى سلاحه فـهو آمن[٢]، وفى رواية عبدالــرزاق، أن عليًا أمر مناديه فنادى يوم البـصرة: لا يتـبع مدبر، ولا يذفف على جــريح، ولا يقتل أسـير، ومن أغلق بابه أو ألقى سلاحه فهو آمن، ولم يأخذ من متاعهم شيئًا[٣]. وقال على يوم الجمل: لا تتبـعوا مدبرًا، ولا تجهـزوا على جريح، ولا تقتلوا أسـيرًا، وإياكم والنساء وإن شـتمن أعراضكم وسـببن أمراءكم، فلقـد رأيتنا فى الجاهليـة وإن الرجل ليتناول المـرأة بالجريدة أو الهراوة فـيعير بهــا، هو وعقبـه من بعده[٤]. وعن أبى أُمامة البــاهلى رضى الله عنه قال: شهدت صفين وكانوا لا يجهزون على جريح، ولا يقتلون موليًا، ولا يسلبون قتيلاً[٥].

٤- يعتبر أحوال من فى الأسر من البغاة، فـمن أمنت رجعته إلى القتال أطلق سراحه، ومن لم تؤمن منه الرجعة حبس إلى انجلاء الحــرب ثم يُطلق، أم لم يجز أن يحبس بعدها، وإن جاز أن يبقى الكافر فى الأسر[٦].

٥- أن لا يستعان لقـتالهم بمشرك معاهد ولا ذمى، وإن جاز أن يستـعان بهم على قتال أهل الردة والحرب[٧].

٦- أن لا يهادنهم إلى مدة ولا يوادعهم على مال، فإن هادنهم إلى مدة لم يلزمه، فإن ضعف عن قتــالهم انتظر بهم القوة عليهم، وإن وادعهم على مــال بطلت الموادعة ونظر فى المال، فإن كان من فيـئهم وصدقاتهم لم يرده عليهم، وصرف الصـدقات فى أهلها والفىء

(١) المغنى (٨/ ١١٠) الأحكام السلطانية، ص ٦٠.

(٢) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٢٣٦)، الفتح (١٣/ ٥٧) إسناده صحيح.

(٣) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ١٢٣، ١٢٤)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٢٩٦).

(٤) نصب الراية (٣/ ٤٦٣)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٢٩٧).

(٥) المستدرك (٢/ ١٥٥) سنده صحيح ووافقه الذهبى.

(٦) الأحكام السلطانية ص ٦٠.

(٧) المصدر نفسه ص ٦٠، تحقيق مواقف الصحابة فى الفتنة (٢/ ٢٩٨).

فى مستحقه، وإن كــان من خالص أموالهم لم يجز أن يملكه، ووجب رده إليهم[(١)]، فإن عليًا رضى الله عنه لم يستحل مال أهل الجمل.

٧- إذا خرجوا على الإمــام بتأويل سائغ راسلهم، فإن ذكروا مـظلمة أزالها عنهم، وإن ذكروا شبــهة بيَّنها -كما بيَّن على رضى الله عنه- للخــوارج شبههم، وعاد كـثير منهم إلى صف الجماعة[(٢)]، فإن رجعوا وإلا وجب قتالهم عليه وعلى المسلمين[(٣)].

٨- إن لم يخرجـوا عن المظاهرة بطاعة الإمام ولم يتـحيزوا بدار اعـتزلوا فيهـا، وكانوا أفرادًا تنالهم القدرة ويسهل ضبطهم تُركوا ولم يحاربوا، وأجريت عليهم أحكام العدل فيما يجب عليه، ولهم من الحقوق والحدود[(٤)].

٩- لا يقاتل البغاة بما يعم إتلافه كالنار والمنــجنيق وغير ذلك، ولا تحرق عليهم المساكن ولا يقطع عليهم النخل والأشجار، وإن جــاز ذلك مع الكفار والمشركين، لأن دار الإسلام تمنع ما فــيها وإن بقى أهلهــا، إلا إذا دعت إلى ذلك الضرورة فى حالة مــا إذا تحصنوا ولم ينهزموا، لذلك جاز للإمام رميهم بالمنجنيق أو النار على قول الشافعى وأبى حنيفة[(٥)].

١٠- لا تجوز غنيمة أموالهم وسبى ذريتهم، لقول النَّبى ﷺ: «**لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه**»[(٦)]، وروى عن على رضى الله عنه يوم الجمــل قوله: من عرف شيـئًا من ماله مع أحد فليأخذه[(٧)]، وهذا من جملة ما نقم الخوارج عليه، فقالوا: إنه قاتل ولـم يسب ولم يغنم، فإن حـلت له دماؤهم فقــد حلت له أموالهم، وإن حرمــت عليه أموالهم فــقد حرمت عليــه دماؤهم، فقال لهــم ابن عباس رضى الله عنهمــا فى مناظرته لهم: أفتَسْــبُون أمكم؟ - يعنى عائشــة رضى الله عنها- أم تستحلون منهــا ما تستحلون من غـيرها؟، فإن قلتم: ليست أمكم كفرتم، وإن قلتم: إنها أمكم واستحللتم سبيها فقد كفرتم[(٨)].

ويعقب ابن قـدامة قائلاً: ولأن قتال البغــاة إنما هو لدفعهم وردهم إلى الحق لا لكفرهم، فلا يسـتباح منهم إلا ما حـصل لضرورة الدفع كالصائــل وقاطع الطريق، وبقى حكم المال

(١) الأحكام السلطانية ص ٦٠ للماوردى.
(٢) السنن الكبرى للبيهقى (٨/ ١٨٠).
(٣) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٥٠).
(٤) الأحكام السلطانية، للماوردى، ص ٥٨.
(٥) المغنى لابن قدامة (٨/ ١١٠).
(٦) سُنن الدارقطنى (٣/ ٢٦) صححه الألبانى فى إرواء الغليل رقم (١٤٥٩).
(٧) المغنى (٨/ ١١٥).
(٨) السُنن الكبرى للبيهقى (٨/ ١٧٩)، خصائص أمير المؤمنين للنسائى ص ١٩٧ إسناده حسن.

والذرية على أصل العصمة[1]، والظاهر من المأثور عن على رضى الله عنه جواز الانتفاع بسلاحهم، فقد روى ابن أبى شيبة عن أبى البخترى قال: لما انهزم أهل الجمل قال على: لا تطلبوا من كان خارجًا من العسكر، وما كان من دابة أو سلاح فهو لكم[2]، وفى رواية أخرى قال: ولا تأخذوا شيئًا من أموالهم إلا ما وجدتم فى عسكرهم[3].

١١- من قُتِلَ من البغاة غُسِّل وكفن وصلى عليه لأنهم مسلمون، على مذهب الشافعى وأصحاب الرأى[4].

١٢- إذا لم يكن البغاة من أهل البدع فهم ليسوا فاسقين، وقتال الإمام وأهل العدل لهم إنما من جهة خطئهم فى التأويل، وهم كالمجتهدين من الفقهاء فى الأحكام، ومن شهد منهم قبلت شهادته إذا كان عدلاً، وهذا قول الشافعى، وأما الخوارج وأهل البدع إذا بغوا على الإمام فلا تقبل شهادتهم لأنهم فُسَّاق[5].

١٣- يجوز للعادل قتل ذى رحمه الباغى لأنه قتله بحق، فأشبه إقامة الحد عليه مع كراهية قصد ذلك[6].

١٤- إذا غلب أهل البغى بلدًا فجبوا الخراج والزكاة والجزية وأقاموا الحدود لم يطالبوا بشىء مما جبوه إذا ظهر أهل العدل على ذلك البلد وظفروا بهم، فعندما ظهر على رضى الله عنه على أهل البصرة بعد موقعة الجمل لم يطالبهم بشىء مما جبوه[7].

١٥- حكم وراثة الباغى من العادل: لا يرث باغ قتل عدلاً، ولا عادل قتل باغيًا لقوله ﷺ: «القاتل لا يرث»[8]، وقال أبو حنيفة: أورث العادل من الباغى، ولا أورث الباغى من العادل، وقال أبو يوسف: أُورِثُ كلاً منهما من صاحبه لأنه متأول فى قتله[9]، وبهذا قال النووى[10].

(١) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٣٠٠). (٢) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٢٦٣).

(٣) تاريخ الطبرى، نقلاً عن تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٣٠٠).

(٤) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٣٠١).

(٥)، (٦) المغنى (٨/ ١١٨)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٣٠١).

(٧) المغنى (٨/ ١١٩)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٣٠٢).

(٨) سنن ابن ماجة، كتاب الديات (٢/ ٨٨٣) صحيح سنن ابن ماجة رقم (٢١٤٠).

(٩) الأحكام السلطانية ص٦١. (١٠) شرح النووى على صحيح مسلم (٧/ ١٧٠).

١٦- إذا لم يكن دفع أهل البغى إلا بقتلهم جاز قتلهم، ولا شىء على من قتلهم من إثم ولا ضمان ولا كفارة؛ لأنه فعل ما أمر به وقتل من أجل الله ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]، فإن المسلم إذا أريدت نفسه جاز له الدفع عنها بقتل من أرادها إذا كان لا يندفع بغير القتل، وكذلك ما أتلفه أهل العدل على أهل البغى حال الحرب من المال، فلا ضمان فيه[١]، وليس على أهل البغى بالمقابل ضمان ما أتلفوه حال الحرب من نفس ولا مال فى أصح الأقوال كما ذكر النووى[٢]، ويدل على ذلك ما روى الزهرى من إجماع الصحابة، أن لا يضمن الباغى إذا قتل العادل، قال: هاجت الفتنة الأولى وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون، وفيهم البدريون، فأجمعوا أنه لا يقاد أحد ولا يؤخذ مال أحد على تأويل القرآن[٣]، وفى رواية عبد الرزاق: فإن الفتنة الأولى ثارت وأصحاب رسول الله ﷺ ممن شهد بدرًا كثير، فاجتمع رأيهم على أن لا يقيموا على أحد حدًا فى فرج استحلوه بتأويل القرآن، ولا قصاص فى دم استحلوه بتأويل القرآن، ولا يرد مال استحلوه بتأويل القرآن إلا أن يوجد شىء بعينه فيرد على صاحبه[٤].

سابعًا: من أهم صفات الخوارج

إن الباحث فى تاريخ فرقة الخوارج يلاحظ عدة صفات اتصف بها أتباع هذه الفرقة منها:

١- الغلو فى الدين: مما لا شك فيه أن الخوارج أهل طاعة وعبادة، فقد كانوا حريصين كل الحرص على التمسك بالدين وتطبيق أحكامه، والابتعاد عن جميع ما نهى عنه الإسلام، وكذلك التحرز التام عن الوقوع فى أى معصية أو خطيئة تخالف الإسلام، حتى أصبح ذلك سمة بارزة فى هذه الطائفة لا يدانيهم فى ذلك أحد، ولا أدل على ذلك من قول رسول الله ﷺ: «يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشىء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشىء»[٥]، وقال ابن عباس رضى الله عنهما يصفهم حينما دخل عليهم لمناظرتهم: دخلت على قوم لم أر قط أشد منهم اجتهادًا، جباههم قرحة من السجود وأياديهم كأنها ثفن[٦] الإبل، وعليهم قمص مرحضة[٧] مشمرين مسهمة وجوههم من السهر[٨]. وعن

(١) المغنى (٨/ ١١٢). (٢) شرح النووى على صحيح مسلم (٧/ ١٧٠).
(٣) السنن الكبرى للبيهقى (٨/ ١٧٤) بسند صحيح، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٣٠٣).
(٤) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ١٢١). (٥) مسلم، كتاب الزكاة، شرح النووى (٧/ ١٧١).
(٦) الثفن: جمع ثفنة: ركبة البعير وغيرها مما يجعل فيه غلظ من أثر البروك.
(٧) مرحضة: مغسولة، النهاية فى غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٠٨).
(٨) تلبيس إبليس، ص٩١.

جندب الأزدى قال: لما عدلنا إلى الخوارج ونحن مع على بن أبى طالب رضى الله عنه، فانتهينا إلى معسكرهم، فإذا لهم دوى كدوى النحل من قراءة القرآن(1)، فقد كانوا أهل صيام وصلاة وتلاوة للقرآن، لكنهم تجاوزوا حد الاعتدال إلى درجة الغلو والتشدد، حيث قادهم هذا التشدد إلى مخالفة قواعد الإسلام بما تمليه عليهم عقولهم، كالقول بتكفير صاحب الكبيرة، وستأتى مناقشة عقائدهم وأفكارهم بإذن الله تعالى، ومنهم من بالغ فى ذلك حتى على كل من ارتكب ذنبًا من الذنوب ولو كان صغيرًا فإنه كافر مشرك مخلد فى النار(2)، وكان من نتيجة هذا التشدد الذى خرج بهم عن حدود الدين وأهدافه السامية، أن كَفَّرُوا كل من لم ير رأيهم من المسلمين ورموهم بالكفر أو النفاق، حتى إنهم استباحوا دماء مخالفيهم(3)، ومنهم من استباح قتل النساء والأطفال من مخالفيه، كالأزارقة مثلاً(4)، ولاشك أن الخوارج بما اتصفوا به من الجهل والتشدد والجفاء قد شوهوا محاسن الدين الإسلامى تشويهًا غريبًا، فإن هذا الإغراق فى التأويل والاجتهاد أخرجهم عن روح الإسلام وجماله واعتداله، وهم فى تعمقهم قد سلكوا طريقًا ما قال به محمد ﷺ ولا دعا إليه القرآن الكريم، وأما التقوى التى كانوا يظهرون بها فهى من قبيل التقوى العمياء والصلاح الذى كانوا يتزينون به فى الظاهر. كان ظاهر التأويل بادى الزخرفة، وقد طمعوا فى الجنة وأرادوا السعى لها عن طريق التعمق والتشدد والغلو فى الدين غلواً أخرجهم عن الحد الصحيح(5)، ولذلك حذر النبى ﷺ من التعمق والتشدد فى الدين لأنه مخالفة للاعتدال وسماحة الإسلام، وأخبر أن المتنطع مستحق للهلاك والخسران، فقد صح عنه ﷺ أنه قال: «هلك المتنطعون»(6) قالها ثلاثًا، فبهذا يتبين لنا شذوذ الخوارج، وكذلك من سار على منهجهم المبنى على التعسف والتشدد المخالف لسماحة الإسلام ويسره، فإن الإسلام دين اليسر والسماحة، فقد قال ﷺ: «إن الدين يسر، ولن يُشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا»(7).

2- **الجهل بالدين:** إن من كبرى آفات الخوارج صفة الجهل بالكتاب والسُّنَّة، وسوء فهمهم وقلة تدبرهم وتعقلهم، وعدم إنزال النصوص منازلها الصحيحة، وكان ابن عمر يراهم

(1) المصدر نفسه، ص 93.

(2) الفصل لابن حزم (4/ 191)، الخوارج، ناصر السعودى ص183.

(3) الخوارج للسعوى، ص 183.

(4) تلبيس إبليس، ص95، الخوارج للسعوى، ص184.

(5) الخوارج للسعوى ص184.

(6) مسلم، كتاب العلم، شرح النووى (16/ 220).

(7) البخارى، كتاب الإيمان، شرح البارى (1/ 93).

شرار خلق الله، وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت فى الكفار فجعلوها على المؤمنين[1]، وكان ابن عمر إذا سُئل عن الحرورية؟، قال: يُكفِّرون المسلمين ويستحلون دماءهم وأموالهم، وينكحون النساء فى عددهم، وتأتيهم المرأة فينكحها الرجل منهم ولها زوج، فلا أعلم أحدًا أحق بالقتال منهم[2]، ومن جهلهم بشرع الله رأوا أن التحكيم معصية تستوجب الكُفر، فيلزم من وقع فيه أن يعترف على نفسه بالكُفر ثم يستقبل التوبة[3]، وهذا ما طالبوا به عليًا رضى الله عنه إذ طلبوا منه أن يقر على نفسه بالكفر ثم يستقبل التوبة، فتخطئة الخوارج له ولمن معه من المهاجرين والأنصار واعتقادهم أنهم أعلم منهم وأولى منهم بالرأى، هى والله عين الجهل والضلال[4]، ومن جهالاتهم الشنيعة أنهم وجدوا عبد الله بن خباب رضى الله عنه ومعه أم ولد حبلى، فناقشوه فى أمور، ثم سألوه رأيه فى عثمان وعلى رضى الله عنهما، فأثنى عليهما خيرًا، فنقموا عليه، وتوعدوه بأن يقتلوه شر قتلة فقتلوه وبقروا بطن المرأة[5]، ومر بهم خنزير لأهل الذمة فقتله أحدهم، فتحرجوا من ذلك وبحثوا عن صاحب الخنزير وأرضوه فى خنزيره، فيا للعجب، أتكون الخنازير أشد حرمة من المسلمين عند أحد يدعى الإسلام[6]، لكنها عبادة الجُهال، التى أملاها عليهم الهوى والشيطان[7]، قال ابن حجر: إن الخوارج لما حكموا بكفر من خالفهم استباحوا دماءهم وتركوا أهل الذمة فقالوا: نفى لهم بعهدهم وتركوا قتال المشركين، واشتغلوا بقتال المسلمين، وهذا كله من آثار عبادة الجُهال، الذين لم تنشرح صدورهم بنور العلم، ولم يتمسكوا بحبل وثيق منه، وكفى أن رأسهم رد على رسول الله ﷺ أمره ونسبه إلى الجور، نسأل الله السلامة[8]، وقال عنهم ابن تيمية: هم جهال فارقوا السُّنَّة والجماعة عن جهل[9].

وبهذا يتبين أن الجهل كان من الصفات البارزة فى تلك الطائفة التى هى إحدى الطوائف المنتسبة إلى الإسلام، فالجهل مرض عضال يهلك صاحبه من حيث لا يشعر، بل قد يريد الخير فيقع فى ضده[10].

٣- شق عصا الطاعة: قال ابن تيمية -رحمه الله-: فهؤلاء من ضلالهم اعتقادهم فى أئمة الهدى وجماعة المسلمين أنهم خارجون عن العدل، وأنهم ضالون، وهذا مأخذ الخارجين

(١) ظاهرة الغلو فى الدين، محمد عبد الحكيم ص١١٤.
(٢) الاعتصام (٢/ ١٨٣، ١٨٤).
(٣) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٣١٢، ٣١٣)، الألبانى فى إرواء الغليل (٨/ ١١٨، ١١٩)، تلبيس إبليس ص٩٣.
(٤) الخوارج للسعوى ص ١٨٦.
(٥) تلبيس إبليس ص٩٣.
(٦) فتح البارى (١٢/ ٢٨٥).
(٧) الخوارج للسعوى ص ١٨٧.
(٨) فتح البارى (١٢/ ٣٠١).
(٩) منهاج السنة (٣/ ٤٦٤).
(١٠) نوادر الأصول، محمد حكيم الترمذى، ص ٥٤، الخوارج للسعوى، ص ١٨٨.

عن السُّنَّة من الرافضــة ونحوهم، ثم يعدون ما يرون أنه ظلم عندهم كـفرًا ثم يرتبون على الكفر أحكامًا ابتدعوها[١]، هذا وقد شقوا عصا الطاعـة وسعوا فى تفريق كلمة المسلمين. ويوضح ذلك موقفهم مع أمير المـؤمنين على، حيث تخلوا عنه وخالفوه فى أحرج المواقف وعصوا أمره[٢]، وظلت تلك الصفة من صفاتهم عـلى مدار التاريخ، كل من خالفهم فى أمر عادوه ونبذوه حتى إنهـم تفرقوا هم أنفسهم إلى عدة فرق يكفر بعـضها بعضًا، ولذلك كثر فيهم الغارات والشقاق والثورات[٣].

٤- التكفير بالذنوب واستحـلال دماء المسلمين وأموالهم: قال ابن تيمية: والفرق الثانى فى الخوارج وأهل البـدع، أنهم يُكَفِّرون بالذنوب والسيـئات، ويترتب على تكفـيرهم بالذنوب استحـلال دماء المسلمين وأموالهم، وأن دار الإســلام دار حرب، ودارهم هى دار الإيمان، وكذلك يقـول جمـهور الرافضـة.. فهذا أصـل البدع التى ثبتت بنـص سنة الرسول ﷺ، وإجمـاع السلف أنها بدعة، وهو جـعل العفو سـيئة، وجعل الـسيئة كُـفرًا[٤]، وقد تميز الخوارج بآراء خاصة فارقوا بها جماعة المسلمين، ورأوها من الدين الذى لا يقبل الله غيره، ومن خالفهم فيها فقد خرج من الدين فى زعمهم فأوجبوا البراءة منه، بل إن منهم من غلا فى ذلك، فأوجبوا قتال من خالفهم واستحلوا دماءهم[٥].

فمن ذلك أنهم قتلوا عبد الله بن خباب بغـير سبب غير أنه لم يوافقهم على رأيهم[٦]، وقال ابن كثير، فجعلوا يقتلون النساء والولدان، ويبقرون بطون الحبالى، ويفعلون أفعالاً لم يفعلها غيرهم[٧]، قال ابن تيمية : وكانت البـدعة الأولى مثل بدعة الخوارج، إنما هى من سوء فـهمهم للقرآن، لـم يقصدوا معـارضته لكن فـهموا منه ما لـم يدل عليه، فظنوا أنه يوجب تكفيـر أرباب الذنوب، إذ كان المؤمن هو البر التـقى، قالوا: فمن لم يكن برًا تقـيًا فهو كافر وهو مُخلد فى النار، ثم قالوا: وعثمان وعلى ومن والاهما ليسوا بمؤمنين؛ لأنهم حكموا بغير ما أنزل الله، فكانت بدعتهم لها مقدمتان:

الأولى: أن من خالف القرآن بعمل أو برأى أخطأ فيه فهو كافر.

والثانية: أن عثمـان وعليًا ومن والاهما كانوا كـذلك. ولهذا يجب الاحتراز من تـكفير المؤمنين بالذنوب والخـطايا، فإنه أول بدعـة ظهـرت فى الإسـلام فكفر أهلهـا المسلمـين،

(١) الفتاوى (٢٨/ ٤٩٧).
(٢) الخوارج للسعوى، ص١٩١.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٩٢.
(٤) الفتاوى (١٩/ ٧٣).
(٥) منهاج السنة (٣/ ٦٢).
(٦) الفرق بين الفرق للبغدادى، ص٥٧، الخوارج للسعوى، ص١٩١.
(٧) البداية والنهاية (٣/ ٢٩٤).

واستحلوا دمـاءهم وأموالهم، وقد ثبت عن النبى ﷺ أحاديث صـحيحة فى ذمـهم والأمر بقتالهم(١).

٥- **تجويزهم على النبى ﷺ ما لا يجوز فى حقه «كالجور»**: قال ابن تيمية : والخوارج جوزوا على الرسول ﷺ نفسه أن يجور ويضل فى سُنَّته، ولم يوجبوا طاعته ومتابعته، وإنما صدقوه فيما بلغه من القرآن دون ما شرعه من السُّنَّة التى تخالف -بزعمهم- ظاهر القرآن، وغالب أهل البدع والخوارج يتابعونهم فى الحقيقة على هذا، فإنهم يرون أن الرسول لو قال بخلاف مقـالتهم لما اتـبعوه. . . وإنما يـدفعون عن نـفوسهم الحـجة، إمـا برد النقل، وإما بـتأويل المنقول، فـيطعنون تارةً فى الإسناد، وتارةً فى المتن، وإلا فهم لـيسوا مـتبعـين ولا مؤتمين بحقيقة السُّنَّة التى جاء بها الرسول ﷺ، بل ولا بحقيقة القرآن(٢).

٦- **الطعن والتضليل**: من أبرز صفات الخوارج الطعن فى أئمة الهدى وتضليلهم والحكم عليهم بالخروج عن العـدل والصواب، وقد تجلت هذه الصفة فى مـوقف ذى الخويصرة مع رسول الهدى ﷺ، حيث قال ذو الخويصرة: يا رسول الله اعدل(٣)، فقد عَدَّ ذو الخويصرة نفسه أورع من رسول الله ﷺ، وحكم على رسول الله ﷺ بالجور والخروج عن العدل فى القسمة، وإن هذه الصفة قد لازمتهم عـبر التاريخ، وقد كان لها أسوأ الأثر لما ترتب عليها من أحكام وأعمال(٤).

٧- **سوء الظن**: هذه صفة أخـرى للخوارج تجلت فى حكم ذى الخويصـرة الجهول على رسول الهدى ﷺ بعدم الإخلاص، حيث قال: والله إن هذه لقسمة ما عدل فيها، وما أريد فيها وجه الله(٥)، فذو الخويصرة الجهول لما رأى رسول الله ﷺ قد أعطى السادة الأغنياء، ولم يعط الفـقـراء، لم يحمل هـذا التصـرف على المحـمل الحسن، وهـذا شىء عجـيب خصوصًا أن دواعيه كثيرة، فلو لم يكن إلا أن صاحب هذا التصرف هو رسول الهدى ﷺ، لكفى به داعيًا إلى حُسن الظن، ولكن ذا الخويصرة أبى ذلك، وأساء الظن لمرضه النفسى، وحاول أن يستر هذه العلة بستار العدل، وبذلك ضـحك منه إبليس، واحتال عليه، فأوقعه فى مصايـده، فينبغى للمرء أن يراقب نفـسه، وأن يدقق فى دوافع سلوكه ومـقاصده، وأن يحذر هواه، وأن يكون منتـبهًا لحيل إبليس لأنه كثـيرا ما يزين العمل السـيئ بغلاف حسن

---

(١) الفتاوى (١٣/ ٣٠، ٣١).
(٢) الفتاوى (١٩/ ٧٣).
(٣) البخارى، كتاب استتابة المرتدين، فتح البارى (١٢/ ٢٩٠).
(٤) ظاهرة الغلو فى الدين، ص: ١٠٦.
(٥) البخارى، كتابة استتابة المرتدين، فتح البارى (١٢/ ٢٩٠).

براق، ويبرر السلوك القبيح باسم مبادئ الحق، ومما يعين المرء على وقاية نفسه، والنجاة لها من حيَل الشيطـان ومصايده العلم، فذو الخويصـرة لو كان عنده أثارة من عِلم، أو ذرة من فهم لما سقط فى هذا المزلق[1].

٨- **الشدة على المسلمين:** عرف الخـوارج بالغلظة والجفوة، وقـد كانوا شديدى القـسوة والعنف على المسلمين، وقد بلغت شـدتهم حدًا فظيعًا، فاستحلوا دمـاء المسلمين وأموالهم وأعراضهم فروعـوهم وقتلوهم، أما أعداء الإسلام من أهل الأوثان وغيـرهم فقد تركوهم ووادعوهم فلم يؤذوهم، ولقد سجل التاريخ صحائف سوداء للخوارج فى هذا السبيل[2]، وما قصة عبد الله بن خباب ومقتله عنا ببعيد، فمعاملة الخوارج للمسلمين مصحوبة بالقسوة والشدة والعنف، وأما للكافـرين، فلين وموادعة ولطف[3]، فقد وصف الشـارع الشريعة بأنها سهلة سمحة، وإنما ندب إلـى الشدة على الكفار، وإلى الرأفة بالمؤمنين، فعكس ذلك الخوارج[4]، قال تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ**﴾ [المائدة: ٥٤] فالخوارج عكسوا الآيات، فـأرهبوا المسلمين وروعوهم[5]، هذه بعض الصفات التى اشتهر بها الخوارج.

أهم مظاهر الغلو فى العصر الحديث:

إن مظاهر الغلو فى العصر الحديث كثيرة منها:

١- **التشدد فى الدين على النفس والتعسير على الآخرين:** من مظاهر الغلو فى هذا العصر الخروج عن منهج الاعتـدال فى الدين، الذى كان عليه النبى ﷺ، وقد حذر النبى ﷺ من ذلك فى الحـديث الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه، قال رسـول الله ﷺ: «**إن هذا الدين يُسر، ولن يُشاد الـدين أحد إلا غلبه**»[6]، والتشدد فى الدين كـثيرًا ما ينشـأ عن قلة الفقه فى الدين، وهما من أبرز سـمات الخوارج، أعنى التشدد فى الدين وقلة الـفقه، وأغلب الذين ينزعون إلى خصال الخوارج اليـوم تجد فيهم هاتين الخصلتين[7]، ومن مظاهر الغلو التعسير

(١) ظاهرة الغلو فى الدين، ص ١٠٦، ١٠٧.
(٢) المصدر نفسه، ص١١٠.
(٣) المصدر نفسه، ص١١١.
(٤) فتح البارى (١٢/ ٣٠١).
(٥) ظاهرة الغلو فى الدين، ص١١١.
(٦) البخارى، كتاب الإيمان، فتح البارى (١/ ٩٣).
(٧) الخوارج، ناصر العقل ص١٣٠.

وترك التيسير، فأصحاب الغلو يطالبون الناس بما لا يُطيقون، ويلزمونهم بما لا يلزمهم به الشرع السهل، ولا يراعون قدراتهم وتفاوتها، وطاقاتهم واستطاعتهم وتباينها، وأفهامهم واختلافها، فيخاطبونهم بما لا يفهمون، ويطالبونهم بما لا يستطيعون. ومن أسباب التعسير الورع الفاسد، والجهل بمراتب الأحكام، والجهل بمراتب الناس، وأما مجالاته وصوره وأشكاله؛ إيجاب النظر والاستدلال على الجميع، وتحديث الناس بما لا يعرفون، وترك الرخص والإلزام بما لم يلزم به الشرع(١).

٢- التعالي والغرور وما يؤدي إليه من تصدر الأحداث: من السمات البارزة في ظاهرة الغلو في الوقت المعاصر: التعالي والغرور، وادعاء العلم في حين أنك تجد أحدهم لا يعرف بدهيات العلم الشرعي، والأحكام وقواعد الدين، أو قد يكون عنده علم قليل، بلا أصول ولا ضوابط ولا فقه ورأي سديد، ويظن أنه بعلمه القليل وفهمه السقيم قد حاز علوم الأولين والآخرين، فيستقل بغروره علم العلماء، ويقعد عن مواصلة طلب العلم فيهلك بغروره ويُهلك، وهكذا كان الخوارج الأولون يدعون العلم والاجتهاد، ويتطاولون على العلماء وهم من أجهل الناس(٢). وأدى التعالم والغرور إلى تصدر حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام للدعوة بلا علم ولا فقه، فاتخذ بعض الناس منهم رؤوسًا جُهالاً، فأفتوا بغير علم وحكموا في الأمور بلا فقه، وواجهوا الأحداث الجسام بلا تجربة ولا رأي، ولا رجوع إلى أهل العلم والفقه والتجربة والرأي، بل كثير منهم يستنقص العلماء والمشايخ، ولا يعرف لهم قدرهم، وإذا أفتى بعض المشايخ على غير هواه ومذهبه، أو بخلاف موقفه أخذ يلمزهم إما بالقصور أو التقصير، أو الجبن والمداهنة، أو بالسذاجة وقلة الوعي والإدراك، ونحو ذلك مما يحصل بإشاعته الفرقة والفساد العظيم، وغرس الغل على العلماء والحط من قدرهم ومن اعتبارهم، وغير ذلك مما يعود على المسلمين بالضرر البالغ في دينهم ودنياهم(٣).

٣- الاستبداد بالرأي وتجهيل الآخرين: من أبرز معالم الغلو حديثًا التعصب للرأي، وعدم الاعتراف برأي الآخرين، وإنكار ما عندهم من الحق ما دام خالفه في الرأي، ومن الأسباب التي تولد التعصب للرأي والانحياز له، قلة العلم، مصادفة الرأي لذهن خال، الإعجاب بالرأي، اتباع الهوى.

إن آفة الإعجاب بالرأي والتعصب له هوت بأصحابها إلى دركات خطيرة، في أزمنة قبلنا، فما الذي هوى بذي الخويصرة الجهول، يقول ابن الجوزي: وآفته أنه رضي برأي

(١) ظاهرة الغلو في الدين ص٢٤١ - ٢٤٩.

(٢)، (٣) الخوارج، ناصر العقل، ص (١٢٩).

نفسه، ولو وقف لعلم أنه لا رأى فوق رأى رسول الله ﷺ[(1)]، والذى هوى بأصحاب ذى الخويصرة هو إعجابهم برأيهم، وظن السوء فى غيرهم، وكانت الخوارج تتعبد، إلا أن اعتقادهم أنهم أعلم من على رضى الله عنه وهذا مرض صعب[(2)] أوقعهم فى المهالك. إن هؤلاء المساكين وقعوا أسرى لألفاظ لم يحسنوا فهمها، ولم يستمعوا لمن يجليها لهم، ويفهمهم إياها، لأن الصواب هو رأيهم وما عداه خطأ، يقول محمد أبو زهرة: أولئك استولت عليهم ألفاظ الإيمان، ولا حكم إلا لله، والتبرؤ من الظالمين، وباسمها أباحوا دماء المسلمين وخضبوا البلاد الإسلامية بجميع الدماء وشنوا الغارة فى كل مكان[(3)]. إن هذا التعصب المقيت قد صدهم عن الاستجابة للحق بعد وضوحه، فقد ناظرهم أمير المؤمنين على رضى الله عنه وناظرهم ابن عباس رضى الله عنه وأزالا أعذارهم، ودحضا شبهاتهم، وأقاما عليهم الحجج الدامغة، وأفحماهم بالبراهين الساطعة، فلم يستجب إلا بعضهم واندفع الكثير لاستباحة دماء المسلمين[(4)]. إن التعصب للرأى وتجهيل الآخرين يتنافى مع مبادئ هامة فى الإسلام كالشورى والتناصح.

٤- الطعن فى العلماء العاملين: يشهد عصرنا حملة غريبة وظاهرة عجيبة ألا وهى الاعتداء على هيبة العلماء العاملين، وطعنهم بخناجر الزيغ والضلال، ولقد شهدت الصحف والمجلات، والكتب والمقالات، وقاعات الدروس والحلقات نماذج كثيرة من تلك الحملات، فجلب على أمة الإسلام أبلغ الأضرار، فشتت الشمل المشتت، وفرق الجمع المفرق، وعمق الشق الغائر، ولا شك أن للطعن فى العلماء أسبابًا منها: التعلم بدون مُعلم، الفهم الخاطئ لبعض عبارات العلماء، واتباع الهوى، والحسد، وقد لجأ بعض الشباب إلى أسلوب سيئ ألا وهو تتبع عورات العلماء وزلاتهم، وتصيد أقوالهم، وشواذ آرائهم، وتحريف كلمهم عن مقصودهم، فعلوا ذلك ليبرروا حملتهم الشعواء فى الطعن على العلماء قديمًا وحديثًا ممن يخالف آراءهم، ولا يقر مناهجهم الحائدة عن الاعتدال، ولقد كان فعلهم هذا وبالاً على الإسلام، وقرة عين لأعداء الإسلام من بنى صهيون وعابدى الأوثان، وإن هذا المسلك المشين الذى يدل على جهل صاحبه أو مرضه وحقده، قد حذر منه العلماء لخطورته على المسلمين، ولأنه تنفيذ لمخطط أعداء الدين، وتحقيق لأغراضهم بلا تعب ولا نصب[(5)]، يقول ابن تيمية رحمه الله وهو ينهى عن رواية الأقوال

(١) تلبيس إبليس، ص٩٠.
(٢) المصدر نفسه، ص٩١.
(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة، ص٦١.
(٤) ظاهرة الغلو فى الدين، ص١٨٥
(٥) ظاهرة الغلو فى الدين، ص٢١٥ - ٢٢٣.

الضعيفة عن الأئمة والعلماء: ومثل هذه المسألة الضعيفة، ليس لأحد أن يحكيها عن إمام من أئمة المسلمين لا على وجه القدح فيه، ولا على وجه المتابعة له فيها، فإن ذلك ضربٌ من الطعن فى الأئمة واتباع الأقوال الضعيفة، وبمثل ذلك صار وزير التتار يلقى الفتنة بين مذاهب أهل السُّنَّة حتى يدعوهم إلى الخروج عن السُّنَّة والجماعة، ويوقعهم فى مذهب الرافضة وأهل الإلحاد[1]، إن الذين يطعنون فى علماء الأمة العاملين يخدمون المخططات اليهودية والنصرانية والطاغوتية والاستخباراتية سواءً أشعروا بذلك أم لا، والذين لا يزالون يطعنون فى علماء الأمة بفعلهم هذا يكونون قد ابتعدوا عن منهج أهل السُّنَّة الجماعة الذى يقول: وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل[2]، وليعلم الذين يطعنون فى علماء الأمة العاملين أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله فى هتك منتقصيهم معلومة، وما يدرى هذا المتعلم أن الاعتبار فى الحكم على الأشخاص بكثرة الفضائل، قال ابن القيم - رحمه الله-: ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعًا أن الرجل الجليل الذى له فى الإسلام قدم صالحة وآثار حسنة، وهو من الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور، بل مأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يُتبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته فى قلوب المسلمين[3]. فمن يبقى لأمة الإسلام إذا طُعن فى علمائهم؟، سيبقى شباب أحداث، لا يُحسنون التلاوة، ولا تستقيم لهم لغة، وليس لهم باع طويلة ولا قصيرة فى كثير من علوم الشرع؟!.

إن أسلوب الطعن فى العلماء قرة عين لأعداء الإسلام؛ لأنه ينشئ جيلاً بلا قادة، وهل رأيتم جيلاً بلا قادة قد أفلح؟

إن أسوأ ما فى الأمم السابقة علماؤها وأحبارهم، فقد كثر فيهم الضالون المضلون، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

وأفضل ما فى الإسلام علماؤه الربانيون العاملون، قال الشعبى: كل أُمة علماؤها شرارها إلا المسلمين، فإن علماءها خيارها[4]، ووضح ذلك ابن تيمية فقال: وذلك أن كل

(١) الفتاوى (٣٢/ ١٣٧).
(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٧٤٠).
(٣) أعلام الموقعين (٣/ ٢٨٣).
(٤) الفتاوى (٧/ ٢٨٤).

أمة غير المسلمين فهم ضالون، وإنما يضلهم علماؤهم، فعلماؤهم شرارهم، والمسلمون على هدى وإنما يتبين الهدى بعلمائهم، فعلماؤهم خيارهم(١).

٥- **سوء الظن:** لقد كثر هذا المرض واستشرى ضرره فى عصرنا، وكانت هذه الآفة أداة فتك وتدمير، ووسيلة هدم وتخريب، وقد ترتب عليها نتائج خطيرة، ومفاسد عظيمة، ولهذه الآفة أسباب ودوافع منها: الجهل، فالجهل بتفهم حقيقة ما يرى وما يسمع وما يقرأ ومرمى ذلك، وعدم إدراك حكم الشرع الدقيق فى هذه المواقف خصوصًا إذا كانت المواقف غريبة، تحتاج إلى فقه دقيق، ونظر بعيد، يجعل صاحبه يبادر إلى سوء الظن، والاتهام بالعيب، والانتقاص من القدر، ومنها الهوى؛ وهو آفة الآفات، فيكفى أن يرى المرء أو يقرأ أو يسمع ما لا يعجبه، ولا يرضاه، ولا يوافق عليه ويبتغيه.. يكفى ذلك لأن يطلق للظن السيئ الحبال، ويرخى له العنان فيرتع ويصول ويجول، ولا يزن الأمور بميزان الشرع الدقيق، ولا يحاول أن يلتمس المعاذير، ولا يراجع نفسه فضلاً عن أن يتهم فهمه، فالهوى يصده عن ذلك، ومنها العجب والغرور، فإحسان المرء ظنه بنفسه، وغروره بفهمه، إن كان ذا فهم، وإعجابه برأيه يدفعه لأن يزكى نفسه ويحتقر غيره فهو الصواب والكل خطأ، وهو الحق والكل باطل، وهو الهدى والجميع ضلال، وقد رأينا أُناسًا بلغ بهم سوء الظن مبلغًا غريبًا عجيبًا، حتى أخرجوا جميع الناس عداهم، أحياء وأمواتًا، فرموهم بالزيغ والضلال، وفساد الاعتقاد، فالجميع فى عقيدته دخن ودخل، وهم وحدهم المخلصون، الجميع هالكون وهم الناجون. إن الظن السيئ آفة، ولكل آفة آثارها الخطيرة، فمن آثارها السيئة - والسيئ لا يلد إلا سيئًا-:

* أنه يدفع صاحبه لتتبع العورات، والبحث عن الزلات، والتنقيب عن السقطات، وهو بذلك يعرض نفسه لغضب الله وعقابه، لأن ذلك من صفات مرضى القلوب الذى توعدهم رسول الله ﷺ بالفضيحة فقال: **«يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عوراتهم يتتبع الله عورته، ومن يتتبع الله عورته يفضحه فى بيته»**(٢).

* كما يدفع صاحبه إلى الغيبة، ونهش أعراض الآخرين، والتشفى فيهم.

* وأخيرًا فالظن السيئ يزرع الشقاق بين المسلمين، ويقطع حبال الأخوة، ويمزق وشائج المحبة، ويزرع العداء والبغضاء والشحناء.

---

(١) الفتاوى (٧/ ٢٨٤).

(٢) مُسند أحمد ٤/ ٤٢١ - ٤٢٤.

ولما كانت هذه الآفة ذات خطورة عظيمة كما تبين، فقد كان موقف الإسلام حاسمًا، وقد دعا وأمر باجتناب أكثر الظن، لأن الوقائع والأحداث أثبتت أن الجرى وراءه واتباعه عاقبته وخيمة، وأضراره عظيمة(١)، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، قال ابن كثير: يقول تعالى ناهيًا عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو: التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس فى غير محله، لأن بعض ذلك يكون إثمًا محضًا، فليجتنب كثير منه احتياطًا(٢)، ومما يدفع سوء الظن التماس العذر لأخيك، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيرًا، وأنت تجد لها فى الخير محملاً»(٣).

٦- الشدة والعنف مع الآخرين: من مظاهر الغلو حديثًا الشدة والعنف فى التعامل مع الآخرين، واستخدامهما فى غير محلهما، وكأن الأصل فى التعامل مع الغير هو العنف والغلظة لا الرفق والرحمة، وهذه الشدة أصبحت هى الطابع الغالب على سلوك بعض الشباب، وقد تجاوز العنف حدود القول إلى العمل، فسفكت دماء بريئة بسببه ودمرت منشآت، ولقد تسبب هذا العنف فى أضرار فادحة على أصحابه وعلى الأمة، وقد كانت هناك جملة أسباب رئيسية وراء استخدام بعض الشباب للعنف والشدة، والقسوة والغلظة، نستطيع أن نجملها فيما يلى:

- المحن: فكثير من هؤلاء الشباب تعرضوا لمحن شتى، أثرت فى نفوسهم، وكان لذلك رد فعل شديد، فقابلوا العنف بالعنف، وغلب ذلك على طباعهم.

- الجهل بفقه الاحتساب: فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أعظم الواجبات التى كلف الله بها هذه الأمة، وينبغى للقائم بها أن يكون فقيهًا فيها ليتمكن من تحقيق المصلحة واجتناب المفسدة بأيسر طريق، فهناك أمور ينبغى فقهها والعلم بها لمن يؤدى هذا الواجب منها: أن هذا الواجب قد يُؤدى تارة بالقلب، وتارة باللسان، وتارةً باليد، والقلب واجب فى كل حال، وبعض الناس قد يقع هنا فى خطأ، فمنهم من يريد أن يأمر وينهى إما بلسانه وإما بيده مطلقًا، من غير فقه وحلم وصبر، ونظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح، وما يقدر عليه وما لا يقدر، فيأتى بالأمر والنهى معتقدًا أنه مطيع فى ذلك لله ولرسوله، وهو معتدٍ فى حدوده(٤)، فلابد من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما، ولابد من العلم بحال المأمور والمنهى، ومن الصلاح أن يأتى بالأمر والنهى بالصراط المستقيم، وهو أقرب

(١) ظاهرة الغلو فى الدين ص٢٠١ - ٢١١. (٢)، (٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٢١٢).
(٤) الفتاوى (٨/ ١٢٧، ١٢٨).

الطرق إلى حصول المقصود. ولابد فى ذلك من الرفق ولابد أيضًا أن يكون حليمًا صبورًا على الأذى، فإنه لابد أن يحصل له أذى، فإن لم يحلم ويصبر كان يفسد أكثر مما يصلح، فلابد من هذه الثلاثة: العلم، والرفق، والصبر، والعلم قبل الأمر والنهى، والرفق معه، والصبر بعده، وإن كان كل من الثلاثة مستصحبًا فى هذه الأحوال. وقد ذكر القاضى أبو يعلى: لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيهًا فيما يأمر به، فقيهًا فيما ينهى عنه[1]، تلك بعض أمور من فقه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، قد أدى الجهل بها وعدم مراعاتها إلى سلوك سبيل الشدة والعنف فى الدعوة.

* ولقد استخدم بعض الشباب أسلوب الغلظة والقسوة فى إرشاد الناس ومحاورتهم لهم، ودعوتهم لإقلاعهم عما يخالف الشرع، وظنوا أن طريق الشدة هى المجدية والرادعة، وغاب عنهم أن أسلوب الرفق هو الأصل ولا يترك إلا بعد أن تستنفد وسائله، لأنه هو المجدى النافع، المؤثر فى النفس، أما الشدة فإنها تنفر فى غالب الأحيان، وتحمل المخالف على الإصرار، ومن العجب أن هؤلاء لم يفرقوا بين المخالف عن علم، والجاهل الذى لا يدرى، ولا بين الداعية للبدعة والضحية المضلل المخدوع، ولا بين المنكر المختلف فيه والمتفق عليه، ومن الأسباب الغليظة التى يسلكها بعض هؤلاء الخشونة فى معاملة الوالدين، فلا يقيم لهما حرمة، ولا يعاونهما ولا يخدمهما، لقد نسى هؤلاء أن الوالدين لهما خصوصيات عن سائر الناس لا سيما فى دعوتهما وإرشادهما، ولا يعنى ذلك التنازل عن الالتزام والتمسك بأمر من أمور الدين أو ارتكاب معصية إرضاء لهواهما.. كلا.. كلا.. إنما نريد الأدب فى المعاملة، واللين فى القول، وحُسن العشرة، والصبر عليهما والشفقة والرحمة بهما، قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان: ١٤، ١٥].

ولقد رأينا بعض الشباب يتخاذل عن معاونة الناس الذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا، فهؤلاء فى نظرهم لا يستحقون أى خدمة، ولا كلمة طيبة، ولا مساعدة نافعة، فهؤلاء الشباب لم يتضح عندهم مفهوم الولاء والبراء وحدود كلٍّ منهما، فيطغى عندهم البراء على الولاء، ونسوا أن الخدمات الاجتماعية وسيلة ناجحة من وسائل الدعوة، لأنها عملية، فهى أبلغ تأثيرًا فى النفس من القول، ونسوا أن خشونتهم فى المعاملة وتخليهم عن المساعدة، يعمق الهوة بينهم، ويذهب بهؤلاء الناس إلى صفوف المنحرفين أعداء الدين.

(١) الفتاوى (٢٨/ ١٣٦، ١٣٧).

ومن مظاهر العنف البالغة ما يفعله بعض هؤلاء من مجاوزة الغلظة بالقول إلى القتل وسفك الدم، دم العلماء، أو الجنود الأبرياء، أو المواطنين العزل، وأخيراً فلا تعجب إذا علمت بعد ذلك أن أصحاب العنف هؤلاء، كثيرًا ما انقلب بعضهم على بعض، وتطاولت الألسنة وأحيانًا الأيدى، وذلك ليس بغريب إذا رجع الإنسان قليلاً لدراسة أحوال الفرق التى تركت كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ومنهج السلف الصالح، فقد تناحرت تلك الفرق فيما بينها، وضلل بعضها بعضًا وكفَّر بعضها بعضًا.

وهكذا مصير من ترك المنهج الذى جاء به خاتم الأنبياء صلوات الله عليه وسلامه، إن الإسلام موقفه صريح من العنف والشدة فى الدعوة ومعاملة الناس، قال تعالى آمرًا موسى وأخاه هارون: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٣، ٤٤]، تلك هى توجيهات ربنا عزَّ وَجلَّ لموسى وهارون عليهما السلام عند دعوة فرعون الطاغية، القول اللين فى بيان الحق لأنه أجدى وأقرب لقبول الذكرى وإحداث الخشية، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥].

إن الداعية قد يلقى فى طريقه ما يغضبه ويضايقه، وهو لاقيه لا محالة، فلابد أن يوطن نفسه على الصبر، ويحصنها بكظم الغيظ، والعفو عن الناس ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

وينبغى للداعية أن يتجنب أسلوب الإثارة والاستفزاز، فيبتعد عن السباب والشتم ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

ولقد كثرت النصوص النبوية التى تؤكد وتركز على الالتزام بقاعدة الرفق، والبعد عن الشدة والعنف، قال ﷺ: **«إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه، ولا ينزع من شىء إلا شانه»**(١).

والرفق: هو الأصل فى الدعوة، ليس معنى ذلك إلغاء الشدة بالكلية، لا، فالشدة لها مواضعها بعد استنفاد وسائل الرفق والصبر، والموفق من وفَّقه الله لإنزال كل فى منزلته، وعصمه من هواه(٢).

(١) مسند أحمد (٤/ ٣٦٢).

(٢) ظاهرة الغلو فى الدين، ص٢٣١ - ٢٣٧.

المبحث الثاني

أمير المؤمنين علي وفكر الشيعة

أولاً: الشيعة في اللغة والاصطلاح، والرفض في اللغة والاصطلاح

١- **الشيعة في اللغة:** شيعة الرجل: أتباعه وأنصاره، ويقال: شايعه، كما يقال: والاه من الولي... وتشيع الرجل أي: ادعى دعوى الشيعة، وتشايع القوم صاروا شيعًا، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعضهم فهم شيع، وقوله تعالى: ﴿**كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ**﴾ [سبأ: ٥٤]. أي بأمثالهم من الأمم الماضية[١] وجاء في المصباح المنير: والشيعة الأتباع والأنصار، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، ثم صارت الشيعة نبزًا – أي وصفًا – جماعة مخصوصة والجمع شيع مثل: سدرة وسدر، والأشياع جمع الجمع، وشيعت رمضان بست من شوال أتبعته بها[٢] فالشيعة من حيث مدلولها اللغوي تعني: القوم والصحب والأتباع والأعوان، وقد ورد هذا المعنى في بعض آيات القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿**فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ**﴾ [القصص: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ**﴾ [الصافات: ٨٣]، فلفظ الشيعة في الأولى: تعني القوم، وفي الثانية: تشير إلى الأتباع الذين يوافقون على الرأي والمنهج ويشاركون فيهما.

٢- **تعريف الشيعة في الاصطلاح:** إن تعريف الشيعة مرتبط أساسًا بأطوار نشأتهم، ومراحل التطور العقدي لهم، ذلك أن من الملحوظ أن عقائد الشيعة وأفكارها في تغير وتطور مستمر، فالتشيع في العصر الأول غير التشيع فيما بعده، ولهذا كان الصدر الأول لا يسمى شيعيًا إلا من قدم عليًا على عثمان[٣]، ولذلك قيل: شيعي وعثماني، فالشيعي من قدم عليًا على عثمان، فعلى هذا يكون التعريف للشيعة في الصدر الأول: أنهم الذين يقدمون عليًا على عثمان فقط[٤]. ولهذا ذكر ابن تيمية: أن الشيعة الأولى الذين كانوا على عهد علي كانوا يفضلون أبا بكر وعمر[٥]، وقد منع شريك بن عبد الله – وهو ممن يوصف

(١) الصحاح للجوهري، ولسان العرب، مادة شيع.
(٢) المصباح المنير: شيع
(٣) أصول الشيعة الإمامية (١/ ٦٤).
(٤) فتاوى ابن تيمية (٣/ ١٥٣)، فتح الباري (٧/ ٣٤).
(٥) منهاج السنة (٢/ ٦٠).

بالتشيع - إطلاق اسم التشيع على من يفضل عليًا على أبى بكر وعمر، وذلك لمخالفته لما تواتر عن على فى ذلك.

والتشيع: يعنى المناصرة والمتابعة لا المخالفة والمنابذة(١)، وروى ابن بطة عن شيخه المعروف بأبى العباس بن مسروق قال: حدثنا محمد بن حميد، حدثنا جرير، عن سفيان، عن عبد الله بن زياد بن جرير قال: قدم أبو إسحاق السبيعى الكوفة، فقال لنا شهر بن عطية: قوموا إليه، فجلسنا إليه، فتحدثوا، فقال أبو إسحاق: خرجت من الكوفة وليس أحد يشك فى فضل أبي بكر وعمر وتقديمهما، وقدمت الآن(٢) وهم يقولون: ولا والله ما أدرى ما يقولون. قال محب الدين الخطيب: هذا نص تاريخى عظيم فى تحديد تطور التشيع، فإن أبا إسحاق السبيعى كان شيخ الكوفة وعالمها(٣)، ولد فى خلافة أمير المؤمنين عثمان قبل شهادته بثلاث سنين، وعمّر حتى توفى سنة١٢٧هـ، وكان طفلاً فى خلافة أمير المؤمنين على، وهو يقول عن نفسه: رفعنى أبى حتى رأيت على بن أبى طالب يخطب، أبيض الرأس واللحية. ولو عرفنا متى فارق الكوفة، ثم عاد فزارها، لتوصلنا إلى معرفة الزمن الذى كان فيه شيعة الكوفة يرون ما يراه إمامهم من تفضيل أبى بكر، وعمر، ومتى أخذوا يفارقون عليًا ويخالفونه فيما كان يؤمن به، ويعلنه على منبر الكوفة من أفضلية أخويه، صاحبى رسول الله ﷺ ووزيريه وخليفتيه على أمته فى أنقى وأطهر أزمانها(٤)، وقال ليث بن أبى سليم: أدركت الشيعة الأولى وما يفضلون على أبى بكر وعمر أحدًا(٥). وذكر صاحب مختصر التحفة: إن الذين كانوا فى وقت خلافة الأمير رضى الله عنه من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، كلهم عرفوا له حقه، وأحلوه من الفضل محله، ولم ينتقصوا أحدًا من إخوانه أصحاب رسول الله ﷺ فضلاً عن إكفاره وسبه(٦)، ولكن لم يظل التشيع بهذا النقاء والصفاء والسلامة والسمو، بل إن مبدأ التشيع تغير، فأصبحت الشيعة شيعًا، وصار التشيع قناعًا يتستر به كل من أراد الكيد للإسلام والمسلمين من الأعداء الموتورين الحاسدين. . . ولهذا نسمى الطاعنين على الشيخين الرافضة، لأنهم لا يستحقون وصف التشيع(٧)، ومن عرف التطور العقدى لطائفة الشيعة لا يستغرب وجود

---

(١) أصول الشيعة الإمامية الاثنى عشرية (١/ ٦٥). (٢) المنتقى ص ٣٦٠.

(٣) انظر ترجمته فى تهذيب التهذيب (٨/ ٦٣)، الخلاصة ص٢٩١.

(٤) حاشية المنتقى، ص٣٦٠ ، ٣٦١. (٥) المنتقى، ص٣٦٠.

(٦) مختصر التحفة الاثنى عشرية، ص٣.

(٧) أصول الشيعة الإمامية الاثنى عشرية (١/ ٦٦، ٦٧).

طائفة من أعلام المحدثين، وغير المحدثين من العلماء والأعلام أطلق عليهم لقب الشيعة، وقد يكونون من أعلام السنَّة، لأن للتشيع فى زمن السلف مفهومًا وتعريفًا غير المفهوم والتعريف المتأخر للشيعة. ولهذا قال الذهبى فى معرض الحديث عمن رمى ببدعة التشيع: إن البدعة على ضربين، فبدعة صغرى، كغلو التشيع، أو كالتشيع بلا غلو، فهذا كثير فى التابعين، وأتباعهم مع الدين والورع والصدق، فلو رد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية، وهذه مفسدة بينة، ثم بدعة كبرى كالرفض الكامل، والغلو فيه، والحط من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما، والدعاء إلى ذلك، فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامة أيضًا، فما أستحضر الآن فى هذا الضرب رجلاً صادقًا ولا مأمونًا، بل الكذب شعارهم، والتقية والنفاق دثارهم، فكيف يقبل نقل من هذا حاله، حاشا وكلا، فالشيعى الغالى فى زمان السلف وعرفهم هو من تكلم فى عثمان والزبير، وطلحة ومعاوية، وطائفة ممن حارب عليًا رضى الله عنه وتعرض لسبهم، والغالى فى زمننا وعرفنا هو الذى يكفِّر هؤلاء السادة ويتبرأ من الشيخين فهذا ضال مفترٍ[1]، إذن التشيع درجات، وأطوار، ومراحل، كما أنه فرق وطوائف، وقبل أن ندع الحديث حول تعريف الشيعة نشير إلى أنه يلحظ على تعريفات الشيعة الواردة فى معظم كتب المقالات، أنها دأبت على القول فى التعريف للشيعة الإمامية بأنهم أتباع على .. إلخ.

وهذا يؤدى إلى نتيجة خاطئة تخالف إجماع الأمة كلها، هذه النتيجة أن يكون على شيعيًا يرى ما يراه الشيعة، وعلى رضى الله عنه برئ مما تعتقده الشيعة فيه وفى بنيه ولذلك لابد من وضع قيد واحتراز فى التعريف رفعًا للإبهام، فيقال: هم الذين يزعمون اتباع على، حيث إنهم لم يتبعوا عليًا على الحقيقة، وليس أمير المؤمنين على ما يعتقدون[2]، أو يقال: بأنهم المدعون التشيع لعلى، أو الرافضة، ولذلك عبر عنهم بعض أهل العلم بقوله: الرافضة المنسوبون إلى شيعة على[3]، فهم أيضًا ليسوا على منهج شيعة على المتبعين له، بل هم أدعياء ورافضة[4].

٣- الرفض فى اللغة: هو: الترك، يقال رفضت الشىء: أى تركته[5]، فالرفض فى اللغة معناه الترك والتخلى عن الشىء.

(١) ميزان الاعتدال للذهبى (١/ ٥، ٦)، لسان الميزان (١/ ٩، ١٠).
(٢) أصول الشيعة الإمامية الاثنى عشرية (١/ ٦٨). (٣) منهاج السنَّة (٢/ ١٠٦).
(٤) أصول الشيعة الإمامية الاثنى عشرية (١/ ٦٩).
(٥) القاموس المحيط للفيروز أبادى (٢/ ٣٣٢)، مقاييس اللغة (٢/ ٤٢٢).

٤- **الرافضة في الاصطلاح:** هي: إحدى الفرق المنتسبة للتشيع لآل البيت، مع البراءة من أبي بكر وعمر وسائر أصحاب النبي ﷺ إلا القليل منهم، وتكفيرهم لهم وسبهم إياهم[(١)]، قال الإمام أحمد رحمه الله: الرافضة: هم الذين يتبرؤون من أصحاب محمد رسول الله ﷺ ويسبونهم وينتقصونهم[(٢)]. وقال عبد الله بن أحمد - رحمه الله - : سألت أبي عن الرافضة؟، فقال: الذين يشتمون أو يسبون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما[(٣)].

وقال أبو القاسم التيمي بقوام السنة في تعريفهم: وهم الذين يشتمون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ورضي عن محبيهما[(٤)]، وقد انفردت الرافضة من بين الفرق المنتسبة للإسلام بمسبة الشيخين أبي بكر وعمر، دون غيرها من الفرق الأخرى، وهذا من عظيم خذلانهم، قاتلهم الله[(٥)].

يقول ابن تيمية رحمه الله: فأبو بكر وعمر رضي الله عنهما أبغضتهما الرافضة ولعنتهما، دون غيرهم من الطوائف[(٦)]، وقد جاء في كتب الرافضة ما يشهد لهذا، وهو جعلهم محبة الشيخين وتوليهما من عدمهما هو الفارق بينهم وبين غيرهم ممن يطلقون عليهم النواصب، فقد روى الدرازي عن محمد بن علي بن موسى قال: كتبت إلى علي بن محمد عليه السلام[(٧)] عن الناصب هل يحتاج في امتحانه إلى أكثر من تقديمه الجبت والطاغوت[(٨)]، واعتقاد إمامتهما؟، فرجع الجواب: من كان على هذا فهو ناصب[(٩)].

٥- **سبب تسميتهم رافضة:** يرى جمهور المحققين أن سبب إطلاق هذه التسمية على الرافضة، لرفضهم زيد بن علي وتفرقهم عنه بعد أن كانوا في جيشه، حين خروجه على هشام بن عبد الملك، في سنة إحدى وعشرين ومئة، وذلك بعد أن أظهروا البراءة من الشيخين فنهاهم عن ذلك. يقول أبو الحسن الأشعري: وما كان زيد بن علي يفضل على

(١) الانتصار للصحب والآل، ص٢٥.
(٢) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١/ ٣٣).
(٣) السنة للخلال رقم (٧٧٧)، وقال المحقق: إسناده صحيح.
(٤) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٤٧٨).
(٥) الانتصار للصحب والآل، ص٢٦.
(٦) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٣٥).
(٧) هو أحد الأئمة الاثني عشرية عند الإمامية، وفيات الأعيان (٣/ ٢٧٢).
(٨) يعنون بهما: أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كما جاء ذلك في تفسير العياشي (١/ ٢٤٦)، وهو من أهم كتب التفسير عندهم، عند قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ [النساء: ٥١].
(٩) المحاسن النفسانية لمحمد آل عصفور الدرازي، ص١٤٥.

ابن أبي طالب على سائر أصحاب رسول الله ﷺ ويتولى أبا بكر وعمر، ويرى الخروج على أئمة الجور، فلما ظهر فى الكوفة فى أصحابه الذين بايعوه سمع من بعضهم الطعن فى أبى بكر وعمر، فأنكر ذلك على من سمعه منه فتفرق عنه الذين بايعوه فقال لهم: رفضتمونى[1]، فيقال: إنهم سموا رافضة لقول زيد لهم: رفضتمونى، وبهذا القول قال قوام السنَّة[2]، والرازى[3]، والشهرستانى[4]، وابن تيمية[5] رحمهم الله- وذهب الأشعرى فى قول آخر: إلى أنهم سموا بالرافضة لرفضهم إمامة الشيخين، قال: وإنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبى بكر وعمر[6].

٦- **رافضة اليوم:** والرافضة اليوم يغضبون من هذه التسمية ولا يرضونها، ويرون أنها من الألقاب التى ألصقها بهم مخالفوهم، يقول محسن الأمين: الرافضة لقب ينبز به من يقدم عليًا رضى الله عنه فى الخلافة وأكثر ما يستعمل للتشفى والانتقام[7]، ولهذا يتسمون اليوم الشيعة، وقد اشتهروا بهذه التسمية عند العامة، وقد تأثر بذلك بعض الكتاب والمثقفين، فنجدهم يطلقون عليهم هذه التسمية، وفى الحقيقة أن الشيعة مصطلح عام يشمل كل من شايع عليًا رضى الله عنه[8]، وقد ذكر أصحاب الفرق والمقالات أنهم ثلاثة أصناف:

(أ) غالية: وهم الذين غلوا فى على وادعوا فيه الإلهية أو النبوة.

(ب) ورافضة: وهم الذين يدعون النص على استخلاف على، ويتبرؤون من الخلفاء قبله وعامة الصحابة.

(جـ) وزيدية: وهم أتباع زيد بن على، الذين كانوا يفضلون عليًا على سائر الصحابة ويتولون أبا بكر وعمر[9]. فإطلاق الشيعة على الرافضة من غير تقييد لهذا المصطلح غير صحيح، لأن هذا المصطلح يدخل فيه الزيدية[10]، وهم يتولون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما، بل أن تسميتهم بالشيعة يوهم التباسهم بالشيعة القدماء الذين كانوا فى عهد على رضى الله عنه ومن بعدهم، فإن هؤلاء مجمعون على تفضيل الشيخين على علىٍّ رضى الله

(١) مقالات الإسلاميين (١/ ٣٧).
(٢) الحجة فى بيان المحجة (٢/ ٤٧٨).
(٣) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص٥٢.
(٤) الملل والنحل (١/ ١٥٥).
(٥) منهاج السنة (١/٨)، مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦).
(٦) مقالات الإسلاميين (١/ ٨٩).
(٧) أعيان الشيعة (١/ ٢٠).
(٨) مقالات الإسلاميين (١/ ٦٥)، الملل والنحل للشهرستانى (١/ ١٤٤).
(٩) المصدر نفسه (١/ ٦٦، ٨٨، ٣٧)، المصدر نفسه (١/ ٢٥).
(١٠) الانتصار للصحب والآل، ص (٢٩).

عنه، وإنما يرون تفضيل عليٍّ على عثمان، وهؤلاء كان فيهم كثيرٌ من أهل العلم ومن هو منسوب إلى الخير والفضل، ويقول ابن تيمية رحمه الله: ولهذا كان الشيعة المتقدمون الذين صحبوا عليًا، أو كانوا فى ذلك الزمان، لم يتنازعوا فى تفضيل أبى بكر وعمر، وإنما كان نزاعهم فى تفضيل على وعثمان(١)، ولذا فإن تسمية «الرافضة» بالشيعة من الأخطاء البينة الواضحة التى وقع فيها بعض المعاصرين، تقليدًا للرافضة فى سعيهم للتخلص من هذا الاسم لما رأوا من كثرة ذم السلف لهم، ومقتهم إياهم، فأرادوا التخلص من ذلك الاسم تمويهًا وتدليسًا على من لا يعرفهم بالانتساب إلى الشيعة على وجه العموم، فكان من آثار ذلك ما وقع فيه بعض الطلبة المبتدئين ممن لم يعرفوا حقيقة المصطلحات من الخلط الكبير بين أحكام الرافضة وأحكام الشيعة، لما تقرر عندهم إطلاق مصطلح التشيع على الرافضة، فظنوا أن ماورد فى كلام أهل العلم المتقدمين في حق الشيعة أنه يتنزل على الرافضة فى حين أن أهل العلم يفرقون بينهما فى كافة أحكامهم(٢)، وعليه فإن من الواجب أن يسمى هؤلاء الروافض بمسماهم الحقيقى الذى اصطلح عليه أهل العلم وعدم تسميتهم بالشيعة على وجه الإطلاق، لما فى ذلك من اللبس والإيهام، وإذا ما أطلق عليهم مصطلح «التشيع»، فينبغى أن يقيد بما يدل عليهم خاصة، كأن يقال «الشيعة الإمامية»، أو «الشيعة الاثنى عشرية» على ما جرت بذلك عادة العلماء عند ذكرهم(٣)، والله تعالى أعلم.

ثانيًا: نشأة الشيعة الرافضة وبيان دور اليهود فى نشأتهم

أول من دعا إلى أصول عقائد الشيعة الرافضة التى انبنت عليها عقائدهم الأخرى: رجل يهودى اسمه عبد الله بن سبأ من يهود اليمن، أسلم فى عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه، وأخذ يتنقل بين أمصار المسلمين للدعوة لهذا المعتقد الفاسد، وهذا نص ما ذكره الطبرى فى تاريخه قال: كان عبد الله بن سبأ يهوديًا من أهل صنعاء أمه سوداء فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل فى بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم، فقال لهم فيما يقول: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمدًا يرجع وقد قال الله: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص ٨٥]، فمحمد أحق بالرجوع من عيسى، قال: فقبل ذلك عنه، ووضع لهم

(١) منهاج السُّنَّة (١/ ١٣).
(٢) الانتصار للصحب والآل، ص٣٠.
(٣) المصدر نفسه، ص٣٢.

الرجعة فتكلموا فيها ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان ألف نبى ولكل نبى وصىّ، وكان علىّ وصىّ محمد، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلى خاتم الأوصياء، ثم قال لهم بعد ذلك: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ ووثب على وصى رسول الله ﷺ وتناول أمر الأمة، ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصى رسول الله ﷺ فانهضوا فى هذا الأمر فحركوه، وابدؤوا الطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر، فبث دعاته وكاتب من كان استفسده فى الأمصار وكاتبوه، ودعوه فى السر إلى ما عليه رأيهم[1].

وهكذا كانت بداية الرفض، ومازالت تلك العقائد التى دعا إليها ابن سبأ تسير فى نفوس أناس من أهل الزيغ والضلال، وتتشربها قلوبهم وعقولهم حتى كان من ثمارها مقتل الخليفة الراشد ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه على يد هذه الشرذمة الفاسدة، حتى إذا ما جاء عهد ابن أبى طالب بدأت تلك العقائد تظهر إلى الوجود أكثر من ذى قبل، إلى أن بلغت عليًا رضى الله عنه فأنكرها أشد ما يكون الإنكار وتبرأ منها ومن أهلها، ومما صح فى ذلك عن على رضى الله عنه ما رواه ابن عساكر عن عمار الدهنى قال: سمعت أبا الطفيل يقول: رأيت المسيب بن نجبة أتى به ملببه يعنى - ابن السوداء - وعلىٌّ على المنبر، فقال على: ما شأنه؟، فقال: يكذب على الله ورسوله[2]، وعن يزيد بن وهب عن على قال: مالى ولهذا الحميت[3] الأسود[4]. ومن طريق يزيد بن وهب أيضًا عن سلمة عن شعبة قال على بن أبى طالب: مالى ولهذا الحميت الأسود - يعنى عبد الله بن سبأ - وكان يقع فى أبى بكر وعمر[5]، وهذه الروايات ثابتة عن على رضى الله عنه بأسانيد صحيحة[6]، وحكى المؤرخون وأصحاب الفرق والمقالات أن ابن سبأ ادعى الربوبية فى على - رضى الله عنه - فأحرقه على هو وأصحابه بالنار[7]، يقول الجرجانى: السبئية من الرافضة ينسبون إلى عبد الله بن سبأ وكان أول من كفر من الرافضة، وقال: على رب العالمين، فأحرقه على وأصحابه بالنار[8]. ويقول الملطى فى معرض حديثه عن السبئية: هم أصحاب عبد الله بن سبأ. قالوا لعلى رضى الله عنه: أنت. قال: ومن أنا؟، قالوا: الخالق البارى، استتابهم فلم يرجعوا، فأوقد لهم نارًا ضخمة وأحرقهم وقال مرتجزًا:

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٤٧). (٢) تاريخ دمشق، الانتصار للصحب والآل، ص٣٥.

(٣) الحميت: هو وعاء سمن الذى متن بالرُّب، ويطلق على المتين من كل شىء، وفى حديث وحشى: كأنه حميت، قال ابن حجر: «أى زق كبير وأكثر ما قال ذلك إذا كان مملوءًا» فتح البارى (٧/ ٣٦٨).

(٤)، (٥) فتح البارى (٧/ ٣٦٨). (٦) عبد الله بن سبأ ص٩٨، الأسانيد حكم عليها الألبانى.

(٧) الانتصار للصحب والآل، ص٣٦. (٨) التعريفات، ص١٠٣.

لما رأيت الأمـــر أمـــــرًا منكرًا أججـت نارى ودعـوت قنبـرا[١]

وذهب بعض المؤرخين إلى أن علياً رضى الله عنه لم يحرق ابن سبأ وإنما نفاه إلى المدائن، ثم ادعى بعد موت على رضى الله عنه أن عليًا لم يمت، وقال لمن نعاه: لو جئتمونا بدماغه فى سبعين صرة ما صدقنا موته[٢]، ولعل القول الأول هو الصحيح ويشهد له ما جاء فى صحيح البخارى، عن عكرمة قال: أتى على رضى الله عنه بزنادقة فأحرقهم فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهى رسول الله ﷺ: **«لا تعذبوا بعذاب الله»** ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ: **«من بدل دينه فاقتلوه»**[٣]، قال ابن حجر - رحمه الله - فى شرح الحديث بعد أن ذكر بعض الروايات فى هؤلاء المحرقين وفيها: أنهم ناس كانوا يعبدون الأصنام، وفى بعضها أنهم قوم ارتدوا عن الإسلام، وعلى اختلاف بين الروايات فى تعيينهم قال بعد ذلك: وزعم أبو المظفر الإسفرايينى فى «الملل والنحل» أن الذين أحرقهم على طائفة من الروافض ادعوا فيه الإلهية وهم السبئية، وكان كبيرهم عبد الله بن سبأ يهوديًا أظهر الإسلام، وابتدع هذه المقالة، وهذا يمكن أن يكون أصله: ما رويناه من حديث أبى طاهر المخلص من طريق عبد الله بن شريك العامرى قال: قيل لعلى: إن هنا قومًا على باب المسجد يدعون أنك ربهم، فدعاهم وقال: ويلكم ما تقولون؟، قالوا: أنت ربنا خالقنا ورازقنا[٤]، ثم ساق بقية الرواية وفيها أن عليًا رضى الله عنه استتابهم ثلاثًا فلم يرجعوا، فحرقهم بالنار فى أخاديد قد حفرت لهم، وقال:

لما رأيت الأمـــر أمـــــرًا منكرًا أججت نارى ودعـــوت قنبـــرا

قال ابن حجر: وهذا سند حسن[٥]، والمقصود هنا هو ظهور عقائد الشيعة الرافضة المتمثلة فى الغلو فى على رضى الله عنه فى تلك الفترة الزمنية، وإمعان على رضى الله عنه فى عقوبتهم حتى قال ابن عباس ما قال، كما ثبت إنكار على رضى الله عنه لكل العقائد الأخرى التى ظهرت فى عهده، وانتظمت فى سلك التشيع له كتفضيله على عامة الصحابة وتقديمه على الشيخين، وكان انتشار سب الصحابة والإزراء عليهم بين أولئك الضلال، قال ابن تيمية - رحمه الله -: ولما أحدثت البدع الشيعة فى خلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ردها وكانت ثلاث طوائف: غالية، وسبابة، ومفضلة، فأما الغالية،

(١) التنبيه على أهل الأهواء والبدع، ص٨.
(٢) الفصل لابن حزم (٥/ ٣٦)، التبصير فى الدين للإسفرايينى.
(٣) البخارى، كتاب استتابة المرتدين رقم: (٦٩٢٢). (٤)،(٥) فتح البارى (١٢/ ٢٧٠).

فإنه حـرقهم بالنار، فإنه خـرج ذات يوم من باب كندة فسجـد له أقوام فقـال: ما هذا؟، فقالوا: أنت هو الله. فـاستتابهم ثلاثة فلم يرجعـوا، فأمر في الثالث بأخاديد وأضرم فـيها النار، ثم قذفـهم فيها. . وأمـا السبابة: فـإنه لما بلغه مَنْ سبَّ أبا بكر وعمـر طلب قتله، فهرب منه إلى قرقيسيا وكلـم فيه، وكان عليّ يداري أمراءه، لأنه لم يكن متمكنًا ولم يكن يطيعونه في كل مـا يأمرهم به، وأما المفضلة: فقال: لا أوتـى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفترين: فقال وروى عنه من أكثر من ثمانين وجهًا أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيـها أبو بكر ثم عمر(1)، وعلى كل حال فعقائد الرافـضة مع ظهورها في عهد علي رضي الله عنه قد بقيت محصورة في أفراد لا تمثلها طائفة أو فرقة، حتى انقضى عهد علي رضي الله عنه وهي على تلك الحا.

وقد أفرد الدكتور سـعدي الهاشمي عقيدة ابن سبأ والبـدع التي نادى بها في رسالته «ابن سبأ حقيقة لا خيال»، وذكرها في كتابه «الرواة الذين تأثروا بابن سبأ». وأهم البدع التي نادى بها ابن سبـأ، القول بالوصية، وهو أول من قال بوصـية رسول الله ﷺ لعلي، وأنه خليفته على أمتـه من بعده بالنـص، وأول من أظهر البراءة مـن أعداء علي رضي الله عنه بزعـمه، وكاشف مخالفيه، وحكم بكفرهم، وأول من قـال بإلهية علي رضي الله عنه وربوبيته، وكان أول من ادعى النبوة من فرق الشـيعة الغلاة، وكان أول من أحدث القـول برجعة علي رضي الله عنه إلى الدنيا بعـد موته وبرجعـة رسول الله ﷺ، وأول من ادعى أن عليًا رضي الله عنه هو دابة الأرض، وأنه هو الذي خلق الخلق وبسط الرزق، وقـالت السبئـية: إنهم لا يموتون، وإنما يطيرون بعد مماتهم وسموا بالطيارة، وقال قوم منهم - السبئية - بانتقال روح القدس في الأئمة، وقالوا: بتناسخ الأرواح، وقالت السبـئية: هُدينا لوحي ضل عنه الناس، وعلم خفي عنهم، وقالوا: إن عليا في السحاب، وإن الرعد صوته، والبرق سوطه. هذه أبرز البدع التي كان يعتقد بها ابن سبأ وأتباعه وصاروا بها من الغلاة(2).

إن فرق الشيعة الرافضة كفكر وعقيدة لم تولد فجأة، بل إنها أخذت طورًا زمنيًا، ومرت بمراحل، ولكن طلائع العقـيدة الشيـعية الرافضـية وأصل أصولهـا ظهرت على يد السبئـية باعتراف كتب الشيعة التي قالت بأن ابن سـبأ أول من شهد بالقول بفرض إمامة علي، وأن علياً وصي محمد - كما مر - وهذه عـقيدة النص على علي بالإمامة، وهي أساس التشيع الرافضي -كمـا يراه شيوخ الشيعة الروافض- ومن ذلك مـا جاء في الكافي عن أبي الحسن

(1) مجموع الفتاوى (35/ 184، 185).

(2) الرواة الذين تأثروا بابن سبأ، د/ سعدي الهاشمي ص19، 20.

قال: ولاية على مكتوبة فى جميع صحف الأنبياء، ولن يبعث الله رسولاً إلا بنبوة محمد ﷺ ووصية على عليه السلام[1]، وشهدت كتب الشيعة الروافض - كما سيأتى تفصيله بإذن الله - بأن ابن سبأ وجماعته هم أول من أظهر الطعن فى أبى بكر وعمر وعثمان أصهار رسول الله ﷺ وأرحامه وخلفائه، وأقرب الناس إليه رضى الله عنهم والطعن فى الصحابة الآخرين، وهذه عقيدة الشيعة الروافض فى الصحابة، كما هى فى كتبهم المعتمدة، كما أن ابن سبأ قال برجعة على[2]، والرجعة من أصول الشيعة الروافض - كما سيأتى بإذن الله -، كما أن ابن سبأ قال بتخصيص على وأهل البيت بعلوم سرية خاصة، كما أشار إلى ذلك الحسن بن محمد ابن الحنفية[3] فى رسالة الإرجاء[4]، وهذه المسألة أصبحت من أصول الاعتقاد عند الشيعة، وقد ثبت فى صحيح البخارى ما يدل على أن هذه العقيدة ظهرت فى وقت مبكر، وأن علياً رضى الله عنه سئل عنها، وقيل له: هل عندكم شىء مما ليس فى القرآن، أو مما ليس عند الناس؟، فنفى ذلك نفيًا قاطعًا[5].

هذه من أهم الأصول التى تدين بها الشيعة الرافضة[6]، وقد وُجدت إثر مقتل عثمان رضى الله عنه وفى عهد على رضى الله عنه ولم تأخذ مكانها فى نفوس فرقة معينة معروفة، بل إن السبئية ما كادت تطل برأسها حتى حاربها على رضى الله عنه، كما مر معنا، ولكن ما تلا ذلك من أحداث هيأ جوًا صالحًا لظهور هذه العقائد، وتمثلها فى جماعة كمعركة صفين، وحادثة التحكيم التى أعقبتها، ومقتل على، ومقتل الحسن.

كل هذه الأحداث دفعت القلوب والعواطف إلى التشيع لآل البيت، فتسلل الفكر الوافد من نافذة التشيع لعلى وآل بيته، وصار التشيع وسيلة لكل من أراد هدم الإسلام من ملحد ومنافق وطاغوت، ودخلت إلى المسلمين أفكار ومعتقدات أجنبية اكتست بثوب التشيع وتيسر دخولها تحت غطائه، وبمرور الأيام كانت تتسع البدعة ويتعاظم خطرها، حيث وُجد لابن سبأ خلفاء كثيرون، ولم يكن استعمال لقب الشيعة فى عهد على رضى الله عنه إلا بمعنى الموالاة والنصرة، ولا يعنى بحال الإيمان بعقيدة من عقائد الشيعة الرافضة اليوم[7].

(١) أصول الكافى (١/ ٤٣٧)، أصول الشيعة الإمامية (١/ ٧١).
(٢) المقالات والفرق للقمى، ص٢١، فرق الشيعة للنوبختى، ص٢٣، أصول الشيعة الإمامية (١/ ٩٦).
(٣) تهذيب التهذيب (٢/ ٣٢).
(٤) رسالة الإرجاء ضمن كتاب الإيمان، لمحمد العدنى، ص٢٥٠-٢٩٤ .
(٥) البخارى، كتاب العلم مع الفتح (١/ ٢٠٤).
(٦) أصول الشيعة الإمامية الاثنى عشرية (١/ ٩٧).
(٧) أصول الشيعة الإمامية (١/ ٩٨).

إن التشيع لآل البيت وحبهم أمر طبيعى، وهو حب لا يفرق بين الآل، ولا يغلو فيهم، ولا ينتقص أحدًا من الصحابة، كما تفعل الفرق المنتسبة للتشيع، وقد نما الحب وزاد للآل بعدما جرى عليهم من المحن والآلام، بدءًا من مقتل على ثم الحسين... إلخ، هذه الأحداث فجرت عواطف المسلمين، فدخل الحاقدون من هذا الباب، ذلك أن آراء ابن سبأ لم تجد الجو الملائم؛ لتنمو وتنتشر إلا بعد تلك الأحداث... لكن التشيع بمعنى عقيدة النص على علىٍّ رضى الله عنه، والرجعة، والبداء، والغيبة، وعصمة الأئمة... إلخ، فلا شك أنها عقائد ما أنزل الله بها من سلطان، ودخيلة على المسلمين - ترجع أصولها لعناصر مختلفة -، ذلك أنه قد ركب مطية التشيع كل من أراد الكيد للإسلام وأهله، وكل من احتال ليعيش فى ظل عقيدته السابقة باسم الإسلام، من يهودى، ونصرانى، ومجوسى، وغيرهم، فدخل فى التشيع كثير من العقائد الفاسدة، كما سيتبين ذلك عند دراسة أصول عقائدهم. ولهذا ذهب ابن تيمية - رحمه الله - إلى أن المتسبين للتشيع قد أخذوا من مذاهب الفرس، والروم، واليونان، والنصارى، واليهود، وغيرهم أمورًا مزجوها بالتشيع، ويقول: وهذا تصديق لما أخبر به النبى ﷺ، وساق بعض الأحاديث الواردة فى أن هذه الأمة ستركب سُنن من قبلها....، وقال بأن هذا بعينه صار فى المتسبين للتشيع[1].

ثالثًا: المراحل التى مرت بها الشيعة الرافضة

مرت الشيعة الرافضة فى نشأتها بعدة مراحل، حتى أصبحت فرقة مستقلة متميزة بعقيدتها واسمها عن سائر فرق الأمة ويمكن إبراز ذلك من خلال أربع مراحل رئيسية:

١- المرحلة الأولى: دعوة عبد الله بن سبأ إلى ما دعا إليه من الأصول التى انبنت عليها عقيدة الرافضة، كدعوته لعقيدة الرجعة، وإحداثه القول بالوصية لعلى رضى الله عنه، والطعن فى الخلفاء السابقين لعلى فى الخلافة، وقد ساعد ابن سبأ فى ترويج فكره الضال البعيد عن روح الإسلام أمران:

(أ) اختيار ابن سبأ البيئة المناسبة لدعوته، حيث بث دعوته فى بلدان مصر، والعراق، بعد أن أكثر التنقل بين هذه الأمصار، كما مر فى كلام الطبرى[2]، فنشأت هذه الدعوة فى مجتمعات لم تتمكن من فهم الإسلام الفهم الصحيح، وتترسخ أقدامها فى العلم الشرعى والفقه بدين الله تعالى، وذلك لقرب عهدها بالإسلام، فإن تلك الأمصار إنما فتحت فى

(١) منهاج السُّنَّة (٤/ ١٤٧)، أصول الشيعة الإمامية (١/ ١٠٩). (٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٤٧).

عهد عمر رضـي الله عنه، هذا بالإضافة إلى بعدها عن مجتمع الصحـابة فى الحجاز وعدم التفقه والتتلمذ والتربية على أيديهم.

(ب) **إن ابن سبأ مع اختياره لدعوته** تلك المجتمعات، فإنه زيادة فى المكر والخديعة، أحاط دعوته بسـتار من التكتم والسرية، فلم تكن دعـوته موجهـة لكل أحد، وإنما لمن علم أنهم أهل لقبولها من جهلة الناس، وأصحـاب الأغراض الخبيثة، ممن لم يدخلوا فى الإسلام إلا كيدًا لأهله بعد أن قـوضت جيوش الإسلام عروش ملوكهم، ومـزقت ممالكهم، وقد تقدم كلام الطبـرى السابق عن ابن سبأ: فـبث دعاته، وكاتب من كان اسـتفسده فـى الأمصار، وكاتبوه، ودعوا فى السـر إلى ما عليه رأيهم[(١)]، يقول فى سـياق وصفهم: وأوسـعوا فى الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون[(٢)]

٢- **المرحلة الثانية:** إظهار هذا المعتـقد والتصريح به، وذلك بعد مقـتل عثمان رضى الله عنه، وانشغال الصحابة رضوان الله عليهم بإخـماد الفتنة التى حصلت بمقتله، فوجد هؤلاء الضلال متـنفسًا فى تلك الظروف، وقويت تلك العـقائد الفاسدة فى نفـوسهم، إلا أنه مع كل ذلك بقيت هذه العقائد محصورة فى طائفـة مخصوصة، ممن أصلهم ابن سبأ، وليست لهم شوكة ولا كلمة مسموعة عند أحد سوى من ابتلى بمصيبتهم فى مقتل عثمان رضى الله عنه، وشاركـهم فى دمه من الخوارج المارقين، ومما يدل على ذلك مـا نقله الطبرى: وتكلم ابن السوداء فقـال: يا قوم إن عزكم فى خلطة الناس فـصانعوهم[(٣)]. وهذا القول لا يقوله صاحب شوكة ومنعة، ومع هذا فإنه لا ينكر دور هؤلاء السبئـية وقتلة عثمان فى إشعال نار الحرب بين الصـحابة، بل ذلك مقرر عـند أهل التحقيق للـفتنة وأحداثها، يقـول ابن حزم مقررًا ذلك: وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقـتتلوا ولا تحاربوا، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان الإراعـة والتدبير عليهم، فبيـتوا عسكر طلحة والزبير، وبذلوا السيـوف فيهم، فدفع القوم عن أنفسهم[(٤)].

٣- **المرحلة الثالثة:** اشتداد أمرهم وقوتهم واجتماعـهم تحت قيادة واحدة وذلك بعد مقتل الحسين رضى الله عنه للأخذ بثأر الحسين والانتقام له من أعدائه، يقول الطبرى فى حوادث سنة أربع وستين للهجـرة: وفى هذه السنة تحركت الشـيعـة بالكوفة، وأعـدوا الاجتـماع

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٤٧).
(٢) المصدر نفسه (٥/ ٣٤٨).
(٣) المصدر نفسه (٥/ ٥٢٦).
(٤) الفصل فى الملل والأهواء والنحل (٤/ ٢٣٩).

بالنخيلة سنة خمس وستين للمسير لأهل الشام للطلب بدم الحسين بن علي، وتكاتبوا في ذلك[1] وكان مبدأ أمرهم ما ذكره الطبري من رواية عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدي أنه قال: لما قتل الحسين بن علي ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة، فدخل الكوفة، تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندم، ورأت أنها قد أخطأت خطأً كبيرًا بدعائهم الحسين إلى النصرة وتركهم إجابته، وقتله إلى جانبهم دون أن ينصروه، ورأوا أنه لا يغسل عارهم والإثم عنهم في مقتله إلا بقتل من قتله، أو القتل فيه، ففزعوا بالكوفة إلى خمسة نفر من رؤوس الشيعة: إلى سليمان بن صُرد الخزاعي، وكانت له صحبة مع النبي ﷺ، وإلى المسيب بن نجية الفزاري، وكان من أصحاب علي وخيارهم، وإلى عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي، وإلى عبد الله بن وائل التيمي، وإلى رفاعة بن شداد البجلي، ثم إن هؤلاء النفر الخمسة اجتمعوا في منزل سليمان بن صُرد وكانوا من خيار أصحاب علي، ومعهم أناس من الشيعة وخيارهم ووجوههم[2]، وكان هذا الاجتماع عامًّا يشمل كافة الشيعة، وقد اجتمع إلى سليمان بن صرد نحو من سبعة عشر ألفًا، ثم لم تعجب سليمان قلتهم، فأرسل حكيم بن منقذ فنادى في الكوفة، وخرج الناس معهم فكانوا قريبًا من عشرين ألفًا[3]، ثم إنه في هذه الأثناء قدم المختار بن أبي عبيد الثقفي إلى الكوفة فوجد الشيعة قد التفت على سليمان بن صرد وعظموه تعظيمًا زائدًا، وهم معدون للحرب، فلما استقر المختار عندهم بالكوفة دعا إلى إمامة المهدي محمد بن علي بن أبي طالب وهو محمد ابن الحنفية، ولقبه بالمهدي فاتبعه على ذلك كثير من الشيعة، وفارقوا سليمان بن صرد، وصارت الشيعة فرقتين، الجمهور منهم مع سليمان، يريدون الخروج على الناس ليأخذوا بثأر الحسين، وفرقة أخرى مع المختار يريدون الخروج للدعوة إلى إمامة محمد ابن الحنفية، وذلك عن غير أمر ابن الحنفية، وإنما يتقولون عليه ليروجوا على الناس به، وليتوصلوا إلى أغراضهم الفاسدة[4]، فكان هذا بداية اجتماع الشيعة، ثم يذكر المؤرخون خروج سليمان ابن صرد بمن كان معه من الشيعة إلى الشام، فالتقوا مع أهل الشام عند عين تسمى عين الوردة واقتتلوا قتالاً عظيمًا لمدة ثلاثة أيام، يقول ابن كثير: لم ير الشيب والمرد مثله لا يحجز بينهم إلا أوقات الصلوات إلى الليل[5]، ثم انتهى القتال بينهم بقتل سليمان بن صرد رحمه الله وكثير من أصحابه، وهزيمتهم، وعودة من بقي من أصحابه إلى الكوفة[6]، وأما

(1)، (2) تاريخ الطبري (6/ 487، 501).
(3)، (4) البداية والنهاية (8/ 254).
(5) المصدر نفسه (8/ 257).
(6) المصدر نفسه (8/ 256، 257).

المختار بن أبي عبيد الثقفي فلما رجع من بقي من جيش سليمان إلى الكوفة وأخبروه بما كان من أمرهم، وما حل بهم فترحم على سليمان ومن كان قتل معه، وقال: وبعد، فأنا الأمير المأمون قاتل الجبارين والمفسدين، إن شاء الله، فأعدوا واستعدوا وأبشروا[1]، يقول ابن كثير: وقد كان قبل قدومهم أخبر الناس بهلاكهم عن وحيه الذي كان يأتي إليه من الشيطان، فإنه قد كان يأتي شيطان فيوحي إليه قريبًا مما كان يوحي شيطان مسيلمة له[2]، ثم إن المختار بعث الأمر إلى النواحي والبلدان، والرساتيق من أرض العراق وخُراسان وعقد الألوية والرايات... ثم شرع المختار بتتبع قتلة الحسين من شريف ووضيع فيقتله[3].

٤- المرحلة الرابعة: انشقاق الشيعة الرافضة عن الزيدية، وباقي فرق الشيعة، وتميزها بمسماها وعقيدتها، وكان ذلك على وجه التحديد في سنة إحدى وعشرين ومئة عندما خرج زيد بن علي بن الحسين على هشام بن عبد الملك[4]، فأظهر بعض من كان في جيشه من الشيعة الطعن على أبي بكر وعمر فمنعهم من ذلك، وأنكر عليهم فرفضوه، فسموا بالرافضة، وسميت الطائفة الباقية معه بالزيدية[5]، يقول ابن تيمية رحمه الله: إن أول ما عرف لفظ الرافضة في الإسلام، عند خروج زيد بن علي في أوائل المئة الثانية، فسئل عن أبي بكر وعمر رضي الله عنه فتولاهما، فرفضه قوم فسموا رافضة[6]، وقال: ومن زمن خروج زيد افترقت الشيعة إلى رافضة وزيدية، فإنه لما سئل عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما رفضه قوم فقال لهم: رفضتموني، فسموا رافضة لرفضهم إياه، وسمى من لم يرفضه من الشيعة زيديًا لانتسابهم إليه[7]، ومنذ ذلك التاريخ تميزت الرافضة عن باقي فرق الشيعة، فأصبحت فرقة مستقلة باسمها ومعتقدها[8]، والله تعالى أعلم.

هذا وقد تحدث علماء الفرق عن الفرق المنسوبة للشيعة، فذكروا منها: السبئية، والغرابية، والبياتية، والمغيرية، والهاشمية، والخطابية، والعلبائية، والكيسانية، والزيدية الجارودية، والسليمانية، والصالحية، والبترية، وبعض هذه الفرق غالت غلوًا عظيمًا، والبعض الآخر أقل غلوًا، ومن أراد الاستزادة فليراجع مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، والملل والنحل للشهرستاني، والفرق بين الفرق لأبي الظاهر البغدادي، وفرق معاصرة للدكتور غالب بن علي عواجي وهو من أفضل من اطلعت عليه من المعاصرين.

(١) المصدر نفسه (٨/ ٢٥٨).
(٢) المصدر نفسه (٨/ ٢٥٧).
(٣) المصدر نفسه (٨/ ٢٧١).
(٤) تاريخ الطبري (٧/ ١٦٠)، الانتصار للصحب والآل، ص٤٧.
(٥) الانتصار للصحب والآل، ص٤٧.
(٦) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦).
(٧) منهاج السُنة (١/ ٣٥).
(٨) الانتصار للصحب والآل ص٤٨.

المبحث الثالث

من أهم عقائد الشيعة الرافضة «الإمامة»

يعتقد الشيعة الرافضة الاثنا عشرية أن الإمامة ركن عظم من أركان الإسلام، وأصل أصيل من أصول الإيمان، لا يتم إيمان المرء إلا باعتقادها، ولا يقبل منه عمل إلا بتحقيقها، وأول من تحدث عن مفهوم الإمامة بالصورة الموجودة عند الشيعة الرافضة هو ابن سبأ، الذى بدأ يشيع القول بأن الإمامة هى وصاية من النبى ﷺ ومحصورة بالوصى، وإذا تولاها سواه يجب البراءة منه وتكفيره، فقد اعترفت كتب الشيعة بأن ابن سبأ كان أول من أشهر القول بفرض إمامة على، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه، وكفرهم[١]، لأنه كان يهودى الأصل، يرى أن يوشع بن نون وصى موسى، فلما أسلم أظهر هذه المقالة فى على بن أبى طالب[٢]، وهذا ما تعارف عليه شيوخ الشيعة الرافضة، فابن بابويه القمى يسجل عقائد الشيعة فى القرن الرابع ويقول بأنهم يعتقدون بأن لكل نبى وصيًا أوصى إليه بأمر الله تعالى[٣]، ويذكر أن عدد الأوصياء مئة ألف وصى، وأربعة وعشرون ألف وصى[٤]، كما ذكر المجلسى فى أخباره: أن عليًا هو آخر الأوصياء[٥]، وجاء فى بعض عناوين الأبواب فى الكافى باب أن الإمامة عهد من الله عز وجل معهود من واحد إلى واحد[٦]، وباب ما نص الله عز وجل ورسوله على الأئمة واحدًا فواحدًا[٧]، وقد ضمنها مجموعة من أخبارهم التى يعدونها من الأدلة التى لا يرقى إليها الشك.

ولهذا قال شيخهم مقداد الحلى -ت ٨٢١هـ-: بأن مستحق الإمامة عندهم لابد أن يكون شخصًا معهودًا من الله تعالى ورسوله لا أى شخص اتفق[٨]، ويقرر محمد حسين آل كاشف الغطاء أحد مراجع الشيعة الاثنى عشرية فى هذا العصر: أن الإمامة منصب إلهى كالنبوة، فكما أن الله سبحانه يختار ما يشاء من عباده للنبوة والرسالة ويؤيد بالمعجزة التى هى كنص من الله عليه.. فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه، وأن

(١) رجال الكشى ص١٠١، المقالات والفرق للقمى، ص٢٠.
(٢) رجال الكشى ص١٠١، أصول الشيعة (٢/ ٧٩٢).
(٣)، (٤) عقائد الصدوق، ص١٠٦.
(٥) بحار الأنوار (٣٩/ ٣٤٢).
(٦) أصول الكافى (١/ ٢٢٧).
(٧) المصدر السابق (١/ ٢٨٦).
(٨) النافع يوم الحشر، ص٤٧.

ينصبه إمامًا للناس من بعده[1]. فأنت ترى أن مفهوم الإمامة عندهم كمفهوم النبوة، فكما يصطفى الله سبحانه من خلقه أنبياء، يختار سبحانه أئمة، وينص عليهم، ويعلم الخلق بهم، ويقيم بهم الحجة، ويؤيدهم بالمعجزات ، وينزل عليهم الكتب، ويوحى إليهم، ولا يقولون أو يفعلون إلا بأمر الله ووحيه. . . أى أن الإمامة هى النبوة، والإمام هو النبى، والتغيير فى الاسم فقط، ولذلك قال المجلسى: إن استنباط الفرق بين النبى والإمام من تلك الأخبار لا يخلو من إشكال[2]، ثم قال: ولا نعرف جهة لعدم اتصافهم بالنبوة إلا رعاية خاتم الأنبياء، ولا يصل عقولنا فرق بين النبوة والإمامة[3]، هذا قولهم فى مفهوم الإمامة، ويكفى فى نقده أنه لا سند لهم فيه إلا ابن سبأ اليهودى[4].

أولاً: منزلة الإمامة عندهم وحكم من جحدها:

مسألة الإمامة عند أهل السُّنَّة ليست من أصول الدين التى لا يسع المكلف الجهل بها، كما قرره جمع من أهل العلم[5]، ولكنها عند الشيعة الرافضة لها شأن آخر، ففى الكافى روايات تجعل الإمامة أعظم أركان الإسلام، روى الكلينى بسنده عن أبى جعفر قال: بنى الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يناد بشىء كما نودى بالولاية، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذا - يعنى الولاية -[6].

فأنت ترى أنهم أسقطوا الشهادتين من أركان الإسلام، ووضعوا مكانهما الولاية، وعدوها من أعظم الأركان، كما يدل عليه قولهم: ولم يناد بشىء كما نودى بالولاية، وكما يدل عليه حديثهم الآخر، وقد ذكر فيه نص الرواية السابقة وزاد: قلت «الراوى»: وأى شىء من ذلك أفضل؟، فقال: الولاية أفضل[7].

ويقول المجلسى: ولا ريب فى أن الولاية والاعتقاد بإمامة الأئمة عليهم السلام والإذعان لهم من جملة أصول الدين، وأفضل من جميع الأعمال البدنية لأنها مفتاحهن[8].

ويقول المظفر - وهو من علمائهم المعاصرين-: نعتقد أن الإمامة أصل من أصول الدين، ولا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها، ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمربين، مهما

---

(1) أصول الشيعة وأصولها ص58.
(2) بحار الأنوار (26/ 82).
(3) المصدر نفسه (26/ 82).
(4) أصول الشيعة الإمامية (2/ 794).
(5) غاية المرام للآمدى، ص363، الاقتصاد للغزالى، ص134.
(6) أصول الكافى (2/ 18)، رقم 3.
(7) المصدر نفسه (2/ 18).
(8) مرآة العقول (7/ 102).

عظموا، بل يجب النظر فيها، كما يجب النظر فى التوحيد والنبوة[1]، بل وصلت الأخبار إلى أكثر من هذا حينما قالت: عرج النبى ﷺ بالولاية لعلى والأئمة من بعده أكثر مما أوصاه بالفرائض[2].

هذه الروايات الشيعية الرافضية، ومثيلاتها فى كتب الشيعة الروافض كانت كفيلة بأن تجعل الإمامة هى الحكم على إيمان الرجل أو كفره، وأن تجعل المسلم معرضًا للاتهام بالكفر لمجرد اختلافه مع الشيعة الإمامية فى عقيدة الإمامة التى يعتقدونها، ولذا رأينا بعض كبار علماء الشيعة الإمامية السابقين واللاحقين يصرحون بهذه الحقيقة المرة.

يقول ابن بابويه القمى فى رسالته الاعتقادات: واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين على ابن أبى طالب عليه السلام أنه كمن جحد نبوة جميع الأنبياء، واعتقادنا فيمن أقر بأمير المؤمنين وأنكر واحدًا من بعده من الأئمة أنه بمنزلة من أقر بجميع الأنبياء، وأنكر نبوة محمد ﷺ[3].

ويقول يوسف البحرانى فى موسوعته الحدائق الناضرة فى أحكام العترة الطاهرة: وليت شعرى أى فرق بين من كفر بالله سبحانه وتعالى ورسوله، وبين من كفر بالأئمة عليهم السلام مع ثبوت كون الإمامة من أصول الدين[4].

ويقول المجلسى: اعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام وفضل عليهم غيرهم، يدل أنهم مخلدون فى النار[5].

وقال ابن المطهر الحلى: الإمامة لطف عام، والنبوة لطف خاص لإمكان خلو الزمان من نبى حى بخلاف الإمام، وإنكار اللطف العام شر من إنكار اللطف الخاص[6].

فهو يجعل من لم يؤمن بأئمتهم أشد كفرًا من اليهود والنصارى، وقد بنى على ذلك أن الزمن لا يخلو من إمام، وهو إشارة إلى عقيدتهم بالإيمان بوجود إمامهم المنتظر الغائب، والذى أنكره طوائف من الشيعة، وقرر المحققون من علماء النسب والتاريخ أنه لم يولد أصلاً، ولكن شيخ الشيعة الرافضة يرى أن إنكاره أعظم من الكفر[7]، وينقل شيخهم المفيد

(١) عقائد الإمامية ص١٠٢.
(٢) بحار الأنوار (٢٣/ ٦٩).
(٣) الاعتقادات، ص١٠٣، ثم أبصرت الحقيقة، محمد الخضر، ص١٢٧.
(٤) الحدائق الناضرة (١٨/ ١٥٣).
(٥) بحار الأنوار (٢٣/ ٣٩٠).
(٦) الألفين، ص٣، أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٦٧).
(٧) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٦٧).

اتفاقهم على هذا المذهب فى تكفير أمة الإسلام فيقول: اتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض الطاعة، فهو كافر ضال مستحق للخلود فى النار[١]، وبلغ الأمر بشيخهم نعمة الله الجزائرى أن يُعلن انفصال الشيعة عن المسلمين بسبب قضية الإمامة فيقول: لم نجتمع معهم على إله ولا نبى ولا على إمام، وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذى كان محمد ﷺ نبيه، وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبى، بل نقول: إن الرب الذى خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك النبى نبينا[٢].

إن الإمامة صنو النبوة أو أعظم، وهى أصل الدين وقاعدته الأساسية عندهم، لهذا جاء حكم الشيعة الاثنى عشرية على من أنكر إمامة واحد من أئمتهم الاثنى عشر مكملاً لهذا الغلو، حيث حكموا عليه بالكفر والخلود فى النار، وخصصوا باللعن والحكم بالردة جميع فئات المسلمين ما عدا الاثنى عشرية، فتناول تكفيرهم:

١- الصحابة رضوان الله عليهم: كتب الشيعة الرافضة مليئة باللعن والتكفير لمن رضى الله عنهم ورضوا عنه، من المهاجرين والأنصار، وأهل بدر وبيعة الرضوان، وسائر الصحابة أجمعين، ولا تستثنى منهم إلا النزر اليسير الذى لا يبلغ عدد أصابع اليد، وأصبحت هذه المسألة بعد ظهور كتبهم وانتشارها من الأمور التى لا تحجب بالتقية[٣]، كما أن من أهل العلم وأصحاب المقالات من اطلع على هذا الأمر عند الشيعة الإمامية، قال القاضى عبد الجبار: وأما الإمامية فقد ذهبت إلى أن الطريق إلى إمامة الاثنى عشر النص الجلى، الذى يكفر من أنكره، ويجب تكفيره، فكفَّروا لذلك صحابة النبى ﷺ[٤]، وقريب من هذا المعنى قال عبد القاهر البغدادى: وأما الإمامية فقد زعم أكثرهم[٥] أن الصحابة ارتدت بعد النبى ﷺ سوى على وابنيه مقدار ثلاثة عشر منهم[٦]، ويقول ابن تيمية رحمه الله: إن الرافضة تقول: إن المهاجرين والأنصار كتموا النص، فكفروا إلا نفرًا قليلاً... إما بضعة عشر أو أكثر، ثم يقولون: إن أبا بكر وعمر ونحوهما مازالا منافقين، وقد يقولون: بل آمنوا ثم كفروا، وتقول كتب الاثنى عشرية: إن الصحابة بسبب توليتهم لأبى بكر قد ارتدوا إلا

(١) المسائل للمفيد، وقد نقل ذلك عنه المجلسى فى البحار (٨/ ٣٦٦).
(٢) الأنوار النعمانية (٢/ ٢٧٩).
(٣) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٦٨).
(٤) شرح الأصول الخمسة، ص٧٦١.
(٥) نلحظ أن عبد القاهر لا يعمم هذا المذهب على الإمامية كلها.
(٦) الفرق بين الفرق، ص٣٢١.

ثلاثة، وتزيد بعض رواياتهم ثلاثة أو أربعة آخرين إلى إمامة على، ليصبح المجموع سبعة، ولا يزيدون عن ذلك، ولقد تداولت الشيعة أنباء هذا الأسطورة فى المعتمد من كتبها، فسجلوا ذلك فى أول كتاب ظهر لهم وهو كتاب سليم بن قيس(١)، ثم تتابعت كتبهم فى تقرير ذلك وإشاعته وعلى رأسها الكافى أوثق كتبهم الأربعة، ورجال الكشى(٢)، عمدتهم فى كتب الرجال وغيرها من مصادرهم(٣)، وسيأتى الحديث عن موقف الشيعة الرافضة من الصحابة مفصلاً بإذن الله تعالى.

٢- تكفيرهم أهل البيت: إن الروايات التى تحكم بالردة على ذلك المجتمع المثالى الفريد، ولا تستثنى منهم جميعًا إلا سبعة فى أكثر تقديراته، ولا تذكر من ضمن هؤلاء السبعة أحدًا من أهل بيت رسول الله باستثناء بعض روايات عندهم جاء فيها استثناء على فقط، وهى رواية الفضيل بن يسار عن أبى جعفر، قال: صار الناس كلهم أهل جاهلية إلا أربعة: عليًا، والمقداد، وسلمان، وأبا ذر، فقلت: فعمّار؟، فقال: إن كنت تريد الذين لم يدخلهم شيء فهؤلاء الثلاثة(٤). فالحكم بالردة فى هذه النصوص شامل للصحابة، وأهل البيت النبوى من زوجات رسول الله ﷺ وقرابته، مع أن واضعها يزعم التشيع لأهل بيت رسول الله ﷺ، فهل هذا إلا دليل واضح على أن التشيع إنما هو ستار لتنفيذ أغراض خبيثة ضد الإسلام وأهله، وأن واضعى هذه الروايات أعداء للصحابة وللقرابة(٥)، وقد خصت الشيعة الرافضة بالطعن والتكفير جملة من أهل بيت رسول الله ﷺ، كعم النبى العباس، حتى قالوا بأنه نزل فيه قوله سبحانه: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٢]، وكابنه عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن الذى خصصوه باللعن وبأنه سخيف العقل(٦)، كما جاء فى الكافى، وفى رجال الكشى: اللهم العن ابنى فلان واعم أبصارهما، كما عميت قلوبهما، واجعل عمى أبصارهما دليلاً على عمى قلوبهما(٧). وعلق على هذا شيخهم حسن المصطفوى فقال: هما عبد الله بن عباس وعبيد الله بن عباس(٨)، وبنات النبى ﷺ يشملهن سخط الشيعة الاثنى عشرية وحنقهم، فلا يذكرن فيمن استثنى من التكفير، بل ونفى بعضهم أن يكن بنات للنبى ﷺ ما عدا

(١) كتاب سليم بن قيس، ص٧٤ - ٧٥.
(٢) رجال الكشى ص٦، ٧، ٨، ٩، ١١.
(٣) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٧٨٠).
(٤) تفسير العياشى (١/ ١٩٩)، البرهان (١/ ٣١٩)، تفسير الصافى (١/ ٣٨٩)، أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٩١).
(٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٩١).
(٦) أصول الكافى (١/٢٤٧).
(٧) رجال الكشى، ص٥٢.
(٨) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٩٢).

فـاطمـة رضي الله عنهن[١]، فـهل يحب رسـول الله ﷺ من يقـول فـيـه وفي بناته هذا القول[٢]؟، وقد نص صاحب الكافي في رواياته على أن كل من لم يؤمن بالاثنى عشر فهو كافر، وإن كان علويًا فاطميًا[٣]، وهذا يشمل في الحقيقة التكفير لجيل الصحابة ومن بعدهم بما فيـه الآل والأصحاب؛ لأنهم لـم يعرفوا فكرة الاثنى عـشر التي لم توجـد إلا بعد سنة ٢٦٠هـ، كما باؤوا بتكفير أمهات المؤمنين أزواج رسول الله ﷺ، إذ لم يستثنوا واحدة منهن في نصوصهم، ولكنهم يخـصون منهم عائشة[٤] وحفصـة رضى الله عنهما، بالذم واللعن والتكفير[٥]، وقد عقد شيـخهم المجلسي بابًا بعنوان «باب أحوال عائشة وحفـصة» ذكر فيه ١٧ رواية[٦]، وأحال في بقية الروايات إلى أبواب أخرى[٧]، وقد آذوا فيها رسول الله ﷺ في أهل بيته أبلغ الإيذاء، حتى اتهموا في أخـبارهم من برأها الله من فوق سبع سماوات، عائشة بنت الصديق بالفاحشة، فقد جاء في أصل أصول التفاسير عندهم، تفسير القمي[٨] قذف شنيع متضـمن تكذيب القرآن العظيم، قال ابن كثير - رحمه الله - فـي تفسير سورة النور: أجمع أهل العلم - رحمـهم الله - قاطبة على أن من سبها ورمـاها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في الآية، فإنه كافـر؛ لأنه معاند للقرآن[٩]، وقال القرطبي: فكل من سبها مما برأها الله منه مكذب لله، ومن كذب الله فهو كافر[١٠].

٣- تكفيرهم خلفاء المسلمين وحكوماتهم: في دين الشيعة الرافضة الإمامية أن كل حكومة غير حكـومة الإمامية الرافـضية باطلة، وصاحـبها ظالم طاغوت يعـبد من دون الله، ومن يبايعه فإنما يعبد غير الله، وقد أثبت الكليني هذا المعنى في عدة أبواب مثل: باب من ادعى الإمامـة وليس لها بأهل ومن جـحد الأئمـة أو بعضهـم، ومن أثبت الإمامة لمن لـيس لها بأهل، وذكر فيه اثنى عشـر حديثًا عن أئمتهم[١١]، وباب فيمن دان لله عز وجل بغير إمام من الله جل جلاله، وفيه خـمسة أحاديث[١٢]، وكل خلفاء المسلمين ما عـدا عليًا والحسن طواغـيت - حسب اعـتقـادهم - وإن كـانوا يدعون إلى الحق، ويُـحسنون لأهل البـيت،

(١) كشف الغطاء لجعفر النجفي، ص٥، أصول الشيعة (٢/ ٨٩٢).
(٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٩٢).
(٣) أصول الكافي (١/ ٣٧٢، ٣٧٤).
(٤) أصول الكافي (١/ ٣٠٠)، رجال الكشي ص٥٧ - ٦٠.
(٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٩٣).
(٦) بحار الأنوار (٢٢/ ٢٢٧، ٢٤٧).
(٧) بحار الأنوار (٢٢/ ٢٤٥).
(٨) تفسير القمي (٢/ ٣٧٧).
(٩) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٩ - ٢٩٠)، الصارم المسلول ص٥١.
(١٠) تفسير القرطبي (١٢/ ٢٠٦).
(١١) الكافي (١/ ٣٧٢، ٣٧٤).
(١٢) المصدر السابق (١/ ٣٧٤، ٣٧٦).

ويُقيمون دين الله، ذلك أنهم يقولون: كل راية ترفع قبل راية القائم[1] صاحبها طاغوت[2]، قال شارح الكافي: وإن كان رافعها يدعو إلى الحق[3]، وحكم المجلسي على هذه الرواية بالصحة[4]، حسب مقاييسهم[5]

٤- **الحكم على الأمصار الإسلامية بأنها دار كفر:** جاء في أخبارهم تخصيص كثير من بلاد المسلمين بالسب، وتكفير أهلها على وجه التعيين، ويخصون منها غالبًا ما كان أكثر التزامًا بالإسلام واتباعًا للسنَّة، فقد صرحوا بكفر أهالي مكة والمدينة في القرون المفضلة، ففي عصر جعفر الصادق كانوا يقولون عن أهل مكة والمدينة: أهل الشام شر من أهل الروم «يعني شر من النصارى»، وأهل المدينة شر من أهل مكة، وأهل مكة يكفرون بالله جهرة[6]، وقالوا: إن أهل مكة ليكفرون بالله جهرة، وإن أهل المدينة أخبث من أهل مكة، أخبث منهم سبعين ضعفًا[7]، ومن المعلوم أن أهل المدينة كانوا - ولا سيما في القرون المفضلة - يتأسون بأثر رسول الله ﷺ أكثر من سائر الأمصار، وقد ظل أهل المدينة متمسكين بمذهبهم المالكي منتسبين إليه إلى أوائل المئة السادسة أو قبل ذلك أو بعد ذلك، فإنه قدم إليهم من رافضة المشرق من أفسد مذهب كثير منهم[8]، وقالوا أيضًا عن مصر وأهلها: أبناء مصر لعنوا على لسان داوود عليه السلام، فجعل الله منهم القردة والخنازير[9]، وما غضب الله على بني إسرائيل إلا أدخلهم مصر، ولا رضي عنهم إلا أخرجهم منها إلى غيرها[10]، وقالوا: بئس البلاد مصر، أما إنها سجن من سخط الله عليه من بني إسرائيل[11]، وقالوا: انتحوا مصر ولا تطلبوا المكث فيها لأنه يورث الدياثة[12] وجاءت عندهم عدة روايات في ذم مصر، وهجاء أهلها، والتحذير من سكناها، ونسبوا هذه الروايات إلى رسول الله ﷺ، وإلى محمد الباقر، وإلى علي الباقر، وهذا رأي

(١) هو: المهدي المنتظر (في زعمهم).

(٢) الكافي: بشرحه للمازندراني (١٢/ ٣٧١)، بحار الأنوار (١٢٥/ ١١٣)، أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٩٦).

(٣) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٩٦).

(٤) مرآة العقول (٤/ ٣٧٨).

(٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٩٦).

(٦) أصول الكافي (٢/ ٩ ٤).

(٧) المصدر السابق (٢/ ٤١).

(٨) الفتاوى (٢/ ٢٩٩، ٣).

(٩) بحار الأنوار (٦٠/ ٢٠٨)، تفسير القمي ص٥٩٦.

(١) تفسير العياشي (١/ ٣٠٤)، البرهان (١/ ٤٥٦).

(١١) تفسير العياشي (١/ ٥ ٣)، البرهان (١/ ٤٥٧).

(١٢) بحار الأنوار (٦٠/ ٢١١)، أصول الشيعة (٢/ ٩٠).

الروافض في مصر في تلك العصور الإسلامية الزاهرة. وقد عقب المجلسي على هذه النصوص بقوله بأن مصر صارت من شر البلاد في تلك الأزمنة، لأن أهلها صاروا من أشقى الناس وأكفرهم[1]. ولا يبعد أن هذه النصوص هي تعبير عن حقد الرافضة وغيظهم على مصر وأهلها، بسبب سقوط دولة إخوانهم الإسماعيليين العبيديين على يد صلاح الدين، الذي طهر أرض الكنانة من دنسهم ورجسهم، وأين هذه الكلمات المظلمة في مصر وأهلها من الباب الذي عقده مسلم في صحيحه «باب وصية النبي بأهل مصر»[2]، وجاء عندهم ذم كثير من بلدان الإسلام وأهلها[3]، ولم يستثن من ديار المسلمين إلا من يقول بمذهبهم، وهي قليلة في تلك الأزمان، حتى جاء عنهم: إن الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار، فلم يقبلها إلا أهل الكوفة[4].

٥- قضاة المسلمين: تُعد أخبارهم قضاة المسلمين طواغيت لارتباطهم بالإمامة الباطلة بزعمهم، فقد جاء في الكافي عن عمر بن حنظلة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام، عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث، فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاء أيحل ذلك؟، قال: من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنما يأخذ سحتًا، وإن كان حقًا ثابتًا له، لأنه أخذ بحكم الطاغوت، وقد أمر الله أن يكفر به[5]، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠]، وهذه الرواية تحكم على القضاء والقضاة في عصر جعفر الصادق، كما يظهر من إسنادهم للرواية إلى جعفر، فإذا كان هذا نظرهم في قضاة المسلمين في القرون المفضلة، فما بالك فيمن بعدهم[6]؟.

٦- أئمة المسلمين وعلماؤهم: حذروا من التلقي عن الشيوخ المسلمين وعلمائهم وعدّوهم كملل أهل الشرك، عن هارون بن خارجة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنا نأتي هؤلاء المخالفين[7]، فنسمع منهم الحديث يكون حجة لنا عليهم؟ قال: لا تأتهم ولا تسمع

---

(١) بحار الأنوار (٥/٢٠٨).
(٢) مسلم (٢/ ١٩٧٠).
(٣)، (٤) بحار الأنوار (٦٠/ ٢٠٦)، أصول الشيعة (٢/ ٩٠١).
(٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٠٢)، أصول الكافي (١/ ٦٧).
(٦) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٠١).
(٧) هذا اللقب يطلق على أهل السُّنة، وقد يتناول كل مخالف.

منهم، لعنهم الله ولعن مللهم المشركة[1]، وجاء في الكافي عن سدير عن أبي جعفر قال: ... يا سدير فأريك الصادين عن دين الله، ثم نظر إلى أبي حنيفة وسفيان الثوري في ذلك الزمان وهم حلق في المسجد، فقال: هؤلاء الصادون عن دين الله بلا هدى من الله ولا كتاب مبين، إن هؤلاء الأخباث لو جلسوا في بيوتهم فجال الناس، فلم يجدوا أحدًا يخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله ﷺ حتى يأتونا فنخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله ﷺ[2].

وقد بيَّن ابن تيمية - رحمه الله - موقفهم من سلف الأمة وأئمتها والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكفروا جماهير أمة محمد ﷺ من المتقدمين والمتأخرين؛ فيكفرون كل من اعتقد في أبي بكر وعمر والمهاجرين والأنصار العدالة، أو ترضى عنهم كما رضي الله عنهم، أو يستغفر لهم كما أمر الله بالاستغفار لهم، ولهذا يكفرون أعلام الملة، مثل سعيد بن المسيب، وأبي مسلم الخولاني، وأويس القرني، وعطاء بن أبي رباح، وإبراهيم النخعي، ومثل مالك، والأوزاعي، وأبي حنيفة، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، والثوري، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وفضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، والجنيد بن محمد، وسهل بن عبد الله التستري، وغير هؤلاء، ويرون أن كفرهم أغلظ من كفر اليهود والنصارى، لأن أولئك عندهم كفار أصليون، وهؤلاء مرتدون، وكفر الردة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي إلى أن قال: وأكثر محققيهم - عندهم - يرون أبا بكر وعمر وأكثر المهاجرين والأنصار، وأزواج النبي ﷺ مثل عائشة، وحفصة، وسائر أئمة المسلمين وعامتهم ما آمنوا بالله طرفة عين قط، لأن الإيمان الذي يتعقبه الكفر عندهم يكون باطلاً من أصله، ومنهم من يرى أن فرج النبي ﷺ الذي جامع به عائشة وحفصة لابد أن تمسه النار ليطهر بذلك من وطء الكوافر على زعمهم، لأن وطء الكوافر حرام عندهم[3].

هذا التكفير العام الشامل الذي لم ينج منه أحد، هل يحتاج إلى نقد؟، إن بطلانه أوضح من أن يبين، وكذبه أجلى من أن يكشف، وتكفير الأمة امتداد لتكفير الصحابة، والسبب واحد لا يختلف، ومن الطَّبَعي أن من يحقد على صحابة رسول الله ويسبهم ويكفِّرهم يحقد على الأمة جميعًا ويكفرها، كما قال بعض السلف: لا يغل قلب أحد على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا كان ما في قلبه على المسلمين أغل[4].

---

(١) بحار الأنوار (٢/ ٢١٦)، أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٠٥).

(٢) أصول الكافي (١/ ٣٩٢، ٣٩٣)، أصول الشيعة (٢/ ٩٠٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٦١، ٢٦٢).

(٤) الإبانة لابن بطة، ص ٤١ .

فإذا لم يرض عن أبي بكر وعمر وعثمان، وأهل بدر وبيعة الرضوان، والمهاجرين والأنصار، وهم في الذروة في الفضل والإحسان، فهل يرضى بعد ذلك عن أحد بعدهم؟، ومبنى هذا الموقف هو دعوى الروافض أن الصحابة رضوان الله عليهم أنكروا النص، وسيأتي بيان بطلان النص بالنقل والعقل وبالأمور المتواترة المعلومة - بإذن الله - وما بنى على الباطل فهو باطل.

ولقد كان حكمهم بردة جيل الصحابة من الظواهر الواضحة على بطلان مذهب الشيعة الرافضة من أساسه(١)، ولذلك قال أحمد الكسروى الإيرانى والشيعى الأصل: وأما ما قالوا من ارتداد المسلمين بعد موت النبى ﷺ فاجتراء منهم على الكذب والبهتان، فلقائل أن يقول: كيف ارتدوا وهم كانوا أصحاب النبى ﷺ آمنوا به حين كذبه الآخرون، ودافعوا عنه واحتملوا الأذى فى خلافة أبى بكر ليرتدوا عن دينهم لأجله؟ فأى الأمرين أسهل احتمالاً: أكذب رجلاً أو رجلين من ذوى الأغراض الفاسدة، أو ارتداد بضع مئات من خُلص المسلمين؟ فأجيبونا إن كان لكم جواب(٢).

إن القرآن الكريم بينَّ فيه رب العزة أصول العقائد وحقائقها وهو التبيان لكل شىء، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، ويقول واصفًا كتابه بأنه لم يفرط فى قضية يقوم عليها الدين بقوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، فإن كان الأمر كذلك فإن المرء ليتساءل عن سند هذه العقيدة، فكتاب الإسلام العظيم «القرآن الكريم» يذكر فيه مرات الصلاة والصيام، والزكاة والحج، ولا ذكر فيه لشأن الأئمة الاثنى عشرية أو الإمامة من بعد الرسول رغم كون الإمامة - كما تقول النظرية الشيعية الرافضية - أعظم أركان الدين!!، أو ليس من العجيب أن يذكر القرآن تفاصيل طريقة الوضوء، ويُصنّف أنواع المحرمات من الطعام والشراب، ويتحدث عن الجهاد تارةً وعن السلم تارةً أخرى، ويناقش القضايا الأخلاقية ثم يتجاهل إمامة الاثنى عشر التى يصفها آل كاشف الغطاء بأنها «منصب إلهى كالنبوة». إن هذه النصوص القرآنية قد شهدت بكل وضوح بأن القرآن الكريم لم يفرط فى قضية يحتاج إليها البشر، فكيف يفرط فى قضية الإمامة النصية التى تذكرها الشيعة الإمامية، ثم يتركها لعلمائهم لكى يصيغوها ويحددوا معالمها، مع كون النص على الأئمة من الله لا منهم(٣).

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩١٦). (٢) التشيع والشيعة، ص ٦٦، أصول الشيعة (٢/ ٩١٦).
(٣) ثم أبصرت الحقيقة، محمد سالم، ص ١٣٠

ثانيًا: العصمة عند الشيعة الرافضة:

إن عصمة الإمام عند الشيعة الرافضة الإمامية شرط من شروط الإمامة، وهى من المبادئ الأولية فى كيانها العقدى ولها أهمية كبرى عندهم، ونتيجة لما أضفاه الشيعة على الأئمة من صفات وقدرات ومواهب علمية غير محدودة، ذهبوا إلى أن الإمام ليس مسؤولاً أمام أحد من الناس ولا مجال للخطأ فى أفعاله مهما أتى من أفعال، بل يجب تصديقه والإيمان بأن كل ما يفعله من خير لا شر فيه لأن عنده من العلم ما لا قِبل لأحد بمعرفته، ومن هنا قرر الشيعة للإمام ضمن ما قرروا العصمة، فذهبوا إلى أن الأئمة معصومون فى كل حياتهم لا يرتكبون صغيرة ولا كبيرة ولا تصدر عنهم أية معصية، ولا يجوز عليهم خطأ ولا نسيان[1]، وقد نقل الإجماع على ذلك شيخهم المفيد، فقال: إن الأئمة القائمين مقام الأنبياء فى تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود وحفظ الشرائع وتأديب الأنام معصومون كعصمة الأنبياء، وإنهم لا يجوز منهم كبيرة ولا صغيرة، وإنه لا يجوز منهم سهو فى شىء من الدين ولا ينسون شيئاً من الأحكام، وعلى هذا مذهب سائر الإمامية إلا من شذ منهم، وتعلق بظواهر روايات لها تأويلات على خلاف ظنه الفاسد من هذا الباب[2]، **وقال ابن المطهر الحلى**: ذهبت الإمامية والإسماعيلية إلى أن الإمام يجب أن يكون معصومًا وخالف فيه جميع الفرق[3].

وقد نص على ذلك المجلسى بقوله: اعلم أن الإمامية رضى الله عنهم اتفقوا على عصمة الأئمة عليهم السلام من الذنوب صغيرها وكبيرها، فلا يقع منهم ذنب أصلاً لا عمدًا ولا نسياناً ولا لخطأ فى التأويل، ولا للإسهاء من الله سبحانه[4].

وروى الصدوق بسنده إلى ابن عباس - كذبًا وزورًا - أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا وعلى والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين معصومون»[5]، وقال أيضًا فى تقرير ذلك: اعتقادنا فى الأنبياء والرسل والأئمة أنهم معصومون مطهرون من كل دنس، وأنهم لا يذنبون لا صغيرًا ولا كبيرًا، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ومن نفى عنهم العصمة فى شىء من أحوالهم فقد جهلهم، ومن جهلهم فهو كافر[6].

(١) دراسات عن الفرق ، د. أحمد جلى، ص٢٠٣، مسألة التقريب (١/ ٣٢٢).
(٢) أوائل المقالات للمفيد، ص٣٥.
(٣) كشف المراد فى شرح تجريد الاعتقاد، ص٩٠.
(٤) بحار الأنوار (٩/ ٢٠٥).
(٥) إكمال الدين للصدوق، ص٤٧٤.
(٦) نقل ذلك عن الزنجانى فى عقائد الإمامية الاثنى عشرية (٢/ ١٥٧).

ولم تكن هذه العقيدة مقصورة على سلف الرافضة، بل شاركهم المعاصرون في ذلك، وفي ذلك يقول محمد رضا المظفر: ونعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصومًا من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن من سن الطفولة إلى الموت عمدًا وسهوًا، كما يجب أن يكون معصومًا من السهو والخطأ والنسيان[1]، وقد نص على ذلك الزنجاني في عقائد الإمامية[2]، كما نص عليه أيضًا على البحراني في منار الهدى[3]، والسيد مرتضى العسكري في معالم المدرستين[4]، إلا أن هناك آثارًا في المذهب الشيعي الإمامي تخالف ما ذهبوا إليه، ولذلك احتار المجلسي وهو يرى النصوص تخالف إجماع أصحابه، فقال: المسألة في غاية الإشكال، لدلالة كثير من الأخبار والآيات عن صدور السهو عنهم، وإطباق الأصحاب إلا من شذ منهم على عدم الجواز[5]. وهذا اعتراف من المجلسي بأن إجماع الشيعة المتأخرين على عصمة الأئمة بإطلاق يخالف رواياتهم، وهذا دليل واقعي واعتراف صريح في أنهم يجتمعون على ضلالة، وعلى غير دليل حتى من كتبهم[6].

ويبدو أن فكرة العصمة قد مرت بأطوار مختلفة، أو أن الشيعة قد اختلفت عقائدهم في تحديدها - في أول الأمر - فمثلاً في عصر أبي جعفر بن بابويه القمي ت ٣٨١هـ - وشيخه محمد بن الحسن القمي، كان رأي جمهور الشيعة أن أول درجة في الغلو هي نفي السهو عن النبي ﷺ[7]، فكانوا يعدون من ينفي السهو عن النبي ﷺ من الشيعة الغلاة. ولكن بعد ذلك تبدلت الحال وأصبح نفي السهو والنسيان عن الأئمة هو خروج بهم إلى منزلة من لا تأخذه سنة ولا نوم، وقد كانت العصمة بهذه الصورة الغالية من نفي السهو والنسيان عن الأئمة معتقد فئة شيعية مجهولة في الكوفة، ففي البحار للمجلسي: أنه قيل للرضا - إمام الشيعة الثامن-: إن في الكوفة قومًا يزعمون أن النبي ﷺ لم يقع عليه السهو في صلاته فقال: كذبوا لعنهم الله، إن الذي لا يسهو هو الله لا إله إلا هو[8]. فهذا يدل على أن عقيدة نفي السهو كانت معتقد قوم غير معينين لشذوذهم في هذا الاعتقاد، وأنهم كانوا ينفون السهو عن النبي ﷺ الذي هو أفضل الأئمة ولم يقولوا بذلك للأئمة، ثم تطور هذا الاعتقاد ليشمل أئمة الشيعة الاثنى عشر وليعم طائفة الشيعة الإمامية كلها، فهذا شيخ الشيعة المعاصر وآيتها العظمى عبد الله الممقاني يؤكد أن نفي السهو عن الأئمة أصبح من

(١) عقائد الإمامية، ص١٠٤.
(٢) العقيدة في أهل البيت، ص٣٧١.
(٣) منار الهدى، ص١٠٢.
(٤) معالم المدرستين، ص١٥٩.
(٥) البحار (٢٥/ ٣٥١).
(٦) مسألة التقريب (١/ ٣٣٠).
(٧) شرح عقائد الصدوق للمفيد، ص١٦٠، ١٦١.
(٨) البحار (٢٥/ ٣٥٠).

ضرورات المذهب الشيعي[1]، وهو لا ينكر أن شيوخهم السابقين كانوا يعدون ذلك غلوًا، لكنه يقول: إن ما يُعد غلوًا في الماضي أصبح اليوم من ضرورات المذهب الشيعي[2]، وإذا كانت دعوى عصمة الأئمة تعني مضاهاتهم للرسول فإن نفي السهو عنهم تأليه لهم كما أشار إلى ذلك إمام الشيعة الثامن علي الرضا، ولذا قرر ابن بابويه القمي وغيره أن هذا الاعتقاد هو الفيصل بين الغلاة وغيرهم[3]، وإذا كان شيخهم المعاصر المقاني يرى أن نفي السهو عن الأئمة من ضرورات المذهب الشيعي ومنكر الضروري كافر عندهم كما يؤكده شيخهم المعاصر محسن الأمين[4]، فمعنى هذا أن متأخريهم يكفرون متقدميهم، ومتقدميهم يكفرون متأخريهم، وإذا كان الممقاني يرى أن نفي السهو عن الأئمة من ضرورات المذهب الشيعي، وبعضهم ينقل الإجماع على ذلك[5]، فإننا نجد في بعض الكتابات الموجهة لديار السُّنَّة[6]. القول بأن الاعتقاد بأن الأئمة يسهون هو مذهب جميع الشيعة[7]، وهكذا يكفر بعضهم بعضًا، ويناقض بعضهم بعضًا، وكل يزعم أن ما يقوله هو مذهب الشيعة[8]، وقد كان معتقد العصمة من أسباب نشوء عقيدة البداء والتقية - كما سيأتي بيانه بإذن الله تعالى - وذلك أن واقع الأئمة لا يتفق بحال ودعوى عصمتهم، فإذا حصل اختلاف وتناقض في أقوالهم قالوا هذا بداء أو تقية كما اعترف بهذا بعض الشيعة[9].

إن من أخطر الآثار العلمية لدعوى العصمة اعتبارهم أن ما يصدر عن أئمتهم الاثني عشر هو كقول الله ورسوله، ولذلك فإن مصادرهم في الحديث تنتهي معظم أسانيدها إلى أحد الأئمة ولا تصل إلى رسول الله ﷺ، والشيعة زعمت لأئمتها عصمة لم تتحقق لأنبياء الله ورسله، كما يدل على ذلك صريح القرآن والسُّنَّة والإجماع[10].

١- **استدلالهم على عصمة أئمتهم من القرآن الكريم:** رغم أن كتاب الله سبحانه وتعالى ليس فيه ذكر للاثني عشر أصلاً - كما مر - فضلاً عن عصمتهم، إلا أن الاثني عشرية تتعلق بالقرآن لتقرير العصمة، ويتفق شيوخهم على الاستدلال بقوله سبحانه: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي**

(١) تنقيح المقال (٣/ ٢٤٠).
(٢) المصدر نفسه (٣/ ٢٤٠)، مسألة التقريب (٢/ ٩٧).
(٣) مسألة التقريب (٢/ ٩٨).
(٤) كشف الارتياب المقدمة الثانية ومهذب الأحكام (١/ ٣٨٨، ٣٩٣).
(٥) صراط الحق (٣/ ١٢١)، مسألة التقريب (٢/ ٩٨).
(٦) مسألة التقريب (٢/ ٩٨).
(٧) الشيعة في الميزان، محمد جواد ص ٢٧٢ - ٢٧٣.
(٨) مسألة التقريب (٢/ ٩٨).
(٩) مسألة التقريب (١/ ٣٢٩).
(١٠) المصدر نفسه (١/ ٣٢٤)

﴿الظَّالِمِينَ﴾[البقرة: ١٢٤]، وبهذه الآية صدر المجلسي بابه الذي عقده في بحاره بشأن العصمة بعنوان: باب. لزوم عصمة الإمام[١] وجملة من شيوخ الشيعة المعاصرين يجعلون هذه الآية أصل استدلالهم من القرآن ولا يستدلون بسواها مثل محسن الأمين[٢]، ومحمد حسين آل كاشف الغطاء، والذي يقول بأن هذه الآية صريحة في لزوم العصمة[٣]، ويتولى صاحب مجمع البيان سياق وجهة استدلال أصحابه بهذه الآية على مرادهم فيقول: استدل أصحابنا بهذه الآية على أن الإمام لا يكون إلا معصومًا من القبائح؛ لأن الله - سبحانه - نص ألا ينال عهده الذي هو الإمامة ظالم[٤]، ومن ليس بمعصوم فقد يكون ظالمًا إما لنفسه وإما لغيره، فإن قيل إنما نفى أن ينال ظالم في حالة ظلمه، فإذا تاب فلا يسمى ظالمًا فيصح أن يناله، والجواب: أن الظالم وإن تاب فلا يخرج من أن تكون الآية قد تناولته في حال كونه ظالمًا، فإذا نفى أن يناله فقد حكم عليه بأنه لا ينالها، والآية مطلقة غير مقيدة بوقت دون وقت، فيجب أن تكون محمولة على الأوقات كلها، فلا ينالها الظالم، وإن تاب فيما بعد[٥]

نقد استدلالهم:

(أ) اختلف السلف في معنى العهد على أقوال: قال ابن عباس والسدي: إنه النبوة، قال: ﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ أي نبوتي، وقال مجاهد: الإمامة، أي لا أجعل إمامًا ظالمًا يقتدى به، وقال قتادة وإبراهيم النخعي وعطاء والحسن وعكرمة: لا ينال عهد الله في الآخرة الظالمين، فأما في الدنيا فقد ناله الظالم، فأمن به وأكل وعاش. قال الزجاج: وهذا قول حسن، أي لا ينال أماني الظالمين، أي: لا أؤمنهم من عذابي، والمراد بالظالم: المشرك. وقال الربيع بن أنس والضحاك: عهد الله الذي إلى عباده: دينه، يقول: لا ينال دينه الظالمين، ألا ترى أنه قال: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾[الصافات: ١١٣]، يقول: ليس كل ذريتك يا إبراهيم على الحق.

وروى ابن عباس - أيضًا -: ﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ قال: ليس للظالمين عهد، وإن عاهدته فانقضه[٦]، فالآية كما ترى، اختلف السلف في تأويلها، فهي ليست في مسألة

(١) بحار الأنوار (٢٥/ ١٩١). (٢) أعيان الشيعة (١/ ٣٢٤).

(٣) أصل الشيعة، ص٥٩.

(٤) اختلف السلف في معنى العهد كما سيأتي، ولكن الروافض يأخذون بما يوافق هواهم ويقطعون به بلا دليل.

(٥) مجمع البيان للطبرسي (١/ ١ ٢)، التبيان للطوسي (١/ ٤٤٩).

(٦) المحرر الوجيز، لابن عطية (١/ ٢٥٠)، أصول الشيعة (٢/ ٩٥٣).

الإمامـة أصلاً فى قول أكـثرهم، والذين فسـروها بالإمامة قـصدوا إمامـة العلم والصلاح والاقتداء، لا الإمامة بمفهوم الرافضة(١).

(ب) لو كانت الآية فى الإمامة فهـى لا تدل على عصمة بحال: إذ لا يمكن أن يقال بأن غير الظالم مـعصوم لا يخطئ ولا يـنسى ولا يسهو. . . إلـخ، كما هو مـفهـوم العصـمة عند الشيـعة، إذ يكون قياس مـذهبهم من سهـا فهو ظالم ومن أخطأ فـهو ظالم. . . وهذا لا يوافقـهم عليه أحد ولا يتـفق مع أصول الإسلام، فبين إثبـات العصمـة، ونفى الظلم فرق كبير؛ لأن نفى الظلم إثبات للعدل لا للعصمة الشيعية(٢).

(جـ) لا يسلم لهم أن من ارتـكب ظلمًا ثم تـاب منه لحقـه وصف الظلم ولازمـه: ولا تجدى التـوبة فى رفعـه، فإن أعظم الظلم الشـرك، قال تعـالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ**﴾[الأنعـام: ٨٢]، ثم فسـر الظلم بقـوله: ﴿**لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان: ١٣]، ومع هذا قال جل شأنه فى الكفار: ﴿**قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ**﴾[الأنفـال: ٣٨]، لكن قيـاس قول هؤلاء أن من أشـرك ولو لحظة، أو ارتكب معصية ولو صغيرة فهو ظالم لا ينفك عنه وصف الظلم، ومؤدى هذا أن المشرك ولو أسلم فهو مشرك لأن الظلم هو الشرك(٣)، فصاروا بهذا أشد من الخوارج الوعيدية، لأن الخوارج لا يثبتـون الوعيد لصاحب الكبـيرة إلا فى حال عدم توبته، ومن المعلـوم فى بداهة العقول فضـلاً عن الشرع والعرف والـلغة «أن من كفـر أو ظلم ثم تاب وأصلح لا يصح أن يطلق عليه أنه كافر أو ظالم. . .» وإلا جاز أن يقال: صبى لشيخ، ونائم لمستيقظ، وغنى لفقير، وجائع لشبعان، وحى لميت، وبالعكس، وأيضًا لو اطرد ذلك يلزم من حلف لا يسلم على كافر فسلم على إنسان مؤمن فى الحـال إلا أنه كان كافرًا قبل سنين متطاولة أن يحنث، ولا قائل به(٤).

ومن المعروف أنه قد يكون التـائب من الظلم خيرًا ممن لم يقع فيه، ومن اعـتقد أن كل من لم يكفر ولم يقـتل ولم يذنب أفضل من كل من آمن بعـد كفره واهتدى بعـد ضلاله، وتاب بعـد ذنوبه، فـهو مـخـالف لما علم بالاضطرار من دين الإسـلام، فـمن المعلوم أن

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٥٣). (٢) المصدر نفسه (٢/ ٩٥٣).

(٣) هم يعنون بالظلم الشرك؛ لأن مرادهم إبطال خلافة أبى بكر وعمر؛ لأنـهما قد أسلما بعد شرك، والشرك لم ينفك عنهما بعد إيمانهما فى زعمهم، ولذلك قال الكلينى: هذه الآية أبطلت إمامة كل ظالم، أصول الكافى (١/ ١٩٩).

(٤) روح المعانى للألوسى (١/ ٣٧٧).

السابقين أفضل من أولادهم، وهل يشبه أبناء المهاجرين والأنصار بآبائهم عاقل[1]. كما أن استدلالهم هذا يؤدى إلى أن جميع المسلمين، وكذلك الشيعة وأهل البيت - إلا من تعتقد الشيعة عصمتهم - جميعهم ظلمة لأنهم غير معصومين، وقد قال شيخهم الطوسى بأن الظلم اسم ذم، فلا يجوز أن يطلق إلا على مستحق اللعن لقوله تعالى: ﴿أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

(د) ما قرره أحد علماء الشيعة الزيدية فى نقض استدلال الاثنى عشرية بهذه الآية: حيث قال: احتج الرافضة بالآية على أن الإمامة لا يستحقها من ظلم مرة، ورام الطعن فى إمامة أبى بكر وعمر، وهذا لا يصح لأن العهد إن حمل على النبوة فلا حجة، وإن حمل على الإمامة فمن تاب من الظلم فلا يوصف بأنه ظالم، ولم يمنعه - تعالى - من نيل العهد إلا حال كونه ظالمًا[2].

٢- آية التطهير وحديث الكساء: آية التطهير هى قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وهى كما هو معلوم جزء من قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٢، ٣٣].

وقد تعمد علماء الشيعة الاثنى عشرية اقتطاع آية التطهير من السياق القرآنى الذى جاءت فيه والذى خاطب الله به نساء النبى ﷺ إغفالاً لنساء النبى ﷺ من الخطاب، ثم ضموا إلى ذلك حديث الكساء الذى رواه مسلم فى صحيحه عن أم المؤمنين عائشة[3]، قالت: خرج النبى ﷺ غداةً وعليه مرط[4] مرحل[5] من شعر أسود فجاء الحسن بن على، فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علىّ فأدخله ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وحديث أم المؤمنين أم سلمة رضى

---

(١) منهاج السنّة (١/ ٣٠٢، ٣٠٣).

(٢) الثمرات اليانعة، يوسف بن أحمد الزيدى، مخطوطة نقلاً عن أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٥٥).

(٣) عائشة التى يدعون أنها تبغض على هى التى تروى هذا الفضل لعلى وفاطمة.

(٤) مرط: يعنى كساء. (٥) مرحل: وهو الموشى المنقوش عليه صور رحال الإبل.

الله عنهـا لما نزلت هذه الآية على النبى ﷺ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبى الله؟، قال: «أنت على مكانك، وأنت على خير»[1]، لتثبيت المعنى الذى يريدونه من الاستدلال بهـذه الآية الكريمة[2]، ويرى علماء الشيعة الاثنى عشرية أن فى آية التطهير دلالة على عصمة أصحاب الكساء على وفاطمة والحسن والحسين، من الخطايا والذنوب؛ صغيرها وكبيرها، بل ومن الخطأ والسهو البشرى[3].

نقد لاستدلالهم من وجوه:

(أ) حديث أم سلمة المذكور آنفًا قد ورد بعدة صيغ: فروى عن أم سلمة أنها قالت رضى الله عنها: كان النبى ﷺ عندى وعلىّ وفاطمة والحسن والحسين، فجعلت لهم خزيرة، فأكلوا وناموا، وغطى عليهم عباءة أو قطيفة، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتى، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا»، وفى رواية أخرى أنه ﷺ أجلسهم على كساء، ثم أخذ بأطرافه الأربعة بشماله، فضمه فوق رؤوسهم، وأومأ بيده اليمنى إلى ربه، فقال: «هؤلاء أهل بيتى، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا» . . وهاتان الروايتان تتفقان مع رواية مسلم عن السيدة عائشة رضى الله عنها فى دخول الخمسة الآية، ولكن هذا لا يحتم عدم دخول غيرهم[4]، وقد وردت روايات عن أم سلمة رضى الله عنها فيها زيادات تشير إلى عدم دخولها مع أهل الكساء، لا يخلو أكثرها من الضعف لكن صح منها من جملتها هذه الرواية: لما نزلت هذه الآية على النبى ﷺ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فى بيت أم سلمة رضى الله عنها فدعا فاطمة وحسنًا وحُسينًا فجللهم بكساء وعلى خلف ظهره فجلله بكساء، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا»، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبى الله؟ قال: «أنت على مكانك وأنت على خير»[5]، وهناك رواية هامة جدًا رويت بإسناد حسن تشير إلى أن أم سلمة رضى الله عنها قد دخلت فى الكساء بعد خروج أهل الكساء منه[6]، ولعل التعليل فى ذلك أنه لا يصح أن تدخل أم سلمة مع على بن أبي طالب تحت كساء واحد، فلذلك أدخلها رسول الله ﷺ بعد خروج أهل الكساء منه، فعن شهر قال: سمعت أم سلمة زوج النبى ﷺ حين جاء نعى الحسين بن

(١) سُنن الترمذى، كتاب المناقب رقم (٣٧٨٨).

(٢)، (٣) ثم أبصرت الحقيقة، ص١٧٦ . .

(٤) المصدر نفسه، ص١٧٧ .

(٥) فضائل الصحابة (٢/ ٧٢٧) رقم (١٩٩٤)، إسناده فيه ضعف وله طرق تقويه.

(٦) ثم أبصرت الحقيقة، ص١٧٧ .

علي، لعنت أهل العراق، فقالت: قتلوه قتلهم الله، غروه وذلوه لعنهم الله، فإني رأيت رسول الله ﷺ جاءته فاطمة غدية ببرمة قد صنعت له فيها عصيدة تحملها في طبق لها، حتى وضعتها بين يديه، فقال لها: «أين ابن عمك؟»، قالت: هو في البيت، قال: «اذهبي فادعيه وائتني بابنيه»، قال: فجاءت تقود ابنيها كل واحد منهما بيد، وعليّ يمشي في إثرهما، حتى دخلوا على رسول الله ﷺ فأجلسهما في حجره وجلس عليّ على يمينه وجلست فاطمة على يساره، قالت أم سلمة: فاجتبذ كساء خيبريًا كان بساطًا لنا على المنامة في المدينة فلفّه رسول الله ﷺ جميعًا فأخذ بشماله طرفي الكساء وألوى بيده اليمنى إلي ربه عز وجل، قال: «اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا، اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا»، قلت يا رسول الله: ألست من أهلك؟ قال: «بلى» فادخلي في الكساء، فدخلت في الكساء بعد ما قضى دعاءه لابن عمه عليّ وابنيه وابنته فاطمة[1].

فشهد رسول الله ﷺ لأم سلمة رضي الله عنها أنها من أهل بيته وأدخلها في الكساء بعد دعائه لهم[2].

(ب) ومما يدل على أن الآية ليست دالة على العصمة والإمامة أن الخطاب في الآيات كله لأزواج النبي ﷺ حيث بدأ بهن وختم بهن: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٨- ٣٤].

فالخطاب كله لأزواج النبي ﷺ ومعهن الأمر والنهي والوعد والوعيد، لكن لما تبين ما في هذا من المنفعة التي تعمهن وتعم غيرهن من أهل البيت جاء التطهير بضمير المذكر، لأنه إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، حيث تناول أهل البيت كلهم، وعلى وفاطمة

(١) فضائل الصحابة (٢/ ٨٥٢) رقم (١١٧٠)، إسناده حسن.

(٢) ثم أبصرت الحقيقة، ص١٧٨.

والحسن والحسين رضى الله عنهما أخص من غيرهم بذلك، لذلك خصهم النبى ﷺ بالدعاء لهم، كما أن زوج الرجل من أهل بيته، وهذا شائع فى اللغة كما يقول الرجل لصاحبه: كيف أهلك؟ أى امرأتك ونساؤك، فيقول: هم بخير، وقد قال تعالى: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٣]، والمخاطب بهذه الآية بالإجماع هى سارة زوجة إبراهيم عليه السلام، وهذا دليل على أن زوجة الرجل من أهل البيت(١).

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص: ٢٩]، والمخاطب هنا أيضًا زوجة موسى عليه السلام.

وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا (٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٤، ٥٥]، فمن أهله الذين كان يأمرهم بالصلاة؟ وهذا كقوله تعالى مخاطبًا النبى ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، ولا شك فى دخول زوجاته أو خديجة رضى الله عنها على أقل تقدير فى الأهل، باعتبار أن السورة مكية(٢).

وقال تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٥]، فالمخاطب هنا عزيز مصر، وقولها: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾، أى زوجتك، وهذا بيِّن(٣).

(جـ) إذهاب الرجس لا يعنى فى اللغة العربية ولا فى لغة القرآن معنى العصمة: يقول الراغب الأصفهانى فى مفردات ألفاظ القرآن مادة رجس: الرجس: الشيء القذر، قال: رجل رجسى، ورجال أرجاس، قال تعالى: ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [المائدة: ٩٠]... والرجس من جهة الشرع: الخمر والميسر.. وجعل الكافرين رجسًا من حيث إن الشرك بالعقل أقبح الأشياء، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٠٠]،

(١) الإمامة والنص، فيصل نور ص٣٨٦.
(٢) المصدر نفسه، ص٣٩١.
(٣) المصدر نفسه، ص٣٩٣.

قيل الرجس: النتن، وقيل: العذاب، وذلك كقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، وقال: ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾[الأنعام: ١٤٥]، وبالجملة لفظ ﴿الرِّجْسَ﴾ أصله القذر يطلق ويراد به الشرك كما فى قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[الحج: ٣٠]، ويطلق ويراد به الخبائث المحرمة كالمطعومات والمشروبات، ونحو قوله: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا﴾ [الأنعام: ١٤٥]، وقوله: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [المائدة: ٩٠]، ولم يثبت أن استخدام القرآن لفظ ﴿الرِّجْسَ﴾ بمعنى مطلق الذنب بحيث يكون فى إذهاب الرجس عن أحد إثبات لعصمته(١).

(د) **التطهير من الرجس لا يعنى إثبات العصمة لأحد:**فكما أن كلمة ﴿الرِّجْسَ﴾ لا يراد بها ذنوب الإنسان وأخطاؤه فى الاجتهاد، وإنما يُراد بها القذر والنتن والنجاسات المعنوية والحسية، فإن كلمة التطهير لا تعنى العصمة، فإن الله عز وجل يريد تطهير كل المؤمنين وليس أهل البيت فقط، وإن كان أهل البيت هم أولى الناس وأحقهم بالتطهير، فقد قال الله تعالى فى كتابه الكريم عن صحابة رسوله ﷺ ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾[المائدة: ٦].

وقال عز من قائل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[التوبة: ١٠٣]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[البقرة: ٢٢٢]، فكما أخبر الله عز وجل بأنه يريد تطهير أهل البيت أخبر كذلك بأنه يريد تطهير المؤمنين، فإن كان فى إرادة التطهير وقوع للعصمة لحصل هذا للصحابة ولعموم المؤمنين الذين نصت الآيات على إرادة الله عز وجل تطهيرهم، وقد قال تعالى عن رواد مسجد قباء من الصحابة ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[التوبة: ١٠٨]، ولم يكن هؤلاء معصومين من الذنوب بالاتفاق.

وقال تعالى عن أهل بدر وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾[الأنفال: ١١]، ولم يكن فى هذا إثبات لعصمتهم مع أنه لا فرق يذكر فى الألفاظ بين قول الله تعالى عن أهل البيت: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ

(١) ثم أبصرت الحقيقة، ص١٨١.

﴿أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ وبين قوله فى أهل بدر: ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ فالرجز والرجس متقاربان، ويطهركم فى الآيتين واحد، لكن الهوى هو الذى جعل من الآية الأولى دليلاً على العصمة دون الأخرى. والعجيب فى علماء الشيعة أنهم يتمسكون بالآية ويصرفونها إلى أصحاب الكساء، ثم يصرفون معناها من إرادة التطهير إلى إثبات عصمة أصحاب الكساء، ثم يتناسون فى الوقت نفسه آيات أخرى نزلت فى إرادة الله عز وجل لتطهير الصحابة، بل هم بالمقابل يقدحون فيهم، ويقولون بانقلابهم على أعقابهم، مع أن الله عز وجل نص على إرادة تطهيرهم بنص الآية[1]. ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

(هـ) الإرادة فى الآية إرادة شرعية، وهى غير الإرادة القدرية: يعنى: يحب الله أن يذهب عنكم الرجس، وقد تحدث علماء أهل السُّنَّة عن الإرادتين الشرعية الدينية، والإرادة القدرية الكونية، فقالوا:

إرادة شرعية دينية: وهى تتضمن معنى المحبة والرضا، كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٧، ٢٨].

إرادة قدرية كونية خلقية: وهى التى بمعنى المشيئة الشاملة لجميع الموجودات، وذلك مثل الإرادة فى قوله تعالى ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقوله: ﴿وَلا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤]، فالمعاصى إرادة كونية قدرية فهو سبحانه لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها، بل يبغضها ويسخطها ويكرهها وينهى عنها، هذا قول السلف والأئمة قاطبة، فيفرقون بين إرادته التى تتضمن محبته ورضاه، وبين إرادته ومشيئته الكونية القدرية التى لا يلزم منها المحبة والرضا[2]، ولا شك أن الله عز وجل أذهب الرجس عن فاطمة والحسن والحسين وعلى وزوجات النبى ﷺ، ولكن الإرادة فى هذه الآية إرادة شرعية، ولذلك جاء فى الحديث أن النبى ﷺ لما جللهم بالكساء قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتى، اللهم أذهب عنهم الرجس»[3].

(١) ثم أبصرت الحقيقة، ص١٨٢. (٢) وسطية أهل السُّنَّة بين الفرق، محمد با عبد الله، ص٣٨٧.
(٣) سُنن الترمذى، كتاب مناقب أهل البيت رقم (٣٧٨٧).

(و) دعاء النبي ﷺ يحسم القضية: آية التطهير لو كان فيها ما يدل على وقوع التطهير لأهل الكساء، لما قام رسول الله ﷺ بتغطيتهم بالكساء والدعاء لهم بقوله: **«اللهم إن هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس»**[(1)]، بل في هذا دلالة واضحة على أن الآية نزلت في نساء النبي ﷺ، وأن رسول الله ﷺ أراد أن ينال أصحاب الكساء هذا الإخبار الرباني عن التطهير، فجمعهم وجللهم بالكساء ودعا لهم فتقبل الله دعاءه لهم[(2)]، فطهرهم كما طهر الله نساء النبي بنص الآية.

(ز) من الردود الدالة على عدم دلالة الآية على الإمامة والعصمة: منها: أن ما اختص به أمير المؤمنين عليّ والحسن والحسين رضي الله عنهم من الآية بزعم القوم ثبت للسيدة فاطمة رضي الله عنها، وخصائص الإمامة لا تثبت للنساء، فلو كان هذا دليلاً لكان من يتصف بما في الآية يستحق العصمة والإمامة، وفاطمة رضي الله عنها كذلك وبذات الاعتبار، فدل على أن الآية لا يراد بها الإمامة ولا العصمة، ومنها خروج تسعة من الأئمة لعدم شمول الآية لهم، حيث اختصت الآية بثلاثة منهم[(3)].

٣- أدلتهم من مروياتهم: إن الاثني عشرية تقيم معتقدها في العصمة وغيرها بما يرويه صاحب الكافي، وإبراهيم القمي، والمجلسي وأضرابهم من روايات منكرة في متنها، فضلاً عن إسنادها، تثبت لهؤلاء الاثني عشرية العصمة المزعومة، وقد ساق المجلسي في بابه الذي عقده في شأن العصمة ثلاثًا وعشرين رواية من روايات شيوخه كالقمي، والعياشي والمفيد وغيرهم، وقد ذكرها بعد استدلاله بآية البقرة، التي تبين أن استدلالهم بها باطل، أما الكليني في الكافي فقد عقد مجموعة من الأبواب في معنى العصمة المزعومة، ساق فيها أخبارًا بسنده عن الاثني عشر يدعون فيها أنهم معصومون بل وشركاء في النبوة، بل ويتصفون بصفات الإلهية، وتجد ذلك في الكافي في باب اعتقادهم في أصول الدين أمثلة من ذلك، وفي باب: أن الأئمة هم أركان الأرض، وأثبت فيه ثلاث روايات تقول بأن الأئمة الاثني عشر كرسول الله في وجوب الطاعة، وفي الفضل، وفي التكاليف، فعلى جرى له من الطاعة بعد رسول الله ﷺ ما لرسول الله ﷺ[(4)]، ثم ما تلبث أن ترفعه عن مقام رسول الله ﷺ إلي مقام رب العالمين، حيث تقول بأن عليًا قال: أُعطيت خصالاً لم يعطهن أحدٌ قبلي: علمت علم المنايا والبلايا، فلم يفتني ما سبقني، ولم يعزب عني ما

---

(1) سُنن الترمذي، كتاب مناقب أهل البيت (٣٧٨٧)، صححه الألباني.

(2) ثم أبصرت الحقيقة، ص١٨٢.　　(3) الإمامة والنص، ص٣٨٧.

(4) أصول الكافي (١/ ١٩٨).

غاب عنى[1]، والذى يعلم المنايا والبلايا هو الله سبحانه ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤]، والذى لا يعزب عنه شىء، ولا يفوته شىء هو الخالق - جل وعلا - قال تعالى: ﴿لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣]، ومن تتبع أبواب الكافى فى هذا المعنى، يلاحظ أنها لا تخرج عن دعاوى المتنبئين والملحدين على مدار التاريخ سوى أنهم نسبوا هذه المفتريات إلى جملة أهل البيت الأطهار[2].

٤- **أدلتهم العقلية على مسألة العصمة:** قالوا: إن الأمة لابد لها من رئيس معصوم يسدد خطاها، فلو جاز الخطأ عليه لزم له آخر يسدده فيلزم التسلسل فحينئذ يلزم القول بعصمة الإمام؛ لأن الثقة عندهم بالإمامة لا بالأمة... وقالوا بأنه هو الحافظ للشرع، ولا اعتماد على الكتاب والسنَّة والإجماع بدونه... إلخ[3].

والحقيقة غير هذا تمامًا، فالأمة معصومة بكتاب ربها وسُنَّة نبيها ﷺ، ولا تجتمع الأمة على ضلالة، وعصمة الأمة مغنية عن عصمة الإمام، وهذا مما ذكره العلماء فى حكمة عصمة الأمة، قالوا: لأن من كان من الأمم قبلنا كانوا إذا بدلوا دينهم بعث الله نبيًا يبين الحق، وهذه الأمة لا نبى بعد نبيها، فكانت عصمتها تقوم مقام النبوة، فلا يمكن لأحد منهم أن يبدل شيئًا من الدين إلا أقام الله من يبين خطأه فيما بدله، ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى قرن سبيل المؤمنين بطاعة رسوله فى قوله عز وجل: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، فعصمة الأمة وحفظها من الضلال - كما جاءت بذلك النصوص الشرعية - تخالف تمامًا من يوجب عصمة واحد من المسلمين، ويجوز على مجموع المسلمين - إذا لم يكن فيهم معصوم - الخطأ[4]، وكل ما سطروه وملأوا به الصفحات من أدلة عقلية تؤكد الحاجة إلى معصوم قد تحققت بالرسول ﷺ، ولذلك فإن الأمة ترد عند التنازع إلى ما جاء به الرسول من الكتاب والسنَّة ولا ترد إلى الإمام ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، قال العلماء: إلى كتاب الله وإلى نبيه ﷺ، فإن قُبضَ فإلى

(١) أصول الكافى (١/ ١٩٧). (٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٥٨).

(٣) كشف المراد، لابن المطهر، ص٣٩٠ - ٣٩١، نهج المسترشدين، ص٦٣، الشيعة فى عقائدهم، ص٣٦٨ - ٣٦٩.

(٤) المنتقى، ص٤١٠، أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٥٨ ، ٩٥٩).

سنَّته[١]، وهى بهدى الكتاب والسنَّة لا تجتمع على ضلالة؛ لأنها لن تخلو من متمسك بهما، إلى أن تقوم الساعة، ولهذا فإن الحجة على الأمة قامت بالرسل، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]، إلى قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، ولم يقل - سبحانه-: «والأئمة» وهذا يبطل قول من أحوج الخلق إلى غير الرسول كالأئمة[٢]، كما أن دعوى العصمة عندهم ليس عليها دليل إلا زعمهم بأن الله لم يخل العالم من أئمة معصومين، لما فى ذلك من المصلحة واللطف، ومن المعلوم المتيقن أن هذا المنتظر الغائب المفقود لم يحصل به شئ من المصلحة واللطف، وكذلك أجداده المتقدمون لم يحصل بهم المصلحة واللطف الحاصلة من إمام معصوم ذى سلطان كما كان النبى ﷺ بعد الهجرة، فإنه كان إمام المؤمنين الذى يجب عليهم طاعته، ويحصل بذلك سعادتهم، ولم يحصل بعده أحد له سلطان تدعى له العصمة إلا علىّ رضى الله عنه، ومن المعلوم أن المصلحة واللطف اللذين كان المؤمنون فيهما زمن الخلفاء الثلاثة أعظم من المصلحة واللطف اللذين كانا فى خلافة على زمن القتل والفتنة والافتراق[٣] أما من دون على فإنما يحصل للناس من علمه ودينه مثل ما يحصل من نظرائه، وكان على بن الحسين وابنه أبو جعفر، وابنا جعفر بن محمد يعلمون الناس ما علمهم الله كما علمه علماء زمانهم، وكان فى زمانهم من هو أعلم منهم وأنفع للأمة، وهذا معروف عند أهل العلم، ولو قدر أنهم كانوا أعلم وأدين فلم يحصل من أهل العلم والدين ما يحصل من ذوى الولاية من القوة والسلطان، وإلزام الناس بالحق ومنعهم باليد عن الباطل، وأما من بعد الثلاثة كالعسكريين فهؤلاء لم يظهر عليهم علم تستفيده الأمة، ولا كان لهم يد تستعين بها الأمة، بل كانوا كأمثالهم من الهاشميين لهم حرمة ومكانة، وفيهم من معرفة ما يحتاجون إليه فى الإسلام والدين ما فى أمثالهم، وهو ما يعرفه كثير من عوام المسلمين... ولذلك لم يأخذ عنهم أهل العلم كما أخذوا عن أولئك الثلاثة[٤].

٥- **نقد عام لمبدأ عصمة الأئمة:** دعوى العصمة للأئمة تضاهى المشاركة فى النبوة، فإن المعصوم يجب اتباعه فى كل ما يقول، ولا يجوز أن يخالف فى شيء، وهذه خاصة الأنبياء، ولهذا أمرنا أن نؤمن بما أنزل إليهم، قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ

---

(١) التمهيد لابن عبد البر (٤/ ٢٦٤).
(٢) الفتاوى (١٩/ ٦٦).
(٣) منهاج السنَّة (٢/ ١٠٤).
(٤) المصدر نفسه (٣/ ٢٤٨).

من رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، فأمرنا أن نقول: آمنا بما أوتى النبيــون، فالإيمان بما جاء به النبيــون مما أمرنا أن نقوله ونؤمن به، وهذا مــا اتفق عليه المسلمون، فمن جـعل بعد الرسول معصـومًا يجب الإيمان بكل ما يقوله فـقد أعطاه معنى النبوة، وإن لم يعطه لفظها[١]، وهذا مخالف لدين الإسلام؛ للكتاب والسنَّة وإجماع سلف الأمة وأئمتها.

أما القرآن فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، فلم يأمرنا بالرد عند التنازع إلا إلى الله والرسول، ولو كــان للناس معصوم غــير الرسول ﷺ لأمرهم بالرد إليه، فدل القرآن أن لا معصوم إلا الرسول ﷺ[٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، وقال: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]، فدل القرآن - فى غــير موضع -على أن من أطاع الرسول كان من أهل السعادة، ولم يشتــرط فى ذلك طاعة معصوم آخر، ومن عصى الرسول كان من أهل الوعيد، وإن قــدر أنه أطاع من ظن أنه معصوم. وقد اتفق أهل العلم على أن كل شخص - سوى الرسول ﷺ - فإنه يؤخذ من قــوله ويترك إلا رسول الله ﷺ فإنه يجب تصديقه فى كل مــا أخبر، واتباعه فيما أمــر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع، فإنه المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى[٣].

والسنَّة المطهرة دلت على ذلك، ولكنهم لا يرجعون إلا إلى أقوال أئمتهم، وإليك ما ينقد مذهــبهم مما ثبت عندهم من أقــوال أميــر المؤمنين على رضى الله عنه، فـقد جــاء فى نهج البلاغة الذى تعتمده الشيعة، ما يهــدم كل ما بنوه من دعاوى فى عصمة الأئمة، حيث قال أمير المؤمنين - كما يروى صاحب النهج -: لا تخالطونى بالمصانعة، ولا تظنوا بى استثقالاً فى حق قيل لى، ولا التماس إعظام النفس، فإنه من استثقل الحق أن يقال له، أو العدل أن يعرض عليه، كــان العمل بهما أثقل عليــه، فلا تكفوا عن مقالة بحق، أو مــشورة بعدل، فإنى لست فى نفسى بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلى[٤]. فهو هنا لم يدع ما تزعم

(١) منهاج السنَّة (٣/ ١٧٤).
(٢) المصدر نفسه (٢/ ١٠٥).
(٣) المصدر نفسه (٣/ ١٧٥).
(٤) نهج البلاغة، ص٣٣٥.

الشيعة فيه من أنه لا يخطئ بل أكد أنه لا يأمن على نفسه من الخطأ، كما لم يعلن استغناءه عن مشورة الرعية بل طلب منهم المشورة بالحق والعدل؛ لأن الأمة لا تجتمع على ضلالة، إنما كل فرد على حدة معرض للضلالة، فعلم أن دعوى العصمة من غلاة الشيعة(1)، وجاء في نهج البلاغة - أيضًا-: لابد للناس من أمير بر أو فاجر يعمل في إمرته المؤمن، ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدو، وتأمن به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوى(2). فأنت ترى أنه لم يشترط العصمة في الأمير، ولم يشر لها من قريب أو بعيد، بل رأى أنه لابد من نصب أمير تناط به مصالح العباد والبلاد، ولم يقل إنه لا يلي أمر الناس إلا إمام معصوم، وكل راية تقوم غير راية المعصوم فهي راية جاهلية - كما تقول كتب الشيعة - ولم يحصر الإمارة في الاثنى عشر المعصومين عند الشيعة، ويكفر من تولاها من خلفاء المسلمين كما تذهب إليه الشيعة، بل رأى ضرورة قيام الإمام ولو كان فاجرًا، وجعل إمارته شرعية بدليل أنه أجاز الجهاد في ظل إمارة الفاجر، فأين هذا مما تقره الشيعة بمنع الجهاد حتى يخرج المنتظر(3).. لأن الإمامة الشرعية محصورة في الاثنى عشر؟!.. **وكان الأئمة يعترفون بالذنوب ويستغفرون الله منها**، فأمير المؤمنين علي رضي الله عنه في دعائه في نهج البلاغة: اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به مني، فإن عدت فعد عليّ بالمغفرة، اللهم اغفر لي ما وأيت(4) من نفسي ولم تجد له وفاء عندي، اللهم اغفر لي ما تقربت به إليك بلساني ثم خالفه قلبي، اللهم اغفر لي رمزات الألحاظ، وسقطات الألفاظ، وشهوات الجنان، وهفوات اللسان(5). فأنت ترى الإقرار بالذنب وبالعودة إليه بعد التوبة، والاعتراف بسقطات الألفاظ وشهوات الجنان، ومخالفة القلب للسان، كل ذلك ينفي ما تدعيه الشيعة من العصمة، إذ لو كان علي والأئمة معصومين لكان استغفارهم من ذنوبهم عبثًا، وكل أئمتهم قد نقلت عنهم كتب الشيعة الاستغفار إلى الله سبحانه من الذنوب والمعاصي، ولو كانوا معصومين لما كانت لهم ذنوب(6). ولقد احتار شيوخ الشيعة في توجيه مثل هذه الأدعية والتي تتنافى ومقرراتهم في العصمة(7).

وهناك أمر آخر يُبطل دعوى العصمة ومن كتب الشيعة نفسها؛ ذلك هو الاختلاف والتناقض حيال بعض المواقف والمسائل، وأعمال المعصومين لا تتناقض ولا تختلف بل

(1) أصول الشيعة الإمامية (2/ 964).

(2) نهج البلاغة، ص82.

(3) فصل الغيبة والمهدية، ص824.

(4) وأيت: وعدت.

(5) نهج البلاغة، ص104.

(6) أصول الشيعة الإمامية (2/ 965).

(7) المصدر نفسه (2/ 966).

يصدق بعضها بعضًا ويشهد بعضها لبعض، والاختلاف ناقض للعصمة التى هى شرط للإمامة عندهم، وهو ناقض بالتالى لأصل الإمامة نفسها، ولذلك فإن ظاهرة الاختلاف فى أعمال الأئمة كانت سببًا مباشرًا لخروج بعض الشيعة من نطاق التشيع حيث رابهم أمر هذا التناقض، ومن أمثلة ذلك ما ذكره القمى والنوبختى من أنه بعد قتل الحسين حارت فرقة من أصحابه وقالت: قد اختلف علينا فعل الحسن وفعل الحسين رضى الله عنهما، لأنه إن كان الذى فعله الحسن حقًا واجبًا صوابًا من موادعته معاوية وتسليمه له عند عجزه عن القيام بمحاربته مع كثرة أنصار الحسن وقوتهم، فما فعله الحسين من محاربته يزيد بن معاوية مع قلة أنصار الحسين وضعفهم، وكثرة أصحاب يزيد حتى قُتل وقتل أصحابه جميعًا باطل غير واجب، لأن الحسين كان أعذر فى القعود من محاربة يزيد وطلب الصلح والموادعة من الحسن فى القعود عن محاربة معاوية، وإن كان ما فعله الحسين حقًا واجبًا صوابًا من مجاهدته يزيد حتى قتل ولده وأصحابه، فقعود الحسن وتركه مجاهدة معاوية وقتاله ومعه العدد الكثير باطل، فشكوا فى إمامتهما ورجعوا فدخلوا فى مقالة العوام(١).

وأما الأمثلة على الاختلاف والتناقض فى أقوال الأئمة فهو باب واسع، وكان هو الآخر من أسباب انصراف بعض الشيعة عن التشيع، وقد شهد بذلك شيخ الطائفة الطوسى، وقال بأن أخبارهم متناقضة متباينة حتى لا يوجد خبر إلا بإزائه ما يضاده، ولا رواية إلا ويوجد ما يخالفها، وعد ذلك من أعظم الطعون على المذهب الشيعى، ومن أسباب مفارقة بعض الشيعة الإمامية للمذهب، وكتابا التهذيب والاستبصار - وهما المصدران المعتمدان من المصادر الأربعة عند الشيعة - يشهدان بهذا التناقض والاختلاف عبر رواياتهما الكثيرة، وقد حاول الطوسى درء هذا الاختلاف ومعالجة هذا التناقض بحمله على التقية فما أفلح إذ زاد الطين بلة، علمًا بأن الطوسى هو الذى كان يوجه الروايات فيقول: هذا الحديث تقية، وهذه الرواية ليست بتقية، وعليها العمل. والمتفق عليه أن الطوسى نفسه ليس بمعصوم، وبالضرورة سوف يخطئ فى توجيه بعض هذه الروايات فيجعل ما ليس بتقية تقية والشيعة يتبعونه فى توجيهه هذا، وبالتالى يتضح أن الشيعة يتبعون فى تدينهم أمثال الطوسى، ولا يتبعون المعصوم فى دينهم، وقد أوجد الشيعة الرافضة عقيدة التقية والبداء - وسيأتى بيانهما بإذن الله - لتغطية هذا الاختلاف فى أخبار الأئمة وأعمالهم... فاكتشف بعض الشيعة هذه المحاولة، وعرف سبب وضع هاتين العقيدتين، فترك التشيع وقال: إن أئمة الرافضة

(١) المقالات والفرق للقمى، ص٢٥، فرق الشيعة للنوبختى، ص٢٥، ٢٦.

وضعوا لشيعتهم مقالتين لا يظهرون معهما من أئمتهم على كذب أبدًا، وهما القول بالبداء وإجازة التقية.

وهناك أمر آخر يُبطل دعوى العصمة: وهو أن المعصوم الذي يدعون اتباعه لم يعصمهم من الخلاف في أصل الدين عندهم وأساسه وهو الإمامة، فتجدهم مختلفين متنابذين متلاعنين، يكفر بعضهم بعضًا لاختلافهم في عدد الأئمة، وفي تحديد أعيانهم، وفي الوقف وانتظار عودة الإمام، أو المضي إلى إمام آخر... هذا عدا الروايات المختلفة المتناقضة في الكثير من أمور الدين - أصوله وفروعه - فما منعت العصمة المزعومة أهل الطائفة من الاختلاف، وعدم وجود أثرها يدل على انعدام أصلها، وقد يقال بأن اعتقادهم في عصمة الأئمة أمر لا يؤثر اليوم، لأن الأئمة قد انتهى وجودهم الفعلي منذ عام ٢٦٠هـ... ولم يبق إلا الانتظار للغائب الموعود إلا أن هذه العقيدة لها آثارها اليوم في واقع الشيعة، وتتمثل في جوانب منها:

١- عملهم بما يؤثر عن الأئمة الاثنى عشر، كما يعمل سائر المسلمين بالقرآن والسنَّة.

٢- غلوهم في قبورهم وأضرحتهم؛ فالغلو في عصمتهم إلى حد وصفهم بصفات الإلهية تحول إلى غلو في قبورهم ومشاهدهم، فيطاف بها وتدعى من دون الله.

٣- أن المجتهد الشيعي أصبح له شيء من هذه الصفة، فهم يرون الراد عليه كالراد على الله وهو كحد الشرك بالله، وهذه من الخطورة بمكان.

٤- حمل هذا الاعتقاد الفاسد والدينونة به[1] الذي ليس له علاقة بأمير المؤمنين على وأولاده وأحفاده الأطهار رضي الله عنهم.

ثالثًا: النص من شروط الإمامة عند الشيعة الإمامية الاثنى عشرية:

يعتقد الشيعة الرافضة أن الإمامة كالنبوة لا تكون إلا بالنص من الله عز وجل على لسان رسوله ﷺ، وأنها مثلها لطف من الله عز وجل، ولا يجب أن يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطاعة منصوب من الله تعالى، وليس للبشر حق اختيار الإمام وتعيينه، بل وليس للإمام نفسه حق تعيين من يأتي بعده، وقد وضعوا على لسان أئمتهم عشرات الروايات في ذلك، منها ما نسبوه إلى الإمام محمد الباقر رحمه الله أنه قال: أترون أن هذا الأمر إلينا نجعله حيث نشاء؟، لا والله ما هو إلا عهد من رسول الله؛ رجل فرجل مسمى حتى تنتهي إلى صاحبها[2].

---

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٦٩، ٩٧٣).
(٢) الإمامة والنص، فيصل نور، ص٨.

ويعتقد الشيعة الاثنا عشرية أن الرسول ﷺ قد نص على الأئمة من بعده وعينهم بأسمائهم وهم اثنا عشر إمامًا لا ينقصون ولا يزيدون وهم:

١- على بن أبى طالب رضى الله عنه المرتضى (ت ٤هـ).

٢- الحسن بن على رضى الله عنه الزكى (ت ٥٠هـ).

٣- الحسين بن على رضى الله عنه سيد الشهداء (ت ٦١هـ).

٤- على بن الحسين زين العابدين (ت ٩٥هـ).

٥- محمد بن على الباقر (ت ١١٤هـ).

٦- جعفر بن محمد الصادق (ت ١٤٨هـ).

٧- موسى بن جعفر الكاظم (ت١٨٣هـ).

٨- على بن موسى الرضا (ت ٢٠٣هـ).

٩- محمد بن على الجواد (ت ٢٢هـ).

١٠- على بن محمدالهادى (ت ٢٥٤هـ).

١١- محمد بن الحسن المهدى (ت ٢٥٦هـ).

١٢- الحسن بن على العسكرى (ت ٢٦٠هـ).

كان ابن سبأ ينتهى بأمر الوصية عند على رضى الله عنه، ولكن جاء فيمن بعد من عمَّمَها فى مجموعة من أولاده، وكانت الخلايا الشيعية تعمل بصمت وسرية، ومع ذلك فقد تصل بعض هذه الدعاوى إلى بعض أهل البيت، فينفون ذلك نفيًا قاطعًا، كما فعل جدهم أمير المؤمنين على، ولذلك اخترع أولئك الكذابون على أهل البيت «عقيدة التقية» حتى يسهل نشر أفكارهم وهم فى مأمن من تأثر الاتباع بمواقف أهل البيت الصادقة، والمعلنة للناس[١].

إن من أخطر الأمور التى ابتدعها الشيعة: الوصية، وهى أن رسول الله ﷺ أوصى بالخلافة بعد وفاته مباشرة إلى على رضى الله عنه، وأن من سبقه مغتصبون لحقه كما جاء فى كتابهم «الكافى»، من مات ولم يعرف إمامه مات ميتة جاهلية، وكان علىٌّ هو وصيتهُ بزعمهم[٢]، ولكن بالاستقراء التاريخى لتاريخ الخلفاء الراشدين، لا نجد للوصية ذكرًا فى

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠).

(٢) أصول الكافى (٢/ ١٦، ١٧).

خلافة أبي بكر ولا في خلافة عمـر رضي الله عنهما، وإنما نجد بداية ظهورها في السنوات الأخيرة من خلافة عثمان رضي الله عنـه، عند بزوغ قرن الفتنة، وقد استنكر الصحابة هذا القول؛ عندما وصل إلـى أسماعهم، وبينوا كذبه، ومن أشـهر هؤلاء على بن أبي طالب، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهـما، ثم نرى هذا القول يتبلور في فكرة موجهـة، وعقيدة تدعو إلى الإيمان بها والدعـوة إليها، وذلك في خلافة عـلى رضي الله عنه، وهذه الوصية التي تدعيـها الرافـضة قد أثبت علمـاؤهم أنها من وضع عـبد الله بن سبـأ كمـا ذكر ذلك النوبختي والكشي - وقد مـر ذلك مـعنا - ويكفي في الرد على زعـمهم مـا ورد بالنقل الصحيح عـن عدد من الصحابة رضي الله عنهم ومنهم على رضي الله عـنه نفسه، **والأدلة كثيرة منها:**

١- ذكر عند عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ أوصى إلى علي، فقالت: من قاله؟ لقد رأيت النبي ﷺ وإني لمسندته إلى صدري، فدعا بالطست، فانخنث، فـمات، فما شعرت فكيف أوصى إلى علي[(١)].

وتصريح عائشـة رضي الله عنها أن النبي ﷺ لم يوص لعلى من أعظم الأدلة على عدم الوصية، فإن النبي ﷺ توفي في حجرها، ولو كـانت هناك وصية لكانت هي أدرى الناس بها[(٢)].

٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهـما قال: إن عليًّا بن أبي طالب رضي الله عنه خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعـه الذي توفي فيـه، فقـال الناس: يا أبا الحسن، كـيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئًا، فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب، فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبـد العصا، وإني والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفـى في وجعه هذا، وإني لأعرف وجـوه بني عبد المطلب عند الموت، اذهب بنا إلى رسـول الله، فلنسأله فيـمن هذا الأمر، إن كـان فينا علمنا ذلك، وإن كـان في غيـرنا علمنا فأوصى بنا، فـقال علي: إنا والله لئن سألناها رسول الله فمنعناها، لا يعطيناها الناس من بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ[(٣)]. وفي قوله رضي الله عنه شهـادة للصحابة رضي الله عنهم على مدى التزامهم بتنفـيذ أمر رسول الله ﷺ؛ فلو كانت هناك وصيـة لما تخلف أحد عنها، ولما

(١) البخاري رقم (١٤٧١)، كتاب الوصايا.

(٢) بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود (١/ ١٩٠).

(٣) البخاري، كتاب المغازي رقم (٤٤٤٧).

عبَّرت الأنصار عن رأيها - في السقيفة - بحرية وشجاعة وصدق: منا أمير ومنكم أمير(١)، ولبايعوا من عهد إليه الوصية، أو على الأقل سيذكر بعضهم، ولو كان هناك نص قبل ذلك لقال على للعباس: كيف نسأله عن هذا الأمر فيمن يكون وهو قد أوصى لى بالخلافة، وقد توفى رسول الله ﷺ فى نفس اليوم، فلما لم يوجد شيء من ذلك تبين أن ما يُدَّعَى من النص دعوى لا أساس لها من الصحة، وكل ما أوردوه فى ذلك من التنصيص على عليٍّ مردود، لمخالفته هذا النص الصريح من على رضى الله عنه؛ لأن كل أدلتهم السمعية إما أنها لا تدل على المدعى، وإما نصوص تدل على ذلك ولكنها موضوعة(٢).

٣- سئل على رضى الله عنه: أخصكم رسول الله ﷺ بشيء؟ فقال: ما خصنا رسول الله بشيء لم يعم به الناس كافة، إلا ما كان فى قراب سيفى هذا، قال: فأخرج صحيفة مكتوبًا فيها: «**لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من غيَّر منار الأرض، ولعن الله من لعن والده، ولعن الله من آوى محدثًا**»(٣). قال ابن كثير - رحمه الله -: وهذا الحديث الثابت فى الصحيحين وغيرهما عن على رضى الله عنه يرد على فرقة الرافضة من زعمهم أن رسول الله أوصى إليه بالخلافة، ولو كان الأمر كما زعموا لما رد ذلك أحد من الصحابة، فإنهم كانوا أطوع لله ورسوله فى حياته، وبعد وفاته من أن يفتئتوا عليه فيقدموا غير من قدمه، ويؤخروا من قدمه بنصه، حاشا وكلا!!، ومن ظن بالصحابة رضوان الله عليهم ذلك فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور والتواطؤ على معاندة الرسول ﷺ، ومضادتهم لحكمه ونصه، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربقة الإسلام، وكفر بإجماع الأئمة الأعلام(٤)، قال النووى رحمه الله: فيه إبطال ما تزعمه الرافضة والشيعة والإمامية بالوصية لعلى وغير ذلك من اختراعاتهم(٥).

٤- وعن عمرو بن سفيان قال: لما ظهر على يوم الجمل قال: أيها الناس إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا من هذه الإمارة شيئًا حتى رأينا من الرأى أن نستخلف أبا بكر فأقام واستقام حتى مضى لسبيله(٦).

(١) البخارى، كتاب الحدود رقم (٦٨٣٠).

(٢) الإمامة والرد على الرافضة، تحقيق على ناصر فقيهى، ص٢٣٨.

(٣) مسلم (٣/ ١٥٦٧) رقم (١٩٧٨).

(٤) البداية والنهاية (٥/ ٢٢١).

(٥) شرح صحيح مسلم (١٣/ ١٥١).

(٦) الاعتقاد، ص١٨٤، وقال البيهقى فى دلائل النبوة: سنده حسن.

٥- روى أبو بكر البيهقي بإسناده إلى شقيق بن سلمة، قال: قيل لعلي بن أبي طالب: ألا تستخلف علينا؟، فقال: ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيرًا فسيجمعهم بعدى على خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم[١]. فهذا دليل واضح على أن دعوى النص عليه رضى الله عنه إنما هو من اختلاق الرافضة، الذين مُلئت قلوبهم بالبغض والحقد لأصحاب رسول الله ﷺ بمن فيهم على وأهل بيته، وإنما يدعون حبهم تسترًا ليتسنى لهم الكيد للإسلام وأهله[٢].

بهذه النصوص القطعية يتضح بجلاء أنه لا أصل للوصية المزعومة، وأن ما اعتمد عليه الرافضة هو من وضع عبد الله بن سبأ، الذى هو أول من أحدث الوصية، ثم وضعت بعد ذلك أسانيد وركبت متون نسبوها زورًا وبهتانًا إلى النبى ﷺ، وهدفهم من ذلك الطعن فى الصحابة رضى الله عنهم بمخالفتهم أمر الرسول ﷺ وإجماعهم على ذلك، ومن ثم الطعن ورد ما نقلوه إلى أجيال المسلمين من قرآن وحديث[٣]، قال ابن تيمية - رحمه الله - فى رده على الحلى: وأما النص على علىّ فليس فى شىء من كتب أهل الحديث المعتمدة، وأجمع أهل الحديث على بطلانه، حتى قال أبو محمد بن حزم: ما وجدنا قط رواية عند أحد فى هذا النص المدعى إلا رواية إلى مجهول يكنى أبا الحمراء لا نعرف من هو فى الخلق[٤]. وقال فى موضع آخر: فعلم أن ما تدعيه الرافضة من النص هو مما لم يسمعه أحد من أهل العلم بأقوال رسول الله ﷺ قديمًا ولا حديثًا، ولهذا كان أهل العلم بالحديث يعلمون بالضرورة كذب هذا النقل، كما يعلمون كذب غيره من المنقولات[٥]، وقد جاء من الغلاة فيما بعد من أحيا نظرية ابن سبأ فى أمير المؤمنين علىّ رضى الله عنه، ثم عمموها على آخرين من سلالة على والحسين فى إثارة مشاعر الناس وعواطفهم، والدخول إلى قلوبهم، لتحقيق أغراضهم ضد الدولة الإسلامية فى ظل هذا الستار، وأول من بدأ يشيع القول بأن الإمامة محصورة بأناس مخصوصين فى آل البيت، شيطان الطاق الذى تلقبه الشيعة مؤمن الطاق[٦]، وأنه حينما علم بذلك زيد بن على بعث إليه ليقف على حقيقة الإشاعة، فقال له زيد: بلغنى أنك تزعم أن فى آل محمد إمامًا مفترض الطاعة؟، قال شيطان الطاق: نعم، وكان أبوك على بن الحسين أحدهم، فقال: وكيف وقد كان يؤتى

(١) الاعتقاد، ص١٨٤، إسناده جيد.
(٢) عقيدة أهل السُّنة فى الصحابة (٢/ ٦٢٠).
(٣) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد، ص٦٥.
(٤) المنهاج (٨/ ٣٦٢)، الفصل (٤/ ١٦١).
(٥) المنهاج (٧/ ٥٠).
(٦) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٠).

بلقمة وهى حارة فيبردها بيده ثم يلقمنيها، أفترى أنه كان يشفق على من حر اللقمة، ولا يشفق على من حر النار؟، قال شيطان الطاق: قلت له: كره أن يخبرك فتكفر، فلا يكون له فيك الشفاعة[(1)]، وهذه القصة المروية فى أوثق كتب الرجال عندهم تبين أن هذه النظرية كانت سرية التداول لدرجة أنها خفيت على إمام من أئمة أهل البيت وهو الإمام زيد. وقد بيَّن محب الدين الخطيب أن شيطان الطاق هو أول من اخترع هذه العقيدة الضالة وحصر الإمامة والتشريع، وادعى العصمة لأناس مخصوصين من آل البيت[(2)]، وقد شارك شيطان الطاق رجل آخر هو هشام بن الحكم المتوفى ١٧٩هـ[(3)]، ويبدو أن عقيدة حصر الإمامة بأناس معينين سرت فى الكوفة[(4)]، بسعى مجموعة من أتباع هشام وشيطان الطاق، ففكرة حصر الأئمة بعدد معين قد وضع جذورها فى القرن الثانى زمرة ممن يدعى الصلة بأهل البيت، أمثال شيطان الطاق وهشام بن الحكم[(5)]. ولقد اختلفت اتجاهات الشيعة وتباينت مذاهبهم فى عدد الأئمة، قال فى مختصر التحفة: اعلم أن الإمامية قائلون بانحصار الأئمة، ولكنهم مختلفون فى مقدارهم، فقال بعضهم: خمسة، وبعضهم: سبعة، وبعضهم: ثمانية، وبعضهم: اثنا عشر، وبعضهم ثلاثة عشر[(6)].

وكتب الشيعة نقلت صورة هذا التباين والتناقض سواء أكانت من كتب الإسماعيلية كمسائل الإمامة للناشئ الأكبر، أو الزينة لأبى حاتم الرازى، أم من كتب الاثنى عشرية مثل: المقالات والفرق للأشعرى القمى، وفرق الشيعة للنوبختى، وقضية الإمامة عندهم ليست بالأمر الفرعى الذى يكون فيه الخلاف أمرًا عاديًا، بل هى أساس الدين وأصله المتين، ولا دين لمن لم يؤمن بإمامهم ولذلك يكفِّر بعضهم بعضًا، بل إن أتباع الإمام الواحد يكفِّر بعضهم بعضًا، ويلعن بعضهم بعضًا[(7)] أما الاثنا عشرية فقد استقر قولها - فيما بعد - بحصر الإمامة فى اثنى عشر إمامًا، ولم يكن فى العترة النبوية بنى هاشم على عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان وعليّ رضى الله عنهم من يقول بإمامة الاثنى عشر[(8)]، إنما عرف الاعتقاد باثنى عشر إمامًا بعد وفاة الحسن العسكرى[(9)].

---

(١) رجال الكشى، ص١٨٦.

(٢) مجلة الفتح، ص٥، العدد ٨٦٢ عام ١٣٦٧هـ.

(٣) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٧٠٣).

(٤) بحار الأنوار (١٠٠/ ٢٥٩)، أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٥).

(٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٦).

(٦) مختصر التحفة، ص١٩٣.

(٧) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٧).

(٨) منهاج السنة (٢/ ١١).

(٩) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٨).

وحصر الأئمة بعدد معين عقيدة فاسدة باطلة أمير المؤمنين علي وأولاده وأحفاده براء منها، وفي كتب الشيعة المعتمدة في نهج البلاغة، عن عليّ رضى الله عنه قال: دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمرًا له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول[1]، وإن الآفاق قد أغامت[2]، والمحجة[3] قد تنكرت، واعلموا أني إن أحببتكم ركبت لكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيرًا خير لكم مني أميرًا[4].

فلو كانت إمامة علي منصوصًا عليها من الله عز وجل لما جاز لعلي بن أبي طالب تحت أي ظرف من الظروف أن يقول للناس: «دعوني والتمسوا غيري، ويقول: «أنا لكم وزيرًا خير لكم مني أميرًا» كيف والناس تريده وجاءت تبايعه[5].

ويقول في النهج كلامًا أكثر صراحة وأشد وضوحًا حين يقول: إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إمامًا كان ذلك لله رضا، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى[6].

وقد أشار أمير المؤمنين بهذه العبارة إلى حقائق جديرة بالاهتمام حيث جعل:

(أ) الشورى للمهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ وبيدهم الحل والعقد.

(ب) اتفاقهم على شخص سبب لمرضاة الله وعلامة لموافقته سبحانه وتعالى على اختيارهم.

(جـ) لا تنعقد الإمامة في زمانهم دونهم، وبغير اختيارهم.

(د) لا يرد قولهم ولا يخرج عن حكمهم إلا المبتدع الباغي المتبع غير سبيل المؤمنين.

فأين هم الشيعة الاثنا عشرية من هذه التصريحات المهمة؟[7].

إن مسألة النص لا تثبت بأي وجه من الوجوه، ومسألة حصر الأئمة بعدد معين مردودة بالكتاب والسُّنَّة، كما أنه لا يقبلها العقل ومنطق الواقع، إذ بعد انتهاء العدد المعين هل تظل

(1) لا تصبر له ولا تطيق احتماله.

(2) أغامت: غطيت بالغيم.

(3) المحجة: الطريق المستقيمة.

(4) نهج البلاغة خطبة رقم (92)، ص236.

(5) ثم أبصرت الحقيقة، ص158.

(6) نهج البلاغة، كتاب إلى معاوية رقم (6)، ص526.

(7) ثم أبصرت الحقيقة، ص161.

الأمة بدون إمـام؟، ولذلك فإن عصر الأئمـة الظاهرين عند الاثنى عشرية لا يتعـدى قرنين ونصف قرن إلا قليلاً، وقد اضطر الشيعة للخروج عن حصر الأئمة بمسألة نيابة المجتهد عن الإمام، واختلف قولهم فى حدود النيابة[1]. وفى هذا العصر اضطروا للخروج نهائيًا عن هذا الأصل الذى هو قاعدة دينهم، فجـعلوا رئاسة الدولة تتم عن طريق الانتخاب ولكنهم خرجوا عن حصر العدد إلى حصر النوع فقصروا رئاسة الدولة على الفقيه الشيعى[2].

ما يحتج به الاثنا عشرية فى أمر تحديد عدد الأئمة بما جاء فى كتب السُنة:

عن جابر بن سمرة قال: يكون اثـنا عشر أميرًا. فقال كلمة لم أسمـعها، فقال أبى: إنه قال: **«كلهم فى قريش»**[3]. وفى مسلم عن جابر قـال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا يزال الإسلام عزيزًا إلى اثنى عشرة خليفة»**، ثم قال كلمة لم أفهمها. فقلت لأبى: ما قال؟، فقـال: **«كلهم فى قـريش»**[4]، وفى لفظ: **«لا يزال هذا الدين عـزيزًا مـنيـعًـا إلى اثنى عـشـر خليفة»**[5]، وفى لفظ آخر: **«لا يزال أمر الناس ماضيًا ما وليهم اثنا عشر رجلاً»**[6]، وعند أبى داود: **«لا يزال هذا الدين قـائمًـا حـتـى يكون علكيم اثنا عـشـر خليـفـة. كلـهم تجـتـمع عليـهم الأمة»**[7]، وأخرجـه أبو داود أيضًا من طريق الأسود بـن سعيـد عن جابر بنحو مـا مضى قال: وزاد فلما رجع إلى منزله أتته قريش فقالوا: ثم يكون ماذا، قال: **«الهرج»**[8].

يتعلق الاثنا عـشرية بهذا النص ويحـتجون به على أهل السُّنَّة، لا لإيمانهم بما جاء فى كتب السُّنَّة[9]، ولكن للاحـتجاج عليـهم بما يسلمون به، وبـالتأمل فى النص بكل حـيدة وموضـوعية نجـد أن هؤلاء الاثنى عشـر وصفوا بأنهم يتـولون الخلافـة، وأن الإسلام فى عهدهم يكون فى عزة ومنعـة، وأن الناس تجتمع عليهم ولا يزال أمر الناس ماضـيًا وصالحًا فى عهدهم، وكل هذه الأوصاف لا تنطبق على من تدعى الاثنا عـشرية فيهم الإمامة، فلم يتول الخلافة منهم إلا أمير المؤمنين على والحســن مدة قليلة، كما لم يقم أمر الأمة فى مدة أحد من هؤلاء الاثنى عـشر - فى نظر الشـيعة أنفـسهم - بل مـازال أمر الأمة فـاسدًا. .

(١) الحكومة الإسلامية للخمينى، ص٦٨، أصول الشيعة (٢/ ٨١٤).

(٢) الحكومة الإسلامية للخمينى، ص٢٤٨، أصول الشيعة (٢/ ٨١٤).

(٣) البخارى، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف (٨/ ١٢٧).

(٤)، (٥) مسلم، كتاب الإمارة، باب الناس (٢/ ١٤٥٣).

(٦) المصدر نفسه (٢/ ١٤٥٢).

(٧) سُنن أبى داود، كتاب المهدى (٤/ ٤٧١).

(٨) سُنن أبى داود (٤/ ٤٧٢)، فتح البارى (١٣/ ٢١١).

(٩) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨١٥).

ويتولى عليهم الظالمون بل الكافرون(١)، وأن الأئمة أنفسهم كانوا يتسترون في أمور دينهم بالتقية(٢)، وأن عهد أمير المؤمنين علي وهو على كرسي الخلافة عهد تقية، كما صرح بذلك شيخهم المفيد(٣)، فلم يستطع أن يظهر القرآن، ولا أن يحكم بجملة من أحكام الإسلام، كما صرح بذلك شيخهم الجزائري(٤)، واضطر إلى ممالأة أصحابه ومجاراتهم على حساب الدين، كما أقرَّ بذلك شيخهم المرتضى(٥)، فالحديث في جانب ومزاعم هؤلاء في جانب آخر، ثم إنه ليس في الحديث حصر للأئمة بهذا العدد، بل نبوءة منه عليه السلام بأن الإسلام لا يزال عزيزًا في عصر هؤلاء، وكان عصر الخلفاء الراشدين وبني أمية عصر عزة ومنعة(٦)، ولهذا قال ابن تيمية رحمه الله: إن الإسلام وشرائعه في زمن بني أمية أظهر وأوسع مما كان بعدهم، ثم استشهد بحديث: «لا يزال هذا الأمر عزيزًا إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش»، ثم قال: وهكذا كان، فكان الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ثم تولى من اجتمع الناس عليه وصار له عز ومنعة معاوية وابنه يزيد ثم عبد الملك وأولاده الأربعة وبينهم عمر ابن عبد العزيز، وبعد ذلك حصل من النقص ما هو باق إلى الآن. ثم شرح ذلك(٧).

ثم إنه قال في الحديث: «كلهم من قريش»(٨)، وهذا يعني أنهم لا يختصون بعلي وأولاده، ولو كانوا مختصين بعلي وأولاده لذكر ما يميزون به، ألا ترى أنه لم يقل: كلهم من ولد إسماعيل ولا من العرب، فلو امتازوا بكونهم من بني هاشم، أو من قبيل علي لذكروا بذلك، فلما جعلهم من قريش مطلقًا علم أنهم من قريش، بل لا يختصون بقبيلة، بل منهم بنو تيم، وبنو عدي، وبنو عبد شمس، وبنو هاشم، فإن الخلفاء الراشدين كانوا من هذه القبائل(٩)، فإذن لم يبق من الأوصاف التي تنطبق على ما يريدون إلا مجرد العدد، والعدد لا يدل على شيء(١٠).

أدلتهم من القرآن على النص:

إن الشيعة الرافضة لما لم يجدوا ما يستدلون به من الشرع لتقرير عقيدة الإمامة بالنص عمدوا إلى آيات من كتاب الله فيها ثناء ومدح لعباده الصالحين وأوليائه المتقين، فجعلوها خاصة بأمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأولوها على حسب هذا المعتقد الفاسد، كما

(١) منهاج السُّنة (٤/ ٢١٠)، المنتقى.
(٢)، (٣)، (٤)، (٥)، (٦) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨١٦).
(٧) منهاج السنة (٤/ ٢٠٦).
(٨) مسلم (٢/ ١٤٥٣).
(٩) منهاج السنة (٤/ ٢١١).
(١٠) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨١٨).

اختلقـوا أحاديث كثيـرة لتأييد هذه البدعـة الشنيعة، وذلك لإيقـاع جهلة المسلمين ومن قل نصيبـه من العلم فى ذلك، وما أوردوه فى هذا الشأن واضح البطلان ثم إن اسـتدلالهم لا يخرج عن أمرين:

(أ) إما أن يكون فـيمـا استدلوا به دلـيل على تلك الدعوى، كـآية التطهير والمـباهلة، وحديث الراية، وحديث خم وغيرها من الأحاديث.

(ب) أو أن تكون أحاديث موضوعة، والموضوع لا تقوم به حجة. ولهذا اشتهر بين أهل العلم أن الرافضة أكذب الفرق المنتسبة للإسلام، وقد ذكر ابن تيمية اتفاق أهل العلم بالنقل والراوية والإسناد على أن الرافضـة أكذب الطوائف، الكذب فيـهم قديم، ولهذا كـان أئمة الإسلام يعلمون امتيازهم بالكذب(١)، وإليك بعض الأمثلة فى استدلالهم بالقرآن:

١- آية الولاية: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، ذكروا فى تفسير هذه الآية مـا يدل على زعمهم بأنها فى إمامة على، قال شيخ الطائفة - كما يلقـبونه - الطوسى: وأما النص على إمامته من القرآن، فأقوى مـا يدل عليه قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥](٢). وقال الطبـرسى: وهذه الآية من أوضح الدلائل على صحـة إمامة علىّ بعـد النبى بلا فصل(٣). ويكاد شيـوخهم يتفقـون على أن هذا أقوى دليل عندهم حيث يجعلون له الصدارة فى مقـام الاستدلال فى مصنفاتهم(٤)، وأما كيف يستدلون بهذه الآية على مبـتغاهم؟ فإنهم يقولون: اتفق المفـسرون والمحدثون من العامة والخـاصة أنها نزلت فى على لما تصدق بخاتمه على المسكين فى الصلاة بمحـضر من الصحابة وهو مذكور فى الصحاح الـستة(٥)، و ﴿إِنَّمَا﴾ للحصـر باتفاق أهل اللغة، والولى بمعنى الأولى بالتـصرف المرادف للإمام والخليفة(٦). فأنت ترى أنهم يعتمـدون فى استدلالهم بالآية بما روى فى سبب نزولها، لأنه ليس فى نصها ما يدل على مرادهم، فـصار استدلالهم بالرواية لا بالقرآن، فهل الرواية ثابتة، وهل وجه استدلالهم سليم، يتبين هذا بالوجوه التالية:

(١) منهاج السنة (١/ ٥٩).
(٢) تلخيص الشافى (٢/ ١٠) نقلا عن أصول مذهب الشيعة الإمامية (٢/ ٨٢٢).
(٣) مجمع البيان (٢/ ١٢٨) نقلاً عن أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٢٢).
(٤) عقائد الإمامية الاثنى عشرية (١/ ٨١، ٨٢)، أصول مذهب الشيعة (٢/ ٨٢٣).
(٥) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٨٢٣).
(٦) عقائد الإمامية الاثنى عشرية (١/ ٨١، ٨٢)، نقلاً عن المرجع السابق (٢/ ٨٢٣).

(أ) أن زعمهم بأن أهل السُّنَّة أجمعوا على أنها نزلت في عليّ هو من أعظم الدعاوى الكاذبة، بل أجمع أهل العلم بالنقل أنها لم تنزل في علي بخصوصه، وأن عليًا لم يتصدق بخاتمه في الصلاة، وأجمع أهل العلم بالحديث على أن القصة المروية في ذلك من الكذب الموضوع[1]، وقوله: إنها مذكورة في الصحاح الستة[2]، كذب، إذ لا وجود لهذه الرواية في الكتب الستة، وقد ساق ابن كثير الآثار التي تروى في أن هذه الآية نزلت في علي حين تصدق بخاتمه، وعقب عليها: وليس يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها، وجهالة رجالها[3]، وقال عبد العزيز الدهلوي: وأما القول بنزولها في حق علي بن أبي طالب ورواية قصة السائل وتصدقه بالخاتم عليه في حالة الركوع فإنما هو للثعلبي[4] فقط، وهو متفرد به ولا يعتد المحدثون من أهل السُّنَّة بروايات الثعلبي قدر شعيرة ولقبوه بحاطب ليل، فإنه لا يميز الرطب من اليابس، وأكثر رواياته عن الكلبي عن أبي صالح وهي من أوهى ما يروى في التفسير عندهم[5]، وسبب نزول هذه الآية على الصحيح هو: أنه لما خانت بنو قينُقاع الرسول ﷺ ذهبوا إلى عبادة بن الصامت - كما أخرج ذلك ابن جرير في تفسيره - وأرادوه أن يكون معهم فتركهم وعاداهم وتولى الله ورسوله، فأنزل الله قوله جل وعلا: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥] أي والحال أنهم خاضعون في كل شئونهم لله تبارك وتعالى، ولذلك قال الله تبارك وتعالى في أول الآيات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، يعني عبدالله بن أبي ابن سلول، لأنه كان مواليًا لبني قينقاع، ولما حصلت الخصومة بينهم وبين النبي ﷺ والاهم ونصرهم ووقف معهم، وذهب إلى النبي ﷺ يشفع لهم، أما عبادة بن الصامت رضي الله عنه وأرضاه فإنه تبرأ منهم وتركهم فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

---

(١) منهاج السنة (٤/ ٤). (٢) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٨٢٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٧٦، ٧٧). (٤) مختصر التحفة الاثني عشرية، ص١٤١ - ١٤٢.

(٥) المصدر نفسه ص ١٤١ - ١٤٢، عقيدة أهل البيت بين الإفراط والتفريط، ص٤٧٣. وانظر: أسباب النزول للواحدي، تحقيق أيمن شعبان، ص١٦٣. اليهود في السُّنة المطهرة (١/ ٢٨٢)، ويبقى الخبر الذي رواه ابن إسحاق بإسناد مرسل يتقوى مع المتابعات والشواهد، وانظر مختصر تفسير القرآن العظيم المسمى عمدة التفاسير عن الحافظ ابن كثير، لأحمد محمد شاكر (١/ ٧٠١) فقد قال أحمد شاكر فيمن قال نزلت في علي رضي الله عنه: بل هي من أكاذيب الشيعة الذين يلعبون بتأويل القرآن.

﴿الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، ثم عقب تبارك وتعالى بذكر صفة المؤمنين، وهو عبادة بن الصامت ومن اتبعه ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، أمثال عبادة وغيره، فهذه الآية نزلت في عبادة بن الصامت(١).

إن الآيات الكريمة جاءت بالأمر بموالاة المؤمنين، والنهى عن موالاة الكافرين، وهذا المعنى يدرك أيضًا - بعد معرفة سبب النزول الحقيقى - بوضوح من سياق الآيات، إذ قبل هذه الآية الكريمة جاء قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، فهذا نهى صريح عن موالاة اليهود والنصارى بالود والمحبة والنصرة... ولا يراد بذلك باتفاق الجميع الولاية بمعنى الإمارة، وليس هذا بوارد أصلاً، ثم أردف ذلك بذكر من تجب موالاته وهو: الله ورسوله والمؤمنون، فواضح من ذلك أن موالاة المحبة والنصرة التى نهى عنها فى الأولى وهى بعينها التى أمر بها المؤمنون فى هذه الآية بحكم المقابلة، كما هو بين جلى من لغة العرب(٢). قال الرازى - رحمه الله -: لما نهى فى الآيات المتقدمة عن موالاة الكفار، أمر فى هذه الآية بموالاة من تجب موالاته(٣). وقال ابن تيمية - رحمه الله -: إنه من المعلوم المستفيض عند أهل التفسير خلفًا عن سلف أن هذه الآية نزلت فى النهى عن موالاة الكفار، والأمر بموالاة المؤمنين(٤).

(ب) إن الله تعالى لا يثنى على الإنسان إلا بما هو محمود عنده، إما واجب وإما مُستحب، والتصدق أثناء الصلاة ليس بمستحب باتفاق علماء الملة، ولو كان مستحبًا لفعله الرسول ﷺ وحض عليه، ولكرر فعله، وإن فى الصلاة لشُغلاً، وإعطاء السائل لا يفوت، إذ يمكن للمتصدق إذا سلم أن يعطيه، بل إن الاشتغال بإعطاء السائلين يبطل الصلاة كما هو رأى جملة من أهل العلم(٥).

(جـ) أنه لو قدر أن هذا مشروع فى الصلاة لم يختص بالركوع، فكيف يقال: لا ولى إلا الذين يتصدقون فى حال الركوع، فإن قيل: هذه أراد بها التعريف بعلى، قيل له:

(١) رواه ابن هشام فى السيرة فى أمر بنى قينقاع (٢/ ٤٩) عن عبادة بن الوليد ورواه ابن جرير فى تفسيره فى تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾[المائدة: ٥١] تفسير الطبرى (٦/ ١٧٨) ورجال إسناده - من طريق ابن جرير - موثوقون، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث عن والده لكنه مرسل، فإن عبادة بن الوليد تابعى جليل روى عن أبيه وحده وغيرهما وهو ثقة، التهذيب (٥/ ١١٤).

(٢) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٨٢٦).
(٣) تفسير الفخر الرازى (١٢/ ٢٥).
(٤) منهاج السُّنة (٤/ ٥).
(٥) منهاج السُّنة (١/ ٢٠٨)، (٤/ ٥).

أوصاف على التى يعـرف بها كثيرة ظاهرة، فكيف يتـرك تعريفه بالأمور المعـروفة، ويعرف بهذا الأمر الذى لا يعرفه إلا من سمعه وصـدق به؟ وجمهور الأمة لا يسمع هذا الخبر ولا هو فى شيء من كتب المسلمين المعتمدة[1].

(د) وقولهم: إن عليًا أعطى خاتمه زكاة فى حال ركـوعه فنزلت الآية مخالفة للواقع، ذلك أن عليًا رضى الله عنه لم يكن ممن تجب عليه الزكـاة على عهد النبى ﷺ، فإنه كان فـقـيرًا، وزكـاة الفـضـة إنما تجب على من مَـلَكَ النِّصـاب حَولاً، وعـلى لم يكن من هؤلاء[2].

(هـ) إن الأصل فى الزكاة أن يبدأ المزكى، لا أن ينتظر حتى يأتيـه الطالب، أيهما أفضل أن تبـادر أنت بدفع الزكـاة أو أن تجلس فى بيـتك وزكـاتك عندك، ثم تنتظر الناس حـتى يطرقوا عليك الباب ثم تعطيهم زكاة أموالك؟، لا شك أن الأول أفضل[3].

(و) قولهم: إن المراد بقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ - الإمارة - لا يتفق مع قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، فإن الله سبحانه لا يوصف بأنه متول على عباده، وأنه أمير عليهم، فإنه خـالقهم ورازقهم وربهم ومليكهم له الخلق والأمر، لا يقال: إن الله أميـر المؤمنين كما يسـمى المتولى مـثل على وغيره أمـير المؤمنين[4]، وأما الولاية المخـالفة للعداوة فـإنه يتولى عبـاده المؤمنين فيحـبهم ويحبونه، ويرضـى عنهم ويرضون عنه، ومن عـادى له وليًا بارزه بالمحـاربة[5]، فـهذه الولاية هى المقـصودة فى الآية، وقـوله: ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ أي خاضعون لربهم منقادون لأمره، والركوع فى أصل اللغة بمعنى الخضوع، أى يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة فى حـال الركوع، وهو الخشوع والإخبات والتواضع لله[6]، وهذا كما قال الله تبـارك وتعالى عن داود عليه السلام، ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤]، وهو خر ساجـدًا، وإنما سمى راكعًا لـلذل والخضوع لله تبارك وتعالى، وكما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨]، أى اخضعو واستسلموا لأمر الله تبارك وتعالى[7].

---

(١) منهاج السُّنة (٤/ ٥)، أصول مذهب الشيعة (٢/ ٨٢٥).

(٢) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٨٢٥).

(٣) حقبة من التاريخ ص ١٩٣.

(٤)، (٥) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٨٢٧).

(٦) الكشاف للزمخشرى (١/ ٦٢٤)، تفسير الرازى (١٢/ ٢٥).

(٧) حقبة من التاريخ، ص (١٩٤).

(ز) وأما استدلالهم بأداة الحصر ﴿إِنَّمَا﴾ وأن المراد عليّ رضى الله عنه بالخصوص، فهذا الدليل كما يدل على نفى إمامة الأئمة المتقدمين كما قرر يدل على سلب الإمامة من الأئمة المتأخرين بذلك التقرير بعينه، فلزم أن السبطين ومن بعدهما من الأئمة الأطهار مسلوبة منهم الإمامة، فإن أجابوا عن النقض بأن المراد حصر الولاية فى بعض الأوقات، أعنى وقت إمامته لا وقت إمامة من بعده، وافقوا أهل السنَّة فى أن الولاية العامة كانت له وقت كونه إمامًا لا قبله[(١)]، وإذا كانت هذه أقوى أدلتهم - كما يقول شيوخهم - تبين أنهم ليسوا على شىء، ذلك أن الأصل أن يستعمل فى هذا الأمر العظيم - والذى هو عند الروافض أعظم أمور الدين، ومنكره فى عداد الكافرين - صيغة واضحة جلية، يفهمها الناس بمختلف طبقاتهم، يدركها العامى، كما يدركها العالم، ويفهمها اللاحق، كما يفهمها الحاضر، ويعرفها البدوى، كما يعرفها الحضرى، فلما لم يستعمل مثل ذلك فى كتاب الله دل أنه لا نص كما يزعمون[(٢)]، وهذه أقوى آية يستدلون بها من كتاب الله، ويسمونها آية الولاية. ولهم تعلق بآيات أخرى ذكرها ابن المطهر الحلى، وأجاب عنها ابن تيمية بأجوبة جامعة[(٣)].

٢- آية المباهلة: إن آية المباهلة التى نزلت فى وفد نجران تُعد دليلاً آخر عند الشيعة الاثنى عشرية على الإمامة، وهى قول الله عز وجل: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]. ووجه دلالة الآية على إمامة على بن أبى طالب عند الطوسى وغيره من علماء الشيعة أنها دلت على أفضليته من وجهين:

أحدهما: أنَّ موضوع المباهلة ليتميز المحق من المبطل وذلك لا يصح أن يفعل إلا بمن هو مأمون الباطن مقطوع على صحة عقيدته، أفضل الناس عند الله.

الثانى: أنه ﷺ جعله مثل نفسه بقوله: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ لأنه أراد بقوله: ﴿أَبْنَاءَنَا﴾ الحسن والحسين عليهما السلام، وبقوله: ﴿نِسَاءَنَا﴾ فاطمة، وبقوله: ﴿أَنفُسَنَا﴾ نفسه

(١) أصول مذهب الشيعة، ص (٨٢٥).
(٢) أصول مذهب الشيعة الإمامية (٢/ ٨٢٩).
(٣) وقد قام الدكتور على السالوس بدراسة مستفيضة حول الآيات التى يستدل بها الإمامية لقولهم بالإمامة، وانتهى من ذلك إلى أن استدلالاتهم تنبنى على روايات متصلة بأسباب النزول وتأويلات انفردوا بها، لم يصح شىء من هذا ولا ذاك، مع الشيعة الاثنى عشرية (١/ ٥٥ إلى ١١١).

ونفس على عليهما السلام، وإذا جعله مثل نفسه وجب أن لا يدانيه ولا يقاربه في الفضل أحد(١).

وقد سميت آية المباهلة بهذا الاسم، لأنّ كل محق يود لو أهلك الله المبطل المناظر له، ولا سيما إذا كان في ذلك حجة له في بيان حقه وظهوره، وكانت المباهلة بالموت، لأنّ الحياة عندهم عزيزة عظيمة، لما يعلمون من سوء مآلهم بعد الموت، وآية المباهلة لا مستند فيها على ما يدعيه الشيعة الاثنا عشرية في موضوع الإمامة، لعدة أسباب:

(أ) إنه على كثرة المعاني والمرادفات لكلمة (نفس) التي استدل بها الإمامية على دلالة النص في خلافة على بن أبي طالب لا يوجد معنى حقيقي أو مجازي يدل على الخلافة، ولكن ما استدل به أهل السنّة على أنها تدل على دعوة النبي ﷺ بحضوره بنفسه أو أقاربه في الدين أو النسب فهو مذكور في اللغة موافقٌ للدين، قال الزبيدي: قال ابن خالويه: النفس الأخ، قال ابن برّي: وشاهده قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١] وفسر ابن عرفة قوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢]، أي بأهل الإيمان وأهل شريعتهم(٢)، قال الدهلوي: معنى ﴿نَدْعُ﴾ نحضر أنفسنا، وأيضًا لو قررنا أن الأمير - أي الإمام على - من قبل النبي ﷺ لمصداق ﴿أَنفُسَنَا﴾ فمن نقرره من قبل الكفار لمصداق ﴿وَأَنفُسَكُمْ﴾ في أنفس الكفار مع أنهم مشتركون في صيغة ﴿نَدْعُ﴾ ولا معنى لدعوة النبي إياهم وأبناءهم بعد قوله ﴿تَعَالَوْا﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ مثل قوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢]، نزلت في أم المؤمنين عائشة في حادثة الإفك، فإن الواحد من المؤمنين أنفس المؤمنين والمؤمنات، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] أي يقتل بعضكم بعضًا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤]، أي لا يُخرج بعضكم بعضًا، فالمراد بالأنفس الإخوان: إما في النسب وإما في الدين(٤).

(١) تفسير التبيان للطوسي (٣/ ٤٨٥).
(٢) تاج العروس (١٦/ ٥٧٠)، ثم أبصرت الحقيقة، ص١٨٨.
(٣) مختصر التحفة الاثني عشرية، ص١٥٦.
(٤) مختصر منهاج السنة (١/ ١٦٧، ١٦٨).

وقد قال الله عز وجل فى رسوله الكريم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. وفى هذه الآية حجة بالغة على من يستدل بقـوله تعالى: ﴿أَنفُسَنَا﴾ على معنى المماثلة والتـطابق، فهذه الآية تتكلم عن رسول الله ﷺ وعن كـفار مكة، وتقـول: ﴿مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾ فمن ذا الذى يقـول بأن نفس رسول الله ﷺ هى نفس كفار مكة - عياذًا بالله - ؟!!(١).

وهنا تظهر المزاجية فى تفـسير آية المباهلة حين يتجاهل علماء الشـيعة كل هذه النصوص ثم يأتون إلى هذه الآية الكريمة فيبالغون فى معناها إلى حد قولهم بأن عليًا هو نفس محمد عليه الصلاة والسلام سوى النبوة، وحتى بعـض الروايات الشيعية تشير إلى أن إطلاق لفظ أنفسنا على الأخ أو القـريب أو أرباب الفئة الواحدة شيء مـتعارف عليه بين العـرب، فعن أبى عبد الله عليه السلام، قال: بعث أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن العباس إلى ابن الكواء وأصحابه وعليه قميص رقيق وحُلَّة، فلما نظروا إليه قالوا: يا ابن عباس، أنت خيرنا فى أنفسنا وأنت تلبس هذا اللباس، فقال: أنا أول مـا أخاصمكم فيه ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢] وقال: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]، فهل بعد هذه الدلائل القرآنية وبعد هذه الرواية الشيعية من كلمة يقولها المغالى(٢)؟.

(ب) اعترف أحـد أقطاب الشيعة وهو الشريـف الرضىّ أن قوله تعالى: ﴿أَنفُسَنَا﴾ لا يعنى أن عليًا رضـى الله عنه هو نفس رسول الله ﷺ كمـا يقول الشيـعة، يقـول الشريف الرضى: قال بعض العلماء: إن للعرب فى لسـانها أن تخبر عن ابن العم اللاصق والقريب والمقارب بأنه نفس ابن عـمه، وأن الحميم نفس حـميمه، ومن الشـاهد على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ﴾ [الحجـرات: ١١]، أراد تعالى: ولا تعيبـوا إخوانكم المؤمنين، فأجرى الأخـوة بالديانة مجرى الأخوة فى الـقرابة، وإذا وقعت النفس عندهم على البعيد النسب كانـت أخلق أن تقع على القريب النسب، وقال الشاعر: كأنا يوم قرى إنما نقتل إيانا أراد كأنما نقتل أنفسنا بقتلنا إخواننا، فأجرى نفوس أقاربه مجرى نفسه لـشوابك العصم ونوائط العصم ونوائط اللحـم وأطيط الرحم، ولما يخلج من القربى القريبة ويتحـرك من الأعراق الوشيجة، فأما قـول الله تعالى فى سورة النور: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ فيمكن أن يجرى هذا المجرى، لأنه جـاء فى التفسير: أن معنى

(١) ثم أبصرت الحقيقة، ص١٨٨.
(٢) المصدر السابق، ص١٨٩.

ذلك فليسلّم بعضكم على بعض لاستحالة أن يسلم الإنسان على نفسه، وإنما ساغ القول، لأن نفوس المؤمنين تجرى مجرى النفس الواحدة، للاجتماع فى عقد الديانة، والخطاب بلسان الشريعة، فإذا سلَّم الواحد منهم على أخيه كان كالمسلِّم على نفسه، لارتفاع الفروق واختلاط النفوس(١).

وبهذا يتضح أنه لا حجة لدى الشيعة فى دعواهم أنّ فى هذه الآية ما ينص على المساواة بين رسول الله وعلى رضى الله عنه وأرضاه، فلفظ (النفس) يُطلق فى لغة العرب على البعيد النسب، فإطلاقه على القريب من باب أولى وليس فى ذلك دلالة على الإمامة من قريب ولا بعيد(٢).

(جـ) إن المباهلة إنما تحصل الرغبة والرهبة والشعور بصدق الداعى بجمعه نفسه وأهله الذين تحن إليهم النفوس بطبيعة الحال ما لا تحن إلى غيرهم من الأبعدين فى الهلاك(٣)، فكونه ﷺ يدعو ألصق الناس به وأقربهم إليه دليل واضح على صحة نبوته، ولهذا لما رأى نصارى نجران ذلك خافوا على أنفسهم وتخلوا عن مباهلته ولكن الروافض المبتدعة لما ابتلوا بدفع الحق وعدم التسليم له أصيبوا بعدم فهم ما تدل عليه آيات الكتاب العزيز(٤).

(د) قول الشيعة الإمامية: إن الآية تدل على المساواة بينه وبين النبى ﷺ إلا النبوة، كلام لا يُسلم له أبدًا، إذ إنّ النبى لا يساويه أحد فى أمور الدين لا على ولا غيره، فأين مقام رسول الله ﷺ وكماله البشرى من سائر الناس؟.

إن أمير المؤمنين عليًا نفسه لا يرضى ما يقول الشيعة الإمامية عنه، والمنصف العاقل يدرك هذه القضية بكل وضوح(٥)، فمقام النبوة له هيبته ومكانته عند أمير المؤمنين، وقد تحدثنا عنه فى هذا الكتاب.

(هـ) إن قضايا الاعتقاد الكبرى ومهمات الدين وأساسياته العظمى لابد لإثباتها من الأدلة القرآنية الصريحة القطعية الدلالة على المعنى المطلوب كدلالة قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] على التوحيد، ودلالة ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] على نبوة محمد ﷺ، ودلالة قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ [النور: ٥٦] على فرضية الصلاة ومشروعيتها(٦)... إلخ.

---

(١) ثم أبصرت الحقيقة، ص١٨٩.
(٢) المصدر السابق، ص١٩٠.
(٣) منهاج السنة (٧/ ١٢٥، ١٢٦).
(٤) عقيدة أهل السنة والجماعة فى الصحابة (٢/ ٥٦٤، ٥٦٥).
(٥) ثم أبصرت الحقيقة ص١٩١.
(٦) آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة، عبد الهادى الحسينى، ص٥.

٣- قوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]: وقد أورد الشيعة الإمامية فى تفسير هذه الآية حديثًا عزوه إلى النبى ﷺ حدد فيه القربى بعلى وفاطمة وأبنائهم، الأمر الذى يدل فى رأى الشيعة على أفضليتهم ووجوب مودتهم، ومن ثم وجوب طاعتهم واتخاذهم أئمة دون غيرهم(١).

والإجابة على ما سبق كالآتى:

(أ) إن هذه الآية فى سورة الشورى وهى مكية باتفاق أهل السنَّة(٢)، ومن المعلوم أن عليًا إنما تزوج فاطمة بعد غزوة بدر، والحسن ولد فى السنة الثالثة للهجرة، والحسين فى السنة الرابعة، فتكون هذه الآية قد نزلت قبل وجود الحسن والحسين بسنين متعددة، فكيف يفسر النبى ﷺ بوجوب قرابة لا تعرف ولم تخلق بعد(٣).

(ب) إن تفسير الآية الذى فى الصحيح يناقض ذلك، فقد روى البخارى بإسناده إلى ابن عباس رضى الله عنه أنه سئل عن قوله: ﴿إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾، فقال سعيد ابن جبير: قربى آل محمد ﷺ. فقال ابن عباس: عجلت، إن النبى ﷺ لم يكن بطن فى قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: إلا أن تصلوا ما بينى وبينكم من القرابة(٤)، قال ابن تيمية - رحمه الله -: فهذا ابن عباس رضى الله عنهما ترجمان القرآن، وأعلم أهل البيت بعد على، يقول: ليس معناها مودة ذوى القربى، لكن معناها: لا أسألكم يا معشر العرب ويا معشر قريش عليه أجرًا، ولكن أسألكم أن تصلوا القرابة التى بينى وبينكم. فهو سأل الناس الذين أرسل إليهم أولاً أن يصلوا رحمه، فلا يعتدوا عليه حتى يبلغ رسالة ربه(٥).

(جـ) إن الحديث الذى جعلوه مفسرًا للآية كذب وموضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث وهم المرجوع إليهم فى هذا، وقد نص على ذلك ابن تيمية(٦)، وقد تتبع ابن كثير أيضًا الأحاديث الواردة فى تفسير هذه الآية وبيَّن أن الأحاديث التى تنص على أن أُولى القربى هم فاطمة وولداها ضعيفة الإسناد، وأورد رواية عن ابن أبى حاتم قال: حدثنا رجل سماه حدثنا حسين الأشقر عن قيس عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله

---

(١) مجمع البيان للطبرسى (٢٥/ ٤٩، ٥١)، مختصر التحفة الاثنى عشرية، ص١٥٣ إلى ١٥٥.

(٢) تفسير البغوى (٤/ ١١٩)، العقيدة فى أهل البيت، ص٣٦٤.

(٣) منهاج السنة (٧/ ٩٩)، دارسة عن الفرق وتاريخ المسلمين، جلى، ص١٩٠.

(٤) البخارى، ك التفسير، رقم (٤٨١٨).

(٥)، (٦) منهاج السُنة (٧/ ١٠٠).

عنهمـا قال: لما نزلت هذه الآية ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم؟، قال: فاطمة وولداها رضى الله عنهم، وهذا إسناد ضعيف فيه متهم لا يعرف عن شيخ شيعى محترق وهو حسين الأشقر ولا يقبل خبره فى هذا المحل. وذكر نزول الآية فى المدينة بعيد فـإنها مكية ولم يكن إذ ذاك لفاطمة رضى الله عنها أولاد بالكلية فإنها لم تتزوج بعلى إلا بعد بدر فى السنة الثانية من الهجرة، والحق تفسير هذه الآية بما فسـرها حبر الأمة وترجمان القرآن عبـد الله بن عباس رضى الله عنهما وقد تحدث ابن حجر عن ضعف الروايات المذكورة ومخالفتها للحديث الصحيح(١).

أدلتهم من السنة:

١- **خطبة غدير خُمّ**:غدير خم هو موقع بين مكة والمدينة بالجحفة(٢)، ويقع شرق رابغ بما يقرب من ٢٦ ميلاً، ويسمونه اليوم الغربة(٣)، ويذكر أنه فى هذا الموقع خطب النبى ﷺ فى الناس، وذكر فضل على رضى الله عنه، واتخذ الروافض هذه الحادثة أسـاسًا يعتمدون عليه فى تشيعهم الغالى له من جـهة، واعتمدوا عليها فى أحقية على بالخـلافة من جهة أخرى، فأعطوا لهذه الحادثة من الأهمية ما لم يعطوه لغيرها فى عصر النبوة(٤)، حتى ألف فيه كتاب من أحد عـشر مـجلدًا وهوكتـاب الغدير مـلأه مؤلفـه بالأحاديث الموضـوعة والضـعيـفة، والصحيح مـا أخرجه الإمام مـسلم فى صحيحـه من حديث زيد بن أرقم رضى الله عنه أنه قال: قام رسول الله ﷺ فينا خطيبًا بماء يدعى خُمًا بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكَّر ثم قال: «**أما بعـد، ألا أيها الناس فإنما أنا بـشر يوشك أن يأتى رسول ربى فـأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به،**فحث على كتاب الله ورغَّب فـيه ثم قال: **وأهل بيتـى أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكـركم الله فى أهل بيـتى، أذكركم الله فى أهل بيـتى** قال له حـصين - أى الراوى عن زيد بن أرقم -: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نسـاؤه من أهل بيته؟ قال: بلى، ولكن أهل بيته من حُـرم الصدقة بعده. قال: ومن هم؟ قال: هم آل على وآل عـقيل وآل جعفر وآل عبـاس، قال: كل هؤلاء حُرِم الصدقة؟ قال: نعم(٥).

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ١١٢)، فتح البارى (٨/ ٥٦٤).
(٢) معجم البلدان (٢/ ٢٨٩).
(٣) على طريق الهجرة، عاتق البلاد، ص٦١.
(٤) أثر التشيع على الروايات التاريخية، عبدالعزيز محمد نور ولى، ص٢٩٩.
(٥) مسلم رقم (٢٤٠٨).

وجاء عند غير مسلم كالترمذي[(١)]، وأحمد[(٢)]، والنسائي في الخصائص[(٣)]، والحاكم[(٤)]، وغيرهم جاءت بأسانيد صحيحة عن النبي ﷺ: **«من كنت مولاه فعلي مولاه»**[(٥)]، وأما الزيادات الأخرى كقوله: **«اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»** فهذه الزيادات صححها بعض أهل العلم، والصحيح أنها لا تصح. وأما زيادة انصر من نصره واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، فهذه زيادة مكذوبة على النبي ﷺ[(٦)].

وخطبة النبي ﷺ: في غدير خم لها سبب وجيه، فعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ عليًا إلى خالد بن الوليد في اليمن ليخمّس الغنائم ويقبض الخُمس، فلما خمّس الغنائم كانت في الغنائم وصيفة هي أفضل ما في السبي، فصارت في الخُمس، ثم إن عليًا خرج ورأسه مغطى وقد اغتسل، فسألوه عن ذلك، فأخبرهم أن الوصيفة التي كانت في السبي صارت له فتسرّى بها. فكره البعض ذلك منه، وقدم بريدة بن الحصيب بكتاب خالد إلى النبي ﷺ وكان ممن يبغض عليًا، فصدّق على كتاب خالد الذي تضمن ما فعله علي، فسأله النبي ﷺ: **«لا تبغضه فإن له في الخُمس أكثر من ذلك»**[(٧)]، فلما كانت حجة الوداع رجع علي من اليمن ليدرك الحج مع النبي ﷺ وساق معه الهدي[(٨)]، وقد تعجل علي ليلقى الرسول ﷺ بمكة واستخلف رجلاً من أصحابه على الجند، فكسا ذلك الرجل الجند حللاً من البز[(٩)]، الذي كان مع علي، فلما دنا الجيش من مكة خرج علي ليلقاهم، فإذا عليهم الحُلل، فقال لنائبه: ويلك ما هذا؟ قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس، قال: ويلك، انزع قبل أن تنتهي به إلى الرسول ﷺ، فانتزع الحلل وردها إلى البزّ، فأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم علي[(١٠)]، فلما اشتكى الناس عليًا قام رسول الله ﷺ في الناس خطيبًا، قال ابن كثير: إن عليًا رضي الله عنه لما كثر فيه القيل والقال من ذلك الجيش بسبب منعه إيّاهم استعمال إبل الصدقة واسترجاعه منهم الحلل التي أطلقها لهم

(١) سنن الترمذي رقم (٣٧١٣).
(٢) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم (٦٧٠) صحيح لغيره.
(٣) خصائص علي رقم (٧٩) صحيح رجاله ثقات.
(٤) المستدرك (٣/ ١١٠).
(٥) حقبة من التاريخ، ص (١٨٢).
(٦) انظر: السلسلة الصحيحة للألباني (١٧٥٠).
(٧) مجمع الزوائد (٩/ ١٢٧) قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير عبد الجليل بن عطية، وهو ثقة صرح بالسماع وفيه لين.
(٨) مسلم رقم ١٢٨١.
(٩) البزّ: الثياب، أو متاع البيت من الثياب.
(١٠) البداية والنهاية (٥/ ٩٥)، السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٢٥٩) قال ابن كثير: هذا السياق أقرب من سياق البيهقي (دلائل النبوة ٥/ ٣٩٨) رغم أنه قال عن رواية البيهقي: هذا إسناد جيد على شرط النسائي.

نائبه لذلك، والله أعلم، لما رجع الرسول ﷺ من حجته وتفرغ من مناسكه وفي طريقه إلى المدينة مر بغدير خم فقام في الناس خطيبًا فبرأ ساحة على ورفع من قدره ونبَّه على فضله ليزيل ما وقر في قلوب كثير من الناس(١).

إن النبي أخَّر الكلام إلى أن رجع إلى المدينة ولم يتكلم وهو في مكة في حجة الوداع أو في يوم عرفة، وإنما أجل الأمر إلى أن رجع، فهذا يدل على أن الأمر خاص بأهل المدينة لأن الذين تكلموا في على رضى الله عنه من أهل المدينة فهم الذين كانوا مع علي في الغزو، وغدير خم في الجحفة وهي تبعد عن مكة تقريبًا مائتين وخمسين كيلو مترًا، والذى يقول إنه مفترق الحجيج فهذا غير صحيح، لأن مجتمع الحجيج مكة، فلا يكون مفترق الحجيج بعيدًا عن مكة أكثر من مائتين وخمسين كيلو مترًا أبدًا، فإن أهل مكة يبقون في مكة، وأهل الطائف يرجعون إلى الطائف، وأهل اليمن إلى اليمن، وأهل العراق إلى العراق، وهكذا كل من أنهى حجه، فإنه يرجع إلى بلده، وكذلك القبائل العربية ترجع إلى مضاربها، فلم يكن مع النبي ﷺ إلا أهل المدينة ومن كان على طريق المدينة فقط، وهم الذين خطب فيهم النبي ﷺ والاختلاف بين أهل السنَّة والشيعة الراوفض في مفهوم قول النبي ﷺ لا في الثبوت، فالروافض يقولون: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، أي من كنت واليه فعليّ واليه. وأهل السُّنَّة يقولون: إن مفهوم قول النبي ﷺ «من كنت مولاه فعلى مولاه» أى الموالاة التى هى النصرة والمحبة وعكسها المعاداة، وذلك لأمور:

(أ) للزيادة التي وردت وصححها بعض أهل العلم وهي قول النبي ﷺ: «اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه»(٢)، والمعاداة هى شرح لقوله: فعليّ مولاه، فهى فى محبة الناس لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه وأرضاه.

(ب) كلمة مولاه تدل على معانٍ متعددة. قال ابن الأثير: المولى يقع على الرب والمالك والمنعم والناصر والمحب والحليف والعبد والمعتق وابن العم والصهر(٣)، كل هذه تطلقه العرب على كلمة مولى.

(جـ) الحديث ليس فيه دلالة على الإمامة لأن النبي ﷺ لو أراد الخلافة لم يأت بكلمة تحتمل هذه المعانى التى ذكرها ابن الأثير، والنبى ﷺ هو أفصح العرب ولكان يقول: على خليفتى من بعدى، أو عليّ الإمام من بعدى، أو إذا أنا متُّ فاستمعوا وأطيعوا لعليّ بن

(١) البداية والنهاية (٥/ ٩٥).
(٢) السلسلة الصحيحة للألبانى رقم (١٧٥٠).
(٣) النهاية فى غريب الحديث (٥/ ٢٢٨).

أبى طالب، ولكن لم يأت النبى ﷺ بهذه الكلمة الفاصلة التى تنهى الخلاف إن وجد أبدًا، وإنما قال: من كنت مولاه فعلى مـــولاه[1].

(د) قال الله تعالى: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٥]، فسماها مولى لشدة الملاصقة والاتحاد مع الكفار والعياذ بالله.

(هـ) الموالاة وصف ثابت لعلى فى حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته وبعد وفاة على رضى الله عنه، فعلىّ كـان مولى المؤمنين بعد وفـاة رسول الله ﷺ وهو مولى المؤمنين بعـد وفاته رضى الله عنه، فهو الآن مولانا كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: ٥٥]، وعلى رضى الله عنه من سادة الذين آمنوا.

(و) قال الإمام الشافعى رحمـه الله عن حديث زيد: يعنى بذلك ولاء الإسلام كما قال الله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [مـحمـد: ١١][2]، فالحديث لا يدل على أن عليًا رضى الله عنه هو الخليفة بعد رسول الله ﷺ، وإنما يدل على أن عليًا من أولياء الله تبارك وتعالى، تجب له الموالاة، وهى المحبة والنصرة والتأييد[3].

وعمومًا فإن هـذه الخطبة التى خطبها النبى ﷺ فى غدير خم أراد بها تبـرئة ساحة على رضى الله عنه ورفع مكانتـه والتنبيه علـى فضله؛ ليزيل مـا كان وقر فى نـفوس الناس من أصحـابه الذين كانوا مـعه فى اليمن وأخـذوا عليه بعض الأمـور، والرسول ﷺ لم يرد أن يفعل ذلك أثناء موسم الحج لأن الحادثة رغم انتشـارها بقيت محدودة فى أهل المدينة، كما أنه لم يؤخره حتى وصوله إلى المدينة حتى لا يُمكن المنافـقين من استغلال مثل هذه الحادثة فى مكايدهم[4]، ومما يدل على أن النبى ﷺ أراد من خطبته هذه بيان فضل على للذين لم يعرفوا فـضله، أنه عندما قام عنده بريدة بن الحصيب ينتـقص فى على - وكان قد رأى من على جفوة - تغـير وجه النبى ﷺ وقال: يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفـسهم؟ فقال بريدة: بلى يا رسول الله. قال: «من كنت مولاه فعلى مولاه»[5].

(١) حقبة من التاريخ، ص١٨٥.
(٢) النهاية فى غريب الحديث (٥/ ٢٢٨).
(٣) حقبة من التاريخ، ص١٨٧.
(٤) أضواء على دراسة السـيرة النبوية، صالح الشـامى، ص١١٣ - ١١٤. أثر التشيع على الروايات التـاريخية، ص٣٠٤.
(٥) السلسلة الصحيحة (٤/ ٣٣٦) قال الألبانى: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين.

وهناك بحث قيم في هذا الموضوع قام به الدكتور محمد علي السالوس، فتحدث عن خطبة الغدير والوصية بالكتاب والسنَّة، وقام بدراسة لروايات التمسك بالكتاب والعترة وناقشها وحكم عليها ثم قال: مما سبق نرى أن حديث الثقلين من الأحاديث التي صح سندها وصح متنها، وأن الروايات الثماني التي تأمر بالتمسك بالعترة إلى جانب الكتاب الكريم لم تخل واحدة منها من ضعف في السند[1]، وفي متن هذه الروايات نجد الإخبار بأن الكتاب وأهل البيت لن يفترقا حتى يردا الحوض على رسول الله ﷺ ومن أجل هذا وجب التمسك بهما، ولكن الواقع يخالف هذه الأخبار، فمن المتشيعين لأهل البيت من ضل وأضل، وأكثر الفرق التي كادت للإسلام وأهله وجدت من التشيع لآل البيت ستارًا يحميها، ووجدت من المنتسبين لآل البيت من يشجعها لمصالح دنيوية، كأخذ خُمس ما يغنمه الأتباع.

إن عدم الضلال يأتي من التمسك بالكتاب والسنّة، وإذا تمسك أهل البيت بهما كان لهم فضل الانتساب مع فضل التمسك، واستحقوا أن يكونوا أئمة هدى نقتدي بهم كما قال تعالى: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[الفرقان: ٧٤] أي: أئمة نقتدي بمن قبلنا، ويقتدي بنا من بعدنا، ولا يختص هذا بأهل البيت ولكن بكل من يعتصم بالكتاب والسنَّة، فالروايات التي ضعف سندها لا يستقيم متنها كذلك، وهذا ضعف آخر. ومع هذا كله فلو صحت هذه الروايات فإنها لا تدل من قريب ولا بعيد على وجوب إمامة الأئمة الاثني عشر وأحقيتهم بالخلافة[2].

قال العلامة المناوي في فقه روايات الحديث: إن ائتمرتم بأوامر كتابه، وانتهيتم بنواهيه، واهتديتم بهدي عترتي، واقتديتم بسيرتهم، اهتديتم فلم تضلوا[3].

وقال ابن تيمية بعد أن بيّن أن الحديث ضعيف لا يصح: وقد أجاب عنه طائفة بما يدل على أن أهل بيته كلهم لا يجتمعون على ضلالة. قالوا: ونحن نقول بذلك كما ذكر ذلك القاضي أبو يعلى وغيره. وقال أيضًا: إجماع الأمة حجة بالكتاب والسنَّة والإجماع، والعترة بعض الأمة، فيلزم من ثبوت إجماع الأمة إجماع العترة[4].

(١) ومع هذا الضعف جاء في كتاب المراجعات للموسوي بأنها متواترة ص٥١، ونسب للشيخ سليم البشري أنه تلقى هذا القول بالقبول، ص٤٥، وأنه طلب المزيد وذكر صاحب المراجعات روايات أخرى أشد ضعفًا، مع الشيعة الاثني عشرية (١/ ١٣٦).

(٢) مع الشيعة الاثني عشرية (١/ ١٣٦).

(٣) فيض القدير (٣/ ١٤).

(٤) منهاج السُّنة النبوية (٤/ ١٠٥).

إن حديث الثقلين، فى قوله ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدًا، كتاب الله[1] وعترتى»، فيه كلام من حيث صحته وثبوته عن النبى ﷺ. والثابت عند مسلم أن الأمر كان بالتمسك بكتاب الله، والوصية بأهل البيت كما مر من حديث زيد بن أرقم فى مسلم، فأوصى بكتاب الله، وحث على التمسك به، ثم قال: «وأهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى»، فالذى أمر بالتمسك به كتاب الله، وأما أهل بيت النبى ﷺ فأمر برعايتهم وإعطائهم حقوقهم التى أعطاهم الله تبارك وتعالى إياها[2] والرد على فهم الشيعة الروافض المنحرف لحديث الثقلين من وجوه:

(أ) إن عترة الرجل هم أهل بيته، وعترة النبى ﷺ هم كل من حرمت عليه الزكاة وهم بنو هاشم، هؤلاء هم عترة النبى ﷺ، فالروافض ليس لهم أسانيد إلى الرسول ﷺ وهم يقرون بهذا أنهم ليس عندهم أسانيد فى نقل كتبهم ومروياتهم، وإنما هى كتب وجدوها وقالوا: رووها فإنها حق[3]، أما أسانيدهم كما يقول الحر العاملى وغيره من أئمة الشيعة الروافض: إنه ليس عند الشيعة أسانيد أصلاً ولا يعولون على الأسانيد[4]، فأين لهم ما يروونه فى كتبهم ثابتًا عن عترة النبى ﷺ؟، بل أهل السنَّة هم أتباع عترة النبى ﷺ وأعطوهم حقهم، ولم يزيدوا ولم ينقصوا، كما قال النبى ﷺ فى حق نفسه: «لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، ولكن قولوا عبد الله ورسوله»[5].

(ب) إمام العترة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، وبعده يأتى فى العلم عبد الله بن عباس الذى هو حبر الأمة، وكان يقول بإمامة أبى بكر وعمر قبل على رضى الله عنه، بل إن علىّ بن أبى طالب قد ثبت عنه بالتواتر أنه قال: أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر[6]، فعلىّ يقر بفضل الشيخين وهو إمام العترة[7].

(جـ) هذا الحديث مثل قوله ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبدًا، كتاب الله وسنَّتى»[8]. وقال النبى ﷺ: «عليكم بسنَّتى وسنَّة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ»[9]، فأمر بالعض عليها بالنواجذ، وقال ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدى، أبى بكر

---

(١) سُنن الترمذى، كتاب المناقب رقم (٣٧٨٦) وفيه زيد الأنماطى، والحديث له أكثر من طريق لا يخلو طريق منها من كلام مع اختلاف المتون.

(٢)، (٣)، (٤) حقبة من التاريخ، ص٢٠٣.

(٥) البخارى رقم (٣٤٤٥).

(٦) البخارى رقم (٣٦٧١).

(٧) حقبة من التاريخ، ص٢٠٤.

(٨) مستدرك الحاكم (١/ ٩٣).

(٩) سُنن أبى داود (٤/ ٢٠١) الترمذى حسن صحيح.

وعمر»[1]، وقال: «اهتدوا بهدى عمار وتمسكوا بعهد ابن مسعود»[2]، ولم يدل هذا على الإمامة أبدًا، وإنما دلّ على أن أولئك على هدى الرسول ﷺ، كما أن عترة الرسول ﷺ لا تجتمع على ضلالة أبدًا[3].

(د) إن الشيعة الروافض يطعنون في العباس[4]، ويطعنون في عبد الله ابنه، ويطعنون في أولاد الحسن، وقالوا: إنهم يحسدون أولاد الحسين، ويطعنون كذلك في أبناء الحسين نفسه من غير الأئمة الذين يدعونهم كزيد بن علي[5]، وكذلك إبراهيم أخي الحسن العسكري[6]، وغيرهم فهم ليسوا بأولياء للنبي ﷺ وعترته بل أولياءُ النبي وعترته هم الذين مدحوهم وأثنوا عليهم وأعطوهم حقهم ولم ينقصوهم[7].

(هـ) فَهْم صحابة رسول الله ﷺ للنص: فهم الصحابة رضي الله عنهم أن المراد بالمولى أو الولي هو الحب والولاء والطاعة، ولذلك عبّروا عن طاعتهم وإجلالهم لسيد أهل البيت علي بن أبي طالب بمناداته يا مولانا، فعن رياح الحارث قال: جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانا، فقال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم: «من كنت مولاه فهذا مولاه» قال رياح: فلما مضوا اتبعتهم فسألت من هؤلاء؟، قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري[8].

إن أهم ما يستفاد من هذا الحديث هو أن علي بن أبي طالب نفسه لم يكن يفهم من لفظ (مولى) معنى الإمامة والإمارة، فمن الملاحظ أن أمير المؤمنين عليًا رضي الله عنه قد استنكر منهم مناداته بـ (يا مولانا)، ولو كان أمير المؤمنين علي العربي الفصيح يراها مرادفة يا أميرنا، أو يا إمامنا، لما استنكر على القائلين تلك المناداة[9].

(و) روت كتب الشيعة الاثني عشرية أقوالاً لبعض أهل البيت ينفون فيها أن يكون المراد بحديث الغدير النص على إمامة علي من بعد رسول الله ﷺ، فقد قيل للإمام الحسين بن علي الذي كان كبير الطالبيين في عهده وكان وصي أبيه وولي صدقة جده: ألم يقل رسول

(1) صحيح سُنن الترمذي للألباني (٣/ ٢٠٠).
(2) سُنن الترمذي رقم (٣٨٠٥).
(3) حقبة من التاريخ، ص٢٠٥.
(4) رجال الكشي، ص٥٢ نقلاً عن حقبة من التاريخ ص٢٠٥.
(5) بحار الأنوار (٤٦/ ١٩٤) اتهموه أنه كان يشرب الخمر، حقبة من التاريخ، ص٢٠٥.
(6) الكافي (١/ ٥٠٤) اتهموه بأنه فاجر ماجن شريب للخمور، حقبة من التاريخ، ص٢٠٥.
(7) حقبة من التاريخ، ص٢٠٥.
(8) فضائل الصحابة (٢/ ٧٠٢) حديث رقم ٩٦٧.
(9) ثم أبصرت الحقيقة، ص٢٠٠.

الله: من كنت مـولاه فعلى مولاه؟ فـقال: بلى ولكن - والله - لم يعـن رسول الله بذلك الإمامة والسلطان، ولـو أراد لأفصح لهم به. وكان ابنه الإمام عبـد الله يقول: ليس لنا فى هذا الأمر مـا ليس لغيرنا، وليـس فى أحد من أهل البيت إمـام مفتـرض الطاعة من الله، وكان ينفى أن تكون إمامة أمير المؤمنين من الله[1]، فإذا كان هذا كلام أهل البيت وهم أبناء على والناصرون له، فما ترى غيرهم يقولون[2]؟.

٢- حديث استخـلاف عليٍّ رضى الله عنه على المدينة فى تبوك: كان فى رجب سنة تسع من الهجرة غزوة تبوك، وكانت لها أهمية كبـيرة فى السيرة النبوية، وتحققت منها غايات كانت بعيدة الأثر فى نفوس المسلمين والعرب، ومجرى الحوادث فى تاريخ الإسلام[3]، واستعمل رسول الله ﷺ على المدينة عليًا، فـوجد المنافقـون فرصة للتنفـيس عما بداخلهم من حـقد ونفاق، فأخذوا يتكلمون فى على رضى الله عنه بما يسئ إليـه، فمن ذلك قولهم: ما تركه إلا لثقله عليه. وهذا القول منهم فى حقه، علامة بارزة واضحة على نفاقهم، ففى الحديث الصحيح أن عليًـا رضى الله عنه قال: والذى فلق الحبة وبرأ النسمـة، إنه لعهد النبى الأمى ﷺ «أن لا يحبنى إلا مؤمن ولا يبغضنى إلا منافق»[4].

عند ذلك أدرك على الجيش وأراد الغزو معهم قـائلاً: يا رسول الله أتخلفنى فى الصبيان والنساء، فـقال رسول الله ﷺ: «ألا ترضى أن تكون بمنزلة هارون من مـوسى، غيـر أنه لا نبى بعدى»[5].

وليس فى هذا الحديث ما يسـتدل به الشيعة على كـون أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه خليفة لرسول الله ﷺ والرد عليهم من وجوه:

(أ) الحديث المذكور له سـبب هام لا ينبغى أن يغفل وأن يفهم الحـديث دونه، فد طعن المنافقون فى على رضى الله عنه، فبيَّن رسول الله مكانته وفضله، وكذب المنافقين.

(ب) من الثابت أن هارون عليه السلام كانت وفاته قبل موسى عليه السلام والاستدلال بالحديث على إمامة على بعد رسـول الله بالتالى غير منطبق، ولو أراد رسول الله ﷺ النص على على بن أبى طالب رضى الله عنـه لقال له مـثلاً: أنت منى بمنزلة يوشع من مـوسى،

(١) ثم أبصرت الحقيقة، ص٢٠١، كذلك الرواية فى كـتب أهل السُّنة، الاعتقاد للبيهقى ص١٨٢ - ١٨٣، ومن كتب الشيعة، بصائر المؤمنين للصفّار، ص١٥٣ - ١٥٦.

(٢) ثم أبصرت الحقيقة، ص٢٠١. (٣) المرتضى للندوى، ص ٥٥. (٤) مسلم.

(٥) البخارى رقم (٤٤٠٤).

لأن نبى الله يوشع استخلف على بنى إسرائيل بعد وفاة موسى عليه السلام، لكن ذكر رسول الله ﷺ لهارون عليه السلام الذى كان خليفة موسى عليه السلام فى حياة موسى لا بعد وفاته، ليس له إلا معنى واحد هو الترضية لعلى الذى أحزنه إبقاء الرسول ﷺ له فى المدينة مستخلفًا على الضعفاء والنساء والأطفال والمتخلفين عن الغزوة، فبيَّن له النبى ﷺ أنه كما استخلف موسى عليه السلام أخاه هارون عليه السلام على قومه وذهب للطور للقاء ربه تبارك وتعالى فاستخلافى لك من هذا الباب، فموسى لم يستخلف هارون - عليهما السلام - استخفافًا به وتنقيصًا له وإنما ائتمانًا وثقة به، وكذلك الحال معك يا على بن أبى طالب رضى الله عنك.

(جـ) هارون عليه السلام لم يكن وصيًا لموسى عليه السلام بل كان نبيًا ووزيرًا بنص القرآن، وقياس حال أمير المؤمنين على رضى الله عنه الذى هو عند الشيعة وصى وليس بنبى قياسًا مع الفارق علمًا بأنهم يرفضون القياس أصلاً.

(د) الاستدلال بكون هارون عليه السلام وزيرًا لموسى عليه السلام على وزارة أمير المؤمنين على لرسول الله ﷺ أعجب من الأولى، ذلك لأن الله تعالى الذى جعل هارون عليه السلام وزيرًا لنبيه موسى عليه السلام قال فى محكم كتابه عن طلب موسى عليه السلام: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَرُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ [طه: ٢٩، ٣٢]، فهل يرى من يدَّعى التطابق بين الاثنين كون على رضى الله عنه مشاركًا لرسول الله ﷺ فى نبوته كما هو الحال فى مشاركة هارون لموسى عليه السلام فى أمره؟!!، من يعتقد ذلك فلا شك فى كفره وخروجه من ملة الإسلام(١).

(هـ) لقد استخلف النبى ﷺ على المدينة غير على بن أبى طالب، ففى غزوة بدر استخلف عبد الله بن أمِّ مكتوم، واستخلف فى غزوة سليم، سباع بن عُرفطة الغفارى أو ابن أم مكتوم على اختلاف فى ذلك، واستخلف فى غزوة السويق، بشير بن عبد المنذر، واستعمل على المدينة فى غزوة بنى المصطلق، أبا ذر الغفارى، وفى غزوة الحديبية، نُمَيْلة ابن عبد الله الليثى، كما استعمله أيضًا فى غزوة خيبر، وفى عمرة القضاء استعمل عويف ابن الأضبط الديلى، وفى فتح مكة، كلثوم بن حصين ابن عتبة الغفارى، وفى حجة الوداع، أبا دجانة الساعدى، ذكر هذا ابن هشام فى مواقف متفرقة من السير(٢)، إضافة إلى أن استخلاف علىٍّ على المدينة لم يكن الأخير فقد استخلف النبى ﷺ على المدينة فى

(١) ثم أبصرت الحقيقة، ص٢١٥.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٦٥٠، ٨٠٤، ٨٠٦).

حجة الوداع غير علي، وهذا منهج النبي ﷺ في تربية القادة كما حدث عندما أمَّر أبا بكر على الحج، واختصه أيضًا بإمامة الصلاة وحده[1]..

(و) وأما تشبيه النبي ﷺ لعلي بهارون فهذه فضيلة، كما أن النبي ﷺ شبه أبا بكر وعمر بأعظم من هارون ففي غزوة بدر، لما كانت قضية الأسرى واستشار النبي ﷺ أبا بكر، فرأى أن يعفو عنهم وأن يفادوهم قومهم، ورأى عمر أن يقتلهم، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: **إن مثلك كمثل إبراهيم يوم قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** [إبراهيم: ٣٦] **ومثلك كمثل عيسى إذ قال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** [المائدة: ١١٨]، ثم التفت إلى عمر فقال: يا عمر إن مثلك مثل نوح لما قال: **﴿رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾** [نوح: ٢٦]، **ومثلك كمثل موسى لما قال: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾**[2] [يونس: ٨٨]. فشبَّه أبا بكر بإبراهيم وعيسى، وشبَّه عمر بنوح وموسى، وأولئك من أولي العزم وهم خير البشر بعد رسول الله ﷺ، وهم أفضل من هارون بدرجات صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وتشبيه النبي ﷺ لعلي بهارون تكريم له، كما كرَّم النبي ﷺ أبا بكر وعمر عندما شبههم بإبراهيم وعيسى وموسى ونوح[3] عليهم السلام.

(ز) من أقوال العلماء في شرح الحديث:

قال النووي رحمه الله: وهذا الحديث لا حُجة فيه لأحد منهم، بل فيه إثبات فضيلة لعلي ولا تعرض فيه لكونه أفضل من غيره أو مثله، وليس فيه دلالة لاستخلافه بعده، لأن النبي ﷺ إنما قال هذا لعلي حين استخلفه في المدينة في غزوة تبوك. ويؤيد هذا أن هارون المشبه به لم يكن خليفة بعد موسى، بل توفي في حياة موسى، وقبل وفاة موسى بنحو أربعين سنة على ما هو مشهور عند أهل الأخبار والقصص، قالوا وإنما استخلفه حين ذهب لميقات ربه للمناجاة[4].

وقال ابن حزم رحمه الله بعد ذكر احتجاج الرافضة بالحديث: وهذا لا يوجب له فضلاً على من سواه ولا استحقاق الإمامة بعده: لأن هارون لم يلِ أمر بني إسرائيل بعد موسى عليهما السلام، وإنما ولي الأمر بعد موسى عليه السلام يوشع بن نون فتى موسى وصاحبه الذي سافر معه في طلب الخضر عليهما السلام، كما ولي الأمر بعد رسول الله ﷺ صاحبه في

(١) ثم أبصرت الحقيقة، ص٢١٥.
(٢) مُسند أحمد (١/ ٣٨٣) إسناده صحيح.
(٣) حقبة من التاريخ، ص٢٠٠.
(٤) شرح صحيح مسلم (١٣/ ١٧٤).

الغار الذى سافر معه إلى المدينة، وإذا لم يكن على نبيًا كما كان هارون نبيًا، ولا كان هارون خليفة بعد موت موسى على بنى إسرائيل فصح أن كونه رضى الله عنه من رسول الله بمنزلة هارون من موسى إنما هو فى القرابة فقط، وأيضًا فإنما قال له رسول الله ﷺ هذا القول إذ استخلفه على المدينة فى غزوة تبوك، ثم إنه قد استخلف ﷺ قبل تبوك وبعد تبوك فى أسفاره رجالاً سوى على رضى الله عنه فصح أن هذا الاستخلاف لا يوجب لعلى فضلاً على غيره، ولا ولاية الأمر بعده، كما لم يوجب ذلك لغيره من المستخلفين[1].

وقال ابن حجر رحمه الله: واستدل بحديث الباب على استحقاق على للخلافة دون غيره من الصحابة، فإن هارون كان خليفة موسى وأجيب بأن هارون لم يكن خليفة موسى إلا فى حياته لا بعد موته لأنه مات قبل موسى باتفاق. . أشار إلى ذلك الخطابى[2].

وقال ابن تيمية رحمه الله فى سياق رده على الشيعة الرافضة فى استدلالهم بهذا الحديث: وقول القائل هذا بمنزلة هذا، وهذا مثل هذا، هو كتشبيه الشىء بالشىء يكون بحسب ما دل عليه السياق، لا يقتضى المساواة - المطلقة - فى كل شىء، وكذلك هنا بمنزلة هارون، وهذا الاستخلاف لا يسمى من خصائص على، بل ولا هو مثل استخلافاته فضلاً أن يكون أفضل منها، وقد استخلف مَنْ هو على أفضل منه فى كثير من الغزوات، ولم تكن تلك الاستخلافات توجب تقديم المُستَخلف على علىٍّ إذا قعد معه، فكيف يكون موجبًا لتفضيله على علىٍّ؟ قد استخلف على المدينة غير واحد، وأولئك المستخلفون منه بمنزلة هارون من موسى من جنس استخلاف علىّ بل كان ذلك الاستخلاف يكون على أكثر وأفضل ممن استخلف عليه عام تبوك وكانت الحاجة إلى الاستخلاف أكثر، فإنه كان يخاف من الأعداء على المدينة، فأما عام تبوك فإنه كان قد أسلمت العرب بالحجاز، وفتحت مكة وظهر الإسلام وعزّ، ولهذا أمر الله نبيه أن يغزو، ولهذا لم يدع النبى ﷺ عند على أحدًا من المقاتلة، كما كان يدع النبى ﷺ بها فى سائر الغزوات بل أخذ المقاتلة[3] كلهم.

(جـ) الحكمة فى عدم تخصيص رسول الله ﷺ من بعده أحدًا ليتولى أمر الأمة: إن الحكمة فى عدم تخصيص رسول الله ﷺ من بعده أحدًا ليتولى أمر الأمة تتضح فى إدراكنا لحقيقة الإسلام كدين ربانى للبشرية، وأنه لو حدد الرسول ﷺ رجلاً من بعده، فإنه يكون قد أعطى المسوغ الشرعى ليدعى المدعون- وقد فعلوا بدون برهان - بأن قيادة الأمة من حق

(١) الفصل (٤/ ١٥٩، ١٦٠).

(٢) فتح البارى (٧/ ٧٤)، الانتصار للصحب والآل، ص٥٤٠.

(٣) منهاج السنّة (٧/ ٣٣٠، ٣٣٢)، مجموع الفتاوى (٤/ ٤١٦).

أسرة بعينها، ويصبح الحكم الوراثى هو الحكم السائد فى الإسلام، ولكن رسول الله ﷺ أراد - وهو لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤] - أن يترك هذا الأمر مطلقًا للمسلمين أن يختاروا أصلحهم وخيرهم، وإن كان لـمَّح بعض التلميحات إلى أبى بكر وكان بمقدوره عليه السلام أن يصرح، ولكنه لم يفعل لهذا القصد - إلا أن التلميح لا يعطى شرعية التولية المباشرة، ولو كانت هناك وصية لأحد من الخلق لما حصل اختلاف فى سقيفة بنى ساعدة في بداية الأمر، ولما استشار أبو بكر الناس فى تولية عمر رضى الله عنه، ولما ترك عمر الخلافة بيد ستة من المهاجرين.. إلخ، ولو كانت المسألة وراثة لكان بنو هاشم أول من ينالون هذا الأمر(١).

إن هذا الدين للبشرية، ولا يصح بأى حال من الأحوال أن يكون محصورًا فى أسرة حاكمة واحدة، ويظل متوارثًا، كالمتاع، وإذا كانت العصور التالية فعلت ذلك، كعصر بنى أمية، وبنى العباس وغيرهم، فإن هذا خلاف القاعدة الشرعية، وما كان خلاف القاعدة، فهو طارئ وغريب على دين الله، وينبغى أن ينحى هذا المفهوم القاصر كلية من الفكر الإسلامى حتى يصبح ناصعًا نقيًا(٢).

بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة التى يستدلون بها فى الإمامة:

١- **حديث الطائر:** ومن أهم أدلة الشيعة الإمامية كذلك: حديث الطائر المشوى، روى الحاكم فى المستدرك عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كنت أخدم رسول الله ﷺ، فقدم لرسول الله فرخ مشوى فقال: اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك يأكل معى من هذا الطير، قال: فقلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار، فجاء على رضى الله عنه فقلت: إن رسول الله على حاجة، ثم جاء فقال رسول الله ﷺ: افتح، فدخل، فقال رسول الله ﷺ: ما حبسك يا على؟، فقال: إنّ هذه آخر ثلاث كرَّات يَرُدُّنى أنس، يزعم أنك على حاجة، فقال: ما حملك على ما صنعت؟، فقلت: يا رسول الله، سمعت دعاءك، فأحببت أن يكون رجلاً من قومى، فقال رسول الله ﷺ: إنّ الرجل قد يحب قومه(٣). روى هذا الحديث بأسانيد لا تخلو من ضعف، بالإضافة إلى أن كثرة الروايات المسندة إلى أنس بن مالك رضى الله عنه وعدم صحة سند واحد منها أمر يدعو للعجب والدهشة، فأين أصحاب أنس من هذا الحديث وقد صحبوه السنين الطوال؟ لم نر أى واحد منهم قد روى

(١)، (٢) دراسات فى عهد النبوة للشجاع، ص٢٧٠.

(٣) المستدرك (٣/ ١٣٠، ١٣١) ضعيف من حيث السند والمتن.

هذا الحديث، وهم من هم فى الثقة والضبط، كأمثال الحسن البصرى، وثابت البنانى، وحميد الطويل، وحبيب بن أبى ثابت، وبكر بن عبد الله المزنى، وأسعد بن سهل بن حنيف، وإسحاق بن عبدالله بن أبى طلحة، وأبان بن صالح، وإبراهيم بن ميسرة، وغيرهم كثير ممن يروى عن أنس ولا يُعرف، قال ابن كثير: ثم وقفت على مجلد كبير فى رده وتضعيفه - أى حديث الطير - سندًا ومتنًا للقاضى أبى بكر الباقلانى(١)، وقال ابن الجوزى: قد ذكره ابن مردويه من نحو عشرين طريقًا كلها مظلم، وفيها مطعن، فلم أر الإطالة بذلك(٢)، وقال ابن تيمية: حديث الطائر من المكذوبات والموضوعات عند أهل العلم والمعرفة بحقائق النقل(٣)، وقال الزيلعى: كم من حديث كثرت رواته وتعددت طرقه، وهو حديث ضعيف(٤).

٢- **حديث الدار:** ومن الأحاديث التى يستدل بها الشيعة الاثنا عشرية على نصيّة الإمامة حديث الدار، حيث يرى الشيعة أن رسول الله ﷺ نص على إمامة على منذ بداية البعثة، وأثناء عرضه الإسلام على كفار مكة، ومنذ مطالبته إياهم بترك الأوثان وإفراد الواحد القهَّار بالعبادة، لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] دعانى رسول الله ﷺ فقال: يا على إنّ الله أمرنى أن أنذر عشيرتك الأقربين فضقت بذلك ذرعًا وعرفت أنى متى أبادئهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمت على حتى جاء جبرائيل، فقال: يا محمد إنك إلا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك. فاصنع لنا صاعًا من الطعام واجعل عليه رجل شاة، واملأ لنا عسًا من لبن، ثم اجمع لى بنى عبد المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به، ففعلت ما أمرنى به ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب، فلما اجتمعوا إليه دعانى بالطعام الذى صنعت لهم فجئت به فلما وضعته تناول رسول الله خدية من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها فى نواحى الصحفة، ثم قال: خذوا باسم الله، فأكل القوم حتى ما لهم بشىء حاجة، وما أرى إلا موضع أيديهم وايم الله الذى نفسى بيده، وإن كان الرجل الواحد منهم يأكل ما قدمت لجميعهم، ثم قال: اسق القوم، فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعًا، وايم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال: لقد سحركم صاحبكم، فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله، فقال: الغد يا على، إن هذا الرجل سبقنى إلى ما قد

(١) البداية والنهاية (٧/ ٣٥٤).
(٢) العلل المتناهية (١/ ٢٢٥، ٢٣٤).
(٣) منهاج السنَّة (٤/ ٩٩).
(٤) تحفة الأحوذى (١٠/ ٢٤).

سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت، ثم اجمعهم إليَّ. فقال: ففعلت، ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته لهم ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة، ثم قال: أسقهم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعًا، ثم تكلم رسول الله ﷺ، فقال: يا بني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شابًا في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم. قال: فأحجم القوم عنها جميعًا وقلت -وإني لأحدثهم سنًا وأرمصهم عينًا وأعظمهم بطنًا وأحمشهم ساقًا[1] -: أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي، ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع، وفي سياق آخر.... فلم يجبه أحدمنهم فقام علي وقال: أنا يا رسول الله قال: أجلس ثم أعاد القول على القوم ثانيًا، فصمتوا، فقام علي وقال: أنا يا رسول الله، فقال: اجلس ثم أعاد القول على القوم ثالثًا فلم يجبه أحد منهم، فقام علي فقال: أنا يا رسول الله، فقال: اجلس أنت أخي[2].

وهذا الحديث باطل سنداً ومتنًا:

أما سنداً: ففي سنده عبد الغفار بن القاسم وعبد الله بن عبد القدوس، فأما عبد الغفار بن القاسم فهو متروك لا يُحتج به، قال عنه علي بن المديني: كان يضع الحديث، وقال يحيى بن معين[3]: ليس بشيء. وروى عباس بن يحيى: ليس بشيء. وقال البخاري: ليس بالقوي عندهم - أي عند علماء الجرح والتعديل - وقال عنه ابن حبان: يقلب الأخبار ولا يجوز الاحتجاج به، تركه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وقال النسائي: متروك الحديث[4]، وليس عبد الله بن عبد القدوس بأحسن حالاً من سابقه، بل هو مجروح أيضًا عند عامة علماء الحديث، قال النسائي: ليس بثقة، وقال الدارقطني: ضعيف[5].

---

(١) مع أن عمره آنذاك ما يقارب عشر سنوات.

(٢) المراجعات المراجعة (١/ ٣٥٠) من كتاب الحجج الدامغات لنقض كتاب المراجعات، أبو مريم بن محمد الأعظمي.

(٣) المجروحين لابن حبان، ص١٣.

(٤) الضعفاء والمتروكين للنسائي، ص٢١٠.

(٥) ميزان الاعتدال (٢/ ٤٥٧).

وأما من ناحية المتن فالحديث واضح البطلان لأسباب وهي:

(أ) هذه الرواية معارضة لرواية أخرى اتفق أهل الحديث على صحتها وثبوتها، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي»، لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش فقال: «أرأيتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقيّ»، قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقًا، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تبًا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا، فنزلت ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾[1] [المسد: ١، ٢].

(ب) الشيعة الاثنا عشرية طالما ادعوا النص الصريح على خلافة علي وأنه هو الوصي والمستحق الوحيد لهذا المنصب، وأن النصوص متضافرة في إثبات ذلك، وهذا الحديث يدحض قولهم، إذ فيه أن النبي ﷺ دعا قومه لنصرته وأنّ من يقبل نصرته فسيصبح أخاه ووصيه وخليفته من بعده، ولم يخص عليًا بذلك بل وأعرض عنه ثلاث مرات، ولما لم يجد ناصرًا غير عليّ قال له ما قال، وهذا يدل على أنّ عليًا لا يستحق هذا المنصب ابتداءً، وأن النبي ﷺ اضطر مع إحجام قومه أن يجعل هذا الأمر في عليّ، فهل هذا يتوافق مع ما يدعيه القوم من أن عليًا منصوص عليه من قبل السماء[2].

٣- حديث: أنا مدينة العلم وعلي بابها وأحاديث أخرى موضوعة: والأحاديث الموضوعة في هذا الباب كثيرة جدًا، ومن ذلك ما رواه جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: أنا مدينة العلم وعلي بابها، فهذا الخبر مطعون فيه، إذ أنكره البخاري وقال عنه يحيى بن معين: لا أصل له وذكره ابن الجوزي في الموضوعات، وقال النووي والذهبي: إنه موضوع[3]، ويقول الألباني - رحمه الله -: وحديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب» موضوع، رواه العقيلي في الضعفاء وابن عدي في الكامل، والطبراني في الكبير والحاكم عن ابن عباس ورواه ابن عدي والحاكم عن جابر رضي الله عنه[4]، وكذلك

(١) البخاري رقم (٤٤٩٢). (٢) ثم أبصرت الحقيقة، ص٢٢٤.

(٣) الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة، ص٧١ رقم (٢٥٧) الفتاوى (٤/ ٤١٠).

(٤) ضعيف الجامع الصغير (٢/ ١٣) رقم (١٤١٦).

حديث «من ناصب عليًا بالخلافة فهو كافر». فلا أثر له بوجه في كتب أهل السنَّة[1] أصلاً، وهذه النماذج تكشف عن ضعف ما استند إليه الروافض من حجج اختصاص علي رضي الله عنه وتعيينه دون غيره للخلافة، ويؤيد هذا ما ذهب إليه ابن خلدون من أن ما استدل به الشيعة الروافض من نصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم، لا يعرفها جهابذة السنَّة ولا نقلة الشريعة، بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم[2]، وما أورده ابن حزم من أن سائر الأحاديث التي تتعلق بها الرافضة، فموضوعة يعرف ذلك من له أدنى علم بالأخبار ونقلها[3].

ويعترف الكاتب الشيعي ابن أبي الحديد بأثر الشيعة في وضع الأحاديث لتأييد مذهبهم في الإمامة فيقول: إن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلقة في صاحبهم حملهم على وضعها عداوة خصومهم، فلما رأت البكرية «يريد بعض السنيِّين» ما صنعت الشيعة وضعت لصاحبها «أبي بكر» أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث... فلما رأت الشيعة ما قد وضعت البكرية أوسعوا في وضع الأحاديث، ولقد كان الفريقان في غنية عما اكتسباه، ولقد كان في فضائل علي الثابتة الصحيحة وفضائل أبي بكر المحققة المعلومة ما يغني عن تكلف العصبية[4]، ورغم ضعف هذه الحجج وعدم قوتها فإننا نجد أن بعض الشيعة المعاصرين لا زالوا يرددونها في كتاباتهم ويستشهدون بها لإثبات معتقداتهم في الإمامة، وهذا أحد أئمتهم يذهب إلى أن الرسول يُعد غير مبلغ للرسالة لو لم يعين عليًا خليفة من بعده[5]، ويقول: إن الرسول الكريم قد كلمه الله وحيًا أن يبلغ ما أنزل الله إليه، فيمن يخلفه في الناس ويحكم هذا الأمر فقد اتبع ما أمر به وعين أمير المؤمنين عليًا للخلافة[6]. وقولهم هذا يناقض كل ما يدّعونه من آيات وأحاديث يستدلون بها على الإمامة، لأنه يلزم من قولهم هذا أنه إلى واقعة حديث غدير خم، لم يكن الله سبحانه وتعالى ورسوله قد نصا على إمامة علي.

ويكفي في نقد نظرية الإمامة عند الشيعة الإمامية أنه لا سند لهم فيها إلا عبد الله ابن سبأ اليهودي، الذي بدأ يشيع القول بأن الإمامة هي وصية من النبي ﷺ، ومحصورة

---

(1) منهاج السنَّة (4/ 107، 108) دراسة عن الفرق، جلي، ص195.

(2) المقدمة، ابن خلدون، ص197.

(3) الفصل، ابن حزم (4/ 148).

(4) شرح نهج البلاغة (11/ 48، 50) نقلاً عن دراسة عن الفرق، لشيخي الدكتور أحمد جلي، ص195 - 196.

(5) دراسة عن الفرق ص196.

(6) الحكومة الإسلامية للخميني ص42، 43، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، ص196.

بالوحى، وإذا تولاها سواه يجب البراءة منه وتكفيره، فقد اعترفت كتب الشيعة بأن ابن سبأ، كان أول من أشهر القول بفرض إمامة على، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه وكفرهم[1]، لأنه كان يهودى الأصل يرى أن يوشع بن نون هو وصى موسى، فلما أسلم أظهر هذه المقالة فى على بن أبى طالب رضى الله عنه[2].

رابعًا: التوحيد والشيعة الاثنا عشرية:

جعل الشيعة العقيدة فى الإمام أساسًا لمذهبهم وركنًا من أركان الدين، وأصبح الإمام عندهم جزءًا من العقيدة، وينسب الشيعة إلى بعض أئمتهم القول بأن من أصبح من هذه الأمة لا إمام له أصبح ضالاً تائهًا، وأن مات على هذا الحال مات ميتة جاهلية[3]، ذلك لأن الإمام فى تصور الشيعة يختلف اختلافًا كليًا عن تصور المسلمين جميعًا لخليفتهم، إذ إن المسلمين يعدون الإمام أو خليفة المسلمين شخصًا عاديًا فى تكوينه ومعارفه، وأن دوره لا يتجاوز دور المنفذ لشرع الله وأنه يعرض له الخطأ والانحراف، كما يعرض لسائر الناس فيُقَوَّم ويعارض إذا خالف أمر الله، وفوق هذا، فإن الخليفة يختار وينتخب من قبل الجماعة المسلمة وفقًا لمبدأ الشورى[4]، وخلافًا لهذا التصور يذهب الشيعة إلى أن الأئمة كانوا قبل هذا العالم أنوارًا، وأن لهم ولاية تكوينية إلى جانب الولاية الحكمية، وقد نسبوا إلى رسول الله حديثًا أسندوه إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه[5]، ويقول أحد أئمة الشيعة المعاصرين: وثبوت الولاية والحاكمية للإمام، لا يعنى تجرده من منزلته التى هى له عند الله ولا تجعله مثل من عداه من الحكام، فإن للإمام مقامًا محمودًا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون، وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرَّب ولا نبى مرسل، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث، فإن الرسول الأعظم ﷺ والأئمة - عليهم السلام - كانوا قبل هذا العالم أنوارًا، فجعلهم الله بعرشه محدقين، وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلا الله، وقد قال جبرائيل - كما ورد فى روايات المعراج - لو دنوت أنملة لاحترقت، وقد ورد عنهم عليهم السلام إن لنا حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبى مرسل[6].

---

(١) رجال الكشى ص١٠٨، ١٠٩، أصول مذهب الشيعة الإمامية (٢/ ٧٩٢).

(٢) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٧٩٢).

(٣) دراسة عن الفرق فى تاريخ المسلمين، ص١٩٧.

(٤) النظام السياسى للدولة الإسلامية، ص١٤٧ - ٢٣٦.

(٥) دراسة عن الفرق فى تاريخ المسلمين، ص١٩٨.

(٦) الحكومة الإسلامية، آية الله الخمينى، ص٩٣، ٩٤.

وبناء على هذا التصور للإمام فإن دوره لا يقف عند تنفيذ شرع الله بل له هيمنة على شئون الكون ومجرياته، فعلى عندهم الحاكم المهيمن الشرعى على شئون البلاد والعباد، وأن الملائكة تخضع له، ويخضع له الناس حتى الأعداء منهم، لأنهم يخضعون للحق فى قيامه، وقعوده، وفى كلامه وصمته، وفى خطبه وصلواته وحروبه[1]، وقد أثر اعتقاد الشيعة فى الأئمة على عقيدتها فى توحيد الله سبحانه بسبب الغلو، وإليك بيان ذلك:

١- **نصوص التوحيد جعلوها فى ولاية الأئمة**: فأول ما نفاجأ به أن نصوص القرآن التى تأمر بعبادة الله وحده، غيروا معناها إلى الإيمان بإمامة على والأئمة، والنصوص التى تنهى عن الشرك جعلوا المقصود بها الشرك فى ولاية الأئمة، ففى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

جاء فى الكافى[2] - أصح كتاب عندهم فى الرواية -، وفى تفسير القمى[3] - عمدة تفاسيرهم - وفى غيرهما من مصادرهم المعتمدة[4]، تفسيرها بما يلى: يعنى إن أشركت فى الولاية غيره[5]، وفى لفظ آخر: لئن أمرت بولاية أحد مع ولاية على من بعدك ليحبطن عملك[6]. وقد ساق صاحب البرهان فى تفسير القرآن أربع روايات لهم فى تفسير الآية السابقة بالمعنى المذكور[7]، وقد جاء فى سبب نزولها عندهم: أن الله عز وجل حيث أوحى إلى نبيه ﷺ أن يقيم عليًا للناس علمًا اندس إليه معاذ بن جبل فقال: أشرك فى ولايته الأول والثانى (يعنون أبا بكر وعمر)، حتى يسكن الناس إلى قولك ويصدقوك، فلما أنزل الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، شكا رسول الله إلى جبرائيل فقال: إن الناس يكذبوننى ولا يقبلون منى، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وحتى يدرك القارئ مدى تحريفهم لآيات الله وتآمرهم لتغيير الآية وما قبلها وما بعدها وتتبع ذلك بيان معناها قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾

---

(١) دراسة عن الفرق فى تاريخ المسلمين، ص٢٠٠.

(٢) أصول الكافى (١/ ٤٢٧) رقم (٧٦).

(٣) تفسير القمى (٢/ ٢٥١).

(٤) البرهان (٤/ ٨٣)، وتفسير الصافى (٤/ ٣٢٨).

(٥) هذا لفظ الكلينى فى الكافى، أصول الشيعة (٢/ ٥١٩).

(٦) أصول الشيعة (٢/ ٥١٩).

(٧) البرهان (٤/ ٨٣)، أصول الشيعة (٢/ ٥١٩).

[الزمر: ٦٤- ٦٦]، فالآية كما هو واضح من سياقها تتعلق بتوحيد الله فى عبادته، فهم غيروا الأمر فاعتبروا الآية متعلقة بعلى، مع أنه ليس له ذكر فى الآية أصلاً، فكأنهم جعلوه هو المعبر عنه بلفظ الجلالة (الله) وجعلوا (العبادة) هى الولاية. والآية واضحة المعنى بينة الدلالة، ليس بين معناها وتأويلهم المذكور أدنى صلة[1]، قال أهل العلم فى تفسيرها: إن الله سبحانه أمر نبيه أن يقول هذا للمشركين لما دعوه إلى ما هم عليه من عبادة الأصنام، وقالوا: هو دين آبائك[2]، والمعنى: قل يا محمد لمشركى قومك: أتأمروننى بعبادة غير الله أيها الجاهلون بالله، ولا تصلح العبادة لشىء سواه سبحانه. ولما كان الأمر بعبادة غير الله لا يصدر إلا عن غبى جاهل ناداهم بالوصف المقتضى ذلك فقال: ﴿أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤]، ثم بين سبحانه أنه قد أوحى إلى نبيه وإلى الرسل من قبله: لئن أشركت بالله ليبطلن عملك. وهذا فى بيان خطر الشرك وشناعته، وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يباشره فكيف بمن عداه؟، ثم قال سبحانه: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾ لا تعبد ما أمرك به المشركون بل اعبد الله وحده دون كل ما سواه من الآلهة الباطلة والأوثان[3]. فالمعنى كما ترى واضح جلى، لا يلتبس إلا على صاحب هوى مغرض، قد أعماه هواه عن رؤية الحق... فهذه الزمرة التى وضعت هذه الروايات كان جل همها، وغاية قصدها البحث عن سند لدعواهم فى الإمامة فى القرآن الكريم حتى ولو حرفوا آيات الله، فكانت تخبط فى هذا الأمر خبط عشواء، لا تستند فى الاستدلال إلى أصل فى لغة أو عقل فضلاً عن الشرع والدين، كما يظهر فى النص الإساءة للنبى ﷺ بتصويره فى موقف الخائف الوجل من قومه، المتردد فى تنفيذ أمر ربه، حتى إنه لم يفارق هذا الموقف إلا حينما نزل عليه التهديد بإحباط عمله[4].

٢- الولاية أصل قبول الأعمال عندهم: قالوا: إن الله عز وجل نصب عليًا علمًا بينه وبين خلقه، فمن عرفه كان مؤمنًا ومن أنكره كان كافرًا، ومن جهله كان ضالاً، ومن نصب معه شيئًا كان مشركًا، ومن جاء بولايته دخل الجنة[5]، وقالوا: فإن من أقر بولايتنا ثم مات عليها قبلت منه صلاته، وصومه، وزكاته وحجه، وإن لم يقر بولايتنا بين يدى الله عز وجل لم يقبل الله عز وجل شيئًا من أعماله[6]، وزعموا أن جبرائيل عليه السلام نزل على

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٢٠). (٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٦٧)، تفسير البغوى (٤/ ٢٨٤).
(٣) تفسير الطبرى (٢٤/ ٢٤)، تفسير القرطبى (١٥/ ٢٧٦، ٢٧٧)، فتح القدير (٤/ ٤٧٤)، روح المعانى للألوسى (٢٤/ ٢٣، ٢٤).
(٤) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٢٢). (٥) أصول الكافى (١/ ٤٣٧).
(٦) أمالى الصدوق، ص١٥٤ - ١٥٥.

النبي ﷺ فقال: يا محمد، السلام يقرئك السلام ويقول: خلقت السماوات السبع وما فيهن، والأرضين السبع وما عليهن، وما خلقت موضعًا أعظم من الركن والمقام، ولو أن عبدًا دعاني هناك منذ خلقت السماوات والأرضين ثم لقيني جاحدًا لولاية علي لأكببته في سقر(1)، والروايات في هذا المعنى كثيرة وكلها باطلة لا يصح منها شيء، وكل هذه الروايات ليست من الإسلام في شيء، فأمامنا كتاب الله سبحانه ليس فيه مما يدعون شيء، وهو الفيصل الأول، والمرجع الأول في كل خلاف، فالقرآن الكريم ذكر أن أصل قبول الأعمال هو التوحيد وسبب الحرمان هو الشرك، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[النساء: ٤٨]، وكل ما ذكر من مبالغات الشيعة تكذبها آيات القرآن، فالله سبحانه يقول: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[البقرة: ٦٢]. ولم يذكر سبحانه من ضمن ذلك الولاية، وكذلك قال سبحانه: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩]، وهم يزعمون أن ولاية الاثنى عشر أعظم من الصلاة وسائر أركان الإسلام، والصلاة ذكرت في القرآن بلفظ صريح واضح في أكثر من ثمانين موضعًا، ولم تذكر ولايتهم مرة واحدة، فهل أراد جل شأنه ضلال عباده، أو لم يبين لهم طريق الوصول إليه، سبحانه هذا بهتان عظيم: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥]، وقد جاء في رواياتهم ما ينقض ما قالوه، وإن كانت لا تلبث تأويلاتهم، أو تقيتهم من وأد مثل هذه النصوص المعتدلة، ولكن نذكر ذلك لعل عاقلاً يتعظ، أو غافلاً ينتبه، أو نائمًا يستيقظ، ولإقامة الحجة على المعاند من كتبهم، وبيان ما عليه نصوصهم من تناقض... جاء في تفسير فرات: قال علي بن أبي طالب: سمعت رسول الله ﷺيقول لما نزلت: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[الشورى: ٢٣] قال جبرائيل: يا محمد إن لكل دين أصلاً ودعامة، وفرعًا وبنيانًا، وإن أصل الدين ودعامته قول: لا إله إلا الله، وإن فرعه وبنيانه محبتكم أهل البيت وموالاتكم فيما وافق الحق ودعا إليه(2).

فهذا النص يخالف ما تذهب إليه أخبارهم، حين يجعل أصل الدين شهادة التوحيد، لا الولاية، ويعد محبة أهل البيت هي الفرع وهي مشروطة بمن وافق الحق منهم ودعا إليه(3).

---

(1) أمالي الصدوق، ص٢٩٠، بحار الأنوار (٢٧/ ١٦٧).

(2) تفسير فرات ص١٤٨ - ١٤٩، بحار الأنوار (٢٣/ ٢٤٧).

(3) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٣٥).

٣- اعتقادهم أن الأئمة هم الواسطة بين الله وخلقه: تقول الشيعة الإمامية: إن الأئمة الاثنى عشرية هم الواسطة بين الله وخلقه، قال المجلسي عن أئمته: فإنهم حجب الرب والوسائط بينه وبين الخلق[١]، وعقد لذلك بابًا بعنوان: باب أن الناس لا يهتدون إلا بهم، وأنهم الوسائل بين الخلق وبين الله، وأنه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم[٢]، وجاء في كتاب عقائد الإمامية أن الأئمة الاثنى عشر هم: أبواب الله والسُّبل إليه... إنهم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق[٣]، ومن المسائل الموجودة في كتبهم ومصادرهم والتي هي تصب في هذه المعاني:

(أ) قولهم: لا هداية للناس إلا بالأئمة: قال أبو عبد الله - على حد زعمهم - بلية الناس عظيمة، إن دعوناهم لم يُجيبونا، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا[٤]. وتقول أخبارهم: قال أبو جعفر: بنا عُبِدَ الله، وبنا عُرِفَ الله، وبنا وُحِّدَ الله[٥]، فهذه النصوص لا تنفي الهداية عن الأمة، ولكن تجعل مصدرها الأئمة والحق أن الهداية بمعنى التوفيق إلى الحق وقبوله، لا يملكها إلا رب العباد، ومقلب القلوب والأبصار والذي يحول بين المرء وقلبه، والذي إذا قال للشيء: كن فيكون.. والشيعة في إطلاقها هذه العبارات بلا أي قيد تجعل لأئمتها مشاركة لله في هذه الهداية، والله سبحانه هو الهادي وحده لا شريك له[٦]، قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧] ويقول لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]، أما هداية الدلالة على الحق والإرشاد إليه فهذه وظيفة الرسل ومن تبعهم بإحسان، ولا تنحصر في الاثنى عشر ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف:١٠٨]، وإطلاق القول بأن هداية العباد لا تتم إلا بالأئمة جرأة على الله[٧].

(ب) قولهم: لا يُقبل الدعاء إلا بأسماء الأئمة: قالوا: لا يفلح من دعا بغير الأئمة، ومن فعل ذلك فقد هلك، جاء في أخبارهم عن الأئمة: من دعا الله بنا أفلح، ومن دعا بغيرنا هلك واستهلك[٨]، وبلغت جرأتهم في هذا الباب أن قالوا: إن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل والاستشفاع بهم، صلوات الله عليهم أجمعين[٩]، هذا ما تقوله الشيعة الرافضة

---

(١)، (٢) بحار الأنوار (٢٣/ ٩٧).
(٣) عقائد الإمامية للمظفر، ص٩٨ - ٩٩.
(٤) أمالي الصدوق، ص٣٦٣، أصول الشيعة (٢/ ٥٣٩).
(٥) بحار الأنوار (٢٣/ ١٠٣).
(٦) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٤٠).
(٧) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٤٠).
(٨) وسائل الشيعة (٤/ ١١٤٢)، أصول الشيعة (٢/ ٥٤١).
(٩) وهذا أحد أبواب بحار الأنوار (٢٦/ ٣١٩).

وتفتـريه، ولكن الله يقول: ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ولم يقل سبحـانه: فادعوه بأسماء الأئمة ومقـامات الأئمة أو مشاهدهم. كمـا قال جل شأنه: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠]، ولو كان أساس قبول الدعاء ذكر أسماء الأئمة لقـال: ادعونى بأسماء الأئمـة استجب لكم، بل إن هذا الأمـر الذى تدعيه الشيـعة وتفتريه من أسـباب رد الدعاء وعدم قبوله، لأن الإخـلاص فى الدعاء لله أصل فى الإجابة والقبول، قـال تعالى: ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [غافر: ١٤]، ﴿ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾[الأعراف: ٢٩] وهؤلاء الأئمـة من سائر البـشر ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، ولم يجعل الله عز وجل بينه وبين خلقه فى عـبادته ودعائه وليًا صالحًا، ولا ملكًا مقربًا، ولا نبيًا مـرسلاً، بل الجميع عباد الله ﴿ لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾[النساء: ١٧٢] وقوله : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾[مريم: ٩٣].

وأما دعوى أن دعـاء الأنبياء استجـيب بالتوسل بالأئمة فهى دعـوى باطلة، إنما الأنبياء دعوا الله عزَّ وجل باسمه سبحانه وبوحـدانيته جل شأنه، وأيوب عليه السلام توسل بأسماء الله الحسنى وأنه - عز وجـل - أرحم الراحمين ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴾[الأنبياء: ٨٣، ٨٤]، وأما يونس عليه السلام فتوسل لله بوحدانيته، قال تعالى: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

والكلمات التى قالها آدم عليه السلام وزوجه هى كما قال الله سبحانه: ﴿ قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[الأعراف: ٢٣].

وهذه المقالة من الشيعة معلوم فسادها من الدين بالضرورة وقد نقلت كتب الشيعة نفسها ما يناقض هذه الدعوى عن الأئمة فى مناجـاتهم لله ودعائهم له، وما من إمام إلا قد رووا عنه الكثير من الدعاء ومناجاته وقد أتى على أكثره المجلسى فى بحاره(١).

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٤٥).

(جـ) قولهم: إن الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى بيت الله: قال ابن تيمية رحمه الله: حدثني الثقات أن فيهم من يرى الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى البيت العتيق، فيرون الإشراك بالله أعظم من عبادة الله وحده، وهذا من أعظم الإيمان بالطاغوت(١)، وجاء في الكافي وغيره: إن زيارة قبر الحسين تعدل عشرين حجة، وأفضل من عشرين عمرة وحجة(٢)، وخصت الروايات الشيعية الموضوعة زيارة الحسين يوم عرفة بفضل خاص، تقول: من أتى الحسين عارفًا بحقه في غير يوم عيد كتب الله له عشرين حجة وعشرين عمرة مبرورات مقبولات.. ومن أتاه في يوم عيد كتب الله له عشرين حجة ومئة عمرة، ومن أتاه يوم عرفة عارفًا بحقه كتب الله له ألف حجة وألف عمرة مبرورات متقبلات، وألف غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل(٣). وليست زيارة قبر الحسين عند هؤلاء أفضل من الحج فحسب، بل هي أفضل الأعمال، جاء في رواياتهم: إن زيارة قبر الحسين أفضل ما يكون من الأعمال(٤)، وفي رواية أخرى: من أحب الأعمال زيارة قبر الحسين(٥).

وهكذا تنسى شرائع الإسلام وأوامره، ويهتم بالقبور والأضرحة، ويجعلونها من أفضل الأعمال بلا دليل إلا ما صنعته أوهامهم، وأوحاه لهم شياطينهم، ليشرعوا من الدين ما لم يشرعه الله(٦).

وقد جعل هؤلاء القوم زيارة الأضرحة فريضة من فرائض مذهبهم ووضعوا لها مناسك كمناسك الحج إلى بيت الله الحرام، قال ابن تيمية - رحمه الله -: وقد صنف شيخهم ابن النعمان المعروف عندهم بالمفيد كتابًا سماه «مناسك المشاهد» جعل قبور المخلوقين تحج كما تحج الكعبة البيت الحرام الذي جعله الله قيامًا للناس، وهو أول بيت وضع للناس، فلا يطاف إلا به ولا يصلى إلا إليه، ولم يؤمر إلا بحجه(٧)، ومن رجع إلى مصادر الشيعة الرافضة التي تتحدث عن المشاهد يرى العجب العجاب، والانحراف عن كتاب الله وهدى الرسول ﷺ، ومن أراد التوسع فلينظر إلى كتاب أصول مذهب الشيعة الإمامية(٨)

(١) منهاج السُّنَّة (٢/ ١٢٤).

(٢) ثواب الأعمال، ابن بابويه، ص٥٢، تهذيب الأحكام للطوسي (٢/ ١٦).

(٣) فروع الكافي (١/ ٣٢٤) للكليني، من لا يحضره الفقيه، بابويه (١/ ١٨٢).

(٤) كامل الزيارات، ص ١٤٦، أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٦١)

(٥)، (٦) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٦١).

(٧) منهاج السنة (١/ ١٧٥)، مجموع الفتاوى (١٧، ٤٩٨).

(٨) أصول مذهب الشيعة الإمامية (٢/ ٥٥٠: ٥٨٦).

إن للمسلمين كعبة واحدة يتجهون إليها فى صلاتهم ودعائهم، ويحجون إليها، ويطوفون بها، أما الشيعة فلهم مزارات ومشاهد عبارة عن أضرحة الموتى من الأئمة[1]، وهذا كله مما نهى الله عنه ورسوله، وكل ما نهى الله عنه ورسوله فهو مذموم منهى عنه سواء أكان فاعله متنسبًا إلى السنَّة أم إلى التشيع، وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن النبى ﷺ لم يأمر بما ذكروه من أمر المشاهد ولا شرع لأمته مناسك عند قبور الأنبياء والصالحين، بل هذا من دين المشركين الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

قال ابن عباس وغيره: هؤلاء... أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسى العلم عُبدت[2]. وقد قال أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه لأبى الهياج الأسدى: ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ؟ «أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته»[3]، وهذا المعنى أقرت به بعض روايات الشيعة، فقد روى الكلينى عن أبى عبد الله، قال أمير المؤمنين: بعثنى رسول الله ﷺ إلى المدينة فقال: «لا تدع صورة إلا محوتها ولا قبرًا إلا سويته»[4]، وعن أبى عبد الله قال: نهى رسول الله ﷺ وآله أن يصلى على قبر أو يقعد عليه أو يبنى عليه[5]، وعن أبى عبد الله قال: لا تبنوا على القبور.. فإن رسول الله ﷺ كره ذلك[6]، وعنه أيضًا عن آبائه عن رسول الله نهى أن تجصص المقابر[7].

وقد زعم الحر العاملى أن هذا النهى يشمل كل قبر غير قبر النبى ﷺ والأئمة عليهم السلام، وأن هذا النهى لمجرد الكراهة[8]، وصيغة العموم واضحة فى هذه الروايات، كما أن دلالة التحريم بينة، ولا دليل عند العاملى سوى ما شذت به طائفته فى واقعها وفى جملة من رواياتها، والشذوذ دليل على البطلان لمخالفته لكتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ

(١) أصول مذهب الشيعة الإمامية (٢/ ٥٨٠).
(٢) البخارى، فتح البارى (٨/ ٦٦٧) موقوف على ابن عباس من حكم المرفوع قاله الألبانى - رحمه الله - فى شرح العقيدة الطحاوية، ص٨٠.
(٣) مسلم، كتاب الجنائز، رقم ٩٦٩.
(٤) فروع الكافى (٢/ ٢٢٧)، وسائل الشيعة (٢/ ٨٦٩).
(٥) تهذيب الأحكام للطوسى (١/ ١٣٠)، وسائل الشيعة (٢/ ٨٦٩).
(٦) تهذب الأحكام (١/ ٣٠)، المحاسن للبرقى ص٦١٢.
(٧) من لا يحضره الفقيه (٢/ ١٩٤) ابن بابويه، وسائل الشيعة (٢/ ٨٧٠).
(٨) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٨٤).

وإجماع الأمة بمن فيهم أهل البيت الذين أُثر عنهم التحذير من ذلك، لأن ذلك وسيلة للشرك بالله، ثم إن الحكمة التى ورد من أجلها النهى لا تفرق بين قبر وقبر، وقد يكون الخطر فى قبور الأئمة أشد لعظيم الافتتان بهم، ولهذا كان أصل الشرك هو الغلو فى الصالحين(١).

٤- قولهم: إن الإمام يحرم ما يشاء ويحل ما يشاء: تزعم الشيعة الإمامية فى رواياتها أن الله سبحانه وتعالى خلق محمدًا وعليًا وفاطمة، فمكثوا ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوض أمورها إليهم، فهم يحلون ما يشاؤون ويحرمون ما يشاؤون(٢). شرح شيخهم المجلسى النص السابق: فقال: وأجرى طاعتهم عليها، أى أوجب وألزم على جميع الأشياء طاعتهم حتى الجمادات من السماويات والأرضيات، كشق القمر وإقبال الشجر وتسبيح الحصى وأمثالها مما لا يحصى، وفوض أمورها إليهم من التحليل والتحريم والعطاء والمنع(٣).... وجاءت الرواية عندهم صريحة بهذا فيما ذكره المفيد فى الاختصاص، والمجلسى فى البحار وغيرهما عن أبى جعفر قال: من أحللنا له شيئًا أصابه من أعمال الظالمين(٤) فهو حلال لأن الأئمة منا مفوض إليهم، فما أحلوا فهو حلال، وما حرموا فهو حرام(٥)، ومن المعلوم فى كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ أن من أصول التوحيد الإيمان بأن الله سبحانه هوالمشرع وحده سبحانه يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء، لا شريك له فى ذلك، ورسل الله يبلغون شرع الله لعباده، ومن ادعى أن له إمامًا يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء فهو داخل فى قوله سبحانه: ﴿**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ**﴾ [الشورى: ٢١].

إن حق التشريع لا يملكه إلا رب العباد، والرسل عليهم الصلاة والسلام إنما هم مبلغون عن الله سبحانه لا يحرمون ولا يحلون إلا ما يأمرهم الله به، ويوحيه إليهم، وقد قال الله جل شأنه فيمن اتبع مشايخه فيما يحلون ويحرمون من دون شرع الله وحكمه، قال سبحانه: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ**﴾ [التوبة: ٣١]، فجعل سبحانه

---

(١) تيسير العزيز الحميد لشرح كتاب التوحيد، ص ٣٠٥.

(٢) أصول الكافى (١/ ٤٤١)، بحار الأنوار (٢٥/ ٣٤٠).

(٣) بحار الأنوار (٢٥/ ٣٤١، ٣٤٢).

(٤) الظالمون فى معتقدهم هم خلفاء الدولة الإسلامية، ما عدا أمير المؤمنين عليًا وابنه الحسين رضى الله عنه، لأن بقية أئمتهم لم يتولوا الخلافة ولا يومًا واحدًا، وكل خليفة من غيرهم هو ظالم وغاصب لحق الأئمة على حد زعمهم.

(٥) الاختصاص ص ٣٣٠، بحار الأنوار (٢٥/ ٣٣٤).

اتباعهم فيما يُحلون من الحرام ويُحرمون من الحلال كما جاء فى تفسير الآية[1] عبادة لهم، حيث تلقوا الحلال والحرام من جهتهم، وهو أمر لا يتلقى إلا من جهة الله عز وجل[2].

٥- قولهم: بأن الدنيا والآخرة كلها للإمام يتصرف بهما كيف يشاء: عقد صاحب الكافى لهذا بابًا بعنوان: باب أن الأرض كلها للإمام[3]، ومما جاء فيه عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السلام قال: أما علمت أن الدنيا للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء جائز له ذلك من الله[4].

فهذا النص شرك فى ربوبية الله سبحانه، لأن الله جل شأنه يقول: ﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السموَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [البقرة: ١٠٧]، ويقول سبحانه: ﴿**وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾ [المائدة: ١٨]، ويقول جل شأنه: ﴿**لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ**﴾ [المائدة: ١٢]، وقال: ﴿**الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ**﴾ [الفرقان: ٢]، وقال سبحانه: ﴿**فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَىٰ**﴾ [النجم: ٢٥]، كما قال سبحانه: ﴿**قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [سبأ: ٢٤]، وقال سبحانه: ﴿**هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**﴾ [فاطر: ٣]، وقال: ﴿**فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ**﴾ [العنكبوت: ١٧]. فهو سبحانه قد تفرد بالملك والرزق والتدبير، لا شريك له فى ذلك[5].

٦- إسناد الحوادث الكونية إلى الأئمة: عن سماعة بن مهران قال: كنت عند عبد الله عليه السلام، فأرعدت السماء وأبرقت، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أما إنه ما كان من هذا الرعد ومن هذا البرق فإنه من أمر صاحبكم، قلت: من صاحبنا؟، قال: أمير المؤمنين عليه السلام[6]، يعنى: كل ما وقع من رعد وبرق فهو من أمر على، لا من أمر الواحد القهار، فماذا يستنبط المسلم المنصف من هذه الرواية، والله جل شأنه يقول: ﴿**هُوَ الَّذِى يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ**﴾ [الرعد: ١٢]؟، أليست هذه هى السبئية قد أطلت برأسها المشوه من خلال كتب الاثنى عشرية؟، أليس هذا ادعاء لربوبية على رضى الله عنه؟

(١) تفسير الطبرى (١/ ١١٣، ١١٤)، تفسير ابن كثير (٢/ ٣٧٣، ٣٧٤).
(٢) تفسير ابن عطية (٨/ ١٦٦).
(٣) أصول الكافى (١/ ٤٠٧، ٤١٠).
(٤) المصدر السابق (١/ ٤٠٩).
(٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٢٢).
(٦) الاختصاص للمفيد، ص٣٢٧، بحار الأنوار (٢٧/ ٣٣).

أو أن له شركًا في الربوبية؟، كيف يتجرأ قلم المجلسي ومن قبله المفيد على كتابة هذه الأسطورة ونسبتها إلى جعفر؟، فإن هذا الإيحاء لا يخفى على أمثالهم، ولا يؤمن بهذا ويدعو إليه إلا كل زنديق ومُلحد، والعجب من قوم يستقون دينهم من كتب حوت هذا الغثاء، ويعظمون شيوخًا يجاهرون بهذا البلاء، أليس في هذه الطائفة من صاحب عقل ودين يعلن الصيحة والنكير على هذا الضلال المنتشر والكفر المبين، ويبرئ أهل البيت الأطهار من هذا الدرن القاتل وينقي ثوب التشيع مما لطخه به شيوخ الدولة الصفوية من كُفر وضلال، أم أن كل صوت صادق إما أن يعاجل بالقتل كما فعلوا مع الكسروي، أو يحمل قوله على التقية كما صنعوا في الكثير من رواياتهم، وطائفة من أقوال شيوخهم، فهل وصل هذا المذهب في سبيل دعوته إلى نور الحق إلى طريق مسدود(١)؟.

٧- الجزء الإلهي الذي حل في الأئمة: وترد روايات عند الشيعة الإمامية تدعي بأن جزءًا من النور الإلهي حل بعلي(٢)، قال أبو عبد الله: ثم مسحنا بيمينه فأفضى نوره فينا(٣)، ولكن الله خلطنا بنفسه(٤)، وهذا الجزء الإلهي الذي في الأئمة - كما يزعمون - أعطوا به قدرات مطلقة، ولذلك فإن من يقرأ ما يسمونه معجزات الأئمة - وتبلغ مئات الروايات - يلاحظ أن الأئمة أصبحوا كرب العالمين - تعالى وتقدس عما يقولون - في الإحياء والإماتة والخلق والرزق(٥)، إلا أن رواياتهم تربط هذا بأنه من الله كنوع من التلبيس والإيهام، ويكفي في فساده مجرد تصوره، إذ هو مُخالف للنقل والعقل والسُّنن الكونية، كما هو منقوض بواقع الأئمة وإقراراتهم، حيث يزعم الشيعة أن الأئمة عاشوا مظلومين ومضطهدين، ورسول الهدى ﷺ يقول - كما أمره ربه - ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

ومن الطريف أن كتب الشيعة مع تعظيم الأئمة والغلو فيهم تروي ما يخالف هذا، لتثبت تناقضها فيما تقول، كالعادة في كل كذب وباطل، فقد جاء في رجال الكشي أن جعفر بن محمد قال: فوالله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا، ما نقدر على ضر ولا نفع، وإن رحمنا فبرحمته، وإن عذبنا فبذنوبنا، والله ما لنا على الله حجة، ولا معنا من الله باءة، وإنا لميتون ومقبورون، ومنشورون، ومبعوثون وموقوفون ومسؤولون. ويلهم، مالهم لعنهم الله فقد آذوا الله وآذوا رسوله ﷺ في قبره، وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٢٤).
(٢) المصدر نفسه (٢/ ٦٢٨).
(٣) أصول الكافي (١/ ٤٤٠).
(٤) أصول الكافي (١/ ٤٣٥).
(٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٢٨).

والحسين وعلى بن الحسن ومحمد بن على صلوات الله عليهم. . . أشهدكم أنى امرؤ ولدنى رسول الله ﷺ، وما معى براءة من الله، إن أطعته رحمنى وإن عصيته عذبنى عذابًا شديدًا[١]. ولكن شيوخ الشيعة يعدون مثل هذه الإقرارات من باب التقية، فأضلوا قومهم سواء السبيل، وأصبح مذهب الشيعة مذهب الشيوخ لا مذهب الأئمة[٢].

٨- قولهم: إن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء: عقد لذلك صاحب الكافى بابًا بعنوان: «باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء»[٣]، وضمَّنه طائفة من رواياتهم، وعقد بابًا آخر بعنوان «باب أن الأئمة إذا شاؤوا أن يعلموا علموا»[٤]، وذكر فيه جملة من أحاديثهم، ومن روايات هذه الأبواب[٥]: قال أبو عبد الله - كما يكذبون -: إنى لأعلم ما فى السموات وما فى الأرض وأعلم ما فى الجنة وأعلم ما فى النار، وأعلم ما كان وما يكون[٦]، وعن سيف التمار قال: كان مع أبى عبد الله رضى الله عنه جماعة من الشيعة فى الحجر فقال: علينا عين؟ فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحدًا، فقلنا: ليس علينا عين، فقال: ورب الكعبة ورب البنية - ثلاث مرات - لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أنى أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس فى أيديهما، لأن موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ما كان، ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة، وقد ورثناه من رسول الله ﷺ وآله وراثة[٧].

فهذا نموذج من غلو الشيعة الرافضة، وهذا بعض ما عندهم، فالغلو أساس مذهبهم وأصله، وقد نهى الله عز وجل وحذر من الغلو لما فيه من منافاة التوحيد وأصل الشرك قديمًا وحديثًا، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧]، قال ابن كثير - رحمه الله - فى تفسيره عند هذه الآية: أى لا تجاوز الحد فى اتباع الحق، ولا تطروا من أمرتكم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه من حيز النبوة إلى مقام الإلهية كما صنعتم فى المسيح وهو نبى من الأنبياء فجعلتموه إلهًا من دون الله، وما ذاك إلا لاقتدائكم بشيوخكم شيوخ الضلال الذين هم سلفكم ممن ضل قديمًا ﴿قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧] أى خرجوا عن طريق الاستقامة

(١) رجال الكشى، ص٢٢٥ - ٢٢٦.
(٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٣٠).
(٣) أصول الكافى (١/ ٢٦٠، ٢٦٢).
(٤) المصدر السابق (١/ ٢٥٨).
(٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٧٩).
(٦) أصول الكافى (١/ ٢٦١).
(٧) المصدر نفسه (١/ ٢٦٠، ٢٦١).

والاعتدال إلى طريق الغواية والضلال(1)، وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]، فالله عز وجل فى هاتين الآيتين ينهى عن الغلو والإطراء وتجاوز الحد، وفيه رد صريح على الشيعة الرافضة وكل من سلك هذا المسلك تجاه من يعظمهم، وقد أمر الله عز وجل نبيه محمدًا ﷺ أن يُبين للناس أنه لا يملك لنفسه شيئًا وأن النفع والضر بيد الله، وأن علم الغيب لا يعلمه إلا الله، قال تعالى: ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]. وقال تعالى: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، فالله عز وجل أمره أن يفوض الأمور إليه وأن يخبرهم عن نفسه أنه لا يعلم غيب المستقبل ولا اطلاع له على شىء من ذلك(2). كل ذلك سدًا للطرق الموصلة إلى الغلو فيه ﷺ، وتحذيرًا لأمته أن يغلوا فيه كما غالت اليهود والنصارى فى أنبيائهم، فإذا كان هذا فى حق سيد الخلق، وأعظمهم منزلة عند الله فغيره من باب أولى.

وبهذا يظهر بطلان دعوى الرافضة فى الأئمة وزعمهم أنهم يعلمون الغيب ويعلمون ما كان وما سيكون، وجعلهم شركاء لله فى الخلق والإحياء وفى الأسماء والصفات. وكيف يستقيم لهم ذلك مع قوله تعالى أيضًا فى غير ما آية من كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ [الرعد: ٨]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ [الحج: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٩]، وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]، وغير ذلك من الآيات الواردة فى هذا الباب والتى تثبت تفرده جل وعلا بعلم الغيب والتصرف بالكون، فمن نسب شيئًا من ذلك إلى

(1) تفسير ابن كثير (٢/ ٨٥).

(2) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٧٣).

أحد من المخلوقين فقد نازع الله فى ربوبيته وألوهيته وهوى فى الشرك ، فأنى له الإسلام مع ذلك، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال: ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢]، وذلك أن الله عز وجل خلق الخلق لعبادته، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، أى ليوحدوه فأرسل الرسل، وأنزل الكتب من أجل إفراده بالعبادة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦] والغلو ينافى تحقيق العبادة(١)، وكما حذر الله عز وجل من الغلو بكل مظاهره وصوره، فقد حذر النبى ﷺ أيضًا حماية لتوحيد الله وسدًا لكل ذريعة، تكون سببًا فى نقص توحيده، لأن الغلو مطية الشرك ووسيلته وما دب فى أمة إلا أهلكها، فقال ﷺ محذرًا أمته من هذا الداء: «إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو فى الدين» (٢)، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سمع عمر رضى الله عنه يقول على المنبر سمعت النبى ﷺ يقول: «لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله» (٣)، فالنبى ﷺ يحذر أمته من الغلو ومجاوزة الحد فى مدحه، كما فعلت النصارى فى عيسى عليه السلام، ويأمر ﷺ أن يوصف بصفة العبودية والتى قد وصفه الله بها فى الإسراء فقال: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً ﴾ [الإسراء: ١]، كما وصفه بذلك فى مقام الدعوة إليه فقال: ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ [الجن: ١٩]، وكذلك وصفه عند إنزال الكتاب عليه ونزول الملك إليه فقال: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ﴾ [الفرقان: ١]، فتلك ثلاثة مقامات من أشرف المقامات وصفه ومدحه ربه جل وعلا فيها بصفة العبودية له، فأين الشيعة الرافضة من تلك الآيات والأحاديث الواردة فى النهى عن الغلو والتحذير منه، الداعية إلى تحقيق العبودية؟.

إن الناظر إلى أقوال أمير المؤمنين على وأبنائه رضى الله عنهم، يجد فيها الرد البليغ على هذا الغلو والإفراط وبراءتهم من أقوال الشيعة الرافضة وكل من غالى فيهم، كما تبين كذب تلك الروايات المنسوبة إليهم وضلالها(٤). فقد روى الإمام مسلم فى صحيحه من حديث أبى الطفيل عامر بن واثلة رضى الله عنه قال: كنت عند على بن أبى طالب فأتاه رجل

(١) العقيدة فى أهل البيت، ص ٣٩٨.

(٢) صحيح سُنن ابن ماجة (٢/ ١٧٧) صححه الألبانى.

(٣) البخارى، كتاب أحاديث الأنبياء، رقم (٣٤٤٥).

(٤) العقيدة فى أهل البيت ، ص٣٩٩.

فقال: ما كان النبي ﷺ يُسر إليك؟، قال: فغضب وقال: ما كان النبي ﷺ يسر إليّ شيئًا يكتمه عن الناس، غير أنه قد حدثني بكلمات أربع، قال: فقال: ما هن يا أمير المؤمنين؟، قال: «لعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثًا، ولعن الله من غيَّر منار الأرض». وفي رواية: أخَصَّكم رسول الله ﷺ؟ فقال: ما خصنا رسول الله ﷺ بشيء[1].

وفي رواية عند الإمام أحمد: .. ما عهد إليّ رسول الله ﷺ شيئًا خاصة دون الناس[2]، وروى البخاري في صحيحه عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: قلت لعلي: هل عندكم كتاب؟، قال: لا، إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة، قال: قلت: فما هذه الصحيفة؟، قال: العقل، وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر[3]، وفي رواية: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟، قال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما أعلمه إلا فهمًا يعطيه الله[4]... قال ابن حجر: وإنما سأله أبو جحيفة عن ذلك لأن جماعة من الشيعة كانوا يزعمون أن عند أهل البيت - لا سيما عليًا - أشياء من الوحي خصهم النبي ﷺ بها لم يطلع غيرهم عليها[5]، وقال ابن تيمية - رحمه الله - عقب إيراده لهذا الحديث: والكتب المنسوبة إلى علي، أو غيره من أهل البيت في الإخبار بالمستقبلات كلها كذب مثل كتاب الجفر والبطاقة وغير ذلك، وكذلك ما يضاف إليه من أنه عنده علم من النبي ﷺ خصه به دون غيره من الصحابة، وكذلك ما ينقل عن غير علي من الصحابة، أن النبي ﷺ خصه بشيء من علم الدين الباطن، كل ذلك باطل[6]. ومما يبين بطلان ذلك، ما روى ابن سعد عن علي بن الحسين زين العابدين أنه قال عن سعيد بن جبير - رحمهما الله - : ذلك رجل كان يمر بنا فنسأله عن الفرائض وأشياء مما ينفعنا الله بها، إنه ليس عندنا ما يرمينا به هؤلاء، وأشار بيده إلى العراق[7]. وجاء عن محمد ابن الحنفية محذرًا الشيعة الرافضة مما تنسبه إليهم من علم خصهم به رسول الله ﷺ حيث قال: إنا والله ما ورثنا من رسول الله ﷺ إلا ما بين اللوحين[8]، وقد تواتر عن آل البيت أنهم كانوا يقولون لشيعتهم: أيها الناس أحبونا حب الإسلام، فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عارًا[9]. وزيادة على ذلك فقد جاء في كتب الشيعة الرافضة التحذير من

(١) مسلم، كتاب الأضاحي رقم (١٩٧٨).
(٢) المسند (١/ ١١٩).
(٣) البخاري، كتاب العلم رقم (١١١).
(٤) البخاري، كتاب الجهاد رقم (٣٠٤٧).
(٥) فتح الباري (١/ ٢٠٤).
(٦) منهاج السنة (٨/ ١٣٦).
(٧) الطبقات الكبرى (٥/ ٢١٦).
(٨) المصدر السابق (٥/ ١٠٥).
(٩) البداية والنهاية (٩/ ١١٠).

الغلو وبراءة آل البيت من ذلك، فقد روى المجلسي بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: إياكم والغلو فينا، قولوا إنا عـبيد مربوبون[1]. وروى عن علي رضي الله عنه أنه قال: اللهـم إني بريء من الغلاة كبـراءة عيسـى ابن مريم من النصارى، اللـهم اخذلهم أبدًا، ولا تنصر منهم أحدًا[2].

روى الكليني بسنده عن سديد قال: كنت أنا وأبو بصير ويحيى البزار وداود بن كثير في مجلس أبي عبد الله إذ خرج إلينا وهو مغضب، فلما أخذ في مجلسه قال: يا عجبًا لأقوام يزعمـون أنا نعلم الغيب، ما يعلم الغـيب إلا الله عز وجل. لقد هممت بضـرب جاريتي فلانة فهربت مني فما علمت في أي بيوت الدار هي[3]. وروى الكشي عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليـه السلام إنهم يقولون. قال وما يقـولون؟ قلت: يقولون تعلم قطر المطر وعدد النجـوم وورق الشجر ووزن ما في البـحر وعدد التراب، فرفع يده إلـى السماء وقال: سبـحان الله، لا والله ما يعلم هذا إلا الله[4]. فهـذه أقوال أئمة آل البيت الطيـبين الطاهرين، كـما صـرحت بذلك كتب الشـيعـة الرافضة وهـم براء مما ترميـهم به الشيـعة الرافضة، إذ الرافضة من أكذب خلق الله، فالنفاق دينهم والكذب ديدنهم، ولذلك قال ابن تيـمـيــة - رحـمــه الله - إنهم من أكـذب النـاس في النقليـات ومن أجـــهل الناس في العقليات[5].

إن روايات الشيعة تكشف نفـسها بنفسها وتتناقض نصوصهـا، وقول الأئمة إنهم مصدر الرزق وإنزال الغيث... إلخ، والـذي يرويه شيوخ الاثني عـشرية هو من مخلفـات غلاة الشيعة، والذين أنكر الأئمة مذهبهم، فقد جـاء عن أخبارهم أن أبا عبد الله قال حينما قيل له: إن المفضل بن عمـر يقول: إنكم تقدرون أرزاق العباد. قـال: والله ما يقدر أرزاقنا إلا الله ولقد احـتجت إلى الطعـام لعيـالي فضـاق صدري وأبلغت إليّ الفكرة في ذلـك حتى أحرزت قوتهم، فعندها طابت نفسي، لعنه الله وبرئ منه[6].

ولكن هذه الروايات هي كالشعرة البيضاء في الثـور الأسود، وفي التقية متسع لكل نص تضيق به نفوس شيوخ الشيعة، وإليك مثالاً على ذلك فاسمع ما يقوله شارح الكافي تعقيبًا على قول أبي عبـد الله الذي نقلناه آنفًا، والذي يتعجب فـيه أبو عبد الله من قـوم نسبوا له

(1) بحار الأنوار (25/ 270). (2) المصدر السابق (25/ 284).
(3) أصول الكافي (1/ 257).
(4) رجال الكشي ص193، العقيدة في أهل البيت، ص402. (5) منهاج السُّنة (1/ 3).
(6) رجال الكشي ص274، أصول الشيعة الإمامية (2/ 685).

العلم بالغيب، ويذكر للرد عليهم أن جاريته قد اختفت فى داره، فلم يدر أين هى، فكيف يقال عنه إنه يعلم ما كان وما يكون؟! قال شارح الكافى: . . . الغرض من هذا التعجب وإظهاره هو ألا يتخذه الجهال إلهًا، أو يدفع عن وهم بعض الحاضرين المنكر لفضله ما نسبوه إليه من العلم بالغيب حفظًا لنفسه، وإلا فهو رضى الله عنه كان عالمًا بما كان وما يكون، فكيف يخفى عليه مكان الجارية؟، فإن قلت: إخباره بذلك على هذا يوجب الكذب، قلت: إنما يوجب الكذب لو لم يقصد التورية وقد قصدها. فإن المعنى ما علمت به علمًا غير مستفاد منه تعالى بأنها فى أى بيوت الدار[1]، انظر التكلف العجيب فى رد هذه الرواية لإثبات أن الإمام يعلم ما كان وما يكون حتى ارتكب فى سبيل ذلك نسبة الإمام إلى الكذب، وهدم أصلاً من أصولهم وهو العصمة[2]. وأما شيخهم الآخر الشعرانى المعلق على الشرح فلم يعجبه هذا التكلف فى تأويل الرواية، ورام ردها بأقصد طريق وهو الحكم بأن الرواية كذب، وهكذا يشيعون عن علماء أهل البيت مثل هذه الإشاعات الكاذبة، فإذا أنكروا على هؤلاء الكذابين فريتهم، وفضحوا باطلهم أمام الملأ حمل شيوخ الشيعة هذا التكذيب والإنكار على التقية. . . فصارت التقية حيلة بيد غلاة الشيعة لإبقاء التشيع فى دائرة الغلو، ورد الحق والإساءة لأهل البيت[3]، وقد ادعى زرارة بن أعين أن جعفر بن محمد يعلم أهل الجنة، وأهل النار، فأنكر ذلك جعفر لما بلغه ذلك، وكفَّر من قاله، ولكن زرارة حينما نقل له موقف جعفر قال لمحدثه: لقد عمل معك بالتقية[4].

٩- الغلو فى الإثبات «التجسيم»: اشتهرت ضلالة التجسيم بين اليهود، ولكن أول من ابتدع ذلك بين المسلمين هم الشيعة الروافض، ولهذا قال الرازى: اليهود أكثرهم مشبهة، وكان بدء ظهور التشبيه فى الإسلام من الروافض مثل هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقى، ويونس بن عبد الرحمن القمى، وأبى جعفر الأحول[5]، وكل هؤلاء الرجال المذكورين هم ممن تعدهم الاثنا عشرية فى الطليعة من شيوخها، والثقات من نقلة مذهبها[6]، وقد حدد ابن تيمية أول من تولى كِبْر هذه الفرية من هؤلاء، فقال: وأول من عُرِف فى الإسلام أنه قال: إن الله جسم هو هشام بن الحكم[7]، وقد نقل أصحاب الفرق كلمات مغرقة فى التشبيه والتجسيم منسوبة إلى هشام بن الحكم وأتباعه تقشعر من سماعها

(١) شرح جامع على الكافى (٦/ ٣٠، ٣١) للمازندرانى.

(٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٨٦).

(٣) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٨٦).

(٤) ميزان الاعتدال (٢/ ٦٩، ٧٠).

(٥) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص٩٧.

(٦) أعيان الشيعة (١/ ١٠٦)، أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٤١).

(٧) منهاج السنَّة (١/ ٢٠).

جلود المؤمنين، يقول عبد القاهر البغـدادى: زعم هشام ابن الحكم أن معبوده جسم ذو حد ونهاية وأنه طويل عـريض عميق وأن طوله مثل عـرضه(١)، وقد استـفاض عن هشام بن الحكم ومن تبعـه أمر الغلو فى التجـسيم فى كتب الفرق وغـيرها(٢). فقد كان تـشبيه الله سبحانه بخلقه كان فى اليهـود، وتسرب إلى التشيع، وأول من تولى كبره هشام بن الحكم، ثم تعدى أثره إلى آخرين عـرفوا بكتب الفرق بمذاهب ضالة غاليـة منسوبة إليهم(٣)، ولكن شيوخ الاثـنى عشرية يدافعـون عن هؤلاء الضلال الذين استفـاض خبر فتنتـهم، واستطار شرهم، ويتكلفون تأويل كل بائقة منسـوبة إليهم أو تكذيبها(٤)، وقد كان لهشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليـقى بالذات دور ظاهر فى اتجاه التجسيم عند الشيعـة كما تذكر ذلك مجمـوعة من رواياتهم(٥) وكان الأئمة يـتبرؤون منهما ومن قـولهما، وحينمـا جاء بعض الشيعة إلى إمامهم وقال له: إنى أقول بقول هشام. قال إمامهم أبو الحسن على بن محمد: مـا لكم وقـول هشـام، إنه لـيس منا من زعم أن الله جـسم، ونحن منـه براء فى الدنيـا والآخرة(٦)، وتفصح بعض رواياتهم عما قالوه فى الرب جل شأنه وتقدست أسماؤه، فهذا أحد رجالهم(٧) ينقل لأبى عبـد الله - كما تقول الرواية - مـا عليه طائفة من الشيـعة من التجسيم فـيقول: إن بعض أصحابنا يزعم أن الله صورة مـثل الإنسان، وقال آخر: إنه فى صورة أمرد جعد قطط، فخرّ أبو عبد الله عليه السلام ساجدًا، ثم رفع رأسه فقال: سبحان الذى ليس كمثله شيء، ولا تدركه الأبصار، ولا يُحيط به علم(٨).

فأنت ترى أن كبـار متكلميهم قد غلوا فـى الإثبات، حتى شبهـوا الله جل شأنه بخلقه وهو كفر بالله سبحـانه، لأنه تكذيب لقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وعطلوا صفاته اللائقة به سبـحانه فوصفوه بغير ما وصف به نفســه، ورواياتهم فى هذا الباب كثيرة(٩)، فهـذا الاتجاه إلى الغلو فى الإثبات، قـد طرأ على الإثبات الحق الذى عليه علمـاء أهل البيت، وأصبح المذهب يتنازعه اتجاهان اتجاه التجسـيم الذى يتزعمه هشام، واتجاه التنزيه الذى عليه أهل البيت كما تشير إليه روايات الشيعة نفسها، وكما هو ثابت مستفيض فى كتب أهل العلم(١٠).

(١) الفرق بين الفرق، ص (٦٥).
(٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٤٢).
(٣) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٤٣).
(٤) بحار الأنوار (٣/ ٢٩٠، ٢٩٢) دفاع المجلسى عن هؤلاء.
(٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٤٦).
(٦) التوحيد، ص١٠٤ ابن بابويه، أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٤٦).
(٧) سمته الرواية: يعقوب السراج، وهو من ثقاتهم، الفهرست للطوسى، ص٢١٤.
(٨) التوحيد ص١٠٣، ١٠٤، ابن بابويه، أصول الشيعة (٢/ ٦٤٧).
(٩) أصول الكافى (١/ ١٠٤، ١٠٦)، أصول الشيعة (٢/ ٦٤٨).
(١٠) أصول الشيعة (٢/ ٦٤٨).

١٠- التعطيل عندهم: بعد هذا الغلو فى الإثبات بدأ تغير المذهب فى أواخر المئة الثالثة، حيث تأثر بمذهب المعتزلة فى تعطيل البارئ سبحانه من صفاته الثابتة له فى الكتاب والسُّنَّة، وكثر الاتجاه إلى التعطيل عندهم فى المئة الرابعة لما صنف لهم المفيد وأتباعه كالموسوى الملقب بالشريف الرضى، وأبى جعفر الطوسى، واعتمدوا فى ذلك على كتب المعتزلة(١)، وكثير مما كتبوه فى ذلك منقول عن المعتزلة نقل المسطرة، وكذلك ما يذكرونه فى تفسير القرآن العظيم فى آيات الصفات والقدر ونحو ذلك هو منقول من تفاسير المعتزلة(٢)، ولهذا لا يكاد القارئ لكتب متأخرى الشيعة يلمس بينها وبين كتب المعتزلة فى باب الأسماء والصفات فرقًا، فالعقل - كما يزعمون - هو عمدتهم فيما ذهبوا إليه، والمسائل التى يقررها المعتزلة فى هذا الباب أخذ بها شيوخ الشيعة المتأخرون، كمسألة خلق القرآن، ونفى رؤية المؤمنين لربهم فى الآخرة، وإنكار الصفات، بل إن الشبهات التى يثيرها المعتزلة فى هذا، هى الشبهات التى يثيرها شيوخ الشيعة المتأخرون، والفرق الذى قد يلمسه القارئ فى هذه المسألة، هو أن الشيعة أسندوا روايات إلى الأئمة تصرح بنفى الصفات وتقول بالتعطيل، فقد جاؤوا بروايات كثيرة فى الأئمة يسندون بها مذهبهم فى التعطيل، ويفترون على أمير المؤمنين على رضى الله عنه وبعض علماء أهل البيت كمحمد الباقر وجعفر الصادق بأنهم يقولون بالتعطيل، واعتبر بعض شيوخهم المعاصرين أن هذا هو عمدتهم فى نفى الصفات، حيث قال تحت عنوان طريقة معرفة الصفات: هل يبقى مجال للبحث عن الصفات وهل له طريقة إلا الإذعان بكلمة أمير المؤمنين: كمال الإخلاص نفى الصفات عنه(٣).

هذا والثابت عن أمير المؤمنين على رضى الله عنه وأئمة أهل البيت إثبات الصفات لله، والنقل بذلك ثابت مستفيض فى كتب أهل العلم(٤)، وهذا أيضًا ما تعترف به بعض روايات لهم موجودة وسط ركام هائل من التعطيل. إن مجموعة من رواياتهم وصفت رب العالمين بالصفات السلبية التى ضمنوها نفى الصفات الثابتة له سبحانه، وليس هذا بجديد فهو سبيل من زاغ وحاد عن منهج الرسل عليهم السلام من المتفلسفة والجهمية وغيرهم.

إن الله سبحانه بعث رسله فى صفاته بإثبات مفصل، ونفى مجمل، ولهذا يأتى الإثبات للصفات فى كتاب الله مفصلاً والنفى مجملاً(٥)، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. فالنفى جاء مجملاً: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وهذه طريقة

(١) منهاج السنَّة (١/ ٢٢٩).
(٢) المصدر السابق (١/ ٣٥٦).
(٣) عقائد الإمامية الاثنى عشرية للزنجانى، ص٢٨.
(٤) منهاج السُّنَّة (٢/ ١٤٤).
(٥) شرح الطحاوية، ص٤٩، التدمرية لابن تيمية، ص٨.

القرآن فى النفى غالبًا، قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، أى: نظيرًا يستحق مثل اسمه، ويقال: مساميًا يساميه[(١)]، وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس: هل تعلم له مثلاً أو شبيهًا[(٢)]، وقال سبحانه: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، وأما الإثبات فيأتى التفصيل: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وكآخر سورة الحشر: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤]. وشواهد هذا كثيرة[(٣)].

إن الشيعة تروى عن أئمتها: أن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه،[(٤)] ولكنها تعرض عن ذلك كما أعرضت عن كتاب الله سبحانه، وعن مقتضى العقل والفطرة، وتؤثر فى ذلك التقليد المحض، والأخذ من «نفايات» الفلسفات البائدة. وإلا فكيف يتجرأ عاقل على الاعتماد فى أمر غيبى لا سبيل للوصول إلى المعرفة فيه على سبيل التفصيل إلا بخبر السماء على العقل القاصر والفكر العاثر، وتحكيم خيالات البشر المتناقضة، وتصوراتهم المتعارضة؟[(٥)].

(أ) مسألة خلق القرآن: القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وعلى هذا دل الكتاب والسُّنَّة، وإجماع السلف[(٦)]، والاثنا عشرية حذت حذو الجهمية فى القول بخلق القرآن، فقد عقد شيخ الشيعة فى زمنه المجلسى فى البحار فى كتاب القرآن بابًا بعنوان: باب أن القرآن مخلوق[(٧)]، أورد فيه إحدى عشرة رواية، ومعظم هذه الروايات تخالف ما ذهب إليه، ولكن لشيوخ الشيعة مسلكًا فى تأويلها، سنذكره بعد قليل - بإذن الله تعالى - ويقول آية الشيعة محسن الأمين: قالت الشيعة والمعتزلة: القرآن مخلوق[(٨)]، وهذا بناء على إنكارها لصفة الكلام لله وزعمهم أن الله سبحانه يوجد الكلام فى بعض مخلوقاته كالشجرة حين كلم موسى، وكجبرائيل حين أنزله بالقرآن[(٩)]، هذا بعض ما يقوله شيوخهم فى هذا

(١) التدمرية، ص٨.
(٢) تفسير الطبرى (١٦/ ١٠٦).
(٣) انظر التدمرية لابن تيمية، ص٨ وما بعدها.
(٤) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٥٦).
(٥) المصدر نفسه (٢/ ٦٥٦).
(٦) الرد على الزنادقة للإمام أحمد، خلق أفعال العباد للبخارى.
(٧) بحار الأنوار (٩٢/ ١١٧، ١٢١).
(٨) أعيان الشيعة (١/ ٤٦١).
(٩) المصدر السابق (١/ ٤٥٣).

الأمر[١]، وذا رجعت إلى الروايات التى ينقلونها فى «آل البيت»، وجدتها تخالف فى أكثرها ما يذهب إليه هؤلاء فمن ذلك ما جاء فى تفسير العياشى عن الرضا أنه سئل عن القرآن فقال: إنه كلام الله غير مخلوق[٢]. وفى التوحيد لابن بابويه القمى قيل لأبى الحسن موسى رضى الله عنه: يا ابن رسول الله ما تقول فى القرآن، فقد اختلف فيه من قبلنا، فقال قوم: إنه مخلوق، وقال قوم: إنه غير مخلوق؟، فقال رضى الله عنه: أما إنى لا أقول فى ذلك ما يقولون، ولكن أقول: إنه كلام الله عز وجل[٣].

وفى هذا المعنى روايات كثيرة عندهم[٤]، ولكن يلاحظ أن شيخ الشيعة فى زمنه ابن بابويه القمى قد ذهب فى تأويل هذه النصوص إلى اتجاه آخر، فأثبت أن قول الأئمة: القرآن غير مخلوق يعنى أنه غير مخلوق أى غير مكذوب لا يعنى به أنه غير محدث[٥]، وقال: وإنما امتنعنا من إطلاق المخلوق عليه لأن المخلوق فى اللغات قد يكون مكذوبًا، ويقال: كلام مخلوق أى مكذوب[٦]، وقد قال علماء السلف ردًا عليهم: إنه غير مخلوق ولم يريدوا بذلك أنه غير مكذوب، بل هذا كفر ظاهر يعلمه كل مسلم، وإنما قالوا: إنه مخلوق خلقه فى غيره فرد السلف هذا القول، كما تواترت الآثار عنهم بذلك، وصنف فى ذلك مصنفات متعددة[٧]، وفي كتاب تفسير الصراط المستقيم، لعلامتهم ولآيتهم البروجردى نقل نصًا عن ابن بابويه - أيضًا - يحيل فيه النصوص التى فيها المعنى السابق على التقية فقال: ولعل المنع من إطلاق الخلق على القرآن إما للتقية مماشاة مع العامة، أو لكونه موهمًا لمعنى آخر أطلق الكفار عليه بهذا المعنى في قولهم: «إن هذا إلا اختلاق»[٨]، فلم يجد هؤلاء الشيوخ ما يلوذون به إلا القول (بالتقية) أو ما ماثلها. . .

وهذا المنهج يثبت أنهم ليسوا على شيء، وأن احتمال التقية فى كل نص قد أفسد عليهم أمرهم أو أضاع حقيقة المذهب، فأصبح دينهم دين المجلسى أو الكلينى أو ابن بابويه القمى لا روايات الأئمة[٩]، وهكذا يضيع العلم والحق بهذه الطريقة الماكرة، ويكتب على الأمة الفرقة والخلاف بهذه الأساليب التى هى من وحى الشيطان ومكره، ولو أحسن محسن

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٥٨).
(٢) تفسير العياشى (١/ ٨).
(٣) التوحيد، ابن بابويه، ص٢٢٤.
(٤) البحار (٩٢/ ١١٧، ١٢١)، أصول الشيعة (٢/ ٦٥٩).
(٥) البحار (٩٢/ ١١٩)، أصول الشيعة (٢/ ٦٥٩).
(٦) أصول الشيعة (٢/ ٦٥٩).
(٧) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٢/ ٣٠١).
(٨) تفسير الصراط المستقيم (١/ ٣٠٤).
(٩) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٠٠).

للشيعة وأراد بها الخير من شيوخها لسلك بها طريق الجماعة، وأخذ من رواياتهم ما يتفق مع كتاب الله، وسُنّة رسوله ﷺ وهدى الصحابة الكرام وعلماء أهل السُّنَّة والجماعة، وتخلص من مكر القمي والكليني والمجلسي، ولا سيما والأئمة تشتكى من كثرة الكذابين عليهم حتى قالوا: بأن الناس أولعوا بالكذب علينا[١]. ولو أردت أن تطبق هذه النظرية - أي ما تتفق فيه روايات أهل السُّنَّة مع روايات الشيعة عن أهل البيت فى هذه المسألة - لوجدت أن كتب الشيعة روت - كما سبق - روايات عن أهل البيت بأن كلام الله منزل غير مخلوق، وكتب أهل السنّة روت مثل هذا، فقد أخرج البخارى فى كتاب أفعال العباد[٢]، وابن أبى حاتم[٣]، وأبو سعيد الدارمى، والآجرى فى الشريعة[٤]، والبيهقى فى الاعتقاد[٥]، والأسماء والصفات[٦]، واللالكائى فى شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة[٧]، وأبو داود فى مسائل الإمام أحمد[٨]، عن جعفر الصادق أنه قال حينما سئل عن القرآن قال: ليس بخالق ولا مخلوق، قال ابن تيمية: إنه قد استفاض ذلك عن جعفر[٩]، فلماذا لا يؤخذ بالمعنى المتفق عليه ويترك الباطل الذى لا يسنده إلا أقوال شيوخ يبغون فى الأمة الفرقة والخلاف، وينشدون الشذوذ والعزلة ليتسنى لهم تحصيل الأموال الطائلة باسم الخمس، وتتحقق لهم الوجاهة الاجتماعية، والمنزلة «المقدسة» باسم النيابة عن الإمام الغائب؟، ولهذا ما برحوا يؤكدون على القول: إن ما خالف العامة ففيه الرشاد[١٠]، ويقصدون بذلك أهل السنّة والجماعة.

إن الروايات الواردة فى كتب الشيعة والتى تنص على أن القرآن منزل غير مخلوق، قد تمثل مذهب قدماء الشيعة الذين كانوا على هذا الاعتقاد كما أشار إلى ذلك أهل العلم[١١]، لأن القول بأن القرآن مخلوق هو إحداث متأخرى الشيعة[١٢]، كما أن الاعتقاد بأن القرآن مُنزل غير مخلوق ، هو الثابت عن أهل البيت، إذ ليس من أئمة أهل البيت مثل على بن الحسين وأبى جعفر الباقر وابنه جعفر بن محمد من يقول بخلق القرآن، ولكن الإمامية

(١) رجال الكشى ص١٣٥ - ١٣٦.
(٢) خلق أفعال العباد، ص٣٦ تحقيق البدر.
(٣) منهاج السنة لابن تيمية (٢/ ١٨٧، ١٨٨).
(٤) الشريعة، ص٧٧.
(٥) الاعتقاد، ص٣٦.
(٦) الأسماء والصفات، ص٢٤٧.
(٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٢).
(٨) مسائل الإمام أحمد ص٢٦٥.
(٩) منهاج السُّنة (١/ ٢٧٨).
(١٠) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٦٢).
(١١) منهاج السُّنّة (١/ ٢٨٦)، أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٦٤).
(١٢) مقالات الإسلاميين للأشعرى (١/ ١١٤).

تخالف أهل البيت فى عامة أصولهم[1]، وبعد، أليس يكفى فى بيان فساد مذهبهم أنه خلاف ما عليه أهل البيت، وخلاف ما اتفقت فيه روايات لهم مع ما جاء عند أهل السنَّة، وأن رواياتهم كلها متعارضة متناقضة؟[2].

إن معتقد أهل السنَّة والجماعة فى هذه المسألة هو: إن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحيًا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقًا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر، فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ٢٦]، فلما أوعد الله بسقر لمن قال: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥]، علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر[3].

(ب) **مسألة الرؤية**: ذهبت الشيعة الإمامية بحكم مجاراتهم للمعتزلة إلى نفى الرؤية وجاءت روايات عديدة ذكرها ابن بابويه فى كتابه التوحيد، وجمع أكثرها صاحب البحار تنفى ما جاءت به النصوص من رؤية المؤمنين لربهم فى الآخرة، فتفترى - مثلاً - على أبى عبد الله جعفر الصادق بأنه سئل عن الله تبارك وتعالى هل يرى فى المعاد؟، فقال: سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا، إن الأبصار لا تدرك إلا ما له لون وكيفية، والله خالق الألوان والكيفية[4]، وقال شيخهم وآيتهم جعفر النجفى صاحب كشف الغطاء: ولو نسب إلى الله بعض الصفات.. كالرؤية حكم بارتداده[5]، وجعل الحر العاملى نفى الرؤية من أصول الأئمة، وعقد لذلك بابًا بعنوان «باب إن الله سبحانه لا تراه عين ولا يدركه بصر فى الدنيا ولا فى الآخرة»[6]، فنفيهم لرؤية المؤمنين لربهم فى الآخرة خروج عن مقتضى النصوص الشرعية، وهو أيضًا خروج عن مذهب أهل البيت، وقد اعترفت بعض رواياتهم بذلك، فقد روى ابن بابويه القمى عن أبى بصير، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أخبرنى عن الله عز وجل هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟ قال: نعم[7]، والرؤية حق لأهل الجنة يرونه بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا مثل قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا

(١) منهاج السنَّة (١/ ٢٩٦).
(٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٦٨).
(٣) المنحة الإلهية فى تهذيب شرح الطحاوية، عبد الآخر الغنيمى، ص١٠٩.
(٤) بحار الأنوار (٤/ ٣١).
(٥) كشف الغطاء ص٤١٧، أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٧٠).
(٦) أصول الشيعة (٢/ ٦٧٠).
(٧) الفصول المهمة فى أصول الأئمة، ص١٢.

مَـزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]، قـال أنس بن مـالك رضى الله عنه: هو النظـر إلى وجـه الله عـز وجل(١)، وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، فالحسنى: الجنة، والزيادة، هى النظر إلى وجهه الكريم، فـسرها بذلك رسول الله ﷺ والصحابة بعـده، كما روى مسلم فى صـحيحـه عن صهيب قال: قـرأ رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نـادى مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً ويريد أن ينجزكموه، فيقـولون: ما هو؟ ألم يُثقل موازيننا ويُبيِّض وجوهنا ويُدخلنا الجنة ويُجرنا من النار؟ فيـكشف الحجاب، فينظرون إليه، فـما أعطاهم شيئًا أحب إليـهم من النظر إليه، وهى الزيادة»(٢).

وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

احتج الشافعى رحمه الله وغيره من الأئمة بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة، ذكر ذلك الطبـرى وغيره عـن المزنى عن الشافـعى، وقال الحـاكم: حدثنا الأصم حـدثنا الربيع بن سليمان قال: حضرت محمد بن إدريس الشافعى، وقـد جاءت رقعة من الصعيد فيها، ما تقول فى قول الله عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]. فقـال الشافعى رحـمه الله: لما أن حُـجب فى السخط، كان فى هذا دلـيل على أن أولياءه يرونه فى الرضا(٣)، وأما الأحاديث عن النبى ﷺ وأصحـابه الدالة على الرؤية فمـتواترة رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن(٤)، وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة فى الدين، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبين إلى السنَّة والجماعة(٥).

١١- تفضيلهم الأئمـة على الأنبياء والرسل: الرسل أفضل البشر وأحقهم بالرسالة، حيث أعدهم الله تعالى لكمال العبـودية والتبليغ والدعوة والجهاد ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، فهم قـد امتازوا برتبة الرسـالة عن سائر الناس(٦)، وقد أوجب الله على الخلق متابعتـهم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤] ولا يفضل أحد من البشر عليهم. قال الطحاوى فى بيان اعتقاد أهل السُّنَّة: ولا نفضل أحداً من

---

(١) مجمع الفوائد (٧/ ١١٢).
(٢) مسلم رقم (١٨١).
(٣) مناقب الشافعى (١/ ٤١٩) للبيهقى.
(٤) شرح الطحاوية، ص١٥١.
(٥) المصدر السابق ص١٤٦.
(٦) المنهاج فى شعب الإيمان للحليمى (١/ ٢٣٨).

الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام ونقول: نبى واحد أفضل من جميع الأولياء[1]، وتفضيل الأئمة على الأنبياء هو مذهب غلاة الروافض، كما نبه على ذلك عبد القاهر البغدادى[2] والقاضى عياض[3]، وابن تيمية[4]، وهذا المذهب بعينه قد غدا من أصول الاثنى عشرية، فقد قرر صاحب الوسائل أن تفضيل الأئمة على الأنبياء من أصول مذهب الشيعة التى نسبها للأئمة[5]، وقال بأن الروايات عندهم فى ذلك أكثر من أن تحصى[6]، وفى بحار الأنوار للمجلسى عقد بابًا بعنوان «باب تفضيلهم عليهم السلام على الأنبياء وعلى جميع الخلق» وأخذ ميثاقهم عنهم وعن الملائكة وعن سائر الخلق، وأن أولى العزم إنما صاروا أولى العزم بحبهم صلوات الله عليهم[7]، وهذا المذهب الذى استقر عليه مذهب الاثنى عشرية مر بتغيرات وتطورات نحو الغلو، فإن الشيعة فى مسألة تفضيل الأنبياء على الأئمة كانوا ثلاث فرق - كما يقول الأشعرى-:

- الفرقة الأولى: يقولون بأن الأنبياء أفضل من الأئمة، غير أن بعض هؤلاء جوزوا أن يكون الأئمة أفضل من الملائكة.

- الفرقة الثانية:يزعمون أن الأئمة أفضل من الأنبياء والملائكة.

- والفرقة الثالثة:وهم القائلون بالاعتزال والإمامة، يقولون: إن الملائكة والأنبياء أفضل من الأئمة[8].

ويضيف المفيد فى أوائل المقالات مذهبًا رابعًا لهم وهو أفضلية الأئمة على سائر الأنبياء ما عدا أولى العزم[9]، ثم لا يبوح بذكر المذهب الذى يعتمده من هذه المذاهب، بل يذكر توقفه للنظر فى ذلك[10]، ولكن يظهر أن كل هذه المذاهب تلاشت بسعى شيوخ الدولة الصفوية ومن تبعهم واستقر المذهب على الغلو فى الأئمة، حتى أن المجلسى يقول فى عنوان الباب الذى عقده فى بحاره لهذا الغرض: إن أولى العزم إنما صاروا أولى عزم بحبهم صلوات الله عليهم[11]، إن من يرجع إلى كتاب الله سبحانه يجد أنه ليس لأئمتهم الاثنى عشر ذكر، فضلاً عن أن يقدموا على أنبياء الله ورسله،كما أنه يلاحظ: أن الأنبياء لكونهم أرفع رتبة يقدمون بالذكر على غيرهم من صالحى عباد الله، قال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ

(1) شرح الطحاوية، ص493.
(2) أصول الدين، ص298.
(3) الشفاء، ص1078.
(4) منهاج السنة (1/ 177).
(5)، (6) أصول الشيعة الإمامية (2/ 745).
(7) بحار الأنوار (26/ 267).
(8) مقالات الإسلاميين (1/ 120).
(9) أوائل المقالات، ص 42 - 43.
(10) المصدر السابق، ص43.
(11) بحار الأنوار (26/ 267).

أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩]. فرتب الله سبحانه عباده السعداء المنعم عليهم أربع مراتب(١)، وكتاب الله يدل فى جميع آياته على اصطفاء الأنبياء واختيارهم على جميع العالم(٢)، وقد أجمع أهل القرون الثلاثة على تفضيل الأنبياء على من سواهم والإجماع حجة، وقال ابن تيمية: اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أولياء الله تعالى على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء(٣)، والعقل يدل صريحًا على أن جعل النبى واجب الطاعة وجعله آمرًا وناهيًا وحاكمًا على الإطلاق، والإمام نائبًا وتابعًا له لا يعقل بدون فضيلة النبى عليه، ولما كان هذا المعنى موجودًا فى حق كل نبى مفقودًا فى حق كل إمام لم يكن إمام أفضل من نبى أصلاً، بل يستحيل(٤). ثم قد ورد فى كتب الشيعة نفسها ما يتفق مع النص والإجماع والعقل، وينفى ذلك الشذوذ، وهو ما رواه الكلينى عن هشام الأحول عن زيد بن على أن الأنبياء أفضل من الأئمة، وأن من قال غير ذلك فهو ضال(٥)، وروى ابن بابويه عن الصادق ما ينص على أن الأنبياء أحب إلى الله من على(٦).

خامسًا: موقف الشيعة الإمامية من القرآن الكريم

قد كان لمعتقد الشيعة فى الإمامة ومحاولة الدفاع عنها أثر كبير فى دفع بعض الشيعة إلى تبنى أفكار خطيرة حول القرآن والسنَّة، والصحابة رضوان الله عليهم، فشككوا فى القرآن، وأنكروا كثيرًا من الأحاديث الثابتة، وطعنوا فى الصحابة رضى الله عنهم وجرحوهم ونسبوا إليهم تعمد الكذب وتحريف كتاب الله تعالى.

١- اعتقاد بعضهم فى تحريف كتاب الله عز وجل والرد عليهم: فقد زعم بعض الشيعة الرافضة أن القرآن الكريم قد حُرف وأسقطت منه بعض السور وكثير من الآيات التى أنزلت فى فضائل أهل البيت والأمر باتباعهم، والنهى عن مخالفتهم وإيجاب محبتهم وأسماء أعدائهم والطعن فيهم، ولعنهم. وقد اتهم الشيعة الصحابة رضى الله عنهم، بأنهم أسقطوا من القرآن من جملة ما أسقطوه «وجعلنا عليًا صهرك» من سورة [الشرح] والتى تشير إلى تخصيص على بمصاهرة الرسولﷺ دون عثمان. وقد جهل هؤلاء أن هذه السورة مكية، وأنها حين نزلت لم يكن علىٌّ صهرًا للرسولﷺ ،إذ إن عليًا تزوج فاطمة بالمدينة وبعد

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٧٤٩). (٢)، (٣) الفتاوى (١١/ ٢٢١).

(٤) مختصر التحفة، ص١٠١.

(٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٧٥٣) مختصر التحفة، ص١٠٠.

(٦) مختصر التحفة، ص١٠١.

غزوة بدر، كما سبق أن أشرنا، ويذهب الشيعة أيضًا إلى أنه من بين ما أسقط من (القرآن) سورة الولاية، ويزعمون أنها سورة طويلة قد ذُكِرَ فيها فضائل أهل البيت[1].

وهكذا تدور معظم مزاعم هذا النفر من الشيعة في القرآن حول هذه القضايا، إذ إنهم لم ينكروا حكمًا من أحكامه أو قاعدة من قواعده، ولكن تدور آراؤهم حول إسقاط بعض الآيات التي تشير إلى ولاية علي ومن بعده من الأئمة، وقد ردد هذه الافتراءات على القرآن الكريم العديد من علماء الشيعة الإمامية وعلى رأسهم حجتهم المشهور أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني ت ٣٢٩هـ صاحب كتاب الكافي، الذي يعتبر في حجيته لدى الشيعة في مرتبة كتاب البخاري عند أهل السُّنَّة، وقد ذكر صاحب تفسير الصافي الشيعي: إن الظاهر من ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني - طاب ثراه - أنه كان يعتقد أيضًا في التحريف والنقصان في القرآن لأنه روى روايات في هذا المعنى في كتابه الكافي ولم يتعرض بقدح فيها، على أنه ذكر في أول كتابه أنه يثق بما رواه فيه[2]، وكتاب الكليني هذا مليء بهذه المزاعم المنحرفة، والتي تهدف في الأساس إلى إثبات إمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه والأئمة من بعده. ومن ذلك ما رواه الكليني عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ - عن ولاية علي والأئمة بعده - ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ هكذا نزلت[3]، ويروى أيضًا عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له لم سمي «علي بن أبي طالب» أمير المؤمنين؟. قال: الله سماه وهكذا أنزل في كتابه: «وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم وأن محمدًا رسولي وأن عليًا أمير المؤمنين»[4]، ويروى الكليني عن أحمد بن محمد ابن أبي نصر قال: رفع إلى أبو الحسن عليه السلام مصحفًا وقال: لا تنظر فيه، ففتحته وقرأت فيه ﴿لم يكن الذين كفروا﴾ فوجدت فيهم سبعين رجلاً من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم قال: فبعث إليَّ بالمصحف[5]، وقد زعم الكليني أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة، وأنهم (أي الأئمة) يعلمون علمه كله، فما جمعه وحفظه كما أنزل إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده[6]، وقد ردد هذه الفرية التي ربطت جمع القرآن بعلي رضي الله عنه،

(١) دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين، ص٢٢٦.

(٢) تفسير الصافي، ص١٣، الإمام الصادق، لأبي زهرة، ص٣٣٣.

(٣) أصول الكافي (١/ ٤١٤).

(٤) أصول الكافي (١/ ٤١٢)، السُّنَّة والشيعة، إحسان إلهي، ص١٠٣.

(٥) أصول الكافي (٢/ ٦٣١)، السُّنَّة والشيعة ص٨٧. (٦) أصول الكافي (١/ ٢٢٨).

وقد ذهب صاحب الاحتجاج إلى أنه لما توفى الرسول ﷺ، جمع على (عليه السلام) القرآن وجاء به إلى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله، فلما فتحه أبو بكر خرج فى أول صفحة فتحها فضائح القوم، فوثب عمر وقال: يا على اردده فلا حاجة لنا فيه، فأخذه عليه السلام وانصرف، ثم أحضروا زيد بن ثابت وكان قارئًا للقرآن، فقال له عمر: إن عليًا جاء بالقرآن وفيه فضائح المهاجرين والأنصار، وقد رأينا أن نؤلف القرآن ونسقط منه ما كان فيه فضيحة وهتك للمهاجرين والأنصار، فأجابه زيد إلى ذلك ثم قال: فإن أنا فرغت من القرآن على ما سألتم وأظهر علىٌّ القرآن الذى ألفه أليس قد بطل كل ما عملتم؟، قال عمر: فما الحيلة؟، قال زيد: أنتم أعلم بالحيلة، فقال عمر: فما حيلته دون أن نقتله ونستريح منه، فدبر فى قتله على يد خالد بن الوليد، فلم يقدر على ذلك[1]، ولا شك أن مثل هذه الرواية من نسج خيال مريض فاسد أراد أن يتهم الصحابة بتحريف القرآن، والتآمر على حرمان على من إمامة المسلمين وهو إذ يمدح عليًا يذمه إذ يصفه بالسكوت السلبى حينما رفض الصحابة الأخذ بقرآنه، فكيف يتفق هذا مع مواقف على رضى الله عنه البطولية فى سبيل الدفاع عن الإسلام، ويرد على مثل هذه التّرهات قول على رضى الله عنه: أعظم الناس أجرًا فى المصحف أبو بكر، رحمة الله على أبى بكر، هو أول من جمع ما بين اللوحين[2]، ولم يكتف الكلينى بهذا، بل نسب هذه الافتراءات والمزاعم الباطلة حول التحريف فى القرآن إلى جعفر الصادق، إذ ينسب إليه أنه قال: إن القران الذى نزل به الوحى على محمد سبعة آلاف آية، والآيات التى نتلوها ثلاث وستون ومئتان وست آلاف فقط، والباقى مخزون عند آل البيت[3]، وزعم الكلينى أن الصادق قال عن القرآن الذى جمعه على بن أبى طالب فى زعمه: قيل هو مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد[4]، ويقولون: إن فاطمة رضى الله عنها مكثت بعد النبى خمسة وسبعين يومًا، صبت عليها مصائب من الحزن لا يعلمها إلا الله، فأرسل الله إليها جبرائيل يسليها ويعزيها ويحدثها عن أبيها، وعما يحدث لذريتها، وكان على يستمع ويكتب ما يسمع حتى جاء به مصحفًا قدر القرآن ثلاث مرات ليس فيه شىء من حلال وحرام، ولكن فيه علم ما يكون[5].

(١) الاحتجاج للطبرسى، ص٢٢٥، ٢٢٨، دراسات عن الفرق فى تاريخ المسلمين، ص٢٢٨.
(٢) كتاب المصاحف، للسجستانى (٥/ ١). (٣) الإمام الصادق، ص٣٢٣.
(٤) أصول الكافى (١/ ٢٣٩).
(٥) أصول الكافى (١/ ٢٤٠)، بحار الأنوار (٢٦، ٤٤)، بصائر الدرجات، ص٤٣.

ويردد عالم شيعى آخر:وهو على بن إبراهيم القمى نفس المزاعم التى ذهب إليها الكلينى ويورد عنه محمد محسن الملقب بالفيض الكاشى فى تفسيره فيقول: المستفاد من الروايات عن طريق آل البيت أن القرآن الذى بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل على محمد بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو مغيَّر محرف وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة منها اسم على فى كثير من المواضع ومنها لفظ (آل محمد) غير مرة، ومنها أسماء المنافقين فى مواضعها، ومنها غير ذلك وأنه ليس على الترتيب المرضى عند الله ورسوله، وبه - أى بهذا الرأى - قال على بن إبراهيم المسمى بالقمى - وله تفسير ملئ بهذه الدعاوى والغلو فيها، وأخذ يخلط ويزعم أن هناك آيات فى ولاية على حذفت[1].

وقال صاحب كتاب بصائر الدرجات الصفّار بسنده عن أبى جعفر - على حد زعمه -: ما يستطيع أحد أن يدعى أنه جمع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء[2]، وعنه أيضًا: ما من أحد من الناس يقول إنه جمع القرآن كله كما أنزل الله إلا كذاب، وما جمعه وما حفظه كما أنزل إلا على بن أبى طالب والأئمة من بعده[3].

- وفى تفسير العياشى عن أبى عبد الله:لو قُرئ القرآن كما أنزل لألفيتنا فيه مسمين[4]، وفيه عن أبى جعفر: لولا أنه زيد فى كتاب الله ونقص منه ما خفى حقنا على ذى حجى[5]. والروايات فى كتب الشيعة الرافضة المصرحة بتحريف القرآن كثيرة جدًا، وقد أخبر عن استفاضتها وتواترها عندهم كبار علمائهم ومحققيهم، يقول المفيد: إن الأخبار جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد ﷺ باختلاف القرآن، وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان[6].

ويقول هاشم البحرانى[7] أحد كبار مفسريهم: اعلم أن الحق الذى لا محيص عنه بحسب الأخبار المتواترة الآتية وغيرها أن هذا القرآن الذى فى أيدينا قد وقع فيه بعد رسول الله ﷺ شيء من التغييرات، وأسقط الذين جمعوه بعده كثيرًا من الكلمات والآيات[8]، ويقول أيضًا: وعندى فى وضوح صحة هذا القول - أى تحريف القرآن - بعد تتبع الأخبار وتفحص الآثار بحيث يمكن الحكم بكونه من ضروريات مذهب التشيع وأنه من أكبر مقاصد الخلافة[9].

(١) دراسات عن الفرق فى تاريخ المسلمين، ص٢٢٩، ٢٣٠.
(٢) بصائر الدرجات، ص٢١٣.
(٣) المصدر نفسه، ص٢١٣.
(٤)، (٥) تفسير العياشى (١/ ١٣).
(٦) أوائل المقالات، ص (٩١).
(٧) هاشم بن سليمان البحرانى، توفى سنة ١١٠٧هـ.
(٨) مقدمة تفسير البرهان فى تفسير القرآن، ص٣٦.
(٩) المصدر نفسه، ص٤٩.

- ويقول نعمة الله الجزائري:[1] إن الأخبار الدالة على هذا (التحريف) تزيد على ألفي حديث، وادعى استفاضتها جماعة كالمفيد والمحقق الداماد، والعلامة المجلسي[2]، فهذه أقوال أئمتهم ومحققيهم الكبار تقطع بتواتر واستفاضة الروايات في كتبهم بدعوى تحريف القرآن وتبديله، وأنها تبلغ الآلاف مما جعل بعض هؤلاء العلماء يقطع بأن هذه العقيدة من ضروريات المذهب عندهم وأكبر مقاصد الإمامة، وزيادة على ما جاء في كتبهم من آلاف الروايات الدالة على دعوى تحريف القرآن، فإن أقوال علمائهم ومنظريهم وأهل الاجتهاد فيهم، جاءت مؤكدة لتلك العقيدة الفاسدة، ولعل المقام لا يتسع لنقل كلامهم هنا وإنما أذكر من نقل إجماعهم على ذلك من كبار علمائهم، يقول المفيد ناقلاً إجماعهم على ذلك: واتفقوا (أي الإمامية) أن أئمة الضلال خالفوا في كثير من تأليف القرآن، وعدلوا فيه عن موجب التنزيل وسنّة النبي ﷺ، وأجمعت المعتزلة والخوارج والمرجئة، وأصحاب الحديث على خلاف الإمامية في جميع ما عددناه[3].

وقد قام النوري الطبرسي، أحد كبار علمائهم المتأخرين الهالك في سنة ١٣٢٠هـ بتأليف كتاب ضخم في إثبات دعوى تحريف القرآن عند الشيعة الرافضة، سماه «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب»[4]، صدره بثلاث مقدمات يتبعها بابان:

الأول: في الأدلة على تحريف القرآن بزعمه.

الثاني: في الرد على القائلين بصحة القرآن في الأمة. وقد أودع الطبرسي في كتابه هذا آلاف الروايات الدالة على تحريف القرآن بزعمهم، حيث أورد في الفصلين الأخيرين فقط من الباب الأول المكون من اثني عشر فصلاً (١٦٠٢) رواية هذا غير ما أورده في الفصول الأخرى من هذا الباب والمقدمات الثلاث والباب الثاني وقال معتذراً عن قلة ما جمعه: «ونحن نذكر منها ما يصدق دعواهم مع قلة البضاعة»[5]، وقال موثقًا هذه الروايات: واعلم أن تلك الأخبار منقولة من الكتب المعتبرة التي عليها معوّل أصحابنا في إثبات الأحكام الشرعية والآثار النبوية[6]، وقال بعد أن سرد حشداً هائلاً من أسماء علمائهم القائلين بالتحريف استغرقت خمس صفحات من كتابه: ومن جميع ما ذكرنا ونقلنا، بتتبعي القاصر، يمكن دعوى الشهرة العظيمة بين المتقدمين وانحصار المخالفين فيهم بأشخاص

(١) متوفى سنة ١١١٢هـ، قال عنه الحر العاملي: فاضل عالم محقق جليل القدر، أمل الآمل (٢/ ٣٣٦).

(٢) فصل الخطاب، ص٢٤٨.

(٣) أوائل المقالات، ص٤٩.

(٤) الانتصار للصحب والآل ص (٦١).

(٥) فصل الخطاب، ص٢٤٩، الانتصار للصحب والآل، ص٦٢.

(٦) فصل الخطاب، ص٢٤٩.

معـينين يأتى ذكرهم[١]. ثم ذكر أن هؤلاء المخـالفين هم: الصدوق، والمرتـضى، وشيخ الطائفة الطوسى، قال: ولم يعرف من القدماء موافق لهم[٢].

وذكر أنه تبعـهم الطبرسى صاحب كتاب «مـجمع البيان»، قال: وإلى طبقـته لم يعرف الخلاف صـريحًا إلا من هولاء المشـايخ الأربعة[٣]، ثم اعتـذر بعد ذلك عن بعض هؤلاء العلمـاء فى عـدم قولهم بتـحـريف القـرآن بأن الذى حمـلهم على ذلك التـقيـة والمداراة للمـخالفين، قـال معـتذرًا عن الطوسى عـما أورده فى كـتابه (التـبيـان) من القول بـعدم التحـريف: ثم لا يخفى على المتـأمل فى كتاب التـبيان أن طريقـته فيـه على نهاية المداراة والمماشاة مع المخالفين.. وهو بمكان من الغرابة ولو لم يكن على وجه المماشاة[٤].

وقد سبق النورى الطبرسى الاعـتذار لهؤلاء العلماء: نعمة الله الجـزائرى حيث قال بعد أن نقل إجماع علماء الإمامية على عقيدة التحريف: نعم قد خالف فيها المرتضى والصدوق والشيخ الطبرسى، وحكوا أن مـا بين دفتى هذا المصحف هو القرآن لا غيـر، ولم يقع فيه تحريف ولا تبديل، والظاهر أن هذا القـول صدر منهم لأجل مصالح كثيـرة منها: سد باب الطعن عليـها، بأنه إذا جاز فى القـرآن، فكيف جاز العمـل بقواعده وأحكامـه، مع جواز لحوق التحريف لها، كيف روى هؤلاء الأعلام فى مؤلفاتهم أخبارًا كثيرة تشتمل على وقوع تلك الأمور فى القرآن وأن الآية هكذا أنزلت ثم غيرت إلى هذا[٥]. وبهذا يظهر أن القول بتحريف القرآن واعتقـاد تغييره وتبديله هو محل إجماع علماء الشيعة الرافـضة قاطبة، كما حقق ذلك الطبرسى في فصل الخطاب،ودلت عليه النقـول السابقة عن كبار علمائهم، وأنه لم يخالف فى هذه العقـيدة أحد من علمائهم، حتى وقـت تأليف فصل الخطاب إلا أربعة منهم حملهم على ذلك التقـية والمداراة للمخالفين، على ما نص عليـه الطبرسى ومن قبله نعمة الله الجزائرى. وكما أثبتت ذلك البحوث المعاصرة التى بحثت هذه المسألة وأيدت ذلك بذكـر شواهد كـثيرة من الـروايات الدالة على التـحريف الوارد فى كـتب هؤلاء المشـايخ الأربعة[٦] مما يدل على اعتقادهم مـضمونها وموافقتـهم لسائر علماء الشيعة الرافضـة فيما ذهبـوا إليه، من اعـتقـاد تحريف القـرآن وتبديله وإن أظهـروا تقيـة ونفاقًـا وخداعًـا لأهل السنَّة[٧].

(١)، (٢) فصل الخطاب، ص٣٠.
(٣)، (٤) فصل الخطاب، ص٣٤
(٥) الأنوار النعمانية (٢/ ٣٢٨، ٣٥٩).
(٦) الشيعة والقرآن لإحسان إلهى ظهير، ص٦٨ - ٧١.
(٧) الانتصار للصحب والآل، ص٦٥.

ومما يدل على ما ذهبت إليه أنه لم يتعرض واحد من هؤلاء الذين زعموا التحريف فى القرآن إلى نقد من قبل الشيعة إذ ظل الكلينى موضع الثقة والتبجيل والإكرام والمرجع الأول عند جميع الشيعة اليوم. ورغم أن الشيعة المعاصرين أكدوا نفى التحريف عن القرآن زيادة ونقصًا، فإننا لا نجد أحدًا منهم يرد على الكلينى ردًا صريحًا أو يظهر عدم الثقة به أو يرفض ما ذهب إليه، بل إن البعض حاول بطريقة ملتوية أن يدافع عنه ويجد له المعاذير[1]. وإن كان هؤلاء القوم صادقين، فعليهم أن يتبرؤوا ممن قال بتحريف القرآن الكريم، ولا يترددوا فى تكفير من أنكر كلمة واحدة من القرآن، وأن يبينوا أن جحود البعض كجحود الكل، لأن ذلك طعن صريح فيما ثبت عن النبى ﷺ بضرورة الدين، واتفاق المسلمين.

أن القرآن الكريم هو الكتاب الإلهى الذى لم يتطرق إليه التحريف والتبديل وذلك لأن الله تبارك وتعالى تعهد وتكفل بحفظه، بخلاف التوراة والإنجيل، فإن الله لم يتكفل بحفظهما، بل استحفظ عليهما أهلهما فضيعوهما، حكى الشاطبى عن أبى عمر الدانى عن أبى الحسن المنتاب قال: كنت يومًا عند القاضى أبى إسحاق إسماعيل بن إسحاق، فقيل له: لم جاز التبديل على أهل التوراة، ولم يجز على أهل القرآن؟، فقال القاضى: قال الله عز وجل فى أهل التوراة: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤]. فوكل الحفظ إليهم، فجاز التبديل عليهم، وقال فى القرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، فلم يجز التبديل عليهم، قال على: فمضيت إلى أبى عبد الله المحاملى فذكرت له الحكاية، فقال: ما سمعت كلامًا أحسن من هذا[2]، وقد أجمعت الأمة على مر العصور والدهور على أن القرآن الكريم الذى أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ هو القرآن الموجود الآن بأيدى المسلمين ليس فيه زيادة أو نقصان، ولا تغيير فيه أو تبديل، ولا يمكن أن يتطرق إليه شىء من ذلك لوعد الله بحفظه وصيانته ولم يخالف فى هذا إلا الشيعة الرافضة حيث زعموا أن القرآن الكريم قد حدث فيه تحريف وتغيير وتبديل، وزعموا أن الصحابة هم الذين حرفوا القرآن من أجل مصالحهم الدنيوية، وعقيدتهم هذه باطلة، ودل على بطلانها الأدلة من القرن الكريم، وأقوال الأئمة من أهل البيت والعقل، وإليك بيان ذلك:

(أ) الأدلة من القرآن الكريم: الآيات الصريحة الدالة على تكفل الله تعالى بحفظ القرآن وأنه لا يمكن أن يتطرق إليه التحريف أو التبديل، والآيات فى هذا الشأن كثيرة منها:

(١) أضواء على خطوط محب الدين، ص٤٢ وما بعدها.
(٢) الموافقات (٢/ ٥٩).

* قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧].

* قوله تعالى: ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

* قوله تعالى: ﴿الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١، ٢].

* قوله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

* وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢].

* وقوله تعالى: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٦، ١٧].

فقد دلت هذه الآيات الكريمات على حفظ الله لكتابه الكريم وإحكامه لآياته، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ [النساء: ١٢٢]. وهذه الآيات في صراحتها علي حفظ الله لكتابه وصيانته من التحريف، والتبديل حيث لا يُحتاج إلى شرح أو توضيح، كما أن ثناء الله تعالى في القرآن الكريم على الصحابة رضوان الله عليهم مما يؤكد كذب ما نسبته إليهم الشيعة الرافضة من دعوى تحريف القرآن[(١)]، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]. وغير ذلك من الآيات في مدح الصحابة التي سيأتي شرحها وبيانها في موضعه بإذن الله تعالى.

وبعد إيراد هذه الآيات بقسميها المتقدمين نقول للشيعة الرافضة: إن قولكم بتحريف القرآن تعارضه هذه الآيات الكريمة، التي أكد الله تعالى فيها أن هذا القرآن لم يحرف ولن

(١) بذل المجهود (١/ ٤٣٤) عبد الله الجميلي.

يحرف لأنه هو الذى تكفل بحفظه وصيانته عن التحريف والتبديل، كما أثنى على صحابة نبيه ﷺ الذين اتهمتموهم بالتحريف، ووصفهم بالصدق، والإيمان بالله ورسوله، وزكاهم أعظم تزكية، فليلزمكم تجاه هذه الآيات: إما أن تعترفوا وتقروا أن هذه الآيات جاءت من الله تعالى، فعند ذلك لا يسعكم إلا قبول واعتقاد ما دلت عليه، من سلامة القرآن الكريم من التحريف والتبديل، وإما أن تنكروا أنها من الله، فهذا كفر بالله بإجماع المسلمين، إذ من أنكر آية واحدة فى القرآن، واعتقد عدم صحة نسبتها إلى الله، فهو كافر بإجماع المسلمين[١].

(ب) الأدلة من أقوال أئمتهم: فقد جاءت روايات كثيرة عن أئمتهم الذين يعتقدون عصمتهم يحثون فيها الشيعة على التمسك بكتاب الله وردٌ كل شىء إلى الكتاب والسُّنَّة. ومن هذه الروايات: ما جاء عن موسى بن جعفر أنه سئل: أَكُل شىء فى كتاب الله وسُنَّة نبيه أو تقولون فيه؟، فقال: بل كل شىء فى كتاب الله وسُنَّة نبيه ﷺ[٢]. وجاء عن أبى عبد الله أنه قال: من خالف كتاب الله وسُنَّة نبيه محمد ﷺ فقد كفر[٣]. وعن أبى جعفر أنه قال: إن الله تبارك وتعالى لم يدع شيئًا تحتاج إليه الأمة إلا أنزله فى كتابه، وبيَّنه لرسوله ﷺ وجعل لكل شىء حدًا وجعل عليه دليلاً يدل عليه[٤]. وعن أبى عبد الله قال: ما من شىء إلا وفيه كتاب أو سُنَّة[٥].

والمتأمل لهذه الروايات يخرج بفائدتين مهمتين:

* أن الأئمة من آل البيت كانوا يعتقدون كغيرهم من سلف الأمة صحة القرآن الكريم وإلا لم يطلبوا من تلاميذهم التمسك بكتاب الله وسُنَّة نبيه ﷺ ونبذ ما سواهما، ثم إخبارهم إياهم أنه ما من شىء إلا وهو فى كتاب الله والسُّنَّة وأنه ليس عندهم إلا ما فيهما.

* أن الروايات المنسوبة إليهم من القول بتحريف القرآن لم يقولوها بل هم بُرءاءُ منها وممن افتراها[٦].

(جـ) الأدلة العقلية: وكما دل النقل على بطلان دعوى الرافضة فى تحريف القرآن الكريم، فإن العقل يدل على بطلان دعواهم تلك، وذلك لما يترتب على القول بتحريف القرآن من

---

(١) بذل المجهود (١/ ٣٢٥).
(٢) أصول الكافى (١/ ٦٢).
(٣) أصول الكافى (١/ ٧٠).
(٤)، (٥) المصدر نفسه (١/ ٥٩).
(٦) بذل المجهود (١/ ٤٣٧)..

المفاسد العظيمة التى يستلزم منها الطعن فى الله تبارك وتعالى، وفى النبى ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم، والأئمة من آل البيت الأطهار، بحفظ القرآن من التحريف - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا - ويستلزم الطعن فى النبى ﷺ حيث إنه لم يبلغ القرآن الكريم البلاغ الكامل بل خص عليًا رضى الله عنه بكثير من الآيات التى لم يطلع عليها غيره. ويستلزم الطعن فى الصحابة الذين حرفوا القرآن من أجل مصالحهم الخاصة، على حسب ما يدعيه الشيعة الرافضة، ويستلزم الطعن فى على والأئمة من بعده، وذلك لأنهم لم يسلموا القرآن الذى معهم -على حد زعم الشيعة الرافضة- إلى الناس ويدعوهم إليه، وهذا كتم لكتاب الله، وقد توعد على ذلك بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[البقرة: ١٥٩]، ولو كان للشيعة الرافضة اعتراف بالأدلة العقلية، لكانت هذه اللوازم الفاسدة المترتبة على تلك العقيدة الخبيثة أكبر رادع لهم للإقلاع عن هذه العقيدة والتوبة إلى الله، من كل ما افتروه عليه وعلى نبيه ﷺ وصحابة نبيه الكرام، وأهل البيت الأطهار[1].

٢- اعتقادهم أن القرآن ليس حُجة إلا بقيم: قال الكلينى صاحب أصول الكافى والذى هو عندهم كصحيح البخارى عند أهل السنَّة[2]، يروى ما نصه: «.. أن القرآن لا يكون حُجة إلا بقيم، وأن عليًا كان قيم القرآن وكانت طاعته مفترضة، وكان الحجة على الناس بعد رسول الله»[3]، كما توجد هذه المقالة فى طائفة من كتبهم المعتمدة كرجال الكشى[4]، وعلل الشرائع[5]، والمحاسن[6]، ووسائل الشيعة[7]، وغيرها. وكيف يقال مثل هذا فى كتاب الله سبحانه ليكون هداية للناس ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

قال الخليفة الراشد علىّ رضى الله عنه: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحُكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، وهو الحبل المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا تنقضى عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى

(١) بذل المجهود (١/ ٤٣٧).
(٢) أصول الشيعة الإمامية (١/ ١٥٥).
(٣) أصول الكافى (١/ ١٨٨).
(٤) رجال الكشى، ص٤٢٠.
(٥) الصدوق، علل الشرائع ص١٩٢.
(٦) المحاسن للبرقى، ص٢٦٨.
(٧) وسائل الشيعة للحر العاملى (١٨/ ١٤١).

إلى صراط مستقيم(١)، وقال ابن عباس رضي الله عنه: «يضمن الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة»، ثم قرأ هذه الآية: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ﴾(٢) [طه: ١٢٣].

وقد جاء في كتب الشيعة نفسها عن أهل البيت ما ينقض هذه المقولة في بعض مصادرهم المعتمدة، فقد جاء فيها: . . . فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل(٣). وفي نهج البلاغة المنسوب لعلي رضي الله عنه وهو الذي عند الشيعة من أوثق المراجع: جاء النص التالي: فالقرآن آمر زاجر، وصامت ناطق، حُجة الله على خلقه(٤).

ولهذه النصوص شواهد أخرى وهي تكشف لنا مدى التناقض والاضطراب الواقع في مصادر هؤلاء القوم: فرواياتهم - كما ترى - يعارض بعضها بعضًا، لكنهم في حالة التناقض تلك قد وضعوا لهم منهجًا خطيرًا وهو الأخذ بما خالف العامة - وهم أهل السُّنَّة عندهم - والمتأمل لتلك المقالة التي تواترت في كتب الشيعة يلاحظ أنها من وضع عدو حاقد أراد أن يصد الشيعة عن كتاب الله سبحانه، ويضلهم عن هدى الله، فما دامت تلك المقالة ربطت حجية القرآن بوجود القيم، والقيم هو أحد الأئمة الاثنى عشر، لأن القرآن فسر لرجل واحد وهو علي، وقد انتقل علم القرآن من علي إلى سائر الأئمة الاثنى عشر، كل إمام يعهد بهذا العلم إلى من بعده، حتى انتهى إلى الإمام الثاني عشر، وهو غائب مفقود عند الاثنى عشرية منذ ما يزيد على أحد عشر قرنًا، ومعدوم عند طوائف من الشيعة وغيرهم، فما دامت هذه المقالة ربطت حجية القرآن بهذا الغائب أو المعدوم فكأن نهايتها أن الاحتجاج بالقرآن متوقف لغياب قيمه أو عدمه، وأنه لا يرجع إلى كتاب الله، ولا يعرج عليه في مقام الاستدلال، لأن الحجة في قول الإمام فقط، وهو غائب فلا حجة فيه حينئذ، وحسبك بهذا الضلال، والإضلال عن صراط الله، وتلك ليست نهاية التآمر على كتاب الله، وعلى الشيعة، ولكنها حلقة من حلقات، ومؤامرة ضمن سلسلة مؤامرات، تريد أن تبعد الشيعة عن كتاب الله عز وجل(٥).

---

(١) فضائل القرآن لابن كثير، ص١٥، موقوف على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٢٢٥). (٣) تفسير العياشي (١/ ٢)، البحار (٩٢/ ١٧).

(٤) نهج البلاغة، ص٢٦٥، أصول الشيعة الإمامية (١/ ١٦٠).

(٥) أصول الشيعة الإمامية (١/ ١٦١).

إن مما علم من الإسلام بالضرورة أن علم القرآن الكريم لم يكن سرًا تتوارثه سلالة معينة، ولم يكن لعلي اختصاص بهذا دون سائر صحابة رسول الله ﷺ وأن الصحابة رضوان الله عليهم هم الطليعة الأولى التي حازت شرف تلقي هذا القرآن عن رسول البشرية محمد ﷺ ونقله إلى الأجيال كافة، ولكن الشيعة تخالف هذا الأصل، وتعتقد أن الله سبحانه وتعالى قد اختص أئمتهم الاثنى عشر بعلم القرآن كله، وأنهم اختصوا بتأويله، وأن من طلب علم القرآن من غيرهم فقد ضل[1]، وتذكر بعض مصادر أهل السنَّة أن بداية هذه المقالة، وجذورها الأولى ترجع لابن سبأ، فهو القائل: بأن القرآن جزء من تسعة أجزاء وعلمه عند علي[2]، وقد استفاض ذكر هذه المقالة في كتب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية بألوان الأخبار وصنوف الروايات:

(أ) جاء في أصول الكافي في خبر طويل عن أبي عبد الله قال: إن الناس يكفيهم القرآن لو وجدوا له مفسرًا، وإن رسول الله ﷺ فسره لرجل واحد، وفسره للأئمة شأن ذلك الرجل وهو علي بن أبي طالب[3]، وجاء في طائفة من مصادر الشيعة المعتمدة لديهم أن رسول الله ﷺ قال: إن الله أنزل علي القرآن وهو الذي من خالفه ضل، ومن يبتغي علمه عند غير علي هلك[4]. وزعمت أيضًا كتب الشيعة أن أبا جعفر قال: يا قتادة أنت فقيه أهل البصرة؟، فقال: هكذا يزعمون، قال أبو جعفر رضي الله عنه: بلغني أنك تفسر القرآن؟ فقال له قتادة: نعم - إلى أن قال - : ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به[5].

ورواياتهم في هذا الباب كثيرة جدًا، وربما تستغرق مجلدًا وكلها تحوم حول معنى واحد وهو اختصاص الأئمة الاثنى عشر بعلم القرآن وأنه مخزون عندهم وبه يعلمون كل شيء[6]، والرد على ذلك كما قال الله تعالى لمن طلب آية تدل على صدق الرسول ﷺ: ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١]، فالقرآن الكريم العظيم هو الشاهد والدليل والحجة، ومن ابتغى علم القرآن من القرآن، أو من سُنَّة المصطفى ﷺ، أو من صحابة رسول الله ﷺ بمن فيهم علي فقد اهتدى. والقول بأن من طلب علم القرآن

(١) أحوال الشيعة الإمامية (١/ ١٦٢).
(٢) أحوال الرجال، ص٣٨ للجوزجاني، أصول الشيعة الإمامية (١/ ١٦٢).
(٣) أصول الكافي (١/ ٢٥)، وسائل الشيعة (١٨/ ١٣١).
(٤) أمالي الصدوق، ص٤٠، وسائل الشيعة (١٨/ ١٣١).
(٥) بحار الأنوار (٢/ ٢٣٧، ٢٣٨)، أصول الشيعة (١/ ١٦٣).
(٦) أصول الشيعة الإمامية (١/ ١٦٦).

عند غير على هلك ليس من دين الإسلام، وهو مما علم بطلانه من الإسلام بالضرورة، فلم يخص النبى ﷺ أحدًا من الصحابة بعلم الشريعة دون الآخرين، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، فالآية تدل على أن البيان للناس وليس لفرد أو طائفة منهم ولو كانوا أهل بيته، وقد نفى أمير المؤمنين على أن يكون خصه رسول الله ﷺ بعلم دون الناس[١]، وقد خاطب النبى ﷺ الصحابة ومن بعدهم، ورغبهم فى تبليغ سُنَّته ولم يخص أحدًا منهم، فقال ﷺ: «نضّر الله أمرأً سمع منا حديثًا فحفظه حتى يبلغه غيره، فإنه رب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[٢]. وقد روت هذا الحديث كتب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية المعتمدة[٣]، فيكون حُجة عليهم، وأما الدعوة بأن القرآن الكريم لم يخاطب به سوى الأئمة الاثنى عشر، ومن هنا فلا يعرف القرآن سواهم - إنما يعرف القرآن منْ خوطب به[٤] -، بهذا الفهم السقيم يُعد صحابة رسول الله ﷺ، والتابعون وأئمة الإسلام على امتداد العصور قد هلكوا وأهلكوا - على حد زعمهم - بقيامهم بتفسير القرآن وفق أصوله، أو اعتقادهم أن فى كتاب الله ما لا يعذر أحد بجهالته، ومنه ما تعرفه العرب من كلامها، ومنه ما لا يعرفه إلا العلماء، ومنه ما لا يعلمه إلا الله[٥]، فالشيعة تزعم أنه لا يعرف القرآن سوى الأئمة، وأنهم يعرفون القرآن كله، وهذه دعوة تفتقر إلى الدليل، وزعم يكذبه العقل والنقل، فمما يجب أن يعلم أن النبى ﷺ بيَّن لأصحابه معانى القرآن، كما بيَّن لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، يتناول هذا وهذا.

وقد قال أبو عبد الرحمن السلمى: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن - كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود وغيرهما - أنهم كانوا إذا تعلموا من النبى ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا[٦]، ولهذا كانوا يبقون مدة فى حفظ السورة، وذلك أن الله تعالى قال: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، وقال: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ

(١) مسلم رقم (١٩٧٨).
(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٦٨٩، ٦٩٠).
(٣) أصول الكافى (١/ ٤٠٣)، وسائل الشيعة للحر العاملى (١٨/ ٦٤).
(٤) بحار الأنوار (٢٤/ ٢٣٧، ٢٣٨)، أصول الشيعة (١/ ١٦٣).
(٥) تفسير الطبرى (١/ ٧٦) كلام لابن عباس.
(٦) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٣١).

﴿الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢]، وقال: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وتدبر القرآن بدون فهم معانيه لا يمكن، وكذلك قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، وعقل القرآن متضمن لفهمه، ومن المعلوم أن كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه، فالقرآن أولى.

ولهذا لم تعد فئة من الشيعة تهضم هذه المقالة، وخرجت عن القول بكل ما فيها، فقالت بأن ظواهر القرآن لا يختص بعلمها الاثنا عشر بل يشركهم غيرهم فيها، أما بواطن الآيات فمن اختصاص الأئمة. وقام خلاف كبير حول حجية ظواهر القرآن بين الأخباريين والأصوليين، فالفئة الأولى ترى أنه لا يعلم تفسير القرآن كله ظاهرة وباطنه إلا الأئمة، والأخرى ترى حجية ظواهر القرآن لعموم الأدلة في الدعوة لتدبر القرآن وفهمه(١).

إن دعوى أن القرآن لم يُفسر إلا لعلى مخالفة لقول الله سبحانه: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، فالبيان للناس لا لعلى وحده - كما سبق - فليس لمن قال هذه المقالة إلا أحد طريقين: إما القول بأن الرسول لم يبلغ ما أنزل إليه، وإما أن يُكذب القرآن، وهى مخالفة للعقل وما علم من الإسلام بالضرورة، ودعوى أن علم القرآن اختص به الأئمة ينافيه اشتهار عدد كبير من صحابة رسول الله ﷺ بتفسير القرآن كالخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وزيد بن ثابت وغيرهم. وكان على رضى الله عنه يثنى على تفسير ابن عباس رضى الله عنهما(٢)، وقال ابن تيمية رحمه الله: وهذا ابن عباس نقل عنه من التفسير ما شاء الله بالأسانيد الثابتة ليس فى شيء منها ذكر على، وابن عباس يروى عن غير واحد من الصحابة، يروى عن عمر، وأبى هريرة، وعبد الرحمن بن عوف، وعن زيد بن ثابت، وأبى بن كعب، وأسامة ابن زيد وغير واحد من المهاجرين والأنصار، وروايته عن على قليلة جدًا، ولم يخرج أصحاب الصحيح شيئًا من حديثه عن على، وخرجوا حديثه عن عمر وعبد الرحمن بن عوف وأبى هريرة وغيرهم... وما يعرف بأيدى المسلمين تفسير ثابت عن على، وهذه كتب الحديث والتفسير مملوءة بالآثار عن الصحابة والتابعين، والذى منها عن على قليل جدًا، وما ينقل من التفسير عن جعفر الصادق عامته كذب على جعفر(٣)، وقد تحدث

(١) البيان للخوئي، ص٢٦٣، أصول الفقه للمظفر (٣/ ١٣٠).
(٢) تفسير ابن عطية (١/ ١٩)، تفسير ابن جزى (١/ ٩).
(٣) منهاج السنة (٤/ ١٥٥).

جعفر بولع الناس بالكذب عليه، وإن قولهم بأن علم القرآن انفرد بنقله على يفضى إلى الطعن فى تواتر شريعة القرآن من الصحابة إلى سائر الأجيال، لأنه لم ينقلها - على حد زعمهم - عن رسول الله إلا واحد وهو على رضى الله عنه، فهذه المقالة مؤامرة، الهدف منها الصد عن كتاب الله سبحانه والإعراض عن تدبره، واستلهام هديه، والتفكر فى عبره، والتأمل فى معانيه ومقاصده، فالقرآن فى دين الشيعة لا وسيلة لفهم معانيه إلا من طريقة الأئمة الاثنى عشر، أما غيرهم فمحروم من الانتفاع به، وهى محاولة أو حيلة مكشوفة الهدف، مفضوحة القصد، لأن كتاب الله نزل بلسان عربى مبين وخوطب به الناس أجمعون ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨]، وأمر الله عباده بتدبره، والاعتبار بأمثاله، والاتعاظ بمواعظه، ومحال أن يقال لمن لا يفهم ما يقال له ولا يعقل تأويله: اعتبر بما لا فهم لك به ولا معرفة من البيان والكلام[(١)]، وهى محاولة للصد عن ذلك العلم العظيم فى تفسير القرآن، والذى نقله إلينا صحابة رسول الله ﷺ والسلف والأئمة، فهذه الكنوز العظيمة لا عبرة بها ولا قيمة لها فى دين الشيعة، لأنها ليست واردة عن الأئمة الاثنى عشر، وقد صرح بذلك بعض شيوخهم المعاصرين فقال: إن جميع التفاسير الواردة عن غير أهل البيت لا قيمة لها ولا يعتد بها[(٢)]، لقد حاولت كتب التفسير المعتمدة عندهم كتفسير القمى والعياشى والصافى والبرهان، وكتب الحديث كالكافى والبحار تأويلات لكتاب الله منسوبة لآل البيت تكشف فى الكثير الغالب عن جهل فاضح بكتاب الله، وتأويل منحرف لآياته، وتعسف بالغ فى تفسيره، ولا يمكن أن تصح نسبتها لعلماء آل البيت، فهى تأويلات لا تتصل بمدلولات الألفاظ، ولا بمفهومها ولا بالسياق القرآنى - كما سيأتى أمثلة على ذلك بإذن الله - وبناء على هذه العقيدة فإن هذا هو مبلغ علم علماء آل البيت، وفى ذلك من الزراية عليهم ونسبة الجهل إليهم الشىء الكثير من قوم يزعمون محبتهم والتشيع لهم[(٣)].

٣- **اعتقادهم بأن للقرآن معانى باطنة تخالف الظاهر:** ذهب الشيعة إلى أن للقرآن ظاهراً وباطنًا، وأن الناس لا يعلمون إلا الظاهر، وأما الباطن فلا يعلمه إلا الأئمة ومن يستقى منهم، وبمثل هذه الأفكار فتح الشيعة الباب للزنادقة والملحدين وأصحاب الأهواء والمذاهب الهدامة لكى يتلاعبوا بالقرآن، وحاولوا جميعًا الكيد له وأرادوا أن يطفئوا نور الإسلام بأفواههم ولكن الله متم نوره ولو كره الكافرون، وقد استغل الشيعة فكرة الظاهر والباطن

(١) تفسير الطبرى (١/ ٨٢).
(٢) الشيعة والرجعة، ص١٩، محمد رضا النجفى.
(٣) أصول الشيعة الإمامية (١/ ١٧٦).

هذه وحاولوا بها تفسير القرآن لكي يوافق معتقداتهم ويخدم مذهبهم في الإمامة، كما اتخذوا القرآن تكأة للهجوم على الصحابة رضى الله عنهم وتجريحهم في الوقت الذي يمجدون فيه أهل البيت وينسبون إليهم أشياء يدفعونها هم عن أنفسهم، وقد أتى الشيعة الرافضة في هذا الباب بآراء تخالف كل ما أثر في تفسير القرآن، ولا يسندها أثر ولا عقل ولا لغة ولا منطق[1].

إن جذور التأويل الباطني نبتت في أروقة السبئية، لأن ابن سبأ حاول أن يجد لقوله بالرجعة مستندًا من كتاب الله بالتأويل الباطل وذلك حينما قال: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمدًا يرجع، وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥][2]، وقد نقلت لنا بعض كتب أهل السنة نماذج من تأويلات الشيعة لكتاب الله، ولكن ما انكشف لنا اليوم أمر خطير على عقائد الناس وفكرهم وثقافتهم، فقد تحدث الإمام الأشعري[3]، والبغدادي[4]، والشهرستاني[5]، وغيرهم يحكون عن المغيرة بن سعيد أحد الغلاة باتفاق السُّنَّة والشيعة والذي تنسب إليه الطائفة المغيرية أنه ذهب بتأويل الشيطان في قول الله جل شأنه: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ﴾ [الحشر: ١٦]، بعمر بن الخطاب رضى الله عنه، وهذ التأويل بعينه قد ورثته الاثنا عشرية، ودونته في مصادرها المعتمدة، حيث جاء في تفسير العياشي[6]، والصافي[7]، والقمي[8]، والبرهان[9]، وبحارالأنوار[10]، عن أبي جعفر في قول الله: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، قال: وهوالثاني، وليس في القرآن شيء «وقال الشيطان» إلا وهو الثاني، فكانت كتب الاثنى عشرية تزيد على المغيرية بوضع هذا الانحراف في كتاب الله قاعدة مطردة[11].

فهذه الروايات التي تسندها كتب الشيعة الاثنى عشرية إلى أبي جعفر الباقر هي من أكاذيب المغيرة بن سعيد وأمثاله، فقد ذكر الذهبي عن كثير النواء [12]، أن أبا جعفر قال:

---

(١) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ص ٢٣٣، ٢٣٤
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٧).
(٣) مقالات الإسلاميين (١/ ٧٣).
(٤) الفرق بين الفرق ص ٢٤.
(٥) الملل والنحل (١/ ١٧٧).
(٦) تفسير العياشي (٢/ ٢٢٣).
(٧) تفسير الصافي (٣/ ٢٢٣).
(٨) تفسير القمي (٣/ ٨٤).
(٩) البرهان (٢/ ٣٠٩).
(١٠) بحار الأنوار (٣/ ٣٧٨).
(١١) أصول الشيعة الإمامية (١/ ٢٠٦).
(١٢) كثير النواء: شيعي وروى أنه رجع عن تشيعه.

بريءٌ الله ورسوله من المغيرة بن سعيد، وبيان بن سمعان فإنهما كذبا علينا أهل البيت[1]، وروى الكشي في رجاله عن أبي عبد الله قال: لعن الله المغيرة بن سعيد كان يكذب علينا[2]، وساق الكشي روايات عديدة في هذا الباب[3]، ويلاحظ أنه اتفق كل من الأشعري، والبغدادي وابن حزم، ونشوان الحميري على أن جابراً الجعفي الذي وضع أول تفسير للشيعة على ذلك النهج الباطني كان خليفة المغيرة بن سعيد[4] الذي قال بأن المراد بالشيطان في القرآن هو أمير المؤمنين عمر، فهي عناصر خطرة يستقي بعضها من بعض عملت على فساد التشيع[5].

وحين احتج شيخ الشيعة في زمنه - والذي إذا أطلق لقب العلاّمة عندهم انصرف إليه (ابن المطهر الحلي) - على استحقاق علي للإمامة بقوله: «البرهان الثلاثون قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ⑲ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾[الرحمن ١٩، ٢٠] قال: علي وفاطمة ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ النبي ﷺ ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ الحسن والحسين، فحينما احتج ابن المطهر بذلك قال ابن تيمية رحمه الله: إن هذا وأمثاله إنما يقوله من لا يعقل ما يقول، وهذا بالهذيان أشبه منه بتفسير القرآن وهو من جنس تفسير الملاحدة والقرامطة الباطنية للقرآن، بل هو شر من كثير منه، والتفسير بمثل هذا طريق للملاحدة على القرآن والطعن فيه، بل تفسير القرآن بمثل هذا من أعظم القدح فيه والطعن فيه[6]، وهذه أمثلة من تحريف الشيعة الرافضة لآيات القرآن الكريم، وذلك بفتحهم باب التفسير الباطني للقرآن الكريم على مصراعيه:

(أ) تحريفهم معنى التوحيد الذي هو أصل الدين إلى معنى آخر هو ولاية الإمامة: فعن أبي جعفر أنه قال: ما بعث الله نبيًا قط إلا بولايتنا والبراءة من عدونا[7]، وذلك قول الله في كتابه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل: ٣٦]

(ب) تحريفهم معنى الإله إلى معنى الإمام: ففي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [النحل: ٥١] قال أبو عبد الله: يعني بذلك: ولا تتخذوا إمامين إنما هو إمام واحد[8].

(١) ميزان الاعتدال (٤/ ١٦١).
(٢)، (٣) رجال الكشي ص ١٩٥.
(٤) مقالات الإسلاميين (١/ ٧٣)، الفرق بين الفرق، ص ٢٤٢، المحلى (٥/ ٤٤)، أصول الشيعة (١/ ٢٠٧).
(٥) أصول الشيعة (١/ ٢٠٨).
(٦) منهاج السنّة (٤/ ٦٦).
(٧) تفسير العياشي (٢/ ٢٦١)، البرهان (٢/ ٣٧٣).
(٨) البرهان (٢/ ٣٧٣)، أصول الشيعة (١/ ٢٠٩).

(ج) تحريفهم معنى الرب في القرآن إلى معنى الإمام: ففي تفسير قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٥]، قال القمي في تفسيره: الكافر: الثاني (يعني عمر بن الخطاب)، كان على أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام ظهيراً[(١)] .

وقال الكاشاني في البصائر: أن الباقر عليه السلام سُئِلَ عن تفسير هذه الآية فقال: إن تفسيرها في بطن القرآن: علي هو ربه في الولاية[(٢)] .

(د) تحريفهم معاني الكلمة إلى معاني الأئمة: فقالوا في تفسير قول الله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٢١]، الكلمة: الإمام[(٣)]، وقوله سبحانه: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [يونس: ٦٤]. قالوا: لا تفسير للإمامة[(٤)].

(هـ) تحريفهم معاني المسجد والكعبة والقبلة إلى معاني الأئمة: فقالوا في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٢٩] قال: يعني الأئمة[(٥)]، وفي قوله: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[الأعراف: ٣١] قال: يعني الأئمة[(٦)]، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، قال: إن الإمام من آل محمد، فلا تتخذوا من غيرهم إمامًا[(٧)] ،ويقول الصادق عنهم: نحن البلد الحرام ونحن كعبة الله ونحن قبلة الله[(٨)]، والسجود: هو ولاية الأئمة وبهذا يفسرون قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [القلم: ٤٣] حيث قالوا : يدعون إلى ولاية علي في الدنيا[(٩)] .

(و) تحريفهم معاني التوبة في القرآن إلى الرجوع عن ولاية أبي بكر وعمر وعثمان إلا ولاية علي وحده: ففي قوله سبحانه: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ [غافر: ٧]. جاء تأويلها عندهم في ثلاث روايات، تقول الأولى: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ من ولاية فلان وفلان

(١) تفسير القمي (٢/ ١١٥).
(٢) تفسير نور الثقلين (٤/ ٢٥).
(٣) تفسير القمي (٢/ ٢٧٤)، بحار الأنوار(٢٤/ ١٧٤).
(٤) تفسير القمي (١/ ٣١٤)، بحار الأنوار(٢٤/ ١٧٥).
(٥) تفسير العياشي (٢/ ١٢)، أصول الشيعة (١/ ٢١٦).
(٦) تفسير العياشي (٢/ ١٣)، أصول الشيعة (١/ ٢١٦).
(٧) البرهان (٤/ ٣٩٣)، أصول الشيعة (١/ ٢١٦).
(٨) بحار الأنوار (٢٤/ ٣٠٣).
(٩) تفسير القمي (٢/ ٣٨٣)، مرآة الأنوار، ص ١٧٦ .

«يعنون أبا بكر وعمر وبنى أمية»، وتقول الرواية الثانية: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ من ولاية الطواغيت الثلاثة «يعنون أبا بكر وعمر وعثمان»، ومن بنى أمية، ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ يعنى ولاية على، وتقول الثالثة: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ من ولاية هؤلاء وبنى أمية ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ هو أمير المؤمنين[1]. وكل الروايات الثلاث المذكورة منسوبة لأبى جعفر محمد الباقر، وعلمه ودينه ينفيان صحة ذلك[2]. وهذا قليل من كثير من تأويلاتهم الباطلة، فقد قامت مصادرهم فى التفسير - غالبًا - على هذا المنهج الباطنى فى التأويل الذى استقته من أبى الخطاب وجابر الجعفى والمغيرة بن سعيد وغيرهم من الغلاة، ويلاحظ أنه فى القرن الخامس بدأ اتجاه التفسير عندهم يحاول التخلص من تلك النزعة المفرطة فى التأويل الباطنى، حيث بدأ شيخ الطائفة عندهم أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى (المتوفى ٤٦٠هـ) يؤلف لهم كتابًا فى التفسير، ويحاول فيه أن يتخلص أو يخفف من ذلك الغلو الظاهر فى تفسير القمى والعياشى وفى أصول الكافى وغيرها، وهو وإن كان يدافع عن أصول طائفته ويقرر مبادئهم المبتدعة، إلا أنه لا يهبط ذلك الهبوط الذى نزل إليه القمى ومن تأثر به، ومثل الطوسى فى هذا النهج الفضل بن الحسن الطبرسى فى مجمع البيان، وقد أشار ابن تيمية إلى ذلك حيث يقول: الطوسى ومن معه فى تفسيرهم يأخذون من تفسير أهل السنَّة وما فى تفاسيرهم من علم يستفاد إنما هو مأخوذ من تفاسير أهل السنَّة[3].

سادسًا: موقف الشيعة الإمامية من الصحابة الكرام

يقف الشيعة الرافضة من أصحاب النبى ﷺ موقف العداوة والبغضاء والحقد والضغينة، يبرز ذلك من خلال مطاعنهم الكبيرة على الصحابة التى تزخر بها كتبهم القديمة والحديثة، فمن ذلك اعتقادهم كُفرهم وردتهم إلا نفرًا يسيرًا منهم، وعلى ما جاء مصرحًا بذلك فى بعض الروايات الواردة فى أصح كتبهم وأوثقها عندهم، فقد روى الكلينى عن أبى جعفر أنه قال: كان الناس أهل ردة بعد النبى ﷺ إلا ثلاثة. فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفارى، وسلمان الفارسى، رحمة الله وبركاته عليهم ثم عرف أناس بعد يسير وقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا وأبوا أن يبايعوا حتى جاؤوا بأمير المؤمنين مكرهًا فبايع[4].

(١) تفسير الصافى (٤/ ٣٣٥)، تفسير القمى (٢/ ٢٥٥).

(٢) أصول الشيعة (١/ ٢١٨).

(٣) مناهج السنَّة (٣/ ٢٤٦).

(٤) الروضة من الكافى (٨/ ٢٤٥-٢٤٦)، الانتصار للصحب والآل، ص٧٦.

وقال نعمة الله الجزائري: الإمامية قالوا بالنص الجلى على إمامة على، وكفروا الصحابة، ووقعوا فيهم ، وساقوا الإمامة إلى الجعفر الصادق وبعده إلى أولاده المعصومين عليهم السلام، ومؤلف هذا الكتاب من هذه الفرقة وهى الناجية إن شاء الله[1].

وقدح الشيعة الرافضة فى الصحابة لا يقف عند هذا الحد من اعتقاد تكفيرهم وردتهم، بل يعتقدون أنهم شر خلق الله، وأن الإيمان بالله ورسوله لا يكون إلا بالتبرؤ منهم، وخاصة الخلفاء الثلاثة أبا بكر وعمر وعثمان، وأمهات المؤمنين[2] .

يقول محمد باقر المجلسى: وعقيدتنا في التبرؤ أننا نتبرأ من الأصنام الأربعة؛ أبى بكر وعمر، وعثمان ، ومعاوية، والنساء الأربع : عائشة، حفصة، وهند، وأم الحكم، ومن جميع أشياعهم وأتباعهم وأنهم شر خلق الله على وجه الأرض، وأنه لا يتم الإيمان بالله ورسوله والأئمة إلا بعد التبرؤ من أعدائهم[3]. وقد بلغ من حقد هؤلاء على أصحاب النبى ﷺ : استباحة لعنهم بل تقربهم إلى الله بذلك بشكل يفوق الوصف، فقد روى الملا كاظم عن أبى حمزة الثمالى - افتراءً عَلَى زين العابدين رحمه الله - أنه قال: من لعن الجبت والطاغوت لعنة واحدة كتب الله له سبعين ألف ألف حسنة ومحا عنه سبعين ألف ألف سيئة، ورفع له سبعين ألف ألف درجة، ومن أمسى يلعنهما لعنة واحدة كتب له مثل ذلك، قال: فمضى مولانا على بن الحسين، فدخلت على مولانا أبى جعفر محمد الباقر، فقلت: يا مولاى حديث سمعته من أبيك، قال: هات يا ثمالى، فأعدت عليه الحديث . فقال: نعم يا ثمالى أتحب أن أزيدك ؟، فقلت: بلى يا مولاى. فقال: من لعنهما لعنة واحدة فى كل غداة لم يكتب عليه ذنب فى ذلك اليوم حتى يمسى، ومن أمسى فلعنهما لعنة واحدة لم يكتب عليه ذنب فى ليله حتى يصبح [4]، ومن الأدعية المشهورة عندهم الواردة فى كتب الأذكار: دعاء يسمونه دعاء صنمى قريش «يعنون بهما أبا بكر وعمر» وينسبون هذا الدعاء ظلمًا وزورًا لعلى رضى الله عنه وهو يتجاوز صفحة ونصف الصفحة وفيه: اللهم صلِّ على محمد وآل محمد والعن صنمى قريش وجبتيهما وطاغوتيهما وإفكيهما، وابنيهما، اللذين خالفا أمرك، وأنكرا وحيك، وجحدا إنعامك، وعصيا رسولك، وقلبا دينك، وحرفا كتابك. . . . إلى أن جاء فى آخره: اللهم العنهما فى مكنون

(١) الأنوار النعمانية (٢/ ٢٤٤).
(٢) الانتصار للصحب والآل، ص٧٧.
(٣) حق اليقين، ص٥١٩ (فارسى) وقد قام بترجمة النص إلى العربية الشيخ محمد عبد الستار التونسوى، فى كتابه بطلان عقائد الشيعة، ص٥٣.
(٤) أجمع الفضائح، للملا كاظم، ص٥١٣، نقلاً عن الشيعة وأهل البيت، ص١٥٧.

السر، وظاهر العلانية، لعنًا كثيرًا أبدًا، دائمًا سرمدًا، لا انقطاع لأمره ولا نفاد لعدده، لعنًا يعود أوله ولا يروح آخره، لهم ولأعوانهم، وأنصارهم ومحبيهم ومواليهم، والمسلّمين لهم، والمائلين إليهم، والناهضين باحتجاجهم، والمقتدين بكلامهم، والمصدقين بأحكامهم، (قل أربع مرات): اللهم عذبهم عذابًا يستغيث منه أهل النار، آمين يارب العالمين(١).

- هذا الدعاء مرغب فيه عندهم، حتى- إنهم رووا فى فضله نسبة إلى ابن عباس أنه قال: إن عليًا - عليه السلام ـ كان يقنت بهذا الدعاء فى صلواته، وقال: إن الداعى به كالرامى مع النبى ﷺ فى بدر وأُحد وحنين، بألف ألف سهم(٢)، ولهذا كان هذا الدعاء محل عناية علمائهم، حتى إن أغا برزك الطهرانى ذكر أن شروحه بلغت العشرة(٣).

فهذا ما جاء فى كتبهم القديمة وعلى ألسنة علمائهم المتقدمين، أما المعاصرون منهم فهم على عقيدة سلفهم سائرون وبها متمسكون، فهذا إمامهم المقدس وآيتهم العظمى الخمينى - يقول فى كتابه كشف الأسرار: إننا هنا لا شأن لنا بالشيخين، وما قاما به من مخالفات للقرآن، ومن تلاعب بأحكام الإله، وما حللاه وحرماه من عندهما، وما مارساه من ظلم ضد فاطمة ابنة النبى ﷺ وضد أولادها، ولكننا نشير إلى جهلهما بأحكام الإله والدين(٤)، ويقول عن الشيخين رضى الله عنهما: وهنا نجد أنفسنا مضطرين إلى إيراد شواهد من مخالفتهما الصريحة للقرآن لنثبت بأنهما كانا يخالفان ذلك(٥)، ويقول متّهِمَهُما بتحريف القرآن: لقد ذكر الله ثمانى فئات تستحق سهمًا من الزكاة، لكن أبا بكر أسقط واحدة من هذه الفئات، بإيعاز من عمر ولم يقل المسلمون شيئًا(٦)، ويقول: الواقع أنهم أعطوا الرسول حق قدره، الرسول الذى كدَّ وجد وتحمل المصائب من أجل إرشادهم وهدايتهم، وأغمض عينيه وفى أذنيه كلمات ابن الخطاب القائمة على الفرية والنابعة من أعمال الكفر والزندقة(٧).

وقد خرجت أصوات شيعية معاصرة تدعو للتقارب بين الشيعة وأهل السنَّة وتزعم أنها تقدر الصحابة، كالخنيزى وأحمد مغنية والرفاعى، ومحمد جواد مغنية، فعليهم أن يعلنوا موقفهم فى تقديمهم للصحابة فى الأوساط الشيعية، وأن يعملوا على تنقية التراث الشيعى

---

(١) مفتاح الجنان فى الأدعية والزيارات والأذكار، ص ١١٣-١١٤، وتحفة عوام مقبول، ص ٢١٤-٢١٥، وهذا الكتاب الأخير موثق من كبار علمائهم المعاصرين، ورد ذكر أسمائهم على غلاف الكتاب، ومنهم الخمينى.

(٢) علم اليقين فى أصول الدين لمحسن الكاشانى (٢/ ١٠١).

(٣) الذريعة إلى تصانيف الشيعة (٨/ ١٩٢).

(٤) كشف الأسرار، ص ١٢٦.

(٥) المرجع نفسه، ص ١٣١.

(٦) المرجع نفسه، ص ١٣٥.

(٧) المرجع نفسه، ص١٣٧.

من كل مايخالف كتاب الله وسُنَّة رسوله وأن يتصدوا لمشايخ الشيعة المعاصرين الذين لا يزالون يهذون فى هذا الضلال، وألا يتجاهلوا ما جاء فى كتبهم قديمًا وحديثًا وما يجرى فى واقعهم من عوامهم وشيوخهم، وأن يصدقوا ولا يتناقضوا، حتى يقبل منهم موقفهم(١).

إن عقيدة الشيعة الرافضة فى الصحابة موجودة فى أصول كتبهم، التى يقوم عليها المذهب من مطاعن وسباب وشتائم بذيئة، يتنزه أصحاب المروءة والدين عن إطلاقها على أكفر الناس، بينما تنشرح بها صدور الشيعة الرافضة، وتسارع بها ألسنتهم فى حق أصحاب رسول الله ﷺ وخلفائه ووزرائه وأصهاره، ويعدون ذلك دينًا يرجون عليه من الله أعظم الأجر والمثوبة. وفى الحقيقة إن المسلم إذا ما تأمل حال هؤلاء الناس من بُعد وضلال، فإنه لابد له من موقفين:

(أ) موقف استشعار نعمة الله ، وعظم لطفه، وسابغ كرمه أن أنقذه من هذا الضلال، الأمر الذى يستوجب شكرًا لله على ذلك .

(ب) موقف الاتعاظ والاعتبار بما بلغ هؤلاء القوم من زيغ وانحراف، يعلمه من له أدنى ذرة عقل، كتقربهم إلى الله بلعن أبى بكر وعمر صباحًا ومساء، وزعمهم أن من لعنهما لعنة واحدة لم تكتب عليه خطيئة يومه، وذلك أن عامة العقلاء من هذه الأمة، بل ومن أصحاب الملل السماوية يدركون إدراكًا ضروريًا من دين الله، أن الله ما تعبد أمة من الأمم بلعن أحد من الكفار، ولو كان أكفر الناس، بل ما تعبدهم بلعن إبليس اللعين المطرود من رحمة الله صباحًا ومساء، فى أوراد مخصوصة تقربنا إلى الله كما تتقرب الشيعة الرافضة بلعن أبى بكر وعمر. بل إنى لا أعلم(٢)، فيما أطلعت عليه من كتب الرافضة أنفسهم، أنها تضمنت دعاء مخصوصًا أو غير مخصوص فى لعن أبى جهل، أو أمية بن خلف، أو الوليد بن المغيرة الذين هم أشد الناس كفرًا بالله وتكذيبًا لرسوله ﷺ، بل ولا فى لعن إبليس فى حين أن كتبهم تمتلئ بالروايات فى لعن أبى بكر وعمر، كما فى دعاء صنمى قريش وغيره، ففى هذا عبرة لكل معتبر فيما يبلغ بالعبد من الضلال إن هو أعرض عن شرع الله، واتبع الأهواء والبدع كيف يزين له سوء عمله وقبيح أفعاله حتى يصبح لا يعرف معروفًا من منكر، ولايميز حقًا من باطل، بل يتخبط فى الظلمات، ويعيش سكرة

(١) أصول الشيعة الإمامية (٣/ ١٣١٩ إلى ١٣٤٢).

(٢) هو الدكتور إبراهيم الرحيلى صاحب كتاب الانتصار للصحب والآل، ص٨٥.

الشهوات، وهذا ما أخبر الله عنه في كتابه وبين حال أصحابه[1] في قوله: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [فاطر:٨] وقال: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:١٠٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ [مريم: ٧٥].

نماذج للمراجية في تفسير الآيات عند الشيعة الرافضة المتعلقة بردة الصحابة - على حد زعمهم - والرد على باطلهم:

(أ) آية آل عمران: استدل الشيعة الرافضة بقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٣،١٤٤]، إن هذه الآية يزعمون أنها صريحة في الدلالة على انقلاب الصحابة بعد رسول الله، وعد الصحابة المنقلبين على أعقابهم هم الكثرة الغالبة من الصحابة فيما ثبت من الصحابة قلة قليلة، وهي الفئة التي ترى الشيعة الرافضة ثبوتها على الإسلام، وهؤلاء الثابتون هم الشاكرون ولا يكونون إلا قلة كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣]، والمهم عندهم أن آية الانقلاب تقصد الصحابة مباشرة، الذين يعيشون مع رسول الله ﷺ في المدينة، وترمي إلى الانقلاب مباشرة بعد وفاته دون فصل[2]، وقد حولوها وطبقوها على ما حدث في سقيفة بني ساعدة عندما انتخب الصحابة الكرام أبا بكر الصديق رضي الله عنه، والرد على هذا الكذب العظيم كالآتي:

- روى الطبري في تفسيره بسنده عن الضحاك قال في قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ناس من أهل الارتياب ومرضى النفاق، قالوا يوم فر الناس عن نبي الله ﷺ، وشُج فوق حاجبه، وكسرت رباعيته: قتل محمد فالحقوا بدينكم الأول، فذلك قوله: ﴿أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤][3].

(١) الانتصار للصحب والآل، ص٨٥.
(٢) ثم اهتديت للتيجاني، ص١١٤،١١٥
(٣) تفسير الطبري (٣/٤٥٨).

وروى أيضا عن ابن جريج قال: قال أهل المرضى والارتياب والنفاق، حين فرّ الناس عن النبى ﷺ: قد قُتل محمد، فالحقوا بدينكم الأول، فنزلت هذه الآية(١)، فالمقصود بالانقلاب على الأعقاب فى الآية هو: ما قاله المنافقون لما أشيع فى الناس أن رسول الله ﷺ قتل، وهو قولهم: ارجعوا إلى دينكم الأول. ولم تكن هذه الآية فيمن ارتد بعد موت النبى ﷺ وإن كانت هى حجة عليهم، مع أنها لو كانت فيمن ارتد بعد موت النبى ﷺ لكانت أظهر فى الدلالة على براءة أصحاب النبى ﷺ من المرتدين، فإنهم هم الذين قاتلوهم، وأظهر الله دينه على أيديهم، وخذل المرتدين بحربهم لهم، فرجع منهم من رجع إلى الدين، وهلك من هلك على ردته، وظهر فضل الصديق والصحابة بمقاتلتهم لهم(٢)، ولهذا ثبت عن على رضى الله عنه أنه كان يقول فى قوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، الثابتين على دينهم أبا بكر وأصحابه(٣)، وكان يقول: كان أبو بكر أمين الشاكرين وأمين أحباء الله، وكان أشكرهم وأحبهم إلى الله(٤).

لقد كان لموقعة أُحد ظروفها الخاصة وملابساتها، ولذلك جاءت الآيات الكريمة فى سورة آل عمران وفقًا لتلك الظروف والملابسات، واستخدام الآية الكريمة للاستدلال على وقائع أخرى كحادثة السقيفة أو موقعة الجمل لا يخلو من غرابة ومن مزاجية، لا تمت بصلة للمنهجية العلمية، وتُعد هذه الآية من أكبر الدلائل على عظم إيمان أبى بكر وحكمته وتفانيه فى الدفاع عن دين الله، فموقفه الثابت يوم أن توفى رسول الله ﷺ خير شاهد على ذلك.. يوم أن وقف وقفته الثابتة مخاطبًا الناس بعدما أصابه الوهن والضعف على فقد رسول الله ﷺ فقال: إن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] ويقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، فمن كان يعبد الله عز وجل فإن الله عز وجل حى لا يموت، ومن كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات(٥). وموقفه الصارم من الذين ارتدوا على أعقابهم واستبدلوا الإيمان بالكفر، فاتبعوا مسيلمة، وسجاح وطليحة بن خويلد والأسود العنسى وأمثالهم، ومن الذين قالوا: نصلى ولا نزكى، فأسقطوا شعائر الإسلام بالهوى لأروع مثال على عظمة أبى بكر والصحابة وعلى حرصهم على الدين(٦)، وقد وقف أمير المؤمنين على بجانب الخليفة

---

(١) تفسير الطبرى (٣/ ٤٥٨).

(٢) الانتصار للصحب والآل، ص٣٢٢.

(٣) تفسير الطبرى (٣/ ٤٥٥).

(٤) تفسير الطبرى (٣/ ٤٥٥).

(٥) البخارى، فضائل الصحابة رقم (٣٦٦٨).

(٦) ثم أبصرت الحقيقة، ص٣٠٢.

الراشد الصديق في جهاده ضد المرتدين ومانعي الزكاة، أما التيجاني وشرف الدين الموسوي وفلان وفلان من أئمة علماء الشيعة الاثني عشرية فلازالوا يدندنون حول قضية مانعي الزكاة محاولين تبرئة ساحتهم، ورمي أبي بكر والصحابة بالمقابل بالأباطيل والردة، فأي ضلال ينطق به هؤلاء حين يطعنون في أصحاب رسول الله، ويجعلون من الذين جاهدوا [(١)] في سبيل الله رفعة لهذا الدين رموزًا للكفر والردة والنفاق. ولذلك لا نعجب إن علمنا مدى إكبار الإمام أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لأبي بكر الصديق وإجلاله له، يذكر الأربلي -في كتاب كشف الغمة في معرفة الأئمة- عن عروة بن عبدالله أنه قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيوف، فقال: لا بأس بها، قد حلى أبو بكر الصديق رضي الله عنه سيفه، قلت: فتقول الصديق؟، قال: فوثب وثبة واستقبل القبلة وقال: نعم الصديق، نعم الصديق، فمن لم يقل له الصديق فلا صدق الله له قولاً في الدنيا ولا في الآخرة [(٢)]. فرحم الله الإمام أبا جعفر، ورحم الله كلماته التي طوتها صحف الأمس ولم تنطق بها ضمائر اليوم[(٣)].

(ب) آية سورة المائدة: وقد استدل بعض المتنطعين على ردة الصحابة وانقلابهم على أعقابهم بقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

إن هذه الآية التي بين أيدينا والتي يستدل بها علماء الشيعة الاثني عشرية، على ردة الصحابة وانقلابهم على أعقابهم [(٤)]، لهي أعظم دليل على عظمة هؤلاء الصحابة وتفانيهم في الدفاع عن الإسلام، لا على ردتهم وانقلابهم على أعقابهم، فقد روى الطبري بسنده عن علي رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ بأبي بكر وأصحابه، وعن الحسن البصري قال: هذا والله أبو بكر وأصحابه، وعن الضحاك قال: هو أبو بكر وأصحابه، لما ارتد من ارتد من العرب عن الإسلام جاهدهم أبو بكر وأصحابه، حتى ردهم إلى الإسلام. وبهذا قال قتادة وابن جريج وغيره من أئمة التفسير[(٥)].

(١) ثم أبصرت الحقيقة، ص٣٠٢، ٣٠٣.
(٢) كشف الغمة (٢/١٤٧).
(٣) ثم أبصرت الحقيقة، ص٣٠٤.
(٤) المصدر نفسه، ص٣١١.
(٥) تفسير الطبري (٤/٦٢٣-٦٢٤).

إن الآية الكريمة تحدثت عن صفات جيل التمكين، وبأن أهل الإيمان سيحالفهم النصر والتمكين فينالون العزة والكرامة بينما سيحيق بأهل الردة مكرهم السيئ وتغشاهم الذلة، وهذه حقيقة يلمسها كل من قرأ التاريخ الصحيح وتجلت له عزة الصحابة وعلى رأسهم الخليفة الراشد أبو بكر، وذل زعماء الردة، كمسيلمة والعنسى وسجاح وخيبتهم (1).

إن هذه الصفات المذكورة فى هذه الآية الكريمة أول من تنطبق عليه أبو بكر الصديق رضى الله عنه وجيوشه من الصحابة الذين قاتلوا المرتدين، فقد مدحهم الله بأكمل الصفات وأعلى المبرات، فالله سبحانه وتعالى ذكر أنه يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون فى سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم، وقد شرحت هذه الصفات فى كتابى الانشراح ورفع الضيق فى سيرة أبى بكر الصديق (2) فمن أراد المزيد فليرجع إليه.

(ج) آية سورة التوبة: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ (38) إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة:38،39]. فقد قال بعض علماء الشيعة الرافضة: هذه الآية صريحة فى أن الصحابة تثاقلوا عن الجهاد، واختاروا الركون إلى الحياة الدنيا، رغم علمهم بأنها متاع قليل، حتى استوجبوا توبيخ الله سبحانه، وتهديده إياهم بالعذاب الأليم، واستبدال غيرهم من المؤمنين الصادقين. وقد جاء هذا التهديد باستبدال غيرهم فى العديد من الآيات، مما يدل دلالة واضحة على أنهم تثاقلوا عن الجهاد فى مرات عديدة، فقد جاء فى قول الله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد:38]، عند صاحب كتاب «ثم اهتديت»: ومن البديهى المعلوم أن الصحابة تفرقوا بعد النبى ﷺ واختلفوا، وأوقدوا نار الفتنة، حتى وصل بهم الأمر إلى القتال والحرب الدامية، التى سببت انتكاس المسلمين وتخلفهم وأطمعت فيهم أعداءهم (3). والرد على هذا الشيعى الرافضى كالآتى: أنه ليس فى هاتين الآيتين مطعن على أصحاب النبى ﷺ، وإنما فيهما حث الله تعالى الصحابة على الجهاد، وذلك عندما أمر النبى ﷺ أصحابه فى غزوة تبوك بغزو الروم، وكان

(1) ثم أبصرت الحقيقة، ص (312).

(2) الانشراح ورفع الضيق فى سيرة أبى بكر الصديق، ص288 إلى 291، للمؤلف.

(3) ثم اهتديت، ص115.

ذلك فى زمن العسرة وفاقة من أصحاب النبى ﷺ مع شدة الحر وبعد السفر، فشق ذلك على بعضهم، فنزلت الآيات فى الترغيب فى الجهاد فى سبيل الله والتحذير من التثاقل عنه، فاستجاب أصحاب النبى لأمر ربهم.

قال الطبرى فى تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ﴾ [التوبة:٣٨]، وهذه الآية حث من الله جل ثناؤه للمؤمنين به من أصحاب رسوله على غزو الروم، وذلك فى غزوة رسول الله ﷺ تبوك [١]. ولا شك أن هاتين الآيتين تضمنتا نوع عتاب من الله عز وجل لبعض من ثقل عليهم الخروج فى الجهاد، وهذا قطعًا لا يرد على عامة أصحاب النبى ﷺ الذين استجابوا لله ورسوله بالمسارعة فى الخروج فى سبيل الله، وهم غالب الصحابة وأكثرهم [٢]. وقال ابن كثير: هذا شروع فى عتاب من تخلف عن رسول الله فى غزوة تبوك [٣]. ومعلوم أنه لم يتخلف عن النبى ﷺ فى غزوة تبوك أحد من أصحابه من غير أهل الأعذار، إلا ثلاثة نفر كما دل على ذلك حديث كعب بن مالك المشهور فى الصحيحين [٤]، وهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، ومع هذا فقد ثبت بنص كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أن الله تاب على الجميع، وأنزل فى توبته على سائر الصحابة وحيًا يتلى فى كتابه فى قوله: ﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٧، ١١٨]، وتضمنت هذه الآيات إخبار الله تعالى عن توبته على المهاجرين والأنصار الذين اتبعوا الرسول ﷺ فى غزوة تبوك، والتى تسمى غزوة العسرة فلم يتخلفوا عنه مع ما أصابهم فيها من الجهد والشدة والفقر، حتى جاء فى بعض الروايات أن النفر منهم كانوا يتناولون التمرة بينهم يمصها هذا ثم يشرب عليها، ثم يمصها هذا ثم يشرب عليها حتى تأتى على آخرهم [٥]، كما تضمنت توبة الله على الثلاثة المخلفين، الذين تأخروا عن رسول الله ﷺ فى تلك الغزوة بعد هجر النبى ﷺ لهم، وندمهم ندمًا عظيمًا حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت [٦]، فلم يبق

(١) تفسير الطبرى (٦/ ٣٧٢).
(٢) الانتصار للصحب والآل، ص٣٢٧.
(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٧٢).
(٤) البخارى رقم (٤١١٨)، مسلم (٢٧٦٩).
(٥) تفسير الطبرى (٦/ ٥٠٢)، تفسير البغوى (٢/ ٣٣٣).
(٦) الانتصار للصحب والآل، ص٣٢٩.

بعد ذلك عذر لأحـد فى النيل من أصحاب النبى ﷺ أو غمـزهم بشىء مما قد يقع منهم، بعد مغفرة الله لهم وتوبته عليهم، وثنائه عليهم الثناء العظيم فى كتابه، وتزكية الرسول ﷺ لهم فى سُنَّته - رضى الله عنهم- [1]، وأما اقتـتال الصحابة رضى الله عنهم فـقد نشأ فى عهد على رضى الله عنه، وقد بينا الحديث عن أسبـاب الاختلاف بين الصحابة فى الفتنة، وبيان وجهة كل فريق، وبراءتهم من كل مـا يلصق بهم من ذلك، وأن عامة ما صدر منهم إنما كانوا مجتهدين فيه، ليس لأحد أن يذمهم بشىء منه[2]، وإنما الإمساك عما شجر بينهم والتـرحم عليـهم هو السـبـيل الأمـثل، والمـنهج الأقـوم فى حـقـهم، فـرضى الله عنهم أجمعين[3].

(د) حديث المذادة عن الحوض: قال رسول الله ﷺ: **«بينما أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال: هلم، فقـلت: إلى أين؟، فقال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: ارتدوا بعدك على أدبارهم القهـقرى، فلا أرى يخلص منهم إلا همل النعم»**[4]، فقال ﷺ: **«إنى فرطكم على الحوض، من مر علىّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا، ليردن علىّ أقوام أعرفهم ويعرفوننى ثم يحال بينى وبينهم، فأقول: أصحابى، فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقا سحقًا لمن غَيَّر بعدى»**[5].

يقول بعض الشيعة: فالمتمـعن فى هذه الأحاديث العديدة التى أخرجها علماء أهل السُّنَّة فى صحاحهم ومسانيدهم، لا يتطرق إليه الشك فى أن أكثر الصحابة قد بدلوا وغيروا، بل ارتدوا على أدبارهم بعده ﷺ إلا القليل الذين عـبر عنه بهمل النعـم، ولا يمكن بأى حال من الأحوال حـمل هذه الأحاديث على الـقسم الثالث، وهـم المنافقون لأن النـص يقول: فأقول: أصـحابى، ولأن المنافقين لم يبـدلوا بعد النبى ﷺ، وإلا لأصبح المنافق بعـد وفاة النبى ﷺ مؤمنًا[6]. والرد على هذه الشبهة كالتالى: إن أصحاب النبى ﷺ مما لا يقبل النزاع فى عدالتهم أو التشكيك فى إيمانهم بعد تعديل العليم الخبير لهم فى كتابه، وتزكية رسوله لهم فى سُنَّته، وثناء الله ورسولـه عليهم أجمل الثناء، ووصفهم بأحـسن الصفات، مما هو معلوم ومتواتر من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ -ويأتى بيان ذلك بإذن الله-.

(١) الانتصار للصحب والآل، ص٣٢٨.
(٢) المصدر نفسه، ص (٣٣٠).
(٣) البخارى، ك الرقاق، رقم (٦٥٨٤)، (٦٥٨٧).
(٤) الانتصار للصحب والآل، ص٣٣٠.
(٥) البخارى، كتاب الرقاق رقم (٦٥٨٤، ٦٥٨٧).
(٦) ثم اهتديت، ص١١٩.

ولهذا اتفق شراح الحديث من أهل السُّنَّة، على أن الصحابة غير معنيين بهذه الأحاديث، وأنها لا توجب قدحًا فيهم، قال ابن قتيبة -فى معرض رده على الشيعة الرافضة- فى استدلالهم بالحديث على ردة الصحابة: فكيف يجوز أن يرضى الله عز وجل عن أقوام ويحمدهم، ويضرب لهم مثلاً فى التوراة والإنجيل، وهو يعلم أنهم يرتدون على أعقابهم بعد رسول الله ﷺ إلا أن يقولوا: إنه لم يعلم وهذا هو شر الكفرين[1]، وقال الخطابى: لم يرتد من الصحابة أحد، وإنما ارتد من جفاة العرب، ممن لا نصرة له فى الدين، وذلك لا يوجب قدحًا فى الصحابة المشهورين، ويدل القول: «أصيحابى» على قلة عددهم[2]، وقال النووى فى شرح بعض روايات الحديث عند قوله ﷺ: **«هل تدرى ما أحدثوا بعدك»**، هذا مما اختلف العلماء فى المراد به على أقوال:

(أ) إن المراد به المنافقون والمرتدون، فيجوز أن يحشبروا بالغرة والتحجيل، فيناديهم النبى ﷺ للسيما التى عليهم، فيقال: ليس هؤلاء مما وعدت بهم، إن هؤلاء بدلوا بعدك: أى لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم.

(ب) إن المراد من كان فى زمن النبى ﷺ ثم ارتد بعده فيناديهم النبى ﷺ لما كان يعرفه ﷺ فى حياته من إسلامهم، فيقال: ارتدوا بعدك.

(جـ) إن المراد به أصحاب المعاصى والكبائر الذين ماتوا على التوحيد، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام، وعلى هذا لا يقطع بهؤلاء الذين يذادون بالنار، يجوز أن يذادوا عقوبة لهم، ثم يرحمهم الله سبحانه وتعالى فيدخلهم الجنة بغير عذاب[3]، ونقل هذه الأقوال، أو قريبًا منها، القرطبى وابن حجر رحمهما الله تعالى[4].

ولا يمتنع أن يكون أولئك المذادون عن الحوض من مجموع تلك الأصناف المذكورة، فإن الروايات محتملة لكل هذا، ففى بعضها يقول النبى ﷺ: **«فأقول أصحابى أو أصيحابى** -بالتصغير- وفى بعضها يقول: **سيؤخذ أناس من دونى، فأقول: يا ربى منى ومن أمتى»**، وفى بعضها يقول: **«ليردن علىَّ أقوام أعرفهم ويعرفوننى»**[5]، وظاهر ذلك أن المذادين ليسوا طائفة واحدة، وهذا هو الذى تقتضيه الحكمة، فإن العقوبات فى الشرع تكون بحسب الذنوب، فيجتمع فى العقوبة الواحدة كل من استوجبها من أصحاب ذلك الذنب[6]، وإذا كان النبى

(١) تأويل مختلف الحديث ص٢٧٩.
(٢) فتح البارى (١١/ ٢٨٥).
(٣) شرح صحيح مسلم (٣/ ١٣٦، ١٣٧).
(٤) المفهم للقرطبى (١/ ٥٠٤)، فتح البارى (١١/ ٣٨٥).
(٥) الروايات فى البخارى، كتاب الرقاق، فتح البارى (١١/ ٤٦٣، ٤٦٥).
(٦) الانتصار للصحب والآل، ص٣٥٤.

ﷺ قد بيَّن أن سبب الذود عن الحوض، هو الارتداد كما في قوله: «إنهم ارتدوا على أدبارهم»، أو الإحداث في الدين، كما في قوله: «إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[1]، فمقتضى ذلك هو أن يذاد عن الحوض كل مرتد عن الدين سواء أكان ممن ارتد بعد موت النبي ﷺ من الأعراب، أم من كان بعد ذلك، يشاركهم في هذا أهل الإحداث وهم المبتدعة، وهذا ما ذهب إليه بعض أهل العلم، قال ابن عبدالبر -رحمه الله-: كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض، كالخوارج والروافض، وسائر أصحاب الأهواء، قال: وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق، والمعلنون بالكبائر، قال: وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر، والله أعلم[2]، وقال القرطبي رحمه الله في التذكرة: قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين: فكل من ارتد عن دين الله، أو أحدث فيه ما لا يرضاه، ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، وأشدهم طردًا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم، كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدلون[3].

وإذا ما تقرر هذا ظهرت براءة الصحابة من كل ما يرميهم به الشيعة الرافضة، فالذود عن الحوض، إنما هو بسبب الردة أو الإحداث في الدين، والصحابة من أبعد الناس عن ذلك، بل هم أعداء المرتدين الذين قاتلوهم وحاربوهم في أصعب الظروف وأحرجها بعد موت النبي ﷺ، على ما روى الطبري في تاريخه بسنده عن عروة بن الزبير عن أبيه قال: قد ارتدت العرب إما عامة وإما خاصة في كل قبيلة، ونجم النفاق، وأشرأبت اليهود والنصارى، والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية لفقد نبيهم ﷺ وقلتهم وكثرة عدوهم[4].

ومع هذا تصدى أصحاب النبي ﷺ لهؤلاء المرتدين وقاتلوهم قتالاً عظيمًا وناجزوهم حتى أظهرهم الله عليهم، فعاد للدين من أهل الردة من عاد، وقُتل منهم من قتل، وعاد للإسلام عزه وقوته وهيبته على أيدي الصحابة رضي الله عنهم. وكذلك أهل البدع كان الصحابة -رضوان الله عليهم- أشد الناس إنكارًا عليهم، ولهذا لم تشتد البدع وتقوى إلا بعد انقضاء عصرهم، ولما ظهرت بعض بوادر البدع في عصرهم أنكروها وتبرؤوا منها ومن

(١) مسلم، كتاب الفضائل وإثبات الحوض (٤/ ١٧٩٢-١٠٨٢).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٣/ ١٣٧).

(٣) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (١/ ٣٤٨).

(٤) الانتصار للصحب والآل، ص٣٥٦، نقلاً عن تاريخ الطبري (٣/ ٢٢٥).

أهلها، فعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال لمن أخبره عن مقالة القدرية: إذا لقيت هؤلاء، فأخبرهم أن ابن عمر منهم برىء، وهم منه براء ثلاث مرات[1]. ويقول البغوى ناقلاً إجماع الصحابة وسائر السلف على معاداة أهل البدع: وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السُّنَّة على هذا مجمعين متفقين على معاداة أهل البدع ومهاجرتهم[2].

وهذه المواقف العظيمة للصحابة من أهل الردة وأهل البدع، من أكبر الشواهد الظاهرة على صدق تدينهم، وقوة إيمانهم وحسن بلائهم فى الدين، وجهادهم أعداءه بعد موت رسول الله ﷺ حتى أقام الله بهم السُّنَّة وقمع البدع، الأمر الذى يظهر به كذب الرافضة فى رميهم لهم بالردة والإحداث فى الدين، والذود عن حوض النبى ﷺ، بل هم أولى الناس بحوض نبيهم لحسن صحبتهم له فى حياته وقيامهم بأمر الدين بعد وفاته، ولا يشكل على هذا قول النبى ﷺ: «**ليردن علىَّ ناس من أصحابى الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دونى**»[3]، فهؤلاء هم من مات النبى ﷺ وهم على دينه، ثم ارتدوا بعد ذلك، كما ارتدت كثير من قبائل العرب بعد موت النبى ﷺ، فهؤلاء فى علم النبى ﷺ أصحابه، لأنه مات وهم على دينه، ثم ارتدوا بعد وفاته ولذا يقول له: «**إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك**»، وفى بعض الروايات: «**إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى**»[4]. فظاهر أن هذا فى حق المرتدين بعد موت النبى ﷺ، وأين أصحاب النبى ﷺ الذين قاموا بأمر الدين بعد نبيهم خير قيام، فقاتلوا المرتدين وجاهدوا الكفار والمنافقين، وفتحوا بذلك الأمصار، حتى عم دين الله كثيرًا من الأمصار، من أولئك المنقلبين على أدبارهم، وهؤلاء المرتدون لا يدخلون عند أهل السُّنَّة فى الصحابة، ولا يشملهم مصطلح الصحبة إذا ما أطلق، فالصحابى كما عرفه العلماء المحققون: من لقى النبى ﷺ مؤمنًا به ومات على الإسلام[5].

وأما قول النبى ﷺ: «**فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم**»[6]، واحتجاج الشيعة الرافضة به على تكفير الصحابة إلا القليل منهم فالحجة عليهم فيه، لأن الضمير فى قوله (منهم) إنما يرجع على أولئك القوم الذين يدنون من الحوض ثم يذادون عنه، فلا يخلص منهم إلا القليل، وهذا ظاهر من سياق الحديث فإن نصه: «**بينما أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال: هلمَّ، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما**

(١) السُّنَّة لعبد الله بن أحمد (٢/ ٤٢٠).
(٢) شرح السُّنَّة للبغوى (١/ ١٩٤).
(٣) البخارى رقم (٦٥٨٢).
(٤) مسلم، الفضائل، (٤/ ١٧٩٦).
(٥) الإصابة فى تمييز الصحابة (١/ ٧).
(٦) البخارى، رقم (٦٥٨٤ - ٦٥٨٧).

شأنهم؟، قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقهرى، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم، فقال: هَلُمّ، قلت: أين؟، قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟، قالوا: إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقهرى، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هَمَل النعم»[1]، فليس فى الحديث للصحابة ذكر وإنما ذكر زمرًا من الرجال يذادون من دون الحوض، ثم لا يصل إليهم منهم إلا القليل[2]، قال ابن حجر فى شرح الحديث عند قوله: **«فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هَمَل النعم»**، يعنى من هؤلاء الذين دنوا من الحوض وكادوا يردونه فصدوا عنه، والمعنى لا يرده منهم إلا القليل لأن الهَمَل فى الإبل قليل بالنسبة لغيره[3]، ولهذا يظهر بطلان احتجاج الشيعة الرافضة وتلبيسهم وبراءة الصحابة من طعنهم وتجريحهم[4].

١- عدالة الصحابة رضى الله عنهم: إن تعريفات أهل العلم للعدالة فى الاصطلاح ترجع إلى معنى واحد وهو أن العدالة ملكة فى النفس تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة ولا تتحقق للإنسان إلا بفعل المأمور وترك المنهى وأن يبعد عما يخل بالمروءة، ولا تتحقق إلا بالإسلام والبلوغ، والعقل، والسلامة من الفسق، لم تتحقق العدالة فى أحد تحققها فى أصحاب رسول الله ﷺ، فجميعهم رضى الله عنهم عدول تحققت فيهم صفة العدالة[5]، والمراد بها رواياتهم للحديث عن رسول الله، وحقيقتها التجنب عن تعمد الكذب فى الرواية والانحراف فيها، قال العلامة الدهلوى: ولقد تتبعنا سيرة الصحابة كلهم، فوجدناهم يعتقدون الكذب على النبى ﷺ أشد الذنوب، ويحترزون عنه غاية الاحتراز كما لا يخفى على أهل السير[6].

ولقد تضافرت الأدلة فى كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ على تعديل الصحابة الكرام رضى الله عنهم، مما لا يبقى معها شك لمرتاب فى تحقق عدالتهم، فكل حديث له سند متصل بين من رواه وبين المصطفى ﷺ لم يلزم العمل به إلا بعد أن تثبت عدالة رجاله، ويدب النظر فى أحوالهم سوى الصحابى الذى رفعه إلى النبى ﷺ لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم بنص القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه[7].

(١) البخارى رقم (٦٥٨٤).

(٢) الانتصار للصحب والآل، ص٣٥٩.

(٣) فتح البارى (١١/ ٤٧٤، ٤٧٥).

(٤) الانتصار للصحب والآل، ص٣٦٠.

(٥) عقيدة أهل السُّنَّة فى الصحابة الكرام (٢/ ٧٩٩).

(٦) ظفر الأمانى فى مختصر الجرجانى للكنوى، ص (٥٠٦، ٥٠٧).

(٧) عقيدة أهل السُّنَّة فى الصحابة الكرام (٢/ ٨٠٠).

(أ) قوله تـعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] ووجه الاستـدلال بهذه الآية على عدالة الصحابة رضى الله عنهم أن وسطًا تعنى: عدولاً خيارًا ولأنهم المخاطبون بهذه الآية مباشرة(١).

(ب) قوله تـعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ووجه دلالة هذه الآية علـى عدالة الصحابة رضى الله عنهم: أنها أثبـتت الخيرية المطلقة لـهذه الأمة على سائر الأمم قـبلها، وأول من يدخل فى هذه الخيرية المخاطبون بهذه الآية مباشرة عند النزول وهم الصحابة الكرام رضى الله عنهم، وذلك يقتضى استـقامتهم فى كل حال، وجريان أحوالهم على الموافـقة دون المخالفة، ومن البعيد أن يصفهم الله عز وجل بأنهم خير أمة ولا يكونون أهل عدل واستقامة، وهل الخيرية إلا ذلك(٢).

(ج) قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، ووجـه دلالة هذه الآية على عدالتهم رضى الله عنهم: أن الله تعـالى أخبر فيهـا برضاه عنهم، ولا يثبت الله رضاه إلا لمن كان أهلاً للرضـا، ولا توجد الأهلية لذلك إلا لمن كان من أهل الاستقامة فى أموره كلها عدلاً فى دينه، ومن أثنى الله تعالى عليه هذا الثناء كيف لا يكون عـدلاً؟، وإذا كان التعديل يثبت بقـول اثنين من الناس فكيف لا تثبت عدالة صفوة الخلق وخيارهـم بهذا الثناء، الصادر من رب العالمين(٣).

(د) قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩]، فهذا الوصف الذى وصـفهم الله بـه فى كتـبه، وهـذا الثناء الذى أثنى به عليـهم لا يتطرق إلى النفس معه الشك فى عدالتهم؟. قال القرطبى رحـمه الله عند تفسير هذه الآية: فالصحابة كلهم عدول - أوليـاء الله تعالى وأصفـياؤه، وخيـرته من خلقه بعد أنبـيائه ورسله - هذه الأمة، وقد ذهبت شرذمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصـحابة كحال غيرهم، فيلزم البحث

(١) الكفاية، للخطيب البغدادى، ص٦٤.
(٢) عقيدة أهل السنة فى الصحابة (٢/ ٨٠٤).
(٣) المصدر نفسه (٢/ ٨٠٤).

عن عدالتهم، ومنهم من فرق بين حالهم فى بداءة الأمر، فقال: إنهم كانوا على العدالة إذ ذاك، ثم تغيرت بهم الأحوال، فظهرت فيهم الحروب وسفك الدماء، فلابد من البحث وهذا مردود، فإن خيار الصحابة وفضلاءهم كعلى وطلحة والزبير وغيرهم رضى الله عنهم ممن أثنى الله عليهم وزكاهم ورضى عنهم وأرضاهم، ووعدهم الجنة بقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾، وخاصة العشرة المقطوع لهم بالجنة بإخبار الرسول هم القدوة مع علمهم بكثير من الفتن والأمور الجارية عليهم بعد نبيهم بإخباره لهم بذلك، وذلك غير مسقط من مرتبتهم وفضلهم إذا كانت تلك الأمور مبنية على الاجتهاد(١).

(هـ) قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ⑧ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٨، ٩]، فالصادقون هم المهاجرون، والمفلحون هم الأنصار، بهذا فسر أبو بكر الصديق رضى الله عنه هاتين الكلمتين من الآيتين حيث قال فى خطبته يوم السقيفة مخاطبًا الأنصار: إن الله سمانا «الصادقين» وسماكم «المفلحين»، وقد أمركم أن تكونوا حيثما كنا، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

فهذه الصفات الحميدة فى هاتين الآيتين كلها حققها المهاجرون والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ، واتصفوا بها، ولذلك ختم صفات المهاجرين بالحكم بأنهم صادقون، وختم صفات الذين آزروهم ونصروهم وآثروهم على أنفسهم بالحكم لهم بأنهم مفلحون، وهذه الصفات العالية لا يمكن أن يحققها قوم ليسوا بعدول، فهذه الآيات التى أسلفناها من الآيات البينة الدالة على عدالة الصحابة رضى الله عنهم، فعدالتهم ثابتة بنص القرآن الكريم(٢).

وأما دلالة السُّنة على تعديلهم رضى الله عنهم: فقد وصفهم النَّبى ﷺ فى أحاديث يطول تعدادها وأحسن الثناء عليهم بتعديلهم، ومن تلك الأحاديث:

(١) تفسير القرطبى (١٦/٢٩٩).

(٢) عقيدة أهل السُّنَّة فى الصحابة الكرام (٢/٨٠٢).

(أ) ما رواه الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي بكر أن النبي ﷺ قال: «... **ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب**»[1]، وجه دلالة الحديث على عدالتهم رضى الله عنهم: أن هذا القول صدر من النبي ﷺ في أعظم جمع من الصحابة في حجة الوداع، وهذا من أعظم الأدلة على ثبوت عدالتهم حيث طلب منهم أن يبلغوا ما سمعوه منه من لم يحضر ذلك الجمع دون أن يستثنى منهم أحدًا[2]. قال ابن حبان رحمه الله: وفي قوله ﷺ : «**ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب**» ، أعظم دليل على أن الصحابة كلهم عدول ليس فيهم مجروح ولا ضعيف، إذ لو كان فيهم أحد غير عدل لاستثنى في قوله ﷺ وقال: ألا يبلغ فلان منكم الغائب، فلما أجملهم في الذكر بالأمر بالتبليغ من بعدهم دل ذلك على أنهم كلهم عدول، وكفى بمن عدله رسول الله ﷺ شرفًا[3]

(ب) روى البخاري بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال النبي ﷺ :«**لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهبًا، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**»[4]، وجه الاستدلال بهذا الحديث على عدالة الصحابة رضى الله عنهم: أن الوصف لهم بغير العدالة سب، لا سيما وقد نهى ﷺ بعض من أدركه وصحبه عن التعرض لمن تقدمه لشهود المواقف الفاضلة، فيكون من بعدهم بالنسبة لجميعهم من باب أولى[5]، فالصحابة كلهم عدول بتعديل الله لهم وثنائه عليهم، وثناء رسول الله ﷺ عليهم، فليسوا بحاجة إلى تعديل أحد من الخلق[6].

ولو لم تكن عدالتهم منصوصًا عليها في كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ لجزم أهل العقول الصحيحة والقلوب السليمة بعدالتهم، استنادًا إلى ما تواترت به الأخبار عنهم من الأعمال الجليلة والخيرات الوفيرة التي قدموها لنصرة دين الله الحنيف، فقد بذلوا ما أمكنهم بذله في سبيل نصرة الحق ورفع رايته وإرساء قواعده ونشر أحكامه في جميع الأقطار رضى الله عنهم أجمعين، والعدالة المرادة هنا ليس المقصود بها عدم الوقوع في الذنوب والخطايا فإن هذا لا يكون إلا لمعصوم[7]، قال ابن الأنباري: وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم واستحالة المعصية منهم، وإنما المراد قبول رواياتهم من غير تكلف البحث عن أسباب

(١) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (١/ ٩١).
(٢) عقيدة أهل السُّنَّة في الصحابة الكرام (٢/ ٨٠٧).
(٣) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (١/ ٩١).
(٤) البخاري (٢/ ٢٩٢).
(٥) فتح المغيث شرح ألفية الحديث (٣/ ١١٠-١١١).
(٦) عقيدة أهل السُّنَّة في الصحابة الكرام (٢/ ٨٠٩).
(٧) المصدر نفسه (٢/ ٨٠٩).

العدالة، وطلب التزكية إلى أن يثبت ارتكاب قادح ولم يثبت ذلك ولله الحمد والمنة، فنحن على استصحاب ما كانوا عليه فى زمن رسول الله ﷺ حتى يثبت خلافه[1].

الإجماع على عدالتهم : أجمع أهل السُّنَّة والجماعة على أن الصحابة جميعهم عدول بلا استثناء من لابس الفتن وغيرها ولا يفرقون بينهم، الكل عدول إحسانًا للظن بهم ونظرًا لما أكرمهم الله به من شرف الصحبة لنبيه عليه الصلاة والسلام، ولما لهم من المآثر الجليلة من مناصرتهم للرسول ﷺ والهجرة إليه والجهاد بين يديه والمحافظة على أمور الدين والقيام بحدوده، فشهاداتهم ورواياتهم مقبولة دون تكلف بحث عن أسباب عدالتهم بإجماع من يعتد بقوله، وقد نقل الإجماع على عدالتهم جمع غفير من أهل العلم، ومن تلك النقول:

(أ) قال الخطيب البغدادى - رحمه الله - بعد أن ذكر الأدلة من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ التى دلت على عدالة الصحابة رضى الله عنهم وأنهم كلهم عدول، قال: هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء[2].

(ب) وقال أبو عمر ابن عبد البر - رحمه الله -: ونحن وإن كان الصحابة رضى الله عنهم قد كفينا البحث عن أحوالهم لإجماع أهل الحق من المسلمين، وهم أهل السُّنَّة والجماعة، على أنهم عدول، فواجب الوقوف على أسمائهم[3].

(جـ) وحكى الإجماع على عدالتهم إمام الحرمين الجوينى - رحمه الله - وعلل حصول الإجماع على عدالتهم بقوله: ولعل السبب فيه أنهم نقلة الشريعة، فلو ثبت توقف فى رواياتهم لانحصرت الشريعة على عصر الرسول ﷺ ولما استرسلت على سائر الأعصار[4].

(د) ذكر ابن الصلاح: أن الإجماع على عدالة الصحابة خصيصة فريدة تميزوا بها عن غيرهم، فقد قال: للصحابة بأسرهم خصيصة وهى أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم، بل ذلك أمر مفروغ منه لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسُّنَّة وإجماع من يعتد به فى الإجماع من الأمة، وقال أيضًا: إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة، ومن لابس الفتن منهم، فكذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم فى الإجماع إحسانًا للظن بهم ونظرًا إلى ما تمهد لهم من المآثر، وكأن الله - سبحانه وتعالى - أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة[5]، والله أعلم.

(١) فتح المغيث (٣/ ١١٥).
(٢) الكفاية، ص٦٧.
(٣) الاستيعاب على حاشية الإصابة (١/ ٨).
(٤) فتح المغيث شرح ألفية الحديث (٣/ ١١٢) وذكره السيوطى فى تدريب الراوى (٢/ ٢١٤).
(٥) مقدمة ابن الصلاح، ص١٤٦-١٤٧.

(هـ) قال الإمام النووي - رحمه الله -: بعد أن ذكر أن الحروب التي وقعت بينهم كانت عن اجتهاد وأن جميعهم معذورون رضي الله عنهم فيما حصل بينهم، قال: ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهاداتهم وروايتهم وكمال عدالتهم رضي الله عنهم[1]، وقال في التقريب: الصحابة كلهم عدول من لابس الفتن وغيرهم بإجماع من يعتد به[2].

(و) وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: والصحابة كلهم عدول عند أهل السُّنَّة والجماعة لما أثنى الله عليهم في كتابه العزيز، وبما نطقت به السُّنَّة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم، وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رسول الله ﷺ ورغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل والجزاء الجميل[3].

(ز) وقال العراقي في شرح ألفيته: بعد ذكره لبعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على عدالة الصحابة: إن جميع الأمة مجمعة على تعديل من لم يلابس الفتن منهم، وأما من لابس الفتن منهم وذلك من حين مقتل عثمان، فأجمع من يعتد به أيضًا: في الإجماع على تعديلهم إحسانًا للظن بهم وحملاً لهم في ذلك على الاجتهاد[4].

(ح) وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - مبينًا أن أهل السُّنَّة مجمعون على عدالة الصحابة فقال: اتفق أهل السنَّة على أن الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة[5]. فهذه النقول المباركة للإجماع من هؤلاء الأئمة كلها فيها بيان واضح ودليل قاطع على أن ثبوت عدالة الصحابة عمومًا أمر مفروغ منه ومسلم فلا يبقى لأحد شك ولا ارتياب بعد تعديل الله ورسوله وإجماع الأمة على ذلك[6].

(٢) وجوب محبتهم والدعاء والاستغفار لهم: من عقائد أهل السُّنَّة والجماعة وجوب محبة أصحاب رسول الله ﷺ وتعظيمهم وتوقيرهم وتكريمهم والاحتجاج بإجماعهم والاقتداء بهم، وحرمة بغض أحد منهم لما شرفهم الله به من صحبة رسوله ﷺ والجهاد معه لنصرة دين الإسلام، وصبرهم على أذى المشركين والمنافقين، والهجرة عن أوطانهم وأموالهم وتقديم حب الله ورسوله ﷺ على ذلك كله، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ**

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ١٤٩).

(٢) تقريب النواوي مع شرح تقريب الراوي (٢/ ٢١٤).

(٣) الباعث الحثيث ص١٨١-١٨٢.

(٤) شرح ألفية العراقي المسماة بالتبصرة والتذكرة (٣/ ١٣-١٤).

(٥) الإصابة (١/ ١٧).

(٦) عقيدة أهل السُّنَّة في الصحابة الكرام (٢/ ٨١٣).

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة، لأنه جعل لمن بعدهم حظًا فى الفىء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم، وأن من سبهم أو أحدًا منهم أو اعتقد فيه شرًا أنه لا حق له فى الفئ، روى ذلك عن الإمام مالك وغيره، قال مالك: من كان يبغض أحدًا من أصحاب محمد ﷺ أو كان فى قلبه عليهم غل، فليس له حق فى فىء المسلمين، ثم قرأ ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾[١]. وقد فهم متقدمو أهل السُّنَّة والجماعة ومتأخروهم أن المراد من الآية السابقة الأمر بالدعاء والاستغفار لهم من اللاحق للسابق، ومن الخلف للسلف، الذين هم أصحاب رسول الله ﷺ، روى مسلم بإسناده إلى هشام بن عروة عن أبيه قال: قالت لى عائشة: يا ابن أختى أُمِروا أن يستغفروا لأصحاب النبى ﷺ فسبوهم[٢].

وروى ابن بطة وغيره من حديث أبى بدر قال: حدثنا عبد الله بن زيد عن طلحة ابن مطرف عن مصعب بن سعد بن سعد بن أبى وقاص قال: الناس على ثلاث منازل، فمضت منزلتان، وبقيت واحدة، فأحسن ما أنتم عليه كائنون أن تكونوا بهذه المنزلة التى بقيت ثم قرأ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الحشر:٨] هؤلاء المهاجرون وهذه منزلة قد مضت، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:٩] ثم قال: هؤلاء الأنصار وهذه المنزلة قد مضت ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، قد مضت هاتان وبقيت هذه المنزلة التى بقيت أن تستغفروا لهم[٣]. ولا يتردد من له أدنى علم فى أن الشيعة الرافضة خارجون من هذه المنزلة لأنهم لم يترحموا على الصحابة ولم يستغفروا لهم، بل سبوهم وحملوا لهم الغل فى قلوبهم، فحرموا من تلك المنزلة، التى يجب على المسلم أن يكون فيها ولا يحيد عنها بحال حتى يلقى ربه[٤].

(١) تفسير القرطبى (١٨/ ٣٢).
(٢) مسلم (٤/ ٢٣١٧).
(٣) منهاج السُّنَّة (١/ ١٥٣)، المستدرك (٢/ ٤٨٤)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه ووافقه الذهبى.
(٤) عقيدة أهل السُّنَّة (٢/ ٧٧٠).

وقد قال ابن تيمية - رحمه الله -: وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار، وعلى الذين جاؤوا من بعدهم، يستغفرون لهم، ويسألون الله ألا يجعل في قلوبهم غلاً لهم وتتضمن أن هؤلاء الأصناف هم المستحقون للفيء، ولا ريب أن هؤلاء الرافضة خارجون من الأصناف الثلاثة، فإنهم لم يستغفروا للسابقين، وفي قلوبهم غل عليهم، ففي الآيات الثناء على الصحابة وعلى أهل السُّنَّة الذين يتولونهم وإخراج الرافضة من ذلك وهذا ينقض مذهب الرافضة[1].

(٣) تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم في الكتاب والسنة:

(أ) قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧]، هذه الآية تضمنت التهديد والوعيد بالطرد والإبعاد من رحمة الله والعذاب المهين لمن آذاه - جل وعلا - بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره وإصراره على ذلك، وإيذاء رسوله[2]، شمل كل أذية قولية أو فعلية من سب وشتم أو تنقص له أو لدينه، أو ما يعود إليه بالأذى[3]، ومما يؤذيه ﷺ سب أصحابه وقد أخبر ﷺ أن إيذاءهم إيذاء له، ومن آذاه فقد آذى الله[4]، وأي أذية للصحابة أبلغ من سبهم؟! والآية فيها إشارة قوية ظاهرة إلى أنه يحرم سبهم رضي الله عنهم.

(ب) قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]، وهذه الآية فيها التحذير من إيذاء المؤمنين والمؤمنات بما ينسب إليهم مما هم منه براء لم يعملوه، ولم يفعلوه، والبُهت الكبير أن يُحكى أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات، ما لم يفعلوه على سبيل العيب والتنقص لهم[5]. ووجه دلالة الآية على تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم: أنهم في صدارة المؤمنين فإنهم المواجهون بالخطاب في كل آية مفتتحة بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ١٠٤]، ومثل قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الكهف: ١٠٧] في جميع القرآن فالآية دلت على تحريم سب الصحابة لأن لفظ المؤمنين أول ما ينطبق عليهم؛ لأن الصدارة في المؤمنين لهم رضي الله عنهم، وسبهم والنيل منهم من أعظم الأذى، وأن من نال منهم بذلك فقد آذى

(١) منهاج السُّنَّة (١/ ١٥٣)، عقيدة أهل السُّنَّة (٢/ ٧٧٢).
(٢) عقيدة أهل السُّنَّة في الصحابة (٢/ ٨٣٢).
(٣) تفسير السعدي (٦/ ١٢١).
(٤) مسند أحمد (٤/ ٨٧).
(٥) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٣٥).

خيار المؤمنين بما لم يكتسبوا، وأن من اتخذ شتمهم والنيل منهم دينًا له، فإن الوعيد المذكور فى الآية يصيبه(١).

قال ابن كثير - رحمه الله- عند هذه الآية: ومن أكثر من يدخل فى هذا الوعيد الكفرة بالله وبرسوله، ثم الرافضة الذين ينتقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد برأهم الله منه، ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم، فإن الله- عز وجل- قد أخبر أنه قد رضى عن المهاجرين والأنصار ومدحهم، وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم وينتقصونهم ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه أبدًا، فهم فى الحقيقة منكسو القلوب يذمون الممدوحين ويمدحون المذمومين(٢).

(جـ) قوله تعالي: ﴿ **مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [الفتح: ٢٩]، ووجه دلالة الآية على تحريم سب الصحابة رضى الله عنهم: أنه لا يسبهم شخص إلا لما وجد فى قلبه من الغيظ عليهم، وقد بيَّن تعالى فى هذه الآية إنما يغاظ بهم الكفار، فدلت على تحريم سبهم، والتعرض لهم بما وقع بينهم على وجه العيب.

(د) وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تسبوا أصحابى، فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»**(٣)، فهذا الحديث اشتمل على النهى والتحذير من سب الصحابة رضى الله عنهم، وفيه التصريح بتحريم سبهم (٤)، والأحاديث فى هذا الباب كثيرة.

نهى السلف عن سب الصحابة رضى الله عنهم:

إن النصوص الواردة عن سلف الأمة وأئمتها من الصحابة، ومن جاء بعدهم من التابعين لهم بإحسان، والتى تقضى بتحريم سب الصحابة والدفاع عنهم، كثيرة جدًا منها:

(أ) قال أحمد بن حنبل- رحمه الله-: إذا رأيت رجلاً يذكر أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ بسوء، فاتهمه على الإسلام(٥).

(١) عقيدة أهل السُّنَّة فى الصحابة (٢/ ٨٢٣).
(٢) عقيدة أهل السُّنَّة، نقلاً عن تفسير ابن كثير.
(٣) مسلم (٤/ ١٦٩٧ - ١٦٩٨).
(٤) عقيدة أهل السُّنَّة فى الصحابة (٢/ ٨٣٨).
(٥) مناقب الإمام أحمد بن الجوزى، ص ١٦٠

(ب) قال أبو زُرعة الرازى - رحمه الله-: إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ، فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسُّنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسُّنَّة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة [(١)].

(جـ) وقد ذكر الإمام الشوكانى -رحمه الله-: إجماع أهل البيت رضى الله عنهم، على تحريم سب الصحابة رضوان الله عليهم، من اثنى عشر طريقًا [(٢)]، وقد روى أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسى بإسناده إلى محمد بن على بن الحسين بن على أنه قال لجابر الجعفى: يا جابر بلغنى أن قومًا بالعراق يزعمون أنهم يحبوننا ويتناولون أبا بكر وعمر، ويزعمون أنى آمرهم بذلك فأبلغهم عنى أنى إلى الله منهم برئ، والذى نفس محمد بيده لو وليت لتقربت إلى الله بدمائهم، لا نالتنى شفاعة محمد ﷺ إن لم أكن أستغفر لهما وأترحم عليهما، إن أعداء الله لغافلون عن فضلهما، فأبلغهم أنى برئ منهم وممن تبرأ من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما[(٣)]. روى أيضًا بسنده إلى عبد الله بن الحسن بن على أنه قال: ما أرى رجلاً يسب أبا بكر وعمر تيسر له توبة أبدًا[(٤)].

(٤) حب أمير المؤمنين علىٍّ وأبنائه للصحابة رضى الله عنه: الصورة الحقيقية الناصعة البياض تبقى وما سواها يزول. إنها تتجلى فى أهم كتاب عند الشيعة الاثنى عشرية نهج البلاغة، تلك النصوص كفيلة بهدم الأطروحة القائمة على لعن وسب صحابة رسول الله ﷺ، والقول بردتهم وانقلابهم على أعقابهم من بعده، فهذا أمير المؤمنين علىّ يصور لنا بنفسه صحابة رسول الله ﷺ كما رآهم وعاينهم، إذ يقول: لقد رأيت أصحاب محمد فما أرى أحدًا يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثًا غبرًا، وقد باتوا سجدًا وقيامًا يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأنّ بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفًا من العقاب ورجاء الثواب[(٥)]. وهو يتحسر على فراقهم ويرثيهم بعد موتهم كحال أى محب فارق من يحبه فيقول: أين القوم الذين دُعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرأوا القرآن فأحكموه، وسلبوا السيوف أغمادها، وأخذوا بأطراف

(١) الكفاية فى علم الرواية ص ٦٧ .

(٢) إرشاد الغبى إلى مذهب أهل البيت فى صحب النبى ، ص ٥٠ - ٦٤

(٣) البداية والنهاية (٩/ ٣٤٩). (٤) عقيدة أهل السُّنَّة فى الصحابة (٢/ ٨٥١).

(٥) نهج البلاغة، ص ١٨٢ - ١٨٩، ثم أبصرت الحقيقة، ص ٣٢٤.

الأرض أطرافها زحفًا زحفًا وصفًا صفًا، مُره العيون من البكاء، خُمص البطون من الصيام، ذُبل الشفاه من الدعاء، صفُر الألوان من السهر، على وجوههم غبرة الخاشعين، أولئك إخوانى الذاهبون، فحق لنا أن نظمأ إليهم، ونعض الأيدى على فراقهم[1]. فيا أحباب أمير المؤمنين على رضى الله عنه، تأملوا فى نظرته إلى أصحاب رسول الله ﷺ.

وأما الإمام على بن الحسين زين العابدين- رحمه الله- فكان يذكر أصحاب رسول الله ويدعو لهم فى صلاته بالرحمة والمغفرة لنصرتهم سيد الخلق فى نشر دعوة التوحيد، وتبليغ رسالة الله إلى خلقه، فيقول: فاذكرهم منك بمغفرة ورضوان، اللهم وأصحاب محمد خاصة، الذين أحسنوا الصحبة، والذين أبلوا البلاء الحسن فى نصره، وكانفوه وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالته، وفارقوا الأزواج والأولاد فى إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء فى تثبيت نبوته، والذين هجرتهم العشائر إذ علقوا بعروته، وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا فى قرابته، اللهم ما تركوا لك وفيك، وأرضهم من رضوانك وبما حاشوا الحق عليك، وكانوا من ذلك لك وإليك، واشكرهم على هجرتهم فيك ديارهم، وخروجهم من سعة العيش إلى ضيقه، ومن أكثره فى اعتزاز دينك إلى أقله، اللهم وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين يقولون ربنا اغفر لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان خير جزائك، والذين قصدوا سمتهم، وتحروا جهتهم، ولو مضوا إلى شاكلتهم لم يثنهم ريب فى بصيرتهم، ولم يختلجهم شك فى قفو آثارهم والائتمام بهداية منارهم، مكانفين وموازرين لهم، يدينون بدينهم، ويهتدون بهديهم، يتفقون عليهم ولا يتهمونهم فيما أدوا إليهم [2].

فهذا موقف أئمة أهل البيت رضوان الله عليهم من الصحابة، لا ما يدعيه المندسون من الرافضة، والمتسترون بستار التشيع، أعداء القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية المشرفة وأئمة أهل البيت الأطهار.

سابعًا: موقف الشيعة من السنة النبوية

معنى السُّنَّة النبوية فى اصطلاح الأصوليين، ما نقل عن النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير[3]، ولقد اهتم علماء أهل السنة بتدوين السنة الصحيحة وبذلوا جهودًا عظيمة من

(١) نهج البلاغة، ص ٢٣٥، ثم أبصرت الحقيقة، ص ٣٢٥ .

(٢) صحيفة كاملة لزين العابدين، ص ١٣، نقلاً عن: ثم أبصرت الحقيقة، ص ٣٢٩

(٣) السُّنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى، ص ٤٧ .

أجل حمايتها من الوضع والوضاعين، وقد بذلوا جهدًا لا مزيد عليه، وقد سلكوا طرقًا هى أقوم الطرق العلمية للنقد والتمحيص، حتى لنستطيع أن نجزم بأن علماءنا- رحمهم الله- هم أول من وضعوا قواعد النقد العلمى الدقيق للأخبار والمرويات بين أمم الأرض كلها، وأن جهدهم فى ذلك جهد تفاخر به الأجيال وتتيه به على الأمم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله واسع عليم.

وقد سار علماء أهل السنة على الخطوات التالية فى سبيل النقد حتى أنقذوا السنة مما دُبر لها من كيد، ونظفوها مما علق بها من أوحال[1].

١- **إسناد الحديث:** لم يكن صحابة رسول الله ﷺ بعد وفاته يشك بعضهم فى بعض، ولم يكن التابعون يتوقفون عن قبول أى حديث يرويه صحابى عن رسول الله ﷺ، حتى وقعت الفتنة وقام اليهودى الخاسر عبد الله بن سبأ بدعوته الآثمة التى يتبناها على فكرة التشيع الغالى القائل بإلهية على رضى الله عنه، وأخذ الدس على السنة يربو عصرًا بعد عصر، عندئذ بدأ العلماء من الصحابة والتابعين يتحرون فى نقل الأحاديث ولا يقبلون منها إلا ما عرفوا طريقها ورواتها واطمأنوا إلى ثقتهم وعدالتهم.

يقول ابن سيرين فيما يرويه عنه الإمام مسلم فى مقدمة صحيحه: لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم، وقد ابتدأ هذا التثبيت منذ عهد صغار الصحابة الذين تأخرت وفاتهم عن زمن الفتنة، فقد روى مسلم فى مقدمة صحيحه عن مجاهد أن بشيرًا العدوى جاء إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله كذا، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه فقال: يا ابن عباس مالى أراك لا تسمع لحديثى، أحدثك عن رسول الله ولا تسمع؟، فقال ابن عباس: إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف،ثم أخذ التابعون فى المطالبة بالإسناد حين فشا الكذب، يقول أبو العالية: كنا نسمع الحديث عن الصحابة فلا نرضى حتى نركب إليهم فنسمعه منهم، ويقول ابن المبارك: الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، ويقول ابن المبارك أيضا: بيننا وبين القوم القوائم. يعنى الإسناد[2].

---

(١) السُّنَّة ومكانتها فى التشريع الإسلامى، ص ٩٠

(٢) مقدمة صحيح مسلم (١/ ١٠).

٢- التوثق من الأحاديث: وذلك بالرجوع إلى الصحابة والتابعين وأئمة هذا الفن، فلقد كان من عناية الله بسنة نبيه أن مد فى أعمار عدد من أقطاب الصحابة وفقهائهم ليكونوا مرجعًا يهتدى الناس بهديهم، فلما وقع الكذب لجأ الناس إلى هؤلاء الصحابة يسألونهم ما عندهم أولاً، ويستفتونهم فيما يسمعونه من أحاديث وآثار، ولهذا الغرض كثرت رحلات التابعين بل بعض الصحابة أيضًا من مصر إلى مصر: ليسمعوا الأحاديث الثابتة من الرواة الثقات، ولذلك سافر جابر بن عبد الله إلى الشام، وأبو أيوب إلى مصر لسماع الحديث.

٣- نقد الرواة، وبيان حالهم من صدق وكذب: وهذا باب عظيم وصل منه العلماء إلى تمييز الصحيح من المكذوب والقوى من الضعيف وقد أبلوا فيه بلاء حسنًا، وتتبعوا الرواة ودرسوا حياتهم وتاريخهم وسيرتهم، وما خفى من أمرهم وما ظهر، ولم تأخذهم فى الله لومة لائم [(١)].

وقد وضعوا لذلك قواعد ساروا عليها فيمن يؤخذ منه ومن لا يؤخذ، ومن يكتب عنه ومن لا يكتب.. ومن أهم أصناف المتروكين الذين لا يؤخذ حديثهم:

(أ) الكذابون على رسول الله ﷺ: وقد أجمع أهل العلم على أنه لا يؤخذ حديث من كذب على النبى ﷺ، كما أجمعوا على أنه من أكبر الكبائر، واختلفوا فى كفره؛ فقال به جماعة، وقال آخرون بوجوب قتله، واختلفوا فى توبته هل تُقبل أم لا؟

(ب) الكذابون فى آحاديثهم العامة: ولو لم يكذبوا على رسول الله ﷺ، وقد اتفقوا على أن من عُرف عنه الكذب ولو مرة واحدة ترك حديثه.

(جـ) أصحاب البدع والأهواء: وكذلك اتفقوا على أنه لا يُقبل حديث صاحب البدعة إذا كفر ببدعته، وكذا إذا استحل الكذب وإن لم يكفر ببدعته، أما إذا لم يستحل الكذب فهل يقبل أم لا؟، أو يفرق بين كونه داعية أو غير داعية؟، قال ابن كثير: فى ذلك نزاع قديم وحديث، والذى عليه الأكثرون التفصيل بين الداعية وغيره[(٢)]، والذى يظهر لى أنهم يرفضون رواية المبتدع إذا روى ما يوافق بدعته، أو كان من طائفة عرفت بإباحة الكذب ووضع الحديث فى سبيل أهوائها، ولهذا رفضوا رواية الرافضة، وقبلوا رواية المبتدع إذا كان هو أو جماعته لا يستحلون الكذب كعمران بن حطان[(٣)].

---

(١)، (٢) السُّنَّة ومكانتها فى التشريع، ص ٩٣.

(٣) المصدر نفسه، (٩٤).

(د) الزنادقة والفساق والمغفلون الذين لا يفهمون ما يحدثون: وكل من لا تتوافر فيهم صفات الضبط والعدالة والفهم.

وقد وضع علماء الحديث القواعد لمعرفة الصحيح والحسن والضعيف من أقسام الحديث، ووضعوا قواعد لمعرفة الموضوع وذكروا له علامات يعرف بها، كركاكة اللفظ، وفساد المعنى، ومخالفته لصريح القرآن ومخالفته لحقائق التاريخ المعروفة فى عهد النبى ﷺ، وغيرها من العلامات[1].

وبتلك الجهود الموفقة استقام أمر الشريعة بتوطيد دعائم السنة التى هى ثانى مصادرها التشريعية، واطمأن المسلمون إلى حديث نبيهم فأقصى عنه كل دخيل، ومُيز بين الصحيح والحسن والضعيف، وصان الله شرعه من عبث المفسدين ودس الدساسين وتآمر الزنادقة والشعوبيين، وقطف المسلمون ثمار هذه النهضة الجبارة المباركة التى كان من أبرزها تدوين السنة وعلم مصطلح الحديث، وعلم الجرح والتعديل، وعلوم الحديث[2].

موقف الشيعة من السنة بسبب تكفيرهم للصحابة: كان لنظرة الشيعة ورأيهم فى الإمامة أثر فى تكفيرهم لمعظم الصحابة رضى الله عنهم، وهذا التكفير الشنيع ترتب عليه إنكار الشيعة لكل الأحاديث الواردة عن طريق الصحابة ولم يقبلوا إلا الأحاديث الواردة عن طريق الأئمة من أهل البيت أو ممن نسبوهم إلى التشيع كسلمان الفارسى، وعمار وياسر وأبى ذر والمقداد ابن الأسود، وقد شنوا هجومًا عنيفًا على رواة الحديث كأبى هريرة وسمرة بن جندب، وعروة بن الزبير، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة وغيرهم، واتهموهم بالوضع والتزوير والكذب[3]، وعد الإمام عبد القاهر البغدادى الشيعة من المنكرين للسنة لرفضهم قبول مرويات صحابة رسول الهدى ﷺ[4].

فالشيعة تحارب السنة، ولهذا فإن أهل السنة اختصوا بهذا الاسم لاتباعهم سنة المصطفى ﷺ[5]، هذا ما جاء فى بعض مصادر أهل السنة، ولكن الشيعة تروى عن أئمتها: أن كل شىء مردود إلى الكتاب والسنة وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف[6]، وبهذا المعنى روايات أُخر[7] عندهم، وهو يفيد أن الشيعة لا تُنكر سُنَّة رسول الله ﷺ، بل

(١) السنة ومكانتها فى التشريع ص٩٤، إلى ٩٧، ٩٨.
(٢) المصدر نفسه ص ١٠٣.
(٣) أضواء على خطوط محب الدين ص ٤٨، ٦٥، ٦٨.
(٤) الفرق بين الفرق ص ٣٢٢، ٣٢٧، ٣٤٦.
(٥) منهاج السُّنَّة (٢/ ١٧٥).
(٦) صحيح الكافى (١/ ١١)، أصول الشيعة الإمامية (١/ ٣٧٣).
(٧) أصول الشيعة الإمامية (١/ ٣٧٣).

تعتمد عليها، وتجعلها مع كتاب الله الميزان والحكم، والدارس لنصوص الشيعة ورواياتها ينتهى إلى الحكم بأن معظم رواياتهم وأقوالهم تتجه اتجاهًا مجانفًا عن السنة التى يعرفها المسلمون، فى الفهم والتطبيق، وفى الأسانيد والمتون ويتبين ذلك فيما يلى:

١- **قول الإمام كقول الله ورسوله:** فالسنة عندهم هى: كل ما يصدر عن المعصوم، من قول أو فعل أو تقرير(١)، ومن لا يعرف طبيعة مذهبهم لا يلمح مدى مجانبتهم للسنة فى هذا القول، إذ إن المعصوم هو رسول الله، ومن يجعلون كلامهم مثل كلام الله وكلام رسوله، وهم الأئمة الاثنا عشر، لا فرق عندهم فى هذا بين هؤلاء الاثنى عشر وبين من لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى(٢). فهم ليسوا من قبيل الرواة عن النبى والمحدثين عنه، ليكون قولهم حجة من جهة أنهم ثقات فى الرواية، بل لأنهم هم المنصوبون من الله تعالى على لسان النبى لتبليغ الأحكام الواقعية، فلا يحكمون إلا عن الأحكام الواقعية عند الله تعالى كما هى(٣).

ولا فرق فى كلام هؤلاء الاثنى عشر بين سن الطفولة، وسن النضج العقلى، إذ إنهم- فى نظرهم- لا يخطئون عمدًا ولا سهوًا ولا نسيانًا طوال حياتهم- كما مَرَّ معنا فى مسألة العصمة- ولهذا قال أحد شيوخهم المعاصرين: إن الاعتقاد بعصمة الأئمة جعل الأحاديث التى تصدر عنهم صحيحة دون أن يشترطوا إيصال سندها إلى النبى ﷺ كما هو الحال عند أهل السنة(٤)، فالسنة عندهم ليست سنة النبى فحسب، بل سنة الأئمة، وأقوال هؤلاء الأئمة كأقوال الله ورسوله، ولهذا اعترفوا بأن هذا مما ألحقته الشيعة بالسنة المطهرة، قالوا: وألحق الشيعة الإمامية كل ما يصدر عن أئمتهم الاثنى عشر من قول أو فعل أو تقرير بالسنة الشريفة(٥).

وهم يقولون بهذا القول من منطلقين خطيرين، وقاعدتين أساسيتين عندهم فى هذه المسألة، وقد أشار أحد شيوخهم المعاصرين إليهما حينما ذكر أن قول الإمام يجرى مجرى قول النبى ﷺ، من كونه حجة على العباد واجب الاتباع، وأنهم لا يحكمون إلا عن الأحكام الواقعية عند الله تعالى كما هى، فبين أن ذلك يتحقق لهم من طريقين: من طريق الإلهام كالنبى، أى من طريق الوحى، أو من طريق التلقى عن المعصوم قبله(٦).

---

(١) الأصول العامة للفقه المقارن ص ١٢٢، محمد تقى الحكيم ص ١٢٢

(٢) أصول الشيعة الإمامية (١/ ٣٧٤).

(٣) أصول الفقة المقارن (٣/ ٥١)، أصول الشيعة (١/ ٣٧٤).

(٤) تاريخ الإمامية ص ١٤٠ عبد الله فياض.

(٥) سُنَّة أهل البيت، محمد تقى الحكيم، ص ٩٠ .

(٦) أصول الشيعة الإمامية (١/ ٣٧٧).

وهم يزعمون أن الأئمة هم خزنة علم الله ووحيه: وقد عقد صاحب الكافي بابًا لهذا بعنوان: باب أن الأئمة- عليهم السلام- ولاة أمر الله وخزنة علمه[1]، وضمن هذا الباب ست روايات في هذا المعنى، وبابًا آخر بعنوان: إن الإئمة ورثوا علم النبي وجميع الأنبياء والأوصياء الذين من قبلهم[2]، وفيه سبع روايات، وبابًا ثالثًا بعنوان: إن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل- عليهم السلام-[3]، وفيه أربع روايات[4]. وقد توسع الشيعة الرافضة في هذا الباب ونكتفي بهذا القدر من المصادر الوهمية التي تزعمها الرافضة، والتي يغني في بيان فسادها مجرد عرضها وتصورها. ونتيجة لذلك التصور عن الأئمة، فإن الشيعة الرافضة لم يهتموا بصحة الإسناد وتقويم الرجال، كما اهتم علماء الحديث من أهل السنة وفي الوقت الذي رفض فيه الشيعة صحيحي البخاري ومسلم وكتب السنة، المعتمدة الموثقة، اعتمدوا في أحاديثهم على ما نقله الكليني الذي سبق أن أوردنا أقواله في كثير من عقائدهم وعدوه حجة، ويُعد كتابه الكافي[5] من أقدم كتب الشيعة في الحديث وأوثقها عندهم، ويصور أحد الشيعة مكانة هذا الكتاب لديهم فيقول: وقد اتفق أهل الإمامة وجمهور الشيعة على تفضيل هذا الكتاب، والأخذ به والثقة بخبره والاكتفاء بأحكامه، وهم مجمعون على الإقرار بارتفاع درجته وعلو قدره، على أنه القطب الذي عليه مدار روايات الثقات المعروفين بالضبط والإتقان إلى اليوم، وعندهم أجل وأفضل من جميع أصول الأحاديث، علمًا بأن جل ما في الكافي - كما يقول أبو زهرة- أخبار تنتهي عند الأئمة، ولا يصح أن نقول أنه يذكر سندًا متصلاً بالنبي ﷺ، ولا أن يدعى أن هذه أقوال النبي ﷺ، إلا على أساس أن أقوال أئمتهم هي أقوال النبي ﷺ، وأنها دين الله تعالى.. وأكثر ما يروى في الكافي واقف عند الصادق وقليل منه ما يعلو إلى أبيه الباقر، وأقل من ذلك ما يعلو إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ونادرًا ما يقف عند النبي ﷺ[6]، كما أن هناك كتاب: (من لا يحضره الفقيه) جمعه أبو جعفر محمد بن علي بن موسى بن بابويه، الذي يلقبونه بالشيخ الصدوق، وهو أيضًا من أكبر علمائهم بخراسان (توفي ٣٨١هـ)، ومن الكتب المعتمدة عند الشيعة: كتابا «تهذيب الأحكام» و«الاستبصار فيما اختلف من الأخبار» لمحمد بن الحسن الطوسي، وهذه الكتب الشيعية مليئة بعشرات الألوف من الأحاديث التي لا يمكن إثبات صحتها، بل معظمها

(١) أصول الكافي (١/ ١٩٢ - ١٩٣).
(٢) أصول الكافي (١/ ٢٢٣-٢٢٦).
(٣) أصول الشيعة (١/ ٣٨٥).
(٤) المصدر نفسه (١/ ٣٨٥، ٣٨٦).
(٥) أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله للسالوس، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .
(٦) الإمام الصادق، أبو زهرة، ص ٤٢٩ .

موضوع مختلق[1]، مثل ما سبق أن أشرنا إليه، من الأحاديث التى اعتمدوا عليها فى دفاعهم عن أحقية على بالإمامة من هذا العرض لآراء الشيعة ومعتقداتهم، والشيعة يعترفون أو على الأقل بعض منهم بأن فى تلك الكتب بعض الروايات الموضوعة، كما أنهم أنفسهم جرحوا بعض رواتهم. وإذا كان الأمر كذلك فيمكن أن يأخذ الشيعة بوصية أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه عندما قال: الزموا دينكم واهتدوا بهدى نبيكم واتبعوا سنته، واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن فما عرفه فالزموه، وما أنكره فردوه[2]، وقوله رضى الله عنه: «واقتدوا بهدى نبيكم ﷺ، فإنه أفضل الهدى واستنوا بسنته، فإنها أفضل السنن» [3]، وأن يلتزموا بطريقة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فى فهم الأحكام من القرآن الكريم ومعانى الآيات فيلتزموا بظاهر القرآن الكريم، وحمل المجمل على المفسر، والمطلق على المقيد، وأن يراعوا الناسخ والمنسوخ والنظر فى لغة العرب، وفهم النص بنص آخر، والسؤال عن مشكله، والعلم بمناسبة الآيات، وتخصيص العام، وأن يتعلموا من أمير المؤمنين على رضى الله عنه كيف يحترمون مقام النبوة، ويتعاملون مع سنة الرسول ﷺ وفق هديه الذى بينته فى هذا الكتاب، ثم يعرضون رواياتهم التى فى كتبهم على العدلين، كتاب الله وسنة رسوله، فما وافق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قبلوه وما خالفها نبذوه، وحذروا أتباعهم منه، وخصوصًا تلك الروايات التى تسئ إلى أئمتهم أنفسهم فضلاً عن الإسلام.

إن دين الله كمل، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، ورسول الله ﷺ بلغ جميع ما أنزل إليه وامتثل أمر ربه فى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقد بلغ النبى ﷺ البلاغ المبين، وأقام الحجة على العالمين، وأعلن ذلك بين المسلمين، ولم يسر لأحد بشىء من الشريعة ويستكتمه إياه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠]، وقال: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [النحل: ٦٤]. فالدين قد تم وكمل، لا يزاد فيه ولا ينقص منه

(١) الخطوط العريضة، ص ٤٩ .
(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٤٦).
(٣) المصدر نفسه (٧/ ٣١٩).

ولا يُبدل[١]، لا من إمام مزعوم، ولا من غائب موهوم[٢]، وقد ودع المصطفى الدنيا بعد أن بلغ الدين كله وبيّن جميعه كما أمره ربه، قال ﷺ: **«تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك»**[٣]، وقال أبو ذر رضى الله عنه: لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه فى السماء إلا ذكر لنا منه علمًا[٤].

ثامنًا: التقية عند الشيعة

١- **تعريفها عند الشيعة الرافضة:** فيقول شيخهم المفيد: التقية كتمان الحق، وستر الاعتقاد فيه، وكتمان المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضررًا فى الدين أو الدنيا[٥]. ويقول يوسف البحرانى - أحد كبار علمائهم فى القرن الثانى عشر-: المراد بها إظهار موافقة أهل الخلاف فيما يدينون به خوفًا[٦]. ويقول الخمينى: التقية معناها أن يقول الإنسان قولاً مغايرًا للواقع أو يأتى بعمل مناقض لموازين الشريعة وذلك حفظًا لدمه أو عرضه أو ماله[٧]. فهذه ثلاثة تعريفات للتقية لثلاثة من كبار علماء الشيعة الرافضة جاؤوا فى فترات زمنية مختلفة، وهذه التعريفات تدور حول أربعة أحكام رئيسية للتقية عندهم وهى:

* أن معنى التقية أن يُظهر الإنسان لغيره خلاف ما يبطن.
* أن التقية تستعمل مع المخالفين ولا يخفى دخول كافة المسلمين تحت هذا العموم.
* أن التقية تكون فيما يدين به المخالفون من أمور الدين.
* أن التقية إنما تكون عند الخوف على الدين أو النفس أو المال، وهذه أربعة أحكام هى محور عقيدة التقية عندهم [٨].

٢- **مكانتها عند الشيعة الرافضة:** فهى تحتل منزلة عظيمة ومكانة رفيعة، دلت عليها روايات عديدة جاءت فى أمهات الكتب عندهم، فقد روى الكلينى وغيره عن جعفر الصادق أنه قال: التقية من دينى ودين آبائى ولا إيمان لمن لا تقية له[٩].

وعن أبى عبد الله أنه قال: إن تسعة أعشار الدين فى التقية، ولا دين لمن لا تقية له، والتقية فى كل شىء إلا فى النبيذ والمسح على الخفين[١٠].

(١) المحلى (١/٢٦).
(٢) أصول الشيعة الإمامية (١/٣٩٨).
(٣) هذا المعنى صحح الألبانى - رحمه الله- معظمه.
(٤) مسند أحمد (٥/١٥٣).
(٥) تصحيح الاعتقاد، ص ١١٥.
(٦) الكشكول (١/٢٠٢).
(٧) كشف الأسرار، ص ١٤٧.
(٨) بذل المجهود (٢/٦٣٨).
(٩) أصول الكافى (٢/٢١٩)، المحاسن ص ٢٥٥.
(١٠) أصول الكافى (٢/٢١٧)، بذل المجهود (٢/٢٣٦).

وفي المحاسن: عن حبيب بن بشير عن أبي عبد الله أنه قال: لا والله ما على الأرض شيء أحب إليَّ من التقية، يا حبيب إنه من كانت له تقية رفعه الله، يا حبيب من لم يكن له تقية وضعه الله[1].

وفي أمالي الطوسي عن جعفر الصادق أنه قال: ليس منا من لم يلزم التقية ويصوننا عن سفلة الرعية[2].

وفي الأصول الأصلية: عن علي بن محمد من مسائل داود الصرمي قال: قال لي: ياداود لو قلت لك أن تارك التقية كتارك الصلاة لكنت صادقًا[3].

وعن الباقر أنه سئل: من أكمل الناس؟، قال: أعلمهم بالتقية وأقضاهم لحقوق إخوانه[4].

وعنه أيضا أنه قال: أشرف أخلاق الأئمة الفاضلين من شيعتنا استعمال التقية[5].

فدلت هذه الروايات على مكانة التقية عندهم، ومنزلتها العظيمة في دينهم، فالتقية عند الشيعة الرافضة من أهم أصول الدين، فلا إيمان لمن لا تقية له، والتارك للتقية كالتارك للصلاة، بل أن التقية عندهم أفضل من سائر أركان الإسلام، فالتقية تمثل تسعة أعشار دينهم، وسائر أركان الأسلام وفرائضه تمثل العُشر الباقي[6]، وقد ذكر صاحب الكافي أخبارًا في (باب التقية)[7]، و(باب الكتمان)[8] (باب الإذاعة)[9]، وذكر المجلسي في بحاره من رواياتهم فيها مئة وتسع روايات في باب عقده بعنوان «باب التقية والمداراة»[10].

٣- سبب هذا الغلو في أمر التقية يعود إلى عدة أمور منها:

(أ) أن الشيعة الرافضة تعد إمامه الخلفاء الثلاثة باطلة: وهم ومن بايعهم في عداد الكفار، مع أن عليًا رضي الله عنه بايعهم وصلى خلفهم، وجاهد معهم وزوج عمر ابنته أم كلثوم، وتسرى من جهاده مع أبي بكر، ولما ولي الخلافة سار على نهجهم ولم يغير شيئًا مما فعله أبو بكر وعمر، كما تعترف بذلك كتب الشيعة نفسها، وهذا يبطل مذهب الشيعة من

(١) المحاسن للبرقي، ص ٢٥٧ .
(٢) أمالي الطوسي، ص ٢٨٧ .
(٣) الأصول الأصلية، عبد الله شبر، ص٣٢٠.
(٤) الأصول الأصيلة، ص ٣٢٤ .
(٥) المصدر السابق، ص ٣٢٣ .
(٦) بذل المجهود (٢/ ٦٣٧).
(٧) أصول الكافي (٢/ ٢١٧).
(٨) المصدر السابق (٢/ ٢٢١).
(٩) المصدر السابق (٢/ ٣٦٩).
(١٠) بحار الأنوار (٧٥/ ٣٩٣ - ٤٤٣).

أساسه، فحاولوا الخروج من هذا التناقض المحيط بهم بالقول بالتقية[١]، واستخدموا مبدأ التقية لتفسير أحداث تاريخهم فذهبوا إلى أن سكوت على عن أبى بكر وعمر رضى الله عنهما كان تقية، وتنازل الحسن بن على عن الخلافة لمعاوية كان تقية، واختفاء أئمتهم وسترهم كان تقية منهم، وهكذا يمكن تفسير كل الأحداث التى تناقض عقيدتهم بالتقية[٢].

(ب) أنهم قالوا بعصمة الأئمة وأنهم لا يسهون ولا يخطئون ولا ينسون: وهذه الدعوى خلاف ما هو معلوم من حالهم، حتى أن روايات الشيعة نفسها المنسوبة للأئمة مختلفة متناقضة حتى لا يوجد خبر منها إلا وبإزائه ما يناقضه، كما اعترف بذلك شيخهم الطوسى[٣]، وهذا ينقض مبدأ العصمة من أصله فقالوا بالتقية لتبرير هذا التناقض والاختلاف والتستر على كذبهم على الأئمة. روى صاحب الكافى عن منصور بن حازم قال: قلت لأبى عبد الله- عليه السلام -: ما بالى أسألك عن المسألة فتجيبنى فيها بالجواب، ثم يجيئك غيرى فتجيبه فيه بجواب آخر؟ فقال: أنا نجيب الناس على الزيادة والنقصان[٤]. قال شارح الكافى: أى زيادة حكم عند التقية، ونقصانه عند عدمها، ولم يكن ذلك مستندًا إلى النسيان والجهل، بل لعلمهم بأن اختلاف كلمتهم أصلح لهم، وأنفع لبقائهم إذ لو اتفقوا لعرفوا بالتشيع، وصار ذلك سببًا لقتلهم وقتل الأئمة عليهم السلام[٥].

(جـ) تسهيل مهمة الكذابين على الأئمة: ومحاولة التعتيم على حقيقة مذهب أهل البيت بحيث يوهمون الأتباع أن ما ينقله (واضعو مبدأ التقية) عن الأئمة هو مذهبهم، وأن ما اشتهر وذاع عنهم، وما يقولونه، ويفعلونه أمام المسلمين لا يمثل مذهبهم وإنما يفعلونه تقية فيسهل عليهم بهذه الحيلة أقوال الأئمة، والدس عليهم، وتكذيب ما يروى عنهم من حق، فتجدهم مثلاً يردون كلام الإمام محمد الباقر أو جعفر الصادق الذى قاله أمام ملأ من الناس، أو نقله العدول من المسلمين بحجة أنه حضره بعض أهل السنة، فاتقى فى كلامه، ويقبلون ما ينفرد بنقله الكذبة أمثال جابر الجعفى بحجة أنه لا يوجد أحد يتقيه فى كلامه، وبحسبك أن تعرف أن الإمام زيد بن على وهو من أهل البيت يروى عن على رضى الله عنه -كما تنقله كتب الاثنى عشرية نفسها- أنه غسل رجليه فى الوضوء، ولكن من يلقبونه بـ (شيخ الطائفة) لا يأخذ بهذا الحديث ولا يجد حجة يحتج بها سوى التقية، فهو يرد

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٨٤).
(٢) دراسات عن الفرق فى تاريخ المسلمين، ص ٢١٧ .
(٣) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٨٥).
(٤) أصول الكافى (١/ ٦٥).
(٥) شرح جامع للمازندرانى (١/ ٦٥).

الحديث في الاستبصار عن زيد بن علي عن جده علي بن أبي طالب قال: جلست أتوضأ فأقبل رسول الله ﷺ حين ابتدأت الوضوء- إلى أن قال- وغسلت قدمي، فقال لي: **«يا علي خلل بين الأصابع، ولا تخلل بالنار»**[1]، فأنت ترى أن عليًا كان يغسل رجليه في وضوئه، وأن رسول الله ﷺ أكد عليه بأن يخلل أصابعه والشيعة تخالف سنة رسول الله ﷺ وهدى علي رضي الله عنه في ذلك، ولا تلتفت لمثل هذه الروايات، وإن جاءت في كتبها بروايات أئمة أهل البيت، ولا يكلف شيوخ الشيعة أنفسهم بالتفكير في أمر هذه الروايات، ودراستها، فلديهم هذه الحجة الجاهزة[2] «التقية».

ولهذا قال الطوسي: هذا خبر موافق للعامة- يعني أهل السنة- وقد ورد مورد التقية لأن المعلوم الذي لا يتخالج منه الشك من مذاهب أئمتنا- عليهم السلام- القول بالمسح على الرجلين، ثم قال: إن رواة هذا الخبر كلهم عامة، ورجال الزيدية، وما يختصون به [3] لا يعمل به. وفي النكاح: جاءت عندهم روايات في تحريم المتعة، ففي كتبهم عن زيد بن علي عن آبائه عن علي عليه السلام، قال: حرم رسول الله ﷺ يوم خيبر لحوم الحمر الأهلية ونكاح المتعة [4] وقال شيخهم الحر العاملي أقول: حمله الشيخ [5]، وغيره على التقية يعني في الرواية، لأن إباحة المتعة من ضروريات مذهب الإمامية[6]. وفي قسمة المواريث: أن المرأة لا ترث من العقار والدور والأرضين شيئًا [7]، ولما يأتي عندهم نص عن الأئمة يخالف ذلك وهو حديث أبي يعقوب عن أبي عبد الله قال: سألته عن الرجل هل يرث من دار امرأته أو أرضها من التربة شيئًا؟، أو يكون في ذلك منزلة المرأة فلا يرث من ذلك شيئًا؟، فقال: يرثها وترثه من كل شيء ترك وتركت[8]، قال الطوسي: نحمله على التقية، لأن جميع من خالفنا يخالف في هذه المسألة، وليس يوافقنا عليها أحد من العامة، وما يجرى هذا المجرى يجوز التقية فيه[9].

(د) وضع مبدأ التقية لعزل الشيعة عن المسلمين: لذلك جاءت أخبارهم فيها على هذا النمط، يقول إمامهم «أبو عبد الله»: ما سمعت مني يشبه قول الناس فيه التقية، وما

(١) الاستبصار (١/ ٦٥، ٦٦).
(٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٨٧).
(٣) الاستبصار (١/ ٦٥، ٦٦).
(٤) تهذيب الأحكام للطوسي (٢/ ١٨٤).
(٥) إذا أطلق الشيخ في كتب الشيعة، فالمراد به شيخهم الطوسي.
(٦) وسائل الشيعة (٧/ ٤٤١).
(٧) الاستبصار للطوسي (٤/ ١٥١ - ١٥٥).
(٨) المصدر السابق (٤/ ١٥٤).
(٩) المصدر السابق (٤/ ١٥٥).

سمعت منى لا يشبه قول الناس فلا تقية فيه[1]. وقد كان من آثار عقيدة التقية ضياع مذهب الأئمة عند الشيعة، حتى إن شيوخهم لا يعلمون فى الكثير من أقوالهم أيها تقية وأيها حقيقة[2]، ووضعوا لهم ميزانًا، أخرج المذهب إلى دائرة الغلو، وهو أن من خالف العامة فيه الرشاد[3].

وقد اعترف صاحب الحدائق بأنه لم يعلم من أحكام دينهم إلا القليل بسبب التقية، حيث قال: فلم يعلم من أحكام الدين على اليقين إلا القليل لامتزاج أخباره بأخبار التقية. كما قد اعترف بذلك ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكلينى فى جامعه الكافى، حتى إنه تخطى العمل بالترجيحات المروية عند تعارض الأخبار والتجأ إلى مجرد الرد والتسليم للأئمة الأبرار[4].

وأما تطبيق التقية عندهم فهو خبر كاشف بأن تقيتهم غير مرتبطة بحالة الضرورة، وقد اعترف يوسف البحرانى بأن الأئمة يخالفون بين الأحكام وإن لم يحضرهم أحد من أولئك الأنام، فتراهم يجيبون فى المسألة الواحدة بأجوبة متعددة، وإن لم يكن بها قائل من المخالفين[5].

٤- مفهوم التقية عند أهل السنة: إن مفهوم التقية فى الإسلام غالبًا، إنما هى مع الكفار، قال تعالى: ﴿**إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً**﴾ [آل عمران:٢٨] قال ابن جرير الطبرى: التقية التى ذكرها الله فى هذه الآية إنما هى تقية من الكفار لا غيرهم[6]، ولهذا يرى بعض السلف أنه لا تقية بعد أن أعز الله الإسلام، قال معاذ بن جبل ومجاهد: كانت التقية فى جدة الإسلام قبل قوة المسلمين، أما اليوم فقد أعز الله المسلمين أن يتقوا منهم تقاة[7].

ولكن تقية الشيعة هى مع المسلمين ولا سيما أهل السنة حتى أنهم يرون عصر القرون المفضلة عهد تقية، كما قرره شيخهم المفيد، وكما تلحظ ذلك من نصوصهم التى ينسبونها للأئمة، لأنهم يرون أهل السنة أشد كفرًا من اليهود والنصارى، لأن منكر إمامة الاثنى عشر أشد من منكر النبوة[8].

والتقية رخصة فى حالة الاضطرار: ولذلك استثناها- سبحانه- من مبدأ النهى عن موالاة الكفار فقال سبحانه: ﴿**لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ**

(١) بحار الأنوار (٢/ ٢٥٢).
(٢)، (٣) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٨٩).
(٤)، (٥) الحدائق الناضرة، يوسف البحرانى (١/ ٥).
(٦) تفسير الطبرى (٦/ ٣١٦).
(٧) تفسير القرطبى (٤/ ٥٧)، فتح القدير (١/ ٣٣١).
(٨) المصدر نفسه (٢/ ٩٧٨).

فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[آل عمران: ٢٨]، فنهى الله- سبحانه- عن موالاة الكفار، وتوعد على ذلك أبلغ الوعيد فقال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾[آل عمران: ٢٨]، أى: من يرتكب نهى الله فقد برئ من الله، ثم قال سبحانه: ﴿إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾أى: من خاف فى بعض البلدان والأوقات من شرهم، فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته(١).

وأجمع أهل العلم على أن التقية رخصة فى حال الضرورة، قال ابن المنذر: أجمعوا على أن من أُكره على الكفر حتى خشى على نفسه القتل فكفر وقلبه مطمئن بالإيمان أن لا يحكم عليه بالكفر(٢). ولكن من اختار العزيمة فى هذا المقام فهو أفضل، قال ابن بطال: وأجمعوا على أن من أكره على الكفر واختار القتل أنه أعظم أجرًا عند الله(٣)، ولكن التقية عند الشيعة خلاف ذلك فهى عندهم ليست رخصة بل هى ركن من أركان دينهم(٤).

والتقية فى دين الإسلام دين الجهاد والدعوة لا تمثل نهجًا عامًا فى سلوك المسلم ولا سمة من سمات المجتمع الإسلامى، بل هى- غالبًا- حالة فردية مؤقتة، مقرونة بالاضطرار، ومرتبطة بالعجز عن الهجرة، وتزول بزوال حالة الإكراه أما فى المذهب الشيعى تعد طبيعة ذاتية فى بنية المذهب، وحالة مستمرة وسلوك جماعى دائم(٥). وقد قرر أهل العلم من خلال معرفتهم بواقع الشيعة أن تقيتهم إنما هى الكذب والنفاق ليس إلا، وقد فرق ابن تيمية- رحمه الله- بين تقية النفاق والتقية فى الإسلام فقال: .... ليست بأن أكذب وأقول بلسانى ما ليس فى قلبى، فإن هذا نفاق ولكن أفعل ما أقدر عليه ... فالمؤمن إذا كان بين الكفار والفجار، لم يكن عليه أن يجاهدهم بيديه مع عجزه، ولكن أن أمكنه بلسانه، وإلا فبقلبه مع أنه لا يكذب ويقول بلسانه ما ليس فى قلبه، إما أن يظهر دينه وإما أن يكتمه ومع هذا لا يوافقهم على دينهم كله، بل غايته أن يكون كمؤمن آل فرعون، حيث لم يكن موافقًا لهم على جميع دينهم ولا كان يكذب، ولا يقول بلسانه شيئًا، وإظهاره الدين الباطل شىء آخر، فهذا لم يبحه الله قط إلا لمن أُكره بحيث أتيح لهم النطق بكلمة الكفر فيعذره الله بذلك ، والمنافق والكاذب لا يعذر بحال، ثم إن المؤمن الذى يعيش بين الكفر مضطرًا ويكتم إيمانه يعاملهم- بمقتضى الإيمان الذى يحمله- بصدق أمانة ونصح

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٣٧١).
(٢) فتح البارى (١٢/ ٣١٤).
(٣) المصدر السابق (١٢/ ٣١٧).
(٤) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٧٩).
(٥) المصدر نفسه (٢/ ٩٨١).

وإرادة للخير بهم، وإن لم يكن موافقًا لهم على دينهم، كـما كان يوسف الصديق يسير في أهل مـصر وكـانوا كفـارًا، وبخلاف الرافض الذى لا يتـرك شرًا يقـدر عليه إلا فـعله بمن يخالفه(١).

ولقد لخص الشيخ سلمـان العودة الفروق بين التقية عند أهل السنة والرافـضة فقال: إن التقية عند أهل السنة استثناء مؤقت مخالف للأصل، أما عند الشيعة فواجب مفروض حتى يقوم القـائم من آل البيت. وينتـهى العمل بهـا عند أهل السنة بمجرد زوال السـبب الداعى إليها، أما عند الشيعة فواجب جماعى مـستمر لا ينتهى العمل به حتى يخرج مهديهم الذى لا يخرج أبدًا. وتقية أهل السنة هى مع الكفار فى الغالب، وقد تكون مع الفساق الظلمة، أما تقيـة الشيعة فهى أصـلاً مع المسلمين المخالفين لهم من أهل السنة، إن التـقية عند أهل السُّنَّة حالة ممقوتة يلجأ إليها المسلم دون رضا واطمئنان إليـها، أما عند الشيعة فقد أصبحت خلة ممدوحة مرضية، جاء فى مدحها من النصوص عن أئمتهم الكثير الكثير(٢).

تاسعًا: المهدى المنتظر بين الشيعة والسُّنَّة

١- **عقيدة المهـدى المنتظر عند الشيعة:** من أبرز عقائد الشيعـة الرافضة التى تكاد تمتلئ بها كتبـهم عقيدة المهدى المنتظر، ويقـصد الرافضة الإمامـية بالمهدى المنتظر: محـمد بن الحسن العـسكرى وهو الإمام الثـانى عشـر عندهم، ويطلقون عليـه الحجـة، كمـا يطلقون علـيه القائم(٣)، ويزعمون أنه ولد سنة ٢٥٥هـ واختفى فى سرداب (سر من رأى) سنة ٢٦٥هـ، وهم ينتظرون خروجه فـى آخر الزمان، لينتقم لهم من أعدائهـم وينتصر لهم(٤)، ولا زال الشيعة الرافضة يزورونه بسرداب (سر من رأى)(٥) ويدعونه للخروج(٦)، وهذا المهدى الذى يدعيه الرافضـة معدوم لا وجود له: فالحسن العسكرى الذى ينسبـون إليه المهدى مات ولم يعقب أحدًا، فـقسم ميراثه بين أمـة وأخيه جعفـر، وقد صاحب عقيـدة المهدى المنتظر عن الشيعة الرافضة، خـرافات وأساطير كبيرة لا يصدقها عـاقل، ويعتقدون أن المهدى من ولد

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٩٥)

(٢) العزلة والخلطة ، سلمان بن فهد العودة ،ص١٤٩

(٣) الإرشاد للمفيد ، ص٣٦٣، كشف الغمة، الأربلى (٢/ ٤٣٧)، بذل المجهود (١/ ٢٣٧).

(٤) بذل المجهود (١/ ٢٣٧)، معجم البلدان (٣/ ١٧٣).

(٥) المفيد ، ص٣٤٦ ، كشف الغمة ، ص(٢/ ٤٤٦) بذل المجهود (١/ ٢٣٧).

(٦) مصابيح الجنات، محسن العصفور ،ص٢٥٥.

الحسين[١]، ويروون العجائب في ولادته[٢]، ويقولون عندما يخرج يجتمع إليه الشيعة الرافضة من كل مكان[٣]، ويخرج الصحابة من قبورهم ويعذبهم [٤]، ويقتل العرب، وقريش[٥]، ويهدم الكعبة والمسجد النبوى وكل المساجد[٦]، ويدعو إلى دين جديد وكتاب جديد وقضاء جديد[٧]، ويستفتح المدن بتابوت اليهود[٨]، وتنبع له عينان من ماء ولبن، ويصير الرجل من الشيعة الرافضة بقوة أربعين رجلاً ، ويمد لهم فى أسماعهم وأبصارهم، ويحكم بحكم آل داود[٩].

وعقيدة الشيعة الرافضة فى مهديهم المنتظر باطلة، وقد دل على بطلانها عدة أوجه:

(أ) ثبوت عدم ولادة هذا المهدى: فقد اقتضت حكمة العلى القدير أن يموت الحسن العسكرى الإمام الحادى عشر عند الرافضة وليس له ولد، فكانت فضيحة كبيرة وخذلانًا عظيمًا للشيعة الرافضة إذ كيف يموت الإمام ولا يوجد له من الأولاد من يخلفه فى الإمامة، فعقيدة الشيعة الرافضة تنص على أن الذى يخلف الإمام بعد موته ولده، ولا يجوز أن تكون الإمامة فى الإخوة بعد الحسن والحسين[١٠]، وعدم ولادة المهدى ثابتة فى كتب الشيعة أنفسهم[١١].

(ب) لا معنى لاختفاء المهدى: لو سلمنا جدلاً بولادة هذا المهدى، فإنه لا معنى لاختفائه هذه الفترة الطويلة فى السرداب، وإذا سئل الشيعة الرافضة عن الحكمة من اختفائه فى السرداب وعدم خروجه للناس، فإنهم يعللون ذلك بأنه يخشى على نفسه القتل[١٢]، وهذه علة واهية قد دل على بطلانها عدة أدلة منها: أنه قد جاء فى كتبكم أنه سيكون منصوراً ومؤيدًا من الله تعالى، وأنه يملك مشارق الأرض ومغاربها فيملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جورًا، ويعيش حتى زمن نزول عيسى ابن مريم عليه السلام[١٣]، كما أن قولهم هذا يترتب عليه أن المهدى لن يخرج حتى تذهب دول الجور والظلم والفساد ليأمن على نفسه

---

(١) الغيبة ، ص١١٥، بذل المجهود (١/ ٢٣٨).
(٢) بذل المجهود (١/ ٢٣٩).
(٣) بحار الأنوار (٥٢/ ٢٩١)
(٤) المصدر نفسه (٥٢/ ٣٨٦).
(٥) المصدر نفسه (٥٢/ ٣٥٥).
(٦) الرجعة للإحسائى، ص١٨٤.
(٧) الغيبة، ص١٥٤.
(٨) بذل المجهود (١/ ٢٤٧).
(٩) المصدر نفسه (١/ ٢٤٩) .
(١٠) كمال الدين وتمام النعمة للصدوق ،ص٤١٤.
(١١) أصول الكافى (١/ ٥٠٥)، بذل المجهود (١/ ٢٦٧).
(١٢) الغيبة، ص١١٩.
(١٣) بحار الأنوار (٥٢/ ١٩١).

من القتل ، وعندئذ لا حاجة فى خروجه، وهذه الدول تستطيع أن تحمى المهدى لو خرج فلماذا لم يخرج؟، إن من لا يستطيع أن يحمى نفسه من القتل، فمن باب أولى عجزه عن حماية غيره، فإن فاقد الشئ لا يعطيه، فكيف تنتظرون مَن هذه صفته أن ينتقم لكم من أعدائكم وينصركم عليهم نصرًا مؤزرًا. وبهذا تكون قد بطلت دعواهم، بأن العلة من عدم خروج المهدى هى: الخوف من القتل، وبناء على هذا تبطل دعوى وجود المهدى أصلاً، إذ لا سبب يمنعه من الاستتار غير خوفه من القتل، كما صرح بذلك شيخ الطائفة الطوسى[١]، فتكون دعوى وجود المهدى باطلة بشهادة علمائهم، وهذا من توفيق الله وعظيم فضله[٢].

(جـ) أنه لم تحصل منفعة بهذا المهدى: ومما يدل على بطلان عقيدة الشيعة الرافضة فى المهدى المنتظر: أن هذا المهدى الذى تدعية الرافضة لم تحصل به مصلحة فى شىء من أمور الدين أو الدنيا ولم ينتفع منه المسلمون بشىء لا الرافضة ولا غيرهم، قال ابن تيمية رحمه الله: إن هذا المعصوم الذى يدَّعون أنه فى وقت ما قد ولد عندهم لأكثر من أربعمائة وخمسين سنة[٣]، فإنه دخل السرداب عندهم سنة ستين ومائتين، وله خمس سنين عند بعضهم وأقل من ذلك عند آخرين، ولم يظهر عنه شىء مما يفعله الإمام المعصوم، فأى منفعة للوجود فى مثل هذا لو كان موجودًا فكيف إذا كان معدومًا، والذين آمنوا بهذا المعصوم أى لطف وأى منفعة حصلت لهم به نفسه فى دينهم أو دنياهم .. إلى أن قال: وهذا الذى تدعيه الرافضة إما مفقود عندهم، وإما معدوم عند العقلاء، وعلى التقديرين فلا منفعة لأحد به فى دين ولا فى دنيا[٤]. والشيعة الاثنا عشرية فى هذا العصر نقضوا هذه العقيدة عمليًا من خلال اعتقادهم بنظرية ولاية الفقيه، وهى تجويز الحكم والولاية للمسلم العادى غير المعصوم، أو الذى ليس عليه نص من الله ورسوله بشرط العلم والعدل.

٢- عقيدة أهل السُّنّة والجماعة فى المهدى: بيَّنت الأحاديث الصحيحة أن الله تعالى يُخرج فى آخر الزمان رجلاً من أهل البيت يؤيد الله به الدين، يملك سبع سنين يملأ الأرض عدلاً وسلامًا، كما مُلئت جورًا وظلمًا، تنعم الأمة فى عهده نعمة لم تنعمها قط، وتخرج الأرض نباتها، وتمطر السماء قطرها، ويُعطى المال بغير عدد، ومن هذه الأحاديث:

(١) الغيبة، ص١٩٩، بذل المجهود (١/ ٢٧١). (٢) بذل المجهود (١/ ٢٧١).
(٣) هذا بالنسبة لعصر ابن تيمية ،أما الآن فقد مضى عليه ما يزيد عن ألف ومئة وخمسين عامًا.
(٤) منهاج السنة (٨/ ٢٦١- ٢٦٢) .

(أ) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحًا[1] وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، ويعيش سبعًا أو ثماني»[2]، يعني حججًا[3].

(ب) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلمًا وعدوانًا» قال: «ثم يخرج رجل من عترتي - أو من أهل بيتي - يملؤها قسطًا، وعدلاً، كما مُلئت ظُلمًا وعُدوانًا»[4].

(جـ) وعن ثوبان قال رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «يقتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة، وتطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم» - ثم ذكر شيئًا لا أحفظه فقال: - «فإذا رأيتموه، فبايعوه، ولو حبوا على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي»[5] قال ابن كثير رحمه الله: والمراد بالكنز المذكور في هذا السياق كنز الكعبة، يقتل عنده ليأخذه ثلاثة من أولاد الخلفاء، حتى يكون آخر الزمان فيخرج المهدي، يكون ظهوره من بلاد المشرق، لا من سرداب سامراء كما يزعم جهلة الرافضة من أنه موجود فيه إلى الآن، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان، فإن هذا نوع من الهذيان، وقسط كبير من الخذلان شديد من الشيطان، إذ لا دليل على ذلك ولا برهان، لا من كتاب ولا من سنَّة، ولا معقول صحيح ولا استحسان .. إلى أن قال: ويؤيد بناس من أهل المشرق ينصرونه، ويقيمون سلطانه، ويشدون أركانه، وتكون راياتهم سودًا أيضًا وهو زي عليه الوقار؛ لأنه راية رسول الله ﷺ كانت سوداء يقال لها العقاب .. إلى أن قال: والمقصود أن المهدي الممدوح الموعود بوجوده في آخر الزمان يكون أصل ظهوره، وخروجه من ناحية المشرق ويبايع له عند البيت كما دلت على ذلك بعض الأحاديث[6].

(د) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم»[7].

(١) بمعنى الصحيح، النهاية لابن الاثير (٣/ ١٢).
(٢) المستدرك (٤/ ٥٥٧ - ٥٥٨)، قال الألباني: سنده صحيح رجاله ثقات، سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٧١١).
(٣) المهدي وفقه أشراط الساعة، محمد إسماعيل، ص٣٣.
(٤) السلسلة الصحيحة (١٥٢٩)، وحكم الألباني بتواتره.
(٥) سنن ابن ماجة (٢/ ١٣٦٧)، مستدرك الحاكم (٤/ ٤٦٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.
(٦) النهاية، الفتن والملاحم (١/ ٣١).
(٧) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء (٦/ ٤٩١) مع الفتح.

(هـ) وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: **«لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة»** إلى أن قال: **«..فينزل عيسى بن مريم عليه السلام، فيقول أميرهم: صلِّ بنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة»**(١).

والأحاديث التى وردت فى الصحيحين تدل على أمرين:

أحدهما: أنه عند نزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء يكون المتولى لإمرة المسلمين رجلاً منهم.

الثانى: أن حضور أميرهم للصلاة، وصلاته للمسلمين، وطلبه من عيسى عليه السلام عند نزوله أن يتقدم ليصلى بهم يدل على صلاح هذا الأمير وهداه، وجاءت الأحاديث فى السُّنن والمسانيد وغيرها مفسرة لهذه الأحاديث التى فى الصحيحين، ودالة على أن ذلك الرجل الصالح يسمى: محمد بن عبد الله، ويقال له المهدى، والسُّنَّة يفسر بعضها بعضًا.

(و) فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ قال: **«مِنَّا الذى عيسى ابن مريم يصلى خلفه»**(٢).

(ز) وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ قال: **«المهدى منى أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطًا وعدلاً، كما مُلِئت ظُلْمًا وجورًا، ويملك سبع سنين»**(٣). ولا توجد أية صلة أو علاقة بين مهدى السنة ومهدى الشيعة الرافضة، وهناك بعض الفوارق بينهما منها:

*أن المهدى عند أهل السُّنَّة اسمه «محمد بن عبد الله» فاسمه يوافق اسم النبى ﷺ واسم أبيه يوافق اسم أبيه، أما مهدى الشيعة الرافضة، فاسمه محمد بن الحسن العسكرى.

*أن المهدى عند أهل السُّنَّة من ولد الحسن رضى الله عنه، ومهدى الشيعة الرافضة من ولد الحسين.

*أن المهدى عند أهل السُّنَّة تكون ولادته ومدة حياته طبيعية، ولم يوجد فى الأحاديث ما يدل على أنه يمتاز عن غيره من الناس بشىء من ذلك، أما مهدى الشيعة الرافضة فإن

---

(١) مسلم، كتاب الإيمان (٢/ ١٩٣) مع شرح النووى.

(٢) رواه أبو نعيم فى أخبار المهدى، صححه الألبانى صحيح الجامع (٥/ ٧١٧٠).

(٣) سنن أبى داود ، كتاب المهدى رقم (٤٢٦٥).

حمله وولادته كانت فى ليلة واحدة ودخل السرداب وعمره تسع سنوات ومضى عليه الآن ما يزيد على ألف ومئة وخمسين سنة وهو فى السرداب.

* أن المهدى عند أهل السُّنَّة يخرج لنصرة الإسلام والمسلمين، ولا يفرق بين جنس وجنس، وأما مهدى الشيعة الرافضة فيخرج لنصرة الشيعة الرافضة خاصة والانتقام من أعدائهم، ويكره العرب وقريشًا فلا يعطيهم إلا السيف ولا يكون من أتباعه عربى، كما دلت على ذلك رواياتهم.

* أن مهدى السُّنَّة يحب صحابة النبى ﷺ، ويترضى عنهم ويتمسك بسنتهم، كما يحب أمهات المؤمنين ولا يذكرهن إلا بالثناء الحسن الجميل، أما مهدى الشيعة الرافضة فيبغض أصحاب النبى ﷺ ويخرجهم من قبورهم ويعذبهم ثم يحرقهم- على حد زعمهم- وكذلك يبغض أمهات المومنين، ويحاد أحب نساء النبى ﷺ الصديقة بنت الصديق عائشة رضى الله عنهما، على حد زعمهم.

* أن مهدى أهل السُّنَّة يعمل بسُنَّة النبى ﷺ فلا يترك سُنَّة إلا أقامها، ولا بدعة إلا قمعها، أما مهدى الشيعة الرافضة فإنه يدعو إلى دين جديد وكتاب جديد.

* إن مهدى السُّنَّة يقيم المساجد ويعمرها، وأما مهدى الشيعة الرافضة فيهدم المساجد ويخربها، فيهدم المسجد الحرام والكعبة، ومسجد النبى ﷺ، ولا يبقى مسجدًا واحدًا على وجه الأرض - كما صرحوا بذلك فى رواياتهم-.

* إن مهدى السنة يحكم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، أما مهدى الشيعة الرافضة فيحكم بحكم آل داود.

* إن مهدى السنة يخرج من المشرق، أما مهدى الشيعة الرافضة فيخرج من سرداب سامراء.

* أن مهدى السنة حقيقة ثابتة دلت عليها أحاديث النبىﷺ وأقوال العلماء قديمًا وحديثًا، أما مهدى الشيعة الرافضة فوهم من الأوهام لم يخرج ولن يخرج فى يوم من الأيام(١).

عاشرًا: عقيدة الرجعة عند الشيعة الرافضة

الرجعة من أصول المذهب الشيعى، فمن رواياتهم: ليس منا من لم يؤمن بكَرَّتنا(٢). وقال ابن بابويه فى الاعتقادات: واعتقادنا فى الرجعة أنها حق(٣)، وقال المفيد: واتفقت

(١) بذل المجهود (١/٢٥٦ ، ٢٥٧) . (٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/١١٠٣).

(٣) الاعتقادات ، ص٩٠.

الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات[١]، وقال الطبرسى والحر العاملى وغيرهما من شيوخ الشيعة: إنها موضع إجماع الشيعة الإمامية[٢]، وإنها من ضروريات مذهبهم، وإنهم مأمورون بالإقرار بالرجعة واعتقادها، وتحديد الاعتراف بها فى الأدعية والزيارات ويوم الجمعة وكل وقت كالإقرار بالتوحيد والنبوة والإمامة والقيامة[٣]، ومعنى الرجعة: الرجوع إلى الدنيا بعد الموت[٤]، وقد ذهبت فرق شيعية كثيرة إلى القول برجوع أئمتهم إلى هذه الحياة ومنهم من يقر بموتهم ثم رجعتهم، ومنهم من ينكر موتهم ويقول بأنهم غابوا وسيرجعون، وكان أول من قال بالرجعة ابن سبأ، إلا أنه قال بأنه غاب وسيرجع ولم يصدق بموته، وكانت عقيدة الرجعة خاصة برجعة الإمام عند السبئية، والكيسانية وغيرهما، ولكنها صارت عند الاثنى عشرية عامة للإمام وكثير من الناس، ويشير الألوسى إلى أن تحول مفهوم الرجعة عند الشيعة من رجعة الإمام فقط، إلى ذلك المعنى العام كان فى القرن الثالث[٥]. وأما المفهوم العام لمبدأ الرجعة عند الاثنى عشرية فهو يشمل ثلاثة أصناف هم:

(١)الأئمة الاثنا عشر، حيث يخرج المهدى من مخبئه، ويرجع من غيبته، وباقى الأئمة يحيون بعد موتهم ويرجعون لهذه الدنيا.

(٢) ولاة المسلمين الذين اغتصبوا الخلافة - فى نظرهم - من أصحابها الشرعيين «الأئمة الاثنى عشر» فيبعث خلفاء المسلمين وفى مقدمتهم أبو بكر وعمر وعثمان. . . ومن قبورهم يرجعون لهذه الدنيا - كما يزعم الشيعة الرافضة - للاقتصاص منهم بأخذهم الخلافة من أهلها فتجرى عليهم عمليات التعذيب والقتل والصلب.

(٣) عامة الناس، ويخص منهم: من محض الإيمان محضًا، وهم الشيعة عمومًا، ولأن الإيمان خاص بالشيعة، كما تتفق على ذلك رواياتهم وأقوال شيوخهم ومن محض الكفر محضًا وهم كل الناس ما عدا المستضعفين[٦].

ولهذا قالوا فى تعريف الرجعة: إنها رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة[٧]، وعودتهم إلى الحياة بعد الموت[٨] فى صورهم التى كانوا عليها[٩].

(١) أوائل المقالات ، ص٥١.
(٢) مجمع البيان (٥/ ٥٢)، الإيقاظ من الهجعة ص ٣٣.
(٣) المصدر السابق، ص٦٤.
(٤) القاموس (٣/ ٢٨) ، مجمع البحرين (٤/ ٣٣٤).
(٥) روح المعانى (٥/ ٢٧) ، ضحى الإسلام أحمد أمين (٣/ ٢٣٧).
(٦) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١١٠٥).
(٧) أوائل المقالات ، ص٥١.
(٨) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١١٠٥).
(٩) أوائل المقالات ، ص٩٥.

واتجه شيوخ الشيعة إلى كتاب الله سبحانه ليأخذوا منه الدليل على ثبوت الرجعة التى يتفردون بها عن سائر المسلمين، ولما لم يجدوا بغيتهم تعلقوا كعادتهم بالتأويل الباطنى، وركبوا متن الشطط، وتعسفوا أيما تعسف فى هذا السبيل، حتى أصبح استدلالهم حجة عليهم، ودليلاً على زيف معتقدهم، وبرهانًا على بطلان مذهبهم، وإليك مثالاً على تفسيرهم للآيات، يرى شيخ المفسرين عندهم أن من أعظم الأدلة على الرجعة قوله سبحانه: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥]، حيث يقول ما نصه: هذه الآية من أعظم الأدلة على الرجعة، لأن أحدًا من أهل الإسلام لا ينكر أن الناس كلهم - يرجعون - يوم القيامة من هلك ومن لم يهلك[(١)]، ومع أن الآية حجة عليهم، فهى تدل على نفى الرجعة على الدنيا، إذ معناها كما صرح به ابن عباس وأبو جعفر الباقر وقتادة وغير واحد: حرام على أهل كل قرية أهلكوا بذنوبهم أنهم يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة[(٢)]، وهذا كقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٣١]، وقوله: ﴿فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٥٠]، وزيادة ﴿لا﴾ هنا لتأكيد معنى النفى من ﴿وَحَرَامٌ﴾ وهذا من أساليب التنزيل البديعة النهاية فى الدقة. وسر الإخبار بعدم الرجوع مع وضوحه، هو الصدع بما يزعجهم ويؤسفهم، وفوات أمنيتهم الكبرى، وهى حياتهم الدنيا[(٣)]، وإذا كان المقصود إثبات الرجعة فيه رجعة للناس ليوم القيامة بلا ريب[(٤)] أى ممتنع البتة عدم رجوعهم إلينا للجزاء[(٥)].

إن فكرة الرجعة عند الشيعة الرافضة بعد الموت مخالفة صريحة لنص القرآن الكريم، وباطلة بدلالة آيات عديدة من كتاب الله سبحانه، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]، فقوله سبحانه: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ صريح على نفي الرجعة مطلقًا[(٦)].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧، ٢٨].

(١) تفسير القمى (٢/٧٦) وضع عنوان فى أعلى الصفحة أعظم دليل على الرجعة .
(٢) تفسير ابن كثير (٣/٢٠٥).
(٣) تفسير القاسمى (١١/٢٩٣).
(٤) أصول الشيعة الإمامية (٢/١١١٢).
(٥) فتح القدير (٣/٤٢٦).
(٦) مختصر التحفة ص (٢٠١).

فهؤلاء جميعًا يسألون الرجوع عند الموت، وعند العرض على الجبار جل علاه، وعند رؤية النار يجابون، لما سبق في قضائه أنهم إليها لا يرجعون، ولذلك عد أهل العلم القول بالرجعة إلى الدنيا بعد الموت من أشد مراحل الغلو في بدعة التشيع[1]. وقد جاء في مسند أحمد أن عاصم بن ضمرة: وكان من أصحاب علي رضي الله عنه قال للحسن بن علي: إن الشيعة يزعمون أن عليًا يرجع. قال الحسن: كذب أولئك الكذابون، ولو علمنا ذاك ما تزوج نساؤه ولا قسمنا ميراثه[2]. والقول بالرجعة بعد الموت إلى الدنيا لمجازاة المسيئين وإثابة المحسنين، ينافي طبيعة هذه الدنيا وأنها ليست دار جزاء ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. وقد كان لابن سبأ اليهودي دور التأسيس لمبدأ الرجعة، إلا أنها رجعة خاصة بعلي، كما أنه ينفي وقوع الموت عليه أصلاً كحال الاثني عشرية مع مهديهم الذي يزعمون وجوده، وعقيدة الرجعة عند الشيعة الإمامية خلاف ما علم من الدين بالضرورة من أنه لا حشر قبل يوم القيامة، وأن الله حين توعد كافرًا أو ظالمًا إنما توعده بيوم القيامة، كما أنها خلاف الآيات والأحاديث المتواترة المصرحة بأنه لا رجوع إلى الدنيا قبل يوم القيامة[3].

الحادي عشر: قولهم بالبداء على الله سبحانه وتعالى

من أصول الاثني عشرية القول بالبداء على الله، سبحانه وتعالى حتى بالغوا في أمره فقالوا: ما عُبد الله بشيء مثل البداء[4]، وما عُظم الله عز وجل بمثل البداء[5]، ولو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا من الكلام فيه[6]، وما بعث الله نبيًا قط إلا بتحريم الخمر وأن يقر لله بالبداء[7]، ويبدو أن الذي أرسى هذا المعتقد عند الاثني عشرية هو الملقب عندهم بثقة الإسلام وهو شيخهم الكليني (ت ٣٢٨ أو ٣٢٩هـ)، حيث وضع هذا المعتقد في قسم الأصول من الكافي، وجعله ضمن كتاب التوحيد، وخصص له بابًا بعنوان (باب البداء) وذكر فيه ستة عشر حديثًا من الأحاديث المنسوبة للأئمة[8].

وإذا رجعت إلى اللغة العربية لتعريف معنى البدء تجد أن القاموس يقول: بدا بدوًا بدأة: ظهر. وبدا له في الأمر بدوًا وبداء وبداة: نشأ له فيه رأي[9]، فالبداء في اللغة له معنيان:

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١١٢).

(٢) مسند أحمد (٢/ ٣١٢)، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٣) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١١٢٤).

(٤)، (٥) أصول الكافي (١/ ١٤٦).

(٦)، (٧) المصدر نفسه (١/ ١٤٨).

(٨) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١١٣٣).

(٩) القاموس المحيط (٤/ ٣٠٢).

[١] الظهور بعد الخفاء، تقول: بدا سور المدينة أي ظهر.

[٢] نشأة الرأي الجديد. قال الفراء: بدا لي بداء أي: ظهر لي رأي آخر، قال الجوهري: بدا له في الأمر بداء أي: نشأ له فيه رأي(١)، وكلا المعنيين وردا في القرآن، فمن الأول قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، ومن الثاني قوله: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٥]، وواضح أن البداء بمعنييه يستلزم سبق الجهل وحدوث العلم، وكلاهما محال على الله سبحانه، ونسبته إلى الله سبحانه من أعظم الكفر، فكيف تجعل الشيعة الاثنى عشرية هذا من أعظم العبادات، وتدعي أنه ما عُظِّمَ الله عز وجل بمثل البداء؟، سبحانك هذا بهتان عظيم(٢).

وهذا المعنى المنكر يوجد في كتب اليهود فقد جاء في التوراة التي حرفها اليهود وفق ما شاءت أهواؤهم نصوص صريحة تتضمن نسبة معنى البداء إلى الله سبحانه(٣)، ويبدو أن ابن سبأ اليهودي قد حاول إشاعة هذه المقالة، التي أخذها من (توراته) في المجتمع الإسلامي الذي حاول التأثير فيه باسم التشيع وتحت مظلة الدعوة إلى ولاية علي رضي الله عنه، ذلك أن فرق السبئية كلهم يقولون بالبداء وأن الله تبدو له البداوات(٤) ثم انتقلت هذه المقالة إلى فرقة (الكيسانية) أو المختارية أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي وهي الفرقة التي اشتهرت بالقول بالبداء والاهتمام به، والتزامه عقيدة(٥).

وكان شيوخ الشيعة يمنون أتباعهم بأن الأمر سيعود إليهم، والدولة ستكون لهم، حتى إنهم حددوا ذلك بسبعين سنة، في رواية نسبوها لأبي جعفر، فلما مضت السبعون ولم يتحقق شيء من تلك الوعود اشتكى الأتباع من ذلك، فحاول مؤسسو المذهب الخروج من هذا المأزق بالقول بأنه قد بدا لله سبحانه ما اقتضى تغيير هذا الوعد(٦).

وقد دل القرآن الكريم على إثبات صفة العلم لله تعالى، وعلى بطلان ما نسبته الشيعة الرافضة من عقيدة البداء لله، التي أفضت إلى نسبة الجهل إليه تعالى، والآيات الدالة على إثبات صفة العلم لله تعالى كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا

(١) الصحاح (٦/ ٢٢٧٨)، لسان العرب (٦/ ٦١٤).
(٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١١٣٥).
(٣) المصدر نفسه (٢/ ١١٣٦).
(٤) التنبيه والرد للملطي، ص ١٩ .
(٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١١٣٦).
(٦) تفسير العياشي (٢/ ٢١٨)، بحار الأنوار (٤/ ٢١٤).

إلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾، وقال تعالى: ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.

قال ابن تيمية رحمه الله: قد دلت هذه الآية على وجوب علمه بالأشياء من وجوه انتظمت... لأهل النظر والاستدلال القياسي العقلي:

أحدها: أنه خالق لها، والخلق هو الإبداع بتقدير، وذلك يتضمن تقديرها في العلم قبل تكونها في الخارج.

الثاني: أن ذلك مستلزم للإرادة والمشيئة، والإرادة مستلزمة لتصور المراد والشعور به.

الثالث: أنها صادرة عنه، وهو سببها التام، والعلم بأصل الأمر، وسببه يوجب العلم بالفرع المسبب، فعلمه بنفسه مستلزم بكل ما يصدر عنه.

الرابع: أنه في نفسه لطيف يدرك الدقيق، خبير يدرك الخفي، وهذا هو مقتضى العلم بالأشياء، مستغن بنفسه عنها، كما هو غني بنفسه في جميع صفاته(1)، وقد دلت الآيات كذلك على تقدير الله تعالى للكون قبل أن يخلقه، وذلك بناء على علمه السابق بهذا الكون قبل وجوده، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾، فهذه الآيات الكريمات فيها أعظم رد على الشيعة الرافضة الذين زعموا أن الله تعالى لا يعلم الحوادث إلا بعد حدوثها، وأنه قد يأمر بأمر ثم يتغير رأيه بناء على تجديد المصلحة، فالله تعالى قبل أن يخلق هذا الخلق قدره، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا تدبيره، ولا يتجاوز ما كتب الله في اللوح المحفوظ قبل خلق المخلوقات ووجود الكائنات ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون(2).

وقد دلت السُّنَّة على إثبات صفة العلم لله تعالى، روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال: **«مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة»**(3)، وهذه الأمور التي جاءت في الحديث أمور مستقبلية دل الحديث على علم الله بها قبل حدوثها، وقال النبي ﷺ: **«قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء»**(4). وقد جاءت في كتب الشيعة في ذلك الركام

(1) الفتاوى (٢/ ٢١١).
(2) بذل المجهود (١/ ٣٤٠).
(3) البخاري رقم (٤٦٩٧).
(4) مسلم رقم (١٦).

الهائل من الأباطيل روايات قد تكون وثيقة الصلة بعلماء آل البيت لأنها تعبر عن المعنى الحق وهو ما يليق بأولئك الصفوة، وقد تكون من آثار الشيعة المعتدلة، فعن منصور بن حازم قال: سألت أبا عبد الله - عليه السلام - يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله تعالى بالأمس؟، قال: من قال هذا فأخزاه الله، قلت: أرأيت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة أليس في علم الله؟ قال: بلى، قبل أن يخلق الخلق(١).

الثانى عشر: موقف أهل البيت من الشيعة الرافضة

أئمة أهل البيت كسائر أهل السُّنَّة فى موفقهم من الرافضة ومن عقائدهم، فهم يعتقدون ضلالهم وانحرافهم عن السُّنَّة، وبعدهم عن الحق، وهم من أشد الناس ذمًا ومقتًا لهم، وذلك لنسبتهم تلك العقائد الفاسدة إليهم، وكثرة كذبهم عليهم، وقد تعددت عبارات أهل البيت وتنوعت فى ذم الشيعة الرافضة وبراءتهم من عقيدتهم، فمما جاء عنهم فى براءتهم من عقائد الشيعة الرافضة وتأصيلهم عقيدة أهل السُّنَّة(٢):

١- ما ثبت عن على رضى الله عنه وتواتر عنه أنه قال وهو على منبر الكوفة: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر رضى الله عنهما(٣)، وعنه رضى الله عنه قال: لا يفضلنى أحد على الشيخين إلا جلدته حد المفترى(٤)، وفى الصحيحين أنه قال فى حق عمر عند تشييعه: ما خلفت أحدًا أحب إلىَّ من أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وذلك أنى كنت أسمع كثيرًا رسول الله ﷺ يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر وإن كنت لأظن أن يجعلك الله معهما(٥).

وهذه الآثار -الثابتة- عن أمير المؤمنين على رضى الله عنه تناقض عقيدة الشيعة فى الشيخين، كما تقدم، وتدل على براءة على رضى الله عنه من الشيعة الرافضة ومن عقيدتهم، وتوليه للشيخين وسائر أصحاب النبى ﷺ وحبه لهم - كما بيَّنا سابقًا - وإقراره للشيخين بالفضل عليه، وعقوبته من فضله عليهما، وتمنيه أن يلقى الله بمثل عمل عمر، فرضى الله عنه، وعن سائر أصحاب النبى الطيبين المطهرين من كل ما ينسبه إليهم أهل البدع من الشيعة الرافضة والخوارج المارقين. ثم من بعد على رضى الله عنه جاءت أقوال أبنائه، وأهل بيته، فى البراءة من الرافضة ومن عقيدتهم وانتقادهم لعقيدة أهل السُّنَّة(٦).

(١) التوحيد لابن بابويه، ص ٣٣٤، أصول الكافى (١/ ٤٨) رقم (١٠).
(٢) الانتصار للصحب والآل، ص ١١٢.
(٣) اللالكائى (٧/ ١٣٦٦ - ١٣٩٧).
(٤) السُّنَّة لابن أبى عاصم، ص ٥٦١.
(٥) البخارى، رقم (٣٦٨٥).
(٦) الانتصار للصحب والآل، ص ١١٤.

٢- قول الحسن بن علي رضي الله عنهما: عن عمرو بن الأصم قال: قلت للحسن: إن الشيعة تزعم أن عليًا مبعوث قبل يوم القيامة قال: كذبوا والله ما هؤلاء بالشيعة لو علمنا أنه مبعوث، ما زوجنا نساءه، ولا اقتسمنا ماله[١].

وروى أبو نعيم : قيل للحسن بن علي رضي الله عنهما: إن الناس يقولون: إنك تريد الخلافة، قال: كانت جماجم العرب في يدي، يحاربون من حاربت ويسالمون من سالمت، فتركتها ابتغاء وجه الله، وحقن دماء أمة محمدﷺ[٢].

٣- قول الحسين بن علي رضي الله عنهما: كان يقول في شيعة العراق - الذين كاتبوه ووعدوه بالنصر، ثم تفرقوا عنه وأسلموه إلى أعدائه - «اللهم إن أهل العراق غروني وخدعوني، صنعوا بأخي ما صنعوا، اللهم شتت عليهم أمرهم وأحصهم عددًا»[٣]، ثم كانت نتيجة غدرهم وخذلانهم له استشهاده رضي الله عنه هو وعامة من كان معه من أهل بيته، بعد أن تفرق عنه هؤلاء الخونة، فكان مقتله رضي الله عنه معيبة عظيمة، ومأساة جسيمة يتفطر لها قلب كل مسلم[٤].

٤- قول علي بن الحسين - رحمه الله -: ثبت عنه أنه قال: يا أهل العراق أحبونا حب الإسلام، ولا تحبونا حب الأصنام، فما زال بنا حبكم حتى صار علينا شينًا[٥]. وعنه رحمه الله، أنه جاءه نفر من أهل العراق، فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فلما فرغوا قال لهم: ألا تخبروني، أنتم المهاجرون الأولون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون؟ قالوا: لا، قال: فأنتم الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شُحَّ نفسه، فأولئك هم المفلحون؟، قالوا: لا، قال: أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ اخرجوا فعل الله بكم[٦]!!.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٣).
(٢) حلية الأولياء (٢/ ٣٧).
(٣)، (٤) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٠٢).
(٥) المصدر السابق (٤/ ٣٩٠).
(٦) الحلية (٣/ ١٣٧).

٥- قول محمد بن على «الباقر»: عن محمد بن على أنه قال: أجمع بنو فاطمة على أن يقولوا فى أبى بكر وعمر، أحسن ما يكون من القول[١]. وعنه - رحمه الله - أنه قال لجابر الجعفى: إن قومًا بالعراق يزعمون أنى أمرتهم بذلك؛ فأخبرهم أنى أبرأ إلى الله تعالى منهم، والله برئ منهم، والذى نفس محمد بيده لو وليت لتقربت إلى الله بدمائهم، لا نالتنى شفاعة محمد إن لم أكن أستغفر الله لهما، وأترحم عليهما، إن أعداء الله غافلون عنهما[٢]، وعن بسام الصيرفى قال: سألت أبا جعفر عن أبى بكر وعمر فقال: والله إنى لأتولاهما وأستغفر لهما. وما أدركت أحدًا من أهل بيتى إلا وهو يتولاهما[٣].

٦- قول زيد بن على رحمه الله: عن زيد بن على أنه قال: كان أبو بكر إمام الشاكرين. ثم تلا: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ثم قال: البراءة من أبى بكر هى البراءة من على[٤] رضى الله عنهما، فإن شئت فتقدم، وإن شئت فتأخر[٥].

٧-قول جعفر بن محمد (الصادق): عن عبد الجبار بن عباس الهمدانى، أن جعفر بن محمد أتاهم وهم يريدون أن يرتحلوا من المدينة فقال: إنكم إن شاء الله من صالحى أهل مصركم، فأبلغوا عنى من زعم أنى إمام معصوم مفترض الطاعة، فأنا منه برىء[٦]، ومن زعم أنى أبرأ من أبى بكر وعمر، فأنا منه برئ. وعن سالم بن عبد الله بن عمر أنه قال له: يا سالم تولهما وابرأ من عدوهما، فإنهما كانا إمامَىْ هدى. ثم قال جعفر: أيسب الرجل جده؟، أبو بكر جدى، لا نالتنى شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما وأبرأ من عدوهما[٧]. وعن جعفر بن محمد أنه كان يقول: ما أرجو من شفاعة على شيئًا، إلا وأنا أرجو من شفاعة أبى مثله، لقد ولدنى مرتين[٨].

وعنه - رحمه الله - أنه سُئِلَ عن أبى بكر وعمر، فقال: إنك تسألنى عن رجلين قد أكلا من ثمار الجنة[٩]، وعنه أنه قال: برئ الله ممن تبرأ من أبى بكر وعمر[١٠]، قال الذهبى معقبًا على هذا الأثر: قلت: هذا القول متواتر عن جعفر الصادق، أشهد بالله إنه لبار فى قوله غير منافق لأحد، فقبح الله الرافضة[١١].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/٤٠٦).
(٢) الاعتقاد للبيهقى ص (٣٦١).
(٣) سير أعلام النبلاء (٤/٤٠٣).
(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة (٧/١٣٠٢).
(٥) النهى عن سب الأصحاب للمقدسى ص ٧٥.
(٦) سير أعلام النبلاء (٦/٢٥٩).
(٧) سير أعلام النبلاء (٦/٢٥٨).
(٨) المصدر نفسه (٦/ ٢٥٥).
(٩) الانتصار للصحب والآل، ص ١١٩.
(١٠)، (١١) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٦٠).

فهـذه هي أقوال أئمـة أهل البيت، الطيـبين الطاهـرين، الذين تدعي الشيـعة الرافـضة إمامتهم وولايتهم، وينسبـون إليهم عقيدتهم موضحة ومبينة موقفـهم من الشيعة الرافضة، ومن دينهم، وبراءتهم منهم ومن كل ما يفعلونه بهم من عقائدهم الفاسدة، ومطاعنهم على خيـار الصحابة، وأمـهات المؤمنين، وأن هؤلاء الأئمة من أهـل البيت على عقـيدة السُّنَّة، ظاهرًا وباطنًا، فى كل كـبيـر وصغـير، فـهى عقـيدتهم التى بهـا يدينون، عليهـا يوالون ويعادون، وأن من نسب لهم غيـر ذلك فهو كاذب عليهم ظالم لهم، فرحـمهم الله رحمة واسعة ، وأخزى الله من ألصق بهم الأكاذيب[1].

الثالث عشر: وجهة نظر التقريب بين أهل السنة والشيعة:

لقد تبين لنا من خلال البحث مدى مـا عند الشيعة الروافض من ضلال وبدع وانحراف عن كتاب الله وسُنَّة رسوله والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، ومدى الأخطار والأضرار الكبيرة التى احتـوت عليها كتبهم المعتمـدة فى مجال التفسير والتوحـيد والحديث وغيرها، وأنها تصيب المسلمين فى صميم دينهم، وفى أصـول اعتقادهم، وكل دعوة تقريب تستلزم ضمنًا الاعتـراف بهذه الكتب، التى لا يصل الكيد الاستشـراقى والتبشيرى إلى مسـتوى ما وصلت إليه من محاولات لتغيير دين الله وشرعه باسم الإسلام، بل إن الاستشراق والتبشير من معينها يرتوى، وعلى شـبهاتها وأساطيرها يعتمـد فى إفساده وتآمره على الدين وأهله، ولهذا فإن هناك علاقة وثيقة بل تشابهًا تامًا بين شبهات المستشرقين والمبشرين، وآراء الشيعة والروافض، وليس هذا بجديد - وهذه العلاقة تستحق أن يفـرد لها رسالة علمية خاصة - فمن قديم كـان الأعداء يستخدمـون (آراء) الشيعة الروافض تكأة لهم فى مـحاربة الإسلام وأهله، بل كان جنود الشيعة الروافض أمضى سلاحًا فى يد الأعداء، وكان التشيع الرافضى مأوى لكل من أراد هدم الإسلام من ملحد وحاقد ومـوتور، وأيام التاريخ مليئة بمؤامراتهم وخياناتهم ومـؤازرتهم للأعداء، ومن أبرز الأسباب فى ذلك أن هؤلاء الشـيعة الروافض لا يؤمنون بشرعـية حكومة إسلامـية إلا حكومة المنتظر الذى غاب أكـثر من أحد عشـر قرنًا، ولهذا وجد الأعداء مدخلاً إلى قلوبهم من هذا الطريق[2]. قال ابن تيمية رحمه الله: وكثير منهم يواد الكفار من وسط قلبه أكثر من مودته للمسلمين، ولهذا لما خرج الترك الكفار من جهـة المشرق وقـتلوا المسلمين وسـفكوا دماءهم ببـلاد خراسـان والعراق والشـام والجزيرة وغيرها، كانت الرافضة معاونة لهم على المسلمين، وكذلك كانوا بالشام وحلب وغيرها من

(١) الانتصار للصحب والآل، ص ١٢٠ .

(٢) مسألة التقريب (٢/ ٢٦١ إلى ٢٧٨).

الرافضة كانوا من أشد الناس معاونة لهم على قتال المسلمين، وكذلك النصارى الذين قاتلوا المسلمين بالشام، كانت الرافضة من أعظم المعاونين لهم، فهم دائمًا يوالون الكفار - من المشركين والنصارى - ويعاونونهم على قتال المسلمين ومعاداتهم[1]، ويكفى للتأكيد على ذلك شواهد تاريخية منها:

١- **مؤامرة ابن العلقمى الرافضى فى إسقاط بغداد ٦٥٦هـ:** وملخص الحادثة أن ابن العلقمى كان وزيرًا للخليفة العباسى المستعصم وكان الخليفة على مذهب أهل السُّنَّة، كما كان أبوه وجده، ولكن كان فيه لين وعدم تيقظ، فكان هذا الوزير الرافضى يخطط للقضاء على دولة الخلافة، وإبادة أهل السُّنَّة، وإقامة دولة على مذهب الشيعة الرافضة، فاستغل منصبه، وغفلة الخليفة لتنفيذ مؤامراته ضد الخلافة، وكانت خيوط مؤامراته تتمثل فى ثلاث مراحل:

(أ) **المرحلة الأولى:** إضعاف الجيش، ومضايقة الناس حيث سعى فى قطع أرزاق عسكر المسلمين. قال ابن كثير رحمه الله: وكان الوزير ابن العلقمى يجتهد فى صرف الجيوش، وإسقاط اسمهم من الديوان فكانت العساكر فى آخر أيام المستنصر قريبًا من مئة ألف مقاتل.. فلم يزل يجتهد فى تقليلهم، إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف[2].

(ب) **المرحلة الثانية:** مكاتبة التتار: يقول ابن كثير رحمه الله: ثم كاتب التتار وأطمعهم فى أخذ البلاد وسهل عليهم ذلك، وحكى لهم حقيقة الحال وكشف لهم ضعف الرجال[3].

(جـ) **المرحلة الثالثة:** النهى عن قتال التتار وتثبيط الخليفة والناس: فقد نهى العامة عن قتالهم[4]، وأوهم الخليفة وحاشيته أن ملك التتار يريد مصالحتهم، وأشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم، ونصفه للخليفة، فخرج الخليفة إليه فى سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء، والأمراء والأعيان، فتم بهذه الحيلة قتل الخليفة ومن معه من قواد الأمة وطلائعها، بدون أى جهد من التتار. وقد أشار أولئك الملأ من الشيعة الرافضة وغيرهم من المنافقين على هولاكو أن لا يصالح الخليفة، وقال له الوزير ابن العلقمى: متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عامًا أو عامين، ثم يعود الأمر إلى ما كانت عليه قبل ذلك، وحسنوا له قتل الخليفة، ويقال: إن الذى أشار بقتله الوزير ابن العلقمى، ونصير الطوسى[5]، ثم مالوا على البلد فقتلوا جميع

(١) منهاج السُّنَّة (٢/ ١٠٤).

(٢)، (٣) البداية والنهاية (١٣/ ٢٠٢).

(٤) منهاج السُّنَّة (٣/ ٣٨).

(٥) كان النصير عند هولاكو قد استصحبه فى خدمته لما فتح قلاع الألموت وانتزعها من أيدى الإسماعيلية، البداية والنهاية (١٣/ ٢٠١).

من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشباب، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى، ومن التجأ إليهم، وإلى دار الوزير ابن العلقمى الرافضى، وقد قتلوا من المسلمين ما يقال إنه بضعة عشر ألف ألف إنسان أو أكثر أو أقل، ولم ير الإسلام ملحمة مثل ملحمة الترك الكفار المسمين بالتتر، وقتلوا الهاشميين، وسبوا نساءهم من العباسيين وغير العباسيين، فهل يكون مواليًا لآل رسول الله ﷺ من يسلط الكفار على قتلهم وسبيهم وعلى سائر المسلمين[1].

وقتل الخطباء والأئمة، حملة القرآن، وتعطلت المساجد، والجماعات، مدة شهور ببغداد[2].

وكان هدف ابن العلقمى: أن يزيل السُّنَّة بالكلية وأن يظهر البدعة الرافضة، وأن يبنى للرافضة مدرسة هائلة، ينشرون بها مذهبهم، فلم يقدره الله على ذلك، بل أزال نعمته عنه وقصف عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة، وأتبعه بولده[3].

٢- الدولة الصفوية: فى الدولة الصفوية والتى أسسها الشاه إسماعيل الصفوى، فرض تشيع الاثنى عشرية على الإيرانيين قسرًا، وجُعل المذهب الرسمى لإيران وكان إسماعيل قاسيًا متعطشًا للدماء إلى حد لا يكاد يصدق[4]، ويشيع عن نفسه أنه معصوم وليس بينه وبين المهدى فاصل، وأنه لا يتحرك إلا بمقتضى أوامر الأئمة الاثنى عشر[5]، ولقد تقلد سيفه وأعمله فى أهل السنَّة، وكان يتخذ سب الخلفاء الثلاثة وسيلة لامتحان الإيرانيين، وقد أمر الشاه أن يعلن السب فى الشوارع، والأسواق، وعلى المنابر، منذر المعاندين بقطع رقابهم، وكان إذا فتح مدينة أرغم أهلها على اعتناق الرفض بقوة السلاح[6]، ولقد آزر شيوخ الروافض سلاطين الصفويين فى الأخذ بالتشيع إلى مراحل من الغلو، وفرض ذلك على مسلمى إيران بقوة الحديد والنار، وكان من أبرز هؤلاء الشيوخ شيخهم على الكركى[7]، الذى يلقبه الشيعة بالمحقق الثانى قربه الشاه طهماسب، ابن الشاه إسماعيل وجعله الآمر المطاع فى الدولة، وكذلك كان من شيوخ الدولة الصفوية المجلسى، والذى شارك السلطة فى التأثير على المسلمين فى إيران، حتى يقال إن كتابه «حق اليقين» كان سببًا

(١) منهاج السُّنَّة (٣/٣٨).
(٢) البداية والنهاية (١٢/٢٠٣).
(٣) المصدر السابق (١٣/٢٠٢ - ٢٠٣).
(٤) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق، علي الوردى، ص ٥٦.
(٥) الفكر الشيعى والنزعات الصوفية، كامل الشيبى، ص ٤١٣.
(٦) أصول الشيعة الإمامية (٣/ ١٤٧٥).
(٧) المصدر نفسه (٣/١٤٧٦).

فى تشيع سبعين ألف سنى من الإيرانيين[١]، والأقرب أن هذا من مبالغـات الشيعة، فإن الرفض فى إيران لم يجد مكانه إلا بالقوة والإرهاب لا بالفكر والإقناع[٢].

ولا ينسى الجـانب الآخر من أثر الدولة الـصفـوية، وذلك فى حروبهـا لدولة الخلافـة الإسلامية العثمانية، وتعاونها مع الأعداء من البرتغال ثم الإنجليز ضد المسلمين، وتشجيعها لبناء الكنائس ودخول المبشرين والقسس، مع محاربتهم للسُّنَّة وأهلها[٣].

هذه بعض آثار دولهم وأفـرادهم فى هذا المجـال، ومن كلمات ابن تيـميـة رحمـه الله الخالدة والمهمة فى هذا الموضـوع، والتى إذا طبقتها على الواقع، وإذا استـقرأت من خلالها وقائع التاريخ رأيت صدقـها كالشمس، قوله رحمه الله: فلينظر كل عاقل فـيما يحدث فى زمانه، ومـا يقرب من زمانه من الفتن والشرور والفـساد فى الإسلام فإنه يجـد معظم ذلك من قبل الرافضـة، وتجدهم من أعظم الناس فتنًا وشرًا، وأنهم لا يقعـدون عما يمكنهم من الفتن والشـرور وإيقاع الفـساد بين الأمـة[٤]، ونحن قـد علمنا بالمعاينة والتـواتر أن الفتن والشرور العظيمة التى لا تشابهها فتن، إنما تخرج عنهم[٥].

فمع من نتـحد يا معشر أهل السُّـنَّة؟، مع من يطعن فى قرآننا ويفسره على غـير تأويله ويحرف الكلم عن مـواضعه، ويكفِّر الصديق والفـاروق وأم المؤمنين وأحب نساء النبى ﷺ إليه عائشة رضى الله عنها، وطلحة والزبير وغـيرهم من أجلة الصحابة رضوان الله عليهم، ويخادع المسلمين باسم التقية[٦].

٣- من التجارب المعاصرة فى التقريب:

(أ) **تجربة مصطفى السباعى:** بذل الدكتور مـصطفى السباعى عدة مـساع مع بعض علماء الشيعة فى مسألة التقريب، وسعى لعقد مؤتمر إسلامى لدراسة السبل الكفيلة لإرساء دعائم الألفة والمودة والتـقارب بين الفريقـين، وكان يرى من أكـبر العوامل فى التـقريب أن يزور علماء الفريقين بعضهم بعضًـا، وأن تصدر الكتب والمؤلفات التى تدعو إلى التقارب، وكان يرى عدم إصدار الـكتب التى تثير ثائرة أحد الطرفـين، وقام مصطفى السبـاعى بزيارة أحد مراجع الشـيعة الكبـار، ومن يُعد عندهم من أكبـر دعاة الوحدة الإسـلامية والتـقريب بين المذاهب والدعوة إلى توحيد الصف وجمع الكلمة، وهو شيـخهم عبد الحسين شرف الدين

(١) عقيدة الشيعة، دونلدسن، ٣٠٢ .
(٢)، (٣) أصول الشيعة الإمامية (١٤٧٨/٢).
(٤) منهاج السُّنَّة (٢٤٣/٣).
(٥) المصدر السابق (٢٤٥/٣).
(٦) مسألة التقريب (٢٨٠/٢).

الموسوى فألفاه متحمسًا لهذه الفكرة ومؤمنًا بها، واتفق معه على عقد مؤتمر إسلامى بين علماء السنَّة والشيعة لهذا الغرض، كما قام السباعى بزيارة وجوه الشيعة من سياسيين وتجار وأدباء للغرض نفسه، وخرج من هذه الاتصالات فرحًا لحصوله على تلك النتائج، وما كان يخطر ببال السباعى - رحمه الله - أو يدور بخلده ما تنطوى عليه نفوس القوم من أهداف، وما يرمون إليه من وراءَ دعوة التقريب من خطط، حتى فوجئ السباعى - كما يقول - بعد فترة بأن هذا الموسوى المتحمس للتقريب قام بإصدار كتاب فى أبى هريرة رضى الله عنه ملئ بالسباب والشتائم، بل انتهى فيه إلى القول بأن أبا هريرة رضى الله عنه كان منافقًا كافرًا، وأن الرسول قد أخبر عنه بأنه من أهل النار[1]، ثم يقول السباعى: لقد عجبت من موقف عبد الحسين فى كلامه وفى كتابه معًا، ذلك الموقف الذى لا يدل على رغبة صادقة فى التقارب ونسيان الماضى[2]، ويذكر السباعى أن غاية ما قدم شيوخ الشيعة تجاه فكرة التقريب هى جملة من المجاملة فى الندوات والمجالس، مع استمرار كثير منهم فى سب الصحابة وإساءة الظن بهم، واعتقاد كل ما يروى فى كتب أسلافهم من تلك الروايات والأخبار[3]، ويذكر أنهم وهم ينادون بالتقريب لا يوجد لروح التقريب أثر لدى علماء الشيعة فى العراق وإيران، فلا يزال القوم مصرين على ما فى كتبهم من ذلك الطعن الجارح والتصوير المكذوب لما كان بين الصحابة من خلاف، كأن المقصود من دعوة التقريب هى تقريب أهل السُّنَّة إلى مذهب الشيعة[4]، ويذكر السباعى: أن كل بحث علمى فى تاريخ السُّنَّة أو المذاهب الإسلامية لا يتفق مع وجهة نظر الشيعة يقيم بعض علمائهم النكير على من يبحث فى ذلك، ويتسترون وراء التقريب ويتهمون صاحب هذا البحث بأنه متعصب معرقل لجهود المصلحين فى التقريب، ولكن كتابًا ككتاب عبد الحسين شرف الدين فى الطعن فى أكبر صحابى موثوق فى روايته للأحاديث فى نظر أهل السُّنَّة لا يراه أولئك العائبون أو الغاضبون عملاً معرقلاً لجهود الساعين إلى التقريب، ويقول : لست أحصر المثال بكتاب: «أبى هريرة» المذكور، فهناك كتب تطبع فى العراق وفى إيران وفيها من التشنيع على جمهور الصحابة ما لا يتحمل سماعه إنسان ذو وجدان وضمير، مما يؤجج نيران التفرقة من جديد[5]، هذه تجربة الشيخ السباعى رحمة الله، ومحاولته أفلست أمام تعصب شيوخ الشيعة وإصرارهم فى عدوانهم على خير جيل وُجِدَ فى خير القرون[6].

(١) السنة ومكانتها، ص ٩.
(٢) المصدر السابق ، ص ١٠
(٣)، (٤) المصدر السابق ، ص٩ - ١٠
(٥) المصدر السابق ص ١٠
(٦) مسألة التقريب (٢/١٩٨).

لقد أصبح التقريب في مفهوم الشيعة الرافضة، أن يتاح لهم المجال لنشر عقائدهم في ديار السُّنَّة، وأن يستمروا في نيلهم من أصحاب رسول الله ﷺ، وأن يسكت أهل السُّنَّة عن بيان الحق، وإن سمع الروافض الحق يعلو هاجوا وماجوا قائلين إن الوحدة في خطر(١).

(ب) تجربة الشيخ موسى جار الله: هذا الشيخ الجليل من علماء روسيا فهو موسى بن جار الله التركستاني القازاني الروسي، شيخ مشايخ روسيا في نهاية العصر القيصري وبداية الحكم السوفيتي، كان صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في أمور مسلمي روسيا الذين كانوا يزيدون عن الثلاثين مليون نسمة، ثم هب عليه إعصار الشيوعية، فأصبح بعيدًا عن دياره وأهله، قام بتأليف رسائل وكتب، تنقل بين الهند والحجاز ومصر والعراق وإيران، قال عن نفسه: كان بوسعي أن أعد كاتب روسيا الأول وأحد زعماء الطليعة فيها لو أنني تخليت عن إيماني، ولكنني آثرت أن أشتري الآخرة بالدنيا(٢).

حاول هذا العالم الجليل أن يجمع شمل الأمة، وأن يوحد أهل السُّنَّة والشيعة وبذل جهودًا في هذا الجانب عظيمة، فبدأ بدراسة كتب الشيعة وطالعها باهتمام كما يذكر أنه طالع (أصول الكافي وفروعه) و(من لا يحضره الفقيه)، وكتاب (الوافي) و(مرآة العقول) و(وبحار الأنوار) و(غاية المرام) وكتبًا كثيرة وغير هذه الكتب (٣)، ثم زار ديار الشيعة وعاش فيها أكثر من سبعة أشهر يزور معابدها ومشاهدها ومدارسها ويحضر محافلها وحفلاتها في العزائم والمآتم، ويحضر حلقات الدروس في البيوت والمساجد وصحونها، والمدارس وحجراتها، وأقام بالنجف أيام المحرم ورأى كل ما تأتي به الشيعة أيام العزاء ويوم عاشوراء. وخرج هذا العالم بنتيجة علمية، فرأى ببصيرته النافذة وعلمه الغزير أن نقد عقائد الشيعة وواقعها هو أول مرحلة من تأليف قلوب الأمة، لا تأليف بدونها، وكان أول مساعيه في التقريب لقاؤه مع شيخ الشيعة محسن الأمين في طهران، وجرى بينهما بعض الحديث ثم قدم له الشيخ موسى ورقة صغيرة كان تاريخ الرسالة ١٩٣٤/٨/٢٦ وأرسل منها نسخة إلى علماء النجف، وأخرى إلى علماء الكاظمية، فكتب فيها: أقدم هذه المسائل لأساتذة النجف الأشرف بيد الاحترام، بأمل الاستفادة بقلب سليم صادق، كله رغبة في تأليف عالمي الإسلام الشيعة الإمامية الطائفة المحقة -يعني على زعمهم-(٤)، وعامة أهل السُّنَّة والجماعة راجيًا إجابة الأساتذة جميعًا أو فرادى، وكل ببيانه البليغ، وبتوقيع يده

---

(١) مسألة التقريب (١٩٨/٢).
(٢) المصدر نفسه (٢٠١/٢).
(٣) الوشيعة، ص ١٩ مسألة التقريب (١٩٩/٢).
(٤) مسألة التقريب (٢٠٥/٢).

مؤكدًا بخـاتمه ومهره، ثم أورد فى الرسالة ما فى كـتب الشيعة من أمور منكرة مـشيرًا إلى أرقام الصفحات فى كل ما يذكره، فذكر عدة قضايا خطيرة فى كتب الشيعة الرافضة، تحول بين الأمة والائتلاف مثل:

* تكفير الصحابة.

* اللعنات على العصر الأول.

* تحريف القرآن الكريم.

* حكومات الدول الإسلامية وقضاتها وكل علمائها طواغيت فى كتب الشيعة.

* كل الفرق الإسلامية كافرة ملعونة خالدة فى النار إلا الشيعة.

* الجهاد فى كـتب الشيعة مع غـير الإمام المفتـرض طاعته حرام مـثل حرمة الميتـة وحرمة الخنزير، ولا شهيد إلا للشيعة، ، والشيـعى شهيد ولو مات على فراشه، والذين يقاتلون فى سبيل الله من غير الشيعة فالويل يتعجلون.

ثم قال الشيخ بعد ما نقل شـواهد هذه المسائل من كتب الشيعة المعتمدة مـخاطبًا شيوخ الشيعة: هذه ست من المسائل، عـقيدة الشيعة فيها يقين. فهل يبـقى لتوحيد كلمة المسلمين فى عالم الإسلام من أمل وهذه عقيدة الشيعة؟.

وهل يبقى بعـد هذه المسائل، وبعد هذه العـقيدة لكلمة الـتوحيد فى قلوب أهليـها من أثر؟.

وهل يمكن أن يكون للأمم الإسلامية - ولهم هذه العقيدة - فى سبيل غلبة الإسلام فى مستقبل الأيامَ من سعى؟ ثم أردف ذلك بمسائل منكرة أخرى مثل:

* رد الشيعـة لأحاديث الأمة ودعواهم أن كل مـا خالف الأمة فيـه الرشاد. ويرى أن هذا المبدأ هدم لدين الشيعة قبل أن يهدم دين الإسلام.

* وما فى كـتبُ الشيعة من أبواب فى آيات وسـور نزلت فى الأئمة والشيـعة، وفى آيات وسور نزلت فى كفر أبى بكر وعمر وكفر من اتبعهما.

* وغلو الشيعة فى التقية.

* ثم ذكر أباطيل أخرى شنيعة فى كتب الشيعة مثل:

- أن رسول الله ﷺ طلق عائشة فخرجت من كونها أم المؤمنين.

- أن القائم عندما يقوم يقيم الحد على عائشة انتقامًا لأمه ابنة النبى ﷺ فاطمة عليها وعلى أبيها وأولاده الصلاة والسلام.

- أن القائم إذا ظهر يهدم مساجد الإسلام.

* ثم ذكر أن دين الشيعة روحه العداء، وأن ما فى كتب الشيعة من حكايات العداء بين الصديق والفاروق، وبين أن كلها موضوعة.

* وذكر أن كتب الشيعة تقول على لسان بعض الأئمة: إن الأمة وإن كانت لها أمانة وصدق ووفاء، لا تكون مؤمنة لإنكارها الولاية.

وأن الشيعة وإن لم يكن عندها شىء من الدين لا عتب لها لأنها تدين بولاية إمام عادل. وذكر مسائل أخرى ثم قال: فتفضلوا أيها الأساتذة السادة بالإفادة حتى يتحد الإسلام وتجتمع كلمة المسلمين حول كتاب الله المبين، فماذا كان جواب الشيعة بهذه المسائل التى نقلتها من أمهات كتب الشيعة عرضًا على سبيل الاستيضاح، عملاً بأمر الله فى كتابه: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣، الأنبياء ٧٠]، يقول: ثم انتظرت سنة وزيادة، ولم أسمع جوابًا من أحد إلا من كبير مجتهدى الشيعة بالبصرة، قد قام بوظيفته وتفضل علىَّ بكل أجوبته فى كتاب تزيد صفحاته على تسعين، بكلمات فى الطعن فى العصر الأول أشد وأجرح من كلمات كتب الشيعة، ثم كتب الشيخ موسى كتابه (الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة)، بعد أن لم ير استجابة من شيوخ الشيعة، ويقول إننى أدافع بذلك عن شرف الأمة وحرمة الدين، وأقضى به حقوق العصر الأول علىَّ وعلى كل الأمة(١).

وإذا كان الشيخ موسى جار الله يرى فى نشره كتاب (الوشيعة) وفى نصحه لشيوخ الشيعة أن ذلك أول تدبير فى التأليف والتقريب فإن شيوخ الشيعة ترى أن ما كشفه الشيخ موسى يجب أن يكون دفينًا ويستفزهم مثل هذا الكشف غاية الاستفزاز، والسبب فى

(١) الوشيعة ص٣٩، مسألة التقريب (٢/ ٢٠٨).

انزعاج شيوخ الشيعة من أى كشف لما فى كتبهم من أباطيل أن فى ذلك فضحًا لأغراضهم ومآربهم، وكشفًا لاستغلالهم لجمهور البسطاء من الشيعة، دينيًا باسم النيابة عن المعصوم المنتظر، وماليًا باسم خُمس هذا المنتظر[1].

(٤) **المنهج السليم للتقريب:** هو أن يقوم علماء السُّنَّة بجهد كبير لنشر اعتقادهم الصحيح المنبثق من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، وبيان صحته وتميزه عن مذاهب أهل البدع، وكشف مؤامرات الشيعة الرافضة وأكاذيبهم وما يستدلون به من كتب أهل السنّة والرد على الشبهات الموجهة لأهل السنَّة بعلم وعدل وبرهان، ولابد من مصاحبة ذلك كله ببيان لانحرافات الشيعة الرافضة، وكشف ضلالاتهم وأصولهم الفاسدة، وإذا كان أئمة السنّة قد شاركوا فى ذلك فإنه يجب مضاعفة الجهد وأن يكون جهدًا جماعيًا مخططًا له.

إن المنهج الأصيل للتقريب هو بيان الحق وكشف الباطل وتقريب الشيعة إلى كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ، وفهم الإسلام الصحيح، من خلال علماء أهل السُّنَّة وعلى رأسهم فقهاء وعلماء أهل البيت كأمير المؤمنين على وأبنائه وأحفاده من العلماء، ولابد من الوقوف فى وجه المد التبشيرى الرافضى، الذى يشين لأهل البيت الأطهار، والذى ينشط اليوم بشكل قوى فى العالم الإسلامى، وفى أوروبا وأمريكا، وحتى يجتمع المسلمون على كلمة سواء، ويعتصموا بحبل الله جميعًا ولا يتفرقوا.

وإذا كان لا يجدى مع بعض علماء الشيعة الرافضة الاحتجاج عليهم بالقرآن والسُّنَّة والإجماع، وبيان الحق بهذه الأصول لمخالفتهم لأهل السنة فى ذلك، فلا يعنى ذلك أن نتوقف عن بيان مذهب أهل السُنَّة وصحته، وبطلان مذهب الشيعة وضلاله فى تلك الأصول، فذلك سيحد من انتشار عقيدة الروافض بين أهل السنة - بإذن الله تعالى - .

وعلينا أن نبحث عما يكشف باطلهم من كتبهم نفسها، وهذا المنهج لم يسلكه علماؤنا المتقدمون الذين اهتموا بالرد على الروافض، وتفنيد حججهم ودحض دعاواهم، ولعل السبب فى ذلك أن كتب القوم لم يكن لها ذلك الذيوع والانتشار، وكانت موضع التداول الخاص بهم، أو أن السبب أن هناك بعض كتبهم الأساسية قد وضعت من المتأخرين ونسبت للمتقدمين، أو زيد عليها فى العصور المتأخرة «الدولة الصفوية»، أيا كان السبب هذا أو ذاك أو جميعًا فإن كتب الروافض اليوم قد انتشرت ودان بقدسيتها وآمن بصحتها الكثير من الشيعة الرافضة، فهم لا يؤمنون إلا بما جاء فيها ولا يحتجون إلا بها، ويردون بها السنَّة

(١) مسألة التقريب.

الصحيحة بل نصوص الكتاب الظاهرة بل منهم من يصدق أساطيرها التى تمس كتاب الله العظيم، وتزعم الوحى للأئمة وعلم الغيب، فليكن تصحيح وضع الشيعة من كتبهم، وكشف ضلالهم من رواياتهم، ومنطلق التقريب الصحيح من مدوناتهم(١).

وقد قامت جهود مشكورة فى هذا المجال وظهرت بعض الكتب، مثل «الإمامة والنص»، فيصل نور، «ثم أبصرت الحقيقة»، محمد سالم الخضر، و «أصول الشيعة الإمامية الاثنى عشرية»، د. نصر عبد الله بن على القفارى، و«دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين»، للدكتور أحمد جلى. إن هذا المسلك ينبغى أن يدرس بعناية واهتمام، فإن القارئ لكتب الشيعة يتلمس خيوطًا بيضاء وسط ركام هائل من الضلال، ومن الممكن أن ينسج من هذه الخيوط العقيدة الحقة للأئمة الموافقة للكتاب والسنّة الصحيحة، من الضياع والتيه الذى يعيشونه، وهذه الخيوط كما تشمل الأصول تشمل الفروع وعلى ذلك يمكن اللقاء والتقارب(٢). كما أنه ينبغى التنويه وتشجيع الأصوات الإصلاحية الشيعية الصادقة واحترامهم وتقديرهم، والوقوف معهم فى نصيحة أقوامهم، كالذى قام به السيد حسين الموسوى - رحمه الله - فى كتابه «لله ثم التاريخ، كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار»، وكالجهد العلمى الذى قام به السيد أحمد الكاتب مشكورًا فى كتاب «تطور الفكر السياسى الشيعى من الشورى إلى ولاية الفقيه»، وعلينا أن نقف مع كل محب صادق لأهل البيت مقتفيًا لآثارهم الصحيحة وهديهم الجميل فى إرشاد الناس لكتاب الله وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام، ونعاملهم بكل احترام وتقدير، ونأخذ بأيديهم نحو شواطئ الأمان، ونبين لهم أن القرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم فى تعرف أحكام الإسلام، ويفهم القرآن الكريم طبقًا لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف، ويرجع فى فهم السنّة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات(٣)، وأن كل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلا المعصوم ﷺ وكل ما جاء عن السلف رضى الله عنهم موافقًا للكتاب والسنّة قبلناه، وإلا فكتاب الله وسنّة رسوله أولى بالاتباع، ولكننا لا نعرض للأشخاص فيما اختلفوا فيه بطعن أو تجريح، ونكلهم إلى نياتهم وقد أفضوا إلى ما قدموا(٤)، وكل بدعة فى دين الله لا أصل لها استحسنها الناس بأهوائهم سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه ضلالة تجب محاربتها(٥) والقضاء عليها بأفضل الوسائل التى لا تؤدى إلى ما هو شر منها، ومحبة الصالحين

(١) مسألة التقريب (٢/ ٢٨٢، ٢٨٣). (٢) المصدر نفسه (٢/ ٢٩٦).

(٣) النهج المبين لشرح الأصول العشرين د. عبد الله الوشلى، ص١٢٦.

(٤) المصدر نفسه، ص١٥٧. (٥) المصدر نفسه، ص٢٤٣.

واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم قربة إلى الله تبارك وتعالى، والأولياء هم المذكورون فى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣]، والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية مع اعتقاد أنهم رضوان الله عليهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا فى حياتهم أو بعد مماتهم فضلاً عن أن يهبوا شيئًا من ذلك لغيرهم[١]. وزيارة القبور أيًا كانت سُنَّة مشروعة بالكيفية المأثورة، ولكن الاستعانة بالمقبورين وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد والنذر لهم وتشييد القبور وسترها والتمسح بها والحلف بغير الله وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها، ولا نتأول لهذه الأعمال سدًا للذريعة[٢]، والعرف الخاطئ لا يغير من حقائق الألفاظ الشرعية، بل يجب التأكد من حدود المعانى المقصود بها والوقوف عندها كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظى فى كل نواحى الدنيا والدين، فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء[٣]. والإسلام يحرر العقل، ويحث على النظر فى الكون، ويرفع قدر العلم والعلماء ويرحب بالصالح والنافع من كل شىء، والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها[٤]، ولا نكفر مسلمًا أقر بالشهادتين، وعمل بمقتضاها وأدى الفرائض، برأى أو معصية إلا إن أقر بكلمة الكفر، أو أنكر معلومًا من الدين بالضرورة أو كذب صريح القرآن أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال، أو عمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر[٥].

إن مثل هذه الأصول والمفاهيم تعين الناس عمومًا فى فهم الإسلام المتمثل فى كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ومنهج أهل السُّنَّة والجماعة، الذى أصَّل لأصوله رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدون المهديون، ومن سار على نهجهم من العلماء والفقهاء.

إن أهل الحق المتمسكين بنهج أهل السُّنَّة، ليس عندهم بدع بحمد الله، ومستندهم القرآن والسُّنَّة الصحيحة، ولا يمكنهم التنازل عن شىء من ذلك مما قد يجعل الدين عرضة للمساومة، وأما الشيعة الرافضة فعندهم من البدع الشىء الكثير لا يمنعهم شىء من التنازل عنها إلا التعصب واتباع الهوى والمصالح المادية لبعض شيوخهم المنحرفين عن هدى أمير المؤمنين على وعلماء أهل البيت رضى الله عنهم جميعًا، وذكر العلماء أن أهل السُّنَّة عليهم إنكار بدع المبتدعة، وإن كان المبتدع متعبدًا بها معتقدًا صوابه، ولا بأن أن نقيد إنكارنا على هذه البدع بالقيد المصلحى وفق قاعدة الترجيح بين المفاسد والمصالح المتعارضة بأن نحتمل

(١) النهج المبين لشرح الأصول العشرين، ص٢٥٩.
(٢) المصدر نفسه، ٢٧٩.
(٣) المصدر نفسه، ص٣٠٥.
(٤) المصدر نفسه، ص٣٢٣.
(٥) المصدر نفسه، ص٣٤٣.

المفسدة اليسيرة من أجل درء المفسدة الكبيرة، ونحتمل تفويت المعروف الأصغر حرصًا على جلب المعروف الأكبر، وهذه قاعدة صحيحة عند الفقهاء، والعمل بهذه القاعدة قد يجعلنا نسكت عن إنكار بدعة الشيعة الرافضة في وقت من الأوقات أو في مكان من الأمكنة سدًا للذريعة وخروجًا عن أصل الإنكار إذا كان الإنكار يؤدي إلى هياج الفتن وإراقة الدماء والاقتتال بين أهل بلد يتكافأ فيه عدد الشيعة مع عدد أهل السنّة، وأما في الأحوال الاعتيادية التي لا تكون هناك مفسدة تصاحب هذا الإنكار يكون مستساغًا أو واجبًا[1].

وعلى علماء أهل السنّة أن يلتزموا أسلوب البحث العلمي الهادئ في مناقشة بدع المبتدعة، وأن يترفقوا معهم، وقد يكون من تمام الترفق زيارتهم ومعاونتهم في الحدود التي لا خلاف فيها أو نجدتهم في الملمات وأيام المصاعب أو نصرهم إذا كانوا في نزاع مع كافر أو ظالم، وفق السياسة الشرعية الخاضعة للمصالح والمفاسد، إلا أن هذا الأصل في التعاون وحسن العلاقة وهدوء البحث لا يمكن أن يطرد دائمًا، ليشمل من يأتي من الشيعة الرافضة بغلو قد يكون في السكوت عنه تحريك الغوغاء والدهماء، بل الواجب أن نُنكر على أهل الغلو الشديد والأقوال الشاذة في كل الأحوال، والحد المميز بين الطائفتين الأولى التي نترفق معها في الكلام، والثانية التي نغلظ لها الكلام إنما يكون كامنًا في مدى اعتماد القائل على نص شرعي يتكون منه شبهة له أو على تأويل قد تميل إليه بعض الأذهان، وأما من يتبع غرائب النقول عن المجاهيل والمتأخرين ومن لا تأويل له فالإنكار - من تجاهه أولى - وربما كان الإغلاظ له أوجب[2].

إن أهل الحل والعقد من أهل السنّة في المجتمعات الطائفية هم الذين يقدرون المواقف السياسية، والتحالفات الحزبية مع الطوائف الأخرى وفق فقه المصالح والمفاسد الذي تضبطه قواعد السياسة الشرعية، وهذا لا يمنع العلماء والدعاة من تعليم المسلمين أصول منهج أهل السنّة وتربيتهم عليه، والتحذير من العقائد المنحرفة المندسة في أوساط المسلمين، حتى لا يتأثروا بتلك الأفكار الفاسدة التي يجتهد دعاتها في نشرها بالليل والنهار، والسر والإعلان بدون ملل ولا كلل، وقد قام رسول الله ﷺ إبان هجرته للمدينة بعقد المعاهدات مع اليهود، والتي تؤمن لهم حياة كريمة في ظل الدولة الإسلامية، وكان القرآن الكريم في نفس الوقت يتحدث عن عقائد اليهود وتاريخهم وأخلاقهم، حتى يعرف المسلمون حقيقة الشخصية اليهودية، فلا ينخدعوا بها.

(١) مسألة التقريب (٢/ ٣٦٠).
(٢) المصدر نفسه (٢/ ٣٦١).

المبحث الثالث

الأيام الأخيرة فى حياة أمير المؤمنين على بن أبى طالب واستشهاده رضى الله عنه

أولاً: فى أعقاب النهروان:

كان قتال أمير المؤمنين رضى الله عنه لهذه الفرقة الخارجة المارقة دليلاً قويًا وحجة ظاهرة فى أنه مصيب فى قتاله لأهل الشام، وأنه أولى بالحق من معاوية، فقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق**»[1]. فالقارئ يتوقع أن الجيش سيكون أشد عزيمة فى قتال أهل الشام لما تيقن لديهم هذه البراهين وغيرها مما سبق، كمقتل عمار بن ياسر، رضى الله عنه، إلا أنه بالرغم من ذلك فالذى حدث عكس ما هو متوقع منهم، فالخطة التى رسمها أمير المؤمنين على رضى الله عنه هى الذهاب إلى الشام بعد الانتهاء من قتال الخوارج، لأن إدخال الشام تحت خلافته وإعادة وحدة الأمة هدف يجب تحقيقه وغاية يسعى إلى الوصول إليها، وما حربه للخوارج إلا تأمين للجبهة الداخلية خشية أن يقعوا بمن فى العراق من الذرارى أثناء غيابه -كما ذكر ذلك فى خطبته- ولكن تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن، إذ لم يستطع، رضى الله عنه، غزو الشام حتى استشهد[2]، فلقد كان لخروج الخوارج أثر فى إضعاف جيش أمير المؤمنين على رضى الله عنه، كما أن الحروب فى الجمل وصفين والنهروان، تسببت فى ملل أهل العراق للحرب ونفورهم منها، وخاصة أهل الشام فى صفين، فإن حربهم ليس كحرب غيرهم، فمعركة صفين الطاحنة لم تفارق مخيلتهم، فكم يُتمت أطفال ورملت نساء، بدون أن يتحقق مقصودهم، ولولا الصلح أو التحكيم الذى رحب به أمير المؤمنين على وكثير من أصحابه لكانت مصيبة على العالم الإسلامى لا يُتخيل آثارها السيئة، فكان هذا التخاذل عن المسير مع على رضى الله عنه إلى الشام مرة أخرى أحب إليهم وتميل إليه نفوسهم، وإن كانوا يعلمون أن عليًا على حق[3]، ومن المعضلات التى أوهنت جانب أمير المؤمنين على -رضى الله عنه- خروج فرقة تغالى فى تعظيم أمير المؤمنين على وترفعه إلى مقام الألوهية، حتى

(١) مسلم (٢/ ٧٤٥، ٧٤٦).

(٢)، (٣) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على، ص(٣٤٥).

بدا للبعض أن هذا رد فعل للخوارج الذين يتبرءون من على ويكفرونه[1]. ولكن هؤلاء كان مقصدهم سيئًا وهو إدخال معتقدات فاسدة على المسلمين لهدم الدين وإضعاف المسلمين عامة، وليس جيش على فقط[2]، ولقد تصدى لهم أمير المؤمنين على -رضى الله عنه- كما بينا- بحزم وقوة. ولا شك أن مباينة الخوارج وقتلهم أضعف جانب على كثيرًا، ثم تتابعت الفتوق على عليٍّ من بعد، فخرج الخريت بن راشد، وقيل اسمه الحارث بن راشد فى قومه من بنى ناجية، وكان من ولاة على على الأهواز، فدعا إلى خلع على، فأجابه خلق كثير واحتوى على البلاد وجبى الأموال، فبعث إليه جيشًا بقيادة معقل بن قيس الرياحى فهزمه وقتله[3]. وطمع أهل الخراج فى ناحية على فى كسر الخراج، وانتقض أهل الأهواز، ولابد أن عليًا واجه من أجل ذلك بعض الصعوبات المالية والعسكرية، وقد روى عن الشعبى فى هذا الخصوص قوله: لما قتل على أهل النهروان، خالفه قوم كثير، وانقضت عليه أطرافه، وخالفه بنو ناجية، وقدم ابن الحضرمى البصرة وانتقض أهل الأهواز، وطمع أهل الخراج فى كسره وأخرجوا سهل بن حنيف عامل على بن أبى طالب من فارس[4].

وفى الجانب الآخر كان معاوية، رضى الله عنه، يعمل بشتى الوسائل سرًا وعلانية على إضعاف جانب أمير المؤمنين على رضى الله عنه، واستغل ما أصاب جيشه من تفكك وخلاف، فأرسل جيشًا إلى مصر بقيادة عمرو بن العاص -رضى الله عنه- سيطر عليها وضمها إليه، وقد ساعده على ذلك عدة عوامل منها:

* انشغال أمير المؤمنين على -رضى الله عنه- بالخوارج.

* عامل أمير المؤمنين على -رضى الله عنه- على مصر محمد بن أبى بكر لم يكن على قدر من الدهاء كسلفه قيس بن سعد بن عبادة الساعدى الأنصارى، فدخل فى حرب مع المطالبين بدم عثمان، ولم يسايسهم كما كان يصنع الوالى السابق فهزموه.

* اتفاق معاوية مع المطالبين بدم عثمان فى مصر فى الرأى فساعده فى السيطرة عليها[5].

(١) نظام الخلافة فى الفكر الإسلامى، ص(١٥، ١٦) مصطفى حلمى.

(٢) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على، ص(٣٥٠).

(٣) تاريخ الطبرى (٦/ ٢٧-٤٧). (٤) المصدر نفسه (٦/ ٥٣).

(٥) مصنف عبد الرزاق، الطبقات لابن سعد (٣/ ٨٣) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على ص(٣٥١) سنده صحيح.

*بعد مصر عن مركز أمير المؤمنين على رضى الله عنه، وقربها من الشام.

*طبيعتها الجغرافية فهى متصلة بأرض الشام عن طريق سيناء وتمثل امتدادًا طبيعيًا، وقد أضافت مصر لمعاوية، رضى الله عنه، قوة بشرية واقتصادية كبيرة، وكذلك أرسل معاوية بعوثه إلى شمال الجزيرة العربية، ومكة والمدينة وإلى اليمن، ولكن لم تلبث هذه البعوث أن ردت على أعقابها عندما أرسل أمير المؤمنين على من يصدها[(١)]. وعمل معاوية، رضى الله عنه، على استمالة كبار أعيان القبائل وعمال على -رضى الله عنه-، فقد حاول سحب قيس بن سعد، رضى الله عنه، عامل على عليّ مصر إليه فلم يستطع، ولكنه استطاع أن يثير شك حاشية على ومستشاريه فيه فعزله[(٢)]، وكان عزل سعد بن قيس مكسبًا كبيرًا لمعاوية، كما حاول سحب زياد بن أبيه عامل على رضى الله عنه على فارس ففشل فى ذلك[(٣)]، وقد استطاع معاوية، رضى الله عنه، أن يؤثر على بعض الأعيان والولاة بسبب ما يمنيهم ويعدهم به، ولما يرونه من علو أمر معاوية، وتفرق أمر على رضى الله عنه إذ يقول فى إحدى خطبه: إلا أن بسرًا قد اطلع من قبل معاوية، ولا أرى هؤلاء القوم إلا سيظهرون عليكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم، وبطاعتهم أميرهم ومعصيتكم أميركم، وبأدائهم الأمانة وبخيانتكم، استعملت فلانًا فغل وغدر وحمل المال إلى معاوية، واستعملت فلانًا فخان وغدر وحمل المال إلى معاوية، حتى لو ائتمنت أحدهم على قدح خشيت على علاقته، اللهم إنى أبغضتهم وأبغضونى فأرحهم منى وأرحنى منهم[(٤)].

ثانيًا: استنهاض أمير المؤمنين على همة جيشه ثم الهدنة مع معاوية:

لم يستسلم أمير المؤمنين على رضى الله عنه لهذه المصائب، وهذا التقاعس والتخاذل، فقد بذل جهده فى استنهاض همة جيشه بكل ما أوتى من علم وحجة وفصاحة وبيان، فخطبه الحماسية المشهورة -التى اشتهرت عنه، تعتبر من عيون التراث- لم يقلها من فراغ أو خيال، بل من مر تجرعه وواقع أليم عاصره، فمن خطبه التى قالها لما أغير على أطرافه قال: أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة، وجُنّته[(٥)] الوثيقة. فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشمله

(١) تاريخ خليفة، ص(١٩٨) بدون سند
(٢) ولاة مصر، ص(٤٥-٤٦).
(٣) الاستيعاب (٢/ ٥٢٥-٥٢٦).
(٤) التاريخ الصغير للبخارى (١/ ١٢٥) بسند منقطع وله شواهده.
(٥) الجُنة بالضم: الوقاية

البلاء، وديِّثَ بالصّغار والقَماءَة[١]، وضرب على قلبه بالأسداد[٢]، وأُديل[٣] الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف[٤]، ومنع النَّصَف[٥]. ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً وسراً وإعلاناً، وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزي قوم في عقر دارهم[٦] إلا ذلوا، فتواكلتم وتخاذلتم، حتى شُنّت عليكم الغارات، ومُلكت عليكم الأوطان، وهذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار[٧]، وقد قتل حسّان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها[٨]، ولقد بلغني أنّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة[٩]، فينتزع حجلَها وقُلْبها وقلائدها ورغاثها[١٠]، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع[١١]، والاسترحام، ثم انصرفوا وافرين[١٢]، ما نال رجل منهم كلمٌ ولا أريق له دم، فلو أن امرأً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً بل كان عندي جديراً. فيا عجباً والله يميتُ القلب ويَجلبُ الهمّ من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم، فقبحاً لكم وتَرَحاً[١٣] حين صرتم غرضاً يُرْمى، يُغار عليكم ولا تُغيرون، وتُغزون ولا تَغزون، ويُعصى الله وترضون. فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحرّ قلتم: هذه حمَّارة القيظ[١٤]، أمهلنا يسبّخ عنّا الحر، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم: هذه صبارة القُرّ[١٥]، أمهلنا يسبّخ عنّا البرد، كل هذا فراراً من الحر والقر، فإذا كنتم من الحرّ والقر تفرون، فإذا أنتم والله من السيف أفَرُّ يا أشباه الرجال ولا رجال[١٦]، حلوم الأطفال وعقول ربّات الحجال[١٧]، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم، معرفة والله جرّت ندماً، وأعقبت سدَماً[١٨]، قاتلكم الله، لقد ملأتم قلبي قيحاً[١٩]، وشحنتم صدري غيظاً،

---

(١) ديث: ذلل، الصغار: الذل والصغر، القماءة: الذل والصغار.
(٢) الأسداد: الحجب التي تحجب عنه الهدى والرشاد.
(٣) أديل الحق منه: تحول الأمر عنه إلى الحق فألمت به الكوارث.
(٤) سيم الخسف: أصبح محل الإذلال والمهانة. (٥) منع النصف: النصف: العدل. أي حُرم العدل.
(٦) عقر الدار: وسطها وأصلها، تواكلتم: وكل كلٌ منكم أمر الجهاد إلى الآخر.
(٧) الأنبار: بلدة شرقي الفرات. (٨) مسالح: جمع مسلحة وهي الثغر.
(٩) المعاهدة: الذمية وهي غير المسلمة المقيمة في بلاد المسلمين.
(١٠) الحجل: الخلخل، القلب: السوار، الرَغاث: جمع رغثة وهو القرط
(١١) الاسترجاع: ترديد الصوت بالبكاء. (١٢) وافرين: تامين لم ينقص عددهم. الكلم: الجرح.
(١٣) ترحاً: همّاً أو حزناً أو فقراً. (١٤) القيظ: الحر، حمارة القيظ: شدته، يسبخ: يخفف.
(١٥) صبارة الشتاء: شدة البرد، القر: البرد. (١٦) يقصد أن صفات الرجولة انعدمت فيهم.
(١٧) حلوم: عقول، ربات الحجال: كناية عن النساء.
(١٨) سدم: الهم المشوب بالأسف والغيظ.
(١٩) القيح: ما في القرحة من الصديد، شحنتم صدري: ملأتموه.

وجرّعتمونى نُغَبَ التّهام أنفاسًا[١]. وأفسدتم علىَّ رأيى بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبى طالب رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب.. لله أبوهم، وهل أحد منهم أشد لها مراسًا منى[٢]، وأقدم فيها مقامًا منى؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنذا قد ذَرّفْتُ على الستين ولكن لا رأى لمن لا يطاع[٣].

إن هذه الخطبة كتلة نارية يصبها أمير المؤمنين على رضى الله عنه قذائف ساخنة فوق رءوس أولئك القوم، الذين حرموه من قطف ثمار جهاده، وتحقيق النصر الذى كان يسعى له، وقد صاغها بأسلوب أدبى رائع، يهز بعباراتها المشاعر، ويحرك بألفاظها مكامن النفوس، بعيدًا عن الغموض والإبهام، كما أنها خالية من السجع والصناعة اللفظية[٤].

إن الخطب التى تثبت عن أمير المؤمنين على رضى الله عنه، وأعنى بها التى تتحدث عن خلافته تعكس صورة تاريخية تتعدى الوصف الظاهرى لتكشف عن شعور أمير المؤمنين رضى الله عنه تجاه ما يلقيه من جيشه من تخاذل بعد معركة النهروان، ولكن معظم الخطب التى نسبت إليه رضى الله عنه لا تصح، فعدد من العلماء يقولون عن خطب على رضى الله عنه فى نهج البلاغة إنها من تأليف ووضع الشريف الرضى[٥]، فلابد من إعمال منهج نقدى دقيق عند التعامل معها باعتبارها مصدرًا تاريخيًا. هذا ومن ناحية أخرى أخذ على رضى الله عنه يذكر أصحابه بفضائله ومناقبه ومنزلته الرفيعة فى الإسلام، فيحدثنا عدد من شهود عيان، أن عليًا رضى الله عنه ناشد الناس فى الرحبة: من سمع رسول الله يوم غدير خم: **ألستم تعلمون أنى أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟** قالوا: بلى، قال: **فمن كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه**، فقام اثنا عشر رجلاً -وفى رواية- ستة عشر رجلاً فشهدوا بذلك[٦]. وهذا يذكرنا بعثمان رضى الله عنه عندما كان يستشهد بالصحابة على مناقبه وفضائله عندما حصره الغوغاء، وكأنه يقول: من هذا عمله وخدمته للإسلام أهكذا يكون جزاؤه؟ مع اختلاف المناسبات، وبالرغم من كل هذه المحاولات والجهود المضنية لم يستطع رضى الله عنه أن يحقق ما يريد، إذ لم يستطع أن يغزو الشام بسبب التفكك والتصدع الذى حدث فى داخل جيشه، وتفرق كلمتهم وظهور الأهواء، فاضطر أمير المؤمنين على رضى الله عنه فى سنة أربعين للهجرة أن يوافق لمعاوية بن أبى سفيان، رضى

(١) النغب: جمع نغبة (كجرعة): الجرعة، التهام: الهمّ. (٢) المراس: المعالجة والمزاولة والمعاناة.

(٣) البيان والتبيين للجاحظ، ص(٢٣٨، ٢٣٩). (٤) الأدب الإسلامى، نايف معروف، ص(٥٩).

(٥) ميزان الاعتدال (٣/ ١٢٤) وله نقد جيد فى هذا الموضوع، خلافة على بن أبى طالب، ص(٣٥٥).

(٦) فضائل الصحابة (٢/ ٧٠٥) إسناده صحيح.

الله عنه، على أن يكون العـراق له، والشام لمعاوية، ولا يدخل أحـدهما على صاحـبه فى عمله بجـيش ولا غارة ولا غزو[1]، قال الطبرى فى تاريخـه: وفى السنة -٤٠هـ- جرت بين على ومعاوية المهادنة بعد مكاتبات جرت بينهما يطول بذكرها الكتاب على وضع الحرب بينهمـا، ويكون لعلى العراق ولمعاوية الشـام، فلا يدخل أحدهمـا على صاحبـه فى عمله بجيش ولا غارة ولا غزو[2].

ثالثًا: دعاء أمير المؤمنين على لله -عز وجل- أن يعجل له بالشهادة:

هادن أمير المؤمنين على رضى الله عنه معاوية، ويبدو أن هذه الهدنة لم تستمر، فمعاوية أرسل بسر بن أبى أرطأة إلـى الحجاز واليـمن فى العام الذى استـشهد فـيه على رضى الله عنه[3]، ولما لم يتـمكن على رضى الله عنه من تجـهـيـز الجيش بما يصـبـو ويريد، ورأى خذلانهم كـره الحياة وتمنى الموت، وكـان يتوجه إلى الله بالدعـاء ويطلب منه عز وجل أن يعجل منيـته، فممـا روى عنه أنه خطب يومًا فقـال: اللهم إنى قد سئـمتهم وسئـمونى، ومللتهم وملونى، فأرحنى منهم وأرحهم منى، فما يمـنع أشقاكم أن يخضبها بدم، ووضع يده على لحيته[4]، وقد ألح على رضى الله عنه فى الدعاء فى أيامـه الأخيرة، فعن جندب قال: ازدحـموا على علىٍّ رضى الله عنه، حـتى وطئوا على رجله فـقال: إنى قد مـللتهم وملونى، وأبغضتهم وأبغضونى، فأرحنى منهم وأرحهم منى[5]. وفى رواية أخرى عن أبى صالح قال: شـهدت عليًا وضع المصحف على رأســه حتى تقعقع الورق فـقال: اللهم إنى سألتهم ما فيه فمنعونى، اللهم إنى قـد مللتهم وملونى، وأبغضتهم وأبغضونى، وحملونى على غير أخلاقى، فأبدلهم بى شرًا منى، وأبدلنى بهم خيرًا منهم، ومث قلوبهم ميثة الملح فى الماء[6]. وفى رواية: فلم يلبث إلا ثلاثًا أو نحو ذلك، حتى قتل رحمه الله[7].

وقال الحسن بن على: قال لى على رضى الله عنه: إن رسول الله ﷺ سنح لى الليلة فى منامى، فقلت: يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الأود واللدد؟[8]، قال: ادع عليهم،

(١) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد، ص(٣٥٦).
(٢) تاريخ الطبرى (٦-٥٦).
(٣) التاريخ الصغير للبخارى (١/ ٤١)، خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد، ص(٤٣١).
(٤) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ١٥٤) بإسناد صحيح، الطبقات (٣/ ٤) إسناده صحيح.
(٥) الآحاد والمثانى لابن أبى عاصم (١/ ٣٧) بإسناد حسن، خلافة على، ص(٤٣٢).
(٦) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٤٤).
(٧) المحن، ص(٩٩) لأبى العرب، خلافة على، عبد الحميد، ص(٤٣٢).
(٨) الأود: العوج، اللدد: الخصومة.

قلت: اللهم أبدلنى بهم من هو خيراً منهم، وأبدلهم من هو شر منى لهم، قال الحسن رضى الله عنه: فخرج فضربه الرجل(١).

رابعًا: علم أمير المؤمنين بأنه سيستشهد:

تفيد بعض أحاديث النبى ﷺ التى تعد من دلائل نبوته ﷺ إخباره بأن عليًا سيكون من الشهداء، فقد جاء فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان على حراء، هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله ﷺ: «اهدأ فما عليك إلا نبى أو صديق أو شهيد»(٢). وهناك أحاديث أخص من هذا الحديث، تخبر أن عليًا سيستشهد بأرض العراق وتبين كيفية اغتياله أيضًا، وهذا كله يبين صدق نبوة محمد ﷺ، وبأنه لا ينطق عن الهوى، وإنما يخبر بما أطلعه الله عز وجل عليه عن طريق الوحى، وقد أطلع النبى ﷺ عليًا على ما سيحدث له، وقد آمن على بذلك وأيقن، فكان يتحدث إلى الناس بذلك، فمما حدث من ذلك فى العراق، إذ يروى عنه أبو الأسود الدؤلى، يقول أبو الأسود: سمعت عليًا يقول: أتانى عبد الله بن سلام وقد أدخلت رجلى فى الغرز، فقال لى: أين تريد؟ فقلت: العراق، فقال: أما إنك إن جئتها ليصيبك بها ذباب السيف، فقال على: وايم الله لقد سمعت رسول الله ﷺ قبله يقوله، قال أبو الأسود: فعجبت منه، وقلت: رجل محارب يحدث بمثل هذا عن نفسه(٣)، وحدث بهذا الحديث فى ينبع قبل توليه الخلافة، من عاده فى مرضه، وهو أبو فضالة الأنصارى البدرى، رضى الله عنه: إنى لست ميتًا فى مرضى هذا، أو من وجعى هذا، إنه عهد إلىَّ النبى ﷺ أنى لا أموت حتى تخضب هذه -يعنى لحيته- من هذه- يعنى هامته(٤)، وحدث به الخوارج وحدث به أصحابه، وقد جمع البيهقى هذه الأحاديث ونحوها فى كتابه (دلائل النبوة)(٥)، وجمعها الحافظ ابن كثير فى كتابه البداية والنهاية(٦)، وعن عبد الله بن داود قال: سمعت الأعمش، عن مسلمة بن سهيل عن سالم بن أبى جعدة عن عبد الله بن سبع قال: سمعت عليًا رضى الله عنه على المنبر يقول: ما ننتظر إلا شقيًا، عهد إلىَّ رسول الله ﷺ لتخضبن هذه من دم هذا، قالوا: أخبرنا بقاتلك حتى نبير عترته، قال: أنشد الله رجلاً قتل بى غير قاتلى(٧)، وقد تمثل رضى الله عنه بأبيات شعر فقال:

(١) تاريخ الذهبى، عهد الخلفاء الراشدين، ص(٦٤٩).

(٢) مسلم (٤/ ١٨٨٠).

(٣) تاريخ الذهبى، عهد الخلفاء الراشدين، ص(٦٤٨).

(٤) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد، ص(٤٣٣) طرق الرواية صحيحة بمجموعها.

(٥) دلائل النبوة (٦/ ٤٣٨-٤٤١) تحقيق عبد المعطى قلعجى.

(٦) البداية والنهاية (٧/ ٣٢٣-٣٢٥).

(٧) كتاب الشريعة للآجرى (٤/ ٢١٠٥) تحقيق الدميجى، إسناده حسن.

اشـــدد حـــيــازيمك لـلمـــوت فـــــإن المـوت لاقـــــيكـا
ولا تجـــــزع مــن القــــتـل إذا حــــلّ بــــواديـــكـــا[1]

وتذهب بعض الروايات إلى أبعـد من هذا، إذ تفيـد أن عليًا رضى الله عنه يـعرف هذا الشقى الذى سيقتله، فيروى عبيدة السلمانى بسند صحيح إليه يقول: كان على إذا رأى ابن ملجم قال:

أريد حــــيـــاته ويريـد قـــتـلى عـــذيرك من خلـيلك من مـــرادى[2]

وفى رواية أخـرى قال على رضى الله عنه، عن عـبـد الرحمن بن ملجم: أمـا إن هذا قـاتلى، قـيل: فمـا يمنعك منه؟ قـال: إنه لم يقـتلنى بعـد[3]، وقـد طلب منه الناس أن يستخلف لما أخبرهم بـأنه مقتول، فاعتذر عن ذلك، فعن عبـد الله بن سبع، قال: سمعت عليًا يقول: لتُخضبنّ هذه من هذا، فما ينتظر بى الأشـقى؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، فأخبرنا به نُبيـر عترته[4] قال: إذًا تالله تقـتلون بى غير قاتلى. قـالوا: فاستـخلف علينا. قال: لا ولكن أترككُم إلى ما ترككم إليه رسول الله، قالوا: فما تقول لربك إذا أتيته؟- وقال وكيع مرة: إذا لقيته؟ -قال: أقول: اللهمّ تركتنى فيهم ما بدا لك، ثم قبضتنى إليك وأنت فيهم، فإن شـئت أصلحتـهم، وإن شئت أفـسدتهم[5]. وعن على رضى الله عنه قال: سـمعت الصادق المصدوق ﷺ يقول: «إنك ستُضـرب ضربة ههنا- وأشار إلى صدغيه- فيسـيل دمها حتى يخضب لحيتك، ويكون صاحبها أشقاها كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود»[6].

خامسًا: استشهاد أمير المؤمنين على رضى الله عنه وما فيه من دروس وعبر وفوائد:

لقد تركت مـعركة النهروان فى نفـوس الخوارج جرحًا غـائرًا لم تزده الأيام والليالى إلا إيلامًا وحسـرة، فاتفق نفر منهم على أن يفتكوا بعلى رضى الله عـنه، ويثأروا لمن قتل من إخوانهم فى النهروان. وأجـمع أهل السير والمؤرخون على ذكر رواية مـشهورة[7] لا تسلم

(١) تاريخ الذهبى، عهد الخلفاء الراشدين، ص(٦٤٨). (٢) طبقات ابن سعد (٣/ ٣٣، ٣٤) إسناده صحيح.
(٣) الاستيعاب (٣/ ١٢٧). (٤) نبير عترته: نهلك ذريته.
(٥) مسند أحمد (٢/ ٣٢٥) الموسوعة الحديثية حسن لغيره.
(٦) خصائص أميـر المؤمنين على بن أبى طالب، ص(١٦٣، ١٦٤)، حكم المحقق أحمد ميـرين البلوشى -رحمه الله- بالصحة.
(٧) الطبـقات لابن سـعد (٣/ ٣٥)، تاريخ الطبـرى (٦/ ٥٨ إلى ٦٦) بسند منقطع، مـروج الذهب (٣/ ٤٢٣)، الطبـرانى الكبيـر (١/ ٥٥-٥٨)، مجـمع الزوائد (٦/ ٢٤٩)، تاريخ الإسـلام والخلفاء الراشـدون للذهبى، ص(٦٤٩)، وفيات الأعيان (٧/ ٢١٨)، البداية والنهاية (٧/ ٣٢٥).

من انتقادات لاحتوائها على عناصر متضاربة وأخرى مختلفة، ولا نستبعد بدورنا أن تكون هذه الحادثة المهمة قد تعرضت مثل غيرها إلى إضافات وزيادات فى الفترات المتأخرة، ويبدو من خلال المصادر والدراسات أن هناك إجماعًا على أن عملية قتل عليٍّ تمت على أيدى عناصر خارجية انتقامًا لضحايا معركة النهروان، أما بقية المعلومات الخاصة بالعملية مثل قصة الحب بين ابن ملجم وقطام والدور المزعوم للأشعث الكندى -وسيأتى بيان براءته بإذن الله لاحقًا -وغيرها فيصعب قبولها والتصديق بها وإليك تفصيل مقتله رضى الله عنه.

١- اجتماع المتآمرين: كان من حديث ابن مُلجَم وأصحابه أن ابن ملجم والبُرَك بن عبد الله وعمرو بن بكر التيمى اجتمعوا، فتذاكروا أمر الناس، وعابوا على ولاتهم، ثم ذكروا أهل النهر، فترحموا عليهم، وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئًا، إخواننا الذين كانوا دعاة الناس لعبادة ربهم، والذين كانوا لا يخافون فى الله لومة لائم، فلو شرينا أنفسهم فأتينا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم فأرحنا منهم البلاد، وثأرنا بهم إخواننا، فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم على بن أبى طالب -وكان من أهل مصر- وقال البُرَك بن عبد الله: وأنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو بن بكر: وأنا أكفيكم عمرو بن العاص، فتعاهدوا وتواثقوا بالله لا ينكص رجل منا عن صاحبه الذى توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه، فأخذوا أسيافهم، فسموها واتعدوا لسبع عشرة تخلو من رمضان أن يثبت كل واحد منهم على صاحبه الذى توجه إليه، وأقبل كل رجل منهم إلى المصر الذى صاحبه فيه يطلب(١).

٢- خروج ابن ملجم ولقاؤه بقطام ابنة الشجْنة: فأما ابن ملجم المرادى فكان عداده فى كِنْدة، فخرج فلقى أصحابه بالكوفة وكاتمهم أمره كراهة أن يظهروا شيئًا من أمره، فإنه رأى ذات يوم أصحابًا من تَيْم الربّاب -وكان عليٌّ قتل منهم يوم النهر عشرة- فذكروا قتلاهم، ولقى من يومه ذلك امرأة من تيم الرباب يقال لها: قَطَام ابنة الشّجنة- وقد قتل أبوها وأخوها يوم النهر، وكانت فائقة الجمال، فلما رآها التبست بعقله، ونسى حاجته التى جاء لها، ثم خطبها، فقالت: لا أتزوجك حتى تشفى لى، قال: وما يشفيك؟ قالت: ثلاثة آلاف وعبد وقينة وقتل على بن أبى طالب، قال: هو مهر لك، فأما قتل على فلا أراك ذكرته لى وأنت تريدينى، قالت: بلى التمس غرته، فإن أصبت شفيت نفسك ونفسى، ويهنئك العيش معى، وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وزينة أهلها. قال فوالله ما جاء بى إلى هذا المصر إلا قتل على، فلك ما سألت، قالت: إنى أطلب لك من يسند ظهرك، ويساعدك على أمرك، فبعثت إلى رجل من قومها من تيم الرباب يقال له: وردان، فكلمته

(١) تاريخ الطبرى (٦/ ٥٩).

فأجابها، وأتى ابن ملجم رجلاً من أشجع يقال له: شبيب بن بجرة فقال له: هل لك فى شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وما ذاك؟ قال: قتل على بن أبى طالب، قال: ثكلتك أمك، لقد جئت شيئًا إدًا، كيف تقدر على عليٍّ، قال: أكمن له فى المسجد فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجونا شفينا أنفسنا وأدركنا ثأرنا، وإن قتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها، قال: ويحك لو كان غير على لكان أهون عليّ، قد عرفت بلاءه فى الإسلام، وسابقته مع النبى ﷺ وما أجدنى أنشرح لقتله، قال: أما تعلم أنه قتل أهل النهر العباد الصالحين؟ قال: بلى، قال: فنقتله بمن قتل من إخواننا، فأجابه. فجاءوا قطام -وهى فى المسجد الأعظم معتكفة- فقالوا لها: قد أجمع رأينا على قتل على، قالت: فإذا أردتم فأتونى، ثم عاد إليها ابن ملجم فى ليلة الجمعة- التى قتل فى صبيحتها على سنة ٤٠هـ- فقال: هذه الليلة التى وعدت فيها صاحبىَّ أن يقتل كل منا صاحبه، فدعت لهم بالحرير فعصبتهم به، وأخذوا أسيافهم وجلسوا مقابل السدة التى يخرج منها على، فلما خرج ضربه شبيب بالسيف، فوقع سيفه بعضادة الباب أو الطاق، وضربه ابن ملجم فى قرنه بالسيف وهرب وردان حتى دخل منزله، فدخل عليه رجل من بنى أبيه وهو ينزع الحرير عن صدره، فقال: ما هذا الحرير والسيف؟ فأخبره بما كان وانصرف، فجاء بسيفه فعلا به وردان حتى قتله، وخرج شبيب نحو أبواب كندة فى الغلس، وصاح الناس، فلحقه رجل من حضرموت يقال له عويمر، وفى يد شبيب السيف، فأخذه، وجثم عليه الحضرمى، فلما رأى الناس قد أقبلوا فى طلبه، وسيف شبيب فى يده، خشى على نفسه، فتركه، ونجا شبيب فى غمار الناس فشدوا على ابن ملجم، فأخذوه، إلا أن رجلاً من هَمْدان يكنى أبا أدماء أخذ سيفه فضرب به رجله، فصرعه، وتأخر على، ورفع فى ظهره جعدة بن هبيرة ابن أبى وهب، فصلى بالناس الغداة، قال عليٌّ: على بالرجل، فأدخل عليه، ثم قال: أى عدو الله، ألم أحسن إليك؟، قال: بلى، قال: ما حملك على هذا؟ قال: شحذته أربعين صباحًا، وسألت الله أن يقتل به شر خلقه، فقال على رضى الله عنه: لا أراك إلا مقتولاً به، ولا أراك إلا من شر خلقه(1).

٣- محمد ابن الحنفية يروى قصة مقتل أمير المؤمنين على: قال ابن الحنفية: كنت والله إنى لأصلى تلك الليلة التى ضرب فيها على فى المسجد الأعظم فى رجال كثير من أهل المصر، يصلون قريبًا من السدَّة، ما هم إلا قيام وركوع وسجود، وما يسأمون من أول الليل إلى

(١) تاريخ الطبرى (٦/ ٦٢).

آخره، إذ خرج على لصلاة الغداة، فجعل ينادى: أيها الناس، الصلاة الصلاة، فما أدرى أخرج من السدة، فتكلم بهذه الكلمات أم لا، فنظرت إلي بريق، وسمعت: الحكم لله يا على لا لك ولا لأصحابك، فرأيت سيفًا، ثم رأيت ثانيًا، ثم سمعت عليًا يقول: لا يفوتنكم الرجل، وشد الناس عليه من كل جانب. قال: فلم أبرح حتى أخذ ابن ملجم وأدخل على علىٍّ، فدخلت فيمن دخل من الناس، فسمعت عليًا يقول: النفس بالنفس، أنا إن مت فاقتلوه كما قتلنى، وإن بقيت رأيت فيه رأيى[1]. وذكر أن الناس دخلوا على الحسن فزعين لما حدث من أمر على، فبينما هم عنده وابن ملجم مكتوف بين يديه، إذ نادته أم كلثوم بنت على وهى تبكى: أى عدو الله، لا بأس على أبى، والله مخزيك، قال: فعلى من تبكين؟ والله لقد اشتريته بألف، وسمَمْته بألف، ولو كانت هذه الضربة على جميع أهل المصر ما بقى منهم أحد[2].

٤- وصية الطبيب لعلى وميل أمير المؤمنين للشورى: عن عبد الله بن مالك، قال: جُمع الأطباء لعلى رضى الله عنه يوم جُرِح، وكان أبصرهم بالطب أُثير بن عمرو السَّكُونى، وكان صاحب كسرى يتطبَّب، فأخذ أثير رئة شاة حارة، فتتبَّع عِرْقًا منها، فاستخرجه فأدخله فى جراحة على، ثم نفخ العرق فاستخرجه فإذا عليه بياض الدماغ، وإذا الضربة قد وصلت إلى أمّ رأسه، فقال: يا أمير المؤمنين، اعهد عهدك فإنك ميت[3]. وذكر أن جندب ابن عبد الله دخل على علىٍّ فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين، إن فقدناك -ولا نفقدك- فنبايع الحسن؟ قال: ما آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر[4].

٥- وصية أمير المؤمنين على لأولاده الحسن والحسين رضى الله عنهما: دعا أمير المؤمنين على حسنًا وحسينًا، فقال: «أوصيكما بتقوى الله، وألا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شيء زُوِى عنكما، وقولا الحق، وارحما اليتيم، وأغيثا الملهوف، واصنعا للآخرة، وكونا للظالم خصمًا وللمظلوم ناصرًا، واعملا بما فى الكتاب ولا تأخذكما فى الله لومة لائم» ثم نظر إلى محمد ابن الحنفية، فقال: هل حفظت ما أوصيت به أخويك[5]؟ قال: نعم، قال: فإنى أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك، لعظيم حقهما عليك، فاتبع أمرهما، ولا تقطع أمرًا دونهما. ثم قال: أوصيكما به، فإنه ابن أبيكما، وقد علمتما أن أباكما كان

(١)، (٢) تاريخ الطبرى (٦/ ٦٢).
(٣) الاستيعاب (٣/ ١١٢٨).
(٤) تاريخ الطبرى (٦/ ٦٢).
(٥) المصدر نفسه (٦/ ٦٣).

يحبه، وقال للحسن: «أوصيك أى بُنىَّ بتقوى الله، وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة عند محلها، وحسن الوضوء، فإنه لا صلاة إلا بطهور، ولا تقبل صلاة من مانع زكاة، وأوصيك بغَفْر الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، والحلم عند الجهل، والتفقه فى الدين، والتثبت فى الأمر، والتعهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، واجتناب الفواحش»[(١)].

فلما حضرته الوفاة أوصى، فكانت وصيته:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به على بن أبى طالب، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. ثم إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، ثم أوصيك يا حسن وجميع ولدى وأهلى بتقوى الله ربكم، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعًا، ولا تفرقوا، فإنى سمعت أبا القاسم يقول: إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام، انظروا إلى ذوى أرحامكم فصلُوهم يهوِّن الله عليكم الحساب، الله الله فى الأيتام، فلا تُعنوا أفواههم، ولا يضيعُنَّ بحضرتكم، والله الله فى جيرانكم فإنهم وصية نبيكم ﷺ، مازال يوصى به حتى ظننا أنه سيورثه، والله الله فى القرآن، فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم، والله الله فى الصلاة، فإنها عمود دينكم. والله الله فى بيت ربكم فلا تخلُّوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم يناظر، والله الله فى الجهاد فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، والله الله فى الزكاة، فإنها تطفئ غضب الرب، والله الله فى ذمة نبيكم، فلا يظلمن بين أظهركم، والله الله فى أصحاب نبيكم، فإن رسول الله ﷺ أوصى بهم، والله الله فى الفقراء والمساكين، فأشركوهم فى معايشكم، والله الله فيما ملكت أيمانكم، الصلاة الصلاة لا تخافُنَّ فى الله لومة لائم، يكفيكم من أرادكم وبغى عليكم، وقولوا للناس حسنًا كما أمركم الله، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيولّى الأمر أشراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم، وعليكم بالتواصل والتباذل، وإياكم والتدابر والتقاطع والتفرق، وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله إن الله شديد العقاب، حفظكم الله من أهل بيت، وحفظ فيكم نبيكم. أستودعكم الله، وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله» ثم لم ينطق إلا (بلا إله إلا الله) حتى قُبض رضى الله عنه فى شهر

(١) تاريخ الطبرى (٦/ ٦٣).

رمضان سنة أربعين[١]، وجاء في رواية أنه قُتل في صبيحة إحدى وعشرين من رمضان[٢]، وتحمل هذه الرواية على اليوم الذي فارق فيه الدنيا، لأنه بقي ثلاثة أيام بعد ضربة الشقي[٣].

٦- نهي أمير المؤمنين عن المثلة بقاتله: فقد قال رضي الله عنه: احبسوا الرجل فإن مت فاقتلوه، وإن أعش فالجروح قصاص[٤]. وفي رواية أخرى قال: أطعموه واسقوه وأحسنوا إساره، فإن صححت فأنا ولي دمي أعفو إن شئت وإن شئت استقدت[٥]، وفي رواية أخرى زيادة، وهي قوله: إن مت فاقتلوه قتلتي ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين[٦]، وقد كان علي نهى الحسن عن المُثْلة، وقال: يا بني عبد المطلب، لا ألفينكم تخوضون في دماء المسلمين، تقولون: قتل أمير المؤمنين، قتل أمير المؤمنين، ألا لا يُقتَلَنَّ. انظر يا حسن، إن متُّ من ضربته هذه فاضربه ضربة بضربة، ولا تمثل بالرجل، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إياكم والمثلة ولو أنها بالكلب العقور»[٧]. وقد جاء في شأن وصية أمير المؤمنين بأمر قاتله روايات كثيرة تتفاوت، منها الصحيح ومنها الضعيف، فالرواية التي فيها أمر علي رضي الله عنه بإحراق الشقي بعد قتله إسنادها ضعيف، والروايات الأخرى تسير في اتجاه واحد فكلها فيها أمر علي رضي الله عنه بقتل الرجل إن مات من ضربته ونهاهم عما سوى ذلك، فهذه الروايات يعضد بعضها، وتنهض للاحتجاج بها، هذا من جهة. كما أن أمير المؤمنين علي لم يجعله مرتدًا، فيأمر بقتله، بل نهاهم عن ذلك لما همَّ بعض المسلمين بقتله وقال: لا تقتلوا الرجل، فإن برئت فالجروح قصاص، وإن مت فاقتلوه[٨]. وتذكر الرواية التاريخية المشهورة: فلما قبض علي رضي الله عنه بعث الحسن إلى ابن ملجم، فقال للحسن: هل لك في خصلة؟ إني والله ما أعطيت الله عهدًا إلا وفيت به، إني كنت قد أعطيت الله عهدًا عند الحطيم أن أقتل عليًا ومعاوية أو أموت دونهما، فإن شئت خليت بيني وبينه، ولك الله علي إن لم أقتله -أو قتلته- ثم بقيت، أن آتيك حتى أضع يدي في يدك. فقال له الحسن: أما والله حتى تعاين النار ثم قدمه فقتله[٩]، ثم أن الناس أخذوه فأحرقوه بالنار، ولكن هذه الرواية منقطعة[١٠].

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٦٤).
(٢) التاريخ الكبير للبخاري (١/ ٩٩) بسند صحيح.
(٣) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، (٤٣٩).
(٤) فضائل الصحابة (٢/ ٥٦٠) بسند حسن.
(٥) المحن لأبي العرب، ص(٤)، خلافة علي بن أبي طالب، ص(٤٣٩).
(٦) الطبقات(٣/ ٣٥)، تاريخ الإسلام.
(٧) تاريخ الطبري (٦/ ٦٤).
(٨) منهاج السنة (٥/ ٢٤٥) (٧/ ٤٠٥، ٤٠٦)، منهج ابن تيمية في مسألة التكفير، ص(٣٠٩).
(٩) تاريخ الطبري (٦/ ٦٤).
(١٠) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص(٤٤٠).

والصحيح من الروايات والذى يليق بالحسن والحسين وأبناء أهل البيت أنهم التزموا بوصية أمير المؤمنين على فى معاملة عبد الرحمن بن مُلْجم، ولا تثبت الرواية التى تقول: فلما دفن أحضروا ابن ملجم، فاجتمع الناس، وجاءوا بالنفط والبوارى، فقال محمد ابن الحنفية، والحسين، وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب: دعُونا نشتف منه، فقطع عبد الله يديه ورجليه، فلم يجزع ولم يتكلّم، فكحَلَ عينيه، فلم يجزع، وجعل يقول: إنك لتكحُل عينى عمّك، وجعل يقرأ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] حتى ختمها، وإن عينيه لتسيلان، ثم أمر به فعولج عن لسانه ليُقْطع، فجزع، فقيل له فى ذلك. فقال: ما ذاك بجزع ولكنّى أكره أن أبقى فى الدّنيا فُواقًا لا أذكر الله، فقطعوا لسانه، ثم أحرقوه، وكان أسمر، حسن الوجه، أفلج، شعره من شحمة أذنيه، وفى جبهته أثر السُّجود(١).

وقال الذهبى عن عبد الرحمن بن ملجم: قاتل على رضى الله عنه، خارجى مُفْتَرٍ، .. شهد فتح مصر، واختط بها مع الأشراف، وكان ممن قرأ القرآن والفقه، وهو أحد بنى تُدول وكان فارسهم بمصر، قرأ القرآن على معاذ بن جبل، وكان من العبّاد، ويقال: هو الذى أرسل صبيغًا التميمى إلى عمر، رضى الله عنه، فسأله عما سأله مستعجم القرآن.. إلى أن قال الذهبى: ثم أدركه الكتاب، وفعل ما فعل، وهو عند الخوارج من أفضل الأمّة، وفى ابن ملجم يقول عمران بن حطّان الخارجى:

يا ضربة من تُقى ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
إنّى لأذكره حينًا فأحسُبُه ... أوفى البَرِيَّة عند الله ميزانًا

وابن ملجم عند الروافض أشقى الخلق فى الآخرة، وهو عندنا أهل السنة ممن نرجو له النّار، ونجوِّز أن الله يتجاوز عنه، لا كما يقول الخوارج والروافض فيه، وحكمه حكم قاتل عثمان وقاتل الزبير، وقاتل طلحة، وقاتل سعيد بن جبير، وقاتل عمّار وقاتل خارجة، وقاتل الحسين، فكل هؤلاء نبرأ منهم ونبغضهم فى الله، ونكل أمورهم إلى الله عز وجل(٢).

وأما البُرَك بن عبد الله فإنه فى تلك الليلة التى ضرب فيها على قعد لمعاوية، فلما خرج ليصلى الغداة شد عليه بسيفه، فوقع السيف فى إليته، فأُخذ، فقال: إن عندى خبرًا أسرك

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٣٩)، الأخبار الطوال، ص(٢١٥).
(٢) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص(٦٥٤).

به، فلأن أخبرتك فنافعي ذلك عندك؟ قال: نـعم، قال: إن أخًا لى قتل عليًا فى مثل هذه الليلة، قال: فلعله لم يقدر على ذلك، قال: بلى، إن عليًـا يخرج ليس معه من يحرسه، فأمر به معاوية فـقُتل، وبعث معاوية إلى الساعدى -وكان طبيبًا- فلمـا نظر إليه قال: اختر إحدى خصـلتين: إما أن أحمى حديدة، فـأضعها مـوضع السيف، وإما أن أسقـيك شربة تقطع منك الولد، وتبرأ منها، فإن ضـربتك مسمومة، فقال معاويـة: أما النار فلا صبر لى عليها، وأما انقطاع الولد فإن فى يزيد وعبد الله ما تقـر به عينى، فسقاه تلك الشربة فبرأ، ولم يولد له بعدها، وأمـر معاوية عند ذلك بالمقـصورات وحرس الليل وقيـام الشرطة على رأسه إذا سـجد. وأما عـمرو بن بكر فجلس لعـمرو بن العاص تلك اللـيلة، فلم يخرج، وكان اشتكى بطنه، فأمر خارجة بن حذافة، وكان صاحب شرطته، وكان من بنى عامر بن لؤى، فخـرج ليصلى، فـشد عليـه وهو يرى أنه عمرو، فـضربه فـقتله، فـأخذه الناس، فانطلقوا به إلى عـمرو يسلمون عليه بالإمـرة، فقال: من هذا؟ قالوا: عمـرو. قال: فمن قتلت؟ قالـوا: خارجة بن حذافة، قـال: أما والله يا فاسق ما ظننتـه غيرك، فقـال عمرو: أردتنى وأراد الله خارجة، فقدمه عمرو فقتله[1].

٧- مدة خلافة أمير المـؤمنين على، وموضع قبره وسنّه يوم قُتل: كانت مدة خلافته على قول خليفة بن خيـاط، أربع سنين وتسعة أشهر وستة أيام، ويقال ثلاثة أيام، ويقـال أربعة عشر يومًا[2]، والذى يظهر أنها أربعـة سنين وتسعة أشهر وثلاثـة أيام، وذلك لأنه بويع بالخلافة فى اليوم الثـامن عشر من ذى الحجـة عام خمس وثلاثين، وكـانت وفاته شهيـدًا فى اليوم الحادى والعشرين من شهر رمضان عام أربعين للهجرة[3].

وقد تولى غسل أمـير المؤمنين على رضى الله عنه الحسن والحسين وعبد الله بـن جعفر، رضوان الله عليهـم، وكفن فى ثلاثة أثواب ليس فيهـا قميص[4]، وصلى عليه الحسن بن على، رضى الله عنهما، فكبر عليه أربع تكبيرات[5]، وفى رواية دون إسناد كبر عليه تسع تكبيرات[6].

وأما موضع قبـره، فقد اختلف فيه، وذكـر ابن الجوزى عددًا من الروايات فى ذلك ثم قال: والله أعلم أى الأقوال أصح[7]، ومن الروايات التى جاءت فى هذا الشأن ما يلى:

(١) تاريخ الطبرى (٦/ ٦٥). (٢) التاريخ، ص(١٩٩). (٣) التاريخ الكبير للبخارى (١/ ٩٩) بسند صحيح.
(٤) المنتظم (٥/ ١٧٥)، الطبقات (٣/ ٣٣٧). (٥) الطبقات (٣/ ٣٣٧، ٣٣٨).
(٦) المنتظم (٥/ ١٧٥). (٧) المصدر نفسه (٥/ ١٧٨).

*أن الحسن بن على رضى الله عنهما دفنه عند مسجد الجماعة فى الرحبة مما يلى أبواب كنده قبل أن ينصرف الناس من صلاة الفجر(١).

*رواية مثلها، أنه دُفن بالكوفة عند قصر الإمارة عند المسجد الجامع ليلاً وعمى موضع قبره(٢).

*رواية تذكر أن ابنه الحسن رضى الله عنه نقله إلى المدينة(٣).

*رواية تذكر أن القبر الذى بظاهر الكوفة المشهد الذى بالنجف هو قبر على رضى الله عنه، وأنكر بعض أهل العلم مثل شريك بن عبد الله النخعى قاضى الكوفة (ت ١٧٨ هـ) ومحمد بن سليمان الحضرمى (ت٢٩٧هـ)(٤)، وفى الحقيقة إن ابتداع ما يسمى مشهد على -رضى الله عنه- بالنجف كان أيام بنى بويه فى عهد الدولة العباسية، وكانوا من الشيعة الروافض، وقد صنع الشيعة ذلك على عاداتهم فى القرن الرابع، وأهل المعرفة متفقون أنه ليس بقبر على -رضى الله عنه- بل قيل: هو قبر المغيرة بن شعبة، قال ابن تيمية: وأما المشهد الذى بالنجف، فأهل المعرفة متفقون أنه ليس بقبر علىٍّ، بل قيل: إنه قبر المغيرة بن شعبة، ولم يكن أحد يذكر أن هذا قبر على ولا يقصده أحد أكثر من ثلاثمائة سنة، مع كثرة المسلمين من أهل البيت والشيعة وغيرهم وحكمهم بالكوفة، إنما اتخذ ذلك مشهدًا فى ملك بنى بويه -الأعاجم- بعد موت على بأكثر من ثلاثمائة سنة(٥)، وقال: وأما مشهد على فعامة العلماء على أنه ليس قبره، بل قد قيل: إنه قبر المغيرة بن شعبة، وذلك أنه إنما أُظهر بعد نحو ثلاثمائة سنة من موت على فى إمارة بنى بويه(٦).

واختلف فى سنّه يوم قُتل، فقال بعضهم: قتل وهو ابن تسع وخمسين سنة، وقيل: وهو ابن خمس وستين سنة، وقيل وهو ابن ثلاث وستين سنة، وذلك أصح ما قيل فيه(٧).

٨- خطبة الحسن بن على رضى الله عنهما بعد مقتل أبيه: عن عمرو بن حُبنشى، قال: خطبنا الحسن بن على بعد قتل على رضى الله عنه، فقال: لقد فارقكم رجل أمس ما سبقه الأولون بعلم ولا أدركه الآخرون، إن كان رسول الله ﷺ ليبعثه ويعطيه الراية فلا

(١) الطبقات (٣/٣٨)، خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد، ص(٤٤١).

(٢) المنتظم (٥/١٧٧)، تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء، ص(٦٥١).

(٣) تاريخ بغداد (١/١٣٧).

(٤) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد، ص(٤٤١).

(٥) الفتاوى (٤/٥٠٢)، دراسات فى الأهواء والفرق والبدع، ص(٢٨٠).

(٦) الفتاوى (٢٧/٤٤٦).

(٧) تاريخ الطبرى (٦/٦٧).

ينصرف[1] حتى يُفتح له، ما ترك من صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطائه كان يرصدها لخادم أهله[2].

٩- **سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يثني على عليٍّ رضي الله عنه:** عن ربيعة الجُرشي: أنه ذُكر علي عند رجل وعنده سعد بن أبي وقاص فقال له سعد: أتذكر عليًا، إن له مناقب أربعًا لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من كذا وكذا، وذكر حُمرَ النعم قوله: لأعطين الراية، وقوله: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، وقوله: من كنت مولاه فعلي مولاه[3]، ونسي سفيان واحدة.

١٠- **عبد الله بن عمر يثني على علي بن أبي طالب رضي الله عنهما:** عن سعد بن عبيدة قال: جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن عثمان، فذكر من محاسن عمله، قال: لعلّ ذلك يسوؤك؟ قال: نعم، قال: فأرغم الله بأنفك، ثم سأله عن عليٍّ فذكر محاسن عمله قال: هو ذاك، بيته أوسط بيوت النبي ﷺ، ثم قال: لعلّ ذاك يسوؤك؟ قال: أجل، قال: فأرغم الله بأنفك، انطلق، فاجهد على جَهدك[4].

١١- **استقبال معاوية خبر مقتل علي رضي الله عنهما:** ولما جاء خبر قتل علي إلى معاوية جعل يبكي، فقالت له امرأته: أتبكيه وقد قاتلته؟ فقال: ويحك إنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم[5]، وكان معاوية يكتب فيما ينزل به يسأل له علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك، فلما بلغه قتله قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب، فقال له أخوه عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام، فقال له: دعني عنك[6]، وقد طلب معاوية، رضي الله عنه، في خلافته من ضرار الصُّدائي أن يصف له عليًا، فقال: اعفني يا أمير المؤمنين قال: لتصفنَّه، قال: أما إذْ لابد من وصفه فكان والله بعيد المدى، شديد القُوى، يقول فَصلاً[7]، ويحكم عدلاً، يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، ويستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قُصر، ومن الطعام ما خشن، وكان فينا كأحَدنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن والله -مع تقريبه إيانا وقربه منا- لا نكاد

(١) فضائل الصحابة (٢/ ٧٣٧) إسناده صحيح: فلا ينصرف: فلا يرجع.
(٢) المصدر نفسه (٢/ ٧٣٧) إسناده صحيح.
(٣) المصدر نفسه (٢/ ٧٨) إسناده حسن.
(٤) الصحيح المسند من فضائل الصحابة، ص(١٤٠) للعدوى.
(٥) البداية والنهاية (٨/ ١٣٣).
(٦) الاستيعاب (٣/ ١١٠٨).
(٧) المصدر نفسه (٣/ ١١٠٧).

نكلمه هيبة له، يعظِّم أهل الدين ويُقرب المساكين، لا يطمع القوىُّ فى باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد أنى قد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سُدُولَه[1]، وغارت نجومه، قابضًا على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكى بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غُرِّى غيرى، إلىّ تعرّضت أم إلىَّ تشوَّفت! هيهات هيهات، قد باينتك ثلاثًا لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وخطرك قليل، آه من قلة الزاد، وبُعد السفر، ووحشة الطريق. فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها وهو فى حجرها[2].

وعن عمر بن عبد العزيز قال: رأيت رسول الله ﷺ فى المنام وأبو بكر وعمر جالسان عنده، فسلمت عليه وجلست، فبينما أنا جالس إذ أُتى بعلى ومعاوية فأدخلا بيتًا وأجيف[3] الباب وأنا أنظر، فما كان بأسرع من أن خرج على وهو يقول: قضى لى ورب الكعبة، ثم ما كان بأسرع من أن خرج معاوية وهو يقول: غفر لى ورب الكعبة[4].

وروى ابن عساكر عن أبى زرعة الرازى أنه قال له رجل: إنى أبغض معاوية فقال له: ولم؟ قال: لأنه قاتل عليًا، فقال له أبو زرعة: ويحك إن رب معاوية رحيم، وخصم معاوية خصم كريم، فايش دخولك أنت بينهما؟ رضى الله عنهما[5].

١٢- ما قاله الحسن البصرى -رحمه الله-: سئل الحسن البصرى عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، فقال: كان على والله سهمًا صائبًا من مرامى الله على عدوّه، وربّانى هذه الأمة، وذا فضلها، وذا سابقتها، وذا قرابتها من رسول الله ﷺ، لم يكن بالنّوامة[6] عن أمر الله، ولا بالملومة فى دين الله، ولا بالسروقة لمال الله، أَعْطى القرآن عزائمه، ففاز منه برياض مُونِقة، ذلك على بن أبى طالب رضى الله عنه[7].

١٣- ما قاله أحمد بن حنبل فى خلافة على رضى الله عنه: قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: كنت بين يدى أبى جالسًا ذات يوم، فجاءت طائفة من الكَرْخيين فذكروا خلافة أبى بكر وخلافة عمر بن الخطاب وخلافة عثمان فأكثروا، وذكروا خلافة على بن أبى طالب وزادوا فأطالوا، فرفع أبى رأسه إليهم، فقال: يا هؤلاء، قد أكثرتم القَول فى على والخلافة، والخلافة وعلى[8]، أتحسبون أن الخلافة تزيّن عليًا؟ بل زيَّنها على[9].

(١) سدوله: سدلته.
(٢) الاستيعاب (٣/ ١١٠٨).
(٣) أجيف الباب: رُدَّ وأغلق.
(٤)، (٥) البداية والنهاية (٨/ ١٣٣).
(٦) النومة: الخامل الذكر الذى لا يؤبه له.
(٧) الاستيعاب (٣/ ١١١٠).
(٨)، (٩) تاريخ مدينة السلام (١/ ٤٦٢).

١٤- براءة الأشعث بن قيس من دم علي رضي الله عنه: ذهبت بعض الروايات إلى اتهام الأشعث بن قيس، قال اليعقوبي: إن عبد الرحمن بن ملجم نزل على الأشعث بن قيس، فأقام عنده شهرًا يستحدّ سيفه[(١)]، وذكر ابن سعد في الطبقات، قال: وبات عبد الرحمن ابن ملجم تلك الليلة التي عزم فيها أن يقتل عليًا صبيحتها يناجي الأشعث بن قيس في مسجده حتى كاد أن يطلع الفجر، فقال له الأشعث: فضحك الصبح، فقام عبد الرحمن ابن ملجم وشبيب بن بجرة فأخذا أسيافهما ثم جاءا حتى جلسا مقابل السدة التي يخرج منها علي[(٢)]، وهذه روايات ضعيفة[(٣)].

إن اتهام الأشعث ليس عليه دليل، وذلك لأن الأشعث بن قيس عند استعراض دوره في خلافة علي رضي الله عنه نجده مخلصًا ووفيًا، فهو أول من حارب أهل الشام أثناء القتال على الماء، وأظهر العداوة للخوارج منذ نشأتهم، فهو الذي أبلغ عليًا رضي الله عنه أن الخوارج يقولون: إن عليًا تاب من خطيئته ورجع عن التحكيم وقاتلهم في النهروان، وقد حرص كل الحرص على أن يوطد علاقته بعلي وآل بيته، فزوج ابنته من الحسن بن علي، رضي الله عنه، وعندما أراد الحسن أن يبني بها قامت كندة وجعلت أرديتها بسطًا من بابه إلى باب الأشعث[(٤)]، وقد مات الأشعث من بعد مقتل علي بأربعين ليلة، وصلى عليه الحسن بن علي بن أبي طالب[(٥)]، وهو زوج بنت الأشعث بن قيس[(٦)]، ولم ينقل عن آل علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أنهم اتهموا الأشعث بهذه التهمة أو كشفوا أحدًا من آل الأشعث بهذا السبب، ويظل قتل علي عملاً من تدبير الخوارج جاء في الأرجح ثأرًا لقتلى النهروان[(٧)].

١٥- خطورة الفرق الضالة والفرق المنحرفة على المسلمين: إن الفرق الضالة والطوائف المنحرفة عندما تنتشر في بلاد الإسلام تعرض أهله للخطر، وتهدد الأمن والاستقرار وتشكك الناس في عقيدتهم، وتعيث في الأرض فسادًا وخرابًا، وتلك هي حال الخوارج المارقين الذين خرجوا على عليٍّ رضي الله عنه وكفّروه، وقتله نفرٌ منهم على حين بغتة كما بينا ذلك من قبل، زاعمين أنهم يشرون أنفسهم بهذا الفعل ابتغاء مرضاة الله، وما عندهم

(١) تاريخ اليعقوبي (٢/ ٢١٢).
(٢) الطبقات (٣/ ٣٦).
(٣) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص(٣٥٣).
(٤) تهذيب الكمال (٣/ ٣٣، ٣٤)، الطبقات (٦/ ٢٣).
(٥) الكامل في التاريخ (٣/ ٤٤٤).
(٦) تهذيب التهذيب (٢/ ٣٠٠).
(٧) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، محمد ضيف الله بطاينة، ص(٥٢).

فى ذلك مستند ولا برهان، إن هو إلا اتباع الأهواء وطاعة الشياطين، وإذا تبين لنا مما سبق أن الخوارج قد تسببوا فى قتل علـى -رضى الله عنه- وعرفنا مناهجهم الفاسدة، فالواجب على أمة الإسـلام أن تحذر منهم، وتحارب مناهجهـم، ويقوم العلماء والدعاة بواجـبهم فى ذلك ليسـتقر الأمن، وتظهـر أنوار السنة، وتخمـد نيران البدعـة، وفعل ذلك وأداؤه على الوجه الأمثل بالتمكين لعقيدة أهل السنة والجمـاعة، ومقارعة البدعة والمبتدعين، وهذا كله من أسباب نهوض المجتمعات، وهذه هى الطريقة المثلى لجمع الشمل ووحدة الصف، ومن تأمل تاريخ الإسلام الطويل وجـد أن الدول التى قامت على السنة هى التى جمـعت شمل المسلمين، وقام بها الجهاد، والأمر والنهى عـن المنكر، وعز به الإسلام قديمًا وحديثًا، وهذا بخلاف الدول التى قـامت على البدعـة، وأشاعت الفوضى والـفُرقة والمحـدثات، وفرّقت الشمل، فهذه سرعان ما تندثر، وتنقرض[(١)].

١٦- الحـقد الدفين الذى امـتلأت به قلوب الحـاقدين من الخـوارج على المؤمنين الصـادقين: الكشف عن الحـقـد الدفين الذى امـتلأت به قلوب الحـاقـدين من الخـوارج على المؤمنين الصادقين، دلّ على ذلك قـول عبد الرحـمن بن ملجم -يعنى سيفـه-: والله لقد اشتـريته بألف، وسـممـته بـألف، ولو كانت هذه الضـربة على جـميع أهل المـصر مـا بقى منهم أحد[(٢)].

إن كلماته هذه تبرز لنا العداء السافـر الذى يكنُّه هؤلاء الخوارج، لا على عموم المؤمنين فحسب، بل على القادة الكبار من أمـثال على بن أبى طالب، رضى الله عنه، الذى تجتمع فى شخصه، رضى الله عنه، أعظم المناقب وأجل السـجايا، وانظر -رعاك الله- كيف تورد المناهج الباطـلة، والأفكار المنحرفة وأصـحابها إلى دركـات من التعـاسة والشقـاء، عندما يغتالون أهل الإيمان ويدعون أهل الأوثان[(٣)].

١٧- تأثير البيئة الفاسدة على أصحابها: إن البيئة الفاسدة تؤثر على أصحابها حتى لو كان منهم من يحب العدل ويـسعى إليه، فهـذا عبد الرحـمن بن ملجم يقابل شبـيب بن بجرة فـيقـول له: هل لك فى شرف الدنيـا والآخـرة؟ قال: ومـا ذاك؟ قال: قـتل على بن أبى طالب، قال: ثكلتك أمك، لقد جئت شيئًـا إدًّا، كيف تقدر على علىّ! قال: أكمن له فى

(١) سير الشهداء.. دروس وعبر، عبد الحميد السحيبانى، ص(٧٧).
(٢) تاريخ الطبرى (٦/ ٦٢).
(٣) سير الشهداء.. دروس وعبر، ص(٧٨).

المسجد، فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجونا شفينا أنفسنا، وأدركنا ثأرنا، وإن قُتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها. قال: ويحك! لو كان غيرَ على لكان أهون علىّ، قد عرفت بلاءه فى الإسلام، وسابقته مع النبى ﷺ، وما أجدنى أنشرح لقتله، قال: أما تعلم أنه قتل العباد الصالحين؟! قال: بلى، قال: فنقتله بمن قتل من إخواننا. تقول رواية الطبرى: فأجابه[1].

فانظر -رعاك الله- كيف يؤثر أصحاب الآراء الضالة والأفكار المنحرفة على من يخالطونهم ويجلسون معهم؟ إنه على الرغم من أن شبيبًا لم ينشرح صدره لقتل على لما يعلمه عنه بلائه فى الإسلام وسابقته مع النبى ﷺ، إلا أنه استجاب لابن ملجم لما أثر عليه بالشبهة التى ألقاها عليه عندما ذكره بقتل على -رضى الله عنه- لإخوانه من الخوارج المارقين، فأثار فيه العاطفة تجاههم، رغم أنهم قُتلوا بالحق لا الباطل، فاستجاب لصاحبه، وانقاد له فكانت النتيجة: إفساد الأفكار، وتلويث السمعة، والخسران المبين، وذلك يدعو كل مسلم أن يحذر من مصاحبة من كان على نهج هؤلاء من فاسدى الاعتقاد، ملوثى الأفكار، وأن يسارع إلى مجالسة العلماء الربانيين الذين يعلمون الحق ويعملون به، ويرشدونه إلى ما فيه صلاحه فى الدنيا والآخرة، وإنه لم يرض بهذه السبيل القويمة، وخالط أولئك المنحرفين فى عقيدتهم فسيعض أصابع الندم، ولات ساعة مندم[2] كما قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

هذه بعض الدروس والعبر والفوائد من حادثة مقتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه، العالم الربانى، الذى أفنى عمره كله خاشعًا لله تعالى، أواهًا منيبًا، وخط لنا طريقًا مباركًا للاقتداء والتأسى به.

سادسًا: ما قيل فى أمير المؤمنين على رضى الله عنه من رثاء:

١- ما قاله أبو الأسود الدؤلى: وقال ابن عبد البر: وأكثرهم يرويها لأم الهيثم بنت العريان النخعية أولها:

---

(١) تاريخ الطبرى (٦/ ٦٢).

(٢) سير الشهداء.. دروس وعبر، ص(٧٩).

ألا يا عين ويحك أسعدينا ... ألا تبكى أمير المؤمنينا
تبكى أم كلثوم عليه ... بعبرتها وقد رأت اليقينا
ألا قل للخوارج حيث كانوا ... فلا قرَّت عيون الشامتينا
أفى شهر الصيام فجعتمونا ... بخير الناس طُرًّا أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا ... وذللها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها ... ومن قرأ المثانى والمئينا
فكل مناقب الخيرات فيه ... وحب رسول رب العالمينا
لقد علمت قريش حيث كانت ... بأنك خيرها حسبًا ودينا
وإذا استقبلت وجه أبى حسين ... رأيت البدر فوق(1) الناظرينا
وكنّا قبل مقتله بخير ... نرى مولى رسول الله فينا
يقيم الحق لا يرتاب فيه ... ويعدل فى العدا والأقربينا
وليس بكاتم علمًا لديه ... ولم يخلق من المتجبرينا
كأن الناس إذا فقدوا عليًا ... نعامٌ حار فى بلد سنينا(2)

٢- ما قاله إسماعيل بن محمد الحميرى من شعر له:

سائلِ قريشًا به إن كنت ذا عَمَهٍ ... من كان أثبتها فى الدين أوتادا
من كان أقدم إسلامًا وأكثرها ... علمًا وأطهرها أهلاً وأولادا
من وحّد الله إذ كانت مكذِّبة ... تدعو مع الله أوثانًا وأندادا
من كان يقدم فى الهيجاء إن نكلوا ... عنها وإن يبخلوا فى أزمة جادا
من كان أعدلها حكمًا وأبسطها ... علمًا وأصدقها وعدًا وإيعادا
إن يصدقوك فلن يعدوا أبا حسن ... إن أنت لم تلق للأبرار حُسادا
إن أنت لم تلق أقوامًا ذوى صلف ... وذا عناد لحق الله جحّادا(3)

---

(١) فوق: فى رواية راق، الاستيعاب (٣/ ١١٣٢).

(٢)، (٣) الاستيعاب (٣/ ١١٣٢).

٣- ما قاله بكر بن حماد التاهرتي[١] ردًا على شاعر الخوارج عمران بن حطان[٢]:

قال شاعر الخوارج عمران بن حطان:

يا ضـربـة من تقى مـا أراد بهـا ... إلا ليـبلغ من ذى العـرش رضـوانا

إنى لأذكـره حـينًا فـأحـسبـه ... أوفى البـريـة عند الله مـيـزانا

فقال بكر بن حمّاد التاهرتي معارضًا في ذلك:

قل لابن ملجم والأقـدار غـالبـة ... هدمـت ويلك لـلإسـلام أركـانا

قـتلـت أفـضل من يمشى عـلى قـدم ... وأوّل النـاس إسـلامًـا وإيمـانا

وأعلـم النـاس بالـقـرآن ثم بمـا ... سنّ الرسـول لنا شـرعًـا وتبيـانا

صـهـر النبى ومـولاه ونـاصـره ... أضـحـت مناقـبـه نورًا وبـرهانا

وكان من الحـرب سيـفًا صارمًـا ذكرًا ... ليـثًـا إذا لقـى الأقـران أقـرانا

ذكـرت قـاتله والـدمع منحـدرٌ ... فـقلت سبـحـان رب الناس سُبحـانا

إنى لأحـسـبـه مـا كـان مـن بشـر ... يخـشى المـعـاد ولكن كـان شـيطانا

أشـقى مـرادًا إذا عُـدَّت قـبـائلـهـا ... وأخـسـر الناس عند الله مـيـزانا

كـعـاقـر الناقـة الأولى التـى جلبت ... على ثمـود بأرض الحـجـر خـسـرانا

قد كـان يخبرهم أن سـوف يخضبـهـا ... قـبـل المنيـة أزمـانًا فـأزمـانا

فـلا عـفـا الله عنـه مـا تحـمّله ... ولا سـقى قـبـر عـمـران بن حطانا

لقـوله فى شـقى ظل مُـجـتـرمًـا ... ونال مـا نالـه ظلمًـا وعـدوانا

يا ضـربـة من تقى مـا أراد بهـا ... إلا ليـبلغ من ذى العـرش رضـوانا

بل ضـربة من غـوى أوردتـه لظى ... فـسوف يلقى بـها الرحـمن غـضبـانا

كـأنه لم يرد قـصـدًا بضـربتـه ... إلا ليـصـلى عـذاب الخلد نيـرانا[٣]

(١) بكر بن حماد التاهرتى نسبة إلى تاهرت المغربية -رحل إلى المشرق وسمع مسند بن مسدد بن مسرهد ورواه عنه فى المغرب، وكان معاصرًا للبخارى وكان شاعرًا، الإصابة (٣/ ١٧٧).

(٢) عمران بن حطان الدوسى البصرى من رؤساء الخوارج ومن الشعراء المفلقين توفى سنة ٨٤ هـ، الإصابة (٣/ ١٧٧).

(٣) الاستيعاب (٣/ ١١٢٩).

وهكذا خرج أمير المؤمنين على بن أبى طالب من هذه الدنيا بعد جهاد عظيم، وقد طويت بوفاته صفحة من أنصع صفحات التاريخ وأنقاها، فقد عرف فيه التاريخ رجلاً فذًا من طراز فريد، كانت همته فى رضا الله تعالى، وكان همه انتصار الإسلام، وأعظم أمانيه سيادة أحكام الله فى دنيا الناس، وأقصى غايته تحقيق العدالة بين أفراد رعيته.

إن دراسة عهد الخلفاء الراشدين تمد أبناء الجيل بالعزائم الراشدية، التى تعيد إلى الحياة روعة الأيام الجميلة الماضية، وبهجتها وبهاءها، وترشد الأجيال بأنه لن يصلح أواخر هذا الأمر إلا بما صلحت به أوائله، وتساعد الدعاة والعلماء وطلاب العلم على التأسى بذلك العهد الراشدى ومعرفة خصائصه ومعالمه وصفات قادته وجيله، ونظام حكمه ومنهجه فى السير فى دنيا الناس، وذلك يساعد أبناء الأمة على إعادة دورها الحضارى من جديد.

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب يوم السبت الساعة الواحدة إلا خمس دقائق ظهرًا بتاريخ ٧ ربيع الآخر ١٤٢٤ هـ الموافق ٧ يونيو ٢٠٠٣م، والفضل لله من قبل ومن بعد، وأسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل ويشرح صدور العباد للانتفاع به، ويبارك فيه بمنه وكرمه وجوده، قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[فاطر: ٢].

ولا يسعنى فى نهاية هذا الكتاب إلا أن أقف بقلب خاشع منيب بفضله وكرمه وجوده، متبرئًا من حولى وقوتى، فالله هو المتفضل، وهو المكرم، وهو المعين، وهو الموفق، فله الحمد على ما منّ به علىّ أولاً وآخرًا، وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل عملى لوجهه خالصًا ولعباده نافعًا، وأن يثيبنى على كل حرف كتبته ويجعله فى ميزان حسناتى، وأن يثيب إخوانى الذين أعانونى بكل ما يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع، ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب ألا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه، فإن دعوة الأخ لأخيه فى ظهر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى. وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[النمل: ١٩].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه

على محمد محمد الصلابى

٧ ربيع الآخر ١٤٢٤ هـ

الخاتمة

وبعد، فهذا ما يسره الله لى من جمع وترتيب وتحليل تضمنتها فصول هذا الكتاب الذى سميته «سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب.. شخصيته وعصره» فما كان فيه من صواب فهو محض فضل الله علىّ، فله الحمد حتى يرضى، وله الحمد عند الرضا، وله الحمد بعد الرضا، وما كان فيه من خطأ فأستغفر الله تعالى وأتوب إليه، والله ورسوله برئ منه، وحسبى أنى كنت حريصًا أن لا أقع فى الخطأ، وعسى أن لا أحرم من الأجر، وأدعو الله تعالى أن ينفع هذا الكتاب إخوانى المسلمين، وأن يذكرني من يقرؤه فى دعائه، فإن دعوة الأخ لأخيه فى ظهر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى، وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وبقول الشاعر أبو محمد القحطانى:

قل: إن خير الأنبياء محمد ... وأجل من يمشى على الكثبان
وأجل صحب الرسل صحب محمد ... وكذلك أفضل صحبه العمران[(١)]
رجلان قد خُلقا لنصر محمد ... بدمى ونفسى ذانك الرجلان
فهما اللذان تظاهرا لنبينا ... فى نصره وهما له صهران
بنتاهما أسنى نساء نبينا ... وهما له بالوحى صاحبتان
أبواهما أسنى صحابة أحمد ... يا حبذا الأبوان والبنتان
وهما وزيراه اللذان هما هما ... لفضائل الأعمال مستبقان
وهما لأحمد ناظراه وسمعه ... وبقربه فى القبر مضطجعان
كانا على الإسلام أشفق أهله ... وهما لدين محمد جبلان
أصفاهما أقواهما أخشاهما ... أتقاهما فى السر والإعلان
أسناهما أزكاهما أعلاهما ... أوفاهما فى الوزن والرّجحان

(١) العمران: أبو بكر وعمر رضى الله عنهما.

صـديق أحـمد صـاحب الغـار الذى هـو فى المغـــــارة والـنبـى اثـنـان
أعنـى: أبا بكر الـذى لم يخــتـلف من شــرعـنا فى فـضـلـه رجــلان
هو شـيخ أصـحـاب النبى وخـيـرهم وإمــــامـــهـم حــقًّـــا بلا بــطلان
وأبو المـطهـــرة التى تـنزيهـــهـــا قـــد جـاءنا فى الـنور والفــرقــان
أكـــرم بعـائـشـة الرضـــا من حـــرة بكـر مطهــــرة الإزار حَـــصَـــان
هى زوج خـــيــــر الأنبــيـــاء وبكره وعــــروســـه من جـمـلـة النســوان
هى عـرسـه، هى أنـسـه، هى إلفـه هى حـــبــه صـــدقًـا بـلا إدهان
أو ليـس والدها يصـــافى بـعلهـــا وهـمــــا بروح الله مـــؤتلفـــان
لما قـــضى صـدّيق أحـــمـد نحـبـه دفع الخــــلافـة للإمــــام الثـــانى
أعنــى به: الفــــاروق فــرَّق عـنوةً بالـســـيـف بين الـكفـــر والإيمان
هو أظهـــر الإسـلام بعـــد خـفـــائه ومــحـــا الظلام وباح بـالكتــمـــان
ومـضى وخلى الأمـر شـــورى بينهم فى الأمـر فاجـتـمعـوا على عـثمـان
من كـــان يســهـر ليلـة فى ركـعــة وترًا فــيكـمل خـــتــمـة القـــرآن
ولى الخـلافـة صـهـر أحـمـد بعـده أعـنى عـلىَّ العــــــالم الربانـى
زوج البـتــول أخـا الرســول وركنه ليـث الحــروب مُنازل الأقـــــران
سـبـحـان من جـعل الخـلافـة رتبـة وبنـى الإمـــامــــة أيمـا بنيــــان
واسـتخلف الأصـحـاب كى لا يدعى من بعـــد أحـــمــد فـى النبـــوة ثانى
أكـــرم بفـاطمـــة البـتـول وبعلهـــا وبمن هـمـــا لمحـــمـــد ســبـطان
غـصنان أصلـهـمـا بروضـة أحـمـد لله در الأصـل والـغــــــصـنـان
أكـرم بطلـحـة والزبيـر وســعـدهم وســـعــيـدهـم وبعـــابد الرحـــمن
وأبى عـــبـيـــدة ذى الديانة والتـــقى وامـدح جـمـاعـة بـيـعـة الرضـوان
قل خـيـر قـول فى صحـابة أحـمـد وامــدح جـــمـــيع الآل والنِّســوان

دع ما جـرى بين الصحـابة فى الوغى ... بسيـوفـهم يوم التـقى الجـمـعـان
فـقـتـيلهم مـنهم وقـاتلهـم لهم ... وكـلاهمـا فى الحـشـر مـرحـومـان
والله يوم الحـشـر ينزع كل مـا ... تحـوى صـدورهم من الأضـغـان
والويـل للركـب الذين سـعـوا ... إلى عثـمان فاجتـمعوا على العصـيان
ويل لمـن قـتـل الحـسين، فـإنه ... قـد بـاء من مـولاه بالخـسـران
لسنـا نكفّـر مـسلمًـا بكبـيـرة ... فـالله ذو عـفـو وذو غـفـران

ويقول الشاعر:

أنا الفـقـيـر إلى رب البـريات ... أنا المسكـين فى مـجـمـوع حـالاتى
أنا المـظلوم لـنفـسـى وهى ظالمتى ... والخـيـر إن يأتنـا من عنده يـاتى
لا أسـتـطيع لنفـسى جلب منفـعـة ... ولا عن الـنفس لى دفـع المضـرات
والفـقـر لـى وصف ذات لازم أبدًا ... كـمـا الـغنى أبدًا وصـف له ذات
وهذه الحـال حـال الخلق أجـمـعـهم ... وكلـهم عـنده عـبـد له آتِ

ويقول الشاعر:

اطلـب العلـم ولا تكسـل فـمـا ... أبعـد الخـيـر على أهل الـكسل!
احـتـفـل للفـقـه فـى الدين ولا ... تشـتـغل عـنه بمال وخَـوَل
واهجـر النـوم وحـصِّله فـمن ... يعـرف المطلوب يـحـقـر مـا بذل
لا تـقل قـد ذهـبت أربـابـه ... كل مـن سـار عـلى الـدرب وصل

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

أحاديث ضعيفة وموضوعة في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه

١- إن الله أوحى إليَّ في عليٍّ ثلاثة أشياء ليلة أسرى بي، أنه سيد المؤمنين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين. (موضوع) السلسلة الضعيفة للألباني، رقم (٣٥٣).

٢- السبق ثلاثة: فالسابق إلى موسى يوشع بن نون والسابق إلى عيسى صاحب ياسين والسابق إلى محمد علي بن أبي طالب. (ضعيف جدًا) السلسلة الضعيفة رقم ٣٥٨ وضعيف الجامع، رقم (٣٣٣٤).

٣- علي إمام البررة، وقاتل الفجرة، منصور من نصره، ومخذول من خذله. (موضوع) السلسلة الضعيفة للألباني، رقم (٣٥٧) وضعيف الجامع (٣٧٩٩).

٤- لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد ود يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة. (كذب) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٠٠).

٥- اللهم إن عبدك عليًا احتبس نفسه على نبيك فرد عليه شرقها، (وفي رواية) اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك، فاردد عليه الشمس. قالت أسماء: فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت. (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٩٧١) للألباني.

٦- إن الله أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم، قيل: يا رسول الله من هم؟ (وفي رواية سمهم لنا) قال: علي منهم يقول ذلك ثلاثًا وأبو ذر وسلمان والمقداد، أمرني بحبهم وأخبرني أنه يحبهم. (ضعيف) السلسلة الضعيفة للألباني برقمي (١٥٤٩، ٣١٢٨). وضعيف الجامع (١٥٦٦). وضعيف سنن الترمذي (٧٧١). وضعيف سنن ابن ماجة (٢٨). والمشكاة (٦٢٤٩).

٧- أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت بابه. (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٢٩٥٥).

٨- أنا عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كذاب، صليت قبل الناس لسبع سنين. (باطل) ضعيف سنن ابن ماجه، برقم (٢٣).

٩- رحم الله عليًا، اللهم أدر الحق معه حيث دار. (ضعيف جدًا) السلسلة الضعيفة (٢٠٩٤). وضعيف الجامع (٣٠٩٥). وضعيف سنن الترمذي (٧٦٧). والمشكاة (٦١٢٥).

١٠-على مع القرآن والقرآن مع على، لن يفترقا حتى يردا على الحوض. (ضعيف) ضعيف الجامع برقم (٣٨٠٢).

١١-على يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين. (ضعيف) ضعيف الجامع (٣٨٠٥).

١٢-ليلة أسرى بى انتهيت إلى ربى عز وجل، فأوحى إلىَّ فى على بثلاث: أنه سيد المسلمين وولى المتقين وقائد الغر المحجلين. (موضوع) السلسلة الضعيفة (٤٨٨٩).

١٣-يا أنس: انطلق فادع لى سيد العرب -يعنى عليًا- فقالت عائشة: ألست سيد العرب؟ قال: أنا سيد ولد آدم وعلى سيد العرب، يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لم تضلوا بعده؟! قالوا: بلى يا رسول الله! قال: هذا على فأحبوه بحبى وأكرموه لكرامتى، فإن جبريل أمرنى بالذى قلت لكم عن الله عز وجل. (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٨٩٠).

١٤- أنت تبين لأمتى ما اختلفوا فيه من بعدى. (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٨٩١).

١٥- أنا المنذر وعلى الهادى، بك يا على يهتدى المهتدون بعدى. (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٨٩٩).

١٦- لما أسرى بى رأيت فى ساق العرش مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله، صفوتى من خلقى أيدته بعلى ونصرته. (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٩٠٢).

١٧- من أراد أن ينظر إلى آدم فى علمه، وإلى نوح فى فهمه، وإلى إبراهيم فى حلمه، وإلى يحيى فى زهده، وإلى موسى فى بطشه فلينظر إلى على. (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٩٠٣).

١٨- تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بالطرقات والنهروانات والشعفات. (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٩٠٧).

١٩- نزلت هذه الآية (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) يوم غدير خم فى على. (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٩٢٢).

٢٠- لما نصب رسول الله عليًا بغدير خم فنادى له بالولاية هبط جبريل بهذه الآية (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى). (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٩٢٣).

٢١- هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا يعني: عليًا. (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٩٣٢).

٢٢- أنشدكم الله: هل فيكم أحد آخى رسول الله بينه وبينه -إذ آخى بين المسلمين- غيرى؟ قالوا: اللهم لا. (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٩٤٩).

٢٣- لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على. (مكذوب) على عليٍّ، منهاج السنة (٥/ ٧٠).

٢٤- حب عليٍّ حسنة لا تضر معها سيئة وبغضة سيئة لا تنفع معها حسنة. (مكذوب) على عليّ منهاج السنة (٥/ ٧٣).

٢٥- الثقلان كتاب الله طرف بيد الله وطرف بأيديكم، فتمسكوا به ولا تضلوا، والآخر عترتى، وإن اللطيف الخبير نبأنى أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فسألت ذلك لهما ربى فلا تقدمهما فتهلكوا،ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهم فهم أعلم منكم. (ضعيف) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٩١٤).

٢٦- معرفة آل محمد براءة من النار، وحب آل محمد جواز على الصراط، والولاية لآل محمد أمان من العذاب. (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٩١٧).

٢٧- إن هذا أخي ووصيي وخليفتي من بعدى فاسمعوا له وأطيعوا.

هذا الحديث باطل متنًا وسندًا. أما من ناحية السند فيه عبد الغفار بن القاسم: قال عنه الذهبى: أبو مريم الأنصارى رافضى، ليس بثقة، قال على بن المدينى: كان يضع الحديث ميزان الاعتدال (٢/ ٦٤٠).

٢٨- إن وصيي وموضع سرى هو على بن أبى طالب، وخير من أترك بعدى وينجز عدتى ويقضى دينى على بن أبى طالب. رواه الهيثمى فى مجمع الزوائد (٩/ ١٤١) وعزاه إلى الطبرانى وقال: فيه ناصح بن عبد الله وهو متروك.

٢٩- أنا دار الحكمة وعلى بابها. رواه الترمذى وأبو نعيم سكت عن قول الترمذى: هذا حديث غريب منكر.. ولا نعرف هذا الحديث عن واحد من الثقات عن شريك حديث، رقم (٣٧٢٣)، وقال ابن الجوزى: هذا حديث موضوع، مشكاة المصابيح (٣/ ١٧٧٧) وحكم ابن الجوزى بأنه مكذوب (الموضوعات ١/ ٣٤٩).

٣٠- أنت يا علي وشيعتك (أولئك هم خير البرية). فيه أبو الجارود: زياد بن المنذر الكوفي، قال عنه الحافظ ابن حجر: رافضي كذبه يحيى بن معين (التقريب ٢١٠١).

٣١- أوحى الله إليَّ في علي ثلاثًا: إنه سيد المؤمنين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين. قال الحافظ: قال الحاكم في المناقب: صحيح الإسناد. قلت: بل هو ضعيف جدًا ومنقطع أيضًا، إتحاف المهرة (١/ ٣٤٤). وقد رد الذهبي هذا الحديث كما في تعليقه على الحديث (المستدرك ٣/ ١٣٩) قائلاً بأن عمر بن الحصين العقيلي وشيخه يحيى بن العلاء الرازي متروكان، بل صرح بأن الحديث موضوع.

٣٢- بخ بخ لك يا علي، أصبحت مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة. فيه علي بن زيد بن جدعان، قال عنه الجوزجاني: واهي الحديث ضعيف، الشجرة في أحوال الرجال، ص(١٩٤) قال ابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (١/ ٢٢٦): هذا الحديث لا يجوز الاحتجاج به. ومن فوقه إلى أبي هريرة ضعفاء. وقال البزار: تكلم فيه جماعة من أهل العلم (كشف الأستار ٤٩٠) وقال الدارقطني: ليس بالقوي. سنن الدارقطني (١/ ١٠٣).

٣٣- رحم الله عليًا، اللهم أدر الحق معه حيث دار. رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين (المستدرك ٣/ ١٢٥) فيه المختار بن نافع التميمي، قال الذهبي تعقيبًا على الحاكم: المختار ساقط. وقال الحافظ: المختار ضعيف (التقريب ٦٥٢٢).

٣٤- علي أخي في الدنيا والآخرة. ضعيف (انظر ضعيف الجامع للألباني ٣٨٠١).

٣٥- علي باب حطة ومن دخله كان آمنًا. موضوع: فيه حسين الأشقر. قال البخاري: فيه نظر (التاريخ الكبير ٢/ ٢٨٦٢) وقال: عنده مناكير (التاريخ الصغير ٢/ ٣١٩) انظر السلسلة الضعيفة للألباني (٣٩١٣).

٣٦- عليٌّ خير البشر فمن أبى فقد كفر. موضوع: قال الحافظ ابن حجر: أخرجه ابن عدي من طرق كلها ضعيفة، تسديد القوس (٣/ ٨٩). قال الذهبي: هذا حديث منكر. ووصف الذهبي هذا الحديث بأنه باطل جلي (ميزان الاعتدال ١/ ٥٢١) وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٣٤٨).

٣٧- لقد علمت أن عليًا أحب إليك من أبي مرتين أو ثلاثًا. ضعفه الألباني (ضعيف أبي داود، ص ٤٩١).

٣٨- مثل أهل بيتى كمثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق. رواه الطبرانى فى الكبير (٣/ ٣٧) والهيثمى (٩/ ١٦٨) فى إسناده عبد الله بن داهر والحسن ابن أبى جعفر وهما متروكان، قاله الهيثمى.

٣٩- من أحب أن يحيا حياتى ويموت موتتى ويسكن جنة الخلد التى وعدنى ربى عز وجل وغرس قضبانها بيديه فليتول على بن أبى طالب. صححه الحاكم (٣/ ١٢٨) وتعقبه الذهبى فيه القاسم متروك وشيخه ضعيف، وهو: يحيى بن العلى الأسلمى. قال الحافظ فى التقريب (٧٦٧٧): شيعى ضعيف. لكنه أخطأ فى ذكر اسم الأسلمى فسماه المحاربى واستغل عبد الحسين فى المراجعات ذلك أبشع استغلال.

٤٠- ما صب الله فى صدرى شيئًا إلا صببته فى صدر على. حديث موضوع (الموضوعات ١/ ١٣١)، أسس المطالب (١٢٦٢).

٤١- محبك محبى ومحبى محب الله، ومبغضك مبغضى ومبغضى مبغض الله. قال الحافظ: رواه ابن عدى وهو باطل. (لسان الميزان ٢/ ١٠٩).

٤٢- يا على أبشر فإنك وأصحابك وشيعتك فى الجنة، يا على صليت العصر؟ قال: لا قال: اللهم إنك تعلم أنه فى حاجتك وحاجة رسولك فرد عليه الشمس قال: فردها عليه فصلى على وغابت الشمس.

أهم المصادر والمراجع

١- المهدى وفقه أشراط الساعة، الدكتور محمد أحمد إسماعيل المقدم، الدار العالمية، الإسكندرية، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٢- الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوى الضال للدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلى، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٣- النهج المبين للأصول العشرين، عبد الله القاسم الوشلى، دار المجتمع، جدة، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٤- مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، د. ناصر بن عبد الله القفارى، دار طيبة.

٥- أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية، عرض ونقد د. ناصر بن عبد الله بن على القفارى، دار الرضا للنشر والتوزيع، الجيزة بمصر، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٦- بذل المجهود فى إثبات مشابهة الرافضة لليهود، عبد الله الجميلى، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٧- السنة ومكانتها فى التشريع، د. مصطفى السباعى، المكتب الإسلامى ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥م.

٨- انتصار الحق.. مناظرة علمية مع بعض الشيعة الإمامية، مجدى محمد على، دار طيبة، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ- ١٩٩٧م.

٩- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطى، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

١٠- سنن سعيد بن منصور، دار الصميعى، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

١١- مسند الدارمى، لأبى محمد عبد الله الدارمى، دار المغنى، الرياض، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٢- الموسوعة الحديثية، السنن الكبرى للإمام أبى عبد الرحمن أحمد بن سعيد النسائى، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

١٣- ثم أبصرت الحقيقة، محمد سالم الخضر، دار الإيمان للطباعة والنشر ٢٠٠٣م.

١٤- المحصول فى علم الأصول، لفخر الدين محمد عمر بن الحسين الرازى، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٥- فقه الإمام علـى بن أبى طالب، أحمد محمد طه، رسـالة مقدمة لجامعـة بغداد قسم الدراسات الإسلامية، لم تطبع.

١٦- أحكام القرآن لأبى بكر بن العربى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١٧- تفسير القرطبـى، لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القـرطبى، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٨- التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، للدكتور وهبة الزحيلى، دار الفكر المعاصر بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

١٩- فى ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة الشرعية الخامسة والعشرون.

٢٠- سورة الحجرات، د. ناصر العمر، دار الصديق، صنعاء، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ.

٢١- منهج القرآن الكريم فى إصلاح النفوس، عبدو الحاج مـحمد الحريرى، رسالة مقدمة لجامعة بغداد.

٢٢- الدعاء ومنزلته من العقـيدة الإسلامية لأبى عبد الرحمن جيـلان بن خضر العروسى، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٢٣- مع الشيعة الإثنى عشرية فى الأصول والفروع، د. على السالوس، دار التقوى.

٢٤- سيد الشهداء، دروس وعبر، عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيبانى، دار الوطن.

٢٥- نساء أهل البيت، منصور عبد الحكيم، المكتبة التوفيقية.

٢٦- الإمام على بن أبى طالب، رابع الخلفاء الراشدين، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٧- تاريخ مدينة السلام وأخـبار محدثيها وذكـر قاطنيها العلماء من غيـر أهلها ووارديها، لأبى بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى، دار الغرب الإسلامى ٢٠٠١م.

٢٨- خلافـة على بن أبى طالب رضى الله عنه، عبد الحـميد على ناصـر فقيـهى، رسالة علميـة قدمت للجـامعـة الإسلاميـة بالمدينة المنورة لم تطبع حـتى الآن أشرف عليـها الدكتور أكرم ضياء العمرى.

٢٩- الاستيـعاب فى معرفة الأصـحاب لأبى عمر يوسف بن مـحمد بن عبد البـر. تحقيق على محمد البجاوى، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٣٠- البداية والنهاية، لأبى الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقى دار الريان، ١٩٩٨م.

٣١- جولة تاريخـية فى عـصر الخلفاء الراشـدين، محـمد السيـد الوكيل، دار المجـتمع، المدينة، الطبعة الخامسة ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٣٢- الصحيح المسند في فضائل الصحابة، لأبي عبد الله مصطفى العدوى، دار ابن عفان، السعودية، الخبر، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٣٣- الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق، د. على محمد الصَّلاَّبى، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٣٤- دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، دار إشبيليا، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، الرياض.

٣٥- دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، د. محمد ضيف الله بطاينة، دار الفرقان، عمان.

٣٦- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، لأبي العباس أحمد بن محمد ابن على بن حجر الهيثمي، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م.

٣٧- فرائد الكلام للخلفاء الكرام، قاسم عاشور، دار طويق الرياض، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٣٨- الخوارج في العصر الأموى، د. نايف معروف، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الرابعة.

٣٩- شرح الصدور ببيان بدع الجنائز والقبور لأبي عمر عبد الله بن محمد الحمادى، مكتبة الصحابة، الشارقة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٤٠- الموسوعة الحديثية. مسند الإمام أحمد بن حنبل، توزيع وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٤١- الأدب العربي من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدى، د. حبيب يوسف مغنية، دار مكتبة الهلال، الطبعة الأولى ١٩٩٥م، بيروت لبنان.

٤٢- الطبقات لابن سعد، دار صادر، بيروت.

٤٣- عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، د. ناصر على عائض حسن الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٤٤- السنة لأبي بكر أحمد بن محمد الخلال، تحقيق د. عطية الزهراني، دار الراية.

٤٥- بيعة على بن أبي طالب، أم مالك الخالدى، حسن فرحان المالكى، مركز الدراسات التاريخية، الطبعة الثالثة، عمّان.

٤٦-تاريخ الإسلام فى عهد الخلفاء الراشدين، محمد أحمد الذهبى، دار الكتاب العربى.
٤٧-فتح البارى، المطبعة السلفية، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.
٤٨-المدينة النبوية، فجر الإسلام والعصر الراشدى، محمد محمد حسن شُرَّاب، دار القلم -بيروت، الدراسات الشامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
٤٩-تاريخ الطبرى لأبى جعفر، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
٥٠-استشهاد عثمان ووقعة الجمل فى مرويات سيف بن عمر فى تاريخ الطبرى، دراسة نقدية د. خالد بن محمد الغيث، دار الأندلس الخضراء، جدة، ١٤١٨هـ.
٥١-سنن أبى داود، الإمام أبى داود، سليمان السجستانى، تحقيق وتعليق عزت الدعاس ١٣٩١هـ، سوريا.
٥٢-سنن ابن ماجة، الحافظ أبو عبد الله محمد بن زيد القزوينى، دار الفكر.
٥٣-سنن الترمذى أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى، دار الفكر ١٣٩٨هـ.
٥٤-سنن النسائى، أحمد بن شعيب بن على بن بحر بن سنان بن دينار النسائى بشرح جلال الدين السيوطى وحاشية الإمام السندى، دار الفكر بيروت.
٥٥-الإحسان فى صحيح ابن حبان، علاء الدين على بن بلبان الفارسى، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.
٥٦-السلسلة الصحيحة، للألبانى، المكتب الإسلامى.
٥٧-معجم الطبرانى الكبير، لأبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى، مكتبة العلوم والحكم الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٩٥م.
٥٨-السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق: أبى هاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٥٩-شرح العقيدة الطحاوية، للعلامة محمد بن على بن محمد الأذرعى، خرج أحاديثها: محمد ناصر الدين الألبانى، المكتب الإسلامى، بيروت، ١٣٩١هـ.
٦٠-النهاية فى غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبى السعادات المبارك بن محمد الجزرى، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود الطناحى، المكتبة الإسلامية.
٦١-صحيح البخارى، لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى، دار الفكر ١٩٩١م.
٦٢-صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.

٦٣- صحيح مسلم بشرح النووى، المطبعة المصرية بالأزهر الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ.

٦٤- مجموعة الفتاوى، تقى الدين أحمد بن تيمية الحرانى، دار الوفاء بالمنصورة، مكتبة العبيكان بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٦٥- المصنف فى الأحاديث والآثار، للحافظ أبى بكر بن أبى شيبة، طبع الدار السلفية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، بومباى الهند.

٦٦- المصنف لعبد الرزاق بن همام الصنعانى، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمى، طبع المكتب الإسلامى، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٦٧- العواصم من القواصم، القاضى أبو بكر بن العربى، تحقيق محب الدين الخطيب، إعداد محمد سعيد مبيِّض، دار الثقافة، قطر الدوحة، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م.

٦٨- تحقيق مواقف الصحابة فى الفتنة من روايات الطبرى والمحدثين، تأليف د. محمد أمحزون، دار طيبة، مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٦٩- الإبانة فى أصول الديانة، لأبى الحسن الأشعرى، طبعة الجامعة الإسلامية، ١٩٧٥م.

٧٠- الإمامة والرد على الرافضة، للحافظ أبى نعيم الأصبهانى، تحقيق وتعليق د. على بن محمد بن ناصر الفقيهى، طبع مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٧١- أصول الدين، لعبد القاهر البغدادى، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٧٢- الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة لأبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى، الناشر، نشاط آباد، فيصل آباد، باكستان.

٧٣- الاقتصاد فى الاعتقاد، لأبى حامد الغزالى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٧٤- المقدمة لابن خلدون.

٧٥- عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة فى صدر الإسلام، سليمان بن حمد العودة، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ.

٧٦- الوصية الكبرى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار المطبعة السلفية ومكتبتها، نشر: قصى محب الدين الخطيب، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ.

٧٧- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، للقاضى أبى على محمد بن الطيب الباقلانى، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٧٨- دراسات فى عهد النبوة والخلافة الراشدة، د. عبد الرحمن الشجاع، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م، دار الفكر المعاصر- صنعاء.

٧٩- الخلافة بين التنظير والتطبيق، محمود المرداوى، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٨٠- منهج على بن أبى طالب فى الدعوة إلى الله، د. سليمان بن قاسم العيد، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

٨١- الدور السياسى للصفوة فى صدر الإسلام، السيد عمر، معهد الفكر العالمي.

٨٢- عبقرية الإمام، عباس محمود العقاد، المكتبة العصرية -بيروت.

٨٣- خلفاء الرسول، خالد محمد خالد، دار ثابت، القاهرة دار الفكر، دمشق ١٩٩٤م.

٨٤- على بن أبى طالب، خالد البيطار.

٨٥- على بن أبى طالب، عبد الستار الشيخ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

٨٦- الأدب الإسلامى فى عهد النبوة، نايف معروف، دار النفائس، بيروت لبنان.

٨٧- الخلفاء الراشدون، عبد الوهاب النجار، دار القلم، بيروت، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٨٨- المرتضى سيرة أمير المؤمنين أبى الحسن بن على بن أبى طالب، لأبى الحسن الندوى، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٨٩- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت.

٩٠- تاريخ المذاهب، لأبى زهرة، دار الفكر العربى، الطبعة الأولى.

٩١- نظام الحكم فى الإسلام، عارف أبو عبيد، دار النفائس، الأردن ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٩٢- الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجى، دار طيبة، السعودية، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.

٩٣- مشكاة المصابيح للبغوى.

٩٤- فتاوى فى التوحيد، عبد الله بن جبرين.

٩٥- الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية، عبد العزيز بن أحمد بن حامد، غراس للتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٩٦- مسند الإمام زيد بن على، جمع عبد العزيز بن إسحاق البغدادى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٩٧- صحيح سنن الترمذى، محمد ناصر الدين الألبانى، مكتب التربية العربى لدول الخليج، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٩٨- صحيح سنن ابن ماجة للألبانى، مكتب التربية العربى لدول الخليج، الرياض.

٩٩- صحيح النسائى للألبانى، مكتب التربية العربى لدول الخليج، الرياض ١٤٠٨هـ.

١٠٠- مشكاة المصابيح للألبانى.

١٠١- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبى نعيم أحمد عبد الله الأصفهانى، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٢- فضائل الصحابة، لأبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، دار ابن الجوزى السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٠-١٩٩٩م.

١٠٣- الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع، الحافظ الخطيب البغدادى، تحقيق د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ.

١٠٤- شرف أصحاب الحديث، الخطيب البغدادى، تحقيق سعيد أوغلى، نشر دار إحياء السنة النبوية.

١٠٥- مسند أحمد، تحقيق أحمد شاكر، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر، ١٣٦٨هـ.

١٠٦- تذكرة السامع والمتكلم فى آداب العالم والمتعلم، سعد الله بن جماعة، دار الكتب العلمية.

١٠٧- تاريخ اليعقوبى، أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر، دار بيروت، لبنان.

١٠٨- جامع بيان العلم وفضله لأبى عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبى، دار الفكر، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٢هـ.

١٠٩- ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى، محب الدين الطبرى، دار المعرفة، بيروت.

١١٠- تاريخ الخلفاء للسيوطى، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

١١١- صفة الصفوة للإمام أبى الفرج بن الجوزى، دار المعرفة، بيروت.

١١٢- التاريخ الإسلامى، مواقف وعبر؛ د. عبد العزيز عبد الله الحميدى، دار الدعوة الإسكندرية، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

١١٣- أدب الدين والدنيا للماوردى.

١١٤- المتجر الرابح فى ثواب العمل الصالح للدمياطى.

١١٥- الكامل فى التاريخ، أبو الحسن على بن أبى المكارم الشيبانى، المعروف بابن الأثير، تحقيق على شيرى، دار إحياء التراث العربى، بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٩ .

١١٦-صحيح التوثيق فى سيرة على بن أبى طالب، مجدى فتحى السيد، دار الصحابة بطنطا الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١١٧-الإمام على بن أبى طالب، محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.

١١٨-رجال الفكر والدعوة للندوى، دار ابن كثير.

١١٩-كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال، تصنيف نديم مرعشلى، أسامة مرعشلى، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٢٠-أخلاق النبى فى القرآن والسنة، د. أحمد الحداد، دار الغرب الإسلامى ١٩٩٩م.

١٢١-روح المعانى، للألوسى.

١٢٢-الزهد للإمام أحمد بن حنبل.

١٢٣-أصحاب الرسول، محمود المصرى، مكتبة أبى حذيفة السلفى، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١٢٤-نيل الأوطار، محمد بن على الشوكانى، الطبعة الأخيرة، مصطفى البابى الحلبى وشركاه، القاهرة.

١٢٥-تراث الخلفاء الراشدين فى الفقه والقضاء، د. صبحى محمصانى، دار العلم للملايين الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

١٢٦-مفتاح دار السعادة لابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقى، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٣٩٢هـ.

١٢٧-مدارج السالكين، ابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقى، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٣٩٢هـ.

١٢٨-تاريخ دمشق، دار إحياء التراث، الطبعة الأولى.

١٢٩-لطائف المعارف لابن رجب، دار ابن كثير.

١٣٠-عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣١-التوقيف على مهمات التعاريف لمحمد عبد الرءوف المناوى، تحقيق د. محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، دار الفكر.

١٣٢-معرفة الصحابة لأبى نعيم، تحقيق محمد راضى ابن حاج عثمان، مكتبة الدار فى المدينة، ومكتبة الحرمين فى الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

١٣٣- موسوعة فقه على بن أبى طالب، قلعجى دار النفائس، بيروت، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

١٣٤- فقه التمكين فى القرآن الكريم، على محمد الصَّلاَّبى، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

١٣٥- شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبى القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبرى اللالكائى، تحقيق د. أحمد سعد حمدان الغامدى، دار طيبة، الرياض.

١٣٦- المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة للزمخشرى، تحقيق سيد إبراهيم صادق، دار الحديث، طبعة ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

١٣٧- الشيخان أبو بكر الصديق وعمر من رواية البلاذرى فى أنساب الأشراف، تحقيق إحسان صديق العمد، المؤتمن للنشر، السعودية، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٣٨- نظام الحكم فى عهد الخلفاء الراشدين، حمد محمد الصمد، المؤسسة الجماعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

١٣٩- الدولة والسيادة فى الفقه الإسلامى، فتحى عبد الكريم، مكتبة وهبة.

١٤٠- النظام السياسى فى الإسلام، د. محمد أبو فارس، دار الفرقان، عمان، الأردن.

١٤١- روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد المقدسى، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٣٩١هـ.

١٤٢- الإدارة العسكرية فى الدولة الإسلامية نشأتها وتطورها حتى منتصف القرن الثالث الهجرى، د. سليمان بن صالح بن سليمان آل كمال، منشورات جامعة أم القرى.

١٤٣- نهاية الأرب فى فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى، مطبعة كوتسا توماس بالقاهرة.

١٤٤- فن الحكم الإسلامى، مصطفى أبو زيد فهمى، المكتب المصرى الحديث.

١٤٥- الشورى بين الأصالة والمعاصرة، عز الدين التميمى، دار البشير، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

١٤٦- المستدرك على الصحيحين، للإمام أبى عبد الله النيسابورى بذيله التلخيص للذهبى، طبعة ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م، دار الفكر.

١٤٧- نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده، دار البلاغة، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٤٨- مسند أبى يعلى، أحمد بن على المثنى التميمى، تحقيق وتخريج حسين سليم أسد، الطبعة الأولى، دار المأمون للتراث، دمشق.

١٤٩- مجمع الزوائد، ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٥٠- الوسطية في القرآن الكريم، علي محمد الصَّلاَّبي، دار النفائس، دار البيارق عمَّان، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

١٥١- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للشيخ عبد الرحمن السعدي.

١٥٢- الاستذكار لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار، لابن عبد البر، لجنة إحياء التراث الإسلامي.

١٥٣- الغلو في الدين، د. الصادق عبد الرحمن الغرياني، دار السلام ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

١٥٤- المواعظ والاعتبار، أحمد بن علي عبد القادر المقريزي، الطبعة الثانية، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ١٩٨٧م.

١٥٥- الاعتصام للشاطبي، تحقيق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٢هـ.

١٥٦- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، لابن القيم الجوزية.

١٥٧- في ظلال الإيمان، صلاح عبد الفتاح الخالدي، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء.

١٥٨- تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، علي محمد الصَّلاَّبي، دار الصحابة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

١٥٩- تفسير الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية.

١٦٠- السيرة النبوية، لابن هشام، لأبي محمد بن عبد الملك بن هشام، دار الفكر، بدون تاريخ.

١٦١- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت.

١٦٢- عيون الأخبار لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م.

١٦٣- الإعجاز والإيجاز، أبو منصور الثعالبي، دار الرائد العربي، بيروت.

١٦٤- مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٣هـ- ١٩٨٢م.

١٦٥- الشريعة للإمام المحدث أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق د. عبد الله بن سليمان الدميجي، الطبعة الأولى، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٦٦- الشرك فى القديم والحديث، أبو بكر محمد زكريا، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢١هـ.
١٦٧- مختصر منهاج القاصدين، أحمد بن عبد الرحمن المقدسى، مكتبة البيان، دمشق ١٣٩٨هـ.
١٦٨- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٩م.
١٦٩- إحياء علوم الدين للغزالى.
١٧٠- معالم السلوك وتزكية النفوس، عبد العزيز محمد عبد اللطيف، دار الوطن السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
١٧١- بدائع الفوائد لابن القيم، مكتبة الرياض.
١٧٢- صيد الخاطر لابن الجوزى.
١٧٣- الأخلاق والسير لابن حزم.
١٧٤- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور، للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطى، دار الفكر، بيروت، لبنان،الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
١٧٥- الرياض النضرة فى مناقب العشرة، لأبى جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبرى، المكتبة القيمة، القاهرة.
١٧٦- المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم لأبى الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٧٧- نظام الحكومة الإسلامية للكتانى: المسمى التراتيب الإدارية، محمد عبد الحى الكتانى الإدريسى الحسنى، دار الأرقم بن أبى الأرقم- بيروت.
١٧٨- الأموال، لأبى عبيد، تحقيق محمد خليل هرّاس، مكتبة الكليات الأزهرية.
١٧٩- الحياة الاقتصادية فى العصور الإسلامية الأولى، د. محمد ضيف الله بطاينة، دار طارق، دار الكندى، الأردن.
١٨٠- الهبة فى العصر النبوى وعصر الخلفاء الراشدين، د. فضل إلهى، مؤسسة المجريسى، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
١٨١- المغنى للإمام العلامة ابن قدامة المقدسى، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.
١٨٢- الخراج، لأبى يوسف يعقوب بن إبراهيم، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٣٨٢هـ.
١٨٣- ولاية الشرطة فى الإسلام، د. نمر الحميدانى، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٤هـ.

١٨٤- تاريخ خليفة بن خياط، أبو عمر خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي، تحقيق أكرم ضياء العمرى، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، ودار القلم، بيروت ١٣٩٧هـ.

١٨٥- الإصابة فى تمييز الصحابة، أحمد بن على بن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨٦- على بن أبى طالب، د. على شرفى، دار الكندى، أربد، الأردن، ٢٠٠١م.

١٨٧- الولاية على البلدان فى عصر الخلفاء الراشدين، د. عبد العزيز إبراهيم العمرى.

١٨٨- من أصول الفكر السياسى، محمد فتحى عثمان، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

١٨٩- النظم المالية فى الإسلام، عيسى عبده، معهد الدراسات الإسلامية، القاهرة.

١٩٠- السياسة المالية لعثمان بن عفان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.

١٩١- تاريخ العرب، مطول، د. فيليب حتى، ترجمة إدوارد جرجى، د. جبرائيل جبور، دار الكشاف، بيروت، ١٩٤٩م.

١٩٢- وقائع ندوة النظم الإسلامية، أبو ظبى، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م.

١٩٣- نظام الحكم فى الشريعة والتاريخ الإسلامى، ظافر القاسمى، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٩٤- إعلام الموقعين عن رب العالمين لشمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر ابن القيم، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

١٩٥- الاجتهاد فى الفقه الإسلامى ضوابطه ومستقبله، عبد السلام السليمانى، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية.

١٩٦- خلاصة التشريع الإسلامى، عبد الوهاب خلاف، دار القلم، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

١٩٧- تاريخ القضاعى، كتاب عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف، للإمام القاضى محمد ابن سلامة بن جعفر الشافعى، مطبوعات جامعة أم القرى.

١٩٨- تاريخ القضاء فى الإسلام، د. محمد الزحيلى، دار الفكر دمشق، دار الفكر المعاصر لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

١٩٩- أخبار القضاة لوكيع، وكيع محمد بن خلف بن حيان، الطبعة الأولى، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، ١٣٦٦هـ- ١٩٤٧م.

٢٠٠- الأحكام السلطانية، لأبى الحسن على بن محمد بن حبيب، دار الفكر، بيروت.

٢٠١-شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، تحقيق حسن تميم، مكتبة الحياة، بيروت.

٢٠٢-صحيح سنن أبى داود، مكتب التربية العربى لدول الخليج.

٢٠٣-شرح صحيح مسلم، للإمام النووى، بيروت، دار الفكر، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٢٠٤-المجموع شرح المهذب، للإمام أبى زكريا يحيى بن شرف النووى، مطبعة الإمام بمصر.

٢٠٥-المبسوط لمحمد بن أحمد بن أبى سهل شمس الأئمة السرخسى -دار المعرفة بيروت.

٢٠٦-المحلى بالآثار، للإمام أبى محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

٢٠٧-معجم الطبرانى، سليمان بن أحمد الطبرانى، الدار العربية، بغداد ١٣٩٨هـ.

٢٠٨-جمع الجوامع بحاشية العطار للإمام ابن السبكى مع شرح الجلال المحلى، دار الكتب العلمية- بيروت.

٢٠٩-بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع للعلامة علاء الدين أبى بكر بن مسعود الكاسانى الحنفى، الناشر زكريا على يوسف.

٢١٠-فتح العزيز شرح الوجيز للإمام أبى القاسم عبد الكريم محمد الرافعى، المطبوع فى هامش المجموع.

٢١١-بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لمحمد بن أحمد بن رشد القرطبى، ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م، مطبعة الكليات الأزهرية.

٢١٢-المنتقى شرح موطأ مالك بن أنس للقاضى أبى الوليد سليمان بن خلف الباجى الأندلسى، طبعة مصورة على الطبعة الأولى سنة ١٣١٣هـ، مطبعة السعادة.

٢١٣-إعلاء السنن للمحدث الناقد ظفر أحمد العثمانى على ضوء ما فاده الإمام الفقيه الشيخ أشرف على التهانوى بتحقيق وتعليق عبد الفتاح أبو غدة- منشورات إدارة القرآن والعلوم الإسلامية باكستان.

٢١٤-الإشراف على مذاهب أهل العلم للحافظ محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابورى، بتحقيق محمد نجيب سراج الدين، دار إحياء التراث الإسلامى بدولة قطر.

٢١٥-السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار للشيخ محمد بن على الشوكانى، تحقيق محمود إبراهيم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٢١٦- المدونة الكبرى للإمام مالك بن أنس، طبعة بالأوفسيت ١٣٢٣هـ، دار صادر بيروت.

٢١٧- سبل السلام، للأمير الصنعانى.

٢١٨- مقاصد الشريعة الإسلامية، د. محمد سعد اليوبى، دار الهجرة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٢١٩- الحكم والتحاكم فى خطاب الوحى، عبد العزيز مصطفى كامل، دار طيبة.

٢٢٠- الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح البارى، يحيى بن إبراهيم اليحيى، دار الهجرة الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٢٢١- عصر الخلافة الراشدة، د. أكرم ضيام العمرى، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٢٢٢- حقيقة البدعة وأحكامها، سعيد ناصر الغامدى، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٢هـ.

٢٢٣- الموافقات فى أصول الشريعة لأبى إسحاق الشاطبى، تحقيق عبد الله دراز، دار الباز، مكة المكرمة.

٢٢٤- شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادى، تحقيق محمد محمد سعيد الخطيب أوغلى، دار إحياء السنة النبوية.

٢٢٥- الأم للشافعى، دار المعرفة بيروت.

٢٢٦- مسائل الإمام أحمد لأبى داود سليمان بن الأشعث، مطبعة المنار بمصر، ١٣٥٣هـ.

٢٢٧- مناقب الشافعى للرازى محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم، تحقيق عبد الغنى عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٢٨- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلانى، عن طبعة حيدر آباد.

٢٢٩- الإنصاف فيما وقع فى تاريخ العصر الراشدى من خلاف، د. حامد محمد الخليفة، مطابع الدوحة المدينة الرياضية عمّان، الأردن، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٢٣٠- الاستبصار فى نسب الصحابة من الأنصار، تحقيق د. على نويهض، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

٢٣١- تهذيب تاريخ دمشق، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢٣٢- الأخبار الطوال، لأبى حنيفة أحمد بن داود، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة د. جمال الدين الشيال، مكتبة المتنبى، بغداد.

٢٣٣-كتاب الفتوح، أبو محمد أحمد بن أعثم، الطبعة الأولى، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند ١٣٨٨هـ- ١٩٩٨م.

٢٣٤-ولاة مصر، لأبي يوسف محمد بن يوسف الكندي، تحقيق د. حسين نصار، دار صادر، بيروت بدون تاريخ.

٢٣٥-مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، يحيى إبراهيم اليحيى، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٢٣٦-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة بدون تاريخ.

٢٣٧-تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان، علي محمد الصَّلاَّبي، دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٢٣٨-منهاج السنة النبوية لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد، مؤسسة قرطبة.

٢٣٩-الثقات، محمد بن حبان بن أحمد، مكتبة مدينة العلم، مكة المكرمة، ١٣٩٣هـ.

٢٤٠-فتنة مقتل عثمان بن عفان، محمد عبد الله الغبان، مكتبة العبيكان، ١٤١٩هـ.

٢٤١-تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف عبد الرحمن المزي، بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٢٤٢-آثار الحرب في الفقه الإسلامي، د. وهبة الزحيلي، دراسة مقارنة، دار الفكر.

٢٤٣-الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٢٧١هـ.

٢٤٤-وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثانية القاهرة ١٣٨٢هـ.

٢٤٥-تفسير التابعين، عرض ودراسة مقارنة د. محمد عبد الله علي الخضيري، دار الوطن، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٢٤٦-فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، علي محمد الصَّلاَّبي، دار الصحابة، الإمارات، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

٢٤٧-أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، د. إبراهيم علي شعوط، المكتب الإسلامي.

٢٤٨-الفتنة الكبرى -علي وبنوه، طه حسين، دار المعارف بمصر ١٩٦٦م.

٢٤٩- الدراهم المضروبة على الطراز الساساني للخلفاء الراشدين في المتحف العراقي، وداد علي قزاز، مجلة المسكوكات، مديرية الآثار العامة ببغداد، الجزء،(١) المجلد (١) ١٩٦٩م.

٢٥٠- الأنساب، لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، تحقيق وتعليق الأستاذ محمد عوامة، الطبعة الأولى، نشر محمد أمين دمج، بيروت ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م.

٢٥١- التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، محمد بن يحيى بن أبي بكر المالقي الأندلسي، حققه د. محمود يوسف زايد، دار الثقافة، الدوحة، ١٩٨٥م.

٢٥٢- الأساس في السنة وفقهها، سعيد حوى، دار السلام، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٢٥٣- الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي، د. محسن باقر الموسوي، الغدير، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٢٥٤- النظم الإسلامية، صبحي الصالح، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت.

٢٥٥- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري، القاهرة ١٩٧٠م، محمد حسين الزبيدي.

٢٥٦- العرافة والنقابة مؤسستان اجتماعيتان مهمتان في العهد النبوي، محمد يوسف الفاروقي، مجمع البحوث الإسلامية -الجامعة الإسلامية- إسلام آباد باكستان، ١٩٨٢م.

٢٥٧- تفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٢٥٨- التفسير الصحيح، موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، د. حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر، المدينة النبوية، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٢٥٩- منهج القرآن الكريم في إصلاح النفوس، د. عبدو الحريري، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، لم تطبع.

٢٦٠- دعاوى الإنقاذ للتاريخ الإسلامي، سليمان العودة، رسالة نشرت على الإنترنت.

٢٦١- تذكرة الحفاظ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، بيروت، دار إحياء التراث.

٢٦٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر.

٢٦٣-وفيات الأعيان وأبناء الزمان، لابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

٢٦٤-البيان والتبيين للجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، دار الخانجي بمصر، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

٢٦٥-ميزان الاعتدال للذهبي، تحقيق: على محمد البجاوى، دار المعرفة، بيروت.

٢٦٦-لسان الميزان، لابن حجر العسقلانى، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، بيروت.

٢٦٧-المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لابن حبان البستى محمود إبراهيم زيد، دار المعرفة، بيروت.

٢٦٨-رجال الكشى، لأبى عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشى، قدم له وعلق عليه أحمد السيد الحسينى.

٢٦٩-عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة، لمحمد على المعلم.

٢٧٠-الخوارج والشيعة، يوليوس فلهاوزن.

٢٧١-السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات، فان فولتن، ترجمة حسن إبراهيم حسن، ومحمد زكى إبراهيم، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م.

٢٧٢-العقيدة والشريعة الإسلامية، جولد تسهير، أجناس ترجمة د. محمد يوسف موسى وآخرين، القاهرة، دار الكتب الحديثة.

٢٧٣-تاريخ الأدب العربى فى الجاهلية وصدر الإسلام، نكلسن، رينولد، ترجمة صفاء خلوصى، بغداد، مطبعة المعارف ١٣٨٨هـ- ١٩٦٩م.

٢٧٤-عقائد الشيعة، رونلدسن، دوايت تعريب (ع م) القاهرة، مكتبة الخانجى.

٢٧٥-أصول الإسماعيلية، لويس بارنارد، ترجمه إلى العربية خليل أحمد جلو، جاسم محمد الرجب، بغداد، مكتبة المثنى، ١٣٦٧هـ- ١٩٤٧م.

٢٧٦-عائشة والسياسة، سعيد الأفغانى، دار الفكر، بيروت، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

٢٧٧-الدولة الأموية، يوسف العشى، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م.

٢٧٨-أحداث وأحاديث فتنة الهرج، د. عبد العزيز دخان، رسالة دكتوراة بفاس بالمغرب لم تطبع.

٢٧٩-المغنى فى الضعفاء، الذهبى، تحقيق نور الدين عتر.

٢٨٠ـ التاريخ الكبير للبخارى، مؤسسة الثقافة، بيروت.

٢٨١ـ دور المرأة السياسى فى عهد النبى والخلفاء الراشدين، أسماء محمد أحمد زيادة، دار السلام، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٢٨٢ـ الإمامة والسياسة، المنسوب لابن قتيبة، مؤسسة الحلبى، القاهرة.

٢٨٣ـ لمع الأدلة فى عقائد أهل السنة، للجوينى، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، تحقيق فوقية حسين محمود، الناشر الدار المصرية.

٢٨٤ـ غياث الأمم فى التَياث الظُّلم لإمام الحرمين الجوينى، تحقيق عبد العظيم الديب، مطابع الدوحة الحديثة، قطر، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

٢٨٥ـ التذكرة فى أحوال الموتى والآخرة، لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى، حققه وأخرج أحاديثه فؤاد أحمد زمرلى، دار الكتاب العربى.

٢٨٦ـ حقبة من التاريخ، عثمان الخميس، دار الإيمان، الإسكندرية.

٢٨٧ـ العقيدة فى أهل البيت بين الإفراط والتفريط، د. سليمان بن سالم بن رجاء السحيمى، مكتبة البخارى، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٢٨٨ـ إفادة الأخيار ببراءة الأبرار، محمد العربى التبانى، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٨٩ـ أعلام النصر المبين لأبى الخطاب عمر بن الحسن بن دحية الكلبى، تحقيق د. محمد أمحزون، دار الغرب، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٢٩٠ـ أسد الغابة فى معرفة الصحابة، تحقيق محمد إبراهيم البنا، مطبعة الشعب.

٢٩١ـ تقريب التهذيب لابن حجر.

٢٩٢ـ الكامل فى ضعفاء الرجال لابن عدى، الحافظ أحمد بن عبد الله الجرجانى، دار الفكر للطباعة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

٢٩٣ـ الأنصار فى العصر الراشدى، سياسيًا وعسكريًا وفكريًا، د. حامد محمد خليفة، رسالة دكتوراه من كلية الآداب فى جامعة بغداد لم تطبع، من صورة مصورة.

٢٩٤ـ العثمانية، للجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت.

٢٩٥ـ خلاصة الخلافة الراشدة من تاريخ ابن كثير، محمد كنعان، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٨م.

٢٩٦ـ نسب قريش، أبو عبد الله مصعب بن عبد الله الزبيرى، دار المعارف، القاهرة.

٢٩٧- التاريخ الصغير للبخارى، محمد بن إسماعيل البخارى، تحقيق محمود إبراهيم زايد، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، دار المعرفة، بيروت.

٢٩٨- أنساب الأشراف، لأبى الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى.

٢٩٩- كتاب أهل البغى من الحاوى الكبير، لأبى الحسن الماوردى.

٣٠٠- المنتقى من منهاج الاعتدال فى نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، للحافظ أبى عبد الله محمد عثمان الذهبى، مكتبة دار البيان، حققه وعلق عليه: محب الدين الخطيب.

٣٠١- سير السلف لأبى القاسم الأصفهانى، دار الراية، الرياض، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣٠٢- أهل الشورى الذين اختارهم عمر، رضى الله عنه، رياض العبد الله، دار الرشيد، بيروت دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٣٠٣- عمدة القارى، شرح صحيح البخارى، بدر الدين العينى.

٣٠٤- تحفة الأحوذى بشرح الترمذى، لمحمد بن عبد الرحمن المباركفورى، مطبعة الاعتماد، نشر محمد عبد المحسن الكتبى، تصحيح عبد الرحمن محمد عثمان.

٣٠٥- دراسات تربوية فى الأحاديث النبوية، للأعظمى محمد لقمان الأعظمى الندوى، دار العبيكان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٣٠٦- الزهد لابن المبارك.

٣٠٧- الزبير بن العوام، الثروة والثورة، عبد العظيم الديب، مكتبة ابن تيمية، البحرين.

٣٠٨- فرسان فى عصر النبوة، أحمد خليل جمعة، اليمامة، دمشق، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣٠٩- تاريخ الدعوة الإسلامية، محمد جميل عبد الله المصرى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣١٠- معاوية بن أبى سفيان، صحابى كبير وملك مجاهد، منير الغضبان، دار القلم دمشق، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٣١١- المعرفة والتاريخ، للفسوى، لأبى يوسف الفسوى، تحقيق أكرم ضياء العمرى، مطبعة الإرشاد بغداد، ١٣٩٤هـ.

٣١٢- الأعلام للزركلى، دار العلم للملايين -بيروت لبنان- الطبعة السادسة، ١٩٨٤م.

٣١٣- إرواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل، للشيخ محمد ناصر الدين الألبانى، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، نشر المكتب الإسلامى.

٣١٤- الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين د. حمدى شاهين، دار القاهرة.

٣١٥- مسند أحمد مع الفتح الربانى، للساعاتى، أحمد عبد الرحمن الساعاتى، فى ترتيب الإمام، مطبعة الفتح الربانى بالقاهرة، الطبعة الأولى.

٣١٦- تهذيب الأسماء واللغات: للإمام محيى الدين أبى زكريا يحيى بن شرف النووى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣١٧- تلخيص الحبير فى أحاديث الرافعي الكبير: لأبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى، مراجعة: السيد عبد الله هاشم اليمانى المدنى، المدينة المنورة.

٣١٨- عمرو بن العاص الأمير المجاهد، د. منير الغضبان، جامعة أم القرى، ١٤٢٠هـ.

٣١٩- عمار بن ياسر، أسامة بن أحمد سلطان، المكتبة المكية، السعودية، ١٤٢٠هـ.

٣٢٠- قصص لا تثبت، سليمان بن صالح الخراشى، دار الصميعى، الرياض، ١٤٢٠هـ.

٣٢١- تنزيه أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان من الظلم والفسق فى مطالبته بدم أمير المؤمنين عثمان، لأبى يعلى محمد الفراء، تحقيق دار النبلاء عمان، ٢٠٠١م.

٣٢٢- أبو موسى الأشعرى، الصحابى العالم المجاهد، محمد طهماز، دار القلم، دمشق.

٣٢٣- أنس بن مالك الخادم الأمين، عبد الحميد طهماز، دار القلم، دمشق.

٣٢٤- مناقب عمر لابن الجوزى.

٣٢٥- مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى، والخلافة الراشدة، محمد حميد الله، دار النفائس، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٣٢٦- صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلى، دار النفائس، ١٤٠٨هـ- ١٩٩٨م.

٣٢٧- السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم العمرى، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، مكتبة المعارف والحكم بالمدينة المنورة.

٣٢٨- السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق.

٣٢٩- صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، للألبانى، دار الصميعى السعودية.

٣٣٠- غزوة الحديبية، لأبى فارس، دار الفرقان، الأردن.

٣٣١- من معين السيرة، صالح أحمد الشامى، المكتب الإسلامى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٣٣٢- إتمام الوفاء بسيرة الخلفاء، محمد الخضرى، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٦م.

٣٣٣- فتوح الشام، محمد عبد الله الأزدى، تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر، نشر مؤسسة القاهرة ١٩٧٠م.

٣٣٤- القيادة العسكرية فى عهد الرسول، دار القلم، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٣٣٥- سفراء النبى ﷺ، محمود شيت خطاب، مؤسسة الريان، دار الأندلس الخضراء، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٣٣٦- عمرو بن العاص، عبد الخالق سيد أبو رابية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٣٣٧- عمرو بن العاص، عباس محمود العقاد، الناشر دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٩٦٩م.

٣٣٨- المراسيل، لابن أبى حاتم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ.

٣٣٩- التاريخ، لأبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى، تحقيق أحمد محمد نور سيف، دار المأمون للتراث.

٣٤٠- الأحكام السلطانية، لأبى يعلى محمد بن الحسين تعليق: محمد حامد الفقى، دار الكتب العلمية/ بيروت ١٤٠٣هـ.

٣٤١- الجهاد والقتال فى السياسة الشرعية، محمد خير هيكل، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٣٤٢- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للقاضى أبى بكر بن الطيب الباقلانى، تحقيق محمد زاهد الكوثرى، الطبعة الثانية، مؤسسة الخانجى ١٣٨٢هـ.

٣٤٣- مناقب الإمام أحمد بن حنبل، لأبى الفرج بن الجوزى، تحقيق: لجنة إحياء التراث، طبع دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ.

٣٤٤- عقيدة الإمام ابن قتيبة، د. على بن نفيع العليانى، مكتبة الصديق، السعودية.

٣٤٥- المعارف لابن قتيبة، تحقيق ثروت عكاشة، الطبعة الثالثة، دار المعارف مصر.

٣٤٦- مختصر التحفة الإثنى عشرية، للسيد محمود شكرى الألوسى، مكتبة إيشيق- استانبول، تركيا، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٣٤٧- السيف اليمانى فى نحر الأصفهانى، وليد الأعظمى، دار الوفاء، مصر.

٣٤٨- منهج كتابة التاريخ الإسلامى، محمد صامل العليانى السلمى، دار طيبة، الرياض،

٣٤٩- أثر التشيع على الروايات التاريخية فى القرن الأول الهجرى، د. عبد العزيز محمد نور ولى، دار الخضيرى، المدينة النبوية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٣٥٠- منهج المسعودى فى كتابة التاريخ، سليمان بن عبد الله المديد السويكت.

٣٥١- تاريخ عمرو بن العاص، حسن إبراهيم حسن، مطبعة السعادة، ١٩٢٢م.

٣٥٢- الشيعة والسنة، إحسان إلهى ظهير.

٣٥٣- دراسات عن الفرق وتاريخ المسلمين، د. أحمد محمد جلى، شركة الطباعة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٣٥٤- الإمام الصادق، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربى.

٣٥٥- الشيعة والقرآن، إحسان إلهى ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان.

٣٥٦- تأويل مختلف الحديث، لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: محمد محيى الدين الأصفر، المكتب الإسلامى، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٣٥٧- المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، لأبى العباس أحمد بن عمر القرطبى، تحقيق محيى الدين ديب مستو، يوسف بدوى، دار ابن كثير، بيروت، دمشق.

٣٥٨- الكفاية، أحمد بن على الخطيب، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ، دار الكتاب العربى، تحقيق وتعليق: الدكتور أحمد عمر هاشم.

٣٥٩- فتح المغيث شرح ألفية الحديث، محمد بن عبد الرحمن السخاوى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣٦٠- تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى، منشورات المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

٣٦١- مقدمة ابن الصلاح فى علوم الحديث لأبى عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣٦٢- الباعث الحثيث، شرح اختصار علوم الحديث، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق أحمد شاكر، طبع مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده، ١٣٧٠هـ.

٣٦٣- جلاء الأفهام فى الصلاة والسلام على خير الأنام، لأبى عبد الله محمد بن أبى بكر بن أيوب الشهير بابن قيم الجوزية، دار القلم، بيروت، لبنان.

٣٦٤- تفسير السعدى، المسمى تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى، تحقيق: محمد زهرى النجار، المؤسسة السعدية.

٣٦٥- تفسير القرآن العظيم، لأبى الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ- ١٩٧٠م.

٣٦٦- الفرق بين الفرق، لعبد القاهر بن طاهر البغدادى، تعليق محمد محيى الدين عبد الحميد، مكتبة محمد على صبيح، مصر.

٣٦٧- أثر الإمامة فى الفقه الجعفرى وأصوله، على أحمد السالوس، دار وهدان للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

٣٦٨- الخطوط العريضة للأسس التى قام عليها دين الشيعة الإمامية الإثنى عشرية، محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٩٣هـ.

٣٦٩- المحاسن النفسانية فى أجوبة المسائل الخراسانية، الشيخ حسين آل عصفور البحرانى، دار المشرق العربى، بيروت، البحرين.

٣٧٠- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير، محمد على الشوكانى، مطبعة مصطفى البابى الحلبى، مصر، الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ.

٣٧١- النهاية فى الفتن والملاحم، لابن كثير، دار المعرفة بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م.

٣٧٢- ضحى الإسلام، أحمد أمين.

٣٧٣- النهى عن سب الأصحاب، للمقدسى، محمد عبد الواحد المقدسى، تحقيق: عبد الرحمن التركى، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.

٣٧٤- لمحات اجتماعية من تاريخ العراق، د. على الوردى، مطبعة الإرشاد، بغداد.

٣٧٥- الفكر الشيعى والنزعات الصوفية، كامل الشيبى مكتبة النهضة، بغداد.

٣٧٦- نظام الخلافة فى الفكر الإسلامى، د. مصطفى حلمى، دار الدعوة، الإسكندرية.

٣٧٧- خصائص أمير المؤمنين على بن أبى طالب، لأبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى، تحقيق أحمد ميرين البلوشى، مكتبة المعلا، الكويت.

٣٧٨- منهج ابن تيمية فى مسألة التكفير، الدكتور عبد المجيد بن سالم المشعبى، أضواء السلف، السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٣٧٩- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبى الحسن الأشعرى، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية.

٣٨٠- هدى السارى، مقدمة فتح البارى، الحافظ ابن حجر العسقلانى، المطبعة السلفية.

٣٨١- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لأبى الحسين محمد بن أحمد الملطى، مكتبة المثنى، بغداد ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.

٣٨٢- الخوارج، ناصر العقل، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٣٨٣- الوظيفة العقيدية للدولة الإسلامية، حامد عبد الماجد قويسى، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٣٨٤- تلبيس إبليس، لابن الجوزى، بتحقيق محمود مهدى استانبولى ١٣٩٥هـ.

٣٨٥- الخوارج، دراسة ونقد لمذهبهم، ناصر بن عبد الله السعوى، دار المعارج الدولية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٣٨٦- نصب الراية لأحاديث الهداية، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف الزيلعى، دار المأمون، القاهرة ١٣٥٧هـ- ١٩٣٨م.

٣٨٧- ظاهرة الغلو فى الدين في العصر الحديث، محمد عبد الحكيم، ١٩٩١م.

٣٨٨- الإباضية فى موكب التاريخ، على يحيى معمر، مكتبة وهبة.

٣٨٩- السياسة فى إصلاح الراعى والرعية، ابن تيمية، المطبعة السلفية ومكتبتها.

٣٩٠- فيض القدير فى شرح الجامع الصغير، عبد الرءوف المناوى، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ- ١٩٧٢م.

٣٩١- قواعد فى التعامل مع العلماء، د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار الوراق، السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ- ١٩٩٢م.

٣٩٢- التكفير جذوره وأسبابه، د. نعمان عبد الرزاق السامرائى -دار المنارة- جدة.

٣٩٣- ظاهرة التكفير، الأمين الحاج محمد أحمد، مكتبة دار المطبوعات الحديثة، جدة، السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٣٩٤- الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، د. يوسف القرضاوى -كتاب الأمة(٢).

٣٩٥- مصباح الظلام فى الرد على من كذب على الشيخ الإمام، عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، دار الهداية، الرياض.

٣٩٦- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهرى، تحقيق أحمد عبد الغفور، الطبعة الثانية، القاهرة ١٤٠٢هـ.

٣٩٧- المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى، تأليف أحمد بن محمد المقرى الفيومى، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

٣٩٨- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

٣٩٩- مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٤٠٠- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة للحافظ قوام السنة أبي القاسم إسماعيل الأصبهاني، د. محمد ربيع مدخلي، ومحمد بن محمود أبو رحيم، دار الراية.

٤٠١- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، لفخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ.

٤٠٢- الرواة الذين تأثروا بابن سبأ، د. سعد الهاشمي، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

٤٠٣- الاقتصاد في الاعتقاد، لأبي حامد الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٤٠٤- الصارم المسلول على شاتم الرسول، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٤٠٥- الكشاف للزمخشري، جار الله محمود الزمخشري، دار المعرفة، بيروت.

٤٠٦- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

٤٠٧- آية التطهير وعلاقاتها بعصمة الأئمة، عبد الهادي الحسيني.

٤٠٨- تفسير البغوي، المسمى معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، ومروان سوار، دار المعرفة بيروت.

٤٠٩- الحجج الدامغة لنقض كتاب المراجعات، أبو مريم بن محمد الأعظمي.

٤١٠- تيسير العزيز الحميد لشرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، مكتبة الرياض الحديثة.

٤١١- الرسالة التدمرية لابن تيمية، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي.

٤١٢- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي، مطبعة البابي الحلبي، الطبعة الأخيرة ١٣٦٩هـ- ١٩٥٠م.

٤١٣- المنحة الإلهية في تهذيب الطحاوية، عبد الآخر حماد الغنيمي، دار الصحابة، بيروت، الطبعة الثالثة، جمادى الثانية، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٤١٤- الملل والنحل، لأبى الفتح محمد عبد الكريم الشهرستانى، تحقيق: الأستاذ أحمد فهمى محمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

٤١٥- مختصر تفسير القرآن العظيم المسمى عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، اختصار وتحقيق: أحمد شاكر دار طيبة، دار الوفاء، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٤١٦- روايات تاريخ الصحابة فى ميزان الجرح والتعديل، د. عبد العزيز صغير دخان، طبعة أولى ١٩٩٨م، الشوكانى باليمن.

٤١٧- اليهود فى السنة المطهرة، عبد الله الشقارى، دار طيبة، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٤١٨- المروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى التفسير من سورة المائدة إلى سورة الناس، رسالة ماجستير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، للطالب فهد عبد العزيز إبراهيم الفاضل، لم تطبع.

٤١٩- خلافة على بن أبى طالب، رتبه وهذبه د. محمد بن صامل السلمى، مستخرج من البداية والنهاية، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

٤٢٠- وسطية أهل السنة بين الفرق، د. محمد باكريم، دار الراية، الرياض، ١٤١٥هـ.

٤٢١- عقائد الثلاث والسبعين فرقة، لأبى محمد اليمنى، تحقيق ودراسة: محمد عبد الله زربان الغامدى، مكتبة دار العلوم، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٤٢٢- العزلة والخُلطة، أحكام وأحوال، سلمان بن فهد العودة، ١٤١٣هـ.

٤٢٣- أمير المؤمنين على بن أبى طالب، أحمد السيد يعقوب الرفاعى، دار الفضيلة، القاهرة.

٤٢٤- السلسلة الضعيفة، للألبانى، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

٤٢٥- زاد المعاد، ابن القيم، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، دار الرسالة.

٤٢٦- فقه السيرة النبوية، محمد سعيد رمضان، دار الفكر، دمشق، سوريا.

٤٢٧- فصول من السيرة النبوية، عبد المنعم السيد.

٤٢٨- هجرة الرسول وصحابته فى القرآن والسنة، أحمد عبد الغنى الجمل، دار الوفاء.

٤٢٩- السيرة النبوية فى ضوء المصادر الأصلية، د. مهدى رزق الله أحمد، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

٤٣٠- الخليفتان عثمان وعلى بين السنة والشيعة، أنور عيسى، لم تطبع.

٤٣١- مرويات غزوة الحديبية، حافظ الحكمي، دار ابن القيم.

٤٣٢- القول المفيد على كتاب التوحيد، لمحمد صالح العثيمين، دار العاصمة.

٤٣٣- التاريخ السياسي، د. على معطى، مؤسسة المعارف بيروت.

٤٣٤- قراءة سياسية للسيرة النبوية، محمد قلعجى، دار النفائس، بيروت، لبنان.

٤٣٥- على بن أبى طالب مستشار أمين للخلفاء الراشدين، د. محمد عمر الحاجى، دار الحافظ بدمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٤٣٦- زواج عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، من أم كلثوم بنت على بن أبى طالب، رضى الله عنهما، حقيقة وليس افتراء، تأليف أبى معاذ الإسماعيلى.

٤٣٧- عثمان بن عفان، صادق عرجون، الدار السعودية، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٤٣٨- مجلة البحوث الإسلامية، العدد العاشر.

٤٣٩- رياض النفوس للمالكى، أبو بكر عبد الله بن محمد المالكى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، عام ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٤٤٠- فتنة مقتل عثمان، محمد عبد الله الغبان، مكتبة العبيكان، السعودية.

٤٤١- عثمان بن عفان الخليفة الشاكر الصابر، دار القلم دمشق.

٤٤٢- ليس من الإسلام، محمد الغزالى، دار القلم، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

فهرس الكتاب

الفصل الثانى

على بن أبى طالب رضى الله عنه فى عهد الخلفاء الراشدين

الفصل الثالث

بيعة على -رضى الله عنه- وأهم صفاته وحياته فى المجتمع

الفصل الخامس

مؤسسة الولاية في عهد أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

الفصل السادس

معركتا الجمل وصفين وقضية التحكيم

الفصل السابع

موقف أمير المؤمنين على من الخوارج والشيعة

مؤلفات الدكتور علي محمد الصلابي

- السيرة النبوية
- أبي بكر الصديق
- صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي
- غزوات الرسول ﷺ
- عمر بن الخطاب
- فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم
- الدولة الأموية
- عثمان بن عفان
- الوسطية في القرآن الكريم
- الفتح الإسلامي في الشمال الإفريقي
- علي بن أبي طالب
- عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين
- الدولة الفاطمية
- الحسن بن علي
- فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة
- دولة المرابطين
- عبد الله بن الزبير
- حقيقة الخلاف بين الصحابة
- دولة الموحدين
- عمر بن عبد العزيز
- فتنة مقتل عثمان بن عفان
- دولة السلاجقة
- محمد الفاتح
- الإمام الغزالي
- الدولة الزنكية
- عماد الدين زنكي
- الشيخ عبد القادر الجيلاني
- صلاح الدين الأيوبي
- نور الدين محمود زنكي
- السلطان عبد الحميد الثاني
- الأيوبيون بعد صلاح الدين
- الدولة العثمانية
- سلطان العلماء العز بن عبد السلام
- المغول بين الانتشار والانكسار
- الحركة السنوسية في ليبيا
- سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت

